NURUOSMANIYE
2615/1
3053

ب
٢١٥

NURUOSMANİYE KÜTÜPHANESİ
Kısmı: N.O.
Yeni Kayıt No: 2612/1
Eski Kayıt No: 3053
Tasnif No.

الجزء الاول من كتاب إنسان العيون في سيرة الأمين المأمون تصنيف الشيخ الإمام العلامة علي ابن برهان الدين الحلبي الشافعي رحمة الله عليه ونفعنا به والمسلمين أجمعين آمين

٣٠٥٤

وقف أكرم السلاطين من طبقات الملوك وأبهى الخواقين بحسن السيرة والسلوك
السلطان ابن السلطان السلطان أبو المواهب عثمان خان
ابن السلطان مصطفى خان أدام الله أيام دولته
وأعلام نصفته في تواريخ حسنة وأنا الداعي
الحاج إبراهيم حنيف المفتش بأوقاف
الحرمين المحترمين
غفر له

اجمعين

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه
حمدا لمن نضر وجوه اهل الحديث وصلاة وسلاما على من نزل عليه احسن
الحديث وعلى آله واصحابه اهل التقدم في القديم والحديث صلاة وسلاما دائمين
ما سارت الائمة في جمع سير المصطفى السير الحثيث وبعد فيقول افقر المحتاجين
واحوج المفتقرين لعفو ذي الفضل والطول المتين علي ابن برهان الدين الحلبي الشافعي
ان سيرة المصطفى عليه افضل الصلاة والسلام من اهم ما اهتم به العلماء الاعلام وحفاظ
ملة الاسلام كيف لا وهو الموصل لعلم الحلال والحرام والحامل على التخلق بالاخلاق العظام
وقد قال الزهري رحمه الله تعالى في علم المغازي خير الدنيا والآخرة وهو اول من
الف في السير قال بعضهم واول سيرة الفت في الاسلام سيرة الزهري وعن سعد
ابن ابي وقاص رضي الله تعالى عنه انه قال كان ابي يعلمنا مغازي رسول الله صلى الله عليه وسلم
وسراياه فيقول يا بني هذه شرف آبائكم فلا تنسوا ذكرها واحسن ما الف في
ذلك وتداولته الاكياس سيرة الحافظ ابي الفتح ابن سيد الناس رحمه الله تعالى لما
جمعت من تلك الدراري والدرر ومن ثم سماها عيون الاثر غير انه اطال بذكر الاسناد
الذي كان للمحدثين به مزيد الاعتماد وعليه لهم كثير الاعتماد اذ هو من خصايص
الامة ومفخر الائمة الشمس الشامي رحمه الله تعالى فهو راده اتى فيها بما نشر في صفايح
وجوه الصحايف حسنات لكنه اتى فيها بما هو في اسماع ذوي الافهام كالمعادات ولا يخفى
ان السير تجمع الصحيح والسقيم والضعيف والبلاغ والمرسل والمنقطع والمعضل دون
الموضوع ومن ثم قال الزين العراقي رحمه الله تعالى وليعلم الطالب ان السير تجمع ما صح
وما قد انكر وقد قال الامام احمد ابن حنبل وغيره من الائمة اذا روينا في الحلال والحرام
شددنا واذا روينا في الفضايل ونحوها تساهلنا وفي الاصل والذي ذهب اليه كثير
من اهل العلم الترخص في الرقايق وما لا حكم فيه من احكام المغازي وما يجري مجرى ذلك
وانه يقبل منها ما لا يقبل في الحلال والحرام لعدم تعلق الاحكام بها فلما رايت
السيرتين المذكورتين على الوجه الذي لا يكاد ينظر اليه لما اشتملتا عليه عن لي ان اخص
من تينك السيرتين انموذجا لطيفا مروقا للاحداق وحلوا للاذواق بقرا مع ما اضمه
اليه بين يدي المشايخ على غاية الانسجام ونهاية الانتظام ولا زلت في ذلك اقدم
رجلا واوخر اخرى لكوني لست من اهل هذا الشان ولا ممن يسابق في ميدانه على خيل
الرهان حتى اشار علي بذلك وسلوك تلك المسالك من اشارته ولحتم الاتباع ومخالفته
امر لا يستطاع ذوي البديعة المطاوعة والفضايل البارعة والفوائد الكثيرة النافعة
من اذا سئل عن اي معضلة اشكلت على ذوي المعرفة والوقوف لا تراه يتوقف ولا يحجم
عن صوب الصواب ولا يتعسف ولا اخبر في كثير من الاوقات عن شيء من المغيبات وكاد
ان يتخلف وهو الاستاذ الاعظم والملاذ الاكرم مولانا الشيخ ابو عبد الله وابو المواهب

الاعتماد

مجري

محمد فخر الاسلام

نشر

محمد فخر الاسلام البكري الصديقي كيف لا وهو محل نظر والده من يظهر ذكره ملا المشارق
والمغارب وسرى سره في ساير المشارب ولي الله والقايم بخدمته في الاسرار والاعلان
والعارف به الذي لم يتمار في انه القطب الفرد الجامع اثنان مولانا الاستاذ ابو عبد الله
وابو بكر محمد البكري الصديقي ولا بدع فانه نتيجة صدر العلماء العاملين واستاذ جميع
الاستاذين والمعدود من المجتهدين صاحب التصانيف المفيدة في العلوم العديدة مولانا
الاستاذ محمد ابو الحسن تاج العارفين البكري الصديقي اعاد الله علي وعلى احبابي من
بركاتهم وجعلنا في الآخرة من جملة اتباعهم فلما اشار علي بذلك الاستاذ بتلك الاشارة
ورايتها من اعظم بشارة شرعت معتمدا في ذلك على من يبلغ كل مؤمل امله ولم يخيب
من قصده وامله وقد يسر الله تعالى ذلك على اسلوب لطيف ومسلك شريف لا تمله الاسماع
ولا تنفر منه الطباع والزيادة التي اخذتها من سيرة الشمس الشامي على سيرة ابي الفتح
ابن سيد الناس الموسومة بعيون الاثر ان كثرت ميزتها بقولي في اولها قال وفي
آخرها انتهى وان قلت اتيت بلفظ اي وجعلت في آخر القول دايرة هكذا ه بالحمرة
وربما اقول وفي السيرة الشامية وربما عبرت عن الزيادة القليلة بقال وعن الكثيرة
باي وما ليس بعد تلك الدايرة فهو من الاصل اعني عيون الاثر غالبا وقد يكون من
زيادتي على الاصل والشامي كما يعلم بالوقوف عليهما وربما ميزت تلك الزيادة بقولي
في اولها اقول وفي آخرها والله اعلم و قد يكون من الزيادة ما اقول وفي السيرة
الهشامية بتقديم الهاء على الشين وحيث اقول قال في الاصل او ذكر في الاصل او نحو ذلك
فالمراد به عيون الاثر ثم عن لي ان اذكر من ابيات القصيدة الهمزية المنسوبة لعالم الشعراء
واشعر العلماء وهو الشيخ شرف الدين ناظم القصيدة المعروفة بالبردة ما تضمنته تلك
الابيات واشارت اليه من ذلك السياق فانه احلى في الاذواق وربما احل ذلك النظم
بما يوضح معناه ويظهر تركيب مبناه وربما ذكر من ابيات تائية الامام السبكي ما يناسب
المقام وربما ذكر ايضا بعض ابيات من كلام صاحب الاصل من قصايده النبوية
بديوانه المسمى بشرى اللبيب بذكر الحبيب وقد سميت مجموع ذلك انسان العيون في سيرة
الامين المامون واسال من لا مسؤول الا اياه ان يجعل ذلك وسيلة لرضاه آمين

باب ذكر نسبه صلى الله عليه وسلم

هو محمد ابن عبد الله ومعنى
عبد الله الخاضع الذليل له تعالى وقد جاء احب اسمائكم وفي رواية احب الاسماء الى الله تعالى
عبد الله وعبد الرحمن وجاء احب الاسماء ما تعبد به وقد سمي صلى الله عليه وسلم بعبد الله
في القرآن قال تعالى وانه لما قام عبد الله يدعوه وعبد الله هذا هو ابن عبد المطلب
ويدعى شيبة الحمد لكثرة حمد الناس له اي لانه كان مفزع قريش في النوايب وملجاهم
في الامور ه فكان شريف قريش وسيدها كمالا وفعالا من غير مدافع وقيل قيل له شيبة
الحمد لانه ولد وفي راسه اي وفي لفظ كان وسط راسه ابيض او سمي بذلك تفاؤلا

بانه يبلغ سن الشيب قيل اسمه عامر وعاش مايه واربعين اي وكان ممن حرم الخمر على نفسه
في الجاهليه وكان مجاب الدعوه وكان يقال له الفياض لجوده ومطعم طير السماء لانه كان
يرفع من مايدته للطير والوحوش في رؤس الجبال قال وكان حليما من حلما قريش وحكمايها
وكان نديمه حرب ابن اميه ابن عبد شمس ابن عبد مناف والد ابي سفيان وكان في جوار
عبد المطلب يهودي فاغلظ ذلك اليهودي القول على حرب في سوق من اسواق تهامه فاغرا
عليه حرب من قتله فلما علم عبد المطلب بذلك ترك منادمة حرب ولم يفارقه حتى اخذ منه
مايه ناقه دفعها لابن عم اليهودي حفظا للجواره ثم نادم عبد الله ابن جدعان انتهي
ملخصا وقيل له عبد المطلب لان عمه المطلب لما جا به من المدينه صغيرا اردفه خلفه
اي وكان بهيئة رثه اي ثياب خلقه فصار كل من يسال عنه ويقول من هذا يقول عبدي
اي حيا ان يقول ابن اخي فلما دخل مكه احسن من حاله واظهر انه ابن اخيه وصار يقول
لمن يقول له عبد المطلب ويحكم انما هو شيبه ابن اخي هاشم لكن غلب عليه الوصف المذكور
فقيل له عبد المطلب اي وقيل لانه تربى في حجر عمه المطلب وعادة العرب ان تقول لليتيم
الذي يتربى في حجر احد هو عبده وكان عبد المطلب يامر اولاده بترك الظلم والبغي
ويحثهم على مكارم الاخلاق وينهاهم عن دنيات الامور وكان يقول لن يخرج من الدنيا
ظلوم حتى ينتقم منه وتصيبه عقوبه الى ان هلك رجل ظلوم من اهل الشام لم تصبه
عقوبه فقيل لعبد المطلب في ذلك ففكر وقال والله ان وراء هذه الدار دارا يجزى فيها
المحسن باحسانه والمسي باساته اي فالظلوم شانه في الدنيا ذلك جزاء اخرج من
الدنيا ولم تصبه العقوبه فهي معده له في الاخره ورفض في اخر عمره عبادة الاصنام
ووحد الله تعالى وتوثر عنه سنن جا القران باكثرها وجات السنه بها منها الوفاء
بالنذر والمنع من نكاح المحارم وقطع يد السارق والنهي عن قتل الموؤده وتحريم
الخمر والزنا وان لا يطوف بالبيت عريان كذا في كلام سبط ابن الجوزي رحمه الله تعالى
ابن هاشم وهاشم هو عمرو العلا اي لعلو مرتبته وهو اخو عبد شمس وكانا توامين هاشم م
وكانت رجل اي اصبعها ملصقة بجبهة عبد شمس ولم يمكن نزعها الا بسيلان دم
فكانوا يقولون سيكون بينهما دم فكان بين ولديهما اي بني العباس وبني اميه
سنة ثلاث وثلاثين ومايه من الهجره ووقعت العداوه بين هاشم وبين ابن اخيه اميه ابن عبد شمس م
ابن عبد شمس وان هاشما لما ساد قومه بعد ابيه عبد مناف حسده اميه فتكلف ان
يصنع كما يصنع هاشم فعجز فعيرته قريش وقالوا له اتتشبه بهاشم ثم دعا اميه هاشما
للمفاخره فابى هاشم ذلك لسنه وعلو قدره فلم تدعه قريش فقال هاشم لاميه انا
افاخرك على خمسين ناقة سود الحدق تنحر بمكه والجلا عن مكه عشر سنين فرضي
اميه بذلك وجعلا بينهما الكاهن الخزاعي وكان بعسفان فخرج كل منهما في نفر فنزلوا
على الكاهن فقال قبل ان يخبروه خبرهم والقمر الباهر والكوكب الزاهر والغمام

الماطر

الماطر وما بالجو من طاير وما اهتدى بعلم مسافر من منجد وغاير لقد سبق هاشم
اميه الى المفاخر فنصر هاشم على اميه فعاد هاشم الى مكه ونحر الابل واطعم الناس
وخرج اميه الى الشام فاقام بها عشر سنين فكانت هذه اول عداوة وقعت بين هاشم
واميه وتوارث ذلك بنوهما وكان لهاشم واخوته عبد شمس والمطلب ونوفل اقداح
النضار اي الذهب ويقال لهم المجيرون لكرمهم وفخرهم وسيادتهم على ساير العرب
قال بعضهم ولا يعرف بنو اب تباينوا في حال موتهم مثلهم فان هاشما مات بغزه
اي كما سياتي وعبد شمس مات بمكه وقبره باجياد ونوفل مات بالعراق والمطلب مات
بارض اليمن اي وقيل له هاشم لانه اول من هشم الثريد واطعم المساكين ولذلك قيل
عمرو العلا هشم الثريد لقومه ورجال مكه مسنتون عجاف وفيه ان اول من ثرد الثريد
واطعم بمكه بعد ابراهيم جد هاشم قصي الامتاع وقصي اول من ثرد الثريد واطعم
بمكه وفيه ايضا هاشم عمرو العلا اول من اطعم الثريد بمكه وسياتي ان اول من فعل ذلك
عمرو ابن لحي فليتامل وقد يقال لا منافاة لان الاوليه في ذلك اضافيه فان اوليه قصي
لكونه من قريش واولية عمرو ابن لحي لكونه من خزاعه واولية هاشم باعتبار شده
مجاعه حصلت لقريش والى ذلك يشير الاصل صاحب بقوله واطعم في المحل عمرو العلا
للمسنتين به خصب عام وقال ايضا عمرو العلا ذا الندا من لا يسابقه مر السحاب
ولا ريح تجاريه جفانه كالجوابي للوفود اذا لبو بمكه ناداهم مناديه اذا المحلوه
اخصبوا منها وقد مليت قوتا لحاضره منهم وباديه وقد قيل فيه قل للذي طلب
السماحة والندا هلا مررت بال عبد مناف الرايشون وليس يوجد رايش والقايلون
هلم للاضياف وعن بعض الصحابه قال رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم وابا بكر
رضى الله تعالى عنه على باب بني شيبه وهو يقول يا ايها الرجل المحول رحله الا نزلت
بال عبد الدار هبلتك امك لو نزلت برحلهم منعوك من عدم ومن اقتار فالتفت
رسول الله صلى الله عليه وسلم الى ابي بكر رضي الله تعالى عنه فقال اهكذا قال الشاعر
قال لا والذي بعثك بالحق نبيا لكنه قال يا ايها الرجل المحول رحله الا نزلت بال عبد مناف
هبلتك امك لو نزلت برحلهم منعوك من عدم ومن اقراف الخالطين غنيهم بفقيرهم
حتى يعود فقيرهم كالكافي فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال هكذا سمعت
الرواة ينشدونه وكان هاشم بعد ابيه عبد مناف على السقايه والرفاده فكان يعمل
الطعام للحجاج ياكل منه من لم يكن له سعه ولا زاد ويقال لذلك الرفاده واتفق انه اصاب
الناس سنة جدب شديد فخرج هاشم الى الشام وقيل بلغه ذلك وهو بغزه من الشام
فاشترى دقيقا وكعكا وقدم به مكه في الموسم فهشم الخبز والكعك ونحر الجزر وجعله
ثريدا واطعم الناس حتى اشبعهم فسمي بذلك هاشما وكان يقال له ابو البطحا وسيد البطحا
قال بعضهم لم تزل مايدته منصوبه لا ترفع في السرا والضرا قال ابن الصلاح روينا

روينا عن الامام سهل الصعلوكي انه قال في قوله صلى الله عليه وسلم فضل عائشة على
النساء كفضل الثريد على ساير الطعام اراد فضل العلم الذى عظم بنفسه وقدره
وعم خيره وبره وبقي له ولعقبه ذكره وقد ابعد سهل في تاويل الحديث والذى اراه
تفضيل الثريد من الطعام على باقي الطعام لان ساير بمعنى باقي اى فالمراد اى ثريد
لا خصوص ثريد عمرو العلا حتى يكون افضل من ثريد غيره وكان هاشم يحمل ابن السبيل
ويؤمن الخائف **قال** وقد ذكر انه كان اذا اهل هلال ذى الحجة قام صبيحته واسند ظهره
الى الكعبة من تلقا بابها ويخطب ويقول في خطبته يا معشر قريش انكم سادات العرب
احسنها وجوها واعظمها احلاما اي عقولا واوسط العرب اي اشرفها انسابا واقرب
العرب بالعرب ارحاما يا معشر قريش انكم جيران بيت الله اكرمكم الله بولايته وخصكم
بجواره دون ابن اسمعيل وانكم ياتيكم زوار الله يعظمون بيته فهم اضيافه واحق
من اكرم اضياف الله انتم فاكرموا ضيفه وزوار بيته فانهم ياتونه شعثا غبرا من كل بلد
على ضوامر كالقداح فاكرموا ضيفه وزوار بيته فورب هذه البنية لو كان لي مال يحتمل
ذلك لكفيتكموه وانا مخرج من طيب مالي وحلاله مالا يقطع فيه رحم ولم يوخذ بظلم
ولم يدخل فيه حرام فمن شا منكم ان يفعل مثل ذلك فعل واسالكم بحرمة هذا البيت ان
لا يخرج رجل منكم من ماله لكرامة زوار بيت الله وتقويتهم الا طيبا لم يوخذ ظلما ولم
يقطع منه رحم ولم يوخذ غصبا فكانوا يجتهدون في ذلك ويخرجونه من اموالهم فيضعونه
في دار الندوة انتهى وقيل في تسمية عبد المطلب شيبة الحمد غير ما تقدم فقد قيل انما
سمي شيبة الحمد عبد المطلب لان اباه هاشما قال للمطلب الذى هو اخو هاشم وهو بمكة
حين حضرته الوفاة ادرك عبدك يعني شيبة الحمد بيثرب فمن ثم سمي عبد المطلب كذا في المواهب
وقدمه على ما تقدم وفيه انه حكى غير واحد ان هاشما خرج تاجرا الى الشام فنزل على
شخص من بني النجار بالمدينة وتزوج بنته على شرط انها لا تلد ولدا الا في اهلها **اي**
ثم مضى لوجهه قبل ان يدخل بها ثم انصرف راجعا فبنى بها في اهلها ثم ارتحل بها الى
مكة فلما اثقلت بالحمل خرج بها فوضعها عند اهلها بالمدينة ومضى الى الشام ومات بغزة
قيل وعمره عشرون سنة وقيل اربع وقيل خمس وعشرون وولدت شيبة الحمد فمكث
بالمدينة سبع سنين وقيل ثمان فمر رجل على غلمان يلعبون يتناضلون بالسهام واذا
غلام فيهم اذا اصاب قال انا ابن سيد البطحا فقال له الرجل ممن انت يا غلام فقال
انا شيبة ابن هاشم ابن عبد مناف فلما قدم الرجل مكة وجد المطلب جالسا بالحجر فقص
عليه ما راى فذهب المطلب الى المدينة فلما راه عرف شبه ابيه فيه ففاضت عيناه وضمه
اليه خفية من امه وفي لفظ انه عرفه بالشبه وقال لمن كان يلعب معه هذا ابن هاشم قالوا
نعم فعرفهم انه عمه فقالوا ان كنت تريد اخذه فالساعة قبل ان تعلم به امه فانها
ان علمت بك لم تدعك وحالت بينك وبينه فدعاه المطلب وقال يا ابن اخي انا عمك وقد اردت

الذهاب بك الى قومك واناخ راحلته فجلس على عجز الناقة فانطلق به ولم تعلم
به امه حتى كان الليل فقامت تدعو فاخبرت ان عمه قد ذهب به وكساه حلة
يمانية ثم قدم به مكة فقالت قريش هذا عبد المطلب **اي** فان هذا السياق يدل على
ان عبد المطلب انما ولد بعد موت ابيه هاشم بغزة وكون عمه المطلب كساه حلة
لا ينافي ما سبق انه دخل به مكة وثيابه رثة خلقة لانه يجوز ان تكون هذه الحلة
البست له عند اخذه ثم نزعت عنه في السفر **اي** او ان هذه الحلة اشتراها بمكة كما
يصرح به كلام بعضهم وما وقع هنا من تصرف الراوي على انه يجوز ان يكون هو
اشترى له حلتين واحدة البسها في المدينة واخرى اشتراها له بمكة والبسها له
وفي السيرة الهشامية ان ام عبد المطلب لا تنكح الرجال لشرفها في قومها حتى يشترطوا
لها ان امرها بيدها اذا كرهت رجلا فارقته **اي** وانها لا تلد ولدا الا في اهلها
كما تقدم وان عمه المطلب لما جا لاخذه قالت له لست بمرسلته معك فقال لها المطلب اني
غير منصرف حتى اخرج به معي ان ابن اخي قد بلغ وهو غريب في غير قومه ونحن اهل
بيت شرف في قومنا وقومه وعشيرته وبلده خير من الاقامة في غيرهم فقال شيبة
لعمه لست بمفارقها الا ان تاذن لي فاذنت ودفعته اليه فاردفه خلفه على بعيره ويحتاج
الى الجمع بين هذا وبين ما قبله فقالت قريش ان عبد المطلب ابتاعه **اي** ظنا منهم انه
اشتراه من المدينة فان الشمس اثرت فيه وعليه ثياب اخلاق فقال ويحكم انه
ابن اخي هاشم ولا يخالف هذا ما سبق من انه صار يقول لمن يساله من هذا فيقول عبدي
لانه يجوز ان يكون بعض الناس قال من عند نفسه هذا عبد المطلب ظنا منه وبعضهم
ساله فاجابه بقوله هذا عبدي لما تقدم ولما دخل مكة قال لهم ويحكم الخ وهاشم
ابن عبد مناف وعبد مناف اسمه المغيرة **اي** وكان يقال له قمر البطحا لحسنه وجماله
وهذا هو الجد الثالث لرسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الجد الرابع لعثمان ابن
عفان رضي الله عنه والجد التاسع لامامنا الشافعي رضي الله عنه ووجد بكتاب في حجر
ان المغيرة ابن قصي اوصى قريشا بتقوى الله جل وعلا وصلة الرحم ومناف اصله
مناة اسم صنم كان اعظم اصنامهم وكانت امه حبلية خادما لذلك الصنم وقيل وهبته
له لانه كان اول ولد لقصي لان عبد مناف **ابن قصي** اى وسمي قصي زيدا وعزا امامنا
الشافعي رضي الله عنه ان اسمه يزيد ويدعا مجمعا ايضا وقيل له قصي لانه قصي **اي**
بعد عن عشيرته الى اخواله من بني كلب في بلادهم وقيل بعد الى قضاعة مع امه لانها
منهم **اقول** لا منافاة لجواز ان تكون ام قصي من كلب وابوها من قضاعة وانها رحلت
بعد موت ابيه الى بني كلب ثم لما تزوجت من قضاعة رحلت اليها ولعل قضاعة
كانت جهة الشام فلا يخالف ما قيل قيل له قصي لانه بعد مع امه الى الشام لان امه
تزوجت بعد موت ابيه وهو فطيم شخصا يقال له ربيعة ابن حرام وقيل حرام ابن ربيعة

العذري فرحل بها الي الشام وكان قصي لا يعرف له ابا الا زوج امه المذكور فلما
كبر وقع بينه وبين آل زوج امه شر اي فانه ناضل رجلا منهم فنضله قصي اي غلبه
فغضب ذلك الرجل وعير قصيا بالغربه وقال له الا تلحق بقومك وببلادك فانك لست
منا وفي رواية لفظ لما قيل له ذلك قال ممن انا قال سل امك فسالها الي امه فقالت له بلاد ابل
خير من بلادهم وقومك خير من قومهم وانت اكرم ابا منهم انت ابن كلاب ابن مرة وقومك
بمكه عند البيت الحرام تفد اليهم العرب وقد قالت لي كاهنة رايتك صغيرا انك تلي امرا
جليلا فلما اراد الخروج الي مكه قالت له امه لا تعجل حتي يدخل الشهر الحرام فتخرج مع
حجاج قضاعه فاني اخاف عليك شخصا مع الحجاج فقدم قصي مكه علي قومه مع حجاج قضاعه
فعرفوا له فضله وشرفه فاكرموه وقدموه عليهم فساد فيهم ثم تزوج بنت حليل بالحا
المهمله المضمومه الخزاعي وكان امر مكه والبيت اليه وهو اخر من ولي امر البيت والحكم
بمكه من خزاعه فجا منها باولاده الاتي ذكرهم فلما انتشر ولده وكثر ماله وعلم شرفه
مات حليل فراي قصي انه اولي بامر مكه من خزاعه لان قريشا اقرب الي اسمعيل من
خزاعه فدعا قريشا وبني كنانه الي اخراج خزاعة من مكه فاجابوه الي ذلك وانضم
اليهم قضاعه فاجابهم اخو قصي لامه فازاح قصي يد خزاعه وولي امر مكه وقيل ان
حليلا جعل امر البيت لقصي ولا منافاة لجواز ان تكون خزاعه لا ترضي بما فعله حليل
من ان يكون امر البيت لقصي فحاربهم واخرجهم من مكه وقيل ان حليلا اوصي بذلك
لابي غبشان بضم الغين المعجمه بعد ان اوصي بذلك لابنته زوج قصي وقالت له لا اقدر
لي علي فتح البيت واغلاقه وان قصيا اخذ ذلك منه بزق خمر اصير صفقه من ابي
غبشان وقيل ان ابا غبشان اعطي ذلك لبنت حليل زوج قصي واعطاه قصي اثوابا
وابعره فكان ابو غبشان اخر من ملك امر مكه والبيت من خزاعه ولا يخالف ذلك
ما تقدم من ان حليلا اخر من ولي امر البيت والحكم بمكه لجواز ان يكون المراد اخر
من ولي ذلك واستمر كذلك الي ان مات قال بعضهم وكان ابو غبشان خالا لقصي
وكان في عقله شي فخدعه قصي فاشتري منه امر مكه والبيت باذواد من الابل ويجمع
بين هذه الروايات من ان قصيا اخذ ذلك من ابي غبشان بزق خمر وبين انه اخذ ذلك
بالاثواب والابعره وبين انه اخذ ذلك باذواد من الابل ممكن لجواز ان يكون جمع بين الخمر
والاثواب والابل ووقع الاقتصار علي بعضها من بعض الرواة ثم جمع قصي قريشا
بعد تفرقها في البلاد وجعلها اثني عشر قبيله كما سياتي ومن ثم قيل له مجمع وفي كلام
بعضهم ولذلك سماه النبي صلي الله عليه وسلم مجمعا والي ذلك يشير قول الشاعر ؞
قصي لعمري كان يدعي مجمعا ؞ به جمع الله القبايل من فهر ؞ وهذا البيت من قصيده
مدح بها عبد المطلب مدح بها حذافه ابن غانم فان ركبا من جذام فقدوا رجلا منهم
غالته بيوت مكه فلقوا حذافه فاخذوه فربطوه ثم انطلقوا به فتلقاهم عبد المطلب

مقبلا من الطايف معه ابنه ابو لهب يقوده وقد ذهب بصره فلما نظر اليه حذافه
هتف به فقال عبد المطلب لابي لهب ويلك ما هذا قال هذا حذافه ابن غانم مربوطا
مع ركب قال الحقهم واسالهم ما شانهم فلحقهم فاخبروه الخبر فرجع الي عبد المطلب
فقال ما معك فقال والله ما معي شي قال الحقهم لا ام لك واعطهم بيدك واطلق الرجل
فلحقهم ابو لهب وقال قد عرفتم تجارتي ومالي وانا احلف لكم لاعطينكم عشرين اوقيه
من الذهب وعشرا من الابل وفرسا وهذا ردائي رهنا بذلك فقبلوا منه واطلقوا
حذافه فاقبل به فلما سمع عبد المطلب صوت ابي لهب قال واني انك لعاص ارجع لا ام
لك قال يا ابتاه هذا الرجل معي فناداه يا حذافه اسمعني صوتك فقال ها انا ذا بابي انت
يا ساقي الحجيج اردفني فاردفه خلفه حتي دخل مكه فقال حذافه هذه القصيده ومطلعها
بني شيبة الحمد الذي كان وجهه ؞ يضي ظلام الليل كالقمر البدري ؞ وهي قصيده جيده
فان قيل كيف قبل القوم من ابي لهب رهن ردايه علي ما ذكره لهم فان تخلوا عن
الرجل مع ان رداه لا يقع موقعا من ذلك اجيب بانه سنة العرب وطريقتهم ان الوا
منهم اذا رهن غيره ولو شيا حقيرا علي امر جليل لا يغدر بل يحرص علي ما رهن
عليه ومن ثم لما اجدبت ارض تميم بدعا النبي صلي الله عليه وسلم ذهب سيدهم حاجب
ابن زراره والد عطارد رضي الله عنه الي كسري ليأخذ منه اماناً لقومه ليتنزلوا بريف
العراق لاجل المرعي فقال لهم كسري انتم قوم غدر واخاف علي الرعايا منكم فقال له
حاجب انا ضامن ان لا يفعل قومي شيا من ذلك فقال له كسري ومن لي بوفايك
قال هذا قوسي رهينه فحمقه كسري وجلساوه وضحكوا منه فقيل لهم العرب
لو رهن احدهم شيا لا بد ان يفي فلما اخصبت ارض تميم بدعاء النبي صلي الله عليه وسلم
لهم لما وفد اليه جماعة منهم واسلموا ومات حاجب امر عطارد رضي الله عنه قومه
بالذهاب الي بلادهم وجا عطارد رضي الله عنه الي كسري وطلب قوس ابيه فقال له
انك لم تسلم الي شيا فقال ايها الملك انا وارث ابي وقد وفينا بالضمان فان لم ترفع
الي قوس ابي صار عارا علينا وسبه فدفعها له وكساه حله فلما وفد عطارد رضي
الله عنه علي النبي صلي الله عليه وسلم ودفعها للنبي صلي الله عليه وسلم فلم يقبلها
وقال انما يلبس هذه الحله من لا خلاق له فكانت بنو تميم تعد ذلك القوس من مفاخرهم
والي ذلك اشار بعض الشعرا ولقد احسن واجاد وتلطف بقوله ؞ تزهو علينا بقوس
حاجبها ؞ تيه تميم بقوس حاجبها ؞ وصار قصي رئيسا لقريش علي الاطلاق حين
ازاح يد خزاعه عن البيت واجلاهم عن مكه بعد ان لم يسلموا لقصي في ولاية امر البيت
ولم يجيزوا ما فعل حليل او ابو غبشان علي ما تقدم وذلك ان اقتتلوا اخر ايام مني
بعد ان حذرتهم قريش الظلم والبغي وذكرتهم ما صارت اليه جرهم حين الحدوا في
الحرم بالظلم فابت خزاعه فاقتتلوا قتالا شديدا وكثر القتل والجراح في الفريقين

الا انه في خزاعة الترم تداعوا للصلح واتفقوا على أن يحكموا بينهم رجلا من
العرب فحكموا يعمر ابن عوف وكان رجلا شريفا فقال لهم موعدكم فنا الكعبة غدا
فلما اجتمعوا قام يعمر فقال الا اني قد شدخت بينكم ما كان من دم تحت قدمي هاتين
فلا تباعة لاحد على احد في دم اي وقيل قضي بان كل دم اصابته قريش من خزاعة
موضوع وان ما اصابته خزاعة من قريش فيه الديه وقضى لقصي بانه اولى بولاية
مكة فتولاها قيل وكان يعشر من دخل مكة من غير اهلها اي بتجارة وكانت خزاعة
قد ازالت بني جرهم عن ولاية البيت فان مضاض ابن عمرو الجرهمي الاكبر ولي امر البيت
بعد نابت ابن اسمعيل عليه الصلاة والسلام فانه كان جدا لنابت وغيرهم من اولاد
اسمعيل لامهم واستمرت جرهم ولاة البيت والحكام بمكة لابناء عمهم ولد اسمعيل
في ذلك خؤولتهم واعظاما لان يكون بمكة بغي وان جرهما بغوا بمكة وظلموا من يدخلها
من غير اهلها واكلوا مال الكعبة الذي يهدى لها فان الرجل منهم كان اذا اراد
ان يزني ولم يجد مكانا دخل البيت وزنى فيه فاجتمعت خزاعة اي عزمت لحربهم
واخراجهم من مكة ففعلوا ذلك بعد ان سلط الله على جرهم دواب تشبه النغف
بالغين المعجمة والفا وهو دود يكون في انوف الابل والغنم فهلك منهم ثمانون
كهلا في ليلة واحدة سوى الشباب وقيل سلط الله عليهم الرعاف فافنى غالبهم
اي وجاز ان يكون ذلك الدم ناشئا عن [illegible] ذلك الدود فلا مخالفة وذهب من بقي
الى اليمن مع عمرو ابن الحارث الجرهمي اخر من ملك امر مكة من جرهم وحزنت جرهم
على ما فارقوا من امر مكة حزنا شديدا وقال عمرو ابياتا منها ؞
كان لم يكن بين الحجون الى الصفا ؞ انيس ولم يسمر بمكة سامر ؞ وكنا ولاة البيت
من بعد نابت ؞ نطوف بذاك البيت والخير ظاهر ؞ بلى نحن كنا اهلها فابادنا ؞
صروف الليالي والدهور الدوائر ؞ ومن غريب الاتفاق ما حكاه بعضهم قال كنت
اكتب بين يدي الوزير يحيى ابن خالد البرمكي ايام الرشيد فاخذه النوم فنام برهة
ثم انتبه مذعورا فقال الامر كما كان والله ذهب ملكنا وذل عزنا وانقضت ايام دولتنا
قلت وما ذاك اصلح الله الوزير قال منشدا انشدني وكان لم يكن البيت واجبته من غير
روية بلى نحن كنا اهلها البيت فلما كان اليوم الثالث وانا بين يديه على عادتي اذ
جاء انسان واكب عليه واخبره ان الرشيد قتل جعفرا قال او قد فعل قال نعم فما زاد
ان رمى القلم من يده وقال هكذا تقوم الساعة بغتة ومما يؤثر عن يحيى هذا ينبغي للانسان
ان يكتب احسن ما سمع ويحفظ احسن ما يكتب ويحدث باحسن ما يحفظ وقال من لم يثبت
على سرور الوعد لم يجد للصنيعة طعما وصارت بعد جرهم ولاة البيت والحكام
بمكة كما تقدم وكان كبير خزاعة عمرو ابن لحي وهو ابن بنت عمرو ابن الحارث الجرهمي
اخر ملوك جرهم المتقدم ذكره وقد بلغ عمرو ابن لحي في العرب من الشرف ما لم يبلغه عربي قبله

الساعة

خزاعة

ولا بعده

ولا بعده في الجاهلية وهو اول من اطعم الحاج بمكة سدائف الابل ولحمانها على الثريد
والسدايف جمع سديف وهو السنام وذهب شرفه في العرب كل مذهب حتى صار قوله
دينا متبعا لا يخالف وفي كلام بعضهم صار عمرو للعرب ربا لا يبتدع لهم بدعة الا اتخذوها
شرعة لانه كان يطعم الناس ويكسوهم في الموسم وربما نحر في الموسم عشرة الاف
بدنة وكسا عشرة الاف حلة وهو اول من غير دين ابراهيم اي فقد قال بعضهم تظافرت
نصوص العلماء على ان العرب من عهد اسمعيل استمرت على دينه اي من رفض
عبادة الاصنام الى زمن عمرو ابن لحي فهو اول من غير دين ابراهيم وشرع للعرب الضلالات
فعبد الاصنام وسيب السايبة وبحر البحيرة وقيل اول من بحر البحائر رجل من بني
مدلج كانت له ناقتان فجدع اذنيهما وحرم البانهما فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم رايته
في النار يخبطانه باخفافهما ويعضانه بافواههما وعمرو اول من وصل الوصيلة
وحمى الحام ونصب الازلام حول الكعبة واتى بهبل من ارض الجزيرة ونصبه في بطن الكعبة
فكانت العرب تستقسم عنده بالازلام على ما سياتي واول من ادخل الشرك في التلبية
فانه كان يلبي بتلبية ابراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام وهي لبيك اللهم لبيك
لا شريك لك لبيك فعند ذلك تمثل له الشيطان في صورة شيخ يلبي معه فلما قال عمرو
لبيك لا شريك لك فقال له الشيخ الا شريكا هو لك فانكر عمرو ذلك فقال له الشيخ
تملكه وما ملك وهذا لا باس به فقال ذلك عمرو فتبعته العرب على ذلك اي فيقولونه
في التلبية ثم يدخلون معه اصنامهم ويجعلون ملكها بيده قال الله تعالى توبيخا لهم
وما يؤمن اكثرهم بالله الا وهم مشركون وهو اول من احل ايضا اكل الميتة فان كل ٦
القبايل من ولد اسمعيل لم تزل تحرم اكل الميتة حتى جاء عمرو ابن لحي فزعم ان الله تعالى لا
يرضى تحريم اكل الميتة قال كيف لا تاكلون ما قتل الله وتاكلون ما قتلتم وروى البخاري
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال رايت جهنم يحطم بعضها بعضا ورايت عمرا
يجر قصبه في النار وفي رواية يجر امعاءه وهي المراده بالقصب بضم القاف وفي رواية
رايته يؤذي اهل النار بريح قصبه ويقال للامعاء الاقتاب واحدها قتب بكسر القاف
وسكون المثناة الفوقية اخره باء موحدة ومن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم يجاء بالرجل
يوم القيمة فتندلق اقتابه في النار والاندلاق الخروج بسرعة وقال صلى الله عليه
وسلم لاكثم ابن الجون الخزاعي واسمه عبد العزى واكثم بالثاء المثلثة وهو في اللغة واسع
البطن يا اكثم رايت عمرو ابن لحي يجر قصبه في النار فما رايت رجلا اشبه من رجل منك به
ولا به منك فقال اكثم فعسى ان يضرني شبهه يا رسول الله قال لا انك مومن وهو
كافر انه اول من غير دين اسمعيل فنصب الاوثان اي ودين اسمعيل وهو دين ابراهيم عليهما السلام
فان العرب من عهد ابراهيم عليه الصلاة والسلام استمرت على دينه لم يغيره احد الى عهد عمرو

التي

المذكور كما تقدم وفي كلام بعضهم ان اكثم هذا هو ابو معبد زوج ام معبد الذي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم عند الهجرة واكثم هذا هو الذي قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم رايت الدجال فاذا هو اشبه الناس بك اكثم ابن عبد العزي فقام اكثم فقال ايضرني شبهي اياه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا انت مومن وهو كافر ورده ابن عبد البر حيث قال الحديث الذي فيه ذكر الدجال لا يصح انما يصح ما قاله في ذكر عمرو ابن لحي **وانما كان** عمرو ابن لحي اول من نصب الاوثان لانه خرج من مكة الي الشام في بعض اموره فرآي بارض البلقا العماليق ولد عملاق ابن لاود ابن سام ابن نوح وراهم يعبدون الاصنام فقال لهم ما هذه قالوا هذه اصنام نعبدها فنستمطرها فتمطرنا ونستنصرها فتنصرنا فقال لهم افلا تعطوني منها صنما فاسير به الي ارض العرب فاعطوه صنما يقال له هبل فقدم به مكة فنصبه في بطن الكعبة علي بيرها وامر الناس بعبادته وتعظيمه فكان الرجل اذا قدم من سفر بدا به قبل اهله بعد طوافه بالبيت وحلق راسه عنده وكان عند هبل سبع قداح قدح مكتوب فيه العقل اذا اختلفوا فيمن يحمله منهم ضربوا به فعلي من خرج حمله وقدح مكتوب فيه نعم وقدح فيه لا وقدح للامر الذي يريدونه وقدح فيه منكم وقدح فيه ملصق من غيركم اذا اختلفوا في ولد هل هو منهم او لا وقدح فيه بها وقدح فيه ماها اذا ارادوا ارضا يحفرونها الما وكان هبل من العقيق علي صورة انسان وعاش عمرو ابن لحي هذا ثلثماية سنة واربعين سنة وراي من ولده وولد ولده الف مقاتل **اي** ومكث هو وولده من بعده في ولاية البيت خمسماية سنة وكان اخرهم حليل الذي تزوج قصي بنته كما تقدم وقيل كان لعمرو تابع من الجن فقال له اذهب الي جدة وات منها بالالهة التي كانت تعبد في زمن نوح وادريس وهي ود وسواع ويغوث ويعوق ونسر فذهب واتي بها الي مكة ودعا الي عبادتها فانتشرت عبادة الاصنام في العرب فكان ود لكلب وسواع لهذيل وقيل لهذيل ويغوث لمذحج بالذال المعجمة علي وزن مسجد ابو قبيلة من اليمن ويعوق لمراد وقيل لهمدان ونسر لحمير **اي** وكانوا هولاء علي صور عباد ماتوا فحزن اهل عصرهم عليهم فصور لهم ابليس اللعين امثالهم من صفر ونحاس ليستانسوا بهم فجعلوهم في موخر المسجد فلما هلك اهل ذلك العصر قال اللعين لاولادهم هذه آلهة ابايكم تعبدونها ثم ان الطوفان دفنها في ساحل جدة فاخرجها اللعين وفي كلام بعضهم كان ادم كان له خمسة اولاد صلحا وهم ود وسواع ويغوث ويعوق ونسر فمات ود فحزن الناس عليه حزنا شديدا واجتمعوا حول قبره لا يكادون يفارقونه وذلك بارض بابل فلما راي ابليس ذلك من فعلهم جا اليهم في صورة انسان وقال لهم هل لكم ان اصور لكم صورته فاذا نظرتم اليها ذكرتموه قالوا نعم فصور لهم صورته ثم صار كلما مات منهم

اهل عصرهم

واخذ صوره صورته وسموا تلك الصور باسمايهم ثم لما تقادم الزمن وتناسيت الاباء والابنا والابنا قال لمن حدث بعدهم ان الذين كانوا قبلكم يعبدون هذه الصور فعبدوها فارسل الله تعالي لهم نوحا عليه السلام فنهاهم عن عبادتها فلم يجيبوه وكان بين ادم ونوح عشرة قرون كلهم علي شريعة من الحق فاول ما حدثت عبادة الاصنام في قوم نوح فارسله الله اليهم ينهاهم عن ذلك ويقال ان عمرو ابن لحي هو الذي نصب مناة علي ساحل البحر مما يلي قديد وكانت الازد يحجون اليه ويعظمونه وكذلك الاوس والخزرج وغسان **وذكر** الشيخ عبد الوهاب الشعراوي في تفسيره لبعض الايات القرآنية عند قوله تعالى ولله يسجد من في السموات والارض ان اصل وضع الاصنام انما هو من قوة التنزيه من العلما الاقدمين فانهم نزهوا الله عن كل شي وامروا بذلك عامتهم فلما راوا ان بعض عامتهم صرح بالتعطيل وضعوا لهم الاصنام وكسوها الديباج والحلي والجواهر وعظموها بالسجود وغيره ليتذكروا بها الحق الذي غاب عن عقولهم وغاب عنا ولكن العلما ان ذلك لا يجوز الا باذن من الله تعالى هذا كلام وهكذا كان فجرهم رجل يقال له اساف فجر بامراه يقال لها نايلة في جوف الكعبة اي قبلها فيها كما في تاريخ الازرقي وقيل زني بها فمسخا حجرين فاخرجا منها ونصبا علي الصفا والمروة ليكونا عبرة فلما كان عمرو ابن لحي اخذهما ونصبهما حول الكعبة **اي** علي زمزم وجعلا في وجهها وصار من يطوف يتمسح بهما يبدا باساف ويختم بنايلة وذلك قبل ان يقدم عمرو بهبل وبتلك الاصنام وكانت قريش تذبح ذبايحها عندهما **وذكر** انه صلى الله عليه وسلم لما كسر نايلة عند فتح مكة خرجت منها عجوز سودا شمطا تخمش وجهها وهي تنادي بالويل والثبور وكان عمرو اخبر قومه بان الرب يشتي بالطايف عند اللات ويصيف عند العزي فكانوا يعظمونها وكانوا يهدون الي العزي كما يهدون الي الكعبة وقصي هو الذي امر قريشا ان يبنوا بيوتهم داخل الحرم حول البيت من جهاته الاربع وجعلوا ابواب بيوتهم جهته لكل بطن منهم بطن باب ينسب الان اليه كباب بني شيبة وباب بني سهم وباب بني مخزوم وباب بني جمح وتركوا قدر الطواف بالبيت فبني قصي دار الندوة وهي اول دار بنيت بمكة واستمر الامر علي انه ليس حول الكعبة الا قدر المطاف وليس حوله حد زمنه صلى الله عليه وسلم وزمن ولاية الصديق رضي الله عنه فلما كان زمن ولاية عمر ابن الخطاب رضي الله عنه اشتري تلك الدور من اهلها وهدمها وبني المسجد المحيط بها ثم لما كان زمن ولاية عثمان رضي الله عنه اشتري دورا اخر واغالي في ثمنها وهدمها وزاد في سعة المسجد ثم ان ابن الزبير رضي الله عنهما زاد في المسجد زيادة كبيرة ثم ان عبد الملك ابن مروان وسع المسجد رفع جداره وسقفه بالساج وعمره عمارة حسنة ولم يزد فيه شيا ثم ان الوليد ابن عبد الملك وسع المسجد وحمل اليه اعمدة الرخام ثم زاد فيه المهدي والد الرشيد مرتين واستقر بناوه علي ذلك

الى الان وكانت قريش قبل ذلك اي قبل بنا منازلهم في الحرم يحترمون الحرم
ولا يبيتون فيه ليلا واذا اراد احدهم قضا حاجه الانسان خرج الى الحل وقد جا
انه صلى الله عليه وسلم لما كان بمكه اذا هو اراد قضا حاجة الانسان خرج الى
المغمس بكسر الميم افصح من فتحها وهو على ثلثي فرسخ من مكه وهابت
قريش قطع شجر الحرم التي في منازلهم التي بنوها فقد كان بمكه شجر كثير من العضاة
والسلم وشكو ذلك الى قصي فامرهم بقطعها فهابوا ذلك وقالوا نكره ان نري
انا استخففنا بحرمنا فقال قصي انما تقطعوه لمنازلكم وما تريدون به فسادا هو
فقطعها قصي بيده وبيد اعوانه وفي كلام السهيلي عن الواقدي الاصح ان قريشا
حين ارادوا البنيان قالوا لقصي كيف تصنع في شجر الحرام فحذرهم قطعها وخوفهم
العقوبه في ذلك فكان احدهم يحدق بالبنيان حول الشجره حتى تكون في منزله
قال واول من ترخص في قطع شجر الحرم للبنيان عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما
حين ابتنى دارا بقعيقعان لكنه جعل فدا كل شجره بقره فليتامل الجمع وانزل قصي
القبايل من قريش اي فانه جعلها اثني عشر قبيله كما تقدم في نواحي مكه بطاحها
وظواهرها ومن ثم قيل لمن سكن البطاح قريش البطاح ولمن سكن الظواهر
قريش الظواهر والاولى اشرف من الثانيه ومن الاولى بنو هاشم ولذلك يشير
صاحب الاصل في وصفه صلى الله عليه وسلم بقوله ه من بني هاشم ابن عبد مناف
وبنو هاشم بحار الحيا ه من قريش البطاح من عرف الناس ه لهم فظهم بغير مرا ه
قال بعضهم كان قصي اول رجل من بني كنانه اصاب ملكا ولما حضر الحج قال لقريش
قد حضر الحج وقد سمع العرب بما صنعتم وهم لكم معظمون ولا اعلم مكرمة عند العرب
اعظم من الطعام فليخرج كل انسان منكم من ماله خرجا ففعلوا فجمع من ذلك شيئا
كثيرا فلما جا اوايل الحج نحر على طريق من طرق مكه جزورا ونحر بمكه وجعل الثريد
واللحم وسقا الما المحلى بالزبيب وسقى اللبن وهو اول من اوقد النار بالمزدلفه ليراها
الناس من عرفه ليلة النفر ومما يوثر عن قصي من الكرم ليما اشرك في لومه ومن
استحسن قبيحا نزل الى قبحه ومن لم تصلحه الكرامه اصلحه الهوان ومن طلب
فوق قدره استحق الحرمان والحسود العدو الخفي ولما احتضر قال لاولاده اجتنبوا
الخمر فانها تصلح الابدان وتفسد الاذهان وحاز قصي شرف مكه فكان بيده السقايه
والرفاده والحجابه والندوه واللوا والقياده وكان عبد الدار اكبر اولاد قصي
وعبد مناف اشرفهم اي لانه شرف في زمان ابيه قصي وذهب شرفه كل مذهب
وكان يليه في الشرف اخوه المطلب وكان يقال لهما البدران وكانت قريش تسمي
عبد مناف الفياض لكثرة جوده فاعطى قصي ولده عبد الدار جميع تلك الوظايف
التي هي السقايه والرفاده والحجابه والندوه واللوا اي فانه قال له اما والله يا بني

والقيادة صح

لالحقنك

لالحقنك بالقوم يعني اخويه عبد مناف والمطلب وان كانوا قد شرفوا عليك لا يدخل
رجل منهم الكعبه حتى تكون انت تفتحها له اي بسبب الحجابه للبيت ولا تعقد لقريش
لوا لحربها الا انت بيدك اي وهذا المراد باللوا ولا يشرب رجل بمكه الا من سقايتك
وهذا هو المراد بالسقايه ولا ياكل احد من اهل الموسم الا من طعامك اي
وهذا هو المراد بالرفاده ولا تقطع قريش امرا من امورها الا في دارك يعني دار الندوه
اي ولا يكون احد قايد القوم الا انت وذلك سبب القياده فلما مات عبد الدار واخوه
عبد مناف اراد بنو عبد مناف وهم هاشم وعبد شمس والمطلب وهولا اخوه
لاب وام امهم عاتكه بنت مره ونوفل اخوهم لابيهم امه واقده بنت حرمل
ان ياخذوا تلك الوظايف من بني عمهم عبد الدار واجمعوا على المحاربه اي هـ
واخرج بنو عبد مناف جفنه مملوه طيبا فوضعوها لاحلافهم في المسجد
عند باب الكعبه ثم غمس القوم ايديهم فيها وتعاقدوا هم وحلفاوهم ثم مسحوا
الكعبه بايديهم توكيدا على انفسهم فسموا المطيبين اي اخرجتها لهم ام حكيم
البيضا بنت عبد المطلب عمة النبي صلى الله عليه وسلم وتومة ابيه ووضعتها في
الحجر وقالت من تطيب بهذا فهو منا فتطيب منها مع بني عبد مناف بنو زهره
وبنو اسد ابن عبد العزى وبنو تيم ابن مره وبنو الحارث ابن فهر فالمطيبون
من قريش خمس قبايل وتعاقد بنو عبد الدار واحلافهم وهم بنو مخزوم
وبنو سهم وبنو جمح وبنو عدي ابن كعب وحلفوا على ان لا يتخاذلوا ولا يسلم بعضهم
بعضا فسموا الاحلاف لتحالفهم بعد ان اخرجوا جفنه مملوه دما من دم جزور
نحروها ثم قالوا من ادخل يده في دمها فلعق منه فهو منا وصاروا يضعون ايديهم
فيها ويلعقونها فسموا لعقة الدم وقيل الذي لعقوا الدم بنو عدي خاصه ثم
اصطلحوا على ان تكون السقايه والرفاده والقياده لبني عبد مناف والحجابه واللوا
لبني عبد الدار ودار الندوه بينهم بالاشتراك وتحالفوا على ذلك هذا والذي
رايته في الشرف فيما حاضر به من اداب الشرف ولما شرف عبد مناف ابن قصي في حياة
ابيه وذهب شرفه كل مذهب وكان قصي يحب ابنه عبد الدار اراد ان يبقي له ذكراه
فاعطاه الحجابه ودار الندوه واللوا واعطى عبد مناف السقايه والرفاده والقياده
وجعل عبد الدار الحجابه لولده عثمان وجعل دار الندوه لولده عبد مناف ابن عبد الدار
ثم وليها عبد العزى ابن عثمان ابن عبد الدار ثم وليها هاشم وليها ولده من بعده والسقايه
كانت حياضا من ادم توضع بفنا الكعبه وينقل اليها الما العذب من الابار على الابل
في المزاود والقرب قبل حفر زمزم وربما قذف فيها التمر والزبيب في غالب الاحوال ليسيغ
الحاج ايام الموسم حتى يتفرقوا وهذه السقايه قام بها وبالرفاده بعد عبد مناف ولده
هاشم وبعده ولده عبد المطلب وكان شريفا مطاعا جوادا كانت قريش تسميه الفياض

الكثرة جوده فلما كبر عبد المطلب فوض اليه امر السقايه والرفاده فلما مات المطلب
وثب عليه عمه نوفل ابن عبد مناف وغصبه اركاحا **اي** افنية ودورا فسال عبد
المطلب رجالا من قومه النصر على عمه نوفل فابو وقالوا لا ندخل بينك وبين عمك
وكتب الي اخواله بني النجار بالمدينة بما فعله عمه نوفل فلما وقف خاله ابو اسعد
ابن عدي ابن النجار على كتابه بكى وسار من المدينه في ثمانين راكبا حتى قدم مكة
فنزل الابطح فتلقاه عبد المطلب وقال له المنزل يا خال فقال لا والله حتى القى نوفلا
فقال تركته في الحجر جالسا في مشايخ قريش فاقبل ابو اسعد حتى وقف عليهم فقام
نوفل قايما وقال يا ابا سعد انعم صباحا فقال له ابو سعد لا انعم الله لك صباحا
وسل سيفه وقال ورب هذه البنية لئن لم ترد على ابن اختي اركاحه لاملأن منك
هذا السيف فقال قد رددتها عليه فاشهد عليه مشايخ قريش ثم نزل على عبد
المطلب فاقام عنده ثلاثا ثم اعتمر ورجع الى المدينه **فلما** جرى ذلك حالف نوفل
وبنوه بني اخيه عبد شمس على بني هاشم وحالفت بنو هاشم خزاعة على بني
نوفل وبني عبد شمس **اي** فان خزاعة قالت نحن اولى بنصرة عبد المطلب لان عبد
مناف جد عبد المطلب امه حبي بنت حليل سيد خزاعة كما تقدم فقالوا لعبد المطلب
هلم فلنحالفك ودخلوا دار الندوه وتحالفوا وتعاقدوا وكتبوا بينهم كتابا باسمك
اللهم هذا ما تحالف عليه بنو هاشم ورجالات عمرو ابن ربيعة ابن خزاعة على
النصرة والمواساة ما بل بحر صوفه وما اشرقت شمس على ثبير وهب بفلاة بعير
وما اقام الاخشبان واعتمر بمكة انسان والمراد من ذلك الابد **وعبد المطلب**
لما حفر زمزم صار ينقل الماء لتلك الاحواض ويقذف فيها التمر والزبيب ثم بعده
قام بها ولده ابو طالب ثم اتفق ان ابا طالب املق **اي** افتقر في بعض السنين فاستدان
فاستدان من اخيه العباس عشرة الاف درهم الى الموسم الاخر فصرفها ابو
طالب عامه ذاك فيما يتعلق بالسقايه فلما كان العام المقبل لم يكن مع ابي طالب شي
فقال لاخيه العباس اسلفني اربعة عشر الف درهم الى العام المقبل لاعطيك جميع مالك
فقال له العباس بشرط ان لم تعطني تترك السقايه لاكفلها فقال نعم فلما جا العام
الاخر لم يكن مع ابي طالب ما يعطيه لاخيه العباس فترك السقايه فصارت للعباس
ثم لولده عبد الله ابن عباس واستمرت كذلك في بني العباس الى زمن السفاح ثم ترك بنو
العباس ذلك **والرفاده** طعام الحاج ايام الموسم حتى يتفرقوا فان قريشا كانت على
زمن قصي تخرج مالا من اموالها في كل موسم فتدفعه الى قصي فيصنع به طعاما
للحجاج ياكله من لم يكن معه سعة ولا زاد كما تقدم حتى قام بها ولده عبد مناف ثم
بعد عبد مناف ولده هاشم ثم بعد هاشم ولده عبد المطلب ثم ولده ابو طالب وقيل
ولده العباس ثم استمر ذلك الى زمنه صلى الله عليه وسلم وزمن الخلفا بعده ثم استمر

ذلك في الخلفا الى ان انقرضت الخلافه من بغداد ثم من مصر **واما القيادة**
وهي امارة الركب فقام بها عبد شمس لابنه امية ثم لابنه حرب
ثم لابنه ابي سفيان فكان يقود الناس في غزواتهم قاد الناس يوم احد ويوم الا حزاب
ومن ثم لما قال الوليد ابن عبد الملك ~~لخالد~~ لخالد ابن يزيد ابن معاوية لست في العير
ولا في النفير قال له ويحك العير والنفير عيبتي **اي** وعاي لان العيبة ما يجعل فيه
الثياب جدي ابو سفيان صاحب العير وجدي عتبة ابن ربيعة صاحب النفير
واما دار الندوه فكانت قريش تجتمع فيها للمشاورة في امورها ولا يدخلها الا من
بلغ الاربعين وكانت الجارية اذا حاضت تدخل دار الندوه ثم يشق عليها بعض ولد عبد
الدار درعها ثم يدرعها اياه وانقلب بها فتحجب وهذه كانت سنة قصي فكان لا ينكح
رجل امراة من قريش الا في دار قصي التي هي دار الندوه ولا يعقد لواء حرب الا فيها
ولا تدرع جارية من قريش الا في تلك الدار فيشق عنها درعها ويدرعها بعض ولده فكانت
قريش بعد موت قصي يتبعون ما كان عليه في حياته كالدين المتبع فلا زالت هذه
الدار في يد بني عبد الدار الى ان صارت الى حكيم ابن حزام فباعها في الاسلام بماية
الف درهم فلامه عبد الله ابن الزبير رضي الله عنهما وقال ابتبيع مكرمة ابائك
وشرفهم فقال حكيم رضي الله عنه ذهبت المكارم الا التقوى والله لقد اشتريتها في
الجاهلية بزق خمر وقد بعتها بماية الف واشهدكم ان ثمنها في سبيل الله فاينا المغبون
قيل وقصي هو جامع قريش فلا يقال لاحد من اولاد من فوقه قرشي ونسب هذا
القول لبعض الرافضه وهو قول باطل لانه يتوصل به الى ان لا يكون سيدنا ابو بكر
الصديق وسيدنا عمر من قريش فلا حق لهما في الامامة العظمى التي هي الخلافه لقوله
صلى الله عليه وسلم الايمة من قريش ولقوله صلى الله عليه وسلم لقريش انتم اولى
الناس بهذا الامر ما كنتم على الحق الا ان تعدلوا عنه لانهما يلتقيان مع النبي صلى الله
عليه وسلم فيما بعد قصي لان ابا بكر رضي الله عنه يجتمع معه في مرة كما سياتي لان بين
ابوه مره وبين ابي بكر رضي الله عنه خمسة وعمر رضي الله تعالى عنه يجتمع معه صلى الله عليه وسلم
في كعب كما سياتي وبين عمر رضي الله تعالى عنه وكعب سبعة ابا وقصي **ابن كلاب**
واسمه حكيم وقيل عروه ولقب بكلاب لانه كان يحب الصيد واكثر صيده كان بالكلاب
وهو الجد الثالث لامنة امه صلى الله عليه وسلم ففي كلاب يجتمع نسب ابيه وامه
ابن مرة وهو الجد السادس لابي بكر رضي الله عنه يجتمع معه صلى الله عليه وسلم
في هذا الجد الذي هو مره ايضا **ابن كعب اي** وهو الجد الثامن لعمر رضي الله عنه وكان
كعب يجمع قومه يوم العروبه **اي** يوم الرحمه الذي هو يوم الجمعه ويقال انه اول من
سماه يوم الجمعه لاجتماع قريش فيه اليه لكن في الحديث اهل الجاهليه يسمون يوم
الجمعه يوم العروبه واسمه عند الله يوم الجمعه قال ابن دحيه ولم تسم العروبة الجمعة

الامدخا الاسلام وسياتي في ذلك كلام وكانت قريش تجمع الي كعب ثم يعظهم و
ويذكرهم بمبعث النبي صلى الله عليه وسلم ويعلمهم بانه من ولده ويامرهم باتباعه
فيقول سياتي لحرمكم نبا عظيم وسيخرج منه نبي كريم وينشد ابياتا اخرها ٭
علي غفلة ياتي النبي محمد ٭ فيخبر اخبارا صدوق خبيرها وينشد ايضا ياليتني شاهد
نجوا دعوته ٭ حين العشيرة تبغي الحق خذلانا ٭ وكان بينه وبين مبعثه خمسماية
سنه وستون سنه وفي الامتاع وعشرون سنه لان الحق ان الخمسماية سنه وستين
انما هي بين موت كعب والفيل هو مولده صلى الله عليه وسلم كما ذكره ابو نعيم في دلايل
النبوه وقيل ان كعب اول من قال اما بعد فكان يقول اما بعد فاسمعوا وافهموا
وتعلموا واعلموا ليل داج وفي رواية ليل ساج ونهار ضاح والارض مهاد والسما
بنا والجبال اوتاد والنجوم اعلام والاولون كالاخرين فصلوا ارحامكم واحفظوا
اصهاركم واثمروا اموالكم الدار امامكم والظن غير ما تقولون اي وقيل له كعب لعلوه
وارتفاعه لان كل شي علا وارتفع فهو كعب ومن ثم قيل للكعبة كعبه ولعلوه
وارتفاع شانه ارخوا بموته حتى كان عام الفيل ارخوا به ثم ارخوا بعد عام الفيل
بموت عبد المطلب وكعب ابن لوي اي بالهمزة اكثر من عدمها اي وفي سبب تصغيره
خلاف ابن غالب ابن فهر سماه ابوه فهرا وقيل هو لقبه واسمه قريش والنسابون يكون
لقولهم انما سمي قريشا لانه كان يقرش اي يفتش على خلة حاجة المحتاج فيسدها بماله
وكان بنوه يقرشون اهل الموسم عن حوايجهم فيرفدونهم فسموا بذلك قريشا قال
بعضهم وهو جماع قريش عند الاكثر قال الزبير ابن بكار اجمع النسابون من قريش
وغيرهم علي ان قريشا انما تفرقت عن فهر وفهر هذا هو الجد السادس لابي عبيدة
ابن الجراح ولما جا حسان ابن عبد كلال من اليمن في حمير وغيرهم لاخذ احجار الكعبة
ليبني بها بيتا ويحمل حج الناس اليه ونزل بنخلة خرج فهر اليه فقاتله بعد ان جمع
قبايل العرب فقاتله واسره وانهزمت حمير ومن انضم اليهم واستمر حسان في الاسر
ثلاث سنين ثم افتدى نفسه بمال كثير وخرج فمات بين مكة واليمن فهابت العرب فهرا
وعظموه وعلا امره ومما يوثر عن فهر قوله لولده غالب قليل ما في يديك اغنى لك من كثير
ما اخلق وجهك وان صار اليك وفهر هو ابن مالك قيل له ذلك لانه ملك العرب ابن النضر
اي وعلي ان جماع قريش فهر كما تقدم فمالك واولاده والنضر ولقب به لنضارته وحسنه
وجماله واسمه قيس وهو جماع قريش عند الفقها فلا يقال لاحد من اولاد من فوقه
قرشي ويقال لكل من اولاده الذين هم مالك واولاده قريش فقد سيل رسول الله
صلى الله عليه وسلم من قريش قال من ولد النضر اي وعلي ان جماع قريش فهر كما تقدم
فمالك واولاده والنضر جده واولاده ليسوا من قريش والنضر ابن كنانة قيل له كنانة
لانه لم يزل في كن من قومه وقيل لستره علي قومه وحفظه لاسرارهم وكان شيخا حسنا

عظيم القدر

عظيم القدر تحج اليه العرب لعلمه وفضله وكان يقول قد ان خروج نبي من مكه
يدعى احمد يدعوا الى الله والى البر والاحسان ومكارم الاخلاق فاتبعوه تزدادوا
شرفا وعزا الى عزكم ولا تعتدوا اي لا تكذبوا ما جا به فهو الحق قال ابن دحية
كان كنانه يانف ان ياكل وحده فاذا لم يجد احدا اكل لقمة ورمى لقمة الى صخرة
نصبها بين يديه انفة من ان ياكل وحده ومما يوثر عنه رب صورة تخالف المخبرة قد غرت
بجمالها واختبر قبح فعالها فاحذر الصوره واطلب الخبر وكنانه ابن خزيمة ابن
مدركه ومدركه اسمه عمرو وقيل له مدركه لانه ادرك كل عز وفخر كان في
ابائه وكان فيه نور رسول الله صلى الله عليه وسلم اي ولعل المراد ظهوره فيه
ومدركه ابن الياس بهمزة قطع مكسوره وقيل مفتوحه ايضا وقيل همزة وصل
ونسب للجمهور وقيل سمي بذلك لان اباه مضر كان قد كبر سنه ولم يولد له ولد
فولد له هذا الولد فسماه الياس واعظم امره عند العرب حتى كانت تدعوه بكبير
قومه وسيد عشيرته وكانت لا تقضي امرا دونه وهو اول من اهدى البدن الى
البيت واول من ظفر بمقام ابراهيم لما غرق البيت في زمن نوح عليه السلام كذا في حياة
الحيوان فليتامل وجا في الحديث لا تسبوا الياس فانه كان مؤمنا وقيل انه جماع قريش
اي فلا يقال لاولاد من فوقه قريش وكان الياس يسمع من صلبه تلبية النبي صلى الله عليه وسلم
المعروفه في الحج قيل وكان مثل لقمان الحكيم في قومه وهو اول من مات بعلة السل ولما
مات حزنت عليه زوجته خندف حزنا شديدا لم يظلها سقف بعد موته حتى ماتت
ومن ثم قيل احزن من خندف على الياس ابن مضر قيل وهو جماع قريش فلا يقال
لاولاد من فوق مضر قرشي ففي جماع قريش خمسة اقوال قيل قصي وقيل فهر وقيل
النضر وقيل الياس وقيل مضر ويقال له مضر الحمرا قيل لانه لما اقتسم هو واخوه
ربيعه مال والدهما يعني نزار اخذ مضر الذهب فقيل له مضر الحمرا واخذ ربيعه
الخيل ومن ثم قيل له ربيعة الفرس وجا في حديث لا تسبوا ربيعة ولا مضر فانهما
كانا مومنين اي وفي رواية لا تسبوا مضر فانه كان علي ملة ابراهيم وفي حديث
غريب لا تسبوا مضر فانه كان علي دين اسمعيل ومما حفظ عنه من يزرع شرا يحصد
ندامه اقول سياتي في بنيان قريش الكعبه انهم وجدوا فيها كتابا بالسريانيه من
جملتها كتاب فيه من يزرع خيرا يحصد غبطة ومن يزرع شرا يحصد ندامة الى اخر
ما ياتي وعن ابي عبيدة البكري ان قبر مضر بالروحا فيزار الروحا على ليلتين
من المدينه والله اعلم وكان مضر من احسن الناس صوتا وهو اول من حدا
للابل فانه وقع فانكسرت يده فصاح يا يداه يا يداه فجاءت اليه الابل من المرعى فلما
صح وركب حدا وقيل اول من سن الحدا للابل عبد له ضرب مضر يده ضربا وجيعا
فصار يقول يا يداه يا يداه فجاءت اليه الابل من مرعاها اي لان الحدا مما ينشط الابل

لاسيما اذا كان بصوت حسن فانها عند سماعه تمد اعناقها وتصغي الي الحادي وتسرع
في سيرها وتستخف الاحمال الثقيلة فربما قطعت المسافة البعيدة في زمن قصير وربما
اخذت ثلاثة ايام في يوم واحد وفي رواية ذلك حكاية مشهوره وللحلّ ما ذكر
ذكر ايمتنا انه مستحب وفي الاذكار للنووي باب استحباب الحدا للسرعة في السير وتنشيط
النفوس وترويحها وتسهيل السير عليها وفيه احاديث كثيره مشهوره ومضر ابن
نزار بكسر النون كان يري نور النبي صلى الله عليه وسلم بين عينيه وهو اول من
كتب الكتاب العربي على الصحيح والامام احمد ابن حنبل رضي الله عنه يجتمع مع صلى
الله عليه وسلم في هذا الجد الذي هو نزار ابن معد ابن عدنان هذا هو النسب
المجمع عليه في نسبه صلى الله عليه وسلم عند العلما بالانساب ومنهم كما قال فقهاونا
شرط الامام الاعظم ان يكون قرشيا فان لم يوجد قرشي جامع للشروط التي ذكروها
فكناني قال بعضهم وقياس ذلك ان يقال فان لم يوجد كناني فخزيمي فان لم يوجد
خزيمي فمدركي فان لم يوجد مدركي فياسي فان لم يوجد ياسي فمضري فان لم
يوجد مضري فنزاري فان لم يوجد نزاري فمعدي فان لم يوجد معدي فعدناني
فان لم يوجد عدناني فمن ولد اسمعيل لانه من فوق عدنان لا يصح فيه شي ولا
يمكن حفظ النسب فيه منه الى اسمعيل وقيل له معد لانه كان صاحب حروب
وغارات على بني اسرائيل ولم يحارب احدا الا رجع بالنصر والظفر قال بعضهم ولا
يخرج عربي في الانساب عن عدنان وقحطان قيل وولد عدنان يقال لهم قيس وولد
قحطان يقال لهم يمن ولما سلط الله بخت نصر على العرب امر الله ارميا ان يحمل معه
معد ابن عدنان على البراق كيلا تصيبه النقمه وقال فاني ساخرج من صلبه نبيا كريما
اختم به الرسل ففعل ارميا ذلك واحتمله معه الى ارض الشام فنشا مع بني اسرائيل
ثم عاد بعد ان هدات الفتنه اي بموت بخت نصر وكان عدنان في زمن عيسى عليه السلام
وقيل في زمن موسى عليه السلام قال الحافظ ابن حجر وهو اولى اي ومما يضعف
الاول ما في الطبراني عن ابي امامة الباهلي رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى
الله عليه وسلم يقول لما بلغ ولد معد ابن عدنان اربعين رجلا وقعوا في عسكر
موسى عليه الصلاة والسلام فانتهبوه فدعا عليهم موسى عليه الصلاة والسلام
فاوحى الله اليه لا تدع عليهم فان منهم النبي الامي النذير البشير اذ يبعد بقا معد
الى زمن عيسى عليه السلام ومعلوم ان لا اختلاف في ان عدنان من ولد اسمعيل نبي الله
اي ارسله الله تعالى الى جرهم والى العماليق والى قبايل اليمن في زمن ابيه ابرهيم
وكذا بعث اخوه اسحق الى الشام وبعث ولده يعقوب الى الكنعانيين في حياة ابرهيم
فكانوا انبيا في عهد ابراهيم عليه الصلاة والسلام وذكر بعضهم ان من العماليق
فرعون موسى عليه السلام ومنهم الريان ابن الوليد فرعون يوسف عليه السلام وكان

السير

الحديث

اسمعيل بكر ابيه

اسمعيل بكر ابيه جاله وقد بلغ ابوه من العمر سبعين سنه وقيل ستا وثمانين
سنه وولد بين الرمله وايليا وكان بين عدنان واسمعيل اربعون ابا وقيل سبعه
وثلاثون وفي النهر لابي حيان رحمه الله ان ابراهيم هو الجد الحادي والثلاثون
لنبينا صلى الله عليه وسلم هذا كلامه ولا يخفى ان اسمعيل اول من سمي بهذا الاسم
من بني ادم ومعناه بالعبرانيه مطيع الله واول من ذكر بالعربيه اي المبينة
الفصيحه والا فقد تعلم اصل العربيه من جرهم ثم الهمه الله تعالى العربيه المبينه
الفصيحه فنطق بها وفي الحديث اول من فتق لسانه بالعربية المبينه اسمعيل
وهو ابن اربع عشر سنه وفي كلام بعضهم لما اخرج ابراهيم بهاجر وولدها اسمعيل
الى مكه على البراق واحتمل معه قربة ما ومزودا فيه تمر فلما انزلهما بها وولى
تبعته هاجر وهي تقول الله امرك ان تدعني انا وهذا الصبي في هذا المحل او
الذي ليس فيه انيس قال نعم قالت اذا لا يضيعنا ولا زالت تاكل من التمر وتشرب
من الما الى ان نفد الما الحديث وكان انزاله لهما موضع الحجر وذلك لمضي ماية سنه
من عمر ابراهيم وكون اسمعيل اول من تكلم بالعربيه لا ينافيه اول من تكلم
بالعربيه يعرب ابن قحطان وقحطان اول من قيل له ابيت اللعن واول من قيل
له انعم صباحا ويعرب هذا قيل له ايمن لان هود نبي الله عليه السلام قال له
انت ايمن ولدي وسمي اليمن يمنا بتيمنه فيه وهو اول من قال العريض والرجز
وقيل سمي اليمن يمنا لانه على يمين الكعبه وقيل ان اول من كتب الكتاب العربي
اسمعيل والصحيح ان اول من كتب ذلك نزار ابن معد كما تقدم وكذا في كون
ابرهيم اسمعيل اول من تكلم بالعربيه لا ينافي ما قيل اول من تكلم بالعربيه ادم في الجنه
فلما اهبط الى الارض تكلم بالسريانية قيل وسميت سريانيه لان الله تعالى علمها
ادم سرا من الملايكه وانطقه بها قيل واول من كتب الكتاب العربي والفارسي
والسرياني والعبراني وغيرها من بقية الاثني عشر كتابا وهي الحميري واليوناني
والرومي والقبطي والبربري والاندلسي والهندي والصيني ادم عليه السلام
كتبها في طين وطبخه فلما اصاب الارض الغرق وجد كل قوم كتابا فكتبوه فاصاب
اسمعيل الكتاب العربي اي واما ما جا اول من خط بالقلم ادريس فالمراد به
خط الرمل وفي كلام بعضهم اول من تكلم بالعربية المحضه وهي عربية قريش
التي نزل بها القران اسمعيل واما عربية قحطان وحمير فكانت قبل اسمعيل
ويقال لمن تكلم بلغة هولا العرب العاربه ويقال لمن تكلم بلغة اسمعيل العرب
المستعربه وهي لغة الحجاز وما والاها وجا من احسن ان يتكلم بالعربيه فلا
يتكلم بالفارسيه فانه يورث النفاق وقد ذكر بعضهم ان اهل الكهف يكلمهم
الاعجام ولا يتكلمون الا بالعربيه وانهم يكونون وزرا المهدي واشتهر على السنة

فصل ذكر اول من تكلم بالعربيه

الجعاء

حش

فصل ذكر النهي عن التكلم بغير العربيه

الناس انه صلي الله عليه وسلم قال انا افصح من نطق بالضاد وقال جمع لا اصل له
ومعناه صحيح لان المعنى انا افصح العرب لكونهم هم الذين ينطقون بالضاد ولا
توجد في غير لغتهم واسمعيل عليه السلام اول من ركب الخيل وكانت وحوشا
اي ومن ثم قيل لها العراب ولما سياتي وقد قال صلى الله عليه وسلم اركبوا الخيل
فانها ميراث ابيكم اسمعيل عليه السلام وفي رواية اوحى الله تعالى الى اسمعيل
ان اخرج الى اجياد الموضع المعروف سمي بذلك لانه قتل فيه ماية رجل من العمالقة
من اجياد الرجال فادع ياتيك الكنز فخرج الى اجياد فالهمه الله تعالى دعا فدعا
به فلم يبق على وجه الارض فرس بارض العرب الا جاته وامكنته من نواصيها
وذللها الله تعالى له فاركبوها واعلفوها فانها ميامين وهي ميراث ابيكم اسمعيل
وذكر الحافظ السيوطي رحمه الله ان له كتابا في الخيل سماه جر الذيل في علم الخيل
وفي العرايس ان الله تعالى لما اراد ان يخلق الخيل قال لريح الجنوب اني خالق منك
خلقا فاجعله عزا لاوليائي ومذلة على اعدائي وجمالا لاهل طاعتي فقالت افعل
ما شئت فقبض قبضة فخلق فرسا فقال لها خلقتك عربيا وجعلت الخير معقودا
بناصيتك والغنايم مجموعة على ظهرك وعطفت عليك صاحبك وجعلتك تطيري
بلا جناح فانت للطلب وانت للهرب وعن وهب انه قيل لسليمان صلوات الله وسلامه
عليه ان خيلا بلقا لها اجنحة تطير بها وترد ماء كذا فقال الشياطين علي بها فصبوا
في العين التي ترده خمرا فشربت فسكرت فربطوها وساسوها حتى تانست قيل
ويجوز ان يكون من تلك الخيل الفرس الذي قال فيه صلى الله عليه وسلم اتيت
بمقاليد الدنيا على فرس ابلق جاءني به جبريل وجا ان الله تعالى لما عرض على ادم
عليه السلام كل شي مما خلق قال له اختر من خلقي ما شئت فاختار الفرس فقيل
له اخترت عزك وعز ولدك خالدا ما خلدوا وباقيا ما بقوا ابد الابدين ودهر
الداهرين وهو صريح في ان الخيل خلقت قبل ادم وقد سئل الامام السبكي هل خلقت
الخيل قبل ادم او بعده وهل خلقت الذكور قبل الاناث او الاناث قبل الذكور
فاجاب انا نختار ان خلق الخيل قبل ادم عليه السلام لان الدواب خلقت يوم الخميس
وادم يوم الجمعة بعد العصر وان الذكور خلقت قبل الاناث لامرين احدهما ان خلق
الذكر اشرف من الانثى والثاني حرارة الذكر اقوى من الانثى ولذلك كان خلق ادم
عليه السلام قبل خلق حوى فليتامل وقد ذكر الامام السهيلي ان في الفرس
عشرين عضوا كل عضو منها يسمى باسم طاير ذكرها وبينها الاصمعي فمنها النسر
والنعام والقطاة والذباب والعصفور والغراب والصرد والصقر قالوا وفي الحيوان
اعضا بارده يابسة كالعظام نظير السودا واعضا بارده رطبة كالدماغ نظير البلغم
واعضا حاره يابسة كالقلب نظير الصفرا واعضا حاره رطبة كالكبد نظير الدم وعن

انس

وعن انس ان النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن شي احب اليه بعد النسا من الخيل
وما من ليلة الا والفرس يدعو في عواقبها ويقول رب انك سخرتني لابن ادم وجعلت
رزقي في يده اللهم فاجعلني احب اليه من اهله وولده وقيل لبعض الحكما اي المال
اشرف قال فرس يتبعها فرس في بطنها فرس ومن ثم قيل ظهر الخيل حرز وبطونها كنز
وفي الحديث لما اراد ذو القرنين ان يسلك في الظلم الى عين الحياة
سال اي الدواب في الليل ابصر فقالوا الخيل فقال اي الخيل فقالوا الاناث قال
فاي الاناث ابصر قالوا البكارة فجمع من عسكره ستة الاف فرس لذلك واعطى
الله اسمعيل عليه السلام القوس العربيه وكان لا يرمي شيئا الا اصابه وفي الحديث
ارموا بني اسمعيل فان اباكم كان راميا اي قال ذلك لجماعة مر عليهم وهم ينتضلون
فقال حسن هذا اللهو مرتين او ثلاثا وفي بعض الروايات ارموا وانا مع بني فلان — زاد م
فامسك الفريق الاخر فقال لهم ما بالكم لا ترمون فقالوا يا رسول الله كيف نرمي وانت
معهم اذا ينتضلونا قال ارموا وانا معكم كلكم اخرجه البخاري في صحيحه زاد البيهقي
في دلايل النبوه فرموا عامة يومهم ثم تفرقوا ما نضل بعضهم بعضا وورد احب — على السواء
اللهو الى الله اجرا الخيل واللهو ارموا واركبوا وان ترموا احب الي من ان تركبوا وجا ليس
اللهو الى الله اجرا الخيل والرمي وجا كل شي يلهو به الرجل باطل الا رمي الرجل بقوسه — والرمي
او تاديبه فرسه او ملاعبته امراته فانهن من الحق وجا علموا اولادكم السباحة والرمي
وفي رواية الرمايه وفي روايه علموا بنيكم الرمي فانه نكاية العدو وورد تعلموا
الرمي فان ما بين الهدفين روضة من رياض الجنة وجا من تعلم الرمي ثم نسيه فليس منا
وفي رواية فهو نعمة جحدها قال الحافظ السيوطي والاحاديث المتعلقة بالرمي كثيرة
قال وقد الفت كتابا في الرمي وسميته غرس الانشاب في الرمي بالنشاب وفي العرايس
وكان اسمعيل مولعا بالصيد مخصوصا بالقنص والفروسية والرمي والصراع والرمي
سنة اذا نوى به التاهب للجهاد ولقوله تعالى واعدوا لهم ما استطعتم من قوة
ولقوله صلى الله عليه وسلم القوة الرمي على حد قوله الحج عرفة والا فقد قال
ابن عباس رضي الله عنهما في الاية واعدوا لهم ما استطعتم من قوة قال الرمي
والسيوف والسلاح وسيل الحافظ السيوطي هل ما ذكره الطبري رحمه الله تعالى
والمسعودي رحمه الله في تاريخيهما ان اول من رمى بالقوس العربية ادم عليه
السلام وذلك لما امره الله تعالى بالزراعة حين اهبط من الجنة وزرع ارسل الله
تعالى له طايرين يخرجان ما تبذره وياكلانه فتشكى الى الله تعالى في ذلك فهبط
عليه جبريل ومعه قوس ووتر وسهمان فقال عليه السلام ما هذا يا جبريل
فاعطاه القوس وقال هذا قوة الله واعطاه الوتر وقال هذه شدة الله واعطاه
السهمين وقال هذا نكات الله وعلمه الرمي بهما فرمى الطايرين فقتلهما وجعلهما

يعني السهمين عنه في غربته وامنا عند وحشته وصارت القوس الهرسة الى ابراهيم
الخليل ثم الى اسمعيل عليهما الصلاة والسلام وهو يدل على ان قوس ابراهيم هو
القوس التى اهبطت على ادم من الجنة وانه ادخرها لابراهيم وهو خلاف قول
بعضهم انها غيرها اهبطت الى ابراهيم من الجنة فاجاب الحافظ السيوطي بقوله
راجعت تاريخ الطبري في تاريخ ادم وابراهيم عليهما الصلاة والسلام فلم اجد فيه
ولم نتعد صحته فان الله تعالى علم ادم كل الاشياء وذكر ابن ابى الدنيا في كتاب الرمي
من طريق الضحاك ابن مزاحم عن ابن عباس رضى الله عنهما قال اول من عمل القسي
ابراهيم عمل لاسمعيل ولاسحاق قوسين فكانا يرميان وتقدم ان اسحاق جا بشارة
لابراهيم بعد اسمعيل بثلاثة عشر سنة وقيل باربعة عشر سنة اي حملت به امه في
الليلة التى خسف الله بقوم لوط فيها ولها من العمر تسعون سنه وفي جامع ابن شداد
برفعه كان اللواط في قوم لوط في النسا قبل الرجال باربعين سنه ثم استغنى النسا بالنسا
والرجال بالرجال فخسف الله بهم قيل ولا يعمل عمل قوم لوط من الحيوان الا الحمار
والخنزير وكان اول من اتخذ القسي الفارسيه نمرود فليتامل الجمع وقد يقال لامنافاة
لجواز ان يكون ابراهيم اول من عمل القسي بعد ذهاب تلك القوس فالاولية اضافية
ومعلوم ان اسمعيل ابن ابراهيم خليل الله عليهما الصلاة والسلام اي ولم يبعث بشريعة
مستقلة بعد اسمعيل الا محمد صلى الله عليه وسلم واما خالد ابن سنان وان كان من ولد
اسمعيل على ما قيل قال بعضهم لم يكن في بني اسمعيل نبي غيره قبل محمد صلى الله عليه
وسلم الا انه لم يبعث بشريعة مستقلة بل بتقرير شريعة عيسى عليه السلام اي وكان
بينه وبين عيسى عليه السلام ثلثمائة سنه وخالد هذا هو الذي اطفا النار التي خرجت
بالبادية بين مكة والمدينة كادت العرب ان تعبدها كالمجوس كان يري ضوها من
مسافة ثلاث ليال وربما كان يخرج منها العنق فيذهب في الارض فلا يجد شيا الا
اكله فامر الله تعالى خالد ابن سنان باطفائها وكانت تخرج من بئر ثم تنتشر فلما خرجت
وانتشرت اخذ خالد ابن سنان يضربها ويقول بدا بدا كل هدا وهي تتاخر حتى
نزلت الى البئر فنزل الى البئر خلفها فوجد كلابا تحتها فضربها وضرب النار حتى
اطفاها ويذكر انه كان هو السبب في خروجها فانه لما دعا قومه وكذبوه وقالوا له
انما تخوفنا بالنار فان تسل علينا هذه الحرة نارا اتبعناك فتوضا ثم قال اللهم
ان قومي كذبوني ولم يومنوا بي الا ان تسيل لهم هذه الحرة نارا فاسلها عليهم نارا
فخرجت فقالوا يا خالد ردها انا مومنون بك فردها قيل وكان خالد ابن سنان
اذا استسقى يدخل راسه في جيبه فيجي المطر ولا ينقلع الا ان رفع راسه قيل وقدمت
ابنته وهي عجوز على النبي صلى الله عليه وسلم فتلقاها بخير واكرمها وبسط لها
رداه وقال لها مرحبا بابنة اخي مرحبا بابنة نبي ضيعه قومه فاسلمت وهذا الحديث

مرسل ورجاله ثقات وفي البخاري انا اولى الناس بابن مريم في الدنيا والاخرة وليس بيني وبينه نبي ثم
قال بعضهم وبه يرد على من قال بينهما خالد ابن سنان وقد يقال مراده صلى الله عليه وسلم
بالنبي الرسول الذي ياتي بشريعة مستقلة وح لا يشكل هذا لما علمت انه لم يات بشريعة
مستقلة ولاما جا في رواية اخرى ليس بيني وبينه نبي ولا رسول ولا ما في كلام البيضاوي
تبعا للكشاف من ان بين عيسى ومحمد صلى الله عليه وسلم اربعة انبيا ثلاثة من بني اسرايل
وواحد من العرب وهو خالد ابن سنان وبعد حنظلة ابن صفوان ارسل الله تعالى الى
اصحاب الرس بعد خالد بمائة سنة لانه يجوز ان يكون كل من هذه الثلاثة لم يبعث بشريعة
شريعة مستقلة بل كان مقررا لشريعة عيسى ايضا كخالد ابن سنان والرس البير الغير
المطوية اى الغير المبنية كذا في الكشاف والذي في القاموس كالصحاح المطوية باسقاط
غير فانهم قتلوا حنظلة ودسوه فيها اي وحين دسوه فيها غار ماوها وعطشوا بعد
ريهم ويبست اشجارهم وانقطعت ثمارهم بعد ان كان ماوها يرويهم ويكفي ارضهم جميعا
وتبدلوا بعد الانس الوحشة وبعد الاجتماع الفرقة لانهم كانوا ممن يعبد الاصنام اي
وقد كان ابتلاهم الله تعالى بطير عظيم ذي عنق طويل كان فيه من كل لون فكان ينقض
على صبيانهم يخطفهم اذا اعوزه الصيد وكان اذا خطف احدا منهم اغرب به الى جهة
المغرب فقيل له لطول عنقه ولذهابه الى جهة المغرب عنقا مغرب فشكوا ذلك الى حنظلة
عليه الصلاة والسلام فدعا على تلك العنقا فارسل الله عليها صاعقة فاهلكتها ولم تعقب
وكان جزاوه منهم ان قتلوه وفعلوا به ما تقدم وذكر بعضهم ان حنظلة هذا كان من
العرب من ولد اسمعيل ايضا ثم رايت ابن كثير ذكر ان حنظلة هذا كان قبل موسى عليه السلام
وانه لما ذكر ان في زمن عمر رضي الله عنه فتحت تستر المدينة المعروفة وجدوا تابوتا وفي
افط سريرا عليه دانيال عليه السلام ووجدوا طول انفه شبرا وقيل ذراعا ووجدوا
عند راسه مصحفا فيه ما يحدث الى يوم القيمة وان من وفاته الى ذلك اليوم ثلثمائة سنة
فقال ان كان تاريخ وفاته القدر المذكور فليس بنبي بل هو رجل صالح لان عيسى ابن
مريم عليه الصلاة والسلام ليس بينه وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم نبي بنص
الحديث في البخاري اقول وقد علمت الجواب عن ذلك من ان المراد بالنبي الرسول وفيه
ان هذا يمنع عطف الرسول على النبي المتقدم في بعض الروايات الا ان يجعل من
عطف التفسير والله اعلم والفترة التي كانت بينهما اربعمائة سنه وقيل ستمائة
وقيل بزيادة عشرين سنة قالت عايشة رضى الله عنها ما وجدنا احدا يعرف ما وراء
عدنان الى قحطان الا تخرص اي لان الخراص الكذاب كذا قيل اقول لعل المراد بالكذب
الغير المقطوع بصحته لان الخرص حقيقة الحزر والتخمين وكل من تكلم كلاما بناه على
ذلك يقال له خراص ثم قيل للكذاب خراص توسعا وحينئذ كان القياس ان يقال الا خرص
اي حزرا وتخمينا وعلى هذا كانت الصديقة رضى الله تعالى عنها ارادت المبالغة

للتنفير عن الخوض في ذلك والله اعلم وعن عمرو ابن العاص رضي الله عنه ان النبي صلي
الله عليه وسلم انتسب حتى بلغ النضر ابن كنانة ثم قال فمن قال غير ذلك اي فمن زاد
على ذلك فقد كذب اقول اطلاق الكذب على من زاد على ذلك كنانة الى عدنان يخالف ما هو
سبق من ان المجمع عليه الى عدنان الا ان يقال لا يخالفه لانه يجوز ان يكون عمرو ابن العاص
لم يسمع ما زاد على النضر ابن كنانة الى عدنان مع ذكره صلى الله عليه وسلم الذي سمعه غيره
وفي اطلاق الكذب على ذلك التاويل السابق واخرج الجلال السيوطي في الجامع الصغير عن
البيهقي انه صلى الله عليه وسلم انتسب فقال انا محمد ابن عبد الله ابن عبد المطلب الى ان
قال ابن مضر ابن نزار وهذا هو الترتيب المالوف وهو الابتدا بالاب ثم الجد ثم بابي الجد وقد
وهكذا م
جاء في القرآن على خلافه في قوله تعالى حكاية عن سيدنا يوسف واتبعت ملة ابائي ابراهيم
واسحق ويعقوب قال بعضهم والحكمة انه لم يرد مجرد ذكر الآبا وانما ذكرهم ليذكر ملتهم الذي
اتبعها فبدا بصاحب الملة ثم بمن اخذها عنه اولا فاولا على الترتيب والله اعلم وعن ابن عباس
رضي الله عنهما ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا انتسب لم يجاوز معد ابن عدنان ابن ادد
ثم يمسك ويقول كذب النسابون مرتين او ثلاثا قال البيهقي والاصح ان ذلك اي قوله كذب
النسابون من قول ابن مسعود رضي الله عنه اي لا من قوله صلى الله عليه وسلم اقول
والدليل على ذلك ما جا كان ابن مسعود رضي الله عنه اذا قرا قوله تعالى الم ياتكم نبا الذين
من قبلكم قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم لا يعلمهم الا الله قال كذب النسابون يعني الذين
نوح م
يدعون علم الانساب ونفى الله علمها عن العباد ولا مانع ان يكون هذا القول صدر منه صلى
الله عليه وسلم اولا ثم تابعه ابن مسعود عليه وقد يقال هذه الرواية تقتضي اما الزيادة على
المجمع عليه واما النقص عنه اي زيادة ادد او نقص عدنان فهي مخالفة لما قبلها وفي كلام بعضهم
ان بين عدنان وادد دادا فيقال عدنان ابن اد ابن ادد وقيل له ادد لانه كان مديد الصوت
وكان طويل العز والشرف قيل هو اول من تعلم الكتابة اي العربية من ولد اسمعيل وتقدم
ان الصحيح ان اول من كتب نزار وانظر هل يشكل على ذلك ما رواه الهيثم ابن عدي ان الناقل
لهذه الكتابة يعني العربية من الحيرة الى الحجاز حرب ابن امية ابن عبد شمس وقد يقال ان
الاولية اضافية اي من قريش وعدنان سمي بذلك لان اعين الانس والجن كانت اليه ناظرة
قبل م
قال بعضهم اختلف الناس فيما بين عدنان واسمعيل من الابا فقيل سبعة وقيل خمسة عشر
وقيل اربعون والله اعلم قال الله عز وجل وقرونا بين ذلك كثيرا اي لا يكاد يحاط بها فقد
جا كان بين ادم ونوح عليهما الصلاة والسلام عشرة قرون وبين نوح وابراهيم عليهما
السلام عشرة قرون وعن ابن عباس رضي الله عنه ان مدة الدنيا اي من ادم عليه السلام
سبعة الاف سنة اي وقد مضى منها قبل وجود النبي صلى الله عليه وسلم خمسة الاف
وسبعمائة سنة واربعون سنة وعن ابي خيثمة وثمانمائة سنة قلت وفي كلام بعضهم من
خلق ادم الى بعثة نبينا خمسة الاف سنة وثمانمائة سنة وثلاثون سنة فقد جاء عن ابن
صلى الله عليه وسلم

عباس

عباس رضي الله عنهما من طرق صحاح انه صلى الله عليه وسلم قال الدنيا سبعة ايام كل يوم الف
سنة وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم في اخر يوم منها وفي كلام الحافظ السيوطي دلت
الاحاديث والاثار على ان مدة هذه الامة تزيد على الف سنة ولا تبلغ الزيادة خمسمائة
سنة اصلا وانما تزيد باربعمائة سنة تقريبا واما اشتهر على السنة الناس ان النبي صلى الله
عليه وسلم لا يمكث في قبره اكثر من الف سنة باطل لا اصل له هذا كلامه وقوله لا تبلغ الزيادة
خمسمائة سنة هل يخالفه ما اخرجه ابو داود لن يعجز الله ان يوخر هذه الامة نصف يوم
يعني خمسمائة سنة وفي كلام بعضهم قد اكثر المنجمون في تقرير مدة الدنيا فقال بعضهم
عمرها سبعة الاف سنة بعدد النجوم السيارة اي وهي سبعة وبعضهم اثنى عشر الف سنة
بعدد البروج وبعضهم ثلثمائة الف سنة وستون الفا بعدد درجات الفلك وكلها
تحكمات عقلية لا دليل عليها وفي كلام الشيخ محي الدين ابن عربي ان الله تعالى خلق المو
جودات
من الجمادات والنباتات والحيوان بعد انتها خلق العالم الطبيعي باحد وسبعين الف سنة
ثم خلق الله الدنيا بعد ان انقضى من مدة خلق العالم الطبيعي اربع وخمسون الف سنة
مطلب
ثم خلق الله تعالى الاخرة يعني الجنة والنار بعد الدنيا بسبعة الاف سنة ولم يجعل الله تعالى
للجنة والنار امدا ينتهي اليه بقاؤهما فلهما الدوام قال وخلق الله تعالى طينة ادم بعد ان
مضى من عمر الدنيا سبعة عشر الف سنة ومن عمر الاخرة التي لا نهاية لها في الدوام ثمانية
الاف سنة وخلق الله تعالى الجان في الارض قبل ادم بستين الف سنة اي ولعل هذا هو
المعنى بقول بعضهم ثم خلق الله تعالى قبل ادم خلقا في صورة البهائم ثم اماتهم قيل
وهم الجن والبن والطم والرم والحس والبس فافسدوا في الارض وسفكوا الدما اي
كما سياتي قال الشيخ محي الدين وقد طفت بالكعبة مع قوم لا اعرفهم فقال لي واحد منهم
اما تعرفني فقلت لا فقال انا من اجدادك الاول فقلت له كم لك منذ مت قال لي بضع
واربعون الف سنة فقلت ليس لادم هذا القدر من السنين فقال لي عن اي ادم تقول
عن هذا الاقرب اليك او عن غيره فتذكرت حديثا روي عن النبي صلى الله عليه وسلم ان
الله تعالى خلق مائة الف ادم فقلت قد يكون ذلك الجد الذي نسبني اليه منهم ولكن
والتاريخ في ذلك مجهول وفي كلام الشيخ عبد الوهاب الشعراني وكان وهب ابن منبه رضي
الله عنه يقول سال بنو اسرائيل المسيح عليه السلام ان يحيي لهم سام ابن نوح فقال لهم
اروني قبره فوقف على قبره وقال يا سام قم باذن الله تعالى فقام واذا راسه ولحيته بيضا
فقال انك مت وشعرك اسود فقال لما سمعت الندا ظننت انها القيامة فشابت راسي ولحيتي
الان فقال له عيسى عليه السلام كم لك من السنين ميت قال خمسة الاف سنة والى الان
لم تذهب عني حرارة طلوع روحي وسبب الاختلاف بين عدنان وادم عليه السلام ان
قدما العرب لم يكونوا اصحاب كتب يرجعون اليها وانما كانوا يرجعون الى حفظ بعضهم من
حفظ بعض ولعله لا يخالف ما تقدم من ان اول من كتب معد او نزار وفي كلام سبط

ابن الجوزي ان سبب الاختلاف المذكور اختلاف اليهود فانهم اختلفوا اختلافا فاتفقنا وتابعناهم
بين ادم ونوح عليهما السلام الاثنتا من السنين قال ابن عباس رضي الله عنهما لو شا رسول وبين م
الله صلى الله عليه وسلم ان نعلمه لعلمناه اي لو اراد ان يعلم ذلك للناس لعلمه لهم وهذا اولى
من نعلمه بفتح اليا وسكون العين وذكر ابن الجوزي رحمه الله ان بين ادم ونوح عليهما السلام
شيث وادريس وبين نوح وابراهيم هود ثم صالح وبين ابراهيم وموسى ابن عمران اسمعيل
واسحق ولوط وهو ابن اخت ابراهيم وكان كاتبا لابراهيم وشعيب وكان يقال له خطيب الانبيا
ويعقوب ويوسف ولد يوسف عليه السلام ليعقوب عليه السلام وله من العمر احد وتسعون
سنة وكان فراقه له وليوسف من العمر ثماني عشرة سنة ~~ولقي اباه بعد الثمانين~~ وبقيا متفرقين
احدى وعشرين سنة وبقيا مجتمعين بعد ذلك سبع عشرة سنة هذا وفي الاتقان القي يوسف
في الجب وهو ابن ثنتي عشرة سنة ولقي اباه بعد الثمانين وعاش مائة وعشرين سنة وكان
كاتبا للعزيز قيل وسبب الفرقة بين سيدنا يعقوب وسيدنا يوسف ان سيدنا يعقوب ذبح عليهما السلام
جديا بين يدي امه فلم يرض الله له ذلك فاراه دما بدم وفرقة بفرقة وحرقة بحرقة وبين
ابن عمران وهو اول انبيا بني اسرائيل وداود يوشع وكان يوشع كهارون يكتب لموسى موسى
ويذكر ان مما اوصى به داود ولده سليمان عليهما لما استخلفه يا بني اياك والهزل فان نفعه
قليل ويهيج العداوة بين الاخوان اي ومن ثم قيل لا تمازح الصبيان فتهون عليهم ولا تمازح السلام
الشريف فيحقد عليك ولا تمازح الدني فيجتري عليك ولكل شي بذر وبذر العداوة المزاح وقد
قيل المزاح يذهب المهابة ويورث الضغينة وقيل اكد اسباب القطيعة المزاح وقد قيل
من كثر مزاحه لم يخل من استخفاف به او حقد عليه واقطع ضحكك من الناس فان ذلك هو الفنا
واياك وما تعتذر به من القول والفعل وعود لسانك الصدق والزم الاحسان ولا تجالس
السفها واذا غضبت فالصق نفسك بالارض اي وقد جا في الحديث اذا جهل على احدكم جاهل
فان كان قايما جلس وان كان جالسا فليضطجع وممن مات من الانبيا فجاة داود وولده
سليمان وابراهيم الخليل ثم بعد يوشع كالب ابن لوقيا وهو خليفة يوشع ثم حزقيل وهو
خليفة كالب ويقال له ابن العجوز لان امه سالت ان يرزقها الله تعالى ولدا بعد ما كبرت
وعقمت فجاءت به وهو ذو الكفل لانه تكفل بسبعين نبيا وانجاهم من القتل والياس ثم
طالوت الملك اي فان شمويل عليه السلام لما حضرته الوفاة سأله بنو اسرائيل ان يقيم فيهم
ملكا فاقام فيهم طالوت ملكا ولم يكن من اعيانهم بل كان راعيا وقيل سقا وقيل غير ذلك
وبين داود وعيسى وهو اخر انبيا بني اسرائيل ايوب ثم يونس ثم شعيب ثم احصيا ثم زكريا
ثم يحيى وفي النهر لابي حيان في تفسير قوله تعالى ولقد اتينا موسى الكتاب ثم قفينا من بعده
بالرسل كان بينه وبين عيسى من الرسل يوشع وشمويل وشمعون وداود وسليمان وشعيا
وارميا وعزير اي وهو من اولاد هرون ابن عمران وحزقيل والياس ويونس وزكريا ويحيى
وكان بين موسى وعيسى الف نبي هذا كلامه وكان يحيى يكتب لعيسى وتقدم الكلام على من بين

عيسى

عيسى ومحمد صلى الله عليه وسلم ومما يدل على شرف هذا النسب وارتفاع شانه وفخامته
وعلو مكانه ما جا عن سعد ابن ابي وقاص رضي الله عنه قال قيل يا رسول الله قتل فلان هـ
لرجل من ثقيف فقال ابعده الله انه كان يبغض قريشا وفي الجامع الصغير قريش صلاح الناس
ولا يصلح الناس الا بهم كما ان الطعام لا يصلح الا بالملح قريش خالصة الله فمن نصب لها حربا
سلب ومن ارادها بسوء خزي في الدنيا والاخرة قال وعن سعد ابن ابي وقاص رضي الله
عنه ايضا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من يرد هوان قريش اهانه الله تعالى هـ
انتهى اي واشد الاهانة ما كان في الاخرة وح اما ان يراد بالارادة العزم والتصميم والمراد
المبالغة او يكون ذلك من خصايص قريش فلا ينافي ان الحكم لله تعالى المطرد في قوله ان لا
يعاقب على مجرد الارادات انما يعاقب ويجازي على الافعال والاقوال الواقعة او ما هو منزل
منزلة الواقعة كالتصميم فان من خصايص هذه الامة عدم مواخذتها بما حدثت به نفسها
وعن ام هاني بنت ابي طالب رضي الله عنها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم فضل قريشا
اي ذكر تفضيلهم بسبع خصال لم يعطها احد قبلهم ولا يعطاها احد بعدهم النبوة فيهم
والخلافة فيهم والحجابة فيهم والسقاية فيهم ونصروا على الفيل اي على اصحابه ونزلت
فيهم سورة من القران لم يذكر فيها احد غيرهم لايلاف قريش وتسميتها لايلاف قريش هو
سورة يرد ما قيل ان سورة الفيل ولايلاف قريش سورة واحدة ولينظر ما معنى عبادتهم
الله دون غيرهم في تلك المدة وعن انس رضي الله عنه حب قريش ايمان وبغضهم كفر وعن
ابي هريرة رضي الله عنه الناس تبع لقريش مسلمهم تبع لمسلمهم وكافرهم تبع لكافرهم وقال
صلى الله عليه وسلم العلم في قريش اي وقال الايمة من قريش وقد جمع الحافظ ابن حجر طرق
هذا الحديث في كتاب سماه لذة العيش في طرق حديث الايمة من قريش وفي الحديث عالم
قريش يملأ طباق الارض علما وفي رواية اللهم اهد قريشا فان عالمها يملأ طباق الارض
علما قال جماعة من الايمة منهم الامام احمد ابن حنبل رضي الله تعالى عنه هذا العالم هو
الشافعي رضي الله تعالى عنه لانه لم ينتشر في طباق الارض من علم عالم قريش من الصحابة
وغيرهم ما انتشر من علم الامام الشافعي رضي الله تعالى عنه وفي كلام بعضهم ليس في
الايمة المتبوعين في الفروع قرشي غيره وفيه ان الامام مالك ابن انس رضي الله عنه من قريش ٢ الامام الجليل
ويجاب بانه انما يكون قرشيا على القول الباطل من ان مجمع قريش قصي وقد ذكر ابن السبكي
انهم ذكروا ان من خواص الشافعي رضي الله تعالى عنه من بين الايمة ان من تعرض اليه
او الى مذهبه بسوء او نقص هلك قريبا واخذوا ذلك من قوله صلى الله عليه وسلم من
اهان قريشا اهانه الله هذا كلامه قال الحافظ العراقي رحمه الله تعالى اسناد هذا هـ
الحديث يعني لا تسبوا قريشا فان عالمها يملأ طباق الارض علما لا يخلو من ضعف وبه يرد على
زعم الصغاني من انه موضوع وحاشا الامام احمد رضي الله عنه ان يحتج بحديث موضوع او
يستانس به على فضل الشافعي رضي الله تعالى عنه قال ابن حجر الهيتمي هو حديث معمول به

في مثل ذلك اي في المناقب ونحوهم وصنعه حسدًا او غلط فاحش اي وعن الربيع رحمه الله
تعالى قال رايت في المنام كان ادم عليه السلام مات فسالت عن ذلك فقيل لي هذا موت
اعلم اهل الارض لان الله تعالى علم ادم الاسما كلها فما كان الا يسيرًا حتى مات الامام
الشافعي رضي الله تعالى عنه ورضي عنا به ومما يوثر عن امامنا الامام الشافعي رضي الله
تعالى عنه من اطراك في وجهك بما ليس فيك فقد شتمك ومن نقل اليك نقل عنك ومن نم عندك
نم بك ومن اذا ارضيته قال فيك ما ليس فيك ومن اذا اسخطته قال فيك ما ليس فيك وقال
صلى الله عليه وسلم قدموا قريشا ولا تقدموها اي لا تتقدموها وفي رواية ولا تعالموها
اي لا تغالبوها في العلم ولا تكاثروها فيه وفي رواية ولا تعلموها اي لا تجعلوها في
المقام الادنى الذي هو مقام المتعلم بالنسبة الى المعلم وقال صلى الله عليه وسلم احبوا
قريشا فانه من احبهم احبه الله وقال صلى الله عليه وسلم لولا ان تبطر قريش لاخبرتها
بالذي لها عند الله عز وجل وفي السنن الماثوره عن امامنا الشافعي رضي الله تعالى عنه
رواية المزني عنه قال الطحاوي حدثنا المزني قال حدثنا الشافعي ان قتادة ابن النعمان
وقع بقريش وكانه نال منهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم مهلا يا قتادة لا تشتم
قريشا فانك لعلك ترى منهم رجالا اذا رايتهم لولا ان تطغى قريش لاخبرتها بالذي لها عند
الله تعالى اي لولا انها اذا علمت ما لها عند الله تعالى من الخير المحض لها تركت العمل
بل ربما ارتكبت ما لا يحل اتكالا على ذلك لاعلمتها به لكن في رواية لاخبرتها بما لمحسنها
عند الله من الثواب وهذا دليل على علو منزلتها وارتفاع قدرها عند الله عز وجل
وقال صلى الله عليه وسلم يوما ايها الناس ان قريشا اهل امانة من بغاها العواثر اي
من طلب لها المكايد اكبه الله لمنخريه اي اكبه على وجهه اي قال ذلك ثلاث مرات وعن
سيدنا عمر ايضا رضي الله عنه انه كان بالمسجد فمر عليه سعيد ابن العاص فسلم عليه
فقال له والله يا ابن اخي ما قتلت اباك يوم بدر وما لي ان اكون اعتذر من قتل مشرك فقال
سعيد ابن العاص لو قتلته كنت على الحق وكان على الباطل فعجب عمر رضي الله عنه من قوله
وقال قريش اعظم الناس احلاما واعظم الناس امانة ومن يرد لقريش سوءًا يكبه الله لمنخريه
هذا كلامه والذي قتل العاص والد سعيد علي ابن ابي طالب وقيل سعد ابن ابي وقاص
رضي الله عنه قال قتلت يوم بدر العاص واخذت سيفه ذا الكتيفه وقال صلى الله
عليه وسلم شرار قريش خير شرار الناس وفي رواية خيار قريش خيار الناس وشرار
قريش شرار الناس اي لعله سقط في هذه الرواية الثانيه قبل شرار الثانيه لفظة
خيار لتوافق الرواية قبلها المقتضي لذلك المقام ويحتمل ابقاء ذلك على ظاهره لانهم
ممن نقتدي بهم فكانوا شر الاشرار ويكون هذا هو المراد بوصفهم بانهم خيار شرار
الناس ثم رايت في كتاب السنن الماثوره عن امامنا الشافعي رضي الله عنه رواية المزني
عنه خيار قريش خيار الناس وشرار قريش خيار شرار الناس وفي الحديث قريش ولاة

هذا

هذا الامر فبر الناس تبع لبرهم وفاجرهم تبع لفاجرهم ومن ثم قال الطحاوي قريش اهل
امانة وهكذا قراه علينا المزني اهل امانة بالنون وانما هو اهل امامة اي بالميم
وفي كلام فقهائنا قريش قطب العرب وفيهم الفتوة ومما يدل على شرف هذا النسب ما جا
عن عمرو ابن العاص رضي الله تعالى عنه ان الله اختار العرب على الناس واختارني على
من انا منه من العرب وما جا عن واثلة ابن الاسقع رضي الله عنه قال سمعت رسول
الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الله اصطفى قريشا من كنانه واصطفى من قريش بني
هاشم واصطفاني من بني هاشم اقول وجا بلفظ اصرح عن واثلة رضي الله عنه وهو
ان الله اصطفى من بني ادم ابراهيم عليه السلام واتخذه خليلا واصطفى من ولد ابراهيم
اسمعيل عليهما السلام ثم اصطفى من ولد اسمعيل عليه السلام نزارا ثم اصطفى من ولد
نزار مضر ثم اصطفى من ولد مضر كنانة ثم اصطفى من كنانة قريشا ثم اصطفى من قريش
بني هاشم ثم اصطفى من بني هاشم بني عبد المطلب ثم اصطفاني من بني عبد
المطلب والله اعلم قال وفي رواية ان الله اصطفى من ولد ابراهيم اسمعيل واصطفى من
ولد اسمعيل كنانة واصطفى من بني كنانة قريشا واصطفى من قريش بني هاشم واصطفاني
من بني هاشم وما جا عن جعفر ابن محمد عن ابيه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
اتاني جبريل فقال يا محمد ان الله بعثني فطفت شرق الارض وغربها وسهلها وجبلها فلم
اجد حيا خيرا من مضر ثم امرني فطفت في مضر فلم اجد حيا خيرا من كنانة ثم
امرني فطفت في كنانة فلم اجد حيا خيرا من قريش ثم امرني فطفت في قريش فلم اجد
حيا خيرا من بني هاشم ثم امرني ان اختار من انفسهم اي اختار نفسا من انفسهم فلم
اجد خيرا من نفسك اي وفي وفي الوفا عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى لقد
جاءكم رسول من انفسكم قال ليس من العرب قبيلة الا ولدت النبي صلى الله عليه وسلم
مضرها وربيعها ويمانيها قال وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم ان الله خلق الخلق فاختار من الخلق بني ادم واختار من بني ادم العرب
واختار من العرب مضر واختار من مضر قريشا واختار من قريش بني هاشم واختارني
من بني هاشم فانا خيار من خيار من خيار انتهى وقوله واختار من مضر قريشا يدل على
ان مضر ليس جماع قريش والا لكانت اولاده كلها قريشا وعن ابي هريرة رضي الله تعالى
عنه بسند يرفعه حسنه الحافظ العراقي ان الله خلق الخلق بعث جبريل فقسم الناس
قسمين قسم العرب قسما وقسم العجم قسما فكانت خيرة الله في العرب ثم قسم العرب قسمين
فقسم اليمن قسما وقسم مضر قسما وكانت خيرة الله في مضر وقسم مضر قسمين فكانت
قريش قسما وكانت خيرة الله في قريش ثم اخرجني من خير من انا منه قال بعضهم وما
جا في فضل قريش فهو ثابت في بني هاشم والمطلب لانهم اخص وما ثبت للاعم يثبت
للاخص ولا عكس وفي الشفا عن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

ان الله تعالى قسم الخلق قسمين فجعلني من خيرهم قسما فذلك قوله تعالى اصحاب اليمين
واصحاب الشمال فانا من اصحاب اليمين وانا خير اصحاب اليمين ثم جعل القسمين اثلاثا فجعلني
من خيرها ثلثا فذلك قوله تعالى اصحاب الميمنة واصحاب المشامة والسابقون السابقون
وانا خير السابقين ثم جعل الاثلاث قبايل فجعلني من خيرها قبيلة وذلك قوله تعالى
وجعلناكم شعوبا وقبايل الايه فانا من ولد ادم واكرمهم على الله تعالى ولا فخر وجعل
القبايل بيوتا فجعلني من خيرها بيتا ولا فخر فذلك قوله تعالى انما يريد الله ليذهب عنكم
الرجس اهل البيت هذا كلام الشفا فليتامل والى شرف هذا البيت يشير صاحب الهمزية رحمه
الله تعالى بقوله

وبدا للوجود منك كريم … من كريم اباؤه كرماء
نسب تحسب العلا بحلاه … قلدتها نجومها الجوزاء
حبذا عقد سودد وفخار … انت فيه اليتيمة العصماء

اي ظهر للوجود لهذا العالم منك كريم اي جامع لكل صفة كمال وهذا على حد قولهم لي من
فلان صديق حميم وذلك الكريم الذي ظهر وجد من اب كريم سالم من نقايص الجاهلية
اباؤه الشامل للامهات جميعهم كرما اي سالمون من نقايص الجاهلية اي مما يعد في الاسلام
نقصا من اوصاف الجاهلية وهذا نسب لا اجل منه ولجلالته اذا تاملته تظن بسببها
تحلي به من الكمالات اي معاليها جعلت الجوزا نجومها التي يقال لها نطاق الجوزا قلادة
لتلك المعالي وهذه القلادة الدرة اليتيمة التي لا مشابه لها المحفوظة عن العين لجلالتها
لا يقال شمول الابا للامهات لا يناسب قوله نسب لان النسب الشرعي في الاب خاصة لانا
نقول المراد بالنسب ما يعم اللغوي او يقال سلامة ابايه من النقايص انما هو من حيث
ابويه اي كونه مرتفعا وذلك يستلزم ان تكون امهاته كذلك وسياتي لم يزل انتقل من اصلاب
الطاهرين الى ارحام الطاهرات وسياتي الكلام على ذلك مستوفي وقد قال الماوردي رحمه الله
تعالى في اعلام النبوة اذا اختبرت حال نسبه صلى الله عليه وسلم وعرفت طهارة مولده
علمت انه سلالة اباء كرام ليس فيهم مسترذل بل كلهم سادة قادة وشرف النسب وطهارة
المولد من شروط النبوة هذا كلامه ومن كلام عمه ابي طالب

اذا اجتمعت يوما قريش لمفخر … فعبد مناف سرها وصميمها
وان حصلت انساب عبد منافها … ففي هاشم اشرافها وقديمها
وان فخرت يوما فان محمدا … هو المصطفى من سرها وكريمها

بالرفع عطفا على المصطفى وسر القوم وسطهم فاشرف القوم قومه واشرف القبايل قبيلته
واشرف الافخاذ فخذه وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم من احب العرب فبحبي احبهم ومن ابغض العرب فببغضي ابغضهم وعن سلمان رضي
الله عنه قال قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم يا سلمان لا تبغضني فتفارق دينك
قلت يا رسول الله كيف ابغضك وبك هداني الله قال لا تبغض العرب فتبغضني وعن

علي

وعن علي كرم الله وجهه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يبغض العرب
الا منافق وفي الترمذي عن عثمان ابن عفان رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال من غش العرب لم يدخل في شفاعتي ولم تنله مودتي قال الترمذي هذا
حديث غريب وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الا من احب العرب فبحبي احبهم
ومن ابغض العرب فببغضي ابغضهم وقال صلى الله عليه وسلم احبوا العرب لثلاث لاني
عربي والقرآن عربي وكلام اهل الجنة عربي وقال صلى الله عليه وسلم ان لوا الحمد يوم
القيمة بيدي وان اقرب الخلق من لوايي يومئذ العرب وقال صلى الله عليه وسلم اذا ذلت
العرب ذل الاسلام وفي كلام فقهائنا العرب اولى الامم لانهم المخاطبون اولا والدين
عربي وعن ابن عباس رضي الله عنهما خير العرب مضر وخير مضر عبد مناف وخير بني
عبد مناف بنو هاشم وخير بني هاشم بنو عبد المطلب اقول وفي لفظ اخر عن ابن عباس
رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله حين خلقني جعلني من خير
خلقه ثم حين خلق القبايل جعلني من خيرهم قبيلة وحين خلق الانفس جعلني من خير انفسهم
ثم حين خلق البيوت جعلني من خير بيوتهم فانا خيرهم بيتا وانا خيرهم نسبا وفي لفظ اخر
عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله قسم الخلق قسمين فجعلني في خيرهم
قسما ثم جعل القسمين اثلاثا فجعلني في خيرها ثلثا ثم جعل الثلث قبايل فجعلني في خيرها
قبيلة ثم جعل القبايل بيوتا فجعلني في خيرها بيتا وتقدم عن الشفا مثل ذلك مع زيادة
الاستدلال بالايات وتقدم الامر بالتامل في ذلك والله اعلم وفيه انه ورد النهي
في الاحاديث الكثيرة عن الانتساب الى الابا في الجاهلية على سبيل الافتخار من ذلك لا تفتخروا
باباءكم الذين ماتوا في الجاهلية فوالذي نفسي بيده ما يدحرج الجعل بانفه خير من اباءكم
الذين ماتوا في الجاهلية اي والذي يدحرج الجعل وهو المنتن وجا في الحديث ليدعن
الناس فخرهم في الجاهلية او ليكونن ابغض الى الله من الخنافس وجا افة الحسب الفخر
اي ما هذا الشرف بالابا التعاظم بذلك واجاب الامام الحليمي بانه صلى الله عليه وسلم
لم يرد بذلك الفخر اي ومن ثم جا في بعض الروايات قوله ولا فخر انما اراد تعريف منازل
اولئك ومراتبهم اي فهو من التعريف بما يجب اعتقاده وان لزم منه الفخر وهو اشارة
الى نعمة الله تعالى عليه فهو من التحدث بالنعمة وان لزم من ذلك الفخر ايضا وعن
ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى وتقلبك في الساجدين قال من نبي الى نبي حتى
اخرجني نبيا اي وجدت الانبيا في ابايه فنسبا في انه تنقل في صلب ادم ثم في صلب
نوح ثم في صلب ابراهيم بدليل ما ياتي وما ياتي فيه وفي لفظ اخر عنه ما زال النبي صلى
الله عليه وسلم يتقلب في اصلاب الانبياء اي المذكورين ابو وغيرهم حتى ولدته امه
وهكذا كما لا يخفى لا ينافي وقوع من ليس نبيا في ابايه فالمراد وقوع الانبيا صلوات
الله وسلامه عليهم في نسبه عليه الصلاة والسلام كما علمت ضرورة ان اباه كلهم

علي نبينا

ليسوا انبيا لكن قال غيره لا زال نوره صلى الله عليه وسلم ينقل من ساجد الى ساجد
قال ابو حيان واستدل بذلك اي بما ذكر من الاية المذكورة اي المفسرة بما ذكر الرافضة
على ان ابوي النبي صلى الله عليه وسلم كانا مومنين اي لان الساجد لا يكون الا مومنا
فقد عبر عن الايمان بالسجود وسياتي مزيد الكلام في ذلك وهو استدلال ظاهر على ما
ذكر والا فالاية قيل معناها وتصفح احوال المتهجدين من اصحابك لانه لما نسخ فرض
قيام الليل عليه وعليهم بناء على انه كان واجبا عليه وعلى امته وهو الاصح وعن
ابن عباس رضي الله عنهما انه كان واجبا على الانبيا قبله طاف صلى الله عليه وسلم تلك
الليلة على بيوت اصحابه لينظر حالهم اي هل تركوا قيام الليل لكونه نسخ وعوضه بالصلوات
الخمس ليلة المعراج حرصا على كثرة طاعتهم فوجدها كبيوت الزنابير اي لان الله سبحانه
وتعالى افترض عليه صلى الله عليه وسلم اي وعلى امته قيام الليل او نصفه او اقل او اكثر
في اول سورة المزمل ثم نسخ ذلك في اخر السورة بما تيسر اي وكان نزول ذلك بعد سنة
ثم نسخ ذلك بالصلوات الخمس ليلة المعراج كما سياتي وجعل بعضهم ذلك من نسخ الناسخ
فيصير منسوخا لما علمت ان هذه السورة ناسخ لاولها ومنسوخ بفرض الصلوات الخمس
واعترض بان الاخبار دالة على ان قوله تعالى فاقرؤا ما تيسر من القران انما نزل بالمدينة
يدل على ذلك قوله علم ان سيكون منكم مرضى واخرون يضربون في الارض يبتغون من فضل
الله واخرون يقاتلون في سبيل الله لان القتال في سبيل الله انما كان بالمدينة فقوله تعالى
فاقرؤا ما تيسر منه اختيار لا ايجاب وقيل معنى وتقلبك في الساجدين وتقلبك في اركان
الصلاة قائما وقاعدا وراكعا وساجدا في الساجدين المصلين ففي الساجدين حال متعلق بتقلبك
بل ساجد المحذوف لا يقال يعارض جعل الساجدين عبارة عن المومنين ان كان من جملة
اباءه صلى الله عليه وسلم ازر والد ابراهيم الخليل صلى الله على نبينا وعليه وسلم وكان
كافرا لانا نقول اجمع اهل الكتابين على ان ازر كان عمه والعرب تسمي العم ابا كما تسمي الخالة
اما فقد حكي عن يعقوب عليه السلام انه قال الا بائي ابراهيم واسمعيل ومعلوم ان اسمعيل
انما هو عمه ويدل لذلك ان ابا ابراهيم كان اسمه تارخ بالمثناة من فوق والمعجمة كما عليه جمهور
اهل النسب وقيل بالمهملة وعليه اقتصر الحافظ في الفتح لا ازر لكن ادعى بعضهم انه لقب له
لان ازر اسم صنم كان يعبد فصار له اسمان ازر وتارخ كيعقوب واسرائيل قال بعضهم
وقد تساهل من اخذ بظاهر الاية كالقاضي البيضاوي وغيره فقال ان ابا ابراهيم مات على
الكفر وما قيل انه عمه معدول عن الظاهر من غير دليل ويوافقه ما في النهر نقلا عن ابن
عباس رضي الله تعالى عنهما ان ازر كان اسم ابيه ويرد ذلك قول الحافظ السيوطي يستنبط
من قول ابراهيم ربنا اغفر لي ولوالدي وللمومنين يوم يقوم الحساب وكان ذلك بعد موت
عمه بمدة طويلة ان المذكور في القران بالكفر والتبري من الاستغفار له اي في قوله وما
كان استغفار ابراهيم لابيه الا عن موعدة وعدها اياه فلما تبين له انه عدو لله تبرأ منه هو

عمه

عمه لا ابوه الحقيقي قال فالحمد لله على ما الهم اي لا يخفى ان هذا لا يتم الا اذا كان
ابوه الحقيقي حيا بعد التبري ح وان التبري سببه الموت اي موت عمه على الكفر لا الوحي
بانه يموت كافرا فليتامل وح فيكون ابوه الحقيقي هو المعني بقول ابي هريرة رضي الله
تعالى عنه احسن كلمة قالها ابو ابراهيم انه قال لما راى ولده وقد القي في النار على
تلك الحالة اي في روضة خضرا حولها النار لم يحترق منه الا كتافه نعم الرب ربك يا ابرا
وكان سنه حين القي في النار ستة عشر سنة بعد ما سجن ثلاثة عشر سنة وعن
ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال ان قريشا كانت نورا بين يدي الله تعالى قبل
ان يخلق ادم عليه السلام بالفي عام يسبح ذلك النور وتسبح الملايكة بتسبيحه فلما
خلق الله تعالى ادم عليه السلام القي ذلك النور في صلبه قال صلى الله عليه وسلم
فاهبطني الله الى الارض في صلب ادم وجعلني في صلب نوح وقذفني في صلب ابراهيم
ثم لم يزل ينقلني من الاصلاب الكريمة والارحام الطاهرة حتى اخرجني من بين ابوي
لم يلتقيا على سفاح قط اقول قوله صلى الله عليه وسلم فاهبطني ينبغي ان لا يكون معطوفا
على ما قبله من قوله ان قريشا كانت نورا بين يدي الله تعالى الخ فيكون نوره من جملة
نور قريش وانه قد انفرد عن نور قريش واودع في صلب نوح عليه السلام الخ بل هذا
على ما سياتي من قوله كنت نورا بين يدي ربي قبل خلق ادم باربعة عشر الف عام
اللازم ذلك ان يكون نوره سابق على نور قريش ويكون نور قريش من نوره وحكمة
اقتصاره صلى الله عليه وسلم على من ذكر من الانبيا لا يخفى وهي انهم اباء الانبيا عليهم الصلاة
والسلام فمن ذرية نوح هود وصالح ومن ذرية ابراهيم اسمعيل واسحق ويعقوب ويوسف
وشعيب وموسى وهارون بناء على انه شقيق موسى او لابيه فسياتي ان نوره انتقل الى
شيث وتقدم انه صلى الله عليه وسلم من ذرية اسمعيل وعن علي ابن الحسين عن ابيه
عن جده رضي الله عنهم ان النبي صلى الله عليه وسلم قال كنت نورا بين يدي ربي
قبل خلقه ادم باربعة عشر الف عام ورايت في كتاب التشريفات في الخصايص والمعجزات
لم اقف على اسم مولفه عن ابي هريرة رضي الله عنه انه صلى الله عليه وسلم سال
جبريل عليه السلام فقال يا جبريل كم عمرت من السنين فقال يا رسول الله لست اعلم
غير ان في الحجاب الرابع نجم يطلع في كل سبعين الف سنة مرة رايته اثنين وسبعين
الف مرة فقال صلى الله عليه وسلم يا جبريل وعزة ربي انا ذلك الكوكب رواه البخاري
هذا كلامه فلما خلق الله ادم عليه السلام جعل ذلك النور في ظهره اي فهو حالة
كونه نورا سابقا على قريش حالة كونها نورا بل سياتي ما يدل على ان نوره صلى الله
عليه وسلم سابق على سائر المخلوقات بل وتلك المخلوقات خلقت من ذلك النور
وذريته وح يحتاج الى بيان وجه كون ادم خلق من نوره وجعل نوره في ظهر ادم
فقد تقدم في الخبر لما خلق الله ادم جعل ذلك النور في ظهره فكان يلمع في جبينه

فينقلب في سام بن نوح الي اخرما ياتي **ثم انتقل** الي ولده شيث الذي هو وصيه عليه السلام
فكان من جملة ما اوصاه به ان يوصي من انتقل اليه ذلك النور من ولده ان لا يضع ذلك
النور الذي انتقل اليه الا في المطهرات من النساء ولم تزل هذه الوصية معمولا بها في
القرون الماضية الي ان وصل ذلك النور الي عبد المطلب اي وهذا السياق يدل علي ان
ذلك النور كان ظاهرا فيمن ينتقل اليه من ابائه وهو قد يخالف ما تقدم من تخصيص
بعض ابائه بذلك **ولم تلد حوى** ولدا منفردا الا شيث كرامة لهذا النور وقيل مكث في
بطنها حتى نبتت اسنانه وكان ينظر الي وجهه من صفاء بطنها وهو الثالث من ولد
ادم وكانت تلد ذكرا وانثى معا اي فقد قيل انها ولدت لادم اربعين ولدا في عشرين
بطنا وقيل مائة وعشرين ولدا وقيل مائة وثمانين ولدا وقيل خمسمائة وقيل ان ادم
عليه السلام لما مات بكى عليه من ولده وولد ولده اربعون الفا ولم يحفظ من نسل ادم
الا ما كان من صلب شيث دون اخوته اي فانهم لم يعقبوا اصلا فهو ابو البشر **وعن**
جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال قلت يا رسول الله بابي انت وامي اخبرني عن اول
شيء خلقه الله قبل الاشيا قال يا جابر ان الله خلق قبل الاشيا نور نبيك من نوره
الحديث **وفيه** انه اصل لكل موجود والله اعلم **واختلف** الناس في عد طبقات انساب
العرب وترتيبها والذي في الاصل عن الزبير ابن بكار رحمه الله انها ست طبقات فان
اولها شعب ثم قبيلة ثم عمارة بكسر العين المهملة ثم بطن ثم فخذ ثم فصيلة قال وقد نظمها
الزين العراقي رحمه الله في قوله ٭ للعرب العربا طباق عده ٭ فصلها الزبير وهي سته ٭
٭ اعمهن الشعب والقبيله ٭ عمارة بطن فخذ فصيله ٭
اي فالشعب اصل القبايل والقبيلة اصل العمارة والعمارة اصل البطن والبطن اصل
الفخذ والفخذ اصل الفصيلة فيقال مضر شعب رسول الله صلى الله عليه وسلم اي وقيل
شعبه خزيمة وكنانة قبيلته وقريش عمارته وقصي بطنه وهاشم فخذه وبنو العباس
فصيلته **قال** ثم الرهط وزاد بعضهم الذرية والعترة والاسرة ولم يرتب بينها وقد ذكرها
محمد ابن سعد اثنى عشر فقال الجذم ثم الجمهور ثم الشعب ثم القبيلة ثم العمارة ثم البطن ثم
الفخذ ثم العشيرة ثم الفصيلة ثم الرهط ثم الاسرة ثم الذرية وسكت عن العترة
وفي كلام بعضهم الاسباط بطون بني اسرائيل والشعب في لسان العرب الشجر الملتف
الكثيرة الاغصان والاوراق والقبايل بطون العرب والشعوب بطون العجم فليتامل والله اعلم

باب تزويج عبد الله ابي النبي صلى الله عليه وسلم امنة امه وحفر زمزم

وما يتعلق بذلك قيل خرج عبد المطلب ومعه ولده عبد الله كان احسن رجل في قريش خلقا
وخلقا وكان نور النبي صلى الله عليه وسلم بينا في وجهه وفي رواية انه كان احسن
رجل رائي بكسر الرا وضمها ثم همزة مفتوحة منظرا في قريش وفي رواية كان اكمل بني ابيه
واحسنهم واعفهم واحبهم الي قريش وقد هدى الله والده فسماه باحب الاسما الي الله

صلى الله عليه وسلم

ففي الحديث

ففي الحديث احب الاسما الي الله عبد الله وعبد الرحمن وعبد الله وهو الذبيح وذلك لان اباه عبد
المطلب حين امر في النوم بحفر زمزم بئر اسمعيل عليه السلام وكانت جرهم قد دفنتها
اي فانجرهم لما استخفت بامر البيت الحرام وارتكبوا الامور العظام قام فيهم رئيسهم
مضاض بكسر الميم وحكي ضمها ابن عمرو خطيبا ووعظهم فلم يرعووا فلما راي ذلك منهم
عمد الي غزالتين من ذهب كانتا في الكعبة وما وجد فيها من الاموال والسيوف والدروع
على ما سياتي التي كانت تهدي الي الكعبة ودفنها في بئر زمزم وفي مرآة الزمان ان هاتين
الغزالتين اهداهما للكعبة وكذا السيوف ساسان اول ملوك الفرس الثانية ورد بان
الفرس لم يحكموا على البيت ولا حجوه هذا كلامه وفيه ان هذا لا ينافي ذلك فليتامل وكانت
بئر زمزم نضب ماؤها اي ذهب فحفرها مضاض بالليل واعمق الحفر ودفن فيها ذلك اي
ودفن الحجر الاسود ايضا كما قيل وطم البئر واعتزل قومه فسلط الله عليهم خزاعة
فاخرجتهم من الحرم وتفرقوا وهلكوا كما تقدم ثم لا زالت زمزم مطموسة لا يعرف محلها مدة
خزاعة ومدة قصي ومن بعده الي زمن عبد المطلب ورؤياه التي امر فيها بحفرها قيل وتلك
المدة خمسماية سنة اي وكان قصي احتفر بئرا في الدار التي سكنتها ام هاني اخت علي
رضي الله تعالي عنهما وهي اول سقاية احتفرت بمكة **فعن علي** كرم الله وجهه قال قال
عبد المطلب اني لنايم في الحجر في الحجر اذ اتاني ات فقال احفر طيبة فقلت وما طيبة فذهب
وتركني فلما كان الغد رجعت الي موضع مضجعي فنمت فيه فجاءني فقال احفر برة فقلت وما برة
فذهب وتركني فلما كان الغد رجعت الي مضجعي فنمت فيه فجاءني فقال احفر المضنونة فقلت
وما المضنونة فذهب وتركني فلما كان الغد رجعت الي مضجعي فنمت فيه فجاءني فقال احفر زمزم
فقلت وما زمزم فقال لا تنزف ولا تذم تسقي الحجيج الاعظم وهي بين الفرث والدم عند نقرة
الغراب الاعصم عند قرية النمل وقوله لا تنزف اي لا يفرغ ماؤها ولا يلحق قعرها **وفيه**
انه ذكر انه وقع بها عبد حبشي فمات بها وانتفخ فنزحت من اجله ووجدوا قعرها فوجدوا
ماءها يفور من ثلاثة اعين اقواها واكثرها التي من ناحية الحجر الاسود وقوله لا تذم بالذال
المعجمة اي لا توجد قليلة الما من قولهم بئر ذمة اي قليلة الما وقيل وليس المراد انه لا يذمها
احد لان خالد ابن عبد الله القسري امير العراق من جهة الوليد ابن عبد الملك ذمها
وسماها ام جعلان واحتفر بئرا خارج مكة باسم الوليد ابن عبد الملك وجعل يفضلها
على زمزم ويحمل الناس على التبرك بها **وفيه** ان هذا جراة منه على الله تعالي وقلة حيا
منه وهو الذي كان يلعن ويفصح بلعن علي ابن ابي طالب كرم الله وجهه على المنبر
فلا عبرة بذمه **وقيل** لزمزم طيبة لانها للطيبين والطيبات من ولد ابراهيم وقيل لها
برة لانها فاضت للابرار وقيل لها المضنونة لانه ضن بها على غير المومنين فلا يتضلع
بها منافق وقد جاء في رواية يقول الله ضننت بها على الناس الا عليك ولعل المراد لا على
اتباعك فيكون بمعني ما قبله وفي رواية انه قيل لعبد المطلب احفر زمزم ولم يذكر

له علامتها فجا الى قومه وقال لهم اني قد امرت ان احفر زمزم قالوا فهل ذلك اين هي قال
لا قالوا فارجع الى مضجعك الذي رايت فيه ما رايت فان يكن حقا من الله يبين لك وان
يكن من الشيطان فلن يعود اليك فرجع عبد المطلب الى مضجعه فنام فيه فاتاه فقال
احفر زمزم انك ان حفرتها لن تندم وهي ميراث من ابيك الاعظم لا تنزف ابدا ولا تذم
تسقي الحجيج الاعظم فقال عبد المطلب اين هي فقال هي بين الفرث والدم عند قرية النمل
حيث ينقر الغراب الاعصم غدا اي والاعصم قيل الاحمر المنقار والرجلين وقيل ابيض هو
البطن وعلى هذا اقتصر الامام الغزالي حيث قال في قوله صلى الله عليه وسلم مثل المراة
الصالحة في النسا مثل الغراب الاعصم ابيض الجناحين وقيل ابيض احد الرجلين فلما كان
يعني الابيض البطن بنهاية غراب يعني الابيض البطن هذا كلامه وقيل الاعصم ابيض
الجناحين وقيل ابيض احد الرجلين فلما كان الغد ذهب عبد المطلب وولده الحارث ليس
له ولد غيره فوجد قرية النمل ووجد الغراب ينقر عندها بين الفرث والدم اي في محلها
وذلك بين اساف ونايلة الصنمين اللذين تقدم ذكرهما وتقدم ان قريشا كانت تذبح عندهما
ذبايحها التي كانت تتقرب بها وهذا يبعد ما جا في رواية انه لما قام يحفرها راى ما رسم
له من قرية النمل ونقر الغراب ولم ير الفرث والدم فبينما هو كذلك ندت بقرة من ذابحها
فلم يدركها حتى دخلت المسجد فنحرها في الموضع الذي رسم له وقد يقال لا يبعد لانه
يجوز ان يكون الفرث والدم موجودين بالفعل فلا يلزم من كون المحل المذكور محلهما
وجودهما فيه ذلك الوقت فلم يكتف بنقر الغراب في محلهما فارسل الله له تلك البقرة
ليرى الامر عيانا وذكر السهيلي رحمه الله لذكر هذه العلامات الثلاث حكمة لا باس بها
ولعل اساف ونايلة نقلا بعد ذلك الى الصفا والمروة بعد ان نقلهما من جوف الكعبة عمرو
ابن لحي الى المحل المذكور فلا يخالف ما ذكره القاضي البيضاوي ان اسافا كان على الصفا
ونايلة على المروة وكان اهل الجاهلية اذا سعوا مسحوهما اي ومن ثم لما جا الاسلام
وكسرت الاصنام كره المسلمون الطواف اي السعي بينهما وقالوا يا رسول الله هذا كان شعار
في الجاهلية لاجل التمسح بالصنمين فانزل الله تعالى ان الصفا والمروة من شعاير الله الاية
ويقال ان بقرة نحرت بالحزورة بوزن قسورة فانفلتت ودخلت المسجد في موضع زمزم
فوقعت مكانها فاحتمل لحمها فاقبل غراب اعصم فوقع في الفرث فليتامل وقد يقال لا
منافاة لان قوله في الرواية الاولى فندت بقرة من ذابحها اي ممن شرع في ذبحها ولم يتمه
حتى دخلت المسجد فنحرها اي تمم نحرها فقد نحرت بالحزورة بالمسجد او يراد بنحرها بالحزورة ذبحها وبنحرها في المسجد سلخها وتقطيع لحمها فقد راينا الحيوان بعد ذبحه يذهب
الى محل اخر ثم يقع به وعند ذلك جا عبد المطلب بالمعول ليحفر فقامت اليه قريش فقالوا
له والله لا نتركك تحفر بين وثنينا اللذين ننحر عندهما فقال عبد المطلب لولده الحارث ذد
عني اي امنع عني حتى احفر فوالله لامضين لما امرت به فلما راوه غير نازع خلوا بينه
وبين الحفر وكفوا عنه

وبين الحفر وكفوا عنه فلم يحفر الا يسيرا حتى بدا له الطي اي البنا فكبر وقال هو طي
اسمعيل عليه السلام اي بناؤه فعرفت قريش انه اصاب حاجته فقاموا اليه وقالوا
والله يا عبد المطلب انها لبئر ابينا اسمعيل وان لنا فيها حقا فاشركنا معك فقال
ما انا بفاعل ان هذا الامر قد خصصت به دونكم فقالوا انا مخاصموك فقال اجعلوا بيني
وبينكم من شيتم احاكمكم عليه فقالوا كاهنة بني سعد ابن هذيم وكانت باعالي
الشام اي ولعلها التي لما حضرتها الوفاة طلبت شقا وسطيحا وتفلت في فمهما وذكرت
ان سطيحا يخلفها في كهانتها ثم ماتت في يومها ذلك وسطيح ستاتي ترجمته واما شق
فقيل له ذلك لانه كان شق انسان يدا واحدة ورجلا واحدة وعينا واحدة فركب
عبد المطلب ومعه نفر من بني عبد مناف وركب من كل قبيلة نفر وكان اذ ذاك ما بين
الحجاز والشام مفازات لا ما بها فلما كان عبد المطلب ببعض تلك المفاوز فني ماؤه
وماء اصحابه فظميوا ظما شديدا حتى ايقنوا في الهلك فاستقوا من معهم من قبايل
قريش فابوا عليهم وقالوا نخشى على انفسنا مثل ما اصابكم فقال عبد المطلب لاصحابه
ما ترون فقالوا ما راينا الا تبع لرايك قال اني ارى ان يحفر كل احد منكم حفيرة يكون
فيها الى ان يموت فكلما مات رجل دفنه اصحابه في حفرته ثم واروه حتى يكون اخرهم
رجلا واحدا فضيعة رجل واحد اي تركه بلا مواراة ايسر من ضيعة ركب جميعا فقالوا
نعم ما اشرت به فحفر كل منهم حفيرة لنفسه ثم قعدوا ينتظرون الموت ثم قال عبد المطلب
لاصحابه والله ان القانا هكذا بايدينا الى الموت لعجز فلنضرب في الارض فعسى الله
ان يرزقنا فانطلقوا كل ذلك وقومهم ينظرون اليهم ما هم فاعلون فتقدم عبد
المطلب الى راحلته فركبها فلما انبعثت انفجرت من تحت خفها عين ماء عذب فكبر
عبد المطلب وكبر اصحابه ثم نزل فشرب وشرب اصحابه وملوا اسقيتهم ثم دعا هو
القبايل فقال هلموا الى الماء فقد سقانا الله فاشربوا واستقوا فجاوا فشربوا
واستقوا ثم قالوا لعبد المطلب قد والله قضى الله لك علينا يا عبد المطلب والله لا
نخاصمك في زمزم ابدا ان الذي سقاك الما بهذه الفلاة فهو الذي سقاك زمزم
فارجع الى سقايتك راشدا فرجع ورجعوا معه ولم يصلوا الى الكاهنة فلما
جا واخذ في الحفر وجد الغزالتين من الذهب اللتين دفنتهما جرهم ووجد فيها هو
اسيافا وادراعا فقال له قريش يا عبد المطلب لنا معك في هذا شرك فقال لا ولكن
هلموا الى امر نصف بيني وبينكم والنصف بكسر النون وسكون الصاد المهملة وفتحه
النصفة بفتحات نضرب عليها بالقداح قالوا وكيف نصنع قال اجعل للكعبة
قدحين ولي قدحين ولكم قدحين فمن خرج قدحاه على شي كان له ومن تخلف
قدحاه فلا شي له قالوا انصفت فجعل قدحين اصفرين للكعبة وقدحين اسودين
لعبد المطلب وقدحين ابيضين لقريش ثم اعطوها لصاحب القداح الذي يضرب

فيها م

بها عند هبل اي وجعلوا الغزالتين قسماً والاسياف والادراع قسماً وقام عبد المطلب هو
يدعو ربه بشعر مذكور في الامتاع فضرب صاحب القداح فخرج الاصفران على الغزالتين
وخرج الاسودان على الاسياف والادراع وتخلف قدحا قريش فضرب عبد المطلب الاسياف
باباً للكعبة وضرب في الباب الغزالتين فكان اول ذهب حليت به الكعبة ومن ثم جاء عن
ابن عباس رضي الله تعالى عنهما والله اول من جعل باب الكعبة ذهباً عبد المطلب وفي
شفا الغرام ان عبد المطلب علق الغزالتين في الكعبة فكان اول من علق المعاليق في الكعبة
وسياتي الجمع بين كونهما علقا بالكعبة وبين جعلهما حليا الباب الكعبة وقد كان بالكعبة
بعد ذلك معاليق فان عمر رضي الله عنه لما فتحت مداين كسرى كان مما بعث اليه منها
هلالان فعلقا بالكعبة وعلق بها عبد الملك ابن مروان شمستين وقدحين من قوارير هو
وعلق بها الوليد ابن يزيد سريرا وعلق بها السفاح صفحة خضرا وعلق بها المنصور
القارورة الفرعونية وبعث المامون ياقوتة كانت تعلق كل سنة في الكعبة في زمن الموسم
في سلسلة من ذهب ولما اسلم بعض الملوك في زمنه ارسل اليه بصنمه الذي كان يعبده
وكان من ذهب متوجاً ومكللاً بالجواهر والياقوت الاحمر والاخضر والزبرجد فجعل في
خزانة الكعبة ثم ان الغزالتين سرقتا وابيعتا من قوم تجار قدموا مكة بخمر وغيرها هو
فاشتروا بثمنها خمراً وقد ذكر ان ابا لهب مع جماعة نفدت خمرهم في بعض الايام واقبلت
قافلة من الشام معها خمر فسرقوا غزالة واشتروا بها خمراً فطلبتها قريش وكان اشدهم
طلبا لها عبد الله ابن جدعان فعلموا بهم فقطعوا بعضهم وهرب بعضهم وكان فيمن هرب
ابو لهب هرب الى اخواله من خزاعة فمنعوا عنه قريشا ومن ثم كان يقال لابي لهب سارق
غزال الكعبة وقد قيل ان منافع الخمر المذكورة فيها الهضم كانوا يتغالون فيها اذا جلبوها من
النواحي لكثرة ما يربحون فيها لانه كان المشتري اذا ترك المماكسة في شرايها عدوه فضيلة
له فكانت ارباحهم تتكثر بسبب ذلك وما قيل في منافعها انها تقوي الضعيف وتهضم الطعام ومكرمة
وتعين على الباه وتسلي المحزون وتشجع الجبان وتصفي اللون وتنعش الحرارة الغريزية هو
وتزيد في الهمة والاستقلال فذلك كان قبل تحريمها ثم لما حرمت سلبت جميع هذه المنافع
وصارت ضرراً صرفا فانشا عنها الصداع والرعشة في الدنيا لشاربها وفي الاخرة يسقى عصارة
اهل النار وفي كلام بعضهم من لازم شربها حصل له خلل في جوهر العقل وفساد الدماغ
والبخر في الفم وضعف البصر والعصب وموت الفجاءة ومميتة للقلب ومسخطة للرب ومن ثم
جا انها اي الخمر ليست بدوا ولكن دا وجا اجتنبوا الخمر فانها مفتاح كل شر اي كان مغلقا
وجا الخمر ام الفواحش وفي رواية ام الخبائث وجاء في الخمر لا طيب الله من تطيب بها ولا
شفى الله من استشفى بها وقد قيل لا منافاة بين كون الغزالتين علقتا في الكعبة وسرقتا
او سرقت احداهما وبين كون عبد المطلب جعلهما حلياً للباب لانه يجوز ان يكون عبد المطلب
استخلص الغزالتين او الغزالة من التجار ثم جعلهما حلياً للباب بعد ان كان علقهما وفي الامتاع

بحرار

وكان الناس قبل ظهور زمزم تشرب من ابار حفرت بمكة واول من حفرها قصي كما تقدم
وكان الما العذب بمكة قليلا ولما حفر عبد المطلب زمزم بنى عليها حوضاً وصار هو وولده
يملانه فيكسره قوم من قريش ليلاً حسداً فيصلحه نهاراً حين يصبح فلما اكثروا من
ذلك وجا شخص واغتسل به غضب عبد المطلب غضباً شديداً فاري في المنام ان قل اللهم
اني لا احلها لمغتسل وهي لشارب حل وبل اي حلال مباح ثم كفيتهم فقام عبد المطلب حين
اختلفت قريش في المسجد ونادى بذلك فلم يكن يفسد حوضه احداً او اغتسل الا رمي
في جسده بداء ثم ان عبد المطلب لما قال لولده الحارث ذد عني اي امنع عني حتى احفر
وعلم انه لا قدرة له على ذلك نذر ان رزق عشرة من الولد الذكور يمنعونه ممن يتعالى
عليه لينحرن احدهم عند الكعبة اي وقيل ان سبب ذلك ان عدي ابن نوفل ابن عبد مناف
ابو المطعم قال له يا عبد المطلب تستطيل علينا وانت فذ لا ولد لك اي متفرد بل لك ولد هو
واحد ولا مال لك وما انت الا واحد من قومك فقال له عبد المطلب اتقول هذا وانما كان
نوفل ابوك في حجر هاشم اي لان هاشماً كان خلف على ام نوفل وهو صغير فقال له عدي
وانت ايضا كنت في يثرب عند غير ابيك كنت عند اخوالك من بني النجار حتى ردك عمك
المطلب فقال له عبد المطلب وبالقلة تعيرني فوالله علي النذر لئن اتاني الله عشرة
من الاولاد الذكور لانحرن احدهم عند الكعبة وفي رواية ان اجعل احدهم لله نحيره
وقيل ان عبد المطلب نذر ان يذبح ولدا ان سهل الله حفر زمزم ففي معاوية رضي
الله عنه ان عبد المطلب لما امر بحفر زمزم نذر لله ان سهل الامر بها ان ينحر بعض هو
ولده فلما صاروا عشرة اي وحفر زمزم امر في النوم بالوفاء بنذره اي قيل له قرب احد
اولادك اي بعد ان نسي ذلك وقد قيل له قبل ذلك اوف بنذرك فذبح كبشاً واطعمه هو
الفقرا ثم قيل له في النوم قرب ما هو اكبر فذبح ثورا ثم قيل له في النوم قرب ما هو
اكبر من ذلك فذبح جملا ثم قيل له في النوم قرب ما هو اكبر من ذلك فقال وما اكبر من
ذلك فقيل قرب احد اولادك الذي نذرت ذبحه فضربت القداح على اولاده بعد ان
جمعهم واخبرهم بنذره ودعاهم الى الوفا فاطاعوه ويقال ان اول من اطاعه عبد الله وكتب
اسم كل واحد على قدح ودفعت تلك القداح للسادن والقايم بخدمة هبل وضرب بتلك القداح
فخرجت على عبد الله اي وكان اصغر ولده واحبهم اليه مع ما تقدم من اوصافه فاخذه
عبد المطلب بيده واخذ الشفرة ثم اقبل به على اساف ونايلة والقاه على الارض ووضع
رجله على عنقه فجذب العباس عبد الله من تحت رجل ابيه حتى اثر في وجهه شجاً لم
تزل في وجه عبد الله الى ان مات كذا قيل وفيه ان العباس لما ولد صلى الله عليه وسلم
كان عمره ثلاث سنين ونحوها فعنه رضي الله عنه اذكر مولد رسول الله صلى الله عليه وسلم
وانا ابن ثلاثة اعوام او نحوها فجي به حتى نظرت اليه وجعلت النسوة يقلن لي قبل اخاك هو
فقبلته وقيل منعه اخواله بنو مخزوم وقالوا له والله ما احسنت عشرة امه وقالوا

له ارض من ربك وافد ابنك ففداه بماية ناقة **وفي رواية** واعظمت قريش ذلك اي
وقامت سادة قريش من انديتها ومنعوه من ذلك وقالوا له والله لا تفعل حتى نستفتي
فيه فلانة الكاهنة اي لعلك تعذر فيه الى ربك لئن فعلت هذا لا يزال الرجل ياتي
بابنه حتى يذبحه اي ويكون ذلك سنة ولعل المراد اذا وقع له مثل ما وقع لك من النذر
وقال له بعض عظماء قريش لا تفعل ان كان فداؤه باموالنا فديناه وتلك الكاهنة هي
قيل اسمها قطبة وقيل غير ذلك كانت بخيبر فاتها فاسالها فان امرتك بذبحه ذبحته
وان امرتك بامر لك وله فيه فرج قبلته فاتاها اي مع بعض قومه وفيهم جماعة من اخوال
عبد الله بني مخزوم فسالها وقص عليها القصة فقالت لهم ارجعوا عني اليوم حتى ياتي
تابعي فاساله فرجعوا من عندها ثم غدوا عليها فقالت لهم قد جاءني الخبر كم الدية فيكم
فقالوا عشرة من الابل فقالت تخرج عشرة من الابل وتقرع وكلما وقعت عليه يزاد الابل
حتى تخرج القداح عليها فضرب على عشرة فخرجت عليه فلا زال يزيد عشرة ثم عشرة حتى
بلغت مائة فخرجت القداح عليها فقالت قريش ومن حضر قد انتهى رضى ربك فقال
عبد المطلب لا والله حتى اضرب عليها ثلاث مرات اي ففعل ذلك وذبح الابل عند الكعبة
لا يصد عنها احد اي من ادمي ووحش وطير **قال الزهري** رحمه الله فكان عبد المطلب
اول من سن دية النفس مائة من الابل اي بعد ان كانت في قريش كما تقدم وقيل اول من عشرة م
سن ذلك ابو سيارة العدواني وقيل عامر ابن الظرب فجرت في قريش اي وعلى ذلك هي
فاولية عبد المطلب اضافية ثم فشت في العرب واقرها رسول الله صلى الله عليه وسلم
واول من ودي بالابل من العرب زيد ابن بكر من هوازن قتله اخوه اي واما ما قيل في
القرع بعد المائة خرج على عبد الله ايضا ولا زال يخرج عليه حتى جعلوا الابل ثلثمائة
فخرج على الابل فنحرها عبد المطلب فضعيف جدا **وقد ذكر** الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى
ان ابن عباس رضى الله عنهما سالته امراة انها نذرت ذبح ولدها عند الكعبة فامرها
بنحر مائة من الابل اخذا من هذه القصة ثم سالت عبد الله ابن عمر رضى الله عنهما عن ذلك
فلم يفتها بشئ فبلغ مروان ابن الحكم وكان اميرا على المدينة فامر المراة ان تعمل ما هو
استطاعته من الخير بدل ذبح ولدها وقال ابن عباس وابن عمر لم يصيبا الفتيا ولا يخفى
ان هذا النذر باطل عندنا معاشر الشافعية فلا يلزمها به شئ وعند ابي حنيفة ومحمد هو
يلزمها ذبح شاة في ايام النحر في الحرم اخذا من قصة ابراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام
قال القاضي وليس فيه ما يدل عليه **وفي الكشاف** انه صلى الله عليه وسلم قال انا
ابن الذبيحين اي عبد الله واسمعيل وعن بعضهم قال كنا عند معاوية فتذاكر القوم
الذبيح هل هو اسمعيل او اسحاق فقال معاوية رضى الله تعالى عنه على الخبير سقطتم
كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فاتاه اعرابي اي يشكو جدب ارضه فقال
يارسول الله خلفت البلاد يابسة هلك المال وضاع العيال فعد علي مما افاء الله عليك

يا ابن الذبيحين فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم ينكر عليه فقال القوم من
الذبيحان يا امير المومنين فقال عبد الله واسمعيل **قال الحافظ** السيوطي هذا حديث
غريب وفي اسناده من لا يعرف حاله قال بعضهم لما احب ابراهيم ولده اسمعيل بطبع
البشرية اي لا سيما وهو بكره ووحيده اذ ذاك وقد اجرى الله تعالى العادة البشرية ان بكر
الاولاد احب الى الوالد لو الدا اي وخصوصا اذا كان لا ولد له غيره امره الله تعالى بذبحه
ليخلص سره من حب غيره بابلغ الاسباب الذي هو الذبح للولد فلما امتثل وخلص سره
له ورجع عن عادة الطبع فداه بذبح عظيم لان مقام الخلة يقتضي توحيد المحبوب
بالمحبة فلما خلصت الخلة من شائبة المشاركة لم يبق في الذبح مصلحة فنسخ الامر
وفدي **هذا** وجاء ما يدل على ان الذبيح اسحاق حديث سئل رسول الله صلى الله عليه
وسلم اي النسب اشرف وفي رواية من الكرم فقال يوسف صديق الله ابن يعقوب
اسرائيل الله ابن اسحاق ذبيح الله ابن ابراهيم خليل الله كذا روي **قال بعضهم**
الثابت يوسف ابن يعقوب ابن اسحاق ابن ابراهيم وما زاد على ذلك من الراوي هو
وما ذكر ان يعقوب لما بلغه ان ولده بنيامين اخذ بسبب السرقة كتب الى العزيز وهو
يومئذ ولده يوسف بسم الله الرحمن الرحيم من يعقوب اسرائيل الله ابن اسحاق هو
ذبيح الله ابن ابراهيم خليل الله الى عزيز مصر اما بعد فانا اهل بيت موكل بنا البلاء
اما جدي فربطت يداه ورجلاه ورمي به في النار ليحرق فنجاه الله وجعلت النار عليه بردا
وسلاما واما ابي فوضع السكين على قفاه للذبح ففداه الله واما انا فكان لي ابن وكان احب
اولادي الي فذهب فذهبت عيناي من بكائي عليه ثم كان لي ابن وكان اخاه من امه وكنت
اتسلى به وانك حبسته وانا اهل بيت لا نسرق ولا نلد سارقا فان رددته علي والا دعوت
عليك بدعوة تدرك السابع من ولدك والسلام لم يثبت ففي كلام القاضي البيضاوي وما روي
ان يعقوب كتب ليوسف ابن يعقوب ابن اسحاق ذبيح الله لم يثبت اي ولعله لم يثبت ايضا
ما في انس الجليل ان موسى لما اراد مفارقة شعيب عليهما السلام وذهابه الى وطنه بمملكة
فرعون بسط شعيب يديه وقال يارب ابراهيم الخليل واسمعيل الصفي واسحاق الذبيح ويعقوب
الكظيم ويوسف الصديق رد علي قوتي وبصري فامن موسى عليه السلام على دعائه فرد
الله عليه بصره وقوته **وذكر** ان يعقوب راي ملك الموت في منامه فقال له هل قبضت
روح يوسف فقال لا والله هو حي وعلمه ما يدعو به وهو يا ذا المعروف الدائم الذي لا ينقطع
معروفه ابدا ولا يحصيه غيره فرج عني وذكر ان سبب ذبح اسحاق اي على القول بانه الذبيح
ان الخليل قال لسارة ان جاءني منك ولد فهو لله ذبيح فجاءت سارة باسحاق وكان بينه وبين
ولادة هاجر لاسمعيل ثلاث عشرة او اربعة عشر سنة واسحاق اسمه بالعبرانية الضحاك **وجاء**
في حديث راويه ضعيف ان داود سال ربه فقال اي رب اجعلني مثل ابائي ابراهيم واسحاق
ويعقوب فاوحى الله اليه اني ابتليت ابراهيم فصبر وابتليت اسحاق بالذبح فصبر وابتليت

يعقوب اي نفقد ولده يوسف وقصه الحديث وعن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى
وبشرناه باسحاق نبيا قال بشر به نبيا حين فداه الله تعالى من الذبح ولم تكن البشارة با
لنبوة عند مولده اي لما صبر الاب على ما امر به وسلم الولد لامر الله فحصلت المجازاة على
ذلك باعطاء النبوة قال الحافظ السيوطي وجزم بهذا القول عياض في الشفا والسهيلي في
التعريف والاعلام وكنت ملت اليه في علم التفسير وانا الان متوقف عن ذلك هذا كلامه
وقد نشا كل من اسمعيل واسحاق ويعقوب في حياة ابراهيم عليه السلام فبعث الله اسمعيل
لجرهم واسحاق الي ارض الشام ويعقوب الى ارض كنعان ولا ينافي ذلك اي كون اسحاق
هو الذبيح بتسميته صلى الله عليه وسلم من قول القايل له يا ابن الذبيحين ولم ينكر عليه
لان العرب كما تقدم تسمي العم ابا وفي الهدي اسمعيل هو الذبيح على القول الصواب عند علما
الصحابة والتابعين ومن بعدهم واما القول بانه اسحاق فمردود باكثر من عشرين وجه
ونقل عن الامام ابن تيمية ان هذا القول متلقى من اهل الكتاب مع انه باطل بنص كتابهم
الذي هو التوراة فان فيه ان الله امر ابراهيم ان يذبح ابنه بكره اي وفي لفظ وحيده وقد
حرفوا ذلك في التوراة التي بايديهم اذبح ابنك اسحاق اي ومن ثم ذكر المعافا ابن زكريا
ان عمر ابن عبد العزيز رضي الله عنه سال رجلا اسلم من علماء اليهود اي ابني ابراهيم
امر بذبحه فقال والله يا امير المومنين ان اليهود يعلمون انه اسمعيل عليه السلام ولكن
يحسدونكم معاشر العرب ان يكون اباكم المفضل الذي ذكره الله تعالى فهم يجحدون ذلك
ويزعمون انه اسحاق لان اسحاق ابوهم ولي رسالة في ذلك سميتها القول المليح في تعيين الذبيح
ورجحت فيها القول بان الذبيح اسمعيل جوابا عن سوال رفعه الي بعض الفضلا وعلى ان الذبيح
اسمعيل فمحل الذبح منى وعلى انه اسحاق فمحله معروف بالارض المقدسه على ميلين من بيت
المقدس وفي كلام ابن القيم تاييد لكون الذبيح اسمعيل لا اسحاق لو كان الذبيح بالشام كما
يزعم اهل الكتاب لكانت القرابين والنحر بالشام لا بمكه واستشكل كون اولاد عبد
المطلب عند ارادة ذبح عبد الله كانوا عشرة بان الحمزة ثم العباس انما ولدا بعد ذلك وانما كانوا
عشرة بهما وعليه يشكل قول بعضهم فلما تكامل بنوه عشرة وهم الحارث والزبير وحجل وضرار و
والمقوم وابولهب وحمزة وابوطالب وعبد الله هذا كلامه واجيب عن الاول بجواز ان يكون
له اي عند ارادة الذبح ولدا ولد اي فقد ذكر ان لولده الحارث ولدين ابو سفيان ونوفل
وولد الولد يقال له ولد حقيقة وذكر بعضهم ان اعمامه صلى الله عليه وسلم كانوا اثني عشر
بل قيل ثلاثة عشر وان عبد الله ثالث عشرهم وعليه فلا اشكال ولا يشكل كون حمزة اصغر
من عبد الله والعباس اصغر من حمزة فكلاهما اصغر من عبد الله على ما تقدم من ان عبد الله
كان اصغر بني ابيه وقت الذبح لانه يجوز ان يكون المراد انه كان اصغرهم حين اراد ذبحه
اي لا بقيد كونهم عشرة او بذلك القيد ولا ينافيه كونه ثالث عشرهم لان المراد به واحد
من الثلاثه عشر وكان عبد الله احسن فتى يرى في قريش واجملهم وكان نور النبي صلى

لعله والعباس صح

كما تقدم

الله عليه وسلم

الله عليه وسلم يرى في وجهه كالكوكب الدري اي المضي منسوب الى الدر حتى شغفت
به نساء قريش ولقي منهن عنا ولينظر ما هذا العنا الذي لقيه منهن قيل انه لما تزوج
امنة لم تبق امراة من قريش من بني مخزوم وعبد شمس وعبد مناف الا مرضت اي اسفا
على عدم تزوجها به فخرج مع ابيه ليزوجه امنة بنت وهب ابن عبد مناف ابن زهرة بضم
الزاي واسكان الها واما الزهرة التي هي النجم فبضم الزاي وفتح الها والزهرة في الاصل
هي البياض اي وام وهب اسمها قيلة بنت ابي كبشة اي وكان عمر عبد الله حينئذ ثمانية
عشر سنة ٥ فمر على امراة من بني اسد ابن العزى اي يقال لها قتيلة وقتيلة رقيقه
وهي اخت ورقة ابن نوفل وهي عند الكعبه وكانت تسمع من اخيها ورقة ان كاين
في هذه الامة نبي اي ومن دلايله ان يكون نورا في وجه ابيه وانها الهمت ذلك فقالت
لعبد الله اي وقد رات ذلك النور في غرته ٥ اين تذهب يا عبد الله قال مع ابي قالت
لك مثل الابل التي نحرت عنك وقع علي الان قال انا مع ابي ولا استطيع خلافه ولا
فراقه وانشد :: اما الحرام فالممات دونه :: والحل لا حل فاستبينه ::
فكيف بالامر الذي تبغينه :: يحمي الكريم عرضه ودينه قال ومن شعر عبد الله والد النبي
صلى الله عليه وسلم كما في تذكرة الصلاح الصفدي رحمه الله تعالى ::
لقد حكم البادون في كل بلدة :: بان لنا فضلا على سادة الارض ::
وان ابي ذو المجد والسودد الذي :: يشار به ما بين نشز الى خفض ::
اي ارتفاع وانخفاض وعن ابي يزيد المديني رحمه الله ان عبد المطلب لما خرج بابنه
عبد الله ليزوجه مر به على امراة كاهنة من اهل تبالة بضم التا المثناة فوق بلدة باليمن
قد قرات الكتب يقال لها فاطمة بنت مر الخثعمية فرات نور النبوة في وجه عبد الله فقالت يا فتى
هل لك ان تقع علي الان واعطيك ما تقدم فقال عبد الله ما تقدم انتهى اقول قال
الكلبي كانت اي تلك الكاهنة من اجمل النسا واعفهن فدعته الى نكاحها فابى ولا
منافاه لانه جاز ان يكون ارادته بقولها وقع علي الان اي بعد النكاح وفهم عبد الله
انها تريد الامر من غير سبق نكاح فانشد الشعر المتقدم الدال على طهارته وعفته وهذا
بناء على اتحاد الواقعة وان المراة في هاتين الواقعتين واحدة وانه اختلف في اسمها
وانه مر على تلك المراة في ذهابه مع ابيه ليزوجه امنة ويدل لذلك فاتى المراة التي
عرضت عليه ما عرضت وظاهر سياق المواهب يقتضي انهما قضيتان وان الاولى عند
انصرافه مع ابيه ليزوجه امنة وقوله قد قرات الكتب اي فجاز انها رات في تلك الكتب
ان النبي صلى الله عليه وسلم المنتظر نورا في وجه ابيه وانه يكون من اولاد عبد
المطلب وانها الهمت ذلك فطمعت ان يكون ذلك النبي منها ويويد الثاني ما سياتي عنها
والله اعلم فاتى عبد المطلب عم امنة وهو وهيب ابن عبد مناف ابن زهرة وهو
يومئذ سيد بني زهرة سنا وشرفا وكانت في حجره لموت ابيها وهب ابن عبد مناف

وقيل ابي عبد المطلب الي وهب ابن عبد مناف فزوجه ابنته امنه وتقدم هذا في
الاستيعاب فزوجها لعبد الله وهي يومئذ افضل امراة في قريش نسبا وموضعا فدخل بها
عبد الله حين املك عليها مكانه فوقع عليها فحملت برسول الله صلى الله عليه وسلم
وانتقل ذلك النور اليها قيل وقع عليها يوم الاثنين في شعب ابي طالب عند الجمرة الوسطى
اقول فيه انه سياتي في فتح مكة انه نزل بالحجون بفتح الحا المهمله عند شعب ابي طالب
المكان الذي حصرت فيه بنو هاشم وبنو المطلب ويمكن ان يقال ذلك الشعب الذي
كان في الحجون كان محلا لسكنى ابي طالب في غير ايام منى وهذا الشعب الذي عند الجمرة
الوسطى كان ينزل فيه ابو طالب ايام منى فلا مخالفة والله اعلم ثم اقام عندها ثلاثة
ايام وكانت تلك السنة عندهم اذا دخل الرجل على امراته اي عند اهلها اي فهي و اهلها
كانوا بشعب ابي طالب ثم خرج من عندها فاتى المراة التي عرضت عليه ما عرضت فقال لها
مالك لا تعرضين علي اليوم ما عرضت بالامس فقالت له فارقك النور الذي معك بالامس
فليس لي اليوم بك حاجة قال وفي رواية انه لما مر عليها بعد ان وقع على امنة قال لها
مالك لا تعرضين علي ما عرضت بالامس قالت من انت قال انا فلان قالت له ما انت هو لقد
رايت بين عينيك نورا ما اراه الان ما صنعت بعدي فاخبرها فقالت والله ما انا بصاحبة
ريبة ولكن رايت في وجهك نورا فاردت ان يكون فيّ وابى الله الا ان يجعله حيث اراد
اذهب فاخبرها انها حملت بخير اهل الارض اقول وفي رواية ان المراة التي عرضت
نفسها عليه هي ليلى العدوية وان عبد الله كان في بناء له وعليه الطين والغبار
وانه قال حتى اغسل ما علي وارجع اليك وانه رجع اليها بعد ان وقع على امنه وانتقل
منه النور اليها وقال لها هل لك فيما قلتيه قالت لا قال ولم قالت لقد دخلت بنور ما
خرجت به اي وفي سيرة ابن هشام مررت بي وبين عينيك غرة فدعوتك فابيت ودخلت
على امنة فذهبت بها ولئن كنت اي حين الممت بامنه لتلدن ملكا ولا يخفى ان تعدد الواقع
ممكن وان هذا السياق يدل على ان هذه المراة كان عندها علم بان عبد الله تزوج امنة
وانه يريد الدخول بها وانما علمت انه كاين نبي يكون له الملك والسلطان وغير خاف
ان عرض عبد الله نفسه على المراة لم يكن لريبة بل ليستبين الامر الذي دعاها الى بذل
القدر الكثير من الابل في مقابلة هذا على الشي على خلاف عادة النساء مع الرجال هي
ولا يخالف ذلك بل يؤكده ما في الوفا من قوله ثم تذكر الخثعمية وجمالها وما عرضت عليه
فاقبل اليها الحديث والله اعلم وعن الكلبي انه قال كتبت للنبي صلى الله عليه وسلم هي
خمسماية ام اي من قبل امه وابيه فما وجدت فيهن سفاحا والمراد بالسفاح الزنا
اي فان المراة كانت تسافح الرجل مدة ثم يتزوجها ان اراده ولا شيئا مما كان من امر
الجاهلية اي من نكاح الام اي زوجة الاب لانه كان في الجاهلية يباح اذا مات
الرجل ان يخلفه على زوجته اكبر اولاده من غيرها وفي كلام بعضهم كان اقبح ما

يصنعه

ابيه

يصنعه اهل الجاهلية الجمع بين الاختين وكانوا يعيبون المتزوج بامراة ابيه ويسمونه
الضيزن والضيزن الذي يزاحم اباه في امراته ويقال له نكاح المقت وهو المعقد على الرابه
وهي امراة الاب والراب زوج الام وما قيل ان هذا اي نكاح امراة الاب وقع في نسبه
صلى الله عليه وسلم لان خزيمة احد ابائه صلى الله عليه وسلم لما مات خلف على
زوجته اكبر اولاده وهو كنانه فجا منها بالنضر بن كنانه ساقط غلط لان الذي خلف
عليها كنانه بعد موت ابيه ماتت ولم تلد منه شيا ومنشا الغلط انه تزوج بعدها
بنت اخيها وكان اسمها موافقا لاسمها فجا منها بالنضر وبهذا يعلم ان قول الامام
السهيلي نكاح زوجة الاب كان مباحا في الجاهلية شرع متقدم ولم يكن من الحرمات
التي انتهكوها ولا من العظايم التي ابتدعوها لانه امر كان في عمود نسبه صلى الله عليه
وسلم فكنانه تزوج امراة ابيه خزيمة وهي برة بنت مر فولدت له النضر ابن كنانه وهاشم
ايضا قد تزوج امراة ابيه واقدة فولدت له صفيه لكن هذا خارج من عمود نسب رسول
الله صلى الله عليه وسلم لانها اي واقدة لم تلد جدا له صلى الله عليه وسلم وقد
قال صلى الله عليه وسلم انا من نكاح لا من سفاح ولذلك قال الله تعالى ولا تنكحوا ما
نكح اباوكم من النساء الا ما قد سلف اي الا ما قد سلف من تحليل ذلك قبل الاسلام
وفايدة هذا الاستثنا ان لا يعاب نسب رسول الله صلى الله عليه وسلم وليعلم انه لم
يكن في اجداده من كان من بغية ولا من سفاح الا ترى انه لم يقل في شي نهى عنه في
القران اي مما لم يبح لهم الا ما قد سلف نحو قوله تعالى ولا تقربوا الزنا ولم يقل الا ما قد
سلف ولا تقتلوا النفس التي حرم الله ولم يقل الا ما قد سلف ولا في شي من المعاصي التي
نهى عنها الا في هذه وفي الجمع بين الاختين وقد كان مباحا ايضا في شرع من قبلنا وقد جمع
يعقوب عليه الصلاة والسلام بين راحيل واختها ليا فقوله الا ما قد سلف التفات الى
هذا المعنى هذا كلامه لا التفات اليه ولا يعول عليه على ان قوله ان يعقوب جمع بين الاختين
ينازعه قول القاضي البيضاوي ان يعقوب انما تزوج ليا بعد موت اختها راحيل وفي اسباب
النزول للواحدي رحمه الله تعالى ان في البخاري عن اسباط قال المفسرون كان اهل المدينة
في الجاهلية وفي اول الاسلام اذا مات الرجل وله امراة جا ابنه من غيرها فالقى ثوبه فالقى
ثوبه على تلك المراة وصار احق بها من نفسها ومن غيرها فان شاء ان يتزوجها هي
تزوجها بغير صداق الا الصداق الذي اصدقها الميت وان شا زوجها غيره واخذ صداقها
ولم يعطها شيئا وان شا عضلها وضارها لتفتدي منه فمات تلك بعض الانصار فجا
ولده من غيرها وطرح ثوبه عليها ثم تركها فلم يقربها ولم ينفق عليها ليضارها لتفتدي
منه فاتت تلك المراة وشكت حالها للنبي صلى الله عليه وسلم فانزل الله الاية ولا
تنكحوا ما نكح اباوكم من النساء الاية وقيل توفي ابو قيس فخطب ابنه قيس امراة
ابيه فقالت اني اعدك ولكن ابي رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستامره فاتته

لان الجمع بين الاختين م

فاخبرته فانزل الله تعالي الاية وعن البراء ابن عازب رضي الله عنه قال لقيت خالي يعني
ابا الدرداء رضي الله ومعه الراية فقلت اين تريد قال ارسلني رسول الله صلى الله عليه
وسلم الي رجل تزوج امراة ابيه ان اضرب عنقه زاد في رواية احمد واخذ ماله وفي
وذكر بعضهم ان في الجاهلية كان اذا اراد الشخص ان يتزوج يقول خطب ويقول اهل
الزوجة نكح ويكون ذلك قائمًا مقام الايجاب والقبول ومن نكاح الجاهلية الجمع بين
الاختين فانه كان مباحًا عندهم اي مع استقباحهم له كما تقدم وذكر بعضهم ان قبل
نزول التوراة كان يجوز الجمع بين الاختين ثم حرم ذلك بنزولها قال وقد افتخر رسول
الله صلى الله عليه وسلم بجداته اي تحدث بنعمة ربه فقال انا ابن العواتك والفواطم
فعن قتادة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اجرى فرسه مع ابي ايوب الانصاري
فسبقته فرس المصطفى فقال صلى الله عليه وسلم انا ابن العواتك انه لهو الجواد البحر يعني
فرسه وقال صلى الله عليه وسلم في بعض غزواته اي غزوة حنين انا النبي لا كذب
انا ابن عبد المطلب انا ابن العواتك وجا انا ابن العواتك من سليم والعاتكة في الاصل
المتلطخة بالطيب او الطاهرة وعن بعض الطالبين ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال في يوم احد انا ابن الفواطم اي ولا ينافي ما سبق انه قال في ذلك اليوم انا ابن
العواتك لانه يجوز ان يكون قال كلا من الكلمتين في ذلك اليوم واختلف الناس في عدد
العواتك من جداته صلى الله عليه وسلم فمن مكثر ومقل وقد نقل الحافظ ابن عساكر
ان العواتك من جداته صلى الله عليه وسلم اربع عشرة وقيل احد عشرة اي والمهن ام
لوي ابن غالب واللواتي من بني سليم منهن عاتكة بنت هلال ام عبد مناف وعاتكة بنت
الاوقص ابن مرة ابن هلال ام هاشم وعاتكة بنت مرة ابن هلال ام ابي امنة وهب اي
وقيل اراد بالعواتك من سليم ثلاثة من بني سليم ابكارًا ارضعنه كما سياتي في قصة
الرضاع وكل واحدة منهن تسمى عاتكة قال وعن سعد ان الفواطم من جداته عشرة اي
اقول وقيل خمس وقيل ست وقيل ثمان ولم اقف على من اسمه فاطمة من جداته من جهة
ابيه الا على اثنتين فاطمة ام عبد الله وفاطمة ام قصي الا ان يكون صلى الله عليه وسلم
لم يرد الامهات اللاتي في عمود نسبه بل اراد الاعم حتى يشمل فاطمة ام اسد بنت هاشم وفاطمة
بنت اسد التي هي ام علي ابن ابي طالب كرم الله وجهه وفاطمة امها وهؤلاء الفواطم غير
الثلاثة الفواطم اللاتي قال صلى الله عليه وسلم لعلي كرم الله وجهه وقد دفع صلى
الله عليه وسلم اليه ثوبًا حريرًا وقال له اقسم هذا بين الفواطم الثلاثة فان هؤلا
فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وفاطمة بنت حمزة وفاطمة بنت [illegible] اسد
ثم رايت بعضهم عد فيهن ام عمرو ابن عائذ وفاطمة بنت عبد الله ابن رزام وامها فاطمة
بنت الحارث وفاطمة بنت نضر ابن عوف ام عبد مناف والله اعلم وعن عائشة وابن
عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال خرجت من نكاح غير

وفي غزوة احد

سفاح

سفاح اي زنا فقد تقدم ان المراة كانت تسافح الرجل مدة ثم يتزوجها ان اراد فكانت
العرب تستحل الزنا الا ان الشريف منهم كان يتورع عنه علانية والا بعض افراد
حرمه على نفسه في الجاهلية اي وفي حديث غريب خرجت من نكاح ولم اخرج من
سفاح من لدن ادم الي ان ولدني ابي وامي ولم تصبني من سفاح الجاهلية شيء ما
ولدني الا على نكاح اهل الاسلام قال وعن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ولدني بغي قط منذ خرجت من صلب ادم ولم تزل
تنازعني الامم كابرًا عن كابر حتى خرجت من افضل حيين من العرب هاشم وزهرة
انتهي اقول والبغايا كن في الجاهلية ينصبن على ابوابهن رايات تكون علمًا لمن
اراد دخل عليهن فاذا حملت احداهن ووضعت حملها جمعوا لها ودعوا لهم القافة
ثم الحقوا ولدها بالذي يرون به شبهه فالتاط اي تعلق به والتحق به ودعي ابنه
لا يمتنع من ذلك والله اعلم قال وعن انس رضي الله عنه قال قرأ رسول الله صلى
الله عليه وسلم لقد جاكم رسول من انفسكم بفتح الفا وقال انا انفسكم نسبًا
وصهرًا وحسبًا ليس في ابائي من لدن ادم سفاح فكلها نكاح وفي رواية عن ابن
عباس رضي الله عنهما كنكاح الاسلام اي يخطب الرجل الى الرجل موليته فيصدقها
ثم يعقد عليها والله اعلم وعن الامام السبكي رحمه الله الانكحة التي في نسبه صلى
الله عليه وسلم منه الى ادم الانكاح صحيح مستجمع لشرائط الصحة كنكاح الاسلام
الموجود اليوم قال فاعتقد هذا بقلبك وتمسك به ولا تزل عنه فتخسر الدنيا والاخرة
قال بعضهم هذا من اعظم العناية به صلى الله عليه وسلم وان اجرى الله سبحانه
وتعالى نكاح ابائه صلى الله عليه وسلم من ادم عليه السلام الى ان اخرجه الكريم من
بين ابويه صلى الله عليه وسلم على نمط واحد وفق شريعته صلى الله عليه وسلم ولم
يكن كما كان يقع في الجاهلية اذا اراد الرجل ان يتزوج قال خطب وتقول اهل الزوجة
نكح كما تقدم ويكون ذلك قائمًا مقام الايجاب والقبول والمراد بنكاح الاسلام ما يفيد
الحل حتى يشمل التسري بناءً على ان ام اسمعيل كانت مملوكة ولم يعتقها ولم يعقد
عليها وعن عايشة رضي الله عنها كما في البخاري ان النكاح كان في الجاهلية على اربعة
انحا نكاح كنكاح الناس اي بايجاب وقبول شرعيين دون ان تقول الزوج خطب
وتقول اهل الزوجة نكح وح يزيد على ذلك النكاح الذي يقال فيه ذلك ونكاح البغايا
ونكاح الاستبضاع ونكاح الجمع اي ومن انكحة الجاهلية نكاح زوجة الاب الكبر اولادهم
والجمع بين الاختين على ما تقدم وح يكون المراد ليس في نسبه صلى الله عليه وسلم نكاح
زوجة الاب خلافًا لما تقدم عن السهيلي ولا الجمع بين الاختين ولا نكاح البغايا وهو ان
يطا البغي جماعة متفرقين واحدًا بعد واحد فاذا حملت وولدت الحق الولد بمن غلب عليه
شبهه منهم ولا الاستبضاع وذلك ان المراة كانت في الجاهلية اذا طهرت من حيضها تقول

كلها مستجمعة لشروط الصحة كنكاح الاسلام وفي نسخه صلى الله عليه وسلم

لها زوجها ارسلي الى فلان استبضعي منه ويعتزلها زوجها ولا يمسها حتى يتبين حملها
من ذلك الرجل الذي تستبضع منه فاذا تبين حملها اصابها زوجها اذا احب وليس
فيه نكاح الجمع واهو ان يجتمع جماعة دون العشرة ويدخلون على امراة من البغايا ذوات
الرايات كلهم يطاوها واذا حملت ووضعت لهم عليها ليالي بعد ان تضع حملها ارسلت
اليهم فلم يستطع رجل ان يمتنع حتى يجتمعوا عندها فتقول لهم قد عرفتم الذي كان من
امركم وقد ولدت فهو ابنك يا فلان تسمي من احبت منهم فيلحق به ولدها لا يستطيع
ان يمتنع منه الرجل ان لم يغلب شبهه عليه فنكاح البغايا قسمان وح يحتمل ان تكون
ام عمرو ابن العاص رضى الله عنه من القسم الثاني فانه يقال انه وطيها اربعة
وهم العاص وابو لهب وامية ابن خلف وابو سفيان ابن حرب وادعى كلهم عمرا فالحقته
بالعاص وقيل لها لما اخترت العاص قالت لانه كان ينفق على بناتي ويحتمل ان يكون من
القسم الاول ويدل لذلك ما قيل انه الحق بالعاص لغلبة شبهه عليه وكان عمرو يعير
بذلك عيره بذلك علي وعثمان والحسن وعمار ابن ياسر وغيرهم من الصحابة رضي
الله تعالى عنهم وسياتي ذلك في قصة قتل عثمان عند الكلام على بناء مسجد المدينة
قال وجا انه صلى الله عليه وسلم قال لم ازل انقل من اصلاب الطاهرين الى ارحام
الطاهرات اي وفي رواية لم يزل ينقلني الله من الاصلاب الحسنة الى ارحام الطاهرة
وروى البخاري بعثت من خير قرون بني ادم قرنا فقرنا حتى كنت في القرن الذي كنت
فيه انتهى وقد تقدم في قوله تعالى وتقلبك في الساجدين قيل من ساجد الى ساجد الى
ساجد وتقدم ما فيه ومن جملته قول ابي حيان رحمه الله ~~قال الذي تلخص ان اجداده~~
~~صلى الله عليه وسلم من ادم الى مرة ابن كعب مصرح بايمانهم~~ ان ذلك استدل به بعض
الرافضة على ان اباء النبي صلى الله عليه وسلم كانوا مومنين اي اي متمسكين بشرايع
انبياءهم ثم رايت الحافظ السيوطي قال الذي تلخص ان اجداده صلى الله عليه وسلم
من ادم الى مرة ابن كعب مصرح بايمانهم اي في الاحاديث واقوال السلف وبقي بين
مرة وعبد المطلب اربعة اجداد لم اظفر فيهم بنقل وعبد المطلب سياتي الكلام عليه
وقد ذكر في عبد المطلب ثلاثة اقوال احدها وهو الاشبه انه لم تبلغه الدعوة لانه
سياتي انه مات وسنه صلى الله عليه وسلم ثمان سنين والثاني انه كان على ملة
ابراهيم عليه الصلاة والسلام اي لم يعبد الاصنام والثالث ان الله احياه له بعد
النبوة حتى امن به ثم مات وهذا اضعف الاقوال واوهاها لم يرد قط في حديث
ضعيف ولا غيره ولم يقل به احد من ايمة السنة وانما حكي عن بعض الشيعة قال
بعضهم وقوله صلى الله عليه وسلم من اصلاب الطاهرين الى ارحام الطاهرات
دليل على ان ابا النبي صلى الله عليه وسلم وامهاته الى ادم وحوى ليس فيهم كافر
لان الكافر لا يوصف بانه طاهر وفيه ان الطاهرية فيه يجوز ان تكون المراد بها ما

قابل انكحة الجاهلية المتقدمة وقد اشار الى اسلام ابائه وامهاته صاحب الهمزية رحمه
الله بقوله لم تزل في ضماير الكون تختار لك الامهات والاباء
اي لان الكافر لا يقال انه مختار لله **والسبب الذي** دعا عبد المطلب لاختيار بني زهرة
ما حدث به ولده العباس رضي الله عنه قال قال عبد المطلب قدمنا اليمن فنزلنا
على حبر من اليهود يقرا الزبور اي الكتاب ولعل المراد به التوراة فقال ممن الرجل
فقلت من قريش قال من ايهم قلت من بني هاشم قال اتاذن لي ان انظر بعضك قلت نعم
ما لم يكن عورة قال ففتح احدى منخري فنظر فيه ثم نظر في الاخرى فقال اشهد ان في
احد منخريك ملكا وفي الاخرى نبوة وانما نجد ذلك اي كلا من الملك والنبوة في بني زهرة
فكيف ذاك قلت لا ادري قال هل لك من شاعة قلت وما الشاعة قال الزوجة اي
لانها تشايع اي تتابع وتناصر زوجها قلت اما اليوم فلا اي ليست لي زوجة من بني
زهرة ان كان معه غيرها او مطلقا ان لم يكن معه غيرها فقال اذا تزوجت فتزوج
منهم اي وهذا الذي ينظر في الاعضاء وفي خيلان الوجه فيحكم على صاحبها بطريق
الفراسة يقال له حزا بالمهملة وتشديد الزاي اخره همزة منونة **وقد ذكر** الشيخ
عبد الوهاب الشعراني عن شيخه سيدي علي الخواص نفعنا الله ببركاتهما انه كان
اذا نظر لانف انسان يعرف جميع زلاته السابقة واللاحقة الى ان يموت على التعبير من
صحة فراسته هذا كلامه اي **ومن ذلك** ان معاوية ابن ابي سفيان تزوج امراة ولم يدخل
بها فقال لزوجته ميسون ام ابنه يزيد اذهبي فانظري اليها فاتتها فنظرت اليها
ثم رجعت اليه وقالت هي بديعة الحسن والجمال ما رايت مثلها لكن رايت خالا اسود تحت
سرتها وذلك يدل على ان راس زوجها يقطع ويوضع في حجرها فطلقها معاوية رضي
الله عنه ثم تزوجها النعمان ابن بشير رضي الله عنه وكان واليا على حمص فدعى
لابن الزبير رضي الله عنهما وترك عبد الملك ابن مروان ثم خاف من اهل حمص لما تبعوا
عبد الملك ففر هاربا فتبعه جماعة منها فقطعوا راسه ووضعوه في حجر تلك المراة
ثم بعثوا بتلك الراس الى عبد الملك **وقتل** النعمان هذا رضى الله عنه من اعلام نبوته
صلى الله عليه وسلم لان امه رضى الله عنها لما ولدته وكان اول مولود ولد للانصار
بعد الهجرة على ما سياتي حملته الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فدعا بتمرة فمضغها
ثم وضعها في فيه فحنكه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله ادع
الله ان يكثر ماله وولده فقال اما ترضين ان يعيش حميدا ويقتل شهيدا ويدخل
الجنة وهو الذي اشار على يزيد ابن معاوية باكرام ال البيت لما قتل الحسين ممن كان
مع الحسين من اولاده واولاد اخيه واقاربه وقال لو عاملهم بما كان يعاملهم به
رسول الله صلى الله عليه وسلم لو راهم على هذه الحالة فرق لهم يزيد واكرمهم
ورده معهم وامرهم باكرامهم على ما سياتي ذكره ان شا الله تعالى **وما يروى** هنا انه قال

في رحلة الشتاء ع

وهو مراد الاصل بقوله في منخريك ع

سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الشيطان نفخ نخاً ومصالي وانفصاله ونفخ خمر
البطر بنعمة الله والفخر بعطاء الله والتكبر على عباد الله واتباع الهوى في غير ذات الله
وقد ذكر ان حمص نزل بها من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ستمائة وفيهم سبعون بدرياً
وفي حياة الحيوان حمص لا تعيش فيها العقارب واذا طرحت فيها عقرب ماتت لوقتها قيل
لطلسم فيها وفي حديث ضعيف ان حمص من مدن الجنة وقيل الحزاء هو الكاهن وقيل هو
الذي يحزر الاشيا ويقدرها بظنه ويقال للذي ينظر في النجوم فانه ينظر فيها بظنه وربما
اخطا اي لان من علوم العرب الكهانة والقيافة والزجر والخط اي الرمل والطب ومعرفة
الانوا ومهاب الريح **فلما رجع عبد المطلب** الى مكة تزوج هالة بنت وهيب ابن عبد مناف
فولدت له حمزة وصفية وزوج ابنه عبد الله امنة بنت وهب اخي وهيب فولدت له رسول الله
صلى الله عليه وسلم كما تقدم فكانت قريش تقول فلج عبد الله على ابيه اي فاز وظفر بما لم
ينله ابوه من وجود هذا المولود العظيم الذي وجد عند ولادته ما لم يوجد عند ولادة غيره
اي وفي كلام ابن المحدث ان عبد المطلب خطب هالة بنت وهيب عم امنة في مجلس خطبة عبد الله
لامنة وتزوجا واولما ثم ابتنيا بهما ثم رايت في اسد الغابة ما يوافقه وهو ان عبد المطلب تزوج
هو وعبد الله في مجلس واحد **قيل** وفيه تصريح بان عبد الله كان موجوداً حين قال
الحبر لعبد المطلب ان النبوة موجودة فيه وكيف تكون موجودة فيه مع انتقالها لعبد الله
وقد يقال من ان عبد المطلب تزوج هالة عقب مجيئه من عند الحبر حتى يكون قول الحبر لعبد
المطلب صادراً بعد وجود عبد المطلب ان تكون ذلك صدر من الحبر لعبد المطلب قبل
ولادة عبد الله وفيه ان هذا لا يحسن الا لو كانت ام عبد الله من بني زهرة الا ان يقال يجوز
ان يكون عبد الله وجد من بني زهرة لجواز ان يكون عبد المطلب تزوج من بني زهرة غير
هالة فاولدها عبد الله ثم ان قول الحبر لعبد المطلب انه يجد في احد منخريه الملك وانه يكون
في بني زهرة مشكل ايضاً لان الملك لم يكن الا في اولاد ولده العباس ولا يستقيم الا لو كانت
ام العباس من بني زهرة اما هالة التي هي ام حمزة وام العباس ليست من بني زهرة خلافاً لما
وقع في كلام بعضهم ان العباس ولدته هالة فهو شقيق حمزة لانه خلاف ما اشتهر عن
الحفاظ الا ان يقال جاز ان يكون الملك والنبوة اللذين عناهما الحبر نبوته وملكه صلى الله
عليه وسلم لانه صلى الله عليه وسلم اعطيهما اي كلا من الملك والنبوة المنتقلين اليه من
ابيه عبد الله بناءً على ان ام عبد الله من بني زهرة ولعله لا ينافيه **قول بعضهم**
تزوج عبد المطلب فاطمة بنت عمرو وجعل مهرها مائة ناقة ومائة رطل من الذهب فولدت
له ابا طالب وعبد الله والد النبي صلى الله عليه وسلم لانه يجوز ان تكون فاطمة هذه من
بني زهرة وح لا يشكل قول الحبر اذا تزوجت فتزوج منهم اي من بني زهرة بعد قوله
لك شاعة **وقيل** الذي دعا عبد المطلب لاختيار امنة من بني زهرة لولده عبد الله
ان سودة بنت زهرة الكاهنة وهي عمة وهب والد امنة ام النبي صلى الله عليه وسلم وكان

من امرها انها لما ولدت راها ابوها زرقاء شيماء اي سوداء وكانوا يئدون من البنات من
كانت على هذه الصفة ~~مع ذل وكآبة اي لانه سياتي~~ اي يدفنونها حية ويمسكون من لم يكن
على هذه الصفة مع ذل وكآبة اي لانه سياتي ان الجاهلية كانوا يدفنون البنات وهن احياء
خصوصاً كندة قبيلة من العرب خوف العار وخوف الفقر والاملاق وكان عمرو ابن نفيل
يحيي الموؤدة لاهل الاملاق يقول للرجل اذا اراد ان يفعل ذلك انا اكفيك مؤنتها فيا
فاذا ترعرعت قال لابيها ان شئت دفعتها اليك وان شئت كفيتك مؤنتها وكان صعصعة
جد الفرزدق يفعل مثل ذلك فامر ابوها بوادها وارسلها الى الحجون لتدفن هناك فلما
حفر لها الحافر واراد دفنها سمع هاتفاً يقول، لا تئد الصبية، وخلها البرية، والتفت
فلم ير شيئاً فعاد لدفنها فسمع الهاتف يسجع بسجع اخر في المعنى فرجع الى ابيها فاخبره بما
سمع فقال ان لها لشاناً وتركها فكانت كاهنة قريش فقالت يوماً لبني زهرة ان فيكم نذيرة او تلد
نذيراً فاعرضن علي بناتكن فعرضن عليها فقالت في كل واحدة منهن قولاً ظهر بعد حين
حتى عرضت عليها امنة بنت وهب فقالت هذه النذيرة او تلد نذيراً له شان وبرهان منير اي
فاختيار عبد المطلب لامنة من بني زهرة لهذا السبب واضح من سياق قصة الكاهنة **واما** اختياره
لتزوجه بعض نساء زهرة فنسبته ما تقدم عن الحبر بناءً على ان ام عبد الله كانت من بني زهرة
واما جعل الشمس الشامي ما تقدم عن الحبر سبباً لتزوج عبد المطلب ابنه عبد الله امراة من
بني زهرة ففيه نظر ظاهر اذ كيف يتاتى ذلك قوله اذا تزوجت فتزوج منهم بعد قوله لك
شاعة اي زوجة ثم رايت ابن دحية رحمه الله ذكر في التنوير عن البرقي ان سبب تزوج عبد الله
امنة ان عبد المطلب كان ياتي اليمن وكان ينزل فيها على عظيم من عظمائهم فنزل عنده
مرة فاذا عنده رجل ممن قرا الكتب فقال له ائذن لي ان افتش منخريك فقال دونكما فانظر فقال
ارى نبوة وملكاً واراهما في المنافين عبد مناف ابن قصي وعبد مناف ابن زهرة فلما انصرف
عبد المطلب انطلق بابنه عبد الله فتزوج عبد المطلب هالة بنت وهيب فولدت له حمزة
وزوج ابنه عبد الله امنة فولدت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا اوضح لانه اسقط
قول الحبر لعبد المطلب هل لك من شاعة الخ فاحتاط عبد المطلب فتزوج من بني زهرة وزوج
ولده عبد الله منهم وح كان المناسب للبرقي رحمه الله ان يزيد بعد قوله ان سبب تزوج عبد الله
امنة وقوله وتزوج المطلب هالة

باب ذكر حمل امه به صلى الله عليه وسلم

وعلى جميع الانبياء والمرسلين عن الزهري رحمه الله قال قالت امنة لقد علقت به صلى الله عليه
وسلم فما وجدت له مشقة حتى وضعته وعنها انها كانت تقول ما شعرت بفتح اولدو ثانيه
اي ما علمت باني حملت به ولا وجدت له ثقلاً بفتح القاف كما تجد النساء الا اني انكرت رفع
حيضتي بكسر الحاء الهيئة التي تلزمها الحايض من التجنب واما بالفتح فالمرة الواحدة من
دفعات الحيض اي والذي ينبغي ان يكون الثاني هو المراد واستعملت المرة في مطلق الدم
اي الذي تراه الحائض وربما ان هذا هو المراد ان بعضهم نقل ان الحيضة بالكسر اسم للحيض

قالت وربما ترفعني وتعود اي فلم يكن رفعها دليلا على الحمل اي وهذا ربما يفيد ان
حيضها تكرر قبل حملها به صلى الله عليه وسلم ولم اقف على مقدار تكرره وقد ذكر
ان مريم عليها السلام حاضت قبل حملها بعيسى عليه الصلاة والسلام حيضتين **قالت**
آمنة واتاني آت اي من الملائكة وانا بين النائمة واليقظانة وفي رواية بين النائم والشخص
النائم واليقظان فقال هل شعرت بانك قد حملت بسيد هذه الامة ونبيها اي وفي رواية
بسيد الانام اي اعلم ذلك وامهلني حتى دنت ولادتي فقال قولي اذا ولدتيه اعيذه بالواحد
من شر كل حاسد اي ثم سميه محمدا فان اسمه في التوراة والانجيل احمد يحمده اهل
السماء واهل الارض وفي القرآن محمد اي والقرآن كتابه وسيأتي عن محمد الباقر رضي الله
عنه ان تسميه احمد قال بعضهم ويذكر بعد هذا البيت ابيات لا اصل لها واذا ثبت انها
قالت له ذلك بعد ولادته كان دليلا لما يقوله بعض الناس ان امنة رقت النبي صلى الله
عليه وسلم من العين **اقول** ظاهر هذا السياق انها لم تعلم بحملها الا من الملك لانها لم
تجد ما تستدل به على ذلك لانها لم تجد ثقلا وعاد تها ان حيضها ربما عاد بعد عدم
وجوده في زمنه المعتاد لها اي ولم تعول على مفارقة النور لعبد الله وانتقال النور
الى وجهها على ما ذكر بعضهم ففي كلام هذا البعض لما فارق النور وجه عبد الله
انتقل الى وجه امنة ولا على خروج النور منها مناما او يقظة بناء على انه عند الحمل
على ما يأتي لخفاء دلالة ما ذكر على ذلك ولعل اباه صلى الله عليه وسلم عبد الله لم يبلغها
قول المرأة التي عرضت نفسها عليه اذهب فاخبرها انها حملت بخير اهل الارض والثقل
في اول الحمل الذي حمل عليه بعض الروايات كما سيأتي يجوز ان يكون بعد اخبار الملك
لها لكن في المواهب في رواية عن كعب رضي الله عنه ان مجي الملك لها بعد ان مضى من
حملها ستة اشهر فليتأمل ان الستة اشهر لا يقال انها ابتدا الحمل وفي بعض الروايات كانت
امنة تحدث وتقول اتاني آت حين مر بي من حملي ستة اشهر في المنام وقال لي يا امنة
انك حملت بخير العالمين فاذا ولدتيه فسميه محمدا واكتمي شانك الا ان يقال تعدد الملك
او تكرر مجي الملك لها والله اعلم **وعن ابن عباس** رضي الله عنهما كان من دلالة حمل
امنة برسول الله صلى الله عليه وسلم ان كل دابة لقريش نطقت تلك الليلة اي الليلة
التي حمل فيها اي في اليوم الذي قبلها برسول الله صلى الله عليه وسلم اي بناء على ما هو
الظاهر مما تقدم انه حين وقع عليها انتقل اليها ذلك النور وقالت حمل برسول
الله صلى الله عليه وسلم ورب الكعبة ولم يبق سرير لملك من ملوك الدنيا الا اصبح
منكوسا اي ومثل هذا لا يقال من قبل الرأي **اقول** دلالة الاول على مطلق الحمل
به صلى الله عليه وسلم لا على خصوص حمل امنة به صلى الله عليه وسلم واضحة واما
دلالة الثاني عليه فقد يتوقف فيها الا ان يقال ان ذلك كان من علامة الحمل به في
الكتب القديمة مع ان المدعى في كلام ابن عباس رضي الله عنهما انما هو من خصوص

حمل

حمل امنة به صلى الله عليه وسلم على ان السياق يدل على ان المراد علم امه بحملها به والله اعلم **وعن كعب**
الاحبار رضي الله عنه ان في صبيحة تلك الليلة اصبحت اصنام الدنيا منكوسة اي
ولعل ذلك كان من علامة حمل امه به في الكتب القديمة وقوله لا يتخلف وسيأتي ان عند
ولادته ايضا تنكست الاصنام ولا مانع من التعدد **قال** وروى الحاكم وصححه ان اصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا يا رسول الله اخبرنا عن نفسك فقال انا دعوة ابي
ابراهيم وبشرى اخي عيسى ورأت امي حين حملت بي كانه خرج منها نور وفي لفظ شهاب
اضاءت له قصور بصرى من ارض الشام قال الحافظ العراقي وسيأتي انها رأت النور خرج
منها عند الولادة وهو اولى لكونه طرقه متصلة ويجوز ان يكون خرج منها النور مرتين
مرة حين حملت به ومرة حين وضعته اي وكلاهما يقظة ولا مانع من ذلك اي رؤيتها
النور حين حملت به كانت مناما كما يصرح به الرواية الآتية وتلك يقظة فلا تعارض
بين الحديثين انتهى **اقول** الرواية الآتية هي رواية شداد بن اوس ولفظها انها
رأت في المنام ان الذي في بطنها خرج نورا وهي تفيد ان ذلك النور هو نفس حملها وهو
بعد تحقق الحمل ووجوده والرواية التي هنا تفيد ان النور غيره وانه كان وقت ابتدا
وجود الحمل فلا يصح احدهما على الاخرى الا ان يقال بحين حملت زمن حملها وان النور
كان هو ذلك الذي ينبغي ان يكون رواية شداد التي حملت عليها الرواية الاولى حاصله
قبل الولادة فتكون رأت النور عند الولادة مناما ويقظة ثانيا لها على انه يجوز
ابقا الروايات الثلاث على ظاهرها وانها رأت مناما انها خرج منها نور عند ابتدا
الحمل ثم رأت كذلك عند قرب ولادتها ان الذي في بطنها خرج نورا ثم رأت يقظة عند
وضعه خروج النور وسيأتي في رواية عن امه ايضا قالت لما وضعته خرج معه نور
وهي لا تخالف هذه الرواية التي بعد تكون رابعة فبصرى اول بقعة من الشام
خلص اليها نور النبوة وعلى انه مر بها صلى الله عليه وسلم مرتين
مرة مع عمه ابي طالب ومرة مع ميسرة غلام خديجة رضي الله عنها كما سيأتي وبها
مبرك الناقة التي يقال ان ناقته صلى الله عليه وسلم بركت فيه فاثر ذلك فيه
وبني على ذلك المحل مسجد ولهذا كانت اول مدينة فتحت من ارض الشام في الاسلام وكان
فتحها صلحا في خلافة ابي بكر الصديق رضي الله عنه وبها قبر سعد بن عباده
وهي من ارض حوران والله اعلم **ووقع اختلاف** في مدة حمله صلى الله عليه وسلم
فعن ابن عباس بالبا الموحدة والذال المعجمة انه صلى الله عليه وسلم بقي في بطن
امه تسعة اشهر كملا لا تشتكي وجعا ولا مغصا ولا ريحا ولا ما يعرض لذوات الحمل من النسا
اي وقد ولد عند وجود المشتري وهو كوكب نير سعيد فقد كانت ولادته صلى
الله عليه وسلم عند وجود السعد الاكبر والنجم الانور وكانت امه صلى الله عليه
وسلم تقول والله ما رأيت من حمل هو اخف منه ولا اعظم بركة منه وروى ابن حبان

الصادق

سراج وفي لفظ

وفي رواية ان

حمل

فليتأمل

قال في

رحم الله عن حليمة رضي الله عنها عن امنة ام النبي صلى الله عليه وسلم انها قالت
ان لابني هذا شانا اني حملت به فلم احمل حملا قط كان اخف علي ولا اعظم بركة منه
وقيل مدة حمله عشرة اشهر وقيل ستة اشهر وقيل سبعة اشهر وقيل ثمانية اشهر اي
ويكون ذلك ايضا اية كما ان عيسى عليه السلام ولد في الشهر الثامن كما قيل به مع
نص الحكما والمنجمين على ان من ولد في الشهر الثامن لا يعيش بخلاف التاسع والسابع
والسادس الذي هو اقل مدة الحمل اي فقد قال الحكما في بيان سبب ذلك لان الولد
عند استكماله سبعة اشهر يتحرك للخروج حركة عنيفة اقوى من حركته في الشهر
السادس فان خرج عاش وان لم يخرج استراح في البطن عقب تلك الحركة المضعفة
له فلا يتحرك في الشهر الثامن ولذلك تقل حركته في البطن في ذلك الشهر فاذا
تحرك للخروج وخرج فقد ضعف غاية الضعف فلا يعيش لاستيلا حركتين مضعفتين
له مع ضعفه وفي كلام الشيخ محي الدين ابن عربي رحمه الله لم ار للثمانية صورة في نجوم
المنازل ولهذا كان المولود اذا ولد في الشهر الثامن يموت ولا يعيش وعلى فرض ان
يعيش يكون معلولا لا ينتفع بنفسه وذلك لان الشهر الثامن يغلب فيه على الجنين
البرد واليبس وهو طبع الموت اي وقيل بل كان حمله ووضعه في ساعة واحدة وقيل
في ثلاث ساعات اي كما قيل بذلك في عيسى عليه السلام اي وكانت تلك السنة التي حمل
فيها برسول الله صلى الله عليه وسلم يقال لها سنة الفتح والابتهاج فان قريشا
كانت قبل ذلك في جدب وضيق عظيم فاخضرت الارض وحملت الاشجار واتاهم الرفد
من كل جانب في تلك السنة وفي حديث مطعون فيه فاذن الله تلك السنة لنسا الدنيا
ان يحملن ذكورا كرامة لرسول الله صلى الله عليه وسلم اي ولم اقف على ما جرى على
السنة المذاح من انه صلى الله عليه وسلم كان يذكر الله في بطن امه كما نقل عن
عيسى عليه السلام انه كان يكلم امه اذا خلت عن الناس ويسبح الله ويذكره اذا
كانت مع الناس وهي تسمع وعن شداد بن اوس رضي الله عنه قال بينا نحن جلوس
عند رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اقبل شيخ كبير من بني عامر هو مدره قومه
اي المقدم فيهم يتوكا على عصى فمثل بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم ونسبه الى
جده فقال يا ابن عبد المطلب اني انبئت انك تزعم انك رسول الله الى الناس ارسلك
بما ارسل به ابراهيم وموسى وعيسى وغيرهم من الانبيا الا انك فهت بعظيم وانما كانت الانبيا
والخلفا اي معظمهم في بيت من بني اسرائيل وانت ممن يعبد هذه الحجارة والاوثان
فمالك وللنبوة ولكن لكل حق حقيقة فانبئني بحقيقة قولك وبدو شانك قال فاعجب
النبي صلى الله عليه وسلم بمسالته ثم قال يا اخا بني عامر ان لهذا الحديث الذي سالتني
عنه نبا ومجلسا فاجلس فثنى رجليه ثم برك كما يبرك البعير فاستقبله النبي صلى
الله عليه وسلم بالحديث فقال يا اخا بني عامر ان حقيقة قولي وبدء شاني اني ...

وعيسى صح

دعوة ابي ابرهيم

دعوة ابي ابراهيم عليه السلام حيث قال ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلوا عليهم اياتك
ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم انك انت العزيز الحكيم اي وعند ذلك قيل له قد استجيب
لك وهو كاين في اخر الزمان كذا في تفسير ابن جرير قال في ينبوع الحياة اجمعوا على ان
الرسول المذكور ههنا هو محمد صلى الله عليه وسلم اقول وفيه ان جبريل عليه السلام
اعلم ابرهيم صلى الله عليه وسلم قبل ذلك بانه يوجد نبي من العرب من ذريته ولد اسمعيل
فقد جا ان ابرهيم لما امر باخراج هاجر ام ولده اسمعيل عليه السلام حمل هو وهي وولدها على
البراق فلما اتى مكة قال لجبريل انزل فقد جيت لا زرع ولا ضرع قال نعم ههنا يخرج النبي الامي
الذي من ذريته ولدك اسمعيل عليه السلام الذي تتم به الكلمة العليا الا ان يقال الغرض
من دعائه صلى الله عليه وسلم بذلك تحقيق حصوله وتقدم ان ام اسمعيل قالت لابرهيم ما
قال لجبريل والله اعلم قال وبشرى اخي عيسى وفي رواية ان اخر من بشر بي عيسى اي اخر نبي
بشر بي من الانبياء عيسى بدليل الرواية الاخرى وكان اخر من بشر بي عيسى لان الانبياء هم

بشرت به قومها والى ذلك يشير صاحب الهمزية بقوله

ما مضت فترة من الرسل الا ... بشرت قومها بك الانبياء

وبشرى عيسى في قوله تعالى واذ قال عيسى ابن مريم يا بني اسرائيل اني رسول الله اليكم مصدقا
لما بين يدي من التوراة ومبشرا برسول ياتي من بعدي اسمه احمد اي والمبشر بهم من الانبيا
قبل وجودهم اربعة اسحق ويعقوب ويحيى وعيسى قال تعالى في حق سارة فبشرناها باسحق
ومن وراء اسحق يعقوب قيل بشرت بانه سيولد لها ان يولد يعقوب لولدها اسحق وقال في حق
زكريا ان الله يبشرك بيحيى وقال في حق مريم ان الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى ثم قال
واني كنت بكر ابي وامي وانها حملتني كاثقل ما تحمل النساء وجعلت تشكو الى صواحبها ثقل
ما تجد النساء ثم ان الهادات في المنام ان الذي في بطنها خرج نورا قالت فجعلت اتبع بصري
النور والنور يسبق بصري حتى اضات له مشارق الارض ومغاربها الحديث وسياتي تتمته
في الرضاع اي وقال ابن الجوزي ممن روي عن احمد صلى الله عليه وسلم لما قيل له يا رسول الله
ما كان بدء امرك قال انا دعوة ابي ابراهيم وبشرى عيسى ورؤيا امي قالت خرج مني نور
اضات له قصور الشام قال الحافظ ابو نعيم والثقل الذي وقع في هذه الرواية كان في ابتدا
الحمل والخفة التي جاءت فيما سبق من الروايات كانت عند استمرار الحمل ليكون ذلك خارجا
عن المعتاد كذا قال اقول وقد قدمنا انه يجوز ان يكون هذا الثقل الواقع في ابتدا الحمل كان
بعد اخبار الملك لها بالحمل فلا يخالف ما سبق وفيه ما سبق والجواب عنه لكن تقدم عن
الزهري قال قالت امنة لقد علقت به فما وجدت له مشقة حتى وضعته ويمكن ان يكون
المراد بالمشقة ما تقدم في بعض الروايات لم تشك وجعا ولا مغصا ولا ريحا ولا ما يعرض
لذوات الحمل من النساء اي فمع وجود الثقل لم يحصل لها المشقة المذكورة وح لا ينافي ذلك
شكواها ما تجده من ثقله والله اعلم باب وفاة والده صلى الله عليه وسلم

عن ابن اسحق رحمه الله لم يلبث عبد الله ابن عبد المطلب ان توفي وام رسول الله صلى الله
عليه وسلم حامل به اي كما عليه اكثر العلماء ٥ اي وصححه الحافظ الدمياطي وسياتي وبعض
الروايات ما يدل على ان ذلك من علامات نبوته في الكتب القديمة قيل وان موت والده
صلى الله عليه وسلم بعد ان تم لها من حمله شهران وقيل قبل ولادته بشهرين وقيل كان
في المهد حين توفي ابوه ابن شهرين وذكر السهيلي ان عليه اكثر العلماء فليتامل مع ما قبله
وقيل كان ابن سبعة اشهر وقيل ابن تسعة اشهر قيل وعليه الاكثرون والحق انه قول كثيرين
لا الاكثرين وقيل ثمانية عشر شهرا وقيل ابن ثمانية وعشرين شهرا اي وما ياتي في الرضاع
من ان المراضع ابته ليتمه يخالفه لتمام زمن الرضاع وكذا يخالف القول الذي قبله لانه لم
يبق من زمن الرضاع الا شهران وكانت وفاته بالمدينة خرج اليها ليمتار تمرا او للزيارة
اخواله بها اي اخوال ابيه عبد المطلب ٥ بني عدي ابن النجار اي ولا مانع من قصد الامرين
معا وقيل خرج الى غزة في عير من عيرات قريش والعيرات ٥ بكسر العين وفتح المثناة
تحت جمع عير وهي التي تحمل الميرة خرجوا للتجارة ففرغوا من تجارتهم وانصرفوا فمروا بالمدينة
وعبد الله مريض فقال عندنا انا اتخلف عند اخوالي بني عدي ابن النجار والنجار هذا
اسمه تيم وقيل له النجار لانه اختتن بقدوم اي وهو آلة النجار وقيل لانه نجر وجه رجل
بقدوم فاقام عندهم مريضا شهرا وهذا اثبت من الاول ٥ ومضى اصحابه فقدموا مكة
فسألهم ابوه عبد المطلب عنه فقالوا خلفناه عند اخواله بني عدي ابن النجار وهو مريض فبعث
اليه اخاه الحارث وهو اكبر اولاد عبد المطلب كما تقدم اي ومن ثم كان يكنى به ولم يدرك
الاسلام فوجده قد توفي اي وفي اسد الغابة ان عبد المطلب ارسل اليه ابنه الزبير شقيق عبد الله
فشهد وفاته ودفن في دار التابعة بالتاء المثناة فوق والباء الموحدة والعين المهملة اي وهو
رجل من بني عدي ابن النجار فقد جاء انه صلى الله عليه وسلم لما هاجر الى المدينة ونظر
الى تلك الدار عرفها وقال ههنا نزلت بي امي وفي هذه الدار قبر ابي عبد الله واحسنت
العوم في بئر بني النجار ومن هذا وما جاء عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما انه
صلى الله عليه وسلم كان هو واصحابه يسبحون في غدير اي في الجحفة فقال النبي صلى الله عليه
وسلم لاصحابه يسبح كل رجل منكم الى صاحبه فسبح كل رجل الى صاحبه وبقي النبي صلى الله عليه
وسلم وابو بكر فسبح النبي صلى الله عليه وسلم الى ابي بكر حتى اعتنقه وقال انا وصاحبي انا
وصاحبي وفي رواية انا الى صاحبي يعلم رد قول بعضهم وقد سئل هل عام النبي صلى الله
عليه وسلم الظاهر لا لانه لم يثبت انه صلى الله عليه وسلم سافر في بحر ولا في الحرمين
بحر قال وقيل قد توفي ودفن بالابواء محل بين مكة والمدينة انتهى اقول سياتي
ان الذي بالابواء قبر امه على الاصح فلعل قائل ذلك اشتبه عليه الامر لانه يجوز ان يكون
سمعه صلى الله عليه وسلم يقول وهو بالابواء هذا قبر احد ابوي وقد ذكر بعضهم
في حكمة تربيته صلى الله عليه وسلم يتيما ما لا نطيل به وقد جاء ارحموا اليتامى واكرموا الغربا

فاني كنت في الصغر يتيما وفي الكبر غريبا

فاني كنت في الصغر يتيما وفي الكبر غريبا وقد جاء ان الله لينظر في كل يوم الى الغريب الف نظرة
والله اعلم واورد الخطيب عن عائشة رضي الله عنها ان الله احيى له اباه وامن به وفي المواهب
احيى الله له ابويه حتى امنا به قال السهيلي رحمه الله وفي اسناده مجاهيل وقال الحافظ
ابن كثير انه حديث منكر جدا وسنده مجهول وقال ابن دحية هو حديث موضوع ويرده القرآن
والاجماع وعلى ثبوته يكون ناسخا او معارضا لقوله صلى الله عليه وسلم وقد ساله رجل
اين ابي فقال في النار فلما قفا اي ولى دعاه وقال له ان ابي واباك في النار وفيه ان هذا رواه
مسلم فلا يكون ذلك الحديث ناسخا اي معارضا له اقول هو على تقدير ثبوته يكون معا
على ان حديث مسلم هذا لم تتفق الرواة على قوله فيه ان ابي واباك في النار وهذه اللفظة
انما رواها حماد ابن سلمة عن ثابت عن انس وخالفه معمر عن ثابت عن انس فروى بدل
ذلك اذا مررت بقبر كافر فبشره بالنار وقد نصوا على ان معمرا اثبت من حماد فان حمادا
تكلم في حفظه ووقع في احاديثه مناكير ذكروا ان ربيبه دسها في كتبه وكان حماد لا يحفظ
فرواها فحدث بها فوهم فيها واما معمر فلم يتكلم في حفظه ولا استنكر شيء من حديثه وايضا
ما رواه معمر ورد من حديث سعد ابن ابي وقاص رضي الله عنه فقد اخرج البزار والطبراني
والبيهقي من طريق ابرهيم ابن سعد عن الزهري عن عامر ابن سعد عن ابيه ان اعرابيا قال
لرسول الله صلى الله عليه وسلم اين ابي قال في النار قال فاين ابوك قال حيث ما مررت بقبر
كافر فبشره بالنار وهذا الاسناد على شرط الشيخين فاللفظ الاول من تصرف الراوي رواه
بالمعنى بحسب ما فهم فاخطا وذكر لنا الحافظ السيوطي ان مثل هذا وقع في الصحيحين في
روايات كثيرة من ذلك حديث مسلم عن انس في نفي قراءة البسملة والثابت من طريق آخر نفي
سماعها ففهم منه الراوي نفي قراءتها فرواه بالمعنى على ما فهم فاخطا كذا اجاب امامنا
الشافعي رضي الله عنه عن حديث نفي قراءة البسملة والذي ينبغي ان يقال يجوز ان يكون هذا اي
ما في الصحيح كان قبل ان سأل الله ان يحييه له فاحياه وامن به كما اشار اليه في الاصل
وانه قال ذلك لمصلحة ايمان ذلك السائل بدليل انه لم يتدارك صلى الله عليه وسلم الا بعد
ما قفا فظهر له صلى الله عليه وسلم عن حاله انه يعرض له فتنة اي يرتد عن الاسلام
فاتى له بما هو شبيه بالمبتلى كله مريدا بابيه عمه ابا طالب لا عبد الله لانه كان يقال لابي
طالب قل لابنك يرجع عن شتم الهتنا وقالوا له اعطنا ابنك وخذ هذا مكانه فقال اعطيكم
ابني تقتلونه الى غير ذلك مما ياتي على انه تقدم ان العرب تسمي العم ابا لا يقال على ثبوت
هذا الحديث وصحته التي صرح بها غير واحد من الحفاظ لم يلتفتوا الى طعن فيه كيف ينفع
الايمان بعد الموت لانا نقول هذا من جملة خصوصياته صلى الله عليه وسلم لكن قال
بعضهم من ادعى الخصوصية فعليه الدليل اي لان الخصوصية لا تثبت بمجرد الاحتمال ولا
تثبت الا بحديث صحيح وفي كلام القرطبي رحمه الله وقد احيى الله على يديه جماعة من الموتى
واذا ثبت ذلك فما يمنع ايمان ابويه بعد احيائهما ويكون ذلك زيادة في كرامته وفضيلته

وله لو لم يمكن احياء ابويه نافعا لايمانهما وتصديقهما لما احييا كما ان رد الشمس لو لم
يكن نافعا في بقاء الوقت لم ترد والله اعلم **قال الواقدي** المعروف عندنا وعند اهل
العلم ان آمنة وعبد الله لم يلدا غير رسول الله صلى الله عليه وسلم ونقل سبط ابن الجوزي
ان عبد الله لم يتزوج غير آمنة قط ولم تتزوج آمنة غيره قط ونقل اجماع علماء النقل
على ان آمنة لم تحمل بغير النبي صلى الله عليه وسلم ومعنى قولها لم احمل حملا اخف منه
المعنيه انها حملت بغيره صلى الله عليه وسلم انه خرج على وجه المبالغة انتهى **اقول**
هذه الرواية لم اقف عليها والذي تقدم ما رايت من حمل هو اخف منه وفي رواية اخرى
حملت به فلم احمل قط هو اخف منه علي وحمل الرؤية والوجدان على العلم الحاصل باخبار
غيرها من ذوات الحمل لها عن حالهن ممكن فلا يقتضي ذلك انها حملت بغيره ولاه
ينافيه قولها اخف علي لان المراد فيما علمت والله اعلم **قال** الحافظ ابن حجر نسب سبط
ابن الجوزي الى المجازفة في نقل الاجماع فقال وصارف ابن الجوزي لعادته في نقل الاجماع
ولا يمتنع ان تكون آمنة سقطت من عبد الله سقطا فاشارت بقولها المذكور اليه انتهى
اقول ومع تكون حملت بذلك السقط بعد ولادته صلى الله عليه وسلم على ان والده
لم يمت وهو حمل بل بعد وضعه وانها وجدت المشقة في حمل ذلك السقط وان اضار
بذلك تاخر عن حملها بذلك السقط وانها رات في حملها بذلك السقط في الشدة ما لم
تجده في حمله صلى الله عليه وسلم فلا ينافي المخالفة لما تقدم من ان عبد الله دخل بها
حين املكه عليها وانتقل اليها النور عند ذلك ولانه يخرج بذلك عن كونه بكرا ابيه
وامه واما رواية حملت الاولاد فما وجدت حملا فقال الواقدي لا نعرف عند اهل العلم كما بينا
ذلك في الكوكب المنير على ان امكان تحملها سقط لا يقدح في نقل الاجماع على انها لم تحمل
بغيره صلى الله عليه وسلم لامكان ان المراد حملا تاما وفي الخصائص الصغرى للجلال السيوطي
ولم يلد ابواه غيره صلى الله عليه وسلم **قال** وترك عبد الله جاريته ام ايمن بركة
الحبشية اسلمت قديما وهي وولدها ايمن رضي الله عنهما وكان من عبد حبشي يقال له عبيد
انتهى **اقول** في كلام ابن الجوزي انه صلى الله عليه وسلم اعتقها حين تزوج خديجة وزوجها
عبيد الحبشي ابن زيد من بني الحارث فولدت له ايمن ولا ينافيه ما في الاصابة كانت ام ايمن
ممن تزوجت في الجاهلية بمكة عبيد الحبشي ابن زيد وكان قدم مكة واقام بها ثم نقل ه
ام ايمن الى يثرب فولدت له ايمن ثم مات عنها فرجعت الى مكة فتزوجها زيد ابن حارثة
قاله البلاذري والله اعلم **قال** وقد زوجها صلى الله عليه وسلم اي بعد النبوة مولاه
زيد ابن حارثة اي وانما رغب زيد فيها لما سمعه صلى الله عليه وسلم تقول من سره ان
يتزوج امراة من اهل الجنة فليتزوج بام ايمن فجاءت عنده باسامة فكان يقال له الحب ابن الحب
وقيل اعتقها عبد الله قبل موته وقيل كانت لامه صلى الله عليه وسلم وتركه اي عبد الله خمسة
اجمال وقطعة غنم فورث ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم من ابيه انتهى فهو صلى الله

اجده

واما حملها بذلك
السقط قبل حملها به
صلى الله عليه وسلم

عليه وسلم

فهو صلى الله عليه وسلم يرث ولا يورث قال صلى الله عليه وسلم نحن معاشر الانبياء لا نورث
ما تركناه صدقة ودعوى بعضهم انه صلى الله عليه وسلم لم يرث بناته اللاتي متن في
حياته فعلى تقدير صحته جاز ان يكون صلى الله عليه وسلم تركه ضعفين انه تعففا
وسيأتي انتهى وقال ابن الجوزي رحمه الله واصاب ام ايمن هذه رضي الله عنها عطش
في طريقها لما هاجرت اي الى المدينة على قدميها وليس معها احد وذلك في حر شديد فسمعت
شيئا فوق راسها فاذا هو دلي عليها من السماء دلو من ماء برشاء ابيض فشربت منه حتى
رويت فكانت تقول ما اصابني عطش بعد ذلك ولو تعرضت للعطش بالصوم في الهواجر
ما عطشت اي وفي مزيل الخفا **قال الواقدي** رحمه الله كانت ام ايمن رضي الله عنها
عسرة اللسان فكانت اذا دخلت على قوم قالت سلام لا عليكم اي بدل سلام الله عليكم
فرخص لها رسول الله صلى الله عليه وسلم ان تقول سلام عليكم والسلام عليكم هذا
كلامه فليتامل فان هذا يقتضي ان الصيغة الاصلية في السلام سلام الله عليكم مع ان
الصيغة في السلام السلام عليكم او سلام عليكم وكذا عليكم السلام ولم يذكر ائمتنا تلك
وعن عائشة رضي الله عنها شرب رسول الله صلى الله عليه وسلم وام ايمن عنده فقالت
يا رسول الله اسقني فقلت الرسول الله صلى الله عليه وسلم تقولين هذا فقالت ما
خدمته اكثر فقال النبي صلى الله عليه وسلم صدقت فسقاها **وذكر بعض المؤرخين**
ان بركة هذه من سبي الحبشة اصحاب الفيل وكانت سوداء اي لونها اسود ولهذا خرج
ابنها اسامة في السواد اي وكان ابوه زيد رضي الله عنهما ابيض ومن ثم كان المنافقون
يطعنون في نسب اسامة ويقولون هذا ليس هو ابن زيد وكان رسول الله صلى الله عليه
وسلم يتشوش من ذلك وقد روى الشيخان عن عائشة رضي الله عنها قالت دخل علي
النبي صلى الله عليه وسلم مسرورا فقال الم تري ان مجززا المدلجي دخل علي فرأى اسامة
وزيد عليهما قطيفة قد غطيا رؤسهما وقد بدت اقدامهما فقال ان هذه الاقدام بعضها
من بعض وقد جعل ائمتنا ذلك اصلا لوجوب الاخذ بقول القائف في الحاق النسب قال الحافظ
رحمه الله والمعروف ان الحبشية انما هي بركة اخرى جارية ام حبيبة قدمت معها من الحبشة
وكانت تكنى ام يوسف وكانت تخدم النبي صلى الله عليه وسلم وهي التي شربت بوله صلى
الله عليه وسلم كما سيأتي **قيل** وورث صلى الله عليه وسلم عن ابيه مولاه شقران وكان
عبدا حبشيا فاعتقه صلى الله عليه وسلم بعد بدر وقيل اشتراه صلى الله عليه وسلم من
عبد الرحمن ابن عوف واعتقه وقيل بل وهبه عبد الرحمن ابن عوف له صلى الله عليه
وسلم

باب ذكر مولده صلى الله عليه وسلم

عن ابن عباس رضي الله عنهما ه
ولد النبي صلى الله عليه وسلم مسرورا اي مقطوع السرة وصح ان ابراهيم عليه السلام
حين ولد نزل جبريل عليه السلام وقطع سرته واذن في اذنه وكساه ثوبا ابيض وولد
نبينا صلى الله عليه وسلم مختونا اي على صورة المختون اي ومكحولا ونظيفا ما به قذر

اقول أي ولم يصاحبه قذر وبلل فلا ينافي جواز وجود القذر بعد أي في زمن امكان
النفاس فلا يستدل بذلك على أن امه صلى الله عليه وسلم لم تر نفاسا فان النفاس هو
عندنا معاشر الشافعية هو البلل الخارج بعد الولادة في زمن امكانه وهو قبل مضي
خمسة عشر يوما منها لا الخارج مع الولد والله اعلم قال وعن انس ابن مالك عن ابن
عباس رضي الله عنهم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من كرامتي على ربي اني
ولدت مختونا ولم ير احد سوءتي اي لئلا يرى احد سوءتي عند الختان قال الحاكم رحمه الله
تواترت الاخبار بانه صلى الله عليه وسلم ولد مختونا وتعقبه الذهبي رحمه الله فقال
ما اعلم صحة ذلك فكيف يكون متواترا واجيب بانه اراد بالتواتر الاشتهار فقد جاءت
احاديث كثيرة في ذلك قال الحافظ ابن كثير فمن الحفاظ من صححها ومنهم من ضعفها ومنهم
من رآها من الحسان اي وقد يدعى انه لا مخالفة بين هذه الاقوال الثلاثة لانه يجوز
ان يكون من قال صحيحة لغيرها او الصحيح لغيرها قد تكون حسنة لغيرها ومن قال
ضعيفة اراد في حد ذاتها وفي الهدي ان الشيخ جمال الدين ابن طلحة صنف في انه ولد
مختونا مصنفا اجلب فيه من الاحاديث التي لا خطام لها ولا زمام ورد عليه في ذلك
الشيخ جمال الدين ابن العديم وذكر انه ختن على عادة العرب وولد من الانبيا على[2] عليهم الصلاة والسلام صح
صورة المختون ايضا غير نبينا صلى الله عليه وسلم ستة عشر نبيا وقد نظم الجميع بعضهم فقال

وفي الرسل مختون لعمرك خلقة ... ثمان وتسع طيبون اكارم
وهم زكريا شيث ادريس يوسف ... وحنظلة عيسى وموسى وآدم
ونوح شعيب سام لوط وصالح ... سليمان يحيى هود ياسين خاتم

وليس هذا من خصائص الانبيا عليهم الصلاة والسلام بل غيرهم من الناس يولد كذلك ومن
خرافات العام ان يقولوا لمن تولد كذلك ختنه القمر اي لان العرب تزعم ان المولود في
القمر تنفسخ قلفته كالمختون وربما قالت العام ختنته الملايكة وبهذا يرد ما ذكره الجلال
السيوطي في الخصايص الصغرى انه من خصايصه صلى الله عليه وسلم ولادته مختونا وقيل
ختن صلى الله عليه وسلم اي ختنه الملك الذي هو جبريل عليه السلام كما صرح به بعضهم
يوم شق قلبه عند ظئره اي مرضعته حليمة قال الذهبي انه خبر منكر وقيل ختنه جده
يوم سابع ولادته قال العراقي وهو غير صحيح انتهى اي لما عق عنه صلى الله عليه وسلم
بكبش كما سياتي اقول وقد يجمع بانه يجوز ان يكون ولد مختونا اي غير تام الختان
كما هو الغالب في ذلك فتمم جده ختانه لكن ينازع فيه ما تقدم من قوله صلى الله عليه وسلم
من كرامتي على ربي اني ولدت مختونا ولم ير احد سوءتي اي لاجل الختان كما هو الظاهر
انه صح كما قدمناه وفي كلام بعضهم ان عيسى عليه السلام ختن بالة وعلى صحته
يجمع بنحو ما تقدم والظاهر ان المراد بالالة التي ختن بها عيسى والتي ختن بها صلى
الله عليه وسلم على ان جده ختنه بالالة المعروفة التي هي الموسى والا لانعكس لان ذلك

بناء

مما

مما توفر الدواعي على نقله لا يقال عدم وجود القلفة نقص من اصل الخلقة الانسانية
فقد فات الوافي حكمة وجود القلفة السودا الذي هي حظ الشيطان فيه ولم يخلق دونها
بل خلق بها ثم كمل للخلق الانساني لانا نقول انما لم يخلق صلى الله عليه وسلم بتلك القلفة
لتحصل كمال الخلقة الانسانية لان هذه القلفة لما كانت تزال ولا بد من كل احد منها
يلزم على ازالتها من كشف الصورة كان نقص الخلقة الانسانية فيها عين الكمال بخلاف
العلقة السودا وكره الحسن ان يختن الولد في اليوم السابع لان فيه تشبها باليهود
اي لان ابراهيم عليه الصلاة والسلام لما ختن ولده اسحق يوم سابع ولادته اتخذ بنو اسرائيل
في ذلك اليوم سنة وختن ولده اسمعيل عليهما السلام لثلاث عشرة سنة قال ابو العباس
ابن تيمية رحمه الله تعالى فصار ختان اسمعيل في ذلك الوقت سنة في ولده يعني العرب ويوافقه
قول ابن عباس رضي الله عنهما كانوا لا يختنون الغلام حتى يدرك اي لان الثلاث عشر
هي مظنة الادراك ومن ثم لما سئل ابن عباس رضي الله عنهما عن سنه حين قبض رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال وانا يومئذ مختون اي في اوايل زمن الختان ولما ولد رسول
الله صلى الله عليه وسلم وقع على الارض مقبوضة اصابع يديه مشيرا بالسبابة كالمسبح بها
اقول وفي رواية عن امه انها قالت فلما خرج من بطني نظرت اليه فاذا هو ساجد قد
رفع اصبعيه كالمتضرع المبتهل وفي رواية ولا مخالفة لجواز ان يراد باصبعيه السبابتان
من اليدين والله اعلم وفي سجوده اشارة الى ان مبدا امره على القرب من الحضرة الالهية
قال وروي ابن سعد انه صلى الله عليه وسلم لما ولد وقع على يديه رافعا راسه الى السما
وفي رواية وقع على كفيه وركبتيه شاخصا ببصره الى السما انتهى اقول وفي رواية وقع
جاثيا على ركبتيه ولا يخالف هذا ما سبق انها نظرت اليه فاذا هو ساجد لجواز ان يكون
سجوده بعد رفع راسه وشخوصه ببصره الى السما ولا مخالفة بين كونه وقع على الارض مقبوضة
اصابع يديه ووقوعه على كفيه لجواز ان يكون قبض اصابعه ما عدا السبابة بعد ذلك و
ينافيه قوله مقبوضة المنصوب على الحال لقرب زمنها من الوقوع على الارض والاقتصار
على الركبتين لا ينافي الجمع بينهما وبين الكفين ورايت في كلام بعضهم انه صلى الله عليه وسلم
ولد واضعا احدى يديه على عينيه والاخرى على سوءته فليتامل والله اعلم والى رفع راسه
الشريف صلى الله عليه وسلم وشخوص بصره الى السما يشير صاحب الهمزية بقوله

رافعا راسه وفي ذلك الرفع ... الى كل سودد ايماء
رامقا طرفه السما ومرمى ... عين من شانه العلو العلاء

اي وضعته حال كونه رافعا راسه الى السما وفي ذلك الرفع الذي هو اول فعل وقع منه
صلى الله عليه وسلم بعد بروزه الى هذا العالم اشارة الى حصول كل رفعة وسيادة ووضعته
حال كونه رامقا ببصره الى السما وسر ذلك الاشارة الى علو مرماه اذ مرمى عين الذي
قصده ارتفاع مكانه الرفعة والشرف قال وقد روي انه قبض قبضة من تراب واهوى

ساجدًا فبلغ ذلك رجلًا من بني لهب فقال لصاحبه لئن صدق هذا الفال ليبلغن هذا المولود
اهل الارض اي لانه قبض عليها وصارت في يده والفال بالهمز وبدونه يقال فيما يسر والتطير
فيما يسوء فالفال ضد الطيرة بكسر الطا وفتحها اي التفاؤل ولا تطير وقيل له صلى الله عليه
وسلم ما الفال فقال الكلمة الصالحة يسمعها احدكم وقال صلى الله عليه وسلم لا عدوى ولا
طيرة ويعجبني الفال الكلمة الحسنة والكلمة الطيبة وفي رواية واحب الفال الصالح وفرق
بعضهم بين الفال والتفاؤل بان الاول يكون في سماع الادميين والثاني يكون في الطير ع
باسمايها واصواتها ومرها وقوله صلى الله عليه وسلم انه كان في وفد ثقيف رجل مجذوم
فارسل اليه النبي صلى الله عليه وسلم انا قد بايعناك فارجع ولم يصافحه وجاء لا تديموا النظر
الى المجذومين وسياتي الجواب عنه بما يحصل به الجمع بينه وبين ما جاء انه اخذ بيد مجذوم
فوضعها معه في القصعة وقال كل بسم الله عز وجل وتوكلا عليه وبنو لهب بكسر اللام
وسكون الهاء من الازد اعلم الناس بالزجر اي زجر الطير والتفاؤل بها ونفرها فقد
كان في الجاهلية اذا اراد الشخص ان يخرج لحاجة جا الى الطير وازعجها عن اوكارها فان
مر الطير عن اليمين سمي سانحًا واستبشر مريد الحاجة بقضائها وان مر على اليسار سمي بارحًا
بالموحدة والرا والحا المهملتين وقعد مريد الحاجة عنها تفاولا بعدم قضائها اي وهذا
ما فسر به امامنا الشافعي رضي الله عنه الحديث الا اقروا الطير في مكامنها فعن سفيان
ابن عيينة قال قلت للشافعي يا ابا عبد الله ما معنى هذا الحديث فقال علم العرب كان في زجر
الطير كان الرجل منهم اذا اراد سفرا جاء الى الطير في مكامنها فطيرها الحديث ويحكي
عن وايل ابن حجر وكان زاجرًا احسن الزجر انه خرج يومًا من عند زياد بالكوفة وهو
الذي الحقه معاوية بابيه ابي سفيان رضي الله عنهما وهو والد عبيد الله ابن زياد الذي
قاتل الحسين رضي الله عنه وكان اميرها المغيرة ابن شعبة فراى غرابا ينعق بالغين المعجمة
اي يصيح فرجع الى زياد وقال هذا غراب يرحلك من ههنا الى خير فقدم رسول معاوية رضي
الله عنه الى زياد من يومه بولاية البصرة وقد ذكر ان ابا ذويب الهذلي الشاعر كان مسلمًا
على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يجتمع به قال بلغنا ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم عليل ولما كان من وقت السحر هتف بي هاتف وانا نايم وهو يقول

قبض النبي محمد فعيوننا ... تذري الدموع عليه بالتسجام

قال فقمت من نومي فزعًا فرايت في السما فلم ارا الا سعد الذابح فتفاءلت به وعلمت ان النبي صلى
الله عليه وسلم قد قبض فركبت ناقتي وجئتها حتى اذا كنت بالغابة زجرت الطير فاخبرني
بوفاته صلى الله عليه وسلم فلما قدمت المدينة فاذا ضجيج بالبكا كضجيج الحاج فسالت
فقيل لي قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو مسجى وقد خلا به اهله وابو
ذويب هذا هو القايل ... امن المنون وريبها تتوجع ... والدهر ليس بمعتب من يجزع
واذا المنية انشبت اظفارها ... الفيت كل تميمة لا تنفع

وتجلدي للشامتين اريهم ... اني لريب الدهر لا اتضعضع
والنفس راغبة اذا رغبتها ... واذا ترد الى قليل تقنع

ومن زجر الطير ما حكاه بعضهم قال جاء اعرابي الى دار القاضي ابي الحسن الازدي المالكي
فجا غراب فنعق على نخلة في تلك الدار وصاح ثم طار فقال الاعرابي ان هذا الغراب يقول
ان صاحب الدار يموت بعد سبعة ايام فصاح الناس عليه وزجروه فقام وانصرف فمضى
سابع يوم مات هذا القاضي وقد جا النهي عن ذلك اي عن الزجر والطيرة في قوله
صلى الله عليه وسلم اقروا الطير في مكامنها اي لا تزجروها وجاء الطيرة شرك وجاء
من ارجعته الطيرة عن حاجته فقد اشرك اي حيث اعتقد انها توثر وجاء اذا راى احدكم
من الطيرة ما يكرهه فليقل اللهم لا ياتي بالحسنات الا انت ولا يدفع السيئات الا انت ولا حول
ولا قوة الا بك وفي رواية اللهم لا طير الا طيرك ولا خير الا خيرك ولا اله غيرك ثم يمضي لحاجته
وقد جا لا عدوى ولا طيرة ولا هامة وفي لفظ ولا هامة بالتخفيف زاد في رواية ولا صفر
والهامة هو انه كان اهل الجاهلية يزعمون انه اذا قتل القتيل ولم يوخذ بثاره يخرج
له طاير يقول عند قبره اسقوني اسقوني من دم قاتلي ولا يزال يقول ذلك
حتى يوخذ بثار القتيل وكانت العرب تسميه الهامة بالتخفيف واما الهامة بالتشديد فواحد
الهوام وهي الحيات والعقارب وما شاكلها ومن ثم كان صلى الله عليه وسلم يقول في تعويذه
للحسن والحسين اعيذكما بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامة ثم يقول هكذا ابرهيم كان
يعوذ اسمعيل واسحق عليهم الصلاة والسلام وقوله ولا صفر ذكر الامام النووي ان المراد
به حية صفرا تكون في جوف الانسان اذا جاع توذيه كذا كانت العرب تزعم ذلك قال
وهذا التفسير هو الصحيح الذي عليه عامة العلما وقد ذكره مسلم عن جابر راوي الحديث
فتعين اعتماده وروى ابن سعد ايضا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال رات امي
حين وضعتني سطع منها نور اضات قصور بصرى وفي رواية انها قالت لما وضعته خرج
معه نور اضا له ما بين المشرق والمغرب فاضات له قصور الشام واسواقها حتى رات اعناق
الابل ببصرى وفي الخصايص الصغرى عنه ورات امه عند ولادته نورا خرج منها اضات
له قصور الشام وكذلك امهات الانبيا يرين انتهى ولعل المراد به مطلق النور لا الذي
تضي منه قصور الشام وقوله قصور الشام الخ ظاهر ان المراد جميع الاقليم لا خصوص
بصرى ولعل الاقتصار على بصرى في الروايات لكون النور كان بها اتم ومن ثم قال حتى
رايت اعناق الابل ببصرى او رايته مع وصول النور الى بصرى خاصة ومع مجاوزتها تامل
والى هذا النور يشير عمه العباس رضي الله عنه بقوله في قصيدته التي امتدح بها
رسول الله صلى الله عليه وسلم عند رجوعه صلى الله عليه وسلم من غزوة تبوك وقد
قال له في مرجعه من تلك الغزوة يا رسول الله اني اريد ان امتدحك فقال له صلى الله
عليه وسلم لا يفضض الله فاك فقال قصيدة منها

قبل

وانت لما ولدت اشرقت الا ... رض وضاءت بنورك الافق
فنحن في ذلك الضيا وفي النو ... ر وسبل الرشاد نخترق
والى ذلك يشير صاحب الهمزية رحمه الله بقوله
وتراءت قصور قيصر بالروم ... يراها من داره البطحاء

اي رويت وصور ممالك الروم في بلاد الروم يبصرها الذي داره بمكة **قال** وهاظاهر في انها رات ذلك النور يقظة وتقدم في حديث شداد انها راته مناما وقد تقدم الجمع انتهى **وذكر** ان امامنا الشافعي رضي الله عنه رات وهي حامل به ان النجم المسمى بالمشتري خرج من فرجها فوقع في مصر ثم وقع في كل بلدة منه شظية فتاول ذلك اصحاب تاويل الرؤيا بانها تلد عالما يكون علمه بمصر اولا ثم ينتشر الى سائر البلدان **وروى** السهيلي عن الواقدي رحمهما الله انه صلى الله عليه وسلم لما ولدته امه تكلم فقال جلال ربي الرفيع وروى ايضا ان اول ما تكلم به صلى الله عليه وسلم لما ولدته امه حين خروجه من بطنها الله اكبر كبيرا والحمد لله كثيرا وسبحان الله بكرة واصيلا ولا مانع انه تكلم بكل ذلك والاولية في الرواية الثانية اضافية لما لا يخفى وقد وقع الاختلاف في وقت ولادته صلى الله عليه وسلم اي هل كان ليلا او نهارا وعلى الثاني في اي وقت كانت من ذلك النهار وفي شهره وفي عامه وفي محلة **فقيل** ولد في يوم الاثنين قال بعضهم لا خلاف فيه بل اخطا واساء بل اخطا من قال ولد يوم الجمعة اي فعن قتادة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن يوم الاثنين فقال ذلك يوم ولدت فيه **وذكر** الزبير ابن بكار والحافظ ابن عساكر ان ذلك كان حين طلوع الفجر ويدل له قول جده عبد المطلب ولد لي الليلة مع الصبح مولود وعن سعيد ابن المسيب ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم عند ابهار النهار اي وسطه وكان ذلك لمضي ثنتي عشرة ليلة مضت من شهر ربيع الاول اي

وكان في فصل الربيع وقد اشار الى ذلك بعضهم بقوله
يقول لنا لسان الحال عنه ... وقول الحق يعذب للسميع
فوجهي والزمان وشهر وضعي ... ربيع في ربيع في ربيع

قال وحكى الاجماع عليه وعليه العمل الان في ائمة الامصار خصوصا اهل مكة في زيارتهم موضع مولده صلى الله عليه وسلم وقيل لعشر ليال مضت منه لعله وصحح انتهى اي وصححه الحافظ الدمياطي اي لان الاول قال فيه ابن دحية وذكره ابن اسحق مقطوعا دون اسناد وذلك لا يصح اصلا ولو اسنده ابن اسحق لم يقبل منه لتجريح اهل العلم له فقد قال كل من ابن المديني وابن معين ان ابن اسحق ليس بحجة ووصفه مالك رضي الله عنه بالكذب قيل وانما طعن فيه مالك لانه بلغه عنه انه قال هاتوا حديث مالك فانا طبيب بعلله فعند ذلك قال مالك واما ابن اسحق فانما هو دجال من الدجاجلة اخرجناه من المدينة قال بعضهم ابن اسحاق ثقة ولكنه مدلس **وقيل** لسبع عشرة ليلة خلت منه وقيل

لثمان

لثمان خلت منه قال ابن دحية وهو الذي لا يصح غيره وعليه اجمع اهل التاريخ وقال القطب القسطلاني هو اختيار اكثر اهل الحديث اي كالحميدي وشيخه ابن حزم وقيل لليلتين خلتا منه وبه جزم ابن عبد البر وقيل لثمان عشرة ليلة خلت منه رواه ابن ابي شيبة وهو حديث معلول وقيل لاثنتي عشرة بقين منه وقيل لاثنتي عشرة وقيل لثمان عشرة ليلة خلت من رمضان وصححه كثير من العلماء وهذا هو الموافق لما تقدم من ان امه حملت به في ايام التشريق او في يوم عاشوراء وانه مكث في بطنها تسعة اشهر كوامل لكن قال بعضهم ان هذا القول غريب جدا ومستنده قائله انه اوحي اليه في رمضان فيكون مولده في رمضان وعلى انها حملت به في ايام التشريق الذي لم يذكروا غيره يعلم في بقية الاقوال **قال** وقيل ولد في صفر وقيل في ربيع الاخر وقيل في محرم وقيل في عاشوراء اي كما ولد عيسى عليه السلام وقيل لخمس بقين منه انتهى اي وذكر الذهبي ان القول بانه ولد في عاشوراء من الافك اي الكذب وفيه ان كان ذلك لانه لا يجامع انها حملت به في ايام التشريق وانه مكث في بطنها تسعة اشهر كوامل لا يختص الافك بهذا القول بل ياتي فيما عدا القول بانه ولد في رمضان **ثم رايت** بعضهم حكى انه حمل به في شهر رجب ولم يصح والقول المشهور بولادته في ربيع الاول وعن ابن عباس رضي الله عنهما ولد يوم الاثنين في ربيع الاول ونزلت عليه النبوة يوم الاثنين في ربيع الاول وهاجر الى المدينة يوم الاثنين في ربيع الاول ونزلت عليه البقرة يوم الاثنين في ربيع الاول وتوفي يوم الاثنين في ربيع الاول قال بعضهم وهذا غريب جدا وقيل لم يولد نهارا بل ولد ليلا فعن عثمان ابن ابي العاص عن امه رضي الله عنها انها شهدت ولادة النبي صلى الله عليه وسلم ليلا قالت فما شيء انظر اليه من البيت الا نور واني لانظر الى النجوم تدنو حتى اني لاقول ليقعن علي قال ابن دحية رحمه الله هو حديث مقطوع قال بعضهم ولا يصح عندي بوجه انه ولد ليلا لقوله صلى الله عليه وسلم الثابت عنه بنقل العدل انه سئل عن صوم يوم الاثنين فقال فيه ولدت واليوم انما هو النهار بنص القران وايضا الصوم لا يكون الا نهارا **وافاد** البدر الزركشي ان هذا الحديث اي المتقدم عن ام عثمان ابن ابي العاص على تقدير صحته لا دلالة فيه على انه ولد ليلا قال فان زمان النبوة صالح للخوارق ويجوز ان تسقط النجوم نهارا اي فضلا عن ان تشكل وتسقط سيما ان قلنا ولد عند الفجر لان ذلك ملحق بالليل والى التردد في وقت ولادته صلى الله عليه وسلم هل هو في الليل او في النهار اشار صاحب الهمزية بقوله

ليلة المولد الذي كان للدين ... سرور بيومه وازدهاء
فهنيئا به لآمنة الفضل ... الذي شرفت بها حواء
من لحوا انها حملت احمد ... او انها به نفساء
يوم نالت بوضعه ابنة وهب ... من فخار ما لم تنله النساء

اي ليلة المولد الذي وجد الفرح والافتخار للدين بيومه وقد اضاف كلا من الليل واليوم

للولادة مراعاة للخلاف في ذلك فيشكل لامنة الفضل الذي جعل لها بسبب ولادتها له صلى الله
عليه وسلم اي لاشرف ذلك الفضل ولا سيما الذي شرفت به ذلك الفضل حوا التي هي ام
البشر ومن يشفع لحواء انها حملت به وانها اصابها نفاس في يوم اعطت امنة بنت وهب
بسبب وضعه من الفخار وهو ما يمتدح به من الخصال العلية والشيم المرضية ما لم يعط غيرها
من النساء اي وقد اقسم الله بليلة مولده صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى والضحى والليل
وقيل اراد بالليل ليلة الاسرى ولا مانع ان يكون الاقسام وقع بهما اي استعمل الليل فيهما
ويدل لكون ولادته صلى الله عليه وسلم كانت ليلا قول بعض اليهود ممن عنده علم الكتاب
لقريش هل ولد فيكم الليلة مولود قالوا لا نعلم قال ولد الليلة نبي هذه الامة الاخيرة الى
اخرها يأتي وسياتي ما يدل على ذلك وهو وضعه تحت الجفنة وولادته صلى الله عليه وسلم قيل
كانت في **عام الفيل** وقيل في يومه فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال ولد رسول الله
صلى الله عليه وسلم يوم الفيل وعن قيس ابن مخرمة ولدت انا ورسول الله صلى الله عليه
وسلم يوم الفيل فنحن لدان قال الحافظ ابن حجر المحفوظ لفظ العام اي بدل لفظ اليوم
وقد يراد باليوم مطلق الوقت فيصدق بالعام كما يقال يوم الفتح ويوم بدر وعليه فلدان
معناه متفقان في السن بالموحدة وعلى ان المراد باليوم حقيقته يكون بالنون **وفي تاريخ**
ابن حبان رحمه الله ولد عام الفيل في اليوم الذي بعث الله الطير الابابيل على اصحاب الفيل
وعند ابن سعد ولد يوم الفيل يعني عام الفيل انتهى اي لما تقدم عن ابن حجر وعليه فيكون
قول ابن حبان في اليوم تغييرا للعام على ان المراد باليوم مطلق الوقت الصادق بالعام
وقيل ولد بعد الفيل بخمسين يوما وقيل باربعين يوما ٥ وقيل بشهر وقيل بعشر سنين وقيل
بثلاثة وعشرين سنة ٥ وقيل بثلاثين سنة ٥ وقيل باربعين سنة ٥ وقيل بسبعين سنة انتهى
اي وعلى انه بعد الفيل بخمسة وخمسين يوما اقتصر الحافظ الدمياطي وعبارة المواهب حكاه
الدمياطي في اخرين وكونه في عام الفيل قال الحافظ ابن كثير هو المشهور عند الجمهور وقال
ابراهيم ابن المنذر شيخ البخاري لا يشك فيه احد من العلما ونقل غير واحد فيه الاجماع
وقال كل قول يخالفه وهم اي وقيل قبل عام الفيل بخمسة عشر سنة قال بعضهم وهذا
غريب منكر وضعيف ايضا **اقول** والقول بانه ولد قبل عام الفيل او فيه او بعده بعشر
سنين يقتضي تضعيف ما ذكره الحافظ ابو سعد النيسابوري رحمه الله ان نور النبي صلى
الله عليه وسلم كان يضيء في غرة جبهة عبد المطلب وكانت قريش اذا اصابها جدب اخذت
بيد عبد المطلب الى جبل ثبير يستسقون به فيسقيهم الله ببركة ذلك النور **وانه لما قدم**
صاحب الفيل لهدم الكعبة لتكون كنيسته التي بناها ويقال لها القليس بجميع لارتفاع بنائها
ومنه القلانس لانها في اعلا الراس مكان الكعبة في الحج اليها وقد اجتهد ابرهة في زخرفتها
فجعل فيها الرخام المجزع والحجارة المنقوشة بالذهب وكان ينقل ذلك من قصر بلقيس صاحبة
سليمان عليه الصلاة والسلام وجعل فيها صلبانا من الذهب والفضة ومنابر من العاج

والابنوس

والابنوس وشدد على عمالها بحيث اذا طلعت الشمس قبل ان ياخذ العامل العمول في يده
قطع يده فنام رجل منهم ذات يوم حتى طلعت الشمس فجاءت معه امه وهي امراة عجوز فتضرعت
اليه في ان لا يقطع يد ولدها فابى الا قطع يده فقالت له اضرب بمعولك اليوم فاليوم لك
وغدا لغيرك فقال لها ويحك ماذا قلتي فقالت نعم كما صار هذا الملك من غيرك اليك
فكذلك يصير منك الى غيرك فاخذته موعظتها وعفا عنه ورجع عن هذا الامر **فعند ذلك**
ركب عبد المطلب في قريش الى جبل ثبير فاستدار ذلك النور في وجه عبد المطلب كالهلال
والقى شعاعه على البيت مثل الغمام مثل السراج فلما نظر عبد المطلب لذلك قال يا معشر قريش
ارجعوا فقد كفيتم هذا الامر فوالله ما استدار هذا النور الا ان يكون لنا الظفر فارجعوا
فرجعوا فلما دخل رسول صاحب الفيل الى مكة ونظر الى وجه عبد المطلب خضع وتلجلج
لسانه وخر مغشيا عليه اي فكان يخور عند ذبحه فلما افاق خر ساجدا لعبد المطلب
كالثور
اي فان صاحب الفيل امره ان يقول لقريش ان الملك انما جاء لهدم البيت فان لم يحولوا
بينه وبينه لم يزد على هدمه وان حلتم بينه وبينه اتى عليكم فقال له عبد المطلب ما عندنا
منعة ولا ندفع عن هذا البيت وله رب ان شاء منعه اي وفي لفظ قال عبد المطلب والله ما
نريد حربه وما لنا منه بذلك طاقة هذا بيت الله الحرام وبيت ابراهيم خليل الله فان يمنعه منه
فهو بيته وحرمه وان لم يحل بينه وبينه فوالله ما عندنا دفع عنه وامر ابرهة رسوله ايضا
ان يأتيه بسيد القوم فقال لعبد المطلب قد امرني ان اتيه بك فقال له عبد المطلب افعل
فجاءه رعاة ابله وخيله واخبره ان الحبشة اخذت الابل والخيل التي كانت ترعى بذي المجاز
وفي سيرة ابن هشام وفي غالب السير الاقتصار على الابل انها كانت مائتي بعير وقيل
اربعمائة ناقة فركب عبد المطلب صحبة رسول صاحب الفيل وركب معه ولده الحارث فاستوذن
له على ابرهة اي وقيل له ايها الملك هذا سيد قريش ببابك يستاذن عليك وهو صاحب
عين مكة يعني زمزم وهو يطعم الناس بالسهل والوحوش في رؤس الجبال فاذن له فلما
دخل وراه ابرهة اجله واكرمه عن ان يجلس تحته وكره ان تراه الحبشة يجلسه على سرير
ملكه فنزل عن سريره واجلسه معه على البساط وقال لترجمانه اسأله عن حاجته فذكر
ابله وخيله فذكر الترجمان له ذلك فقال للترجمان بلسان الحبشة قل له كنت اعجبتني اذ
رايتك ثم قد زهدت فيك اذ سألتني ابلا وخيلا وتركت ان تسأل عن البيت الذي هو عزك
فقال له الترجمان ذلك فقال عبد المطلب انا رب الابل والخيل التي سألتها الملك واما البيت
فله رب ان يشاء يمنعه من الملك فقال ابرهة ما كان ليمنعه مني فرد عليه ما كان اخذ له
وانصرف وابرهة بلسان الحبشة الابيض الوجه **ثم ان الفيل** لما نظر الى وجه عبد المطلب
برك كما يبرك البعير وخر ساجدا وانطق الله الفيل وقال السلام على النور الذي في
ظهرك يا عبد المطلب قبل دخوله عليه وفي كلام بعضهم ان ابرهة لما بلغه مجيء عبد المطلب
اليه امر ان يذهب به الى الفيلة ليراها ويرى الفيل العظيم وكان ابيض اللون **اقول**

رايت ان ملك الصين كان في مربط الف فيل ابيض وكان مع الفرس في قتال ابي عبيد ابن
مسعود الثقفي امير الجيش في خلافة الفاروق افيلة كثيرة عليها الجلاجل وقدموا بين
ايديهم فيلا عظيما ابيض وصارت خيول المسلمين كلما صهلت وسمعت حس الجلاجل نفرت
فامر ابو عبيد رضي الله عنه ان يقتلوا الفيلة فقتلوها عن اخرها وتقدم ابو عبيد لهذا
الفيل العظيم الابيض فضربه بالسيف فقطع زلومه فصاح الفيل صيحة عظيمة هائلة و
حمل على ابي عبيد فتخبطه برجليه ووقف فوقه فقتله فحمل على الفيل شخص كان ابو عبيد
اوصى ان يكون اميرا بعده فقتله ثم اخر فقتله حتى قتل سبعة من ثقيف كان قد نص ابو عبيد عليهم
واحدا بعد واحد وهذا من اغرب الاتفاقيات والله اعلم وانما اري عبد المطلب الفيلة
ارهابا له وتخويفا فان العرب لم تكن تعرف الافيال وكانت الافيال كلها ما عدا الفيل
الاعظم تسجد لابرهة واما الفيل الاعظم فلم يكن يسجد الا للنجاشي فلما رات الفيلة عبد
المطلب سجدت حتى الفيل الاعظم وقيل ان ابرهة لم يخرج الا بالفيل الاعظم ولما بلغ ابرهة
سجود الفيلة لعبد المطلب تطير ثم امر باحضار عبد المطلب عليه فلما راه القيت له الهيبة
في قلبه فنزل عن سريره تعظيما لعبد المطلب ثم رايت العلامة ابن حجر في شرح الهمزية حاول
الجواب عن هذا الذي تقدم عن الحافظ النيسابوري من ان النور استقر في وجه عبد
المطلب اي وقول الفيل السلام على النور الذي في ظهرك يا عبد المطلب مع ان ولادته صلى
الله عليه وسلم في ذلك الوقت يلزمها ان يكون النور انتقل من عبد المطلب الى عبد الله
ثم انتقل من عبد الله الى امنة بان النور وان انتقل من عبد المطلب لكن اكرم الله عبد المطلب
فاحدث ذلك النور في ظهره وفي وجهه واطلع الفيل عليه هذا كلامه فليتامل **وذكر بعضهم**
ان الفيل مع عظم خلقه صوته ضئيل اي ضعيف ويفرق اي يخاف من السنور الذي هو القط
ويفزع منه وفي المواهب المشهور انه صلى الله عليه وسلم ولد بعد الفيل لان قصة الفيل
كانت توطئة لنبوته ومقدمة لظهوره وبعثته هذا كلامه وفيه انه قد يقال الارهاصات
انما تكون بعد وجوده وقبل مبعثه الذي هو وعاء الرسالة لا قبل وجوده بالكلية الذي
هو المراد بظهوره وحينئذ فقول القاضي البيضاوي رحمه الله انها من الارهاصات اذ روي انها
وقعت في السنة التي ولد فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم اي بعد وجوده ومن ثم قال
ابن القيم في الهدي ان مما جرت به عادة الله ان يقدم بين يدي الامور العظيمة مقدمات
تكون كالموصلة لها فمن ذلك قصة مبعثه عليه الصلاة والسلام تقدمها قصة الفيل هذا
كلامه **قال فلما** شرع ابرهة في الذهاب الى مكة ووصل الفيل الى اول الحرم وفي المواهب
اسقط هذا وهو يوهم انهم دخلوا مكة وان الفيل برك دون البيت فليتامل وعنده
وصوله الى اول الحرم برك فصاروا يضربون راسه ويدخلون الكلاليب في مراق بطنه فلا
يقوم فوجهوه وجهة الجهة اليمن فقام يهرول وكذا الى جهة الشام ففعل ذلك مرارا فامر
ابرهة ان يسقى الفيل الخمر ليذهب تمييزه فسقوه فثبت على امره ويقال انما برك لان نفيل

ابن

ابن حبيب الخثعمي قام الى جنب الفيل فعرك اذنه وقال ابرك محمودا وارجع راشدا من حيث
جئت فانك في بلد الله الحرام ثم ارسل اذنه فبرك قال السهيلي رحمه الله الفيل لا يبرك فيحتمل
ان يكون بروكه سقوطه على الارض لما جاءه من امر الله ويحتمل ان يكون فعل البروك وهو
الذي يلزم موضعه ولا يبرح فعبر بالبروك عن ذلك **قال** وقد سمعت من يقول ان
في الفيلة صنفا منها يبرك كما يبرك البعير **وعند ذلك** ارسل الله عليهم الطير الابابيل خرجت
من البحر امثال الخطاطيف ويقال ان حمام الحرم من نسل تلك الطير فاهلكتهم وقد يقال
ان هذا اشتباه لان الذي قيل انه من نسل الابابيل انما هي شئ يشبه الزرازير يكون
بباب ابرهيم من الحرم والاشياع ان حمام الحرم من نسل الحمام الذي عشش على فم الغار
على ما سياتي فيه وفي حياة الحيوان ان الطير الابابيل تعشش وتفرخ بين السماء والارض
ولما هلك صاحب الفيل وقومه عزت قريش وهابتهم الناس كلهم وقالوا اهل الله لان الله
وفي لفظ ان الله قاتل عنهم وكفاهم مؤنة عدوهم الذي لم يكن لسائر العرب بقتاله
قدرة وغنموا اموال اصحاب الفيل اي ومن ثم مزقت الحبشة كل ممزق وخرب ما حول تلك
الكنيسة التي بناها ابرهة فلم يعمرها احد وكثرت حولها السباع والحيات ومردة الجن
وكان كل من اراد ان ياخذ منها شيئا اصابته الجن واستمرت كذلك الى زمن السفاح الذي
هو اول خلفاء بني العباس فذكر له امرها فبعث اليها عامله على اليمن فخربها واخذ
خشبها المرصع بالذهب والالات المفضضة التي تساوي قناطير من الذهب فحصل
له منها مال عظيم وحينئذ عفي رسمها وانقطع خبرها واندرست اثارها وقد كان عبد المطلب
امر قريشا ان تخرج من مكة وتكون في رؤس الجبال خوفا عليهم من المعرة وخرج هو وايام
الى ذلك بعد ان اخذ بحلقة باب الكعبة ومعه نفر من قريش يدعون الله ويستنصرونه على
ابرهة وجنده وقال ﴿ لاهم ان العبد يمنع رحله ﴾ ﴿ فامنع حلالك ﴾ ﴿ لا يغلبن صليبهم
ومحالهم غدوا محالك ﴾ اي فانهم كانوا نصارى ولاهم اصله اللهم فان العرب تحذف
الالف واللام وتكتفي بما بقي وكذلك تقول لاه ابوك تريد الله ابوك والحلال بكسر الحاء
المهملة جمع حلة وهي البيوت المجتمعة بكسر الميم الشدة والقوة والغدو بالغين المعجمة اصل
الغد وهو اليوم الذي ياتي بعد يومك الذي انت فيه ويقال ان عبد المطلب جمع قومه
وعقد رايته وعسكر بمنى وجمع ابن ظفر رحمه الله بينه وبين ما تقدم من انه خرج مع
قومه الى رؤس الجبال بانه يحتمل انه امر ان تكون الذرية في رؤس الجبال اي وخرج
معهم ثانيا لهم ثم رجع وجمع الله المقاتلة اي ويؤيد ذلك قول المواهب ثم ان ابرهة
امر رجلا من قومه يهزم الجيش فلما وصل الى مكة ونظر الى وجه عبد المطلب خضع الى
اخر ما تقدم فاسقاط المواهب كون قريش جيشا حينئذ مع قوله ان ابرهة ارسل
رجلا من قومه ليهزم الجيش لا يحسن ثم ركب عبد المطلب لما استبطا مجئ القوم الى مكة
ينظر ما الخبر فوجدهم قد هلكوا اي غالبهم وذهب غالب من بقي فاحتمل ما شاء من بيضاء

والحال ع

وصغرا ثم اذن اي اعلم اهل مكة بهلاك القوم فخرجوا فانتهبوا وفي كلام بعضهم سبط
ابن الجوزي رحمه الله وبسبب غنا عثمان ابن عفان رضي الله عنه ان اباه عفان وعبد
المطلب وابا مسعود الثقفي لما هلك ابرهة وقومه كانوا اول من نزل مخيم الحبشة فاخذوا
من اموال ابرهة واصحابه شيئا كثيرا ودفنوه عن قريش فكانوا اغنيا قريش واكثرهم مالا
ولما مات عفان ورثه عثمان رضي الله عنه اي ومن جملة من سلم من قوم ابرهة ولم
يذهب بل بقي بمكة سائس الفيل وقائده فعن عائشة رضي الله عنها ادركت قائد الفيل
وسائقه بمكة اعميين مقعدين يستطعمان الناس واورد على هذا ان الحجاج ضرب
مكة بضرب المنجنيق ولم يصبه ويجاب بان الحجاج لم يجي لهدم الكعبة ولا التخريبها ولم
يقصد ذلك وانما قصد التضييق على عبد الله ابن الزبير رضي الله عنهما ليسلم نفسه
وهذا اولى من جواب المواهب كما لا يخفى والله اعلم **وكان مولده** صلى الله عليه وسلم بمكة
في الدار التي صارت تدعى لمحمد ابن يوسف اخي الحجاج اي وكانت قبل ذلك لعقيل ابن ابي
طالب ولم تزل بيد اولاده بعد وفاته الى ان باعوها لمحمد ابن يوسف اخي الحجاج
بمائة الف دينار وقال الفاكهي فادخلها في داره وسماها البيضا اي لانها بنيت بالجص
ثم طليت به فكانت كلها بيضا وصارت تعرف بدار ابن يوسف لكن سياتي في فتح مكة
انه قيل له يا رسول الله تنزل في الدور فقال هل ترك لنا عقيل من رباع او دور فان
هذا السياق يدل على ان عقيلا باع الدار فلم تبق بيده ولا بيد اولاده بعده الا ان يقال
المراد باع ما عدا هذه الدار التي هي مولده صلى الله عليه وسلم اي لانه كما سياتي في
الفتح باع دار ابيه ابي طالب لانه وطالبا اخاه ورثا ابا طالب لانهما كانا كافرين عند
موت ابي طالب دون جعفر وعلي رضي الله عنهما فانهما كانا مسلمين وعقيل اسلم بعد
موته وطالب فان طالبا اختطفته الجن ولم يعلم به وان عقيلا باع دار رسول الله صلى (تقدم)
الله عليه وسلم التي هي دار خديجة اي التي يقال لها مولد فاطمة وهي الان مسجد يصلى
فيه بناه معاوية رضي الله عنه ايام خلافته وهو افضل مسجد وضع بمكة بعد المسجد
الحرام اي اشتهر بمولد فاطمة لشرفها والا فهو مولد بقية اخواتها من خديجة ولعل
معاوية رضي الله عنه اشترى تلك الدار ممن اشتراها من عقيل ويدل لما قلنا قول
بعضهم لم يتعرض صلى الله عليه وسلم عند فتح مكة لتلك الدار التي اتفقها في يد عقيل
اي التي هي دار خديجة رضي الله عنها فانه لم ينزل بها صلى الله عليه وسلم حين هاجر (صلى الله عليه وسلم)
فاشتراها عقيل **وفي كلام بعضهم** لما فتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة ضرب
له خيمة بالحجون فقيل له الا تنزل منزلك من الشعب فقال وهل ترك لنا عقيل منزلا
وكان عقيل قد باع منزل رسول الله صلى الله عليه وسلم ومنازل اخوته حين
هاجروا من مكة ومنزل كل من هاجر من بني هاشم وفي كلام بعضهم كان عقيل
تخلف عنهم في الاسلام والهجرة فانه اسلم عام الحديبية التي هي السنة السادسة

وباع

وباع دورهم فلم يرجع النبي صلى الله عليه وسلم في شيء منها وهي اي تلك الدار التي ولد
بها صلى الله عليه وسلم عند الصفا بنتها زبيدة زوجة الرشيد ام الامين مسجدا لما
حجت وفي كلام ابن دحية ام هارون الرشيد لما حجت اخرجت تلك الدار من دار ابن يوسف
وجعلتها مسجدا ويجوز ان تكون زبيدة جددت ذلك المسجد الذي بنته الخيزران (ان الخيزران م)
فنسبت لكل منهما وسياتي ان الخيزران بنت دار الارقم مسجدا وهي عند الصفا ايضا ولعل
الامر التبس على بعض الرواة لان كلا منهما عند الصفا وقيل ولد صلى الله عليه وسلم
في شعب بني هاشم **اقول** وقد يقال لا مخالفة لانه يجوز ان تكون تلك الدار من شعب
بني هاشم ثم رايت التصريح بذلك ولا ينافيه ما تقدم في الكلام على الحمل من ان شعب
ابي طالب وهو من جملة شعب بني هاشم كان عند الحجون لانه يجوز ان يكون ابو طالب
انفرد عنهم بذلك الشعب والله اعلم **قال** وقيل ولد صلى الله عليه وسلم في الردم
اي ردم بني جمح وهم بطن من قريش ونسب لبني جمح لانه ردم على من قتلوا في الجاهلية
من بني الحارث وقد وقع بين بني جمح وبين بني الحارث في الجاهلية مقتلة وكان الظفر
فيها لبني جمح على بني الحارث فقتلوا منهم جمعا كثيرا وردم على تلك القتلى بذلك المحل
وقيل ولد بعسفان انتهى **اقول** مما يرد القول بكونه ولد بعسفان ما ذكره بعض
فقهائنا ان من جملة ما يجب على الولي ان تعلم موليه اذا ميز انه صلى الله عليه وسلم
ولد بمكة ودفن بالمدينة الا ان يقال ذلك بنا على ما هو الاصح عندهم والردم هو المحل
الذي كانت ترى منه الكعبة قبل الان ويقال له الان المدعى لانه يدعى فيه بالدعا الذي
يقال عند روية الكعبة ولم اقف على انه صلى الله عليه وسلم وقف به ولعله لم يكن
مرتفعا في زمنه صلى الله عليه وسلم لانه انما رفع وبناه سيدنا عمر رضي الله عنه في
خلافته لما سال السيل العظيم الذي يقال له سيل ام نهشل وهي بنت عبيدة ابن سعيد
ابن سعيد ابن العاص فانه اخذها والقاها اسفل مكة فوجدت هناك ميتة ونقل
المقام اي الى ان القاه اسفل مكة فجيء به وجعل عند الكعبة وكوتب عمر رضي الله عنه (محل المقام م)
بذلك فحضر وهو مرعوب فزع ودخل مكة معتمرا فوجد ذلك دثرا وصار لا يعرف محله
ذلك ثم قال انشد الله عبدا عنده علم من محل هذا المقام فقال المطلب ابن وداعة رضي
الله عنه انا يا امير المومنين عندي علم بذلك فقد كنت اخشى عليه مثل ذلك فاخذت
قدره من موضعه الى باب الحجر ومن موضعه الى زمزم بقماط فقال له اجلس عندي
وارسل فارسل فجي بذلك القماط فقيس به ووضع المقام بمحله الان واحكم ذلك
واستمر الى الان فعند ذلك بني هذا المحل الذي يقال له الردم بالصخرات العظيمة
ورفعه فصار لا يعلوه السيل فصارت الكعبة تشاهد منه وقد حالت الابنية فصارت لا
ترى ومع ذلك لا باس بالوقوف عنده والدعا فيه تبركا بمن سلف ولعل هذا محمل قول
من قال اول من نقل المقام الى محله وكان ملصقا بالكعبة عمر ابن الخطاب رضي الله عنه

فلا ينافي ان قوله القائل له هو صلى الله عليه وسلم كما سياتي لكن رايت ابن كثير قال وقد
كان هذا الحجر اي الذي هو المقام ملصقا بجدار الكعبة على ما كان عليه من قديم الزمان
الى ايام عمر ابن الخطاب رضي الله عنه فاخره عنه لئلا يشغل المصلين عنده الطائفين
بالبيت هذا كلامه وقوله من قديم الزمان ظاهره من عهد ابراهيم على نبينا وعليه
افضل الصلاة والسلام فليتامل وعن كعب الاحبار رضي الله عنه اني لاجد في التوراة
عبدي احمد المختار مولده بمكة اي وهو ظاهر في ان كعب الاحبار كان قبل الاسلام
على دين اليهودية **قال** وعن عبد الرحمن ابن عوف رضي الله عنه عن ام الشفا
اي بكسر الشين المعجمة وتخفيف الفا وقيل بفتحها وقيل بفتحها وتخفيف تشديد الفاء
مقصورا قالت لما ولدت امنه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقع على يدي اي فهي
داية صلى الله عليه وسلم ووقع في كلام ابن دحية ان ام ايمن داية وقد يقال الداية
غير ام ايمن لانها قامت بخدمته صلى الله عليه وسلم ومن ثم قيل لها حاضنة وللشفا قابلة
وقد قيل في اسم الوالدة والقابلة الامن والشفا وفي اسم الحاضنة البركة والنمو وفي
اسم مرضعته اولا وهي ثويبة الثواب وفي اسم مرضعته المستقلة برضاعه التي هي حليمة
السعدية الحلم والسعد قالت ام عبد الرحمن فاستهل فسمعت قائلا يقول يرحمك الله او
رحمك الله ربك ولهذا القول الذي لا يقال الا عند العطاس اي الذي هو التشميت بالشين
المعجمة والمهملة وحمل بعضهم الاستهلال الذي هو في المشهور صياح المولود اول ما
يولد يقال استهل المولود اذا رفع صوته على العطاس مع الاعتراف بانه لم يكن في شيء من
الاحاديث بانه صلى الله عليه وسلم لما ولد عطس انتهى اي فقد قال الحافظ السيوطي رحمه
الله لم اقف في شيء من الاحاديث على حديث يدل على انه صلى الله عليه وسلم لما ولد عطس
بعد مراجعة احاديث المولد من مظانها اي وعطس بفتح الطا يعطس بالكسر والضم وحكي
الفتح ولعله من تداخل اللغتين لكن في الجامع الصغير استهلال الصبي العطاس وقد
يكون استهلال المولود له معنيان مجرد رفع الصوت والعطاس وحمل هنا على العطاس
بقرينة الجواب الذي لا يقال الا عند العطاس وقد اشار الى التشميت صاحب الهمزية رحمه
الله بقوله «شمتته الاملاك اذ وضعته» «وشفتنا بقولها الشفا»
اي قالت له الاملاك رحمك الله او يرحمك ربك وقت وضع امه له وفرحتنا بقولها المذكور
الشفا التي هي ام عبد الرحمن ابن عوف رضي الله عنهما **اقول** قال بعضهم ولعله صلى
الله عليه وسلم حمد الله بعد عطاسه لما استقر من شرعه الشريف انه لا يسن التشميت
الا لمن حمد الله تعالى هذا كلامه ويدل لما قد جاء فيما تقدم انه حين خروجه من بطن
امه قال الحمد لله كثيرا وفي كلام بعض شراح الهمزية ويجوز ان يكون شمت من غير حمد
تعظيما لقدره وقد جاء ان العاطس ان حمد الله فشمتوه وان لم يحمد الله فلا تشمتوه
وجاء اذا عطس فحمد الله فحق على كل من سمعه ان يشمته وفي الصحيح ان رجلا عطس

تقريرهم

بعد عطاسه

عند النبي صلى الله عليه وسلم وحمد الله فشمته وعطس آخر فلم يحمد فلم يشمته وفي
حديث حسن اذا عطس احدكم فليشمته جليسه فاذا زاد على ثلاثة فهو مزكوم فلا
يشمت بعد ثلاث وتمسك بذلك اي بالامر بالتشميت بصيغة افعل التي هي الاصل
فيها الوجوب وبقوله حق اهل الظاهر على وجوب التشميت على كل من سمع وذهب بعض
الائمة الى وجوبه على الكفاية وهو المنقول عن مشهور مذهب مالك رضي الله عنه اي
وعن ابن عباس رضي الله عنهما ليس على ابليس اشد من تشميت العاطس وعن سالم
ابن عبد الله الاشجعي رضي الله عنه وكان من اهل الصفة قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم اذا عطس احدكم فليحمد الله عز وجل وليقل من عنده يرحمك الله وليرد عليهم
يغفر الله لي ولكم **ومن لطيف** ما اتفق ان الخليفة المنصور وشى عنده ببعض عماله فلما حضر
عنده عطس المنصور فلم يشمته ذلك العامل فقال له المنصور ما منعك من التشميت فقال
انك لم تحمد الله فقال حمدت الله في نفسي فقال قد شمتك في نفسي فقال ارجع الى عملك
فانك اذا لم تحابني لا تحابي غيري **قال** بعضهم والحكمة في قول العاطس ما ذكر انه ربما
انه كان العطاس سببا لالتواء عنقه فيحمد الله على معافاته من ذلك قال غيره لان الاذى
وهي الابخرة المحتقنة تندفع به عن الدماغ الذي فيه قوة التذكر والتفكر اي فهي هي
بحران الراس كما ان العرق بحران بدن المريض وذلك نعمة جليلة وفائدة عظيمة ينبغي ان يحمد
الله تعالى عليها اي ولان الاطبا كما زعم بعضهم نصوا على ان العطاس من انواع الصرع
اعاذنا الله من الصرع وقد ينازع فيه ما تقدم وما ذكره بعض الاطبا ان العطاس
للدماغ كالسعال للرئة **قال** والعطاس انفع الاشيا لتخفيف الراس وهو مما يعين على
نقص المواد المحتبسة ويسكن ثقل الراس فيحصل منه النشاط والخفة وفي نوادر الاصول
للترمذي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا جبريل يخبركم عن الله تعالى ما من
مؤمن يعطس ثلاث عطاسات متواليات الا كان الايمان في قلبه ثابتا وفي الجامع الصغير
ان الله يحب العطاس ويكره التثاؤب والعطسة الشديدة من الشيطان وفي الحديث العطاس
شاهد عدل وفي حديث حسن اصدق الحديث ما عطس عنده وقد جاء ان روح ادم عليه السلام
لما نزلت الى خياشيمه عطس فلما نزلت الى فمه ولسانه قال الله تعالى قل الحمد لله رب العالمين
فقالها ادم فقال الحق يرحمك الله يا ادم ولذلك خلقتك وفي رواية للرحمة خلقتك اي للموت
وقد روي الترمذي مرفوعا بسند ضعيف العطاس والنعاس والتثاؤب في الصلاة من
الشيطان وروي ابن ابي شيبة موقوفا بسند ضعيف ايضا ان الله يكره التثاؤب ويحب العطاس
في الصلاة اي فمع كون كل واحد من العطاس والتثاؤب في الصلاة من الشيطان العطاس فيها
احب الى الله من التثاؤب فيها والتثاؤب فيها اكره الى الله تعالى من العطاس فيها لان الكراهة
مقولة بالتشكيك ويمكن حمل كون العطاس من الشيطان على شدته ورفع الصوت
به كما تقدم التقييد بذلك في الرواية السابقة ومن ثم جا اذا عطس احدكم اي همه

لين

هنه

بالمطاس فليضع كفيه على وجهه وليخفض صوته اي ولا ينافي وجود الشفا ووجود ام
عثمان ابن ابي العاص عند امه صلى الله عليه وسلم عند ولادته ما روى انها قالت لما
اخذني ما ياخذ النسا اي عند الولاده واني لوحيدة في المنزل رايت نسوة كالنخل طولا ه
كانهن من بنات عبد مناف يحدقن بي وفي كلام ابن المحدث ودخل علي نسا طوال كانهن
من بنات عبد المطلب ما رايت اضوا منهن وجوها وكان واحدة من النساء تقدمت الي فا
سندت اليها واخذني المخاض واشتد علي الطلق وكان واحدة منهن تقدمت الي وناولتني
شربة من الماء اشد بياضا من اللبن وابرد من الثلج واحلى من الشهد فقالت لي اشربي
فشربت ثم قالت الثالثة ازدادي فازددت ثم مسحت بيدها على بطني فقالت بسم الله اخرج
باذن الله فقلن لي اي تلك النسوة نحن اسية امراة فرعون ومريم بنت عمران وهؤلاء من الحور
العين لوجود الشفا وام عثمان عندها بعد ذلك وتاخر خروجه صلى الله عليه وسلم
عن القول المذكور حتى نزل على يد الشفا لما تقدم من قولها وقع على يدي ولعل حكمة
شهود اسية ومريم لولادته صلى الله عليه وسلم كونهما يصيران زوجين له صلى الله عليه وسلم
في الجنة مع كلثم اخت موسى عليه الصلاة والسلام في الجامع الصغير ان الله تعالى زوجني
في الجنة مريم بنت عمران وامراة فرعون واخت موسى وسياتي عند موت خديجة رضي الله عنها
انه صلى الله عليه وسلم قال لها اشعرت ان الله قد اعلمني انه سيزوجني وفي رواية
اما علمت ان الله قد زوجني معك في الجنة مريم بنت عمران وكلثم اخت موسى واسية امراة
فرعون فقالت الله اعلمك بهذا قال نعم قالت بالرفا والبنين وقد حمى الله هؤلاء النسوة عن ان
يطاهن احد فقد ذكر ان اسية لما ذكرت لفرعون احب ان يتزوجها فتزوجها على كره منها
ومن ابيها مع بذله لها الاموال الجليلة فلما زفت له وهم بها اخذ عنها وكان ذلك حاله معها
وكان قد رضي منها بالنظر اليها واما مريم عليها السلام فقيل انها تزوجت بابن عمها يوسف
النجار ولم يقربها وانما تزوجها لرفقتها الى مصر لما ارادت الذهاب الى مصر بولدها عيسى
عليه السلام واقاموا بها اثني عشر سنة ثم عادت مريم وولدها الى الشام ونزلا الناصرة واخت
موسى عليه السلام لم يذكر انها تزوجت وهذا يفيد ان بنات عبد مناف او بنات عبد المطلب
على ما تقدم كن متميزات عن غيرهن من النساء في افراط الطول وقد رايت ان علي ابن
عبد الله ابن عباس وهو جد الخليفتين السفاح والمنصور اول خلفاء بني العباس ابو
ابيهما محمد كان مفرطا في الطول كان اذا طاف كان الناس حوله وهو راكب وكان مع هذا
الطول الى منكب ابيه عبد الله ابن عباس الى منكب ابيه العباس وكان العباس الى منكب
ابيه عبد المطلب لكن ابن الجوزي اقتصر في ذكر الطوال على عمر ابن الخطاب والزبير ابن
العوام وقيس ابن سعد وحبيب ابن سلمة وعلي ابن عبد الله ابن عباس وسكت عن عبد
الله ابن عباس وعن ابيه العباس وعن ابيه عبد المطلب وفي المواهب ان العباس كان
معتدلا وقيل كان طوالا ورايت ان عليا هذا احد الخلفا العباسيين كان على غاية من

وكان عبد الله ابن عباس

العباده والزهاده والعلم والعمل وحسن الشكل حتى قيل انه كان اجمل شريف على وجه
الارض وكان يصلي في كل ليلة الف ركعة ولذلك كان يدعى السجاد وان سيدنا علي
ابن ابي طالب كرم الله وجهه هو الذي سماه عليا وكناه ابا الحسن فقد روي
ان عليا كرم الله وجهه افتقد عبد الله ابن عباس رضي الله عنهما في وقت صلاة الظهر
فقال لاصحابه ما بال العباس يعني عبد الله لم يحضر فقالوا ولد له مولود فلما صلى علي
كرم الله وجهه قال امضوا بنا اليه فاتاه فهناه فقال شكرت الواهب وبورك لك في الموهوب
زاد بعضهم ورزقت بره وبلغ اشده ما سميته قال او يجوز لي ان اسميه حتى تسميه فامر
به فاخرج اليه فاخذه فحنكه ودعا له ثم رده اليه وقال خذ اليك ابا الاملاك قد سميته عليا
وكنيته ابا الحسن فلما ولي معاوية الخلافة قال لابن العباس ليس لكم اسم وكنيته يعني
علي ابن ابي طالب كرم الله وجهه وقد كنيته ابا محمد فجرت عليه وقد خالف ذلك ما ذكر
بعضهم ان عليا المذكور لما وفد على عبد الملك ابن مروان قال له غير اسمك او كنيتك فلا
صبر لي على اسمك وهو علي وكنيتك وهو ابو الحسن قال اما الاسم فلا اغيره واما الكنية
فاكتني بابي محمد وانما قال عبد الملك ذلك كراهة في اسم علي ابن ابي طالب وكنيته
وعلى هذا دخل هو وولداه ولدا محمد وهما السفاح والمنصور وهما صغيران يوما على هشام
ابن عبد الملك ابن مروان وهو خليفة فاكرمه هشام فصار يوصيه عليهما وهو يقول
سيليان هذا الامر يعني الخلافة فصار هشام يتعجب من سلامة باطنه وينسبه في ذلك
الى الحمق ويقال ان الوليد ابن عبد الملك اي لما ولي الخلافة بلغه عنه انه يقول ذلك
ضربه بالسياط على قوله المذكور واركبه بعيرا وجعل وجهه مما يلي ذنب البعير وصائح
يصيح عليه هذا علي ابن عبد الله ابن عباس الكذاب قال بعضهم فاتيته وقلت له ما هذا
الذي نسبوه اليك من الكذب قال بلغهم عني اني اقول ان هذا الامر يعني الخلافة ستكون
في ولدي والله لتكونن فيهم فكان الامر على ما ذكر فقد ولي السفاح الخلافة ثم المنصور
وفي دلائل النبوة للبيهقي ان عبد الله ابن عباس رضي الله عنهما قدم على معاوية رضي الله
عنه فاجازه واحسن جائزته ثم قال يا ابا العباس هل تكون لكم دولة قال اعفني يا امير
المؤمنين قال لتخبرني قال نعم قال فمن انصاركم قال اهل خراسان اي وهو ابو مسلم
الخراساني يجيء بجيشه معه رايات سود يسلب دولة بني امية ويجعل الدولة لبني العباس
يقال ان ابا مسلم هذا قتل ستمائة الف صبرا غير الذي قتله في الحروب وهذه الرايات
السود غير التي عناها النبي صلى الله عليه وسلم بقوله اذا رايتم الرايات السود
قد جاءت من قبل خراسان فاتوها فان فيها خليفة الله المهدي قال ان تلك الرايات تاتي
قبيل قيام الساعة ثم صارت الخلافة في اولاد المنصور وقول علي في ولدي واضح لان
ولد الولد ولد وقد حكي في مراة الزمان عن المامون انه قال حدثني ابي يعني
هارون الرشيد عن علي عن عبد الله ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم انه

كراهة في ذلك

رجلا

قال سيد القوم خادمهم وذكر انه مما يوثر عن المامون انه كان يقول استخدام الرجل
صنيفة لوم وكان يقول لو عرف الناس حبي للعفو لتقربوا الي بالجرائم واني اخاف ان لا
اوجر على العفو اي لانه صار لي طبيعة وسجية قالت امه صلى الله عليه وسلم ورايت
ثلاثة اعلام مضروبات علما بالمشرق وعلما بالمغرب وعلما على ظهر الكعبة والله اعلم
ولما ولد صلى الله عليه وسلم وضعت عليه جفنة بفتح الجيم فانفلقت عنه فلقتين وهذا
مما يويد انه صلى الله عليه وسلم ولد ليلا فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال كان
في عهد الجاهلية اذا ولد لهم مولود من تحت الليل وضعوه تحت الاناء لا ينظرون اليه حتى
تصبحوا فلما ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم وضع تحت برمة زاد في لفظ ضخمة
والبرمة القدر فلما اصبحوا اتوا البرمة فاذا هي قد انفلقت ثنتين وعيناه الى السماء فعجبوا
من ذلك وعن ام ايمن قالت فوضعت عليه الاناء فوجدته قد انفلق عنه الاناء وهو يمص
ابهامه يشخب اي يسيل لبنا انتهى اي وفي العرائس ان فرعون لما امر بذبح ابناء بني اسرائيل
جعلت المراة اي بعض النساء لا يخفى اذا ولدت الغلام انطلقت به سرا الى واد او غار
فخفته فيه فيقيض الله له ملكا من الملائكة يطعمه ويسقيه حتى يختلط بالناس وكان
الذي اتى السامري لما جعلته امه في غار من الملائكة جبريل عليه السلام فكان اي السامري
يمص من احدى ابهاميه سمنا ومن الاخرى عسلا ومن ثم اذا جاع المرضع يمص ابهامه فيروى من
المص قد جعل له فيه رزق والسامري هذا كان يظهر الاسلام منافقا تظاهر بالاسلام لموسى
عليه السلام ويخفي الكفر وفي رواية ان عبد المطلب هو الذي دفعه للنسوة ليضعوه تحت
الاناء **اقول** هذا هو الموافق لما سياتي عن ابن اسحق رحمه الله من ان امه لما ولدته
ارسلت الى جده اي وكان يطوف بالبيت تلك الليلة فجاء اليها اي فقالت له يا ابا الحارث
ولد لك مولود له امر عجيب فذعر عبد المطلب وقال اليس بشرا سويا قالت نعم ولكن سقط
ساجدا ثم رفع راسه واصبعيه الى السماء فاخرجته له ونظر اليه واخذه ودخل به الكعبة
ثم خرج ودفعه اليها وبه يظهر التوقف في قول ابن دريد اكفات عليه جفنة لئلا يراه
احد قبل جده فجاء جده والجفنة قد انفلقت عنه الا ان يقال يجوز ان يكون جده اخذه
بعد انفلاق الجفنة ثم دخل به الكعبة ثم بعد خروجه من الكعبة دفعه لها وللنسوة ليضعوه
تحت جفنة اخرى الى ان يصبح فانفلقت تلك الجفنة الاخرى حتى لا ينافي ذلك ما تقدم عن
امه فوجدت الاناء قد انفلق وهو يمص ابهامه **وعن اياس** الذي يضرب به المثل في الذكاء
قال اذكر الليلة التي ولدت فيها ووضعت امي على راسي جفنة وقال لامه ما شيء سمعته
لما ولدت قالت يا بني طشت سقط من فوق الدار الى اسفل ففزعت فولدتك تلك الساعة
قال بعضهم يولد في كل مائة سنة رجل تام العقل وان ابا سا منهم ولعل هذا هو المراد
بما جاء في الحديث يبعث الله على راس كل مائة سنة من يجدد لهذه الامة امر دينها والمراد
براسها آخرها بان يدركا واول المائة التي تليها بان تنقضي تلك المائة وهو حي الا اني لم اقف

على ان ابا سا كان من المجددين **وفي تفسير** ابن مخلد الذي قال في حقه ابن حزم ما صنف
مثله اصلا ان ابليس رن اي صوت صوتا بحزن وكآبة اربع رنات رنة حين لعن ورنة
حين اهبط ورنة حين ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو المراد بقول بعضهم يوم
بعثه ورنة حين انزلت عليه صلى الله عليه وسلم فاتحة الكتاب ولرنته حين ولادته
صلى الله عليه اشار صاحب الاصل اليها بقوله

رنة ابليس قد رن لمولده ... فسحقا له ماذا يفيد رنينه

وعن عطا الخراساني لما نزل قوله تعالى ومن يعمل سوءا او يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد
الله غفورا رحيما صرخ ابليس صرخة عظيمة اجتمع اليه فيها جنوده من اقطار الارض
قايلين ما هذه الصرخة التي افزعتنا قال امر قد نزل لم ينزل قط اعظم منه قالوا وما
هو فتلا عليهم الايه وقال لهم فهل عندكم من حيلة فقالوا ما عندنا من حيلة فقال اطلبوا
فاني ساطلب فلبثوا ما شاء الله ثم صرخ اخرى فاجتمعوا اليه وقالوا ما هذه الصرخة التي
لم نسمع منك مثلها الا التي قبلها قال هل وجدتم شيئا قالوا لا قال لكني وجدت قالوا وما
الذي وجدته قال ازين لهم البدع التي يتخذونها دينا ثم لا يستغفرون اي لان صاحب
البدعة يراها لجهله حقا وصوابا ولا يراها ذنبا حتى يستغفر الله منها وقد جاء في الحديث
ابى الله ان يقبل عمل صاحب بدعة حتى يدع بدعته اي لا يثيبه على عمله ما دام متلبسا
بتلك البدعة وعن الحسن قال بلغني ان ابليس قال سولت لامة محمد المعاصي فقطعوا ظهري
بالاستغفار فسولت لهم ذنوبا لا يستغفرون الله منها وهي الاهواء اي البدع وعن عكرمة
ان ابليس لما ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم وراى تساقط النجوم قال اي لجنوده لقد
ولد الليلة ولد يفسد علينا امرنا وهذا يدل على ان تساقط النجوم كان عند ابليس علامة
على وجود نبينا صلى الله عليه وسلم فقال له جنوده لو ذهبت اليه فخبلته فلما دنا من رسول
الله صلى الله عليه وسلم بعث الله جبريل فركضه برجله ركضة وقع بعدن وكون تساقط
النجوم كان عند ابليس علامة على وجود نبينا صلى الله عليه وسلم مشكل مع قول بعضهم
لما رجمت الشياطين ومنعت من مقاعدهم في السما لاستراق السمع شكوا ذلك لابليس فقال
لهم هذا امر قد حدث في الارض وامرهم ان ياتوه بتربة من كل ارض فصار يشمها الى ان اتي
بتربة من ارض تهامة قال من ههنا الحدث هكذا ساقه بعضهم عند ولادته صلى الله عليه
وسلم الا ان يقال لا اشكال لان تساقط النجوم وان كان علامة على وجود نبينا صلى الله عليه
وسلم لكن في اي ارض على ان بعضهم انكر كون ما ذكر كان عند الولادة وقال المذكور
في كلام غيره انما هو عند مبعثه صلى الله عليه وسلم كما سياتي ولعله من خلط بعض
الرواة وعبارة بعضهم روي ان الشياطين كانت تصعد الى السما ثم تجاوز سما الدنيا
الى غيرها فلما ولد عيسى عليه السلام منعوا من مجاوزة سما الدنيا وصاروا يسترقون
السمع اي في سما الدنيا حتى ولد نبينا صلى الله عليه وسلم فمنعوا من التردد الى السماء

الا قليلا اي فصاروا يسترقون السمع في سماء الدنيا في بعض الاحايين وفي اكثر
الاحايين يسترقون دونها حتى بعث النبي صلى الله عليه وسلم فمنعوا اصلا فصاروا لا
يسترقون السمع الا دون سماء الدنيا ثم رايتني نقلت في الكوكب المنير في مولد البشير النذير
عن ابن عباس رضي الله عنهما ان الشياطين كانوا لا يحجبون عن السموات وكانوا يدخلونها
ويأتون باخبارها مما سيقع في الارض فيلقونها على الكهنة فلما ولد عيسى عليه السلام
حجبوا عن ثلاث سموات وعن وهب عن اربع سموات فلما ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم
حجبوا عن الكل وحرست بالشهب فما يريد احد منهم استراق السمع الا رمي بشهاب وسياتي عند
المبعث ايضاح هذا المحل وقد اخبرت الاحبار والرهبان بليلة ولادته صلى الله عليه وسلم والكهان ع
فعن حسان ابن ثابت رضي الله تعالى عنه قال اني لغلام يفعة اي غلام مرتفع ابن سبع سنين
او ثمان اعقل ما رايت وسمعت اذا يهودي بيثرب يصرخ ذات غداة على اطمة اي محل مرتفع يا
معشر يهود فاجتمعوا اليه وانا اسمع وقالوا ويلك مالك قال طلع نجم احمد الذي ولد به في
هذه الليلة اي الذي طلوعه علامة على ولادته صلى الله عليه وسلم في تلك الليلة في بعض
الكتب القديمة وحسان هذا سياتي انه ممن عاش في الجاهلية ستين سنة وفي الاسلام مثلها
وكذا عاش ابوه هذا المذكور وهو مائة وعشرون سنة ابوه وجده والد جده قال بعضهم لا يعرف
اربعة تناسلوا وتساوت اعمارهم غيرهم وكان حسان يضرب بلسانه ارنبة انفه وكذا ابنه
وابوه وجده وعن كعب الاحبار رايت في التوراة ان الله تعالى اخبر موسى عن وقت خروج
محمد صلى الله عليه وسلم اي من بطن امه وموسى اخبر قومه ان الكوكب المعروف عندكم
لذا اذا تحرك وسار عن موضعه فهو وقت خروج محمد اي وصار ذلك مما يتوارثه العلماء
بني اسرائيل وعن عائشة رضي الله عنها قالت كان يهودي يسكن مكة فلما كانت الليلة التي
ولد فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في مجلس من مجالس قريش هل ولد فيكم
الليلة مولود فقال القوم والله ما نعلم قال احفظوا ما اقول لكم ولد هذه الليلة نبي هذه
الامة الاخيرة وهو منكم قريش على كتفه اي عند كتفه علامة اي شامة فيها شعرات معاشر ع
متواترات اي متتابعات كانهن عرف فرس اي وتلك العلامة هي خاتم النبوة اي علامتها
والدليل عليها لا يرضع لليلتين وذلك في الكتب القديمة من دلائل نبوته اي وعدم رضاعه لعله
لتوعك يصيبه وفي كلام الحافظ ابن حجر واقره تعليلا لعدم ارضاعه لان عفريتا من الجن وضع
يده على فيه وعند قول اليهودي ما ذكر تفرق القوم من مجالسهم وهم متعجبون من قوله فلما
صاروا الى منازلهم اخبر كل انسان اهله فقالوا لقد ولد الليلة لعبد الله ابن
عبد المطلب غلام سموه محمدا فالتقى القوم حتى جاءوا لليهودي فاخبروه الخبر اي قالوا له
اعلمت ولد فينا مولود قال اذهبوا معي حتى انظر اليه فخرجوا حتى ادخلوه على امه فقال اخرجي
الينا ابنك فاخرجته وكشفوا عن ظهره فرأى تلك الشامة فخر مغشيا عليه فلما افاق قالوا ويلك
مالك قال والله ذهبت النبوة من بني اسرائيل افرحتم به يا معشر قريش اما والله ليسطون عليكم

سطوة يخرج خبرها من المشرق الى المغرب اي وعن الواقدي انه كان بمكة يهودي يقال
له يوسف لما كان اليوم اي الوقت الذي ولد فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل ان
يعلم به احد من قريش قال يا معشر قريش قد ولد نبي هذه الامة الليلة في بحرتكم اي ناحيتكم
هذه وجعل يطوف في انديتهم فلا يجد خبرا حتى انتهى الى مجلس عبد المطلب فسأل فقيل له
قد ولد لابن عبد المطلب اي لعبد الله غلام فقال هو نبي والتوراة وكان بمر الظهران ع
راهب من اهل الشام يدعى عيص قد كان اتاه الله علما كثيرا وكان يلزم صومعة له ويدخل
مكة فيلقى الناس ويقول يوشك اي يقرب ان يولد فيكم مولود يا اهل مكة تدين له
العرب اي تخضع وتذل ويملك العجم اي ارضها وبلادها هذا زمانه فمن ادركه اي ادرك
بعثته واتبعه اصاب حاجته اي ما يؤمله من الخير ومن ادركه وخالفه اخطأ حاجته فكان
لا يولد بمكة مولود الا يسأل عنه ويقول ما جاء بعد اي الآن فلما كان صبيحة اليوم اي الوقت
الذي ولد فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج عبد المطلب حتى اتى عيص فوقف على
اصل صومعته فناداه فقال من هذا فقال انا عبد المطلب اي وقيل الجاي له عبد الله ع
والد النبي صلى الله عليه وسلم بناء على انه لم يمت وامه حامل به ولعل قائله اخذ ذلك
من قول الراهب لما قيل له ما ترى عليه اي على ذلك المولود فقال كن اباه فقد ولد ذلك
الذي احدثكم عنه وان نجمه اي الذي طلوعه علامة على وجوده طلع البارحة وعلامة كنتم ع
ذلك وعلامته اي ايضا انه الان وجع فيشتكي ثلاثا ثم يعافى اقول اي ولا يرضع في تلك
الثلاث ليلتين فلا يخالفه ما سبق من قول الاخر لا يرضع ليلتين ولا دلالة في قوله كن
اباه على ان الجاي للراهب عبد الله لان عبد المطلب كان يقال له ابو النبي صلى الله عليه وسلم
ويقال للنبي صلى الله عليه وسلم ابن عبد المطلب وقال النبي صلى الله عليه وسلم انا ابن
عبد المطلب كما تقدم والله اعلم ثم قال له فاحفظ لسانك اي لا تذكر ما قلته لك لاحد من
قومك فانه لم يحسد حسده احد ولم يبغ على احد كما يبغى عليه قال فما عمره قال ان طال
عمره لم يبلغ السبعين يموت في وتر دونها في احد وستين او ثلاث وستين زاد في رواية
وذلك جل اعمار امته وعند ولادته صلى الله عليه وسلم تنكست الاصنام اي اصنام ع
الدنيا وتقدم ايضا انها تنكست عند الحمل به وتقدم انه لا مانع من تعدد ذلك وجاء ان
عيسى عليه السلام لما وضعته خر كل شيء يعبد من دون الله في مشارق الارض ومغاربها
ساجدا لوجهه وفزع ابليس فعن وهب ابن منبه لما كانت الليلة التي ولد فيها عيسى صلى
الله عليه وسلم اصبحت الاصنام في الارض منكسة على رؤوسها وكلما ردوها على قوائمها ع
انقلبت فحارت الشياطين لذلك ولم تعلم السبب فشكت الى ابليس فطاف ابليس في الارض
ثم عاد اليهم فقال رايت مولودا والملائكة قد حفت به فلم استطع ان ادنو اليه وما
كان ابن قبله اشد علي وعليكم منه واني لارجو ان اضل به اكثر ممن يهتدي به اقول
قد علمت ان تنكيس الاصنام تكرر لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم عند الحمل وعند الولادة

فالخاصية ما كان عند الحمل لا ما كان عند الولادة لمشاركة عيسى له صلى الله عليه وسلم في ذلك
وبهذا يعلم ما في قول الجلال السيوطي في خصائصه الصغرى ان من خصائصه صلى الله عليه وسلم
تنكيس الاصنام لمولده وعن عبد المطلب قال كنت في الكعبة فرايت الاصنام سقطت من اماكنها
وخرت سجدا وسمعت صوتا من جدار الكعبة يقول ولد المصطفى المختار الذي تهلك بيده
الكفار ويطهر من عبادة الاصنام ويامر بعبادة الملك العلام ولا يقال قال ابليس في حق عيسى
لا استطيع ان ادنو اليه وتقدم في حق نبينا صلى الله عليه وسلم ان ابليس دنا منه فركضه
جبريل لانا نقول يجوز ان يكون الدنو في حق نبينا صلى الله عليه وسلم دنوا الى محله الذي
هو فيه لا الى جسده والدنو الممنوع في حق عيسى الدنو الى جسده **فان قيل** جاء في الحديث ما
من مولود يولد الا يمسه الشيطان حين يولد فيستهل صارخا الا مريم وابنها رواه الشيخان
اي لقول ام مريم اني اعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم وفي رواية كل ابن ادم يطعن
الشيطان في جنبه باصبعه حين يولد غير عيسى ابن مريم ذهب يطعن في الحجاب اي وهي المشيمة
التي يكون فيها الولد ولعل المراد بجنبه جنبه الايسر وعن قتادة كل مولود يمس الشيطان
باصبعه في جنبه فيستهل صارخا الا عيسى ابن مريم وامه مريم ضرب الله عليهما حجابا فاصابت
الطعنة الحجاب فلم ينفذ اليهما منه شيء ولعل هذا الحجاب هو المشيمة ويحتمل ان يكون غيرها
قلنا جاء عن مجاهد ان مثل عيسى في عدم طعن الشيطان في جسده حين يولد سائر الانبياء
وذلك لا يقال من قبل الراي وعلى تقدير صحة ذلك يكون تخصيص عيسى وامه بالذكر كان
قبل ان يعلم صلى الله عليه وسلم بان سائر الانبياء كعيسى وامه وهذا الكلام يرد مقالة القاضي
عياض للضرر المنفي في قوله صلى الله عليه وسلم من قال اذا اراد ان ياتي اهله بسم الله اللهم
جنبنا الشيطان وجنب الشيطان ما رزقتنا فانه ان قدر بينهما في ذلك الوقت ولد من ذلك
الجماع لم يضره الشيطان بان المراد انه لا يطعن فيه عند ولادته بخلاف غيره وهذا اي عدم
قربه من نبينا صلى الله عليه وسلم يجوز ان يكون في حق خصوص ابليس فلا ينافي ما تقدم
من الحافظ ابن حجر ان عدم ارتضاعه صلى الله عليه وسلم بوضع عفريت من الجن يده في فيه
على تسليم صحته وصاحب الكشاف اخرج المس ومثله الطعن عن حقيقته وقال المراد به طمع
الشيطان في اغوائه وتبعه القاضي على ذلك وسياتي في شق صدره صلى الله عليه وسلم كلام
يتعلق بذلك **وفي كلام** الشيخ محي الدين ابن العربي قدس الله سره اعلم انه لا بد لجميع بني
ادم من العقوبة والالم شيئا بعد شيء الى دخولهم الجنة لانه اذا انتقل الى البرزخ فلا بد
له من الالم ادناه سؤال منكر ونكير فاذا بعث فلا بد من الم الخوف على نفسه وغيره **واول**
الالم في الدنيا استهلال المولود حين ولادته صارخا لما يجد من مفارقة الرحم وسخونته
فيضربه الهوا عند خروجه من الرحم فيحس بالم البرد فيبكي فان مات فقد اخذ حظه من
الالم وقال بعد ذلك في قوله تعالى حكاية عن عيسى عليه الصلاة والسلام والسلام علي
يوم ولدت معناه السلامة من ابليس الموكل بطعن الاطفال عند الولادة حين يصرخ المولود

في ليلتين

اذا خرج من طعنته فلم يصرخ عيسى بل وقع ساجدا لله حين خرج فليتامل وهذا مع
قوله ان استهلال المولود صارخا حين يولد لحس الم البرد الذي يجده بعد مفارقته
سخونة الرحم وقوله بل وقع ساجدا يدل على ان سجود نبينا صلى الله عليه وسلم حين
ولد ليس من خصائصه والله اعلم **وذكر** ان نفرا من قريش منهم ورقة ابن نوفل
وزيد ابن عمرو ابن نفيل وعبيد الله ابن جحش كانوا يجتمعون الى صنم فدخلوا عليه
ليلة ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم فراوه منكسا على وجهه فانكروا ذلك
فاخذوه فردوه الى حاله فانقلب انقلابا عنيفا فردوه فانقلب كذلك الثالثة فقالوا
ان هذا الامر حدث ثم انشد بعضهم ابياتا يخاطب بها الصنم ويتعجب من امره ويساله
فيها عن سبب تنكيسه فسمع هاتفا من جوف الصنم بصوت جهر اي مرتفع يقول

تردى لمولود انارت بنوره … جميع فجاج الارض بالشرق والغرب

الابيات والى ذلك اشار صاحب الهمزية بقوله

وتوالت بشرى الهواتف ان قد … ولد المصطفى وحق الهناء

اي تتابعت بشارة الهواتف جمع هاتف وهو ما يسمع صوته ولا يرى شخصه ان قد ولد
المصطفى المختار على الخلق كلهم وثبت الفرح والسرور **وليلة ولادته صلى الله عليه
وسلم** تزلزلت الكعبة ولم تسكن ثلاثة ايام ولياليهن وكان ذلك اول علامة رات قريش من
مولد النبي صلى الله عليه وسلم **وارتجس** اي اضطرب وانشق ايوان كسرى انوشروان
ومعنى انوشروان مجدد الملك اي وكان بناء محكما بالاجر الكبار والجص بحيث لا تعمل فيه
الفؤوس مكث في بنائه نيفا وعشرين سنة اي وسمع لشقه صوت هائل وسقط من ذلك
الايوان اربع عشرة شرفة اي بضم الشين المعجمة وسكون الراء اي وليس ذلك لخلل في بنائه
وانما اراد الله تعالى ان يكون ذلك اية لنبيه صلى الله عليه وسلم على وجه الدهر
اي **وقد ذكر** ان الرشيد امر وزيره يحيى ابن خالد البرمكي والد جعفر بهدم ايوان كسرى
فقال له يحيى لا تهدم بناء دل على فخامة شان بانيه قال بلى يا مجوسي ثم امر بنقضه
فقدر له نفقة على نقضه فاستكثرها فقال له يحيى ليس يحسن بك ان تعجز عن هدم شيء
بناه غيرك **هذا والذي** رايت في بعض المجاميع ان المنصور لما بنى بغداد احب ان ينقض
ايوان كسرى فان بينه وبينها مرحلة ويبني به فاستشار خالد ابن برمك فنهاه وقال
هو اية الاسلام ومن راه علم ان من هذا بناؤه لا يزول امره وهو مصلى علي ابن ابي
طالب كرم الله وجهه والمؤنة في نقضه اكثر من الانفاق عليه ولا مانع من تكرر طلب
نقضه من المنصور ومن ولد ولده الرشيد وانما قال الرشيد ليحيى ابن خالد يا مجوسي
لان جده والد خالد البرمكي وهو برمك كان من خراسان وكان اولا مجوسيا ثم اسلم
وكان كاتبا عارفا محصلا لعلوم كثيرة جاء الى الشام في دولة بني امية فاتصل بعبد الملك
ابن مروان فحسن موقعه عنده وعلا قدره فلما زالت دولة بني امية وجاءت دولة

باقية

لعله اهلكه صح

بني العباس صار وزيرا للسفاح ثم لاخيه المنصور من بني العباس ورايت عن برمك هذا
حكاية عجيبة وهي انه سار الى زيارة ملك الهند فاكرمه واستبشر به واحضر له طعاما قال
فاكلت حتى اشتهيت فقال لي كل فقلت والله لا اقدر ايها الملك فامر باحضار قضيب فاخذه
الملك وامره به على صدري فكان لم اكل شيئا ثم اكلت اكلا كثيرا حتى اشتهيت فقال لي كل
فقلت والله لا اقدر ايها الملك فامر بالقضيب على صدري فكان لم اكل شيئا قط فاكلت حتى
اشتهيت فقال لي كل فقلت ما اقدر على ذلك فاراد ان يمر بالقضيب على صدري فقلت
ايها الملك ان الذي دخل يحتاج ان يخرج فقال صدقت وامسك عني فسالته عن القضيب
فقال تحفة من تحف الملوك ومما يحفظ عن يحيى ابن خالد هذا زيادة على ما تقدم عنه اذا
احببت انسانا من غير سبب فارج خيره واذا ابغضت انسانا من غير سبب فتوق شره ومما
يحفظ عنه ايضا وقد قال ولده واظنه الفضل وقد كان معه مقيدا في حبس الرشيد
بعد قتله لولده جعفر وصلبه ونهب اموال البرامكة ومن يلوذ بهم يا ابت بعد العز والنفوذ
الكلام صرنا الى هذا الحال فقال يا ولدي دعوة مظلوم سرت ليلا غفلنا عنها وما غفل الله
عنها اي فقد قال ابو الدردا اياكم ودمعة اليتيم ودعوة المظلوم فانها تسري بالليل
والناس نيام اي ولان الله تعالى يقول انا اظلم الظالمين ان غفلت عن ظلم الظالم وقد
قال صلى الله عليه وسلم اتق دعوة المظلوم فانما يسال الله حقه ان الله تعالى لن يمنع
ذا حق حقه وقال اتق دعوة المظلوم فانها ليس بينها وبين الله حجاب وقال اتقوا دعوة
المظلوم فانها تحمل على الغمام يقول الله وعزتي وجلالي لانصرنك ولو بعد حين والمراد
بالغمام الغمام الابيض الذي فوق السما السابعة المعني بقوله تعالى ويوم تشقق السماء
بالغمام اي لا تقوى على حمله اذا سقط وينصر دعوة المظلوم استجابتها ولو بعد زمن
طويل فهو وان امهل الظالم لا يهمله وقال اتقوا دعوة المظلوم فانها تصعد الى السما
كانها شرارة اي تصعد الى السماء السابعة فما فوقها وقال اتقوا دعوة المظلوم وان
كان كافرا فانه ليس دونها حجاب وقد قال القايل تنام عيناك والمظلوم منتبه ؛؛
يدعو عليك وعين الله لم تنم ؛؛ ومما قيل في يحيى ابن خالد هذا من المدح البليغ ؛؛

سالت الندا هل انت حر فقال لا ؛؛ ولكنني عبد ليحيى ابن خالد ؛؛
فقلت شراء قال لا بل وراثة ؛؛ توارثني من والد بعد والد ؛؛

ومما يحفظ عن والده خالد التهنية بعد ثلاث استخفاف بالمودة ومما يحفظ عن جعفر
ولد يحيى قوله شر المال ما لزمك الاثم في كسبه وحرمت الاجر في انفاقه وقوله المسيء لا
يظن في الناس الا سوءا لانه يراهم بعين طبعه ومما قيل في جعفر من المدح قول الشاعر

تروم الملوك ندا جعفر ؛؛ ولا يصنعون كما يصنع ؛؛
وليس باوسعهم في الغنا ؛؛ ولكن معروفه اوسع ؛؛

ولما قتل جعفر الرشيد وتوفي يحيى في الحبس انشد فيهم بعض من صنعوا فيه معروفا فقال

ولما

ولما رايت السيف جلل جعفرا ؛؛ ونادى مناد للخليفة في يحيى ؛؛
بكيت على الدنيا وزاد تاسفي ؛؛ عليهم وقلت الان لا تنفع الدنيا ؛؛ والله اعلم

وخمدت نار فارس اي مع ايقاد خدامها لها اي كتب له صاحب فارس ان بيوت النار
خمدت تلك الليلة ولم تخمد قبل ذلك بالف عام وغاصت اي غارت بحيرة ساوة بحيث صارت
يابسة كان لم يكن بها شيء من الماء مع شدة اتساعها اي كتب له بذلك عامله باليمن والى

هذا اشار صاحب الاصل بقوله ؛؛
لمولده ايوان كسرى تشققت ؛؛ مبانيه وانحطت عليه شؤونه ؛؛
لمولده خرت على شرفاته ؛؛ فلا شرف للفرس يبقى حصينه ؛؛
لمولده نيران فارس اخمدت ؛؛ فنورهم اخماده كان صينه ؛؛
لمولده غاصت بحيرة ساوة ؛؛ واعقب ذاك المد جزر سفينه ؛؛
كان لم يكن بالامس ريا المنهل ؛؛ وورد الهيم المستهام معينه ؛؛
والى ذلك اشار صاحب الهمزية بقوله ؛؛
وتداعى ايوان كسرى ولولا ؛؛ اية منك ما تداعى البناء ؛؛
وغدا كل بيت نار وفيه ؛؛ كربة من خمودها وبلاء ؛؛

اي عيون الفرس غارت بها كلها ... يعني

اي ومن العجايب التي ظهرت ليلة ولادته تهادم ايوان كسرى انوشروان الذي كان يجلس
به مع ارباب مملكته وكان من اعاجيب الدنيا سعة وبناء واحكاما ولولا وجوده علامة
صادرة عنك الى الوجود ما تهادم هذا البناء العجيب الاحكام ومن ذلك ايضا انه صار
تلك الليلة كل واحد من بيوت الفرس التي كانوا يعبدون بها خامدة نيرانه والحال ان في
ذلك البيت غما وبلاء عظيما من اجل سكوت لهب تلك النيران التي يعبدونها في وقت واحد
ومن ذلك ايضا غور ماء عيون الفرس في الارض حتى لم يبق منها قطرة وحصل بسببهم توبيخ
وتقريعا لهم فيقال هل تلك المياه التي غارت كان بها اطفاء لتلك النيران ويقال في
جوابه لا بل اطفاوها انما هو لوجود النبي المعظم قدره وراى الموبذان اي القاضي الكبير
وفي كلام ابن المحدث هو خادم النار الكبير ورئيس حكامهم وعنه ياخذون مسائل شرايعهم
اي في نومه ابلا صعابا تقود خيلا عرابا اي وهي خلاف البراذين قد قطعت دجلة وهي نهر
بغداد وانتشرت في بلادها والابل كناية عن الناس وراى كسرى ما هاله وافزعه اي
الذي هو ارتجاس الايوان وسقوط شرفاته فلما اصبح تصبر اي لم يظهر الانزعاج لهذا
الامر الذي راه تشجعا ثم راى انه لا يدخر لذلك اي هذا الامر الذي هاله وافزعه عن
مرازبته بضم الزاي اي فرسانه وشجعانه فجمعهم ولبس تاجه وجلس على سريره ثم بعث
اليهم فلما اجتمعوا عنده قال اتدرون لما بعثت اليكم قالوا لا الا ان يخبرنا الملك فبينما
كذلك اذ ورد عليه كتاب بخمود النيران اي وورد عليه كتاب من صاحب ايليا يخبره ان
بحيرة ساوة غاصت تلك الليلة وورد عليه كتاب صاحب الشام يخبره ان وادي سماوة

انقطع تلك الليلة وورد عليه كتاب صاحب طبريه يخبره ان الما لم يجر في بحيرة طبرية فازداد
غما الى غمه ثم اخبرهم بما راي وما هاله وهو ارتجاس الايوان وسقوط شرفاته فقال
الموبذان فانا اصلح الملك قد رايت في هذه الليلة رؤيا ثم قص رؤياه في الابل فقال اي شي
هذا يا موبذان قال حدث يكون في ناحية العرب فابعث الى عاملك بالحيرة يوجه اليك رجلا
من علمائهم فانهم اصحاب علم بالحدثان فكتب كسري عند ذلك من كسري ملك الملوك الى
النعمان ابن المنذر اما بعد فوجه الي برجل عالم بما اريد ان اسأله عنه فوجه اليه بعبد
المسيح الغساني وهو معدود من المعمرين عاش ثلثمائة وخمسين سنة فلما ورد عليه قال
الك علم بما اريد ان اسألك عنه قال ليسالني الملك عما احب فان كان عندي علم منه والا
اخبرته بمن يعلمه فاخبره بالذي وجه اليه فيه قال علم ذلك عند خال لي يسكن مشارف
الشام بالفاء اي اعاليها اي وهي الجابيه المدينة المعروفة يقال له سطيح قال فاته فاسأله
عما سألتك عنه ثم ائتني بتفسيره فخرج عبد المسيح حتى انتهي الى سطيح وقد اشفي اي اشرف
على الضريح اي على الموت اي احتضر وعمره اذ ذاك ثلثمائة سنة وقيل سبعمائة سنة اي
اي ولم يذكره ابن الجوزي في المعمرين وكان جسدا ملقي لا جوارح له وكان لا يقدر على
الجلوس الا اذا غضب فانه ينتفخ فيجلس وكان وجهه في صدره ولم يكن له راس ولا عنق
وفي كلام غير واحد لم يكن له عظم سوي راسه وفي لفظ لم يكن له عظم ولا عصب سوي
الجمجمة والكفين ولم يتحرك منه الا اللسان قيل لكونه مخلوقا من ماء امراة لان ماء الرجل
يكون منه العظم والعصب اي كما سياتي عنه صلى الله عليه وسلم من قوله نطفة الرجل يخلق
منها العظم والعصب ونطفة المراة يخلق منها اللحم والدم قال ذلك لما ساله اليهودي
فقال له مم يخلق الولد فلما قال لهم ما ذكر قالوا له هكذا كان يقول من قبلك من الانبيا
وفيه ان عيسى عليه السلام على تسليم انه خلق من نطفة وهي نطفة امه كان فيه العظم
فقد قيل تمثل لها الملك في صفة شاب امرد حتى انحدرت شهوتها الى اقصى رحمها وقيل لم
يخلق من نطفة اصلا وقد صرح بالاول الشيخ محي الدين ابن العربي حيث قال الطبيعيون
قالوا وجود ولد من ماء احد الزوجين دون الاخر وذلك مردود عليهم بعيسى عليه السلام
فانه خلق من ماء امه فقط وذلك ان الملك لما تمثل لها بشرا سويا التذت بالنظر اليه
نزل الما منها الى الرحم فتكون عيسى عليه السلام من ذلك الما المتولد عن النفخ الموجب
للذة منها فهو من امه فقط هذا كلامه اي **وكون سطيح** كان وجهه في صدره لم يختص
سطيح بهذا الوصف فقد رايت ان عمرا ذا الاذعار انما قيل له ذلك لانه سبا امة وجهها
في صدرها فذعرت الناس منهم وعمرو هذا كان في زمن سليمان ابن داود عليهما السلام
وقيل قبله بقليل وملكت بعده بلقيس قيل بعد قتلها له وكان لسطيح سرير من الجريد
والخوص اذا اريد نقله الى مكان يطوي من رجليه الى ترقوته وفي لفظ الى جمجمته كما
يطوي الثوب فيوضع على ذلك السرير فيذهب به الى حيث شا واذا اريد استخباره ليخبر عن

المغيبات

المغيبات يحرك كما يحرك وطب المخض اي سقا اللبن الذي يمخض ليخرج زبده فينتفخ ويمتلي
ويعلوه النفس فيخبر عما يسال عنه وكانت جمجمته اذا لمست اثر اللمس فيها للينها قيل وهو
اول كاهن كان في العرب وهذا يدل على انه سابق على شق وقد تقدم في حفر زمزم ان
الكاهنة التي ذهب اليها عبد المطلب وقريش ليتحاكموا عندها تفلت في فم سطيح وفم شق
وذكرت ان سطيحا يخلفها ومن ثم قال بعضهم لم يكن احد اشرف في الكهانة ولا اعلم منها
ولا ابعد منها صيتا من سطيح وكان في غسان وذكر بعضهم ان سطيحا كان في زمن
نزار ابن معد ابن عدنان وهو الذي قسم الميراث بين بني نزار وهم مضر واخوته وهو
يؤيد ما تقدم من انه عمر سبعمائة سنة ثم شق وعبد المسيح وهولاء كانوا رؤس الكهنة
واهل العلم الغامض منهم بالكهانة اي والا فمنهم اي من اهل العلم الغامض مسيلمة الكذاب
في بني حنيفه وسجاح اخري كانت في بني تميم وسجاح في بني سعد والكهانة هي الاخبار
عن الغيب والكهانة من خواص النفس الانسانية لان لها استعداد للانسلاخ من البشرية
الى الروحانية التي فوقها **فسلم عبد المسيح** على سطيح وكلمه فلم يرد عليه سطيح جوابا فانشا
عبد المسيح يقول اصم لم يسمع غطريف اليمن اي سيدهم الى اخر ابيات ذكرها فلما
سمع سطيح شعر عبد المسيح رفع راسه **اقول** لا منافاة بين اثبات الراس هنا ونفيه
في قوله لم يكن له راس لانه يجوز ان يكون المراد بالراس المنفي الوجه لكن قد تقدم انه
لم يكن له عظم سوي في راسه او الا جمجمة ففي ذلك اثبات الراس وقد يقال لما كانت راسه
تلك الجمجمة يؤثر فيها اللمس للينها ولمخالفتها الراس غيره ونفيه عنه والله اعلم وعند
رفع راسه **قال** عبد المسيح على جمل مشيح اي سريع الى سطيح وقد وافا على الضريح اي القبر
والمراد به الموت كما تقدم بعثك ملك ساسان لارتجاس الايوان وخمود النيران ورويا
الموبذان راي ابلا صعابا تقود خيلا عرابا قد قطعت دجلة وانتشرت في بلادها يا عبد المسيح
اذا كثرت التلاوه اي تلاوة القران وظهر صاحب الهراوه وغاضت بحيرة ساوه وخمدت
نار فارس فليست بابل للفرس مقاما ولا الشام لسطيح شاما يشير الى العرب واظن زمان
محمد قد اقترب ولكن يملك منهم ملوك وملكات على عدد الشرفات وكل ما هو ات ات ثم قضي
سطيح مكانه اي مات من ساعته والهراوة بكسر الها وهي العصا الضخمة اي وهو النبي صلى
الله عليه وسلم لانه كان يمسك العصا كثيرا عند مشيه وكان يمشي بالعصا بين يديه وتغرز
له فيصلي اليها اي هي العنزة وفي الحديث حمل العصا علامة المؤمن وسنة الانبيا وفي
الحديث من بلغ اربعين سنة ولم ياخذ العصا عد له اي عدم اخذ العصا من الكبر والعجب وقد
يقال مراد سطيح بالعصا العنزة التي تغرز له فيصلي اليها في غير المسجد لانه لم يحفظ ان ذلك
كان لمن قبله من الانبيا **وذكر الطبري** ان ابرويز ابن هرمز جا له جاء في المنام فقيل
له سلم ما في يدك الى صاحب الهراوه فلم يزل مذعورا من ذلك حتى كتب اليه النعمان
بظهور النبي صلى الله عليه وسلم بتهامة فعلم ان الامر سيصير اليه اي وعند موت سطيح

ينض عبد المسيح الى راحلته وهو يقول شعرا منه

شمر فانك ماضي العزم شمير ،، ولا يغرنك تفريق وتغيير ،،
والناس اولاد علات فمن علموا ،، ان قد اقل فمحقور ومهجور ،،
وهم بنو الام اما ان رأو نشبا ،، فذاك بالغيب محفوظ ومنصور ،،
والخير والشر مقرونان في قرن ،، فالخير متبع والشر محذور ،،

فلما قدم عبد المسيح على كسرى واخبره بما قال سطيح فقال كسرى الى ان يملك منا اربعة عشر ملكا كانت امور وامور فهلك منهم عشرة في اربع سنين وملك الباقون الى خلافة عثمان رضي الله عنه اي فقد ذكر من هلك منهم كان في اول خلافة عثمان ٥ اي وكانت مدة ملكهم ثلاثة الاف سنة ومائة سنة واربع وستين سنة ومن ملوك بني ساسان سابور ذو الاكتاف قيل له ذلك لانه كان يخلع اكتاف من ظفر به من العرب ولما جاء لمنازل بني تميم وجدهم فروا منه ومن جيشه ووجد بها عمرو ابن تميم وهو ابن ثلثمائة سنة وكان معلقا نفسه لعدم قدرته على الجلوس فاخذ وجيء به اليه فاستنطقه فوجد عنده ادبا ومعرفة فقال للملك ايها الملك لم تفعل فعلك هذا في العرب فقال يزعمون ان ملكنا يصير اليهم على يد نبي يبعث في اخر الزمان فقال له عمرو فاين حلم الملوك وعقلهم ان يكن هذا الامر باطلا فلن يضرك وان يكون حقا الفوك ولم تتخذ عندهم يدا تكافئون عليها ويعظمونك بها في دولتهم فانصرف سابور وترك تعرضه للعرب واحسن اليهم بعد ذلك وقول سطيح يملك منهم ملوك وملكات لم اقف على انه ملك منهم من النساء الا واحدة وهي بوران ولما بلغه صلى الله عليه وسلم ذلك قال لا يفلح قوم ملكتهم امراة فمكثت سنة ثم هلكت وذكر ابن اسحق ان امه صلى الله عليه وسلم ارسلت خلف جده عبد المطلب انه قد ولد لك غلام فانظر اليه فاتاه فنظر اليه وحدثته بما رأته هي فاخذ عبد المطلب ودخل به الكعبة اي وقام يدعو الله اي واهله يؤمنون ويشكر لما اعطاه ثم خرج به الى امه فدفعه اليها وقد تقدم الوعد بذلك وتقدم ما فيه قال وتكلم صلى الله عليه وسلم في المهد في اوائل ولادته واول كلام تكلم به ان قال الله اكبر كبيرا والحمد لله كثيرا انتهى اقول وتقدم انه قال حين ولد جلال ربي الرفيع كما اورده السبتي عن الواقدي وانه روي انه تكلم حين خروجه من بطن امه وقال الله اكبر كبيرا والحمد لله كثيرا وسبحان الله بكرة واصيلا ولا مانع من تكرر ذلك حين خروجه ٥ وحين وضعه في المهد ٥ وانه زاد في المرة الثالثة وسبحان الله بكرة واصيلا ٥ وح يكون تكلمه حين خروجه من بطن امه لم يشاركه فيه غيره من الانبياء الا الخليل والا نوحا كما سياتي بخلاف تكلمه في المهد على انه سياتي انه يجوز ان يكون المراد بالتكلم في المهد التكلم في غير اوان الكلام ويقال انه قال ذلك عند فطامه وتقدم انه قال الحمد لله لما عطس على الاتصال الذي ابداه بعضهم كما تقدم بما فيه ولا مانع

آن اول م

نفسه في قدم

من وجود

من وجود هذه الامور الثلاثة التي هي جلال ذي الرفيع والله اكبر كبيرا والحمد لله كثيرا حين ولادته وعلم ترتيبها يتوقف على نقل وح تكون الاولية الواقعة في بعض ذلك اما حقيقية او اضافية وقدمنا ان الاولية في قوله جلال ذي الرفيع بالنسبة لقوله الله اكبر كبيرا والحمد لله كثيرا اضافية قال وقد تكلم جماعة في المهد نظمهم الجلال السيوطي رحمه الله تعالى في قوله ،،

تكلم في المهد النبي محمد ،، ويحيى وعيسى والخليل ومريم ،،
ومبري جريج ثم شاهد يوسف ،، وطفل لدى الاخدود ترويه مسلم ،،
وطفل عليه مر بالامة التي ،، يقال لها تزني ولا تتكلم ،،
وماشطة في عهد فرعون طفلها ،، وفي زمن الهادي المبارك يختم ،،

انتهى

قال بعضهم لكن هو صلى الله عليه وسلم حصر من تكلم في المهد ولم يذكر نفسه اي فقد روي عن ابي هريرة مرفوعا لم يتكلم في المهد الا ثلاثة عيسى ٥ وصاحب جريج وابن المراة التي مر عليها بامراة يقال انها زنت وقد يقال هذا الحصر اضافي اي ثلاثة من بني اسرايل او ان ذلك كان قبل ان يعلم بما زاد وذكر ان عيسى عليه السلام تكلم في المهد وهو ابن ليلة وقيل وهو ابن اربعين يوما اشار بسبابته وقال بصوت رفيع اني عبد الله اي لما مر بنوا اسرايل على مريم وهي حاملة به وانكروا عليها ذلك واشارت اليه ان كلموه وضربوا بايديهم على وجوههم وقالوا كيف نكلم من كان في المهد صبيا قال اللهم ما قصه الله تعالى وسنحاذيه ثم رايت في الكلام على قصة الاسرا والمعراج ذكرت ذلك وان عيسى تكلم يوم ولادته قال لابن خال امه يوسف النجار وقد خرج في طلب امه وقد خرجت لما اخذها ما ياخذ النسا من الطلق عند الولادة خارج بيت المقدس وجلست تحت نخلة يابسة فاخضرت النخلة من ساعتها وتدلت عراجينها وجرت من تحتها عين ماء ووضعته تحتها اي قال ابشر يا يوسف وطب نفسا وقر عينا فقد اخرجني ربي من ظلمة الارحام الى ضوء الدنيا وساتي بني اسرايل وادعوهم الى طاعة الله فانصرف يوسف الى زكريا واخبره بولادة مريم وقول ولدها له ما ذكر وفي النطق المفهوم ان عيسى كلم يوسف المذكور وهو في بطن امه فقد قيل انه اول من علم بحمل مريم فقال لها متعرضا لها يا مريم هل تنبت الارض زرعا من غير بذر وهل يكون ولد من غير فحل فقال له عيسى وهو في بطن امه قم فانطلق الى صلاتك واستغفر الله مما وقع في قلبك وعن ابي هريرة رضي الله عنه ان عيسى تكلم في المهد ثلاث مرات ثم لم يتكلم حتى بلغ المدة التي يتكلم فيها الصبيان عادة ولعل المرة الثالثة هي التي حمد الله فيها بحمد لم تسمع الاذان مثله فقال اللهم انت القريب في علوك المتعالي في دنوك الرفيع على كل شيء من خلقك حارت الابصار دون النظر اليك ومبري

جريج تكلم كذلك اي في بطن امه قيل له من ابوك فقال الراعي عبد بني فلان وتكلم
بعد خروجه من بطن امه فقد تكلم مريم في بطن امه ومريم وهو طفل لذا النطق
المفهوم ولم اقف على وقت كلامه ولا على ما تكلم به واما يحيى فتكلم وهو ابن ثلاث
سنين قال لعيسى اشهد انك رسول الله وعبده والخليل تكلم وقت ولادته وسائر
ما تكلم به وفي كون يحيى ابن ثلاث سنين وكونه ممن تكلم وقت ولادته يكون في المهد
نظر الا ان يكون المراد بالتكلم في المهد التكلم في غيره وان الكلام ولم اقف على من تكلم
في المهد حين تكلم غير من ذكر وغير الطفل الذي لذي الاخدود فانه لما جيء بامه لتلقى
في نار الاخدود او لتكفر وهو معها مرضع فتقاعست قال لها يا امه اصبري فانك على
الحق قال ابن قتيبة كان سنه سبعة اشهر وفي النطق المفهوم ان شاهد يوسف
الصديق كان عمره شهرين وكان ابن داية زليخا وفي الخصائص الصغرى وخص بكلام
الصبيان في المراضع وشهادتهم له بالنبوة ذكر ذلك البدر الدماميني هذا كلامه وفيه
نظر لانه لم يشهد له بالنبوة من هولاء الا مبارك اليمامة حسبما وقفت عليه ورايت في
الاجوبة المسكتة لابن عون ان اليهود قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم الست لم تزل
نبيا قال نعم قالوا فلم لم تنطق في المهد كما نطق عيسى قال ان الله خلق عيسى من غير فحل
فلولا انه نطق في المهد لما كان لمريم عذر واخذت بما يوخذ به مثلها وانا ولدت بين
ابوين هذا كلامه وهو يخالف ما تقدم من انه صلى الله عليه وسلم تكلم في المهد الا
ان يقال مرادهم لم لم تنطق في المهد بمثل الذي نطق به عيسى او ان ذلك منه صلى الله عليه
وسلم ارخا للعنان فليتامل ثم رايت ان ابراهيم الخليل لما سقط على الارض استوى
قائما على قدميه وقال لا اله الا الله وحده لا شريك له الملك وله الحمد الحمد لله الذي
هدانا لهذا قال في النطق المفهوم ولد بالغار الذي ولد به نوح وادريس عليهما
السلام ويقال لهذا الغار غار النور ويضم لهولاء ما ذكره الشيخ محي الدين ابن العربي
قال قلت لبنتي زينب مرة وهي في سن الرضاعة قريبا عمرها من سنة ما تقولين في الرجل
يجامع حليلته ولم ينزل فقالت يجب عليه الغسل فتعجب الحاضرون من ذلك ثم اني فارقت تلك
البنت وغبت عنها سنة في مكة وكنت اذنت لوالدها في الحج فجا مع الحاج الشامي فلما
خرجت لملاقاتها راتني من فوق الجمل وهي ترضع فقالت بصوت فصيح قبل ان تراني
امها هذا ابي وضحكت وارمت نفسها الي قال وقد رايت اي علمت من اجاب امه
بالتشميت وهو في بطنها حين عطست وسمع الحاضرون كلهم صوته من جوفها شهد
عندي الثقات بذلك قال وهذا واحد يخصه الله بعلمه وهو ببطن امه ولا يحجبكم قوله
تعالى والله اخرجكم من بطون امهاتكم لا تعلمون شيئا لانه لا يلزم من العالم
حضوره مع علمه دائما وفي النطق المفهوم ان يوسف صلوات الله وسلامه عليه
تكلم في بطن امه فقال انا المفقود والمغيب عن وجه ابي زمانا طويلا فاخبرت امه

والد

والدي بذلك فقال لها انتي امرك وفيه ان نوحا عليه الصلاة والسلام تكلم عقب ولادته
فان امه ولدته في غار خوفا على نفسها وعليه فلما ارادت الانصراف قالت واغم نوحاه
قال لها لا تخافي علي احدا يا اماه فان الذي خلقني يحفظني وفيه ان موسى لما وضعته ام موسى
عليه السلام استوى قاعدا وقال يا اماه لا تخافين اي من فرعون وان الله معنا ومبارك
اليمامة قال بعض الصحابة دخلت دارا بمكة فرايت فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم
وسمعت منه عجبا جاءه رجل بصبي يوم ولد وقد لفه في خرقة فقال له النبي صلى الله عليه
وسلم يا غلام من انا فقال الغلام بلسان طلق انت رسول الله قال صدقت بارك الله فيك
ثم ان الغلام لم يتكلم بشيء فكنا نسميه مبارك اليمامة وكانت هذه القصة في حجة الوداع
وكان صلى الله عليه وسلم يناغي القمر وهو في مهده اي يحدثه يقال ناغت المراة الصبي
اذا كلمته بما يسره ويعجبه وعد ذلك من خصائصه وفيه حديث فيه مجهول وقيل فيه
انه غريب المتن والاسناد وعن عمه العباس رضي الله عنه انه قال يا رسول الله دعاني
الى الدخول في دينك اشارة اي علامة لنبوتك رايتك في المهد تناغي القمر اي تحدثه فتشير
اليه باصبعك فحيث ما اشرت اليه مال قال كنت احدثه ويحدثني ويلهيني عن البكا
واسمع وجبته اي سقطته حين يسجد تحت العرش ولم [illegible] على سنه صلى الله عليه وسلم حين
ذاك وكان مهده صلى الله عليه وسلم يتحرك بتحريك الملايكة وعد ابن سبع رحمه الله من
خصائصه

باب تسميته صلى الله عليه وسلم محمد واحمد

لا يخفى ان جميع اسمائه
مشتقة من صفات قامت به توجب المدح والكمال فله من كل وصف اسم قال
وكان الله عز وجل الهم للنبي صلى الله عليه وسلم القاسم عن ابي جعفر محمد ابن علي
ابن ابي طالب وهو الباقر من بقر العلم اي شقه قال امرت امنه اي في المنام وهي حامل
برسول الله صلى الله عليه وسلم ان تسميه احمد وعن ابن اسحق ان تسميه محمدا وقد تقدم
قال والثاني هو المشهور في الروايات اي وعلى الاول اقتصر الحافظ الدمياطي والمسمي
له محمد جده عبد المطلب فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال لما ولد رسول الله صلى الله عليه
وسلم عق عنه اي يوم سابع ولادته جده بكبش وسماه محمدا فقيل له يا ابا الحارث ما
حملك على ان تسميه محمدا ولم تسمه باسم ابائه وفي لفظ وليس من اسماء ابائك ولا قومك
قال اردت ان يحمده الله في السماء ويحمده الناس في الارض اقول وهذا هو الموافق لما
اشتهر ان جده سماه محمدا بالهام من الله تعالى تفاؤلا بان يكثر حمد الناس له لكثرة
خصاله الحميدة ولذلك كان ابلغ من محمود والى ذلك يشير حسان رضي الله عنه بقوله

وشق له من اسمه ليجله ۞ فذو العرش محمود وهذا محمد ۞

وهذا الالهام لا ينافي ان تكون امه قالت له انها امرت ان تسميه بذلك وقد حقق الله
رجاه فانه صلى الله عليه وسلم تكاملت فيه الخصال المحمودة والخصال المحبوبة فتكاملت
له المحامد من الخالق والخليقة فظهر معنى اسمه على الحقيقة وفي الخصائص الصغرى وخص

وضعته ام

صلى الله عليه وسلم

النبي محمد

باشتقاق اسمه من اسم الله تعالى وبانه صلى الله عليه وسلم سمي احمد ولم يسم به احد
قبله ولافادته الكثرة في معناه لانه لا يقال الا لمن حمد المرة بعد المرة لما يوجد فيه من
المحاسن والمناقب ادعى بعضهم انه من صيغ المبالغة اي الصيغ المفيدة للمبالغة بالمعنى
المذكور استعمالا لا وضعا لان الصيغ الموضوعة لافادة المبالغة منحصرة في الصيغ الخمسة
وليس هذا منها وهذا السياق يدل على ان تسميته صلى الله عليه وسلم بذلك كانت في يوم العقيقة
وان العقيقة كانت في اليوم السابع من ولادته وتقدم ولد الليلة لعبد الله ابن عبد المطلب
غلام سموه محمدا وهو يدل على ان تسميته صلى الله عليه وسلم بذلك كانت في ليلة ولادته او
يومها وقد يقال لا منافاة لانه يجوز ان يكون قولهم هنا وسماه محمدا معناه اظهر تسميته
بذلك لعموم الناس وهذا التعليل للتسمية بهذا الاسم يرشد الى ما قيل اقتضت الحكمة ان
يكون بين الاسم والمسمى تناسب في الحسن والقبح واللطافة والكثافة ومن ثم غير صلى الله
عليه وسلم الاسم القبيح بالحسن وهو كثير وربما غير الاسم الحسن بالقبيح للمعنى المذكور
كتسميته لابي الحكم بابي جهل وتسميته لابي عامر الراهب بالفاسق وجاء انه صلى الله عليه
وسلم قال لبعض اصحابه ادع لي انسانا يحلب ناقتي فجاء بانسان فقال له ما اسمك قال
حرب فقال اذهب فجاء باخر فقال ما اسمك قال يعيش فقال احلبها ويروي انه صلى
الله عليه وسلم طلب شخصا يحفر له بيرا فجاء رجل فقال له ما اسمك قال مرة فقال
اذهب وليس هذا من الطيرة التي كرهها ونهي عنها وانما هو من كراهة الاسم القبيح
ومن ثم كان يكتب لامرائه اذا ابردتم لي بريدا فابردوه اي اذا ارسلتم لي رسولا فارسلوه
حسن الاسم حسن الوجه ومن ثم لما قال له سيدنا عمر لما قال لمن اراد ان يحلب له ناقته
ويحفر له البئر ما تقدم لا ادري اقول ام اسكت فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم قل
فقال كيف تنهانا عن التطير فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما تطيرت ولكن اثرت
الاسم الحسن وللجلال السيوطي رحمه الله تعالى كتاب فيمن غير صلى الله عليه وسلم اسمه ولم
اقف عليه ورايت في كلام بعضهم ان حزن ابن ابي وهب اسلم يوم الفتح وهو جد سعيد
ابن المسيب اراد النبي صلى الله عليه وسلم تغيير اسمه وتسميته سهلا فامتنع وقال
لا اغير اسما سمانيه ابواي قال سعيد فلم تزل الحزونة فينا والله اعلم اي وفي حديث
انه صلى الله عليه وسلم عق عن نفسه بعدما جاءته النبوة قال الامام احمد هذا منكر
اي حديث منكر والحديث المنكر من اقسام الضعيف لا انه باطل كما قد يتوهم والحافظ
السيوطي لم يتعرض لذلك وجعله اصلا لعمل المولد قال لان العقيقة لا تعاد مرة ثانية
فيحمل ذلك على ان هذا الذي فعله النبي صلى الله عليه وسلم اظهارا للشكر على ايجاد
الله تعالى اياه رحمة للعالمين وتشريفا لامته كما كان يصلي على نفسه كذلك قال
فيستحب لنا اظهار الشكر بمولده صلى الله عليه وسلم هذا كلامه ويروي ان
عبد المطلب انما سماه محمدا لرؤيا راها اي في منامه راى كان سلسلة خرجت من

ظهره

ظهره لها طرف في السماء وطرف في الارض وطرف في المشرق وطرف في المغرب ثم عادت كانها
شجرة على كل ورقة منها نور واذا اهل المشرق واهل المغرب يتعلقون بها فقصها
فعبرت له بمولود يكون من صلبه يتبعه اهل المشرق والمغرب ويحمده اهل السماء
والارض فلذلك سماه محمدا اي مع ما حدثته به امه بما راته على ما تقدم وعن ابي نعيم
عن عبد المطلب قال بينا انا نائم في الحجر اذ رايت رؤيا هالتني ففزعت منها فزعا شديدا
فاتيت كاهنة قريش فلما نظرت الي عرفت في وجهي التغير فقالت ما بال سيدنا قد
اتى متغير اللون هل رابه من حدثان الدهر شيء فقلت لها بلى اني رايت الليلة
وانا نائم في الحجر كان شجرة نبتت قد نال راسها السماء وضربت باغصانها المشرق والمغرب
وما رايت نورا ازهر منها ورايت العرب والعجم ساجدين لها وهي تزداد كل ساعة
عظما ونورا وارتفاعا ورايت رهطا من قريش قد تعلقوا باغصانها ورايت قوما
من قريش يريدون قطعها فاذا دنوا منها اخذهم شاب لم ار قط احسن منه وجها
ولا اطيب منه ريحا فيكسر ظهورهم ويقلع اعينهم فرفعت يدي لاتناول منها
نصيبا فلم انله فانتبهت مذعورا فزعا فرايت وجه الكاهنة قد تغير ثم قالت لئن
صدقت رؤياك ليخرجن من صلبك رجل يملك المشرق والمغرب ويدين له الناس
وعند ذلك قال عبد المطلب لابنه ابي طالب لعلك ان تكون هذا المولود فكان ابو
يحدث بهذا الحديث بعدما ولد صلى الله عليه وسلم ويقول كانت الشجرة محمد
صلى الله عليه وسلم وفي الامتاع كما مات قثم ابن عبد المطلب قبل مولد رسول الله
صلى الله عليه وسلم بثلاث سنين وهو ابن تسع سنين وجد عليه وجدا شديدا فلما
ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم سماه قثم حتى اخبرته امه امنة انها رات في منامها
ان تسميه محمدا فسماه محمدا اي ولا مخالفة بين هذه الروايات على تقدير صحتها
لانه يجوز ان يكون نسي تلك الرؤيا ثم تذكرها ويكون يعني سواله ما حملك على ان تسميه
محمدا وليس من اسماء قومك اي لما استقر امرك على ان تسميه محمدا وذكر بعضهم انه
لا يعرف في العرب من تسمى بهذا الاسم يعني محمد قبله الا ثلاثة طمع اباؤهم حين وفدوا
على بعض الملوك وكان عنده علم من الكتاب الاول واخبرهم بمبعث النبي صلى الله عليه
وسلم اي بالحجاز وبقرب زمنه وباسمه المذكور الذي هو محمد وهو يدل على ان اسمه
في بعض الكتب القديمة محمد وكان كل واحد منهم قد خلف زوجته حاملا فنذر كل
واحد منهم ان ولد له ولد ذكر ان يسميه محمدا ففعلوا ذلك وفي الشفا ان في هذين
الاسمين محمد واحمد من بدائع اياته اي المصطفى وعجائب خصائصه ان الله تعالى
اجلهما عن ان يسمى بهما احد قبل زمانه اي قبل شيوع وجوده واما احمد الذي
اتى في الكتب القديمة وبشرت به الانبياء عليهم الصلاة والسلام فمنع الله بحكمته ان
يسمى به احد غيره ولا يدعى به مدعو قبله منذ خلقت الدنيا وفي حياة زاد الزين

يدًا

طالب

زاد الزين العراقي ولا في زمان اصحابه رضي الله عنهم حتى لا يدخل لبس على ضعيف
القلب او شك اي في التسمية به من خصائصه صلى الله عليه وسلم على جميع الناس ممن
تقدمه خلافا لما توهمه كلام الجلال السيوطي في الخصائص الصغرى انه من خصائصه صلى
الله عليه وسلم على الانبيا فقط ومن ثم ذهب بعضهم الى افضليته على محمد وقال
الصلاح الصفدي رحمه الله ان احمد ابلغ من محمد كما ان احمر واصفر ابلغ من محمر ومصفر
ولعله لكونه منقولا من افعل التفضيل لانه صلى الله عليه وسلم لانه احمد الحامدين
لرب العالمين لانه يفتح عليه في المقام المحمود بمحامد لم يفتح على احد قبله وفي الهدي
لو كان اسمه احمد باعتبار حمده لربه لكان الاولى ان يسمى الحامد كما سميت بذلك امته
فهو الذي يحمده اهل السما والارض واهل الدنيا والاخرة لكثرة خصاله المحمودة التي
تزيد على عد العادين واحصا المحصين اي احق الناس واولاهم بان يحمد فهو محمد
في المعنى فهو ماخوذ من الفعل الواقع على المفعول لا الواقع من الفاعل وح فالفرق
بين احمد ومحمد ان محمدا من كثر حمد الناس له واحمد من يكون حمد الناس له افضل
من حمد غيره وسياتي عن الشفا انه احمد المحمودين واحمد الحامدين فيجوز ان يكون احمد
ماخوذا من الفعل الواقع من الفاعل وفي كلام السهيلي ثم انه لم يكن محمدا حتى كان
احمد فيا احمد ذكر قبل ان يذكر بمحمد لان حمده لربه كان قبل حمد الناس له والحاصل في
بيان ذلك وفي كلام بعض فقهائنا معاشر الشافعية انه ليس في احمد من التعظيم ما في
محمد لانه اشهر اسمائه الشريفة وافضلها فلذلك لا يبلغ الاتيان به في التشهد بدلا
محمد وقد جا احب الاسما الى الله تعالى عبد الله وعبد الرحمن قال بعضهم وعبد الله
احب من عبد الرحمن لاضافة العبد الى الله المختص به تعالى اتفاقا والرحمن مختص به
على الاصح ومن ثم سمى نبينا صلى الله عليه وسلم في القران بعبد الله في قوله تعالى وانه
لما قام عبد الله يدعوه الاية على ما ذكر هنا تكون بعد عبد الرحمن المذكور في القران
في قوله تعالى وعباد الرحمن احمد ومحمد اي وبعدهما ابراهيم خلافا لمن جعل بعد عبد
الرحمن وذكر بعضهم ان اول من تسمى باحمد بعد نبينا صلى الله عليه وسلم ولد جعفر
ابن ابي طالب وعليه يشكل ما تقدم عن الزين العراقي وقيل والد الخليل اي ولعل المراد
به الخليل ابن احمد صاحب العروض ثم رايت الزين العراقي صرح بذلك حيث قال
واول من سمى في الاسلام احمد والد الخليل ابن احمد العروضي ونستشكل على ذلك
وعلى قوله لم يتسم به احد في زمن الصحابة تسمية ولد جعفر ابن ابي طالب بذلك
الا ان يقال لم يصح ذلك عند العراقي ويقال المراد العراقي اصحابه الذين تخلفوا
عنه بعد وفاته صلى الله عليه وسلم فلا يرد جعفر لانه مات في حياته صلى الله
عليه وسلم وهو خامس خمسة كل سمى الخليل وزاد بعضهم سادسا وكذلك
محمد ايضا لم يتسم به احد قبل وجوده صلى الله عليه وسلم وميلاده الا بعد ان

ابن احمد صح

شاع ان نبيا يبعث اسمه محمد اي بالحجاز وقرب زمنه فسمى قوم من العرب ابناءهم
بذلك وحمى الله تعالى هولاء ان يدعي احد منهم النبوة او يدعيها احد له او يظهر
عليه شي من سماتها اي علاماتها حتى تحققت له صلى الله عليه وسلم وفي دعوى ان
النبي في الكتب القديمة انما هو احمد مخالفة لما سبق ولما ياتي عن التوراة والانجيل
اي فالمراد بالكتب القديمة غالبها فلا ينافي ان في بعضها اسمه محمد وفي بعضها
الجمع بين احمد ومحمد قال بعضهم وسمعت محمد ابن عدي وقد قيل له كيف سماك
ابوك في الجاهلية محمدا قال سالت ابي اي عما سالتني عنه قال خرجت رابع اربعة
من تميم نريد الشام فنزلنا عند دير فاشرف علينا الديراني وقال ان هذه اللغة لقوم ما هي
لغة اهل هذه البلد فقلنا نحن قوم من مضر فقال من اي المضاير فقلنا من خندف
فقال لنا ان الله سيبعث فيكم نبيا وشيكا اي سريعا فسارعوا اليه وخذوا بحظكم
ترشدوا فانه خاتم النبيين فقلنا له ما اسمه قال محمد ثم دخل ديره فوالله ما بقي
احد منا الاربع قوله في مهلة قلبه فاضمر كل واحد منا ان رزق غلاما سماه محمدا
رغبة فيما قال اي نقيد كل واحد منا ذلك فلا يخالفه ما سبق قال فلما انصرفنا
ولد لكل منا غلام فسماه محمدا رجا ان يكون احدهم هو والله اعلم حيث يجعل رسالاته
اقول يجوز ان تكون هولا الاربعة منهم الثلاثة الذين وفدوا على بعض الملوك
وح تكرر لهم هذا القول عن الملك ومن صاحب الدير واضمار ذلك لا ينافي نذره المتقدم
فالمراد باضماره نذره كما تقدم ويجوز ان يكون غيرهم فيكونوا سبعة وذكر ابن ظفر
رحمه الله تعالى ان سفيان ابن مجاشع نزل على حي من تميم فوجدهم مجتمعين على كاهنتهم
وهي تقول العزيز من والاه والذليل من خالاه فقال لها سفيان من تذكرين لله ابوك
فقالت نبي مؤيد قد حان حين يوجد ودنا اوان ان يولد يبعث للاحمر والاسود اسمه
محمد فقال سفيان اعربي ام عجمي فقالت اما والسماء ذات العنان والشجر ذات الافنان
انه لمن ولد معد ابن عدنان حسبك فقد اكثرت يا سفيان فامسك سفيان عن سؤالها
ومضى الى اهله وكانت امراته حاملا فولدت له ولدا فسماه محمدا رجاء منه ان
يكون هو النبي الموصوف والله اعلم وقد عد بعضهم ستة عشر ونظمها في قوله

ان الذين سموا باسم محمد … من قبل خير الخلق ضعف ثمان
ابن البرا مجاشع ابن ربيعة … ثم ابن مسلم يحمدي حرمان
وابن السليمي ثم وابن اسامة … سعدي وابن سواءة همدان
وابن الجلاح مع الاسدي يافعي … ثم الفقيمي هكذا الحمراني

قال بعضهم وفاته اخران لم يذكرهما وهما محمد ابن الحارث ومحمد ابن عمرو وابن مغفل
بضم اوله وسكون المعجمة وكسر الفاء ثم لام ووقع النزاع الكثير والخلاف الشهير في اول
من سمى بذلك الاسم منهم اقول وفي شرح الكفاية لابن الهايم ويمكن ان يكون

شاع

من زاد على اوليك الاربعه او السبعه سمع ذلك من بعضهم فاقتدى به في ذلك طمعا فيما
طمع فيه ومثل ذلك وقع لبني اسرايل فان يوسف صلوات الله وسلامه عليه لما حضرته
الوفاة اعلم بني اسرايل بحضور اجله وكان اول انبياهم فقالوا يا نبي الله انا نحب ان
تعلمنا بما يؤول اليه امرنا بعد خروجك من بين اظهرنا في امر ديننا فقال لهم ان امورکم
لم تزل مستقيمة حتى يظهر عليكم رجل جبار من القبط يدعي الربوبيه يذبح ابناكم
ويستحيي نساكم ثم يخرج من بني اسرايل رجل اسمه موسى ابن عمران فينجيكم الله به
من القبط فجعل كل واحد من بني اسرايل اذا جاءه له ولد يسميه عمران ولا يخفى ان بين
عمران ابي موسى وعمران ابي مريم ام عيسى وهو اخر انبيا بني اسرايل الف وثمانماية سنة
والله اعلم والذي ادرك الاسلام ممن تسمى باسمه عليه الصلاة والسلام محمد ابن
ربيعه ومحمد ابن الحارث ومحمد ابن مسلمة الانصاري وادعى بعضهم ان محمد ابن مسلمه
ولد بعد مولد النبي صلى الله عليه وسلم باكثر من خمسة عشر سنة اي وقد ذكر ابن
الجوزي رحمه الله تعالى ان اول من تسمى في الاسلام بمحمد محمد ابن حاطب وعن ابن عباس
رضي الله عنهما يرفعه اسمي في القران اي كالتوراة محمد وفي الانجيل احمد واما
فضل التسميه بهذا الاسم اعني محمد فقد جا فيه احاديث كثيره واخبار شهيره اي منها
انه صلى الله عليه وسلم قال قال الله تعالى وعزتي وجلالي لا اعذب احدا تسمى باسمك
في النار اي باسمك المشهور وهو محمد واحمد ومنها ما من مايدة وضعت فحضر عليها من
اسمه محمد او احمد اي وفي روايه فيها اسمي الا قدس الله ذلك المنزل كل يوم مرتين
ومنها قال يوقف عبدان اي اسم احدهما احمد والاخر محمد بين يدي الله تعالى فيومر
بهما الى الجنة فيقولان ربنا بما استاهلنا الجنه ولم نعمل عملا تجازينا به الجنه فيقول الله
تعالى ادخلا الجنه اني اليت على نفسي ان لا يدخل النار من اسمه احمد او محمد لكن قال
بعضهم ولم يصح في فضل التسميه بمحمد حديث وكلما ورد فيه فهو موضوع قال بعض
الحفاظ واصحها اي اقربها الى الصحة من ولد له مولود فسماه محمدا حبا لي وتبركا
باسمي كان هو ومولوده في الجنه وعن ابي رافع عن ابيه رضي الله عنهما قال سمعت رسول
الله صلى الله عليه وسلم يقول اذا سميتموه محمدا فلا تضربوه ولا تحرموه وفي روايه طعن
فيها بان بعض رواتها متهم بالوضع فلا تسبوه ولا تجبهوه ولا تقنطوه وشرفوه وعظموه
واكرموه وبروا قسمه واوسعوا له في المجالس ولا تقبحوا له وجها بورك في محمد وفي بيت
فيه محمد ومجلس فيه محمد وفي روايه تسمونه محمدا ثم تسبونه وفي روايه طعن فيها
اما يستحي احدكم ان يقول يا محمد ثم يضربه وعن ابن عباس رضي الله عنهما من ولد
له ثلاثة اولاد فلم يسم احدهم محمدا فقد جهل اي وفي روايه فهو من الجفا وفي اخرى
فقد جفاني وذكر بعضهم انه لم يرد في المرفوع من اراد ان يكون حمل زوجته
ذكرا فليضع يده على بطنها وليقل ان كان هذا الحمل ذكرا فقد سميته محمدا

رجاء ان يكون ذلك العلام متقدم

فانه يكون ذكرا وجا عن عطا قال ما سمي مولود في بطن امه محمدا الا كان ذكرا
قال ابن الجوزي في الموضوعات وقد رفع هذا بعضهم اي وروى ما اجتمع قوم قط
في مشورة فيهم رجل اسمه محمد لم يدخلوه في مشورتهم الا لم يبارك فيه اي في الامر
الذي اجتمعوا له وفي روايه فيهم رجل اسمه محمد او احمد فشاوروه الا خير لهم
اي الا حصل لهم الخير فيما تشاوروا فيه وما كان اسم محمد في بيت الا جعل الله في
ذلك البيت بركة واتهم راوي ذلك بانه مجروح وروى ما قعد قوم قط على طعام
حلال فيهم رجل اسمه اسمي الا تضاعفت فيه البركه اي اسمه المشهور وهو احمد او
محمد كما تقدم وفي الشفا ان لله ملايكة سياحين في الارض عبادتهم اي بالبالي حفظ
كل دار فيها اسم محمد اي حراسة كل دار فيها اسم محمد وقد ذكر الحافظ السيوطي
ان هذا الحديث غير ثابت وعن الحسن ابن علي ابن ابي طالب رضي الله عنهما قال من
كان له حمل فنوى ان يسميه محمدا حوله الله تعالى ذكرا وان كان انثى قال بعض رواة
الحديث فنويت سبعة كلهم سميتهم محمدا وعنه صلى الله عليه وسلم من كان له ذو بطن
فاجمع ان يسميه محمدا رزقه الله غلاما وشكت اليه صلى الله عليه وسلم امراة بالجفا
لا يعيش لها ولد فقال لها اجعلي لله عليك ان تسميه محمدا اي الولد الذي ترزقينه محمد
ففعلت فعاش ولدها وعن علي كرم الله وجهه مرفوعا ليس احد من اهل الجنة الا هو
يدعى باسمه اي فلا يكنى الا ادم صلى الله عليه وسلم فانه يدعى ابا محمد تعظيما له وتوقيرا
للنبي صلى الله عليه وسلم اي لان العرب اذا عظمت انسانا كنته ويكنى الانسان باجل
ولده قال الحافظ الدمياطي وفي روايه ليس احد اي من اهل الجنه يكنى الا ادم فانه
يكنى ابا محمد اي وفي حديث معضل اذا كان يوم القيمة نادى مناد يا محمد قم فادخل
الجنه بغير حساب فيقوم كل من اسمه محمد يتوهم ان النداء له فلكرامة محمد صلى الله
عليه وسلم لا يمنعون وفي الحليه لابي نعيم عن وهب ابن منبه قال كان رجل عصى الله
تعالى مائة سنة اي في بني اسرائيل ثم اخذوه فالقوه في مزبلة فاوحى الله الى موسى
عليه السلام ان اخرجه فصل عليه قال يا رب ان بني اسرائيل شهدوا انه عصاك
مائة سنة فاوحى الله اليه هكذا الا انه كان كلما نشر التوراة نظر الى اسم محمد
صلى الله عليه وسلم قبله ووضعه على عينيه فشكرت له ذلك وغفرت له وزوجته
سبعين حورا ومن الفوايد انها جرت عادة كثير من الناس اذا سمعوا بذكره
وصفه صلى الله عليه وسلم ان يقوموا تعظيما له صلى الله عليه وسلم وهذا القيام
بدعة لا اصل لها اي لكن هي بدعة حسنة لانه ليس كل بدعة مذمومة وقد قال
سيدنا عمر رضي الله تعالى عنه في اجتماع الناس لصلاة التراويح نعمت البدعة
وقد قال العز ابن عبد السلام رحمه الله ان البدعة تعتريها الاحكام الخمسه
وذكر من امثلة كل ما يطول ذكره ولا ينافي ذلك قوله صلى الله عليه وسلم

قيرا

ابا لهم ومحدثات الامور فان كل بدعة ضلاله وقوله صلى الله عليه وسلم من احدث في
امرنا اي شرعنا ما ليس منه فهو رد عليه لان هذا عام اريد به خاص فقد قال امامنا
الشافعي قدس الله سره ما احدث وخالف كتابا او سنة او اجماعا او اثرا فهو البدعة
الضالة وما احدث من الخير ولم يخالف شيئا من ذلك فهو البدعة المحموده وقد وجد
القيام عند ذكر اسمه صلى الله عليه وسلم من عالم الامة ومقتدى الايمة دينا
وورعا الامام تقي الدين السبكي تغمده الله برحمته وتابعه على ذلك مشايخ الاسلام في
عصره فقد حكى بعضهم ان الامام السبكي اجتمع عنده جمع كثير من علما عصره فانشد
منشد قول الصرصري رحمه الله تعالى في مدحه صلى الله عليه وسلم وشرف وكرم قوله

قليل لمدح المصطفى الخط بالذهب ** على ورق من خط احسن من كتب
وان تنهض الاشراف عند سماعه ** قياما صفوفا او جثيا على الركب

فعند ذلك قام الامام السبكي رحمه الله تعالى وجميع من في المجلس فحصل انس كبير بذلك
المجلس ويكفي ذلك في الاقتدا وقد قال ابن حجر الهيتمي رحمه الله تعالى والحاصل ان
البدعة الحسنة متفق على ندبها وعمل المولد واجتماع الناس له كذلك اي بدعة حسنة
ومن ثم قال الامام ابو شامة شيخ الامام النووي رحمهما الله تعالى ومن احسن ما ابتدع
في زماننا ما يفعل كل عام في اليوم الموافق ليوم مولده صلى الله عليه وسلم من الصدقات
والمعروف واظهار الزينة والسرور فان ذلك مع ما فيه من الاحسان للفقرا مشعر بمحبته
وتعظيمه في قلب فاعل ذلك وشكر الله تعالى على ما من به من ايجاد رسول الله صلى
الله عليه وسلم الذي ارسله رحمة للعالمين هذا كلامه قال السخاوي لم يفعله احد
من السلف في القرون الثلاثة وانما حدث بعد ثم لا زال اهل الاسلام من سائر الاقطار
والمدن الكبار يعملون المولد ويتصدقون في لياليه بانواع الصدقات ويعتنون بقراءة
مولده الكريم ويظهر عليهم من بركاته كل فضل عميم قال ابن الجوزي من خواصه انه امان
في ذلك العام وبشرى عاجلة بنيل البغية والمرام واول من احدثه من الملوك صاحب اربل
وصنف له ابن دحية رحمه الله تعالى كتابا في المولد سماه التنوير في مولد البشير النذير
فاجازه بالف دينار وقد استخرج له الحافظ ابن حجر اصلا من السنة وكذا الحافظ السيوطي
وردا على الفاكهاني المالكي في قوله ان عمل المولد بدعة مذمومة والله تعالى اعلم

باب ذكر رضاعه صلى الله عليه وسلم وما اتصل به

اعلم انه صلى الله
عليه وسلم ارضع من ثمانية من النسا وقيل من عشرة بزيادة خولة بنت المنذر وام ايمن
عزيزة قالت اول من ارضع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثويبة اي بعد رضاع امه له صلى
الله عليه وسلم كما سيأتي قال وثويبة هي جارية عمه ابي لهب وقد اعتقها حين
بشرته بولادته صلى الله عليه وسلم اي فانها قالت له اشعرت ان امنة ولدت ولدا
وفي رواية غلاما لاخيك عبد الله فقال لها انت حرة فجوزي بتخفيف العذاب عنه يوم الاثنين

بان يسقى ماء في جهنم في تلك الليلة اي الاثنين في مثل النقرة التي بين السبابة والابهام
انتهى اي ان سبب تخفيف العذاب عنه يوم الاثنين ما سقاه تلك الليلة في تلك النقرة وذكر
ان بعض اهل ابي لهب اي وهو اخوه العباس رضي الله عنه رآه في المنام في حالة سيئة
فعن العباس رضي الله عنه قال مكثت حولا بعد موت ابي لهب لا اراه في نوم ثم رايته في
شر حال فقال له ما ذا لقيت فقال له ابو لهب لم اذق بعدكم رخا وفي لفظ قال له بشر خيبه
بفتح الخا المعجمة وقيل بكسر الخا وهو سوء الحال به غير اني سقيت في هذه واشار الى النقرة
المذكورة بعتاقتي ثويبة ذكره الحافظ الدمياطي والذي في المواهب وقد رؤي ابو لهب بعد
موته في النوم فقيل له ما حالك قال في النار الا انه يخفف عني كل ليلة اثنين وامص من
بين اصبعي هاتين ماء واشار براس اصبعيه وان ذلك باعتاقي لثويبة عندما بشرتني بولادة
النبي صلى الله عليه وسلم وبارضاعها له فليتامل وقيل انما اعتقها لما هاجر صلى الله عليه
وسلم الى المدينة اي فان خديجة رضي الله عنها كانت تكرمها وطلبت من ابي لهب ان تبتاعها
منه لتعتقها فابى ابو لهب فلما هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة اعتقها ابو لهب
اقول وقد لا ينافيه لجواز ان يكون اعتقها ولم يظهر عتقها واباؤه بيعها لكونها كانت
معتوقة ثم اظهر عتقها بعد الهجرة والله اعلم وارضاعها له صلى الله عليه وسلم كان
اياما قلائل قبل ان تقدم حليمة وكان بلبن ابن لها يقال له مسروح وهو بضم الميم وسين مهملة
ساكنة ثم را مضمومة ثم حا مهملة كذا في النور وفي السيرة الشامية بفتح الميم وكانت قد ارضعت
قبله ابا سفيان ابن عمه الحارث وفي كلام بعضهم كان تربا له صلى الله عليه وسلم وكان يشبهه
وكان يالفه الفا شديدا قبل النبوة فلما بعث صلى الله عليه وسلم عاداه وهجاه وهجا اصحابه فانه
كان شاعرا مجيدا وسياتي اسلامه رضي الله عنه عند توجهه صلى الله عليه وسلم لفتح مكة
وارضعت ثويبة قبلهما عمه حمزة ابن عبد المطلب وكان اسن منه صلى الله عليه وسلم بسنتين
وقيل باربع سنين اقول هذا لا يخالف ما تقدم من ان عبد المطلب تزوج من بني زهرة
هالة واتى منها بحمزة وان عبد الله تزوج من بني زهرة امنة وذلك في مجلس واحد وان
امنة حملت برسول الله صلى الله عليه وسلم عند دخول عبد الله بها وانه دخل بها حين
املك عليها فكيف يكون حمزة اسن منه صلى الله عليه وسلم بسنتين الا ان يقال ليس فيما
تقدم تصريح بان عبد المطلب وعبد الله دخلا على زوجتيهما في وقت واحد وعبارة السهيلي
رحمه الله تعالى هالة بنت وهيب ابن عبد مناف ابن زهرة عم امنة بنت وهب ام النبي صلى الله
عليه وسلم تزوجها عبد المطلب وتزوج ابنه عبد الله امنة في ساعة واحدة فولدت هالة
لعبد المطلب حمزة وولدت امنة لعبد الله رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم ارضعتهما ثويبة
هذا كلامه وليس فيه كقول اسد الغابة ان عبد المطلب تزوج هو وعبد الله في مجلس واحد (المتقدم)
تصريح بانهما دخلا بزوجتيهما في وقت واحد لامكان حمل التزوج على الخطبة المصرح به فيما تقدم
عن ابن المحدث ان عبد المطلب خطب هالة في مجلس خطبة عبد الله لامنة والله تعالى اعلم

ثم رايت في الاستيعاب قال كان اي حمزة اسن من رسول الله صلى الله عليه وسلم باربع سنين
وهذا لا يصح عندي لان الحديث الثابت ان حمزة رضي الله عنه ارضعته ثويبة مع رسول الله
صلى الله عليه وسلم الا ان تكون ارضعتهما في زمانين وفيه ما علمت وفيه ايضا على تسليم انها
ارضعتهما في زمانين لكن بلبن ابنها مسروح كما سياتي ويبعد بقا لبن ابنها مسروح اربع سنين
ثم ارضعت به رسول الله صلى الله صلى الله عليه وسلم وسياتي الجواب عنه وارضعت ثويبة
بعده ابا سلمة ابن عبد الاسد اي ابن عمته صلى الله عليه وسلم الذي كان زوجا لام سلمة بنت
ابي امية المخزومية ام المومنين رضي الله عنهما فقد ارضعت ثويبة حمزة ثم ابا سفيان ابن عمه
الحارث ثم رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم ابا سلمة وهو مخالف بظاهره لقول المحب الطبري
وارضعته ثويبة جارية ابي لهب وارضعت معه حمزة ابن عبد المطلب وابا سلمة عبد الله ابن عبد
الاسد بلبن ابنها مسروح هذا كلامه وفيه ما علمت **وقد يجاب** بانه يمكن ان تكون لم تحمل
على ولدها مسروح في المدة المذكورة واستمر لبنها وايضا هي ارضعت بين حمزة ورسول الله صلى
الله عليه وسلم ابا سفيان ابن عمه الحارث كما علمت وذكر بعضهم ان ابا سلمة اول من يعطى
الحساب اليسير وقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم حديثا واحدا فعن ام سلمة رضي
الله عنها قالت اتاني ابو سلمة يوما من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لقد سمعت من
رسول الله صلى الله عليه وسلم قولا سررت به قال لا تصيب احدا من المسلمين مصيبة فيسترجع
عند مصيبته ثم يقول اللهم اجرني في مصيبتي واخلف علي خيرا منها الا فعل به قال الترمذي
حسن غريب ويدل لكون ابي سلمة اخاه من الرضاعة ما جاء عن سلمة رضي الله عنها قالت
دخل علي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت له هل لك في اختي بنت ابي امية وهي عزة
بعين مهملة ثم زاي اي **وفي رواية** هل لك في اختي حمنة بنت ابي امية والذي في مسلم انكح اختي
عزة اي وفي البخاري انكح اختي بنت ابي امية قال وتحبين ذلك قالت نعم لست لك بمخلية بضم
الميم وسكون الخا المعجمة وكسر اللام وبالتحتية اي لست لك بتاركة عدم اخذها واحب من شاركني
في خير اختي فقال النبي صلى الله عليه وسلم فان ذلك لا يحل لي قالت فوالله اني انبيت اي وفي لفظ
انا لنتحدث انك لتخطب ذرة بفتح الذال المعجمة اي ولفظ تريد ان تخطب تنكح درة بنت ابي سلمة
اي بضم الدال المهملة واما ضبط ذرة بفتح الذال المعجمة فقال بعضهم هو تصحيف لا شك فيه تعني
بدرة بنتها من ابي سلمة قال ابنة ابي سلمة قلت نعم قال والله لو لم تكن ربيبتي في حجري ما حلت
لي انها لابنة اخي من الرضاعة ارضعتني واباه ثويبة اي وفي رواية لو اني لم انكح ام سلمة التي
هي امها لم تحل لي ان اباها اخي من الرضاعة وابنتك على فرض ان لا تكون بنت اخي من الرضاعة
لا يحل لي ان اجمعها معك فلا تعرضن علي بناتكن ولا اخواتكن **قيل** وفي هذا اي في قوله لو لم
تكن ربيبتي في حجري وفي قوله تعالى وربائبكم اللاتي في حجوركم حجة لداود الظاهري ان الربيبة
لا تحرم الا اذا كانت في حجر زوج امها فان لم تكن في حجره فهي حلال اي وقيل لها ربيبة لانها
ماخوذة من الرب وهو الاصلاح لان زوج امها يقوم باصلاح احوالها **قال** ولكان

تقول

يقول كان الظاهر الاقتصار على الاخوات لان ام سلمة هي التي عرضت اختها ولم
تعرض بنتها التي هي درة وقد يجاب بانه صلى الله عليه وسلم جمع خطابا ام سلمة خطابا
لجميع زوجاته لان هذا الحكم لا يختص بواحدة دون اخرى انتهى **اقول** فيه ان هذا
واضح لو كان في زوجاته من عرض عليه بنته الا ان يقال المراد فلا تعرضن لا ينبغي لكن
ان تعرضن وذلك لا يستلزم وقوع العرض بالفعل ثم رايت الامام النووي ذكر ان هذا من
ام سلمة لم تكن تعلم تحريم الجمع بين الاختين عليه صلى الله عليه وسلم **قال**
وكذا لم تعلم من عرض بنت ام سلمة تحريم الربيبة هذا كلامه وهو يقتضي ان بعض الناس
عرض بنت ام سلمة واذا كان من عرضها عليه احد نسائه المخبر فلا تعرضن علي بناتكن فليتا
وهذا الحديث استدل من قال انه لا يجوز له ان يجمع بين المراة واختها وهو الراجح من
وجهين ومقابله يقول خص بجواز ذلك له ولا يجمع بين المراة وبنتها خلافا لوجه حكاه
الرافعي رحمه الله تعالى وهذا الحديث وهو قوله صلى الله عليه وسلم لو لم انكح ام سلمة لم تحل
لي يرد هذا الوجه وعبارة الخصائص الصغري وله صلى الله عليه وسلم الجمع بين المراة واختها
وعمتها وخالتها في احدي الوجهين وبين المراة وبنتها في وجه حكاه الرافعي وتبعه في الروضة
وجزموا بانه غلط والله اعلم **ومما يدل** ايضا على ان عمه حمزة رضي الله عنه اخوه من
الرضاعة ما جاء عن علي كرم الله وجهه قال قلت يا رسول الله ما لك لا تتوق في قريش اي
بمثناتين فوق مفتوحتين ثم واو مشددة ثم قاف اي لا تشتاق اليهم ماخوذ من التوق الذي
هو الشوق وفي رواية بالتا والنون اي لا تختار ولا تتزوج منهم قال وعندك قلت نعم
بنت حمزة رضي الله عنه اي وهي امامة وهي احسن فتاة في قريش قال تلك ابنة اخي من
الرضاعة اي وهذا من علي كرم الله وجهه محمول على انه لم يكن يعلم بتحريم بنت الاخ من
الرضاعة عليه صلى الله عليه وسلم او انه لم يكن يعلم ان حمزة اخ له صلى الله عليه وسلم من
الرضاعة وفيه انه قد جاء علمت انه اخي من الرضاعة وان الله قد حرم من الرضاعة ما
حرم من النسب الا ان يراد بقوله قد علمت اي اعلم **قال** ولعله لم يقل ارضعتني واياه
ثويبة كما قال ذلك في ابي سلمة لان ثويبة ارضعت حمزة عم النبي صلى الله عليه وسلم ثم
ثم ابا سلمة لان حمزة رضيعه ايضا من امراة من بني سعد غير حليمة كان حمزة رضي الله
عنه مسترضعا عندها في بني سعد ارضعته صلى الله عليه وسلم يوما وهو عند حليمة اي
فهو رضيعه صلى الله عليه وسلم من جهة ثويبة ومن جهة تلك المراة السعدية ولم اقف
على اسم تلك المراة والله اعلم انتهى اي ولو اقتصر على ثويبة لاوهم انه لم يرتضع معه غيره
وذكر في الاصل ان بعضهم ذكر من مراضعه صلى الله عليه وسلم خولة بنت المنذر **اقول**
تقدم ذلك ونسب هذا البعض في ذلك للوهم وان خولة بنت المنذر التي هي ام بردة انما كانت
مرضعة لولده ابرهيم عليه السلام وقد يجاب عنه بانه يجوز ان تكون بنت المنذر اثنتين
واحدة ارضعته صلى الله عليه وسلم وواحدة ارضعت ولده ابرهيم وان خولة التي ارضعته

اي مرضعة تنا محمول على الابهام

مطلب

صلى الله عليه وسلم

هي السعدية التي كانت ترضع حمزة التي قال فيها الشمس الشامي لم اقف على اسم تلك المراة
والله اعلم ولم يذكر اسلام ثويبة الا ابن منده قال الحافظ ابن حجر وفي طبقات ابن سعد
ما يدل على انها لم تسلم ولكن لا يدفع نقل ابن منده وفي الخصايص الصغري لم ترضعه صلى
الله عليه وسلم مرضعة الا اسلمت ولم اقف على اسلام ابنها مسروح **قال** ومما يدل على
عدم اسلامه ما جاء بسند ضعيف اذا كان يوم القيمة اشفع لاخ لي في الجاهلية قال الحافظ
السيوطي يعني اخاه من الرضاعة لانه لم يدرك الاسلام لا يقال من اين انه مسروح جاز ان يكون
ابن حليمة وهو عبد الله الذي كان يرضع معه بناء على انه لم يدرك الاسلام لانه لم يعرف
له اسلام لانا نقول سياتي عن شرح الهمزية لابن حجر رحمه الله تعالى ان عبد الله ولد حليمة
اسلم والله اعلم اي **وقد يدل** على عدم اسلام ثويبة وابنها المذكور الذي هو مسروح ما جا
انه صلي الله عليه وسلم كان يبعث لها بصلة وكسوة حتى جاءه خبر وفاتها مرجعه من خيبر
سنة سبع فقال ما فعل ابنها مسروح فقيل مات قبلها اي ولو كانا اسلما لهاجرا الى المدينة
اقول وهذا بظاهره يدل على ان مسروحا ادرك الاسلام وقد بنا في علم وفاتها مرجعه من
خيبر ما ذكره السهيلي انه عليه الصلاة والسلام كان يصلها من المدينة فلما افتتح مكة
سال عنها وعن ابنها مسروح فاخبر انهما ماتا وقد يقال لا منافاة لانه يجوز ان يكون سواله
الثاني للتثبت لوصوله لمحل اقامتها والقول بانهما لو كانا اسلما لهاجرا الى المدينة يقال عليه
يجوز ان تكون الهجرة تعذرت عليهما لعارض عرض لهما والله اعلم **قال** وجا ان امه
ارضعته صلى الله عليه وسلم تسعة ايام **اقول** وفي عيون المعارف للقضاعي سبعة ايام
وفي الامتاع انها ارضعته صلي الله عليه وسلم سبعة اشهر ثم ارضعته ثويبة اياما قلايل
هذا كلامه فقوله ثم ارضعته ثويبة الا ان يقال المراد اول من ارضعته صلى الله عليه وسلم
غير امه ثويبة فلا مخالفة وبهذا يرد نقل ابن المحدث عن الاصل ان اول لبن نزل جوفه صلى
الله عليه وسلم لبن ثويبة فانه فهم من قول الاصل اول من ارضعته ثويبة لما علم ان الاولية
اضافية لا حقيقية الا ان يدعي التوقف في نقل ابن المحدث ايضا اي اول لبن نزل جوفه بعد لبن
امه والله اعلم **قال** وارضعته صلى الله عليه وسلم ثلاث نسوة اي ابكار من بني سليم
اخرجن ثديهن فوضعنها في فمه فدرت فيه فرضع منهن وارضعته ام فروة انتهى اي هو
وهولا النسوة الابكار كل واحدة منهن عاتكة تسمى وهن اللاتي عناهن صلى الله عليه وسلم
بقوله انا ابن العواتك من سليم علي ما تقدم وما تقدم من ان ام ايمن ارضعته صلى الله عليه
وسلم ذكره في الخصايص الصغري ورد بانها حاضنة لا مرضعة وعلى تقدير صحته ينظر
بلبن اي ولد لها كان فانه لا يعرف لها ولد الا ايمن واسامة الا ان يقال جاز ان يكون لبنها
دره له صلى الله عليه وسلم من غير وجود ولد كما تقدم في النسوة الابكار **وارضعته صلى الله
عليه وسلم** حليمة بنت ابي ذويب وتكنى ام كبشة اي باسم بنت لها اسمها كبشة يكنى بها ايضا
والدها الذي هو زوج حليمة وكانت من هوازن اي من بني سعد ابن بكر ابن هوازن وسيا

الكلام على اسلامها وعنها انها كانت تحدث انها خرجت من بلدها ومعها ابن لها ترضعه
اسمه عبد الله ومعها زوجها **قال** وهو الحارث ابن عبد العزي ويكنى ابا ذويب اي كما
يكنى ابا كبشة ادرك الاسلام واسلم فقد روى ابو داود بسند صحيح عن عمرو ابن السايب
انه بلغه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان جالسا يوما فاقبل ابوه من الرضاعة فقام
رسول الله صلى الله عليه وسلم واجلسه بين يديه وعن ابن اسحق رحمه الله تعالى قال
بلغني ان الحارث انما اسلم بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم وهو يويد قول بعضهم
لم يذكر الحارث كثير من الف في الصحابة انتهى **اقول** يدل للاول ظاهر ما روي ان الحارث
هذا قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة بعد نزول القران عليه فقالت له
قريش الا تسمع يا حارث ما يقول ابنك فقال ما يقول قالوا يزعم ان الله يبعث من في القبور وان
لله دارين يعذب فيهما من عصاه ويكرم فيهما من اطاعه اي يعذب في احداهما من عصاه
وهي النار ويكرم في الاخرى من اطاعه وهي الجنة فقد شتت امرنا وفرق جماعتنا فاتاه فقال
اي بني ما لك ولقومك يشكونك ويزعمون انك تقول كذا اي ان الناس يبعثون بعد الموت
ثم يصيرون الى جنة ونار فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم انا اقول ذلك وفي لفظ انا
ازعم ذلك ولو قد كان ذلك اليوم يا ابت فلاخذن بيدك حتى اعرفك حديثك اليوم فاسلم
الحارث بعد ذلك وحسن اسلامه اي وقد كان يقول حين اسلم لو اخذ ابني بيدي فعرفني
ما قال لم يرسلني حتى يدخلني الجنة وانما قلنا ظاهر لانه قد يقال قوله بعد ذلك يصدق
بما بعد وفاته صلى الله عليه وسلم فلا دلالة في ذلك على انه اسلم في حياته وفي شرح
الهمزية لابن حجر رحمه الله ومن سعادتها يعني حليمة توفيقها للاسلام هي وزوجها وبنوها
وهم عبد الله والشيما وانيسة هذا كلامه **وفي الاصابة** ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان
جالسا اي على ثوب فاقبل ابوه من الرضاع فوضع له بعض ثوبه فقعد عليه ثم اقبلت امه
فوضع لها شق ثوبه من الجانب الاخر فجلست عليه ثم انه اقبل اخوه من الرضاعة فقام
رسول الله صلى الله عليه وسلم فجلس بين يديه ورجاله ثقات ولعل المراد بجلوسه
بين يديه جلوسه مقابله وحينئذ فاعل جلس النبي صلى الله عليه وسلم وضمير يديه راجع
لاخيه اي قام صلى الله عليه وسلم عن محل جلوسه على الثوب واجلس اخاه على الثوب
مكانه وجلس صلى الله عليه وسلم قبالة اخيه فعل صلى الله عليه وسلم ذلك ليكون
اخوه هو وابواه جميعا على الثوب والله اعلم قالت وخرجت في نسوة من بني سعد ابن
بكر ابن هوازن عشرة يطلبن الرضعا في سنة شهبا اي ذات جدب وقحط لم تبق شيا على
اتان قمرا بفتح القاف والمد اي شديدة البياض ومعنا شارف اي ناقة مسنة ما تبض
بالضاد المعجمة وربما روي بالمهملة اي ما ترشح بقطرة لبن قالت وما كنا ننام ليلنا اجمع
مع صبينا الذي معنا من بكايه من الجوع ما في ثديي وفي رواية ثديي ما يغنيه وما
في شارفنا ما تغديه بمعجمة وقيل بمعجمة ثم مهملة وقيل باسكان العين المهملة وكسر الذال

المعجمة وضم البا الموحدة اي ما يكفيه بحيث يرفع راسه وينقطع عن الرضاعة قالت حليمة
وكنا نرجوا الغيث والفرج فخرجت على اتاني تلك فلقد ادميت بالدال المهملة وتشديد الميم بالركب
اي حبسته بتاخرها عنه لشدة عنائها وتعبها الضعفها وهزالها حتى شق اذ ذاك عليهم
حتى قدمنا مكة نلتمس اي نطلب الرضعا جمع رضيع وادم ماخوذ من الماء الدائم يقال
ادم بالركب اي ابطا حتى حبسهم ويروى بالمعجمة اي جاء بما ينم عليه وهو هنا الابطاء
قال لانه كان من شيم العرب واخلاقهم اذا ولد لهم ولد يلتمسون له مرضعة في غير
قبيلتهم ليكون انجب للولد وافصح وقيل كانوا يرون انه عار على المراة ان ترضع
ولدها انتهى اي تستقل برضاعه ويدل للاول ما جا انه صلى الله عليه وسلم كان يقول
لاصحابه انا اعربكم اي افصحكم عربية انا قرشي واسترضعت في بني سعد وجا ان ابا بكر
الصديق رضي الله عنه لما قال له صلى الله عليه وسلم ما رايت افصح منك يا رسول الله
فقال ما يمنعني وانا من قريش وارضعت في بني سعد فهذا كان يحملهم على دفع الرضعا
الى المراضع الاعرابيات ومن ثم نقل عن عبد الملك بن مروان انه كان يقول اضربنا
حب الوليد يعني ولده لانه لمحبته له ابقاه مع امه في المصر ولم يسترضعه في البادية
مع الاعراب فصار لحانا لا عربية له واخوه سليمان استرضع في البادية مع الاعراب
فصار عربيا غير لحان قالت حليمة فما منا امراة الا وقد عرض عليها رسول الله صلى الله
عليه وسلم فتابى اذا قيل لها يتيم وذلك انا انما نرجوا المعروف من ابي الصبي فكنا
نقول يتيم ما عسى ان تصنع امه وجده فكنا نكرهه لذلك فما بقيت امراة معي الا اخذت
رضيعا غيري فلما اجمعنا الانطلاق اي عزمنا عليه قلت لصاحبي والله اني لاكره ان
ارجع من بين صواحبي ولم اخذ رضيعا والله لاذهبن الى ذلك الرضيع فلاخذنه فقال
لا عليك اي لا باس عليك ان تفعلي عسى الله ان يجعل لنا فيه بركة فذهبت اليه فاخذته
اقول وهذا السياق قد يخالفه قول بعضهم ان عبد المطلب خرج يلتمس له المراضع فالتمس
له حليمة بنت ابي ذويب الا ان يقال جاز ان يكون التماسه للمراضع غير حليمة كان عند
قدومهن وابين ان يقبلن ثم طلب من حليمة ذلك بعد ان لم تجد رضيعا ويدل لذلك قول
صاحب شفا الصدور ان حليمة قالت استقبلني عبد المطلب فقال من انت فقلت انا امراة
من بني سعد قال ما اسمك قلت حليمة فتبسم عبد المطلب وقال بخ بخ سعد وحلم خصلتان
فيهما خير الدهر وعز الابد يا حليمة ان عندي غلاما يتيما وقد عرضته على نساء بني سعد
فابين ان يقبلن وقلن ما عند اليتيم من الخير انما نلتمس الكرامة من الابا فهل لك ان ترضعيه
فعسى ان تسعدي به فقلت الا تذرني حتى اشاور صاحبي فانصرفت الى صاحبي فاخبرته فكان
الله قذف في قلبه فرحا وسرورا فقال لي يا حليمة خذيه فرجعت الى عبد المطلب فوجدته قاعدا
ينتظرني فقلت هلم الصبي فاستهل وجهه فرحا فاخرني وادخلني بيت امنة فقالت لي اهلا
وسهلا وادخلتني في البيت الذي فيه صلى الله عليه وسلم فاذا هو مدرج في ثوب صوف ابيض

من

من اللبن وتحته حريرة خضرا راقد على قفاه يغط يفوح منه رائحة المسك فاشفقت اي
خفت ان اوقظه من نومه لحسنه وجماله فوضعت يدي على صدره فتبسم ضاحكا وفتح
عينيه الي فخرج من عينيه نور حتى دخل خلال السماء وانا انظر اليه فقبلته بين عينيه
واخذته وما حملني على اخذه اي اكبر اخذه الا اني لم اجد غيره والا فما ذكر من وصافه
صلى الله عليه وسلم مقتض لاخذه اي وهذه الرواية ربما تدل على انها لم تره قبل ذلك
وان اباها له كان قبل رؤياها له قالت فلما اخذته رجعت به الى رحلي فلما وضعته
في حجري اقبل ثدياي بما شاء الله من لبن فشرب حتى روي اي من الثدي الايمن وعرضت
عليه الايسر فاباه قالت حليمة وكانت تلك حالته بعد اي بعد ذلك لا يقبل الا ثديا واحدا
وهو الايمن وفي السبعيات ان اصر ثديي حليمة كان لا يدر اللبن فلما وضعته في فم
رسول الله صلى الله عليه وسلم در اللبن منه قالت وشرب معه اخوه حتى روي ثم نام
وما كنا ننام معه قبل ذلك اي لعدم نومه من الجوع فقام زوجي الى شارفنا تلك فاذا هي
لحافل اي ممتلئة الضرع من اللبن فحلب منها ما شرب وشربت حتى انتهينا ريا وشبعا فبتنا
بخير ليلة يقول صاحبي حين اصبحنا تعلمي والله يا حليمة لقد اخذت نسمة مباركة قلت
والله اني لارجو ذلك ثم خرجنا وركبت اتاني وحملته صلى الله عليه وسلم معي عليها
فوالله لقطعت الركب اي صحبته خلفها ما تقدر عليها اي على مرافقتها ومصاحبتها شي
من حمرهم حتى ان صواحبي تقلن لي يا بنت ابي دويب ويحك اربعي اي اعطفي علينا بالرفق
وعدم الشدة في السير اليس هذا اتانك التي كنت خرجت عليها اي تخفضك طورا وترفعك
اخرى فاقول لهن بلى والله انها لهي فيقلن والله ان لها لشانا اي وقالت حليمة فكنت
اسمع اتاني تنطق وتقول والله ان لي لشانا ثم شانا بعثني الله بعد موتي ورد لي سمني
بعد هزلي ويحكن يا نسا بني سعد انكن لفي غفله وهل تدرين من على ظهري على ظهري
خير النبيين وسيد المرسلين وخير الاولين والاخرين وحبيب رب العالمين ذكره في النطق
المفهوم وذكرت انها لما ارادت فراق مكة رات تلك الاتان سجدت اي خفضت راسها
نحو الكعبة ثلاث سجدات ورفعت راسها الى السما ثم مشت قالت ثم قدمنا منازل بني سعد
ولا اعلم ارضا من ارض الله اجدب منها فكانت غنمي تروح علي حين قدمنا به شباعا لبنا
اي غزيرات اللبن فنحلب ونشرب وفي لفظ نحلب ما شئنا وما يحلب انسان قطرة لبن ولا يجد
في ضرع حتى كان الحاضر اي المقيم في المنازل من قومنا يقول لرعاتهم ويحكم اسرحوا حيث
يسرح راعي بنت ابي دويب يعنوني فتروح اغنامهم جياعا ما تبض بقطرة لبن وتروح غنمي
شباعا لبنا فلم نزل نعرف من الله الزياده والخير حتى مضت سنتاه وفصلته وكان يشب
شبابا لا يشبه الغلمان فلم يقطع سنتيه حتى كان غلاما جفرا اي غليظا شديدا وعن حليمة
انه صلى الله عليه وسلم لما بلغ شهرين كان يحبي الى كل جانب اي وهذا يضعف ما تقدم عن
الامتاع من ان امه ارضعته سبعة اشهر قالت حليمة فلما بلغ ثمانية اشهر كان يتكلم بحيث

سمع كلامه ولما بلغ تسعة اشهر كان يتكلم بالكلام الفصيح ولما بلغ عشرة اشهر كان يرمي
بالسهام مع الصبيان وعنها ايضا قالت انه لفي حجري اذ مرت به غنيماتي فاقبلت واحدة منهن
حتى سجدت له وقبلت راسه ثم ذهبت الى صواحبها قال وقد سجدت له الغنم وكذلك
الجمل بعد بعثته والهجرة فعن انس ابن مالك رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
دخل حايطا اي بستانا للانصار ومعه ابو بكر وعمر رضي الله عنهما ورجال من الانصار وفي
الحايط غنم فسجدت له فقال ابو بكر يا رسول الله كنا احق بالسجود لك من هذه الغنم فقال
انه لا ينبغي في امتي ان يسجد احد لاحد ولو كان يعني لاحد ان يسجد لاحد لامرت المراة ان تسجد
لزوجها زاد في رواية ولو ان رجلا امر زوجته ان تنقل من جبل الى جبل لكان نولها اي حقها
ان تفعلها وضرب جمل بكسر الرا اي اشتد غضبه فصار لا يقدر احد يدخل عليه فذكر ذلك
لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لاصحابه تنحوا عنه فقالوا انا نخشى عليك يا رسول الله
فقال تنحوا عنه فلما راه الجمل خر ساجدا اي فاخذ بناصيته ثم دفعه لصاحبه وقال استعمله
واحسن علفه فقال القوم يا رسول الله كنا احق ان نسجد لك من هذه البهيمة فقال كلا الحديث
وفي هذا دلالة على عظم حق الزوج على زوجته ومما يدل على ذلك ايضا ما روي ان اسما
بنت يزيد الانصارية اتت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله ان الله بعثك
الى الرجال والنسا فامنا بك واتبعناك ونحن معاشر النسا مقصورات مخدرات قواعد بيوت وموضع
شهوات الرجال وحاملات اولادهم وان الرجال فضلوا بالجماعات وشهود الجنايز واذا خرجوا
للجهاد حفظنا لهم اموالهم وربينا لهم اولادهم افنشاركهم في الاجر يا رسول الله فالتفت رسول
الله صلى الله عليه وسلم بوجهه الى اصحابه وقال هل سمعتم مقالة امراة احسن سوالا عن دينها
من هذه قالوا لا يا رسول الله فقال انصرفي يا اسما واعلمي انك من النسا ان حسن تبعل احداكن لزوجها
وطلبها لمرضاته واتباعها لموافقته يعدل كلما ذكرت للرجال اي من حضور الجماعات وشهود
الجنايز والجهاد فانصرفت اسما رضي الله عنها وهي تهلل وتكبر استبشارا بما قال لها رسول الله صلى
الله عليه وسلم والتبعل ملاعبة المراة لزوجها والله اعلم قال التحليمة وكان ينزل عليه صلى الله عليه
وسلم كل يوم نور كنور الشمس ثم ينجلي عنه والى قصة رضاعه صلى الله عليه وسلم يشير صاحب الهمزية رحمه الله بقوله

وبدت في رضاعه معجزات	ليس فيها عن العيون خفاء
اذ ابته ليتمه مرضعات	قلن ما في اليتيم عنا غناء
فاتته من السعد فتاة	قد ابتها لفقرها الرضعاء
ارضعته لبانها فسقتها	وبنيها البانهن الشاء
اصبحت شولا عجافا وامست	ما بها شايل ولا عجفاء
اخصب العيش عندها بعد محل	اذ غدا للنبي منها غذاء
يا لها منة لقد ضوعف الاجر	عليها من جنسها والجزاء
واذا سخر الاله اناسا	لسعيد فانهم سعداء

اي وظهرت في رضاعه صلى الله عليه وسلم امور خارقة للعادة لوضوحها لا تخفى عن العيون
فمن ذلك ان المراضع ابت ان تاخذه صلى الله عليه وسلم لاجل يتمه فبعد ان تركته اتته
فتاة من السعد وقد ابتها اهل الرضعا لفقرها فسقته لبنها فسقتها وبنيها الشا البانها
وكانت تلك الشاه لا لبن لها بل هزيلات فصارت ذات البان وسمن ومن ذلك ان العيش
كثر عندها بعد شدة المحل لاجل حصول غذا النبي صلى الله عليه وسلم بالها اي تلك
الفعلة الصادرة من حليمة وهي سقيها له صلى الله عليه وسلم لبنها نعمة منها عليه
لقد كثر الثواب والجزا على تلك النعمة من جنس تلك النعمة ان الجزا من جنس العمل فلما
سقت اللبن سقيته ولا بدع فان الله تعالى اذا سخر اناسا لمحبة سعيد والقيام بخدمته فانهم
بسبب ذلك سعدا اقول لم اقف على رواية فيها ان حليمة ابتها الرضعا لفقرها وكان
الناظم اخذ ذلك من قولها فما بقيت امراة قدمت معي الا اخذت رضيعا غيري وما حملني على
اخذه الا اني لم اجد غيره ولا دلالة في ذلك واستفتي الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى عن بعض
الوعاظ يذكر عند اجتماع الناس للمولد ما جريات اي وقايع تتعلق به صلى الله عليه وسلم
جاءت بها الاخبار هي مخلة بالتعظيم حتى يظهر من السامعين لها حزن فيبقى في حيز من يرحم
لا في حيز من ذلك انهم يقولون ان المراضع حضرت ولم ياخذنه لعدم ماله ونحو ذلك فما
قولكم في ذلك فاجاب بما نصه ينبغي لمن يكون فطنا ان يحذف من الخبر اي الحديث ما يوهم في
المخبر عنه نقصا ولا يضر ذلك كما وقع لامامنا الشافعي رضي الله عنه حيث قال في بعض
نصوصه وقطع رسول الله صلى الله عليه وسلم امراة لها شرف فكلم فيها فقال لو سرقت
فلانة لامراة شريفة لقطعتها يعني فاطمة بنت محمد صلى الله عليه وسلم فلم يصرح رضي الله
عنه باسمها متادبا ان يذكرها في هذا المعرض وان كان صلى الله عليه وسلم ذكرها لان
ذلك منه صلى الله عليه وسلم حسن وان على ان الخلق عنده في الشرع سوا فهذا من كمال ادب
الامام رضي الله عنه وارضاه ونفعنا ببركاته اي فاذا جاز حذف بعض الحديث الموهم
نقصا في البنية صلى الله عليه وسلم فما بالك بما يوهم النقص فيه صلى الله عليه وسلم
هذا من الحافظ رحمه الله تعالى يدل على ان ابا المراضع له صلى الله عليه وسلم وارد حيث
اقره ولم ينكره والله اعلم قال وعن ابن عباس رضي الله عنهما كان اول
كلام تكلم به رسول الله صلى الله عليه وسلم حين فطمته حليمة الله اكبر كبيرا والحمد لله
كثيرا وسبحان الله وبحمده بكرة واصيلا اي وتقدم انه صلى الله عليه وسلم تكلم بهذا
عقب خروجه من بطن امه وفي رواية اول كلام تكلم به في بعض الليالي اي وهو عند
حليمة السعدية لا اله الا الله قدوسا قدوسا نامت العيون والرحمن لا تاخذه سنة ولا نوم
وكان لا يمس شيا الا قال بسم الله وعن حليمة لما دخلت به الى منزلي لم يبق منزل من منازل
بني سعد الا شممنا منه ريح المسك والقيت محبته واعتقاد بركته في قلوب الناس حتى ان
احدهم كان اذا نزل به اذى في جسده اخذ كفه صلى الله عليه وسلم فيضعها على موضع الاذى

فيبرا بان الله تعالى سريعًا ولذلك اذا اعتل لهم بعير او شاة اشفى قالت حليمة فقدمنا مكة
اي على امه اي بعد ان بلغ سنتين ونحن احرص شي على مكثه فينا لما نرى من بركته فكلمنا
امه وقلت لها لو تركت ابني عندي حتى يغلظ وفي كلام ابن الاثير قلنا لها دعينا نرجع به هذه
السنة الاخرى فاني اخشى عليه وبا مكة اي مرضها ووخمها فلم نزل بها حتى ردته معنا وقيل
ان امنة قالت لحليمة ارجعي بابني فاني اخاف عليه وبا مكة فوالله ليكونن له شان اي ولا
مخالفة بينهما لجواز ان حليمة لما قالت لها ما تقدم قالت لحليمة ارجعي بابني على الفور قائلة
اخاف عليه وبا مكة اي كما تخافين عليه ذلك قالت حليمة فرجعنا به فوالله انه بعد مقدمنا
باشهر وعبارة ابن الاثير بعد مقدمنا بشهرين او ثلاثة مع اخيه يعني من الرضاعة لفي بهم لنا
ولعل هذا لا ينافيه قول المحب الطبري رحمه الله تعالى فلما شب وبلغ سنتين لانه الذي ذكره
الكسر فبينما هو واخوه في بهم لنا خلف بيوتنا والبهم اولاد الضان اذا اتى اخوه يشتد اي
يعدو فقال لي ولابيه ذاك اخي القرشي قد اخذه رجلان عليهما ثياب بيض فاضجعاه وشقا
بطنه فهما يسوطانه اي يدخلان يديهما في بطنه قالت فخرجت انا وابوه نحوه فوجدناه قائما
منتقعًا وجهه وفي لفظ لونه اي متغيرا اي صار لونه كلون النقع الذي هو الغبار وهي
صفة الوان الموتى وذلك لما ناله من الفزع اي من رؤية الملائكة لا من شقة نشات عن
ذلك عن الشق لما ياتي في بعض الروايات فلم اجد لذلك حسًا ولا المًا ومن ثم قال ابن الجوزي
رحمه الله تعالى فشقه وما شق عليه واطلاقه شامل لهذه المرة التي هي الاولى وقد قال
بعضهم انه لم ينتقع لونه الا وهو صغير في بني سعد قالت فالتزمته والتزمه ابوه فقلنا
له ما لك يا بني فقال جاني رجلان وعليهما ثياب بيض اي وهما جبريل وميكائيل اي وهما
المراد بقوله في رواية فاقبل علي طيران ابيضان كانهما نسران فقال احدهما لصاحبه هو
هو قال نعم فاقبلا يبتدراني فاخذاني فاضجعاني فشقا بطني فالتمسا فيه شيًا اي طلباه
فوجداه واخذاه وطرحاه ولا ادري ما هو اي وسياتي ان هذا الذي قال فيه لا ادري ما هو انه
علقة سودا استخرجاها من قلبه بعد شقه اي بعد شق بطنه فهذه الرواية فيها ذكر القلب
وشقه وسياتي ذكر ذلك في بعض الروايات وفي رواية غريبة نزل عليه كركيان فشق
احدهما بمنقاره جوفه ومج الاخر فيه بمنقاره ثلجا او بردا وقد يقال ان الطيرين تارة
شبههما بالنسرين وتارة شبههما بالكركيين وفي كون مجي جبريل وميكائيل على صورة النسر
لطيفة لان النسر سيد الطيور فقد جاء في الحديث هبط جبريل فقال يا محمد ان لكل شي سيدا
فسيد البشر ادم وسيد ولد ادم انت وسيد الروم صهيب وسيد فارس سلمان وسيد الحبشة
بلال وسيد الشجر السدر وسيد الطير النسر وفي نجر العلوم وسيد الملائكة اسرافيل وسيد
الشهدا هابيل وسيد الجبال جبل موسى وسيد الانعام الثور وسيد الوحوش الابل وسيد السباع
الاسد زاد بعضهم وسيد الشهور رمضان وسيد الايام يوم الجمعة وسيد الكلام العربية وسيد
العربية القران وسيد القران سورة البقرة قالت حليمة فرجعنا به صلى الله عليه وسلم الى خبائنا

اي محل الاقامة وقال لي ابوه يا حليمة لقد خشيت ان يكون هذا الغلام قد اصيب فالحقيه
باهله قبل ان يظهر ذلك عليه به وفي رواية قال الناس يا حليمة رديه على جده واخرجيه
وفي رواية قال زوجي ارى ان ترديه على امه لتعالجه والله ان اصابه ما اصابه الا حسد من
ال فلان لما يرون من عظيم بركته قالت فحملناه فقدمنا به مكة على امه قال الواقدي
وكان ابن عباس رضي الله عنهما يقول رجع الى امه وهو ابن خمس سنين اي وزاد في
الاستيعاب ويومين من مولده وكان غيره اي غير ابن عباس رضي الله عنهما يقول
رجع الى امه وهو ابن اربع سنين وذكر الاموي انه رجع وهو ابن ست سنين انتهى
اقول وسياق ما قبله يدل على ان قدوم حليمة به على امه كان عقب الواقعة المذ
وتقدم ان سنه كان سنتين واشهرا وسياتي ما فيه والله اعلم قال وعن ابن عباس
رضي الله عنهما ان حليمة رضي الله عنها كانت تحدث انه صلى الله عليه وسلم لما ترعرع
كان يخرج فينظر الى الصبيان يلعبون فيتجنبهم فقال لي يوما يا اماه ما لي لا ارى اخوتي
بالنهار يعني اخوته من الرضاعة وهم اخوه عبد الله واختاه انيسة والشيما بفتح الشين
المعجمة وسكون المثناة التحتية اولاد الحارث قلت فدتك نفسي الهم يرعون غنما لنا فيروحون من
ليل الى ليل فلبعثني معهم فكان النبي صلى الله عليه وسلم يخرج مسرورا ويعود
مسرورا اي وهذا لا يخالف قولها السابق كان مع اخيه في بهم لنا خلف بيوتنا ولا قوله صلى الله
عليه وسلم الاتي فبينا انا ذات يوم منتبذا من اهلي في بطن واد مع اتراب لي من الصبيان
كما لا يخفى قالت حليمة فلما كان يوما من ذلك خرجوا فلما انتصف النهار اتاني اخوه اي وفي
رواية اذ اتى ابني ضمرة يعدو فزعا وجبينه يرشح باكيا ينادي يا ابه ويا امه الحقا اخي
محمدا فما تلحقانه الا ميتا قلت وما قصته قال بينا نحن قيام اذ اتاه رجل فاختطفه من وسطنا
وعلا به ذروة الجبل ونحن ننظر اليه حتى شق صدره الى عانته ولا ادري ما فعل به اقول
لعل ضمرة هذا هو اخوه عبد الله المتقدم ذكره لقب بذلك لخفة جسمه ولا يخالف ذلك قوله
صلى الله عليه وسلم الاتي ان اترابه الذين كانوا معه انطلقوا هربا مسرعين الى الحي
يوذنونهم ويستصرخونهم لانه يجوز ان يكون ضمرة سبقهم والله اعلم قالت حليمة فانطلقت
انا وابوه نسعى سعيا شديدا فاذا نحن به قاعد على ذروة الجبل شاخصا ببصره الى السما
يتبسم ويضحك فاكببت عليه وقبلته بين عينيه وقلت فدتك نفسي ما الذي دهاك قال خير
كذا بالنصب يا اماه بينا انا الساعة قائم اذ اتاني رهط ثلاثة بيد احدهم ابريق فضة وفي
يد الاخر طست من زمردة خضرا والزمرد بالضم والذال المعجمة الزبرجد وهو معرب فاخذوني
فانطلقوا بي الى ذروة الجبل فاضجعوني على الجبل اضجاعا لطيفا وفيه ان هذا قد يخالف
قوله صلى الله عليه وسلم الاتي فاخذوني حتى اتوا شفير الوادي فعمد احدهم فاضجعني
على الجبل اضجاعا لطيفا وفيه ان هذا قد يخالف قوله صلى الله عليه وسلم الاتي فاخذوني
حتى اتوا على شفير الوادي فعمد احدهم فاضجعني الى الارض ثم شق من صدري الى عانتي

هو المراد ببطنه فيما تقدم وما يأتي وانا انظر اليه فلم اجد لذلك حسًّا ولا المًا
الحديث وفي هذه الرواية ط ذكرا لتقلب وشقه ايضا **اقول** ولا منافاة بين قولها في
تلك الرواية فوجدناه قايما بين قولها في هذه الرواية فاذا نحن به قاعدا على ذروة
الجبل لجواز ان تكون ارادت بكونه قايما كونه حيا وبكونه قاعدا كونه ماكثا كما لا منافاة بين
قولها في تلك الرواية منتقعًا وجهه وبين قولها في هذه الرواية تبسم ويضحك لان ذلك لا
ينافي الفزع او لجواز ان يكون تبسم وضحك تعجبا لما رأى من الحالة التي عليها امه من التعب
والشرع والله اعلم **قال** وذكر ابن اسحق رحمه الله تعالى ان حليمة لما قدمت به صلى
صلى الله عليه وسلم مكة لترده على امه اي بعد شق صدره صلى الله عليه وسلم وهو
وقد بلغ اربع سنين او خمسًا وستا على ما تقدم اضلته في اعالي مكة فاستجا عبد المطلب
فقالت له قدمت بمحمد في هذه الليلة فلما كنت باعالي مكة اضلني فوالله ما ادري اين
هو فقام عبد المطلب عند الكعبة يدعو الله ان يرده عليه وفي مرآة الزمان فقام
عبد المطلب ينشد ؞ يا رب رد ولدي محمدا ؞ اردده ربي واصطنع عندي يدا ؞
وسياتي ان هذا البيت انشده عبد المطلب حين بعث النبي صلى الله عليه وسلم ليرد ابلا
له ضلت وقد يقال لا مانع من تكرر ذلك منه فسمع هاتفا من السما يقول ؞ ايها الناس
لا تضجوا ان لمحمد ربا لن يخذله ولن يضيعه فقال عبد المطلب من لنا به فقال انه بوادي
تهامة عند الشجرة اليمنى فركب عبد المطلب نحوه وتبعه ورقة ابن نوفل وسياتي بعض
ترجمة ورقة فوجداه صلى الله عليه وسلم قايما تحت شجرة يجذب غصنا من اغصانها
فقال له جده من انت يا غلام فقال انا محمد ابن عبد الله ابن عبد المطلب قال وانا جدك
فدتك نفسي واحتمله وعانقه وهو يبكي ثم رجع الى مكة وهو قدامه على قربوس فرسه
ونحر الشاة والبقر والغنم واطعم اهل مكة **اقول** وقول جده له من انت يا غلام لعله
وجده على حالة لا توجد لمن يكون في سنه عادة كما تقدم عن حليمة من قولها كان صلى
الله عليه وسلم يشب شبابا لا تشبه الغلمان وفي السيرة الهشامية ان الذي وجده هو
ورقة ابن نوفل ورجل اخر من قريش فاتيا به عبد المطلب اي ويقال ان عمرو ابن نفيل
رآه وهو لا يعرفه فقال له من انت يا غلام فقال انا محمد ابن عبد الله ابن عبد المطلب ابن
هاشم فاحتمله بين يديه على الراحلة حتى اتى به عبد المطلب وفي كلام بعض المفسرين في
تفسير قوله تعالى ووجدك ضالا فهدى روي انه صلى الله عليه وسلم قال ضللت من

جدي عبد المطلب وانا صبي وصار ينشد وهو متعلق باستار الكعبة ؞
يا رب رد ولدي محمدا ؞ اردده رب واصطنع عندي يدا ؞

فجاء ابو جهل بين يديه على ناقة وقال لجدي لا تدري ما وقع من ابنك فسأله فقال
انخت الناقة واركبته من خلفي فابت ان تقوم فاركبته امامي فقامت ويحتاج الى
الجمع على تقدير صحة كل ما ذكر وقد يقال لا مانع من تعدد ذلك ويدل لذلك ان بعض

المفسرين

المفسرين قال في تفسير قوله تعالى ووجدك ضالا فهدى قيل ضل عن مرضعته حليمة وقيل
عن جده عبد المطلب وهو صغير **قالت حليمة** فقالت امه ما اقدمك يا ظئر اي يا مرضع لقد
كنت حريصة عليه وعلى مكثه عندك قلت قد بلغ والله وقضيت الذي علي وتخوفت الاحداث
فاديته عليك كما تحبين قالت ما هذا شانك فاصدقيني خبرك قالت فلم تدعني حتى اخبرتها
قالت افتخوفت عليه الشيطان قلت نعم قالت كلا والله ما للشيطان عليه سبيل وان لابني لشانا
اولا اخبرك خبره قلت بلى قالت رايت حين حملت به انه خرج مني نور اضاءت له قصور بصرى
من ارض الشام ثم حملت به فوالله ما رأيت اي علمت من حمل قط كان اخف علي ولا ايسر منه ووقع
حين ولدته وانه لواضع يديه بالارض رافع راسه الى السماء دعيه عنك وانطلقي راشدة **قال**
وعن حليمة انه مر عليها جماعة من اليهود فقالت الا تحدثوني عن ابني هذا حملته كذا ووضعته
ورايت كذا كما وصفت لها امه اي فانها ذكرت لها ذلك مرتين عند دفعه لها وعند اخذه منها
انتهى **اقول** ولا ينافي ذلك قول امه لحليمة الا اخبرك خبره وقول حليمة لهما
لجواز ان تكون امه لم تكن متذكرة انها اخبرتها بذلك قبل ذلك وان حليمة كذلك او جوزت حليمة
انها تخبرها بزيادة عما اخبرتها به اولا وبناء على اتحاد ما اخبرتها به اولا وثانيا والله اعلم
قال ولما اخبرت اولئك اليهود بذلك قال بعضهم لبعض اقتلوه فقالوا ايتيم هو فقالت
لا هذا ابوه وانا امه فقالوا لو كان يتيما قتلناه **اقول** وهذا يدل على ان ما ذكرته امه لحليمة
من انها حين حملت به خرج منها نور الى اخر ما تقدم وان يكون لا اب له مذكور في بعض الكتب
الله القديمة وانه من علامة نبوة النبي المنتظر والله اعلم **قال** وعنها انها نزلت به سوق
عكاظ اي وكان سوق الجاهلية بين الطائف ونخلة المحل المعروف وكانت العرب اذا حجت
اقامت بهذا السوق شهر شوال وكانوا يتفاخرون فيه وللمفاخرة فيه سمي عكاظا يقال عكظ
الرجل صاحبه اذا فاخره وغلبه في المفاخرة وفي كلام بعضهم كان سوق عكاظ لثقيف وقيس
عيلان **فرآه** كاهن من الكهان فقال يا اهل سوق عكاظ اقتلوا هذا الغلام فان له ملكا فراغت
اي مالت به وحادت عن الطريق فانجاه الله تعالى اي وفي الوفا لما قامت سوق عكاظ انطلقت
حليمة برسول الله صلى الله عليه وسلم الى عراف من هذيل يريه الناس صبيانهم فلما نظر
اليه صاح يا معشر هذيل يا معشر العرب فاجتمع اليه الناس من اهل الموسم فقال اقتلوا هذا
الصبي فانسلت به حليمة فجعل الناس يقولون اي صبي فيقول هذا الصبي فلا يرون شيئا فيقال
له ما هو فيقول رايت غلاما والالهة ليقتلن اهل دينكم وليكسرن الهتكم وليظهرن امره عليكم
فطلب فلم يوجد وعنها رضي الله عنها انها لما رجعت به مرت بذي المجاز وهو سوق للجاهلية
على فرسخ من عرفة اي وهذا السوق قبله سوق مجنة كانت العرب تنتقل اليه بعد انقضائهم
من سوق عكاظ فتقيم فيه عشرين يوما من ذي القعدة ثم تنتقل الى هذا السوق الذي هو سوق
ذي المجاز فتقيم به الى ايام الحج وكان بهذا السوق عراف اي منجم يؤتى اليه بالصبيان ينظر
اليهم فلما نظر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم اي نظر الى خاتم النبوة والى الحمرة التي في

عينيه

صاح يا معشر العرب اقتلوا هذا الصبي ليقتلن اهل دينكم وليكسرن اصنامكم وليظهرن
امره عليكم ان هذا لينتظر امرا من السما وجعل يغري بالنبي صلى الله عليه وسلم فلم
يلبث ان وله فذهب عقله حتى مات اي وفي السيرة الهشامية ان نصارى من الحبشة
راوه صلى الله عليه وسلم مع امه السعدية حين رجعت به الى امه بعد فطامه فنظروا
اليه وقلبوه اي راو خاتم النبوة بين كتفيه وحمرة في عينيه وقالوا لها هل يشتكي عينيه
قالت لا ولكن هذه الحمرة لا تفارقه ٥ ثم قالوا لها ناخذن هذا الغلام فلنذهبن به الى ملكنا
وبلدنا فان هذا غلام كاين له شان ونحن نعرف امره فلم تكد تفلت به صلى الله عليه وسلم
منهم واتت به الى امه وعنه صلى الله عليه وسلم واسترضعت في بني سعد فبينا انا مع
اخ لي خلف بيوتنا نرعى بهما لنا اتاني رجلان عليهما ثياب بيض بطشت من ذهب مملوء
ثلجا فاخذاني فشقا بطني ثم استخرجا قلبي فشقاه واستخرجا منه علقة سود افطرحاها
اي وقيل هذا حظ الشيطان منك يا حبيب الله اي وفي رواية فاستخرجا منه علقتين
سوداوين اي ولا مخالفة لجواز ان تكون تلك العلقة انفلقت نصفين وفي رواية فاستخرجا
مغمز الشيطان اي وهو المعبر عنه في الرواية قبلها بحظ الشيطان ولا ينافي ذلك قوله في
الرواية السابقة ولا ادري ما هو لجواز ان يكون اخباره صلى الله عليه وسلم بهذا
بعد ان علمه والمراد بمغمز الشيطان محل غمزه اي محل ما يلقيه من الامور التي لا تنبغي لان
العلقة خلقها الله تعالى في قلوب البشر قابلة لما يلقيه الشيطان فيها فازيلت من قلبه
فلم يبق فيه مكان ان يلقي الشيطان فيه شيئا فلم يكن للشيطان فيه حظ وليست هي محل غمزه
عند ولادته صلى الله عليه وسلم كما يوهم كلام غير واحد وفيه ان هذا يقتضي ان يكون
قبل ازالة ذلك كان للشيطان عليه سبيل واجاب السبكي بانه لا يلزم من وجود القابل لما يلقيه
حصول الالقا اي بالفعل فليتامل وسئل السبكي رحمه الله تعالى فلم خلق الله تعالى هذا القابل
في هذه الذات الشريفة وكان من الممكن ان لا يخلقه الله تعالى بها فاجاب بانه من جملة الاجزا
الانسانية فخلقت تكملة للخلق الانساني ثم نزعت تكرمة له صلى الله عليه وسلم اي ليظهر
للخلق بذلك التكرمة ليتحققوا كمال باطنه كما تحققوا كمال ظاهره اي لانه لو خلق خاليا عنها
لم تظهر تلك الكرامة وفيه انه يرد على ذلك ولادته صلى الله عليه وسلم من غير قلفة
واجيب بالفرق بينهما بان القلفة لما كانت تزال ولا بد من كل احد مع ما يلزم على ازالتها من
كشف العورة كان نقص الخلقة الانسانية عنها عين الكمال وقد تقدم كل ذلك وذكر السهيلي
رحمه الله تعالى ما يفيد ان هذه العلقة هي محل مغمز الشيطان عند الولادة حيث قال ان عيسى
عليه الصلاة والسلام لما لم يخلق من مني الرجل وانما خلق من نفخة روح القدس اعيذ من غمز
الشيطان قال ولا يدل هذا على فضل عيسى عليه السلام على محمد صلى الله عليه وسلم لان
محمدا صلى الله عليه وسلم قد نزع منه ذلك المغمز هذا كلامه وقد علمت انه انما هو محل
ما يلقيه الشيطان من الامور التي لا تنبغي وان ذلك في كل احد من الانبيا عيسى عليه السلام

وغيره ولم ينزع الامن نبينا صلى الله عليه وسلم قال النبي صلى الله عليه وسلم ثم غسلا قلبي
بذلك الثلج اي الذي في الطست حتى انقياه اي وملآه حكمة وايمانا كما في بعض الروايات اي
وفي رواية ثم قال احدهما لصاحبه ايتني بالسكينة فاتى بها فذراها في قلبي وهذه السكينة يحتمل
انها الحكمة والايمان ويحتمل ان تكون غيرهما وهذه الرواية فيها ان الطست كان من ذهب وكذا
في الرواية الاتية وفي الرواية قبل هذه كان من زمردة خضرا ويحتاج الى الجمع وسنذكره وفي
هذه الرواية ولذا في الرواية الاتية ان الثلج كان في الطست وفي الرواية قبل هذه كان بيد
احدهم ابريق فضة ويحتاج الى الجمع لان الواقعة لم تتعدد وهو عند حليمة وفي غسله في الثلج
اشعار بثلج اليقين وبرده على الفواد ذكره السهيلي رحمه الله تعالى وذكر في حكمة كون الطست
من ذهب كلاما طويلا قال صلى الله عليه وسلم وجعل الخاتم بين كتفي كما هو الان وفي الروايات
السابقة طي ذكر الخاتم وتتمة الجواب الذي اجاب به صلى الله عليه وسلم اخا بني عامر الذي
وعدنا بذكره هنا هو قوله صلى الله عليه وسلم وكنت مسترضعا في بني سعد فبينا انا ذات
يوم منتبذا اي منفردا من اهلي في بطن واد مع اتراب لي اي المقاربين بالموحدة والنون
في السن من الفتيان اذا انا برهط ثلاثة معهم طست من ذهب ملآن ثلجا فاخذوني من بين
اصحابي فخرج اصحابي هرابا حتى اتوا على شفير الوادي ثم اقبلوا على الرهط فقالوا ما اربكم
اي حاجتكم الى هذا الغلام فانه ليس منا هذا ابن سيد قريش وهو مسترضع فينا يتيم ليس له
اب فما يرد ذلك عليكم اي يفيد كم قتله ماذا تصيبون من ذلك فان كنتم لا بد قاتلوه اي ان
كان لا بد لكم من قتل واحد فاختاروا منا من شئتم فلياتكم مكانه فاقتلوه ودعوا هذا
الغلام فانه يتيم فلما راى الصبيان ان القوم لا يجيبون جوابا انطلقوا هرابا مسرعين الى الحي
يوذنونهم اي يعلمونهم ويستصرخونهم على القوم فعمد احدهم الى القوم فاضجعني الى الارض
اضجاعا لطيفا ثم شق بطني ما بين مفرق صدري الى منتهى عانتي وانا انظر اليه لم اجد لذلك
مسا اي ادنى مشقة واستخرج احشا قلبي ثم غسلها بذلك الثلج فانعم غسلها اي بالغ في
غسلها ثم اعادها مكانها اي وقد طوى ذكر استخراج الاحشا وغسلها في الروايات السابقة
ولا يخفى ان من جملة الاحشا ظاهرا القلب ثم قال الثاني منهم لصاحبه تنح عنه فنحاه عني ثم
ادخل يده في جوفي فاخرج قلبي وانا انظر اليه فصدعه ثم اخرج منه مضغة سودا تقدم
التعبير عنها بالعلقة السودا ثم رمى بها ثم قال بيده يمنة منه كانه يتناول شيئا واذا الى
خاتم في يده من نور يحار الناظر دونه فختم به قلبي اي بعد التيام شقه فامتلا نورا
وذلك نور النبوة والحكمة فقد تقدم وملاه حكمة وايمانا وان السكينة ذكرت فيه ثم
اعاده مكانه فوجدت برد الخاتم في قلبي دهرا وفي رواية فانا الساعة اجد برد الخاتم
في عروقي ومفاصلي **اقول** نقل شيخ من بعض مشايخنا الشيخ نجم الدين الغيطي عن مغازي
ابن عايذ في حديثه صلى الله عليه وسلم لاخي بني عامر واقبل الى الملك وفي يده خاتم
له شعاع فوضعه بين كتفيه وثدييه فليتامل وقوله فصدعه يدل ظاهرا على ان صدعه

كان بين الملك فلم يشقه بالة وح يكون المراد بالشق الصدع بلا آلة وقد طوى في هذه
الرواية ذكر ملئ قلبه حكمة وايمانا وانه ذرا فيه السكينة وذكر في هذه الرواية ان الختم
كان لقلبه وفي الرواية قبلها انه كان بين كتفيه وفي رواية ابن عايذ وبين ثدييه ويحتاج
الي الجمع والظاهر ان متعاطي الختم جبريل وبدليله قول صاحب الهمزية ختمته يمنى الامين
وسياتي التصريح بذلك لكن في غير هذه القصة والله اعلم قال صلى الله عليه وسلم ثم قال
الثالث لصاحبه تنح عنه فنحاه عني فامر يده ما بين مفرق صدري الي منتهي عانتي فالتام
ذلك الشق باذن الله تعالى وختم عليه وفي رواية قال احدهما للاخر خط فخاط وختم عليه
قوله وقد يقال معنى خط الحمه فخاط اي الحمه اي مرر يده فالتحم فلا ينافي ما سبق
ولا ينافيه ما في الحديث الصحيح انهم كانوا يرون اثر المخيط في صدره صلى الله عليه وسلم
لجواز ان يكون المراد يرون اثرا كاثر المخيط في صدره صلى الله عليه وسلم وهو اثر مرور
يد جبريل عليه السلام وهذا طوى ذكره في الروايات السابقة وقوله وختم عليه يقتضي ان
الختم كان في صدره وهو الموافق لما تقدم عن ابن عايذ انه بين ثدييه ولكنه زاد بين كتفيه
وتقدم ان الختم كان بقلبه صلى الله عليه وسلم وقد يقال في الجمع لا مانع من تعدد الختم
في المحال المذكوره اي في قلبه وصدره وبين كتفيه فختم القلب لحفظ ما فيه وختم الصدر
وبين الكتفين مبالغة في حفظ ذلك لان الصدر وعاء القريب وجسده وعاء البعيد وخص بين
الكتفين لانه اقرب وعاء الى القلب من بقية الجسد ولعله اولى من جواب القاضي عياض رحمه
الله تعالى بان الذي بين كتفيه هو اثر ذلك الختم الذي كان في صدره اذ هو خلاف الظاهر من
قوله وجعل الخاتم بين كتفي وفيه السكوت عن ختم القلب ولا يحسن ان يكون مراده بالصدر
القلب من باب تسمية الحال باسم محله لانه يصير ساكتا عن ختم الصدر واولى من جواب الحافظ
ابن حجر رحمه الله تعالى ايضا بانه يجوز ان يكون الختم لقلبه ظهر من وراء ظهره عند كتفه
الايسر لان القلب في ذلك الجانب لما علمت وفيها ان الذي عند الايسر خاتم النبوة اي الذي هو
علامة على النبوة الذي ولد صلى الله عليه وسلم به على ما هو الصحيح وفي الخصائص الصغرى
وخص صلى الله عليه وسلم بجعل خاتم النبوة بظهره بازاء قلبه حيث يدخل الشيطان لغيره من
الانبيا كان الختم في يمينهم اي فقد اخرج الحاكم في المستدرك عن وهب ابن منبه قال ولم يبعث
الله نبيا الا وقد كان عليه شامات النبوة في يده اليمنى الا ان يكون نبينا صلى الله عليه وسلم
فان شامة النبوة كانت بين كتفيه هذا كلامه ولم اقف على بيان تلك الشامات التي كانت
للانبيا ما هي وكتب الشهاب القسطلاني على هامش الخصائص قوله وجعل خاتم النبوة بظهره
الخ مشكل اذ مفهومه ان موضع الدخول لقلوب الانبيا غير نبينا لم يختم ولا يخفى ما فيه من
المحظور فما اشنعها من عباره واخطاها من اشاره هذا كلامه ولك ان تقول المراد بغيره
في قوله حيث يدخل الشيطان لغيره من غير الانبياء لما علم وتقرر في النفوس من عصمة
الانبيا واختص نبينا صلى الله عليه وسلم من بين سائر الانبياء عليهم الصلاة والسلام

بالختم

بالختم في المحل المذكور مبالغة في حفظه من الشيطان وقطع اطماعه فليتامل لا يقال كل
من جواب القاضي والحافظ ابن حجر يجوز ان يكون مبنيا على ان خاتم النبوة هو اثر هذا الختم
وهو موافق لما تمسك به القايل بان خاتم النبوة لم يولد به وانما حدث بعد الولادة لانا
نقول على تسليم انه حدث بعد الولادة فقد وجد عقبها فعند ابي نعيم في الدلايل انه صلى
الله عليه وسلم لما ولد ذكرت امه ان الملك غمسه في الماء الذي معه ثلاث غمسات ثم
اخرج صرة من حرير ابيض فاذا فيها خاتم فضرب على كتفه كالبيضة المكنونة وبذلك يعلم
ان خاتم النبوة ليس اثرا لهذا الخاتم وكلام السهيلي يقتضي انه حيث قال ان في هذا
الحديث الذي في شق صدره في الرضاعة فيه فايدة من تبيين العلم وذلك ان خاتم النبوة لم يدر
انه خلق به او وضع فيه بعد ما ولد او حين نبي فبين في هذا الحديث متى وضع وكيف وضع
ومن وضعه زادنا الله علما واوزعنا شكرا والله اعلم هذا كلامه ثم رايت عن الحافظ ابن
حجر ما يوافقه حيث قال ومقتضى الاحاديث التي فيها شق الصدر ووضع الخاتم انه لم
يكن موجودا حال ولادته وانما كان اول وضعه لما شق صدره عند حليمة خلافا لمن قال
ولد به او حين ولد هذا كلامه ولا يخفى ان ما قلناه من ان هذا الخاتم غير خاتم النبوة اولى
لان به يجتمع القولان وتندفع المخالفة والجمع اولى من التضعيف لما صح من انه ولد به وعلى
انه هو يلزم ان يكون خاتم النبوة تعدد محله فوجد بين كتفيه وفي صدره وفي قلبه لا يقال
قد اشير الى الجواب عن ذلك بان الموجود بين كتفيه انما هو اثر ما في صدره وقلبه لانا نقول
يبطله ما تقدم عن الدلايل لابي نعيم وما تقدم عن بعض الروايات فاقبل الملك وفي يده خاتم
فوضعه بين كتفيه وثدييه وايضا يلزم عليه ان يكون خاتم النبوة تكرر الاتيان به ثانيا
في قصة المبعث وثالثا في قصة الاسرا ففي قصة المبعث فالكافي كما تقدم الا انه ختم في ظهري
وفي قصة الاسرا ثم ختم بين كتفي بخاتم النبوة وكل منهما يبطل كون ما في ظهره او بين كتفيه اثرا
لذلك الختم الذي وجد في صدره او قلبه الا ان يقال ما في قصة المبعث وقصة الاسرا غير
خاتم النبوة وان خاتم النبوة انما هو الاثر الحاصل عن ختم صدره وقلبه في قصة الرضاع وانه
تكرر الختم على ذلك الاثر في المبعث وفي قصة الاسرا وفيه انه لا معنى لتكرر الختم في محل
واحد ولا يقال الغرض منه المبالغة في الحفظ لان ذلك انما يكون عند تعدد محل الختم لا عند
اعادته ثانيا وثالثا في محل واحد وايضا هو خلاف ظاهر كلامهم من ان في المحال الثلاثة خاتم
النبوة ويؤيده ان المتبادر من القول في هذه قصة الاسرا ثم ختم بين كتفي بخاتم النبوة انه جعل
خاتم النبوة بين كتفيه والا فما معنى كون الخاتم بمعنى الطابع خاتم النبوة فان قلت على دعوى
الغيرية يحتاج الى الجواب عن قوله بخاتم النبوة قلت قد يقال هذا الباقي كلام بعضهم ليس
في رواية عن الشارع وانما وقعت تلك العبارة من بعضهم ويجوز ان تكون الباقي كلامه
بمعنى مع اي مع خاتم النبوة فتامل والله اعلم قال صلى الله عليه وسلم ثم اخذ بيدي
فانهضني من مكاني انهاضا لطيفا ثم قال الاول الذي شق صدري زنه بعشرة من امته

فوزنني فرجحتهم ثم قال زنه بمائة من امته فوزنني فرجحتهم ثم قال زنه بالف من امته فوزنني فرجحتهم ثم قال دعه فلو وزنته بامته كلهم لرجحهم ثم ضموني الى صدورهم وقبلوا راسي ومابين عيني ثم قالوا يا حبيب الله لم ترع انك لو تدري ما يراد بك من الخير لقرت عيناك **اقول** في بعض الروايات زنه بعشرة ثم قال زنه بمائة ففي هذه الرواية طي ذكر وزنه بعشرين وفي تلك الرواية طي ذكر وزنه بعشرة والله اعلم **ثم قال** قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وبينا نحن كذلك واذا بالحي اقبلوا بحذافيرهم الى باجمعهم واذا بظئري اي مرضعتي امام الحي تهتف اي تصيح باعلا صوتها واضعفاه فاكبوا علي يعني الملائكة هؤلاء الذين هم اولئك الارهط الثلاث وضموني الى صدورهم وقبلوا راسي ومابين عيني وقالوا حبذا انت من ضعيف ثم قالت ظئري يا وحيداه فاكبوا علي وضموني الى صدورهم فقبلوا راسي ومابين عيني وقالوا حبذا انت من وحيد وما انت بوحيد ان الله معك وملائكته والمؤمنين من اهل الارض ثم قالت ظئري يا يتيماه استضعفت من بين اصحابك فقتلت لضعفك فاكبوا علي وضموني الى صدورهم وقبلوا راسي ومابين عيني وقالوا حبذا انت من يتيم ما اكرمك على الله لو تعلم ما اريد بك من الخير لقرت عيناك فوصلوا يعني الحي الى شفير الوادي فلما ابصرتني امي وهي ظئري قالت لا اراك الا حيا بعد فجاءت حتى اكبت علي ثم ضمتني الى صدرها فوالذي نفسي بيده اني لفي حجرها قد ضمتني اليها ويدي في ايديهم يعني الملائكة وجعل القوم لا يعرفونهم اي لا يبصرونهم فاقبل بعض القوم يقول ان هذا الغلام قد اصابه لمم اي طرف من الجنون او طايف من الجن وهو اللمة فانطلقوا الى كاهن حتى ينظر اليه ويداويه فقلت يا هذا مابي مما يذكر اني سليمة وفؤادي صحيح ليس بي قلبة اي علة يقلب لها الى من ينظر فيها فقال ابي وهو زوج ظئري الا ترون كلامه صحيحا اني لارجوا ان لا يكون بابني باس واتفقوا على ان يذهبوا بي اليه اي الى الكاهن فلما انصرفوا بي اليه فقصوا عليه قصتي فقال اسكتوا حتى اسمع من الغلام فانه اعلم بامره منكم فسالني فقصصت عليه امري من اوله الى اخره فوثب الي وضمني الى صدره ثم نادى باعلا صوته يا للعرب يا للعرب من شر قد اقترب اقتلوا هذا الغلام واقتلوني معه فواللات والعزى لئن تركتموه فادرك مدرك الرجال ليبدلن دينكم وليسفهن عقولكم وعقول ابائكم وليخالفن امركم وليأتينكم بدين لم تسمعوا بمثله وفي رواية ليسفهن احلامكم اي عقولكم وليكسرن اوثانكم وليدعونكم الى رب لا تعرفونه ودين تنكرونه فعمدت ظئري فانتزعتني من حجره وقالت انت اعته واجن ولو علمت ان هذا قولك ما اتيتك به فاطلب لنفسك من يقتلك فانا غير قاتلي هذا الغلام ثم احتملوني الى اهلهم واصبحت منزعجا مما فعلوا يعني الملائكة اي من حملي بين اترابي والقاي الى الارض لا من خصوص الشق كما تقدم واصبح الشق مابين صدري الى منتهى عانتي اي اثر التئام الشق الناشي عن امرار يد الملائكة كانه الشراك **اقول** الشراك احد سيور النعل الذي هو المداس الذي يكون على وجهها ولعل حكمة بقايه ليدل على وجود

ثنين

الشق وعلم انه حيث كانت قصة شق صدره الشريف في زمن الرضاع عند حليمة واحتمل ان تكون هذه الروايات المراد منها واحدا ان بعضها وقع فيه الاختصار عما وقعت به الاطالة في بعضها وان اخباره صلى الله عليه وسلم بان الملائكة كانوا ثلاثة لا ينافي اخبارهم بانهم كانوا اثنين ونسبة الاخذ والاضجاع والشق للبطن والصدر الى الثلاثة لا الى الا لا ينافي ان متعاطي ذلك واحد منهم كما اخبر به اخوه وجا التصريح به في بعض الروايات وان التعبير به في بعضها بشق البطن هو المراد بشق الصدر الى منتهى العانة في بعضها وانه ليس المراد بشق البطن او شق الصدر بشق القلب لما تقدم في الرواية واستخرج احشا بطني ثم غسلها ثم عادها مكانها ثم قال لصاحبه تنح عنه فنحاه عني ثم ادخل يده في جوفي فاخرج قلبي وفي بعض الحديث انه يجوز ان يكون الطست كان متعددا واحد من زمردة خضرا وواحد من ذهب وان الاول كان فارغا معدا لان يلقى فيه ما يغسل به باطنه اي مع احشائه ومنها اي من جملة الاحشا ظاهر قلبه من الاثر بتى المضغة وان الثاني كان مملوا ثلجا معدا لان يغسل به قلبه اي داخل قلبه وح يكون في بعض الروايات اقتصر على القلب في بعضها جمع بينه وبين الاحشا في ذلك ويحتاج الى الجمع بين كون الشق في ذروة الجبل وكونه في شفير الوادي وكون المخرج علقة وكونه مضغة وقد يقال جاز ان تكون ذروة الجبل قريبة من شفير الوادي وانه عبر عن الذي اخرجه والقاه تارة بالعلقة ولعل تلك المضغة كانت قريبة من المضغة ولا يخفى ان هذه العلقة يحتمل انها غير حبة القلب التي اخذت منها المحبة وهي علقة سودا في صميمه المسماة بسويدا القلب ويحتمل انها هي والله اعلم وقد اشار الى هذه القصة صاحب الهمزية رحمه الله تعالى بقوله

واتت جنة وقد فصلته	وبها من فصاله البرحاء
اذا حاطت به ملايكة الله	فظنت بانهم قرناء
وراي وجدها به ومن الوجد	لهيب تصلى به الاحشاء
فارقته كرها وكان لديها	ثاويا لا يمل منه الثواء
شق عن قلبه واخرج منه	مضغة عند غسله سوداء
ختمته يمنى الامين وقد او	دع ما لم يدع له انباء
صان اسراره الختام فلا	الفض ملم به ولا الافضاء

اي واتت حليمة به جنة والحال انها فطمته والحال انها لحق بها من اجل فطامها له ورده التالم الزايد وردها له لاجل انه احرقت به ملايكة الله فظنتهم شياطين وراي شدة محبتها وتعلقها به وقد حصل لها من الوجد الذي لها لهب تحترق به الاحشاء وهي ما تحويه الضلوع وفارقته بعد ردها له كارهة لفراقه والحال انه كان مقيما عندها لا تمل ذلك منه وقد شق عن قلبه واخرج من ذلك القلب عند غسله مضغة سودا ختمت على ذلك القلب يمنى الامين جبريل بخاتم والحال ان ذلك القلب الشريف قد اودع من الاسرار الالهية ما

لم تنشره اضبار لان تلك الاسرار لا يعلمها الا الله تعالى حفظ ذلك الختام اسراره التي اودعت
فيه فلا الكسر واقع بذلك الختم ولا الاشاعة واقعة لتلك الاسرار **اقول** قد علمت ان
صدره الشريف شق مرتين غير هذه المره مرة عند مجي الوحي ومرة عند المعراج وزاد بعضهم
انه شق عند بلوغه عشر سنين كما في مسلم ولما بلغ عمره صلى الله عليه وسلم عشرين سنة
اي ولعلها هي المعنية بقول صاحب المواهب وروي خامسة ولا تثبت وسياتي تلك الخامسة
عن الدر المنثور وسياتي ما فيها والله اعلم **قال** وفي المرة التي كان ابن عشر سنين اي
واشهر قال صلى الله عليه وسلم جاءني رجلان فقال احدهما لصاحبه اضجعه فاضجعني بلا حلاوة
القفا ثم شقا بطني فكان احدهما يختلف بالما في طست من ذهب والاخر يغسل جوفي ثم
شق قلبي فقال اخرج الغل والحسد منه فاخرج منه العلقة والمتبادر ان الذي في العلقة
للعهد وهي العلقة السودا التي تقدم انها حظ الشيطان وانها مغمزه فهي محل الغل
والحسد وفيه انه قد تقدم ايضا ان تلك العلقة اخرجت والقيت قبل هذه المره وتكرر
نبذها مستحيل الا ان تحمل العلقة على جزء بقي من اجزايها بنا على جواز انها تجزات الى
من جزئين المعبر عنهما في ما تقدم عن بعض الروايتين بعلقتين سودا وين الا ان يقال
المراد بقوله فاخرج منه العلقة اي اخرج ما هو كالعلقة اي شيئا يشبه العلقة كما سياتي
التصريح بذلك في بعض الروايات فادخل شيئا كهيئته ثم اخرج ذرورا كان معه فذره عليه
اي على شق القلب ليلتحم به ثم نقر ابهامي ثم قالا اغد واسلم **اقول** لم يذكر في هذه المره الختم
وظاهر هذه الرواية ان الصدر التحم بمجرد ذر الذرور وتقدم في قصة الرضاع ان ذلك
كان امرار يد الملك واستمر اثر التيام الشق يشاهد كالشراك وفي الدر المنثور عن زوايد
الامام احمد عن ابي كعب عن ابي هريرة قال يا رسول الله ما اول ما رايت من امر النبوة فاستوى
رسول الله صلى الله عليه وسلم جالسا وقال لقد سالت يا ابا هريرة اني لفي صحرا ابن عشرين سنة
وشهرا اذا بكلام فوق راسي واذا رجل يقول لرجل اهو هو فاستقبلاني بوجوه لم ارها
لخلق قط وثياب لم ارها على احد قط فاستقبلا الي يمشيان حتى اخذ كل واحد منهما بعضدي
لا اجد لاخذهما مسا فقال احدهما لصاحبه اضجعه فاضجعاني بلا قسر ولا هصر اي من غير
اتعاب فقال احدهما لصاحبه افلق صدره ففلقه فيما ارى بلا دم ولا وجع وقال له اخرج
الغل والحسد فاخرج شيئا كهيئة العلقة ثم نبذها فطرحها فقال له ادخل الرافة والرحمة فاذا
مثل الذي اخرج اي ليتخلله شبه الفضة ثم نقر ابهام رجلي وقال اغد واسلم فرجعت اغدو
بها رافة على الصغير ورحمة على الكبير ولم يذكر في هذه المرة الغسل فضلا عما يغسل به ولم
يذكر الختم لكن قول الرجل للاخر اهو هو يدل على ان الرجلين ليسا جبريل وميكائيل لانهما
يعرفانه وقد فعلا به ذلك في قصة الرضاع وقد يدعى ان هذه الرواية هي عين الرواية التي
قبلها وذكر عشرين سنة غلط من الراوي وانما هي عشر سنين ثم رايت ما يصرح بذلك وهو
وكان عشر حجج وقد تحمل هذه المرة اي كونه ابن عشر سنين على ان ذلك كان في المنام وان

كان خلاف

كان خلاف ظاهر السياق **قال** في المره التي هي عند ابتدا الوحي جاءني جبريل وميكائيل فاخذني
جبريل والقاني لحلاوة القفا ثم شق قلبي واستخرجه ثم استخرج منه ما شاء الله ان
يستخرج ولم يبين ذلك ما هو ثم غسله في طست من ماء زمزم ثم اعاده مكانه ثم لامه
اي بذلك الذرور او بامرار يده او بهما جميعا ثم اكفاني كما يكفا الانا ثم ختم على ظهري يحتمل
ان يكون المراد في غير المحل الذي ختمه في قصة الرضاع وهو بين كتفيه ويحتمل ان المراد
بظهره الذي ختمه في قصة الرضاع وفيه انه لا معنى لوضع الختم على الختم كما تقدم ويمكن
ان تكون الحكمة في الجمع بين جبريل وميكائيل ان ميكائيل ملك الرزق الذي به حياة الاجساد
والاشباع وجبريل ملك الوحي الذي به حياة القلوب والارواح والمرة التي في المعراج سياتي
الكلام عليها وفيها ان الختم وقع بين كتفيه وفيه ما علمت وقد علمت ان شق الصدر و
والبطن غير شق القلب وان شق القلب واخراج العلقة السودا التي هي حظ الشيطان ومغمزه مما
اختص به صلى الله عليه وسلم على الانبيا صلوات الله وسلامه عليهم اجمعين وما في بعض
الاثار ان التابوت اي تابوت بني اسرايل كان فيه الطشت الذي غسلت به قلوب الانبيا
المراد ظاهر قلوبهم لان القلب من جملة الاحشا التي غسلت وغسل الصدر والبطن كما تقدم على
ان ابن دحية ذكر على انه اثر باطل وقد يطلق الصدر على القلب من باب تسمية الحال باسم محله
ومنه ما وقع في قصة المعراج ثم اتى بطشت ممتلي حكمة وايمانا فافرغاه في صدره ومنه قول
الجلال السيوطي في الخصايص الصغرى ان شق صدره الشريف من خصايصه صلى الله عليه وسلم على
الاصح من القولين اي شق قلبه وسياتي الكلام على ذلك في الكلام على المعراج بما هو
ابسط من هنا **وعن حليمة** رضي الله عنها انها كانت بعد رجوعها به صلى الله عليه وسلم
من مكة لا تدعه ان يذهب مكانا بعيدا اي عنها فغفلت عنه يوما في الظهيرة فخرجت
تطلبه فوجدته مع اخته من الرضاعة وهي الشيما وكانت تحضنه مع امها اي ولذلك تدعى
ام النبي صلى الله عليه وسلم ايضا وكانت رضي الله عنها ترقصه بقولها هذا اخ لي
لم تلده امي، وليس من نسل ابي وعمي، فانمه اللهم فيما تنمي، فقالت في هذا الحر اي ما ينبغي
ان يكون في هذا الحر فقالت اخته يا امه ما وجد اخي حرا رايت غمامة تظل عليه اذا وقف
وقفت واذا سار سارت حتى انتهى الى هذا الموضع فجعلت تقول حقا يا بنية قالت اي والله
فجعلت تقول اعوذ بالله من شر ما يحذر على ابني **وفي كلام بعضهم** ورات يعني حليمة
الغمامة تظله اذا وقف وقفت واذا سار سارت وقد يقال الروية في حق حليمة علمية وفي حق
اخته بصرية فلا مخالفة او انها ابصرتها بعد الاخبار لها كما يدل على ذلك القول بانه
افزعها ذلك من امره اي ففي كونها فزعت من ذلك بعد اخبار اخته لها بذلك لشيء فقد مشت به على
امه **اقول** عن الواقدي ان حليمة رضي الله عنها لما قدمت به صلى الله عليه وسلم
الي مكة لترده الى امه رات غمامة تظله في الطريق ان سار سارت وان وقف وقفت وسياق
هذا يقتضي انها ردته الى امه عقب مجيها به من مكة وان ذلك كان قبل شق صدره عندها

ويحتمل ان تكون هذه قدمة ثانية الى مكة كانت قبل شق صدره ففي القدمة الاولى كان سنه سنتين
وفي القدمة الثانية كان سنه سنتين واشهرا وتكون هذه المرة الثانية محل قول حليمة فلو الله
انه بعد ما قدمنا باشهر وقول ابن الاثير بشهرين او ثلاث واما في القدمة الثالثة وهي
التي بعد شق صدره وتركها له عند امه كان سنه اربع سنين وفيها كانت وفاتها على ما ياتي
وقيل خمس سنين قاله ابن عباس رضي الله عنهما وقيل ست سنين ويكون بعض الرواة
اشتبه عليه الامر وظن هذه القدمة الثانية التي قبل شق صدره هي الثالثة التي بعد شق صدره
فلزم الاشكال فتامل ذلك تاملا جيدا ولا تكن ممن يفهم تقليدا والله تعالى اعلم ووفدت
عليه صلى الله عليه وسلم حليمة رضي الله عنها بعد تزويجه خديجة رضي الله عنها تشكو اليه
اليه ضيقا فكلم لها خديجة فاعطتها عشرين راسا من الغنم وبكرات جمع بكرة وهي الشي من
الابل اي وفي رواية اربعين شاة وبعيرا ووفدت عليه يوم حنين وبسط لها رداه فجلست عليه
اي فقال بعضهم لم تره بعد اذ ردته الا مرتين احداهما بعد تزوج خديجة اي وعليه يكون هذه
المرة التي قدمت فيها مع زوجها وولدها واجلسهم صلى الله عليه وسلم على ثوبه الذي كان
صلى الله عليه وسلم جالسا عليه كما تقدم والمرة الثانية يوم حنين وفي كلام القاضي عياض رحمه
الله تعالى ثم جاءت ابا بكر رضي الله عنه ففعل ذلك اي بسط لها رداه ثم جاءت عمر ففعل لها ذلك
وفي كلام ابن كثير رحمه الله تعالى ان حديث مجيء امه اليه في حنين غريب وان كان محفوظا هو
الى وقت الجعرانة اي بعد رجوعه من حنين انزيد من ستين سنة واقل ما كان عمرها حين
ارضعته عليه الصلاة والسلام ثلاثين سنة وكونها وفدت على ابي بكر وعمر رضي الله عنهما تزيد
المدة وعن ابي الطفيل قال رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقسم لحما بالجعرانة هي
اي بعد رجوعه من حنين كما تقدم والطائف وانا غلام شاب فاقبلت امراة فلما راها رسول
الله صلى الله عليه وسلم بسط لها رداه فقيل من هذه قيل امه التي ارضعته وفي رواية استاذنت
امراة على النبي صلى الله عليه وسلم قد كانت ترضعه فلما دخلت عليه قال امي امي وعمد صلى
الله عليه وسلم الى ردائه فبسط لها فقعدت عليه وتقدم عن شرح الهمزية لابن حجر ان من
حليمة توفيقها للاسلام هي وزوجها وبنوها وفي الاصل ومن الناس من ينكر اسلامها
واشار بذلك الى شيخه الحافظ الدمياطي فانه من جملة المنكرين حيث قال في سيرته حليمة
لا يعرف لها صحبة ولا اسلام وقد وهم غير واحد فذكروها في الصحابة وليس بشيء وكان
الانسب ان يقول ذكروا اسلامها وليس بشيء ويوافقه قول الحافظ ابن كثير الظاهر
ان حليمة لم تدرك البعثة ورده بعضهم فقال اسلامها لا شك فيه عند جماهير العلماء ولا
يعول على قول بعض المتاخرين انه لم يثبت فقد روى ابن حبان حديثا صحيحا دل على
اسلامها وانكر الحافظ الدمياطي وفودها عليه في حنين وقال الوافد عليه في ذلك اليوم
انما هي اخته من الرضاعة وهي الشيما اقول وعلى صحة ما قاله الحافظ الدمياطي لا ينافيه قو
صلى الله عليه وسلم امي امي لانه كان يقال لاخته الشيما ام النبي لانها كانت تحضنه مع امه

كما تقدم ولا قول بعض الصحابة امه التي ارضعته لانه يجوز انه لما قيل امه حملها على
المرضعة له صلى الله عليه وسلم لتيقن موت امه من النسب وعلى كون الواقع عليه في حنين
اخته اقتصر في الهدي والله اعلم قال الحافظ ابن حجر رحمه الله بعد ان اورد عدة آثار
في مجيء امه من الرضاعة اليه في حنين وفي تعدد هذه الطرق ما يقتضي ان لها اصلا اصيلا وفي
اتفاق الطرق على انها امه رد على من زعم ان التي قدمت عليه اخته انتهى اقول
لا رد في ذلك لانه علم ان اخته المذكورة كان يقال لها ام النبي صلى الله عليه وسلم ووصف
بعض الصحابة لها بانها امه من الرضاعة تقدم انه يجوز ان يكون بحسب ما فهم ومما يعين
انها اخته ما سياتي انها لما اخذت في حنين من جملة سبي هوازن قالت للمسلمين انا اخت
صاحبكم فلما قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت له يا رسول الله انا اختك قال وما
علامة ذلك قال عضة عضضتنيها في ظهري وانا متوركتك فعرف رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقام لها وبسط لها رداه واجلسها عليه ودمعت عيناه الى آخر ما ياتي وكلام المواهب يقتضي
انهما قضيتان واحدة كانت فيها اخته والاخرى كانت فيها امه من الرضاعة حيث قال وقد
روي ان خيله صلى الله عليه وسلم اغارت على هوازن فاخذوها يعني اخته من
الرضاعة التي هي الشيما فقالت انا اخت صاحبكم الى ان قال فبسط لها رداه واجلسها عليه
فاسلمت ثم قال وجاءته يعني امه من الرضاعة التي هي حليمة يوم حنين فقام اليها وبسط لها
رداه وجلست عليه وهذا كما ترى يوهم ان الخيل التي اغارت على هوازن التي كانت فيها اخته
لم تكن في حنين وان امه لم تكن يوم حنين فيلزم ان تكون جاءته يوم حنين كل من امه واخته
من الرضاعة الاولى في غير السبي والثانية في السبي وانه فرش لكل رداه وهو تابع في ذلك
لابن عبد البر رحمه الله تعالى حيث قال في الاستيعاب حليمة السعدية ام النبي صلى الله عليه
وسلم من الرضاعة جاءت اليه يوم حنين فقام لها وبسط لها رداه وجلست عليه وروت عنه
وروى عنها عبد الله ابن جعفر رضي الله عنهما ثم قال حذافة اخت النبي صلى الله عليه وسلم
من الرضاعة يقال لها الشيما اغارت خيل رسول الله صلى الله عليه وسلم على هوازن فاخذوها
فيما اخذوا من السبي الحديث وكون عبد الله ابن جعفر روى عن حليمة قال الحافظ ابن حجر
لا يتهيا له السماع منها الا بعد الهجرة بسبع سنين فاكثر لانه قدم من الحبشة مع ابيه الذي هو
جعفر ابن ابي طالب في خيبر سنة سبع اي وتبعد حياتها وبقاؤها الى ذلك الزمن وفيه
ان حنينا بعد خيبر وابعد من ذلك وفودها على ابي بكر وعمر رضي الله عنهما وتقدم ما
يشعر باستبعاد ذلك عن ابن كثير والذي يتجه ان الوافد عليه في حنين اخته لا امه كما
يقول الحافظ الدمياطي والله اعلم قال ابو الفرج ابن الجوزي ثم قدمت اي حليمة
عليه بعد النبوة فاسلمت وبايعت اي فلا يقال سلمنا ان حليمة هي القادمة عليه اي بعد
النبوة فما الدليل على اسلامها انتهى اقول كان من حقه ان يقول بدل هذه العبارة
التي ذكره وانما قال يعني ابن الجوزي فاسلمت بعد قوله قدمت عليه لانه لا يلزم من قد

العلامة
ومها

عليه بعد النبوة اسلامها وفي كون قول ابن الجوزي فاسلمت دليلا على اسلامها نظر بل هو
دعوى تحتاج الى دليل الا ان يقال قول ابن الجوزي فاسلمت دليل على اسلامها والله اعلم
وذكر الذهبي انها التي وفدت عليه في الجعرانة صلى الله عليه وسلم يجوز ان تكون
ثويبة ونظر فيه بان ثويبة توفيت سنة سبع اي من الهجرة اي مرجعه من خيبر على ما تقدم
اقول ذكر في النور ان الحافظ مغلطاي له مؤلف في اسلام حليمة سماه التحفة الجسيمة في
اسلام حليمة السعدية وذكر بعضهم انه لم ترضعه مرضعة الا واسلمت لكن هذا البعض
قال ومرضعاته صلى الله عليه وسلم اربع امه وحليمة السعدية وثويبة وام ايمن ايضا وهو
يؤيد ما تقدم عن ابن منده من اسلام ثويبة واما اسلام امه امنة فسنذكره وكون ام ايمن
ارضعته تقدم ما فيه والله تعالى اعلم

باب وفاة امه صلى الله عليه وسلم

وحضانة ام ايمن له ه وكفالة جده عبد المطلب اياه ه اي اختصاصه بذلك ذكر ابن اسحق ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم ماتت امه لما بلغ ست سنين وقيل كان سنه اربع سنين وبه
صدر في المواهب اي وهو يرد القول بان حليمة لما ردته الى امه كان عمره خمس او ست سنين
قال وقيل كان سنه عليه الصلاة والسلام سبع سنين وقيل ثمان وقيل تسع وقيل اثني
عشر وشهرا وعشرة ايام انتهي ووفاتها كانت بالابواء وهو محل بين مكة والمدينة اي وهو
الى المدينة اقرب وسمي بذلك لان السيول تتبوأه اي تحل فيه ودفنت به فقد جاء انه صلى الله عليه
وسلم لما مر بالابواء في عمرة الحديبية قال ان الله اذن لمحمد صلى الله عليه وسلم في زيارة قبر امه
فاتاه واصلحه وبكا عنده وبكا المسلمون لبكائه صلى الله عليه وسلم وقيل له في ذلك
فقال ادركتني رحمتها فبكيت وكان موتها وهي راجعة به من المدينة من زيارة اخواله
صلى الله عليه وسلم اي اخوال جده عبد المطلب لان ام عبد المطلب من بني عدي ابن النجار
كما تقدم بعد ان مكثت عندهم شهرا ومرضت في الطريق ومعها ام ايمن بركة الحبشية التي ه
ورثها صلى الله عليه وسلم من ابيه عبد الله على ما تقدم فحضنته وجاءت به الى جده عبد
المطلب اي بعد خمسة ايام من موت امه فضمه اليه ورق عليه رقة لم يرقها على ولده هذا
وفي كلام بعضهم وبقي النبي صلى الله عليه وسلم بعد موت امه بالابواء حتى انتهى الخبر الى
مكة وجاءت ام ايمن مولاة ابيه عبد الله فحملته وذلك لخامسة من موت امه فليتامل وكون
موت امه صلى الله عليه وسلم كان في حياة عبد المطلب هو المشهود الذي لا يكاد يعرف غيره
وبه يرد قول من قال ان موت عبد المطلب كان قبل موت امه بسنتين اي وكان صلى الله عليه
وسلم يقول لام ايمن رضي الله عنها انت امي بعد امي ويقول ام ايمن امي بعد امي وفي ه
القاموس دار رابغة بالغين المعجمة بمكة فيها مدفن امه صلى الله عليه وسلم ولم اقف على
محل تلك الدار من مكة قال وقيل توفيت اي دفنت بالحجون بشعب ابي دب وغلط قائله
وعن عائشة رضي الله عنها قالت حج بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم حجة الوداع فمر على
عقبة الحجون وهو باك حزين مغتم فبكيت لبكائه ثم انه طفق اي شرع يقول يا حميرا استمسكي

فاستندت

فاستندت الى جنب البعير فمكث عني طويلا ثم عاد الي وهو فرح متبسم فقلت له بابي
انت وامي يا رسول الله نزلت من عندي وانت باك حزين مغتم فبكيت لبكائك ثم انك عدت
الي وانت فرح متبسم فمم ذلك قال ذهبت لقبر امي فسالت الله ان يحييها فاحياها فامنت
فردها الله تبارك وتعالى وهذا الحديث قد حكم بضعفه جماعة منهم الحافظ ابو الفضل
ابن ناصر الدين والجوزقاني وابن الجوزي والذهبي في الميزان واقره على ذلك الحافظ ابن
حجر في لسان الميزان وجعله ابن شاهين ومن تبعه ناسخا للاحاديث النهي عن الاستغفار
اي لها منها ما جاء انه صلى الله عليه وسلم لما قدم مكة اي ولعله في عمرة القضا لانه لم يقدم
مكة بها اما مع اصحابه قبل حجة الوداع الا في ذلك اتى رسم قبر امه فجلس اليه فناجاه
طويلا ثم بكى قال ابن مسعود رضي الله عنه فبكينا لبكائه صلى الله عليه وسلم ثم
قام ثم دعانا فقال ما ابكاكم قلنا بكينا لبكائك فقال ان القبر الذي جلست عنده قبر
امنة الحديث وفي رواية اتا قبر امه فجلس عليه فجعل يخاطبه ثم قام مستعبرا فقال بعض
الصحابة يا رسول الله قد راينا ما صنعت قال اني استاذنت ربي في زيارة قبر امي فاذن لي
واستاذنته في الاستغفار لها فلم ياذن لي وفي رواية ان جبريل عليه السلام ضرب في صدره
صلى الله عليه وسلم وقال لا تستغفر لمن مات مشركا فما روي باكيا اكثر منه يومئذ
وفي رواية استاذنته في الدعا لها اي بالاستغفار فلم ياذن لي وانزل علي ما كان للنبي
والذين امنوا ان يستغفروا للمشركين ولو كانوا اولي قربى فاخذني ما ياخذ الولد للوالدة
قال القاضي عياض بكاؤه صلى الله عليه وسلم على ما فاتها من ادراك ايامه والايمان
به اي النافع اجماعا وكونه ناسخا لذلك غير جيد لان احاديث النهي عن الاستغفار بعض
طرقها صحيح رواه مسلم وابن حبان في صحيحهما ونص مسلم استاذنت ربي ان استغفر
لامي فلم ياذن لي واستاذنته في ان ازور قبرها فاذن لي فزوروا القبور فانها تذكر الاخرة
وفي لفظ تذكركم الموت وهذا الحديث اي حديث عائشة على تسليم ضعفه دون وضعه
لا يكون ناسخا للاحاديث الصحيحة اقول ذكر الواحدي في اسباب النزول ان اية ما كان
للنبي والذين امنوا وما كان استغفار ابرهيم لابيه نزلتا لما استغفر صلى الله عليه وسلم
لعمه ابي طالب بعد موته فقال المسلمون ما يمنعنا ان نستغفر لابائنا ولذوي قرابتنا هذا ه
رسول الله صلى الله عليه وسلم استغفر لعمه وقد استغفر ابراهيم عليه السلام لابيه اي
فنزولها كان عقب موت ابي طالب لا يقال جاز ان تكون اية ما كان للنبي تكرر نزولها
لما استغفر لامه ولما استغفر لعمه لانا نقول كونه صلى الله عليه وسلم يعود للاستغفار بعد
ما نهي عنه فيه ما فيه او المراد بالنسخ المعارضة يعني قول ابن شاهين انه ناسخ لاحاديث
النهي عن الاستغفار لها كان قبل ان تؤمن واذا ثبت ما تقدم عن عائشة رضي الله عنها
وما بعده كان دليلا لمن يقول قبر امه صلى الله عليه وسلم بمكة وعلى كونها دفنت
بالابواء اقتصر الحافظ الدمياطي في سيرته وكذا ابن هشام في سيرته وفي الوفا عن ابن سعد

ه اي معارض لها

ان كون قبرها بمكة غلط وانما قبرها بالابوا وقد يقال على تقدير صحة الحديثين اي انها دفنت
بالابوا وانها دفنت بمكة يجوز ان تكون دفنت اولا بالابوا ثم نقلت من ذلك المكان الي
مكة فعلم ان بكاه صلى الله عليه وسلم كان قبل ان يحييها الله تعالى له وتومن به ومن ثم
قال الحافظ السيوطي رحمه الله تعالى ان هذا الحديث اي حديث عايشة رضي الله عنها قيل
انه موضوع ولكن الصواب ضعفه لا وضعه هذا كلامه ويجوز ان يكون قوله لشخصين ابي
وامكما في النار على تقدير صحته التي ادعاها الحاكم في المستدرك كان قبل احياييهما وايمانهما به
كما تقدم نظير ذلك في ابيه وقولنا على تقدير صحة الحديث اشارة لما تقرر في علوم الحديث
انه لا يقبل تفرد الحاكم بالتصحيح في المستدرك لما عرف من تساهله فيه في التصحيح وقد بين الذهبي
ضعف هذا الحديث وحلف على عدم صحته يمينا وتقدم الجواب عما يقال كيف ينفع الايمان بعد
الموت وتقدم ما فيه على انه هذا اي منع الاستغفار لهما انما ياتي على القول بان من بدل او غير
او عبد الاصنام من اهل الفترة معذب وهو قول ضعيف مبني على وجوب الايمان والتوحيد
بالعقل والذي عليه اكثر اهل السنة والجماعة انه لا يجب ذلك الا بارسال الرسل ومن المقرر ان
العرب لم يرسل اليهم رسول بعد اسمعيل واسمعيل انتهت رسالته بموته كبقية الرسل لان ثبوت
الرسالة بعد الموت من خصايص نبينا محمد صلى الله عليه وسلم فعليه اهل الفترة من العرب
لا تعذيب وان غيروا وبدلوا وعبدوا الاصنام والاحاديث الواردة بتعذيب من ذكر اي من غير
او بدل او عبد الاصنام مووله او خرجت مخرج الزجر للحمل على الاسلام ثم رايت بعضهم
بحث ان التكليف بوجوب الايمان بالله تعالى وتوحيده اي بعدم عبادة الاصنام يكفي فيه وجود
رسول دعا الي ذلك وان لم يكن ذلك الرسول مرسلا لذلك الشخص بان لم يدرك زمنه حيث بلغه
انه دعا الي ذلك وامكنه علم ذلك وان التكليف بغير ذلك من الفروع لا بد فيه ان يكون ذلك
الرسول مرسلا لذلك الشخص وقد بلغته دعوته وعلى هذا فمن لم يدرك زمن نبينا صلى الله عليه
وسلم ولا زمن من قبله من الرسل معذب على الاشراك بالله تعالى بعبادة الاصنام لانه على فرض
ان لا تبلغه دعوة احد من الرسل السابقين الي الايمان بالله وتوحيده لكنه كان متمكنا من
علم ذلك فهو تعذيب بعد بعث الرسل لا قبله وح لا يشكل ما اخرجه الطبراني في الاوسط بسند
صحيح عن ابن عباس رضي الله عنهما قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما بعث
الله نبيا الي قوم ثم قبضه الا جعل بعده فترة يملأ من تلك الفترة جهنم ولعل المراد المبالغة في
الكثرة والا فقد اخرج الشيخان عن انس رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لا تزال
جهنم يلقى فيها وتقول هل من مزيد حتى يضع رب العزة فيها قدمه فيزوي بعضها الي
بعض وتقول قط قط اي حسبي بعزتك وكرمك واما بالنسبة لغير الايمان والتوحيد من الفروع
فلا تعذيب على تلك الفروع لعدم بعث رسول اليهم فاهل الفترة وان كانوا معترفين بالله
الا انهم اشركوا بعبادة الاصنام فقد حكى الله عنهم ما نعبدهم الا ليقربونا الي الله زلفى وقد جا
النهي عن ذلك على السنة الرسل السابقين ووجه التفرقة بين الايمان والتوحيد وغير ذلك

ان الشرايع بالنسبة للايمان بالله تعالى وتوحيده كالشريعة الواحدة لاتفاق جميع الشرايع
عليه وهو المراد من قوله تعالى شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا فقد قال بعضهم
المراد من الاية استوا الشرايع كلها في اصل التوحيد اي ومن ثم قال في تمام الاية ولا تتفرقوا
فيه وقال تعالى لقد ارسلنا نوحا الي قومه فقال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره
وقال والي ثمود اخاهم صالحا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره ومن ثم قاتل بعض
الانبيا عليهم الصلاة غير قومه على الشرك بعبادة الاصنام ولو لم يكن الايمان والتوحيد لازما
لهم لم يقاتلهم بخلاف غيره من الفروع فان الشرايع فيها مختلفة قال بعضهم بسبب اختلاف
الشرايع اختلاف الامم في الاستعداد والقابلية والدليل على ان الانبيا متفقون على الايمان
والتوحيد ما جا انه صلى الله عليه وسلم قال الانبيا اولاد علات اي اصل دينهم واحد وهو
التوحيد وان اختلفت فروع شرايع فان العلات الضراير فاولادهم اخوة من الاب وامهاتهم
مختلفة وقد جا التفسير في نفس الحديث ففي بعض الاحاديث الانبيا اخوة من علات
امهاتهم شتى ودينهم واحد وبه يعلم ما في كلام العلامة ابن حجر الهيتمي حيث ذكر ان الحق
الواضح الذي لا غبار عليه ان اهل الفترة جميعهم ناجون وهم من لم يرسل لهم رسول يكلفهم
بالايمان بالله تعالى فالعرب حتى في زمن بني اسرايل اهل فترة لان تلك الرسل لم يومروا بدعايهم
الي الله تعالى وتعليمهم الايمان قال نعم من ورد فيه حديث صحيح من اهل الفترة بانه من
اهل النار فان امكن تاويله فذاك والا لزمنا ان نومن بهذا الفرد بخصوصه قال
واما قول الفخر الرازي لم تزل دعوة الرسل الي التوحيد معلومة فجوابه ان كل رسول انما
ارسل لقوم مخصوصين فمن لم يرسل اليه لا يعذب وجواب ما صح من تعذيب اهل الفترة انه
اخبار احاد فلا تعارض القطع اي فيقتصر التعذيب على ذلك الفرد بخصوصه اي حيث لا يقبل
التاويل اي كما تقدم هذا كلامه هذا وقد جا انهم اي اهل الفترة يمتحنون يوم القيمة فقد
اخرج البزار عن ثوبان ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا كان يوم القيمة جا اهل الجاهلية
يحملون اوثانهم على ظهورهم فيسالهم ربهم فيقولون ربنا لم ترسل لنا رسولا ولم ياتنا منك
امر ولو ارسلت الينا رسولا لكنا اطوع عبادك فيقول لهم ربهم ارايتم ان امرتكم بان تطيعوني فيا
على ذلك مواثيقهم فيرسل اليهم ان ادخلوا النار فينطلقون حتى اذا راوها فرقوا ورجعوا
فقالوا ربنا فرقنا منها ولا نستطيع ان ندخلها فيقول تبارك وتعالى ادخلوها داخرين فقال
النبي صلى الله عليه وسلم لو دخلوها اول مرة كانت عليهم بردا وسلاما قال الحافظ ابن حجر
فالظن بآله صلى الله عليه وسلم يعني الذين ماتوا قبل البعثة انهم يطيعون عند الامتحان
اكراما للنبي صلى الله عليه وسلم لتقر عينه ونرجوا ان يدخل عبد المطلب الجنة في جماعة من
يدخلها طايعا الا ابا طالب فانه ادرك البعثة ولم يومن به اي بعد ان طلب منه الايمان ومما
استدل به الحافظ السيوطي على ان ابويه صلى الله عليه وسلم ليسا في النار قال لانهما لو كانا في النار
لكانا اهون عذابا من ابي طالب لانهما اقرب منه وابسط عذرا وقد اخبر الصادق صلى الله عليه وسلم

انه اهون اهل النار عذابا فليس ابواه صلى الله عليه وسلم من اهلها قال وهذا يتبع
عند اهل الاصول دلالة اشارة وكان يوضع لعبد المطلب فراش في ظل الكعبة لا يجلس عليه
احد من اهل بيته اي ولا احد من اشراف قريش اجلالا له فكان بنوه وسادات قريش
يحدقون به فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم ياتي وهو غلام جفر اي يسير حتى
يجلس عليه فياخذه اعمامه ليوخروه عنه فيقول عبد المطلب اذا راى اي علم ذلك
منهم دعوا ابني فوالله ان له شانا ثم يجلسه عليه معه ويمسح ظهره ويسره ما يراه
يصنع قال وعن ابن عباس رضي الله عنهما دعوا ابني يجلس فانه يحس من
نفسه بشيء اي شرف وارجو انه يبلغ من الشرف ما لم يبلغه عربي قبله ولا بعده وفي
رواية دعوا ابني انه ليونس ملكا اي يعلم من نفسه ان له ملكا وفي لفظ دعوا ابني
الى مجلسي فانه تحدثه نفسه بملك عظيم وسيكون له شان وعن ابن عباس رضي الله عنهما
قال سمعت ابي يقول كان لعبد المطلب مفرش في الحجر لا يجلس عليه غيره وكان حرب ابن امية
فمن دونه من عظماء قريش يجلسون حوله دون المفرش فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم
يوما وهو غلام لم يبلغ الحلم فجلس على المفرش فجذبه رجل فبكى رسول الله صلى الله عليه
وسلم فقال عبد المطلب وذلك بعد ما كف بصره ما لابني يبكي قالوا اراد ان يجلس على الفرش
فمنعوه فقال عبد المطلب دعوا ابني يجلس عليه فانه يحس من نفسه بشرف اي يتيقن
في نفسه شرفا وارجو ان يبلغ من الشرف ما لم يبلغه عربي قبله ولا بعده اي فكانوا بعد
ذلك لا يردونه عنه حضر عبد المطلب او غاب اي ولعل هذا كان في آخر الامر فلا ينافي
ما تقدم الدال ظاهرا على تكرر ذلك منه صلى الله عليه وسلم من اختلاف قول عبد المطلب
والا فيحتمل ان اختلاف قول عبد المطلب جاء من اختلاف الرواة وقال لعبد المطلب قوم
من بني مدلج اي وهم القافة العارفون بالآثار والعلامات احتفظ به فانا لم نر قدما
اشبه بالقدم الذي في المقام منه اي وهي قدم ابرهيم عليه الصلاة والسلام اقول
اي فان ابرهيم عليه الصلاة والسلام اثرت قدماه في المقام وهو الحجر الذي كان يقوم عليه
عند بناء الكعبة كما سياتي وهو الذي يزار الان بالمكان الذي يقال له مقام ابرهيم عليه
الصلاة والسلام اي وقد اشار الى ذلك عمه ابو طالب في قصيدته بقوله مقسما

وبالحجر المسود اذ يلثمونه ... اذا اكتنفوه في الضحى والاصائل
وموطئ ابرهيم في الصخر رطبة ... على قدميه حافيا غير ناعل

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى يعني ان رجله الكريمة غاصت في الصخرة فصارت
على قدر قدمه حافية لا منتعلة وعن انس رضي الله عنه رايت في المقام اثر اصابع ابرهيم
وعقبيه واخمص قدميه غير ان مسح الناس بايديهم اذهب ذلك اي ومشابهة قدمه
صلى الله عليه وسلم لقدم سيدنا ابرهيم عليه الصلاة والسلام يدل على ان تلك الاقدام
بعضها من بعض كما تقدم في قول مجزز المدلجي في زيد واسامة رضي الله عنهما وقد

ناما

ناما وغطيا رؤوسهما ان هذه الاقدام بعضها من بعض فسر بذلك رسول الله صلى الله
عليه وسلم لان في ذلك ردا على من كان يطعن في نسب اسامة ابن زيد كما تقدم وذكر
بعضهم ان نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم اثر قدمه في الحجر ايضا فقد اثر في صخرة بيت
المقدس ليلة الاسراء وان ذلك الاثر موجود الى الان وذكر الجلال السيوطي رحمه الله تعالى
انه لم يقف لذلك اي لتاثير قدمه في الحجر على اصل ولا سند قال ولا رايت من اخرجه في شيء من
كتب الحديث وقال مثل ذلك فيما اشتهر على الالسنة ان مرفقه الشريف لما الصق بالحائط
غاص في الحجر واثر فيه وبه سمي ذلك المحل بمكة بزقاق المرفق ومن العجب ان الجلال السيوطي
مع قوله المذكور قال في الخصائص الصغرى ولا وطئ على صخر الا واثر فيه هذا
كلامه ولعله ظهر له صحة ذلك بعد انكاره ودعوى انه صلى الله عليه وسلم ما وطئ على
صخر الا واثر فيه قد يتوقف فيها ثم رايت الامام السبكي ذكر تاثير قدمه الشريف في الا
حيث قال في تائيته ... واثر في الاحجار مشيك ثم لم ... يوثر برمل او ببطحا رطبة ...
قال شارحها ولعل عدم تاثير قدمه الشريف في الرمل كان ليلة ذهابه الى الغار
اي فليس هذا كان شانه في كل رمل يمشي عليه وكان اذا رفع قدمه عن الرمل يقول لابي بكر
ضع قدمك موضع قدمي فان الرمل لا ينم اراد به اخفى اثر سيره ليتحير المشركون في طلبه
وفيه ان هذا التعليل مقتض لتاثير اثره الشريف في الرمل لا لعدم تاثيره في ذلك ويؤيد
ذلك انه سياتي انهم قصوا اثره الى ان انقطع الاثر عند الغار اي وقال لهم القائف هذا
اثر قدم ابن ابي قحافة واما القدم الاخر فلا اعرفه الا انه يشبه القدم الذي في المقام
يعني مقام ابرهيم الخليل عليه الصلاة والسلام فقالت قريش ما وراء هذا شيء اي محل كما
سياتي وفيه ان هذا اي تمييز قدمه الشريف من قدم سيدنا ابي بكر رضي الله عنه ربما
ينافيه قوله صلى الله عليه وسلم لابي بكر ضع قدمك موضع قدمي فان الرمل لا ينم وقد يقال
لا منافاة لانه يجوز ان يكون قدم ابي بكر رضي الله عنه لم يكن مساويا لقدمه صلى الله
عليه وسلم ولا يضر في ذلك قوله صلى الله عليه وسلم فان الرمل لا ينم لجواز ان يكون هو
المراد لا يظهر فيه قدمي ظهورا بينا فصح قول القائف هذا اثر قدم ابن ابي قحافة واما
القدم الاخر الخ ولم يعترض هذا الشارح على تاثير قدمه في الحجارة بل ابدى لذلك حكما لا
باس بها فلتراجع وقوله في الاحجار يدل على انه تكرر تاثير قدمه الشريف في الاحجار ولكن
لم يكن ذلك شانه في كل حجر مشى عليه كما دلت عليه عبارة السيوطي رحمه الله تعالى قال
وبينما عبد المطلب يوما في الحجر وعنده اسقف نجران والاسقف رئيس النصارى في دينهم
اشتق من السقف بالتحريك وهو طول الانحناء لانه يتخاشع اي يظهر الخشوع وذلك
الاسقف يحادثه ويقول انا نجد صفة نبي بقي من ولد اسمعيل وهذا البلد مولده ومن
صفته كذا وكذا واتي برسول الله صلى الله عليه وسلم فنظر اليه الاسقف والى عينيه والى
ظهره والى قدميه فقال هو هذا ما هذا منك قال هذا ابني قال ما نجد اباه حيا قال هو

حجار

ابن ابني وقد مات ابوه وامه حبلى به قال فصرفت فقال عبد المطلب لبنيه تحفظوا بابن
اخيكم الا تسمعون ما يقال فيه انتهى وعن ام ايمن رضي الله عنها كنت احضن النبي صلى
الله عليه وسلم اي اقوم بتربيته وحفظه فغفلت عنه يوما فلم ادر الا بعبد المطلب قايما
على راسي يقول يا بركة قلت لبيك قال اتدرين اين وجدت ابني قلت لا ادري قال وجدته مع
غلمان قريبا من السدره لا تغفلي عن ابني فان اهل الكتاب اي ومنهم سيف ابن ذي يزن
كما سياتي تزعم انه نبي هذه الامه وانا لا امن عليه منهم وكان لا ياكل يعني عبد المطلب
طعاما الا يقول علي بابني اي احضروه قال وكان عبد المطلب اذا اتى بطعامه
اجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم الى جنبه وربما اقعده على فخذه فيوثره باطيب طعامه
وعن بعضهم اي وهو ابن معاويه العامري كان رضي الله عنه من المعمرين وفد على
رسول الله صلى الله عليه وسلم واسلم قال بعضهم مات وهو عمر الف رجل وامراة قال حججت
في الجاهليه فبينا انا اطوف بالبيت اذا رجل وفي رواية شيخ طويل يطوف بالبيت وهو
يقول، رد الي راكبي محمدا، وفي رواية، يا رب رد راكبي محمدا ه اردده ربي واصطنع عندي
يدا، فقلت من هذا قالوا عبد المطلب ابن هاشم بعث ابن ابنه في ابل له ضلت وما بعثه في
شي الا جاء به قال وفي رواية هذا سيد قريش عبد المطلب له ابل كثيره فاذا ظلم
منها شي بعث فيه بنيه يطلبونه فاذا غابوا بعث ابن ابنه ولم يبعثه في حاجة الا نجح فيها
وقد بعثه في حاجة اعيا عنها بنوه وقد ابطا عليه انتهى فما برحت اي ما زلت عن مكاني
حتى جاءت الابل معه فقال له يا بني حزنت عليك حزنا لا يفارقني بعده ابدا وتقدم عن بعض
المفسرين ما لا يحتاج الى اعادته هنا وعن رقيقه بنت ابي صيفي ابن ابي هاشم ابن عبد مناف
زوجة عبد المطلب ذكرها ابن سعد في المسلمات المهاجرات اقول وقال ابو نعيم لا
اراها ادركت الاسلام وقال ابن حبان يقال ان لها صحبة والله اعلم قالت تتابعت على
قريش سنون اي ازمنة قحط جذب ه ذهبت بالاموال واشفت اي اشرفت على الانفس قالت
فسمعت قايلا يقول في المنام يا معشر قريش ان هذا النبي المبعوث منكم هذا ابان اي وقت
خروجه وبه ياتيكم الله بالحيا اي بالقصر المطر العام والخصب فانظروا رجلا منكم اوساطكم اي
اشرافكم نسبا طوالا عظاما اي طويلا عظيما ابيض مقرون الحاجبين اهدب الاشفار اي
طويل شعر الاجفان اسيل الخدين اي لا نتو بهما رقيق العرنين اي الانف وقيل اوله فليخرج هو
وجميع ولده وليخرج منكم من كل بطن رجل فتطهروا وتطيبوا ثم استلموا الركن ثم ارقوا
الى راس ابي قبيس ثم ليتقدم هذا الرجل فيستسقي وتومنوا فانكم تسقون فاصبحت فقصت
روياها عليهم فنظروا فوجدوا هذه الصفه صفة عبد المطلب فاجتمعوا عليه واخرجوا من
كل بطن رجلا ففعلوا ما امرتهم به ثم علوا على ابي قبيس ومعهم النبي صلى الله عليه وسلم وهو
غلام فتقدم عبد المطلب فقال لاهم هولا عبيدك وبنوا عبيدك واماوك وبنوا امايك وقد
نزل بنا ما ترى وتتابعت علينا هذه السنون فذهبت بالظلف والخف والحافر اي الابل

والبقر

والبقر والخيل والبغال والحمير ه فاشفت على الانفس اي اشرفت على هلاكها فاذهب عنا
الجذب واتنا بالحيا والخصب فما برحوا حتى سالت الاودية قال وفي رواية اخرى
عن رقيقه قالت تتابعت على قريش سنون جذبة اقحلت اي ايبست الجلد وادقت العظم
فبينا انا نايمه او مهومه اي بين اليقظانه والنايمه اذا هاتف هو الذي يسمع صوته ولا
يرى شخصه كما تقدم يصرخ بصوت صحل اي فيه بحوحه وهي خشونة الصوت وغلظ يقول
يا معشر قريش ان هذا النبي المبعوث منكم قد اظلتكم ايامه اي قربت منكم وهذا ابان نجومه
فحيهلا بالحيا والخصب الا فانظروا رجلا منكم وسطا عظاما ابيض بضا اي شديد البياض
اوطف الاهداب اي كثير شعر العينين اسيل الخدين اشم العرنين اي مرتفع الانف له فخر
يكظم عليه ه اي يسكت عليه ولا يظهره وسن يهتدي به اي فليخلص هو وولده وولد
ولده اي يتقدم اليه من كل بطن رجل فليشنوا من الما اي ليفرغوا على اجسادهم اي يغتسلوا
به وليمسوا من الطيب ثم يلتمسوا الركن وليطوفوا بالبيت العتيق سبعا ثم ليرقوا ابا قبيس
فليستسق الرجل وليومن القوم الا وفيهم الطيب الطاهر فستم اذن ما شيتم اي جاكم
الغيث على ما تريدون قالت فاصبحت من عودي وقد اقشعر جلدي وولهه اي ذهب عقلي
واقتصصت روياي اي ذكرتها على وجهها فنمت اي فشت وكثرت في شعاب مكة فما بقي
ابطحي الا قال هذا شيبة الحمد يعني عبد المطلب وقامت عنده قريش وانقض اليه من كل
بطن رجل فشنوا من الما ومسوا من الطيب واستلموا وطافوا ثم رقوا على ابي قبيس فطفق القوم
يدنون حوله ما ان يدرك بعضهم مهلة وهي التوده والتاني ومعه رسول الله صلى الله
عليه وسلم قد ايفع اي ارتفع او كرب اي قرب من ذلك فقام عبد المطلب فقال اللهم
ساد الخله وكاشف الكربه انت عالم غير معلم ومسول غير مبخل وهذه عبيدك واماوك
بعذرات حرمك اي افنيته يشكون اليك سنتهم التي امحلت اي ايبست الظلف والخف اي
الابل والبقر فامطرنا اللهم غيثا مريعا مغدقا فما برحوا حتى انفجرت السما بمايها وكظ الوادي
اي ضاق بثجيجه اي سيله فسمعت شيخان من قريش وهما يقولان لعبد المطلب هنيئا لك يا
ابا البطحا بك عاش اهل البطحا انتهى اي والظاهر ان القصة واحدة فليتامل الجمع وقد يدعي
ان الاختلاف من الرواة منهم من عبر بالمعنى وفي سقيا الناس بعبد المطلب وان ذلك ببركته
صلى الله عليه وسلم تقول رقيقه ؛؛ بشيبة الحمد اسقى الله بلدتنا ؛؛ وقد عدمنا الحيا واجلوذ
المطر ؛؛ اي امتد زمن تاخره ؛؛ فجاد بالماء جوني له سبل ؛؛ دان اي مطر هطل اي كثير الهطل
قريب ؛؛ فعاشت به الانعام والشجر ؛؛ منا من الله بالميمون طايره ؛؛ اي المبارك حظه ؛؛
وخير من بشرت يوما به مضر ؛؛ مبارك الاسم يستسقى الغمام به ؛؛ ما في الانام له عدل ولا خطر ؛؛
اي لا معادل له ولا مماثل له ولما سقوا لم يصل المطر الى بلاد قيس ومضر فاجتمع عظماوهم
وقالوا قد اصبحنا في جهد وجذب وقد سقى الله الناس بعبد المطلب فاقصدوه لعله يسال
الله فيكم فقدموا مكة ودخلوا على عبد المطلب فحيوه بالسلام فقال لهم افلحت الوجوه

وقام خطيبهم فقال قد اصابتنا سنون مجدبات وقد بان لنا اثرك وصح عندنا خبرك فاشفع
لنا عند من تشفعك واجرى الغمام لك فقال عبد المطلب سمعا وطاعة موعدكم غدا فلما
اصبح ثم اصبح غاديا اليها وخرج معه الناس وولده ومعه رسول الله صلى الله عليه وسلم
فنصب لعبد المطلب كرسي فجلس عليه واخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم فوضعه في حجره
ثم قام عبد المطلب ورفع يديه ثم قال اللهم رب البرق الخاطف والرعد القاصف رب
الارباب ومليّن الصعاب هذه قيس ومضر من خير البشر قد شعثت رؤوسها وحدبت ظهورها تشكوا
اليك شدة الهزال وذهاب النفوس والاموال اللهم فافتح لهم سحايب خوارة وسماء خرارة لتضحك
ارضهم ويزول ضرهم فما استتم كلامه حتى نشأت سحابة وكفا لها دوي وقصدت نحو عبد
المطلب فقال عبد المطلب يا معاشر قريش ومضر انصرفوا فقد سقيتم فرجعوا وقد سقوا ه
وذكر بعضهم انهم كانوا في الجاهلية يستسقون اذا اجدبوا فاذا ارادوا ذلك اخذوا
من ثلاثة اشجار وهي سلع وعشر وشبرق من كل شجرة شيئا من عيدانها وحملوا ذلك حزمة
وربطوها على ظهر ثور صعب واضرموا فيها النار ويرسلون ذلك الثور فاذا احس
بالنار عدا حتى يحترق ما على ظهره ويتساقط وقد يهلك ذلك الثور فيسقون وفي حياة
الحيوان كانت العرب اذا ارادت الاستسقا جعلت النار في اذناب البقر واطلقوها فتمطر
السما فان الله يرحمها بسبب ذلك وقد ذكر ابن الجوزي رحمه الله تعالى انه صلى الله عليه وسلم
في سنة سبع من مولده اصابه رمد شديد فعولج بمكة فلم يغن فقيل لعبد المطلب ان في
ناحية عكاظ راهبا يعالج الاعين فركب اليه فناداه وديره مغلق فلم يجبه فتزلزل ديره
حتى كاد ان يسقط عليه فخرج مبادرا فقال يا عبد المطلب ان هذا الغلام نبي هذه الامة و
اخرج اليك لخر على ديري فارجع به واحفظه لا يغتاله بعض اهل الكتاب ثم عالجه واعطى ما
يعالج به هذا كلامه ورايت في كتاب سماه مؤلفه كريم الندما ونديم الكرما ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم رمد وهو صغير فمكث اياما يشكو فقال قايل لجده عبد المطلب ه
ان بين مكة والمدينة راهبا يبرئ من الرمد وقد شفي على يديه خلق كثير فاحمله وذهب به
الى ذلك الراهب فلما رآه الراهب دخل الى صومعته واغتسل ولبس ثيابه ثم اخرج صحيفة ه
فجعل ينظر الى الصحيفة واليه صلى الله عليه وسلم ثم قال والله هو خاتم النبيين ثم قال
يا عبد المطلب هو ارمد قال نعم قال ان دواه معه خذ من ريقه وضعه على عينيه فاخذ
عبد المطلب من ريقه صلى الله عليه وسلم ووضعه على عينيه صلى الله عليه وسلم فبرا
لوقته ثم قال الراهب يا عبد المطلب وتالله هذا هو الذي اقسم على الله به فابرئ المرضى ه
واشفي الاعين من الرمد فليتامل فان تعدد الواقعة لا يخلو من بعد والله تعالى اعلم

باب وفاة عبد المطلب وكفالة عمه ابي طالب له صلى الله عليه وسلم لما مات

كان سنه صلى الله عليه وسلم ثمان سنين اي بناء على الراجح من الاقوال المتكثرة وقيل
ما يأتي توفي جده عبد المطلب وله من العمر خمس وتسعون وقيل مائة وعشرون وقيل

واربعون اي ولعل ضعف هذا القول اقتضى عدم ذكر ابن الجوزي لعبد المطلب في
المعمرين قال وقيل اثنان وثمانون وعليه اقتصر الحافظ الدمياطي قال وقيل مائة
واربعة واربعون انتهى وقد قيل له يا رسول الله اتذكر موت عبد المطلب قال نعم
وانا يومئذ ابن ثمان سنين وعن ام ايمن رضي الله تعالى عنها انها كانت تحدث
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يبكي خلف سرير عبد المطلب وهو ابن ثمان
سنين ودفن بالحجون عند جده قصي وجاء عن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم يبعث جدي عبد المطلب في زي الملوك وابهة
الاشراف ولما حضرته الوفاة اوصى به صلى الله عليه وسلم الى عمه شقيق ابيه
ابي طالب اي وكان ابو طالب ممن حرم الخمر على نفسه في الجاهلية كابيه عبد
المطلب كما تقدم واسمه على الصحيح عبد مناف وزعمت الروافض ان اسمه عمران
وانه المراد من قوله تعالى ان الله اصطفى آدم ونوحا وآل ابراهيم وآل عمران
على العالمين قال الحافظ ابن كثير وقد اخطأوا في ذلك خطاء كبيرا ولم يتاملوا القران
قبل ان يقولوا هذا البهتان فقد ذكر بعد هذه قوله تعالى اذ قالت امرأة عمران
رب اني نذرت لك ما في بطني محررا وحين اوصى به جده لابي طالب احبه حبا شديدا
لا يحبه لاحد من ولده فكان لا ينام الا الى جنبه وكان يخصه باحسن الطعام
اي وقيل ابو طالب هو والزبير شقيقه اقترعا فيمن يكفله صلى الله عليه وسلم
فخرجت القرعة لابي طالب وقيل بل هو صلى الله عليه وسلم اختار ابا طالب لما كان
يراه من شفقته عليه ومواساته له قبل موت عبد المطلب فنسيانه انه كان مشاركا
له في كفالته وقيل كفله الزبير حين مات عبد المطلب ثم كفله ابو طالب اي بعد موت
الزبير وغلط قايله بان الزبير شهد حلف الفضول ولرسول الله صلى الله عليه
وسلم نيف وعشرون سنة كذا في اسد الغابة مقدما للاقتراع على ما قبله
في كونه عمره صلى الله عليه وسلم في حلف الفضول كان نيفا وعشرين
سنة نظر كما سياتي ان عمره اذ ذاك كان اربعة عشر سنة وفي كلام بعضهم
فلما مات عبد المطلب كفله عماه شقيقا ابيه الزبير وابو طالب ثم مات عمه الزبير
وله من العمر اربع عشرة سنة فانفرد به ابو طالب وكفالة جده وعمه صلى الله ه
عليه وسلم بعد موت ابيه وامه مذكورة في الكتب القديمة من علامات نبوته
في خبر سيف بن ذي يزن يموت ابوه وامه ويكفله جده وعمه اي وفي سيرة
ابن هشام عن ابن اسحاق ان عبد المطلب لما حضرته الوفاة وعرف انه
ميت جمع بناته وكن ست نسوة صفية وهي ام الزبير بن العوام وبرة ه
وعاتكة وام حكيم البيضا وهي جدة عثمان بن عفان لامه واميمة واروى
فقال لهن ابكين علي حتى اسمع ما تقلن قبل ان اموت فقالت كل واحدة

منهن شعراً في وصفه مذكور في تلك السيرة ولما سمع جميع ذلك اشار براسه ان هكذا فابكيني ويقال انه انما اشار براسه لما سمع قول اميمة وقد امسك لسانه وكان من قولها

اعيني جودا بدمع درر ؛ على ماجد الخيم والمعتصر

على ماجد الجد واري الزناد ؛ جميل المحيا عظيم الخطر

على شيبة الحمد ذي المكرمات ؛ وذي المجد والعز والمفتخر

وذي الحلم والفضل في النائبات ؛ كثير المفاخر جم الفخر

وفضل مجد على قومه ؛ منير يلوح كضوء القمر

قال بعضهم ولم يبك احد بعد موته ما بكي عبد المطلب بعد موته ولم تقم لموته بمكة سوق اياما كثيرة وروى ابو نعيم والبيهقي ان سيف بن ذي يزن الحميري لما ولي على الحبشة وذلك بعد مولد رسول الله صلى الله عليه وسلم بسنتين اتاه وفود العرب واشرافها وشعراها لتهنيه اي لهلاك ملوك الحبشة وتوليته عليهم اي ولان ملك اليمن كان لحمير فانتزعه الحبشة منهم واستمر في يد الحبشة سبعين سنة ثم ان سيف بن ذي يزن استنقذ ملك اليمن من الحبشة واستقر فيه على عادة ابائه وجات العرب لتهنيه من كل جانب وكان من جملتهم وفد قريش وفيهم عبد المطلب وامية بن عبد شمس وغالب وجهايهم اي كعبد الله بن جدعان بضم الجيم واسكان الدال المهملة والعين المهملة التيمي وهو ابن عم عايشة رضي الله تعالى عنها وكاسد بن عبد العزى ووهب بن عبد مناف وقصي بن عبد الدار فاخبر بمكانهم اي وكان في قصر هم بصنعا وهو مضمخ بالمسك وعليه بردان والتاج على راسه وسيفه بين يديه وملوك حمير عن يمينه وشماله فاذن لهم فدخلوا عليه ودنا منه عبد المطلب وفي الوفا وجدوه جالسا على سرير من الذهب وحوله اشراف اليمن على كراسي من الذهب فجلسوا فوضعت لهم كراسي من الذهب فجلسوا عليها الا عبد المطلب فانه قام بين يديه واستاذنه في الكلام فقال ان كنت ممن يتكلم بين يدي الملوك فقد اذنا لك فقال ان الله عز وجل احلك ايها الملك محلا رفيعا شامخا اي مرتفعا باذخا اي عاليا منيعا وانبتك نباتا طالت ارومته وعظمت جرثومته اي والارومة والجرثومة هما الاصل وثبت اصله وبسق اي ابيت ان تاتي من الامور ما

ان ياتي من الامور ما يلعن عليه ملك العرب الذي لم ينقاد وعمودها الذي عليه العماد وكهفها الذي تلجا اليه العباد سلفك خير سلف وانت لنا فيهم خير خلف فلن يهلك ذكر من انت خلفه ولن يخمد ذكر من انت سلفه نحن اهل بيت حرم الله وسدنة بيته اشخصنا اي احضرنا اليك الذي ابهجنا من كشف الكرب الذي فرضنا اي اثقلنا فنحن وفد التهنية لا وفد المرزية اي التعزية فعند ذلك قال له الملك من انت ايها المتكلم قال عبد المطلب ابن هاشم قال ابن اختنا بالتا المثناة فوق لان ام عبد المطلب من الخزرج وهم من اليمن قال ثم قال ادنه ثم اقبل عليه وعلى القوم فقال مرحبا واهلا، وناقة ورحلا، ومستناخا سهلا، وملكا ربحلا، اي كثير العطا يعطي عطا جزلا، قد سمع الملك مقالتكم، وعرف قرابتكم، وقبل وسيلتكم فانتم اهل الليل والنهار، ولكم الكرامة ما اقمتم، والحبا اي العطا اذا ظعنتم، ثم نهضوا الى دار الضيافة والوفود واجرى عليهم الانزال فاقاموا بذلك شهرا لا يصلون اليه ولا يوذن لهم بالانصراف ثم انتبه لهم انتباهة فارسل الى عبد المطلب فادناه ثم قال له يا عبد المطلب اني مفض اليك من سر علمي امرا لو يكون غيرك لم ابح له به ولكن رايتك معدنه فاطلعتك طلعه اي عليه وليكن عندك مخبا حتى ياذن الله عز وجل فيه اني اجد في الكتاب المكنون والعلم المخزون الذي ادخرناه لانفسنا واحتجبناه اي كتمناه دون غيرنا خبرا عظيما وخطرا جسيما فيه شرف الحياة وفضيلة الوفاة للناس عامة ولرهطك كافة ولك خاصة فقال له عبد المطلب مثلك ايها الملك السعيد سر وبر فما هو فداك اهل الوبر زمرا بعد زمر فقال اذا ولد بتهامة غلام بين كتفيه شامة كانت له الامامة ولكم به الزعامة اي السيادة الى يوم القيمة فقال عبد المطلب ايها الملك ابت اي رجعت بخير ما اب بمثله وافد قوم ولولا هيبة الملك واجلاله واعظامه لسالته من مسارته اي مسارزته ايا ي بما ازداد به سرورا فقال الملك هذا حينه الذي يولد فيه او قد ولد اسمه محمد يموت ابوه وامه ويكفله جده وعمه وقد ولدناه مرارا والله باعثه جهارا وجاعل له منا انصارا يعز بهم اولياه ويذل بهم اعداه ويضرب بهم الناس عن عرض اي جميعا ويستفتح بهم كرايم الارض يعبد الرحمن ويدحض اي يزجر الشيطان ويخمد النيران ويكسر الاوثان قوله فصل وحكمه عدل ويامر بالمعروف ويفعله وينهى عن المنكر ويبطله قال له عبد المطلب عز جارك ودام ملكك وعلا كعبك فهل الملك مساري بافصاح فقد وضح لي بعض ايضاح قال والبيت ذي الحجب والعلامات على النقب اي الطرق انك لجده يا عبد المطلب غير كذب قال فخر عبد المطلب ساجدا فقال له ارفع راسك ثلج صدرك وعلا كعبك فهل احسست بشي مما ذكرت لك قال نعم ايها الملك اني كان لي ابن وكنت به معجبا وعليه رفيقا واني زوجته كريمة من كرايم قومي امنة بنت وهب ابن عبد مناف ابن زهرة فجات بغلام فسميته محمدا مات ابوه وامه وكفلته انا وعمه يعني ابا طالب وهذا يدل على وفود عبد المطلب على سيف ابن ذي يزن كان بعد موت امه صلى الله عليه وسلم وح لا ينافي ذلك ما تقدم ان عمره صلى الله عليه وسلم كان سنتين

غيرك م

وينهي م

لان ذلك كان سنة حين تولى سيف ابن ذي يزن على الحبشة وناضر وفود عبد المطلب عليه
بعد موت امه صلى الله عليه وسلم ويدل على ان ابا طالب كان مشاركا لعبد المطلب
في كفالته ثم اختص هو بذلك بعد موته اي وعبارة صا سيف ابن ذي يزن ضادقم في الحالين
فقال له ان الذي قلت لك كما قلت فاحتفظ من ابنك واحذر من اليهود فانهم له اعدا
ولن يجعل الله لهم عليه سبيلا اي لحفظ والخوف عليه منهم من باب الاحتياط والاعلام
بقدره قال واطو ما ذكرته لك عن هولا الرهط الذين معك فاني لست امن ان
تداخلهم النفاسة من ان تكون له الرياسة فينصبون له الحبايل ويبغون له الغوايل وهم
فاعلون ذلك وابناوهم من غير شك ولولا اعلم ان الموت مجتاحي اي مهلكي قبل مبعثه
لسرت بخيلي ورجلي حتى اصير بيثرب دار مملكته فاني اجد في الكتاب الناطق والعلم السابق
ان بيثرب استحكام امره وموضع قبره ولولا اني اقيه الافات واحذر عليه العاهات
لاعلنت على حداثة سنه امره واعليت على اسنان العرب كعبه ولكن ساصرف ذلك اليك
من غير تقصير بمن معك ثم دعا بالقوم وامر لكل واحد منهم بعشرة اعبد سود وعشرة
اماء سود وحلتين من حلل البرود وعشرة ارطال ذهبا وعشرة ارطال فضة ومائة من الابل
وكرش مملو عنبرا وامر لعبد المطلب بعشرة اضعاف ذلك وقال اذا جاء الحول فاتني بخبره
وما يكون من امره فمات الملك قبل ان يحول الحول وكان عبد المطلب كثيرا ما يقول لمن معه
لا يغبطني رجل منكم بجزيل عطا الملك ولكن يغبطني بما يبقى لي ولعقبي ذكره وفخره فاذا
قيل له ما هو قال سيعلم ما اقول ولو بعد حين انتهى وهذا القصر الذي كان فيه سيف
ابن ذي يزن يقال له بيت غمدان يقال انه كان هيكلا للزهرة تتعبد فيه الرهبة وكان
سيدنا عمر ابن الخطاب رضي الله عنه يقول لا افلحت العرب ما دام فيها غمدان فلما ولي
عثمان رضي الله عنه الخلافة هدمه وكان ابو طالب مقلا من المال وكان عياله اذا
اكلوا جميعا او فرادى لم يشبعوا واذا اكل معهم النبي صلى الله عليه وسلم شبعوا فكان
ابو طالب اذا اراد ان يغديهم او يعشيهم يقول لهم كما انتم حتى ياتي ابني فياتي رسول
الله صلى الله عليه وسلم فياكل معهم فيفضل من طعامهم وان كان لبنا شرب رسول الله صلى
الله عليه وسلم اولهم ثم يتناول العيال القعب اي القدح الذي من خشب فيشربون منه
فيروون من عند اخرهم اي جميعهم من القعب الواحد وان كان احدهم ليشرب قعبا
واحدا فيقول ابو طالب انك لمبارك اقول وفي الامتاع فكان اي ابو طالب يقرب الى
الصبيان يصبحهم اول البكرة فيجلسون فينتهبون فيكف رسول الله صلى الله عليه وسلم يده
ولا ينتهب معهم فلما راى ذلك ابو طالب عزل له طعامه على حدته هذا كلامه ولا ينافي ما
قبله لانه يجوز ان يكون ذلك خاصا بمن يحضر في البكرة الذي يقال له البكور دون الغدا
والعشا فانه كان ياكل معهم وهو المتقدم والله اعلم وكان الصبيان يصبحون شمصا
رمصا بضم الرا واسكان الميم ثم صاد مهملة ويصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم دهينا

كحيلا

كحيلا قالت ام ايمن رضي الله عنها ما رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم يشكو جوعا قط
ولا عطشا لا في صغره ولا في كبره وكان يغدو اذا اصبح فيشرب من ماء زمزم شربة فربما
عرضنا عليه الغدا فيقول انا شبعان اي في بعض الاوقات فلا ينافي ما سبق وكان يوضع
لابي طالب وسادة يجلس عليها فجاء النبي صلى الله عليه وسلم فجلس عليها فقال ان ابن اخي
ليحس بنعيم اي شرف عظيم قال واستسقى ابو طالب برسول الله صلى الله عليه وسلم
قال جلهمة ابن عرفطة قدمت مكة وقريش في قحط فقايل يقول اعتمدوا اللات والعزى وقايل
منهم يقول اعتمدوا مناة الثالثة الاخرى فقال شيخ وسيم حسن الوجه جيد الراي انى
تؤفكون اي تصرفون عن الحق وفيكم باقية ابراهيم وسلالة اسمعيل عليهما الصلاة والسلام
اي فكيف تعدلون عنه الى ما لا يجدي قالوا كانك عنيت ابا طالب قال ايها فقاموا باجمعهم وقمت
معهم فدققنا عليه بابه فخرج الينا رجل حسن الوجه عليه ازار قد اتشح به فثاروا اي
قاموا اليه فقالوا يا ابا طالب اقحط الوادي واجدب العيال فهلم فاستسق لنا فخرج ابو طالب
ومعه غلام كانه شمس دجنة بدال مهملة وجيم مضمومتين اي ظلمة وفي رواية كانه شمس
دجن اي ظلام تجلت عنه سحابة قتماء اي من القتام بالفتح وهو الغبار وحوله اغيلمة
جمع غلام فاخذه ابو طالب فالصق ظهره بالكعبة ولاذ اي طاف باصبعه الغلام زاد في بعض
الروايات وبصبصت الاغيلمة حوله اي فتحت اعينها وما في السما قزعة اي قطعة من
سحاب فاقبل السحاب من هاهنا ومن هاهنا واغدودق اي كثر مطره وانفجر له الوادي
وفي ذلك يقول ابو طالب في قصيدة يمدح فيها النبي صلى الله عليه وسلم من ثمانين بيتا

وابيض يستسقى الغمام بوجهه ** ثمال اليتامى عصمة للارامل
تلوذ به الهلاك من ال هاشم ** فهم عنده في رحمة وفواضل

اي ملجا وغياث لليتامى ومانع الارامل من الضياع والارامل المساكين من النسا والرجال وهو
بالنسا اخص واكثر استعمالا اقول واخذت الشيعة من هذه القصيدة القول باسلام
ابي طالب اي لانه صنفها بعد البعثة وسياق الكلام في عدم اسلامه واما ما نقله الدميري
في شرح المنهاج عن الطبراني وابن سعد ان هذه القصيدة التي منها هذا البيت من انشا عبد
المطلب فهو وهم لما درج عليه ايمة السير ان المنشي لها هو ابو طالب واحتمال توارد كل من
ابي طالب وعبد المطلب على هذه القصيدة بعيد جدا ومما يصرح بالوهم ما ياتي عن النبي صلى
الله عليه وسلم من نسبة هذا البيت الى ابي طالب والله اعلم قال وعن ابي طالب
قال كنت بذي المجاز اي وهو موضع على فرسخ من عرفة كان سوقا للجاهلية كما تقدم مع
ابن اخي يعني النبي صلى الله عليه وسلم فادركني العطش فشكوت اليه فقلت يا ابن
اخي قد عطشت وما قلت له ذلك وانا ارى عنده شيا الا الجزع اي لم يحملني على ذلك الا
الجزع وعدم الصبر قال فثنى وركه اي نزل عن دابته ثم قال يا عم عطشت قلت نعم فاهوى بعقبه
الى الارض وفي رواية الى صخرة فركضها برجله وقال شيا واذا انا بالما لم ار مثله فقال

اشرب فشربت حتى رويت فقال ارويت قلت نعم فركضها ثانيه فعادت كما كانت وسافر
اي وقد اتت عليه صلى الله عليه وسلم بضع عشرة سنة مع عمه الزبير ابن عبد المطلب شقيق
ابيه كما تقدم الي اليمن فمروا بواد فيه فحل من الابل يمنع من يجتاز فلما رآه البعير برك وحك
الارض بكلكله اي صدره فنزل صلى الله عليه وسلم عن بعيره وركب ذلك الفحل وسار
حتى جاوز الوادي ثم خلى عنه فلما رجعوا من سفرهم مروا بواد مملو ماء يتدفق فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم اتبعوني ثم اقتحمه فاتبعوه فايبس الله الما فلما وصلوا الي مكة تحدثوا
بذلك فقال الناس ان لهذا الغلام لشانا انتهي اي وفي السيرة الهشامية ان رجلا من لهب
كان قايفا وكان اذا قدم مكة اتاه رجال من قريش بغلمانهم ينظر اليهم ويقتاف لهم فيهم
فاتا ابو طالب بالنبي صلى الله عليه وسلم وهو غلام مع من ياتيه فنظر اليه صلى الله عليه وسلم
ثم شغل عنه شيء فلما فرغ قال علي بالغلام وجعل يقول ويلكم ردوا على الغلام الذي رايت
انفا فوالله ليكونن له شان فلما راي ابو طالب حرصه عليه غيبه عنه وانطلق به

باب ذكر سفره صلى الله عليه وسلم مع عمه ابي طالب الى الشام عن

ابن اسحق لما تهيا ابو طالب للرحيل صب به رسول الله صلى الله عليه وسلم بفتح الصاد
المهملة وتشديد البا الموحدة والصبابة رقة الشوق قاله في الاصل قال وعند بعض
الرواة فضبث به اي بفتح الضاد المعجمة والبا الموحدة والثا المثلثة كضرب لزمه وقبض عليه
يقال ضبثت على الشيء اذا قبضت عليه فقد جاء اوحى الله تعالى الى داود عليه السلام قل
للملا من بني اسرائيل لا يدعوني والخطايا بين اضباتهم اي قبضاتهم اي وهم يحملون الاوزار
غير مقلعين عنها اي وعلى ما عند بعض الرواة اقتصر الحافظ الدمياطي رحمه الله فلفظه لما تهيا
يعني ابا طالب للرحيل ضبث به رسول الله صلى الله عليه وسلم فرق له ابو طالب وقال
والله لاخرجن به معي ولا يفارقني ولا افارقه ابدا اقول رايت بعضهم نقل عن سيرة الدمياطي
وضبث به ابو طالب ضباثة لم يضبث مثلها بشي قط وانه ضبط ضبث بالضاد المعجمة والبا
الموحدة والثا المثلثة قال وهو القبض على الشيء وهذا لا يناسب قوله ضباثة لم يضبث مثلها
بشيء قط لان ذلك انما يناسب صب بالصاد المهملة ومن ثم لم اجد ذلك في السيرة المذكورة والذي
رايته فيها ما قدمته عنها وفي رواية انه صلى الله عليه وسلم امسك بزمام ناقة ابي طالب وقال
يا عم الى من تكلني لا اب لي ولا ام وكان سنه صلى الله عليه وسلم تسع سنين على الراجح وقيل اثنتي
عشرة سنة وشهرين وعشرة ايام اي وهذا القيل صدر به في الامتاع وقال انه اثبت ومن ثم
اقتصر عليه المحب الطبري وذكر انه لما سار به اردفه خلفه فنزلوا على صاحب دير فقال صاحب منك ٢
الدير ما هذا الغلام منك قال ابني قال ما هو ابنك وما ينبغي ان يكون له اب حي هذا نبي اي لان
من كانت هذه الصفة صفته فهو نبي اي النبي المنتظر ومن علامة ذلك النبي في الكتب القديمة
انه يموت ابوه وامه حامل به كما تقدم وسياتي او بعد وضعه بقليل من الزمن ومن علاماته ايضا
في تلك الكتب موت امه وهو صغير كما تقدم في خبر سيف ابن ذي يزن ولا ينافي ذلك الاقتصار

عن

عن بعض اهل تلك الكتب القديمة على الاول الذي هو موت ابيه وهو حمل قال ابو طالب
لصاحب الدير وما النبي قال الذي ياتيه الخبر من السما فينبي اهل الارض قال ابو طالب الله
اجل مما تقول فقال اتق عليه اليهود ثم خرج حتى نزل براهب اخر ايضا صاحب دير فقال له
ما هذا الغلام منك قال ابني قال ما هو بابنك وما ينبغي ان يكون له اب حي قال ولم قال لان
وجهه وجه نبي وعينه عين نبي اي النبي الذي يبعث لهذه الامة الاخيرة لان ما ذكر علامته في
الكتب القديمة قال ابو طالب سبحان الله الله اجل مما تقول ثم قال ابو طالب يا ابن اخي الا
تسمع ما يقول قال لا تنكر لله قدرة والله اعلم فلما نزل الركب بصرى وبها راهب يقال
له بحيرا بفتح الموحدة وكسر الحا المهملة وسكون التحتية اخره را مقصورة واسمه جرجيس
وقيل سرجيس وح يكون بحيرا لقبه في صومعة له وكان انتهي اليه علم النصرانية اي لان
تلك الصومعة كان تكون لمن ينتهي اليه علم النصرانية يتوارثونها كابرا عن كابر عن اوصيا
عيسى عليه السلام وفي تلك المدة انتهي علم النصرانية الي بحيرا وقيل كان بحيرا من احبار
اليهود يهود تيما ه اقول لا منافاة لانه يجوز ان يكون تنصر بعد ان كان يهوديا كما
وقع لورقة ابن نوفل كما سياتي هذا وقال ابن عساكر رحمه الله تعالى ان بحيرا كان يسكن
قرية يقال لها الكفر بينها وبين بصرى ستة اميال وقيل يسكن البلقا من ارض الشام بقرية
يقال لها ميفعه ويحتاج الي الجمع وقد يقال يجوز انه كان يسكن في كل من القريتين كل واحدة
يسكن بها زمنا وكان في بعض الاحايين ياتي لتلك الصومعة فليتامل وقد سمع مناد ه
قبل وجوده صلى الله عليه وسلم ينادي ويقول الا ان خير اهل الارض ثلاثة رباب ابن البرا
وبحيرا الراهب واخر لم يات بعد وفي لفظ الثالث المنتظر يعني النبي صلى الله عليه وسلم ذكره
ابن قتيبة قال ابن قتيبة وكان قبر رباب وقبر ولده من بعده لا يزال يرى عندهما طش وهو
المطر الخفيف والله اعلم وكانت قريش كثيرا ما تمر على بحيرا فلا يكلمهم حتى كان ذلك
العام صنع لهم طعاما كثيرا وقد كان راي وهو بصومعته رسول الله صلى الله عليه وسلم في
الركب حين اقبلوا وغمامة تظله من بين القوم ثم لما نزلوا في ظل شجرة نظر الي الغمام قد اظلت
الشجرة وتهصرت اي مالت اغصان الشجرة على رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي رواية واخضلت
اي كثرت اغصان الشجرة على رسول الله صلى الله عليه وسلم حين استظل تحتها اي ولما قد
كان وجدهم قد سبقوه صلى الله عليه وسلم الى الشجرة فلما جلس صلى الله عليه وسلم مال في
الشجرة عليه ثم ارسل اليهم اني قد صنعت لكم طعاما يا معشر قريش واحب ان تحضروا كلكم
صغيركم وكبيركم وعبدكم وحركم فقال له رجل منهم لم اقف على اسم هذا
الرجل يا بحيرا ان لك اليوم لشانا ما كنت تصنع هذا بنا وكنا نمر عليك كثيرا
فما شانك اليوم فقال له بحيرا صدقت قد كان ما تقول ولكنكم ضيف وقد احببت
ان اكرمكم واصنع لكم طعاما فتاكلون منه كلكم فاجتمعوا اليه وتخلف رسول
الله صلى الله عليه وسلم من بين القوم لحداثة سنه في رحال القوم اي تحت الشجرة فلما نظر

بحيرا في القوم لم ير الصفة اي لم ير في احد منهم الصفة التي هي علامة النبي المبعوث اخر
الزمان التي يجدها عنده اي ولم ير الغمامة على احد ورآها متخلفة على رسول الله صلى
الله عليه وسلم فقال يا معشر قريش لا يتخلف احد منكم عن طعامي فقالوا له يا بحيرا ما تخلف
عن طعامك احد ينبغي له ان يأتيك الا غلام وهو احدث القوم سنا قال لا تفعلوا ادعوه
فليحضر هذا الغلام معكم اي وقال فما اقبح ان تحضروا ويتخلف رجل واحد مع اني اراه من
انفسكم فقال القوم هو والله اوسطنا نسبا وهو ابن اخي هذا الرجل يعنون ابا طالب وهو
من ولد عبد المطلب فقال رجل من قريش واللات والعزى ان كان للؤم بنا ان يتخلف ابن عبد
الله ابن عبد المطلب عن طعام من بيننا ثم قام اليه فاحتضنه اي وجاء به واجلسه مع القوم
اي وذلك الرجل هو عمه الحارث ابن عبد المطلب ولعله لم يقل هو ابن اخي مع كونه اسن من
ابي طالب لان ابا طالب كان شقيقا لابيه عبد الله كما تقدم دون الحارث مع كون ابي طالب هو
المقدم في الركب **وقيل** الذي جاء به ابو بكر رضي الله عنه وقدمه ابن المحدث على ما قبله هـ
فليتأمل ولما سار به من احتضنه لم تزل الغمامة تسير على راسه فلما راه بحيرا جعل يلحظه
لحظا شديدا وينظر الى اشياء من جسده قد كان يجدها عنده من صفته صلى الله عليه وسلم حتى
اذا فرغ القوم من طعامهم وتفرقوا قام اليه بحيرا فقال له اسالك بحق اللات والعزى الا ما
اخبرتني عما اسالك عنه وانما قال له بحيرا ذلك لانه سمع قومه يحلفون بهما **وفي الشفا** انه
اختبره بذلك فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تسالني باللات والعزى شيئا فوالله ما
ابغضت شيئا قط بغضهما فقال بحيرا فبالله الا ما اخبرتني عما اسالك عنه فقال له رسول
الله صلى الله عليه وسلم سلني عما بدا لك فجعل يساله عن اشياء من حاله من نومه وهيئته
واموره ويخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم فيوافق ذلك ما عند بحيرا من صفته اي صفة
النبي المبعوث اخر الزمان التي عنده اي ثم كشف عن ظهره فراى خاتم النبوة على الصفة
التي عنده فقبل موضع الخاتم فقالت قريش ان لمحمد عند هذا الراهب لقدرا فلما فرغ اقبل على
ابي طالب فقال له ما هذا الغلام منك قال ابني فقال ما هو ابنك وما ينبغي لهذا الغلام ان
يكون ابوه حيا قال فانه ابن اخي قال فما فعل ابوه قال مات وامه حبلى به قال صدقت
اي ثم قال ما فعلت امه قال توفيت قريبا قال صدقت فارجع بابن اخيك الى بلاده واحذر
عليه اليهود فوالله لئن راوه وعرفوا منه ما عرفت ليبغنه شرا فانه كائن لابن اخيك
هذا شان عظيم اي نجده في كتبنا وروينا عن ابائنا واعلم اني قد اديت اليك النصيحة هـ
فاسرع به الى بلده وفي لفظ انه لما قال له ابن اخي قال له بحيرا اشفيق عليه انت قال
نعم قال فوالله لئن قدمت به الى الشام اي جاوزت هذا المحل ووصلت به الى داخل
الشام الذي هو محل اليهود ليقتلنه اليهود فرجع به الى مكة ويقال انه قال لذلك الراهب
ان كان الامر على ما وصفت فهو في حصن من الله تعالى وقد يقال لا مخالفة لان ما صدر
من بحيرا كان على ما جرت به العادة من طلب التوقي فخرج به عمه ابو طالب حتى اقدمه مكة

حين فرغ من تجارته

حين فرغ من تجارته بالشام وفي الهدي فبعثه عمه مع بعض غلمانه الى المدينة فليتامل
وذكر ان نفرا من اهل الكتاب قد كانوا راوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم ما راى
بحيرا وارادوا به سوءا فردهم بحيرا عنه وذكرهم الله وما يجدون في الكتاب من ذكره وصفته
وانهم ان اجمعوا لما ارادوا لم يخلصوا اليه فعند ذلك تركوه وانصرفوا عنه **وفي رواية**
اخرى خرج ابو طالب الى الشام وخرج معه النبي صلى الله عليه وسلم في اشياخ من قريش فلما
اشرفوا على الراهب بحيرا وكانوا قبل ذلك يمرون عليه فلا يخرج اليهم ولا يلتفت اليهم فجعل
وهم يحلون رحالهم يتخللهم حتى جاء فاخذ بيد النبي صلى الله عليه وسلم ثم قال هذا سيد
العالمين وهذا رسول رب العالمين هذا يبعثه الله رحمة للعالمين فقال الاشياخ من قريش
ما علمك فقال انكم حين اشرفتم على العقبة لم يبق حجر ولا شجر الا خر ساجدا ولا يسجد الا لنبي
اي وان الغمامة صارت دونهم تظله واني لاعرفه بخاتم النبوة اسفل من غضروف كتفه مثل التفاحة
اي والغضروف تقدم انه راس لوح الكتف ثم رجع وصنع لهم طعاما فلما اتاهم به كان النبي
صلى الله عليه وسلم في رعية الابل فارسلوا اليه فاقبل وعليه غمامة تظله فلما دنا من
القوم وجدهم قد سبقوه الى فيء الشجرة فلما جلس صلى الله عليه وسلم مال فيء الشجرة عليه
فقال الراهب انظروا الى فيء الشجرة مال عليه فبينما هو قائم عليهم وهو يناشدهم ان لا
يذهبوا به الى ارض الشام فانهم ان عرفوه قتلوه فالتفت فاذا سبعة من الروم قد اقبلوا
فاستقبلهم فقال ما جاء بكم قالوا جئنا الى هذا النبي الذي هو خارج في هذا الشهر اي مسافر
فيه فلم يبق طريق الا بعث اليه ناس وانا قد اخبرنا خبره بطريقك قال افرايتم امرا اراد الله
ان يقضيه هل يستطيع احد من الناس رده قالوا لا فبايعوه اي بايعوا بحيرا على مسالمة
النبي صلى الله عليه وسلم وعدم اخذه واذيته على حسب ما ارسلوا فيه واقاموا عنده ذلك
الراهب خوفا على انفسهم ممن ارسلهم اذا رجعوا بدونه قال بحيرا القريش انشدكم الله
اي اسالكم بالله ايكم وليه قالوا ابو طالب فلم يزل يناشده حتى رده ابو طالب وبعث معه هـ
بلالا رضي الله عنه وفي لفظ بعث معه ابو بكر رضي الله عنه بلالا وزوده بحيرا الكعك
والزيت اي واذا كانت القضية واحدة فالاختلاف في ايرادها من الرواة كما تقدم نظيره
فبعض الرواة قدم في هذه الرواية واخر على ما فيه **قال** ووقع في كتاب الترمذي
وغيره ان عمه اي وابا بكر رضي الله عنه بعث معه بلالا وهو من الغلط الواضح فان بلالا
اذ ذاك لعله لم يكن موجودا وان كان فلم يكن مع عمه ولا مع ابي بكر رضي الله تعالى عنه
وذكر في الاصل ان في هذه الرواية امورا منكرة حيث قال قلت ليس في اسناد هذا الحديث
الا من خرج له في الصحيح ومع ذلك اي مع صحة سنده ففي متنه نكارة اي امور منكرة
وهي ارسال ابي بكر مع النبي صلى الله عليه وسلم بلالا فان بلالا لم ينتقل لابي بكر الا بعد
هذه السفرة باكثر من ثلاثين عاما ولان ابا بكر رضي الله عنه لم يبلغ العشر سنين هـ
لانه صلى الله عليه وسلم اسن منه بازيد من عامين بقليل اي باشهر ولا ينافي ما ياتي

في الهدي م

وتقدم ان سنه صلى الله عليه وسلم تسع سنين على الراجح اي فيكون سن ابي بكر نحو
سبع سنين وكان بلالا اصغر من ابي بكر فلا يتجه هذا بحال اي لان ابا بكر لم يكن اهلا
للارسال عادة وكذا بلال لم يكن اهلا لان يرسل وكون النبي صلى الله عليه وسلم اسن
من ابي بكر هو ما عليه الجمهور من اهل العلم بالاخبار والسير والاثار وما روي ان
النبي صلى الله عليه وسلم سال ابا بكر فقال له من الاكبر انا او انت فقال له ابو بكر رضي
الله عنه انت اكرم واكبر وانا اسن قيل فيه انه وهم وانما ان ذلك انما يعرف عن عمه العباس
رضي الله عنه وكون بلالا اصغر من ابي بكر ينازعه قول ابن حبان رحمه الله بلالا كان
تربا لابي بكر اي قرينه في السن وبه يرد قول الذهبي رحمه الله بلال لم يكن خلق هو
قال ذكر الحافظ ابن حجر ان ارسال ابي بكر رضي الله عنه معه بلالا وهم من بعض
الرواة وهو مقتطع من حديث اخر ادرجه ذلك الراوي في ذلك الحديث اقول
ولاجل هذا الوهم قال الذهبي في الحديث اظنه موضوعا بعضه باطل اي لم يوافق الواقع
اي فمع كون الحديث موضوعا بعضه موافق للواقع وبعضه لم يوافق الواقع وح فمراد
الاصل بالنكارة في قوله في متنه نكارة البطلان كما اشرت اليه وليس هذا من قبيل
قولهم هذا حديث منكر الذي هو من اقسام الضعيف وهو يرجع الى الفردية ولا يلزم
من الفردية ضعف متن الحديث فضلا عن بطلانه وقال الحافظ الدمياطي رحمه الله تعالى
في هذا الحديث وهمان احدهما قوله فبايعوه واقاموا معه والوهم الثاني قوله وبعث معه
ابو بكر رضي الله عنه بلالا ولم يكونا معه ولم يكن بلال اسلم ولا ملكه ابو بكر وفيه ان
الحافظ الدمياطي فهم ان الضمير في بايعوه للنبي صلى الله عليه وسلم وقد علمت انه لبحيرا
فلا وهم فيه وتوجيه الوهم الثاني بعدم وجود ابي بكر وبلال مع النبي صلى الله عليه وسلم
واضح ان ثبت ذلك والا فمجرد النفي لا ترد به الاثبات وح فلا حاجة معه الى ذكر ما بعده
من ان بلالا لم يكن اسلم ولا ملكه ابو بكر رضي الله عنه الا ان يقال هو على تسليم وجود
ابي بكر وبلال مع النبي صلى الله عليه وسلم وقد يقال على تسليم ذلك ارسال ابي بكر
لبلال لا يتوقف على اسلام بلال ولا على ملك ابي بكر له جاز ان يكون سيد بلال وهو
امية ابن خلف ارسله في ذلك العير لامر فاذن ابو بكر لبلال مع النبي صلى الله عليه وسلم
ليكون خادما له يستانس ويامن به اعتمادا على رضا سيده بذلك اذ ليس من لازم ارساله
ان يكون مملوكا له وكون ابي بكر لم يكن في سن من يرسل عادة تقدم ما فيه والله اعلم
قال وروي ابن منده بسند ضعيف عن ابي بكر رضي الله عنه انه صحب رسول الله
صلى الله عليه وسلم وهو ابن ثمانية عشر سنة والنبي صلى الله عليه وسلم ابن عشرين سنة
اي ان النبي صلى الله عليه وسلم اسن من ابي بكر بعامين اي وهو شهر كما تقدم ولعل
الزيادة التي هي الشهر الواردة مبهمة في الرواية السابقة لم يذكرها ابن منده وهم يريدون
الشام في تجارة ثم حتى اذا نزلا منزلا وهو سوق من ارض الشام وفي ذلك المجلس شجرة

فقصد

فقصد النبي صلى الله عليه وسلم في ظلها ومضى ابو بكر الى راهب يقال له بحيرا يسأله
عن شيء فقال من الرجل الذي في ظل السدرة قال محمد ابن عبد الله ابن عبد المطلب فقال
له والله هذا نبي هذه الامة ما استظل تحتها بعد عيسى ابن مريم عليه السلام الا محمد
صلى الله عليه وسلم اي وقد قال عيسى عليه السلام لا يستظل بعدي تحتها الا النبي
الهاشمي كما سياتي في بعض الروايات قال الحافظ ابن حجر يحتمل ان يكون اي سفر ابي بكر
رضي الله عنه معه صلى الله عليه وسلم في سفرة اخرى بعد سفرة ابي طالب انتهى
اقول وهي سفرته مع ميسرة غلام خديجة رضي الله عنها فانه لم يثبت انه صلى
الله عليه وسلم سافر الى الشام اكثر من مرتين ويؤيده ما تقدم من قول الراوي وهم
يريدون الشام في تجارة ثم لان النبي صلى الله عليه وسلم لم يخرج تاجرا الا في تلك
السفرة وسياتي ان هذا القول قاله الراهب نسطورا لا بحيرا قاله لميسرة لا لابي بكر رضي
الله عنه الا ان يقال لا مانع ان يكون قال ذلك لميسرة ولابي بكر لكن ربما يبعده ما سياتي ان
سنه صلى الله عليه وسلم حين سافر مع ميسرة كان خمسا وعشرين على الراجح لا عشر
سنين وعلى هذا فالشجرة لم تكن الا عند صومعة الراهب نسطورا لا عند صومعة الراهب
بحيرا وذكر بحيرا موضع نسطورا وهو ما وقع في شرف المصطفى للنيسابوري وهو من بعض
الرواة سرى من اتحاد محلهما وهو سوق بصرى الا ان يقال يجوز ان يكون الراهب نسطورا
خلف بحيرا في تلك الصومعة لموته مثلا وهو اقرب من دعوى تعدد الشجرة فتكون واحدة
عند صومعة بحيرا وواحدة عند صومعة نسطورا وكلاهما قال فيها عيسى ما ذكر ومن
دعوى اتحادها وانها بين صومعة بحيرا وصومعة نسطورا وان العير التي كان فيها ابو طالب
نزلت بجهة صومعة بحيرا والعير التي كان فيها ابو بكر وميسرة نزلت جهة صومعة نسطورا
وسياتي ان بحيرا ونسطورا ونحوهما ممن صدق بانه نبي هذه الامة من اهل الفترة لا من
اهل الاسلام لانهما لم يدركا البعثة اي الرسالة بناء على اقترانها بالنبوة وان المراد بها النبوة
اي لم يدركا النبوة فضلا عن الرسالة بناء على تاخرها عن النبوة ثم رايت الحافظ ابن حجر قال
في بحيرا ما ادري ادرك البعثة ام لا هذا كلامه في الاصابة وليس هذا بحيرا الراهب الصحابي
الذي هو احد الثمانية الذين قدموا مع جعفر ابن ابي طالب من الحبشة فعنه رضي الله عنه
قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اذا شرب الرجل كاسا من خمر الحديث و
قال ان الحديث هذا منكر من ظن ان بحيرا هذا هو بحيرا المذكور الذي لقي النبي صلى الله عليه
وسلم قبل البعثة والله تعالى اعلم

باب ما حفظ الله تعالى به في صغره صلى الله عليه وسلم من امر الجاهلية

اي من اقذارهم ومعايبهم اي بحسب ما لهم شرع لما
يريد الله تعالى به من كرامته حتى صار احسنهم خلقا واصدقهم حديثا واعظمهم وابعدهم
من الفحش والاخلاق التي تدنس الرجال تنزيها وتكرما اي حتى كان افضل قومه مروءة
واحسنهم خلقا واكرمهم مخالطة وخيرهم جوارا واعظمهم حلما وامانة واصدقهم حديثا فسموه

الامين لما جمع الله فيه من الامور الصالحة الحميدة والفعال السديدة من الحلم والصبر و(الشكر)
والعدل والزهد والتواضع والعفة والجود والشجاعة والحيا والمروة فمن ذلك ما ذكره
ابن اسحق رحمه الله تعالى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لقد رايتني اي رايت نفسي
في غلمان من قريش ننقل الحجارة لبعض ما يلعب به الغلمان كلنا قد تعرى واخذ ازاره وجعله
على رقبته يحمل عليها الحجارة فاني لاقبل معهم كذلك وادبر اذ لكمني لاكم اي من الملايكة
ما اراها لكمة وجيعة وفي لفظ لكمني لكمة شديدة وقد يقال لا منافاة لانها مع شدتها
لم تكن وجيعة له صلى الله عليه وسلم ثم قال شد عليك ازارك فاخذته فشددته ثم على ثم
جعلت احمل الحجارة على رقبتي وازاري علي من بين اصحابي وقد وقع له مثل ذلك اي نقل
الحجارة عاريا عند اصلاح ابي طالب لزمزم ففي ابن اسحق رحمه الله تعالى وصححه ابو نعيم قال كان
ابو طالب يعالج زمزم وكان النبي صلى الله عليه وسلم ينقل الحجارة وهو غلام فاخذ ازاره
واتقى به الحجارة فغشي عليه فلما افاق ساله ابو طالب فقال اتاني ات عليه ثياب بيض فقال
استتر فما رويت عورته من يومئذ وفي الخصايص الصغرى ونهي عن التعري وكشف العورة
من قبل ان يبعث بخمس سنين وقد وقع له مثل ذلك اي بنهيه عن التعري عند بنيان الكعبة
كما سياتي وسياتي ما فيه ومن ذلك ما جاء عن علي كرم الله وجهه قال سمعت رسول الله صلى
الله عليه وسلم يقول ما هممت بقبيح مما هم به اهل الجاهلية اي ويفعلونه الا مرتين من
الدهر كلاهما عصمني الله عز وجل منهما اي من فعلهما قلت لفتى كان معي من قريش باعلى مكة
في غنم لاهله يرعاها اي وفي لفظ قلت ليلة لبعض فتيان مكة ونحن في رعاية غنم اهلنا
ه لم اقف على اسم هذا الفتى ابصر لي غنمي حتى اسمر هذه الليلة كما يسمر الفتيان قال نعم واصل
السمر الحديث ليلا فخرجت فلما جئت ادنى دار من دور مكة سمعت غناء وصوت دفوف ومزامير
فقلت ما هذا فقالوا فلان قد تزوج بفلانة لرجل من قريش تزوج امراة من قريش فلهوت
بذلك الصوت حتى غلبتني عيني فنمت فما ايقظني الا مس الشمس اي وفي لفظ فجلست انظر
اي اسمع وضرب الله على اذني فوالله ما ايقظني الا مس الشمس فرجعت الى صاحبي فقال ما فعلت
فاخبرته ثم فعلت الليلة الاخرى مثل ذلك اقول المناسب لقوله عصمني الله منهما في
الرواية الثانية لا ما ذكر في الرواية الاولى الا ان يحمل قوله فلهوت في الرواية الاولى على
اردت اللهو والله اعلم فقال صلى الله عليه وسلم والله ما هممت بغيرهما بسوء مما تعمله اهل
الجاهلية اي ما هممت بسوء مما تعمله اهل الجاهلية غيرهما وفي لفظ فوالله ما هممت ولا عدت
بعدهما لشيء من ذلك اي مما تعمله اهل الجاهلية ولا هممت به حتى اكرمني الله بنبوته ومن
ذلك ما جاء عن ام ايمن رضي الله عنها انها قالت كان بوانة بضم الموحدة وفتح الواو مخففة
بعدها الف ونون صنما تحضره قريش وتعظمه وتنسك اي تذبح له وتحلق عنده وتعكف عليه
يوما (العيد) في كل سنة فكان ابو طالب يحضر مع قومه ويكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان يحضر ذلك العيد معه فيابى ذلك حتى قالت رايت ابا طالب غضب عليه صلى الله عليه وسلم

ورايت

ورايت عماته غضبن عليه يومئذ اشد الغضب وجعلن يقلن انا نخاف عليك مما تصنع
من اجتناب الهتنا ويقلن ما تريد يا محمد ان تحضر لقومك عيدا ولا تكثر لهم جمعا فلم يزالوا
به حتى ذهب فغاب عنهم ما شاء الله ثم رجع مرعوبا فزعا فقلن ما دهاك قال اني اخشى
ان يكون بي لمم اي لمة وهو المس من الشيطان فقلن ما كان الله عز وجل ليبتليك بالشيطان
وفيك من خصال الخير ما فيك فما الذي رايت قال كلما دنوت من صنم منها اي من تلك
الاصنام التي عند ذلك الصنم الكبير الذي هو بوانة تمثل لي رجل ابيض طويل اي وذلك من
الملايكة يصيح بي وراءك يا محمد لا تمسه قالت فما عاد الى عيد لهم حتى تنبا صلى الله عليه وسلم
اقول ظاهر هذا السياق ان اللمم يكون من الشيطان وح يكون بمعنى اللمة وهي
المس من الشيطان كما قدمناه فقد اطلق اللمم على اللمة والا فاللمم نوع من الجنون كما تقدم
في قصة الرضاع قد اصابه لمم او طايف من الجن اذ هو يدل على ان اللمم يكون من غير الشيطان
المرض وعبارة الصحاح اللمم طرف من الجنون واصاب فلانا من الجن لمة وهي المس اي
فقد غاير بينهما والله تعالى اعلم قال ومن ذلك ما روته عايشة رضي الله تعالى
عنها قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول سمعت زيد ابن عمرو ابن نفيل
يعيب كلما ذبح لغير الله تعالى اي فكان يقول لقريش الشاة خلقها الله وانزل لها من
السما الما وانبت لها من الارض الكلا ثم تذبحونها على غير اسم الله فما ذقت شيئا ذبح على النصب
اي للاصنام حتى اكرمني الله برسالته اي وزيد ابن عمرو (هذا) كان قبل النبوة زمن الفترة على
دين ابراهيم عليه السلام فانه لم يدخل في يهودية ولا نصرانية واعتزل الاوثان والذبائح
التي تذبح للاوثان ونهى عن الواد اي وتقدم انه كان يحييها اذا اراد احد ذلك اخذ
الموودة من ابيها ويكفلها وكان اذا دخل الكعبة يقول لبيك حقا حقا تعبدا ورقا عذت
بما عاذ به ابرهيم ويسجد للكعبة قال صلى الله عليه وسلم انه يبعث امة وحده اي
يقوم مقام جماعة انتهى اي فان ولده سعيد رضي الله عنه قال يا رسول الله ان زيدا كان
كما قد رايت وبلغك فاستغفر له قال نعم استغفر له فانه يبعث يوم القيامة امة وحده
وفي البخاري عن عبد الله ابن عمر رضي الله عنهما ان النبي صلى الله عليه وسلم لقي زيد
ابن عمرو ابن نفيل قبل ان ينزل على النبي صلى الله عليه وسلم الوحي وقد قدمت الى النبي
صلى الله عليه وسلم سفرة اي فيها شاة ذبحت لغير الله او قدمها النبي صلى الله عليه
وسلم اليه فابى ان ياكل منها وقال اني لست اكل مما تذبحون على انصابكم ولا اكل
الا ما ذكر اسم الله عليه ولعل هذا كان قبل ما تقدم علي هذا عنه صلى الله عليه وسلم
وان ذلك هو كان السبب في ذلك قال الامام السهيلي وفيه سوال كيف وفق الله تعالى
زيدا الى ترك ما ذبح على النصب وما لم يذكر اسم الله عليه ورسول الله صلى الله عليه وسلم
كان اولى بتلك الفضيلة في الجاهلية لما ثبت من عصمة الله تعالى له اي فكان صلى الله
عليه وسلم يترك ذلك من عند نفسه لا تبعا لزيد ابن عمرو وح لا يحسن الجواب الذي

اشرنا اليه بقولنا واجاب اي السهيلي رحمه الله تعالى بانه لم يثبت انه صلى الله عليه وسلم
اكل من تلك السفرة اي ولا من غيرها سلمنا انه اكل قبل ذلك مما ذبح على النصب
فتحريم ذلك لم يكن من شرع ابراهيم عليه الصلاة والسلام وانما كان تحريم ذلك في
الاسلام والاصل في الاشيا قبل ورود الشرع الاباحة هذا كلامه وفيه اي هذا
التسليم يبطل عد الشمس الشامي ذلك من امر الجاهلية الذي حفظه الله تعالى منه
في صغره ويخالف ما ذكره بعضهم من ان زيد ابن عمرو هذا هو رابع اربعة من قريش
فارقوا قومهم فتركوا الاوثان والميتة وما يذبح للاوثان كانوا يوما في عيد صنم من
اصنامهم ينحرون عنده ويعكفون عليه ويطوفون به في ذلك اليوم فقال بعضهم لبعض
تعلمون والله ما قومكم على شيء لقد اخطؤا دين ابيهم ابراهيم عليه السلام فما حجر يطاف به
لا يسمع ولا يبصر ولا يضر ولا ينفع فتفرقوا في البلاد يلتمسون الحنيفية دين ابراهيم عليه
السلام وظاهر هذا السياق ان تركهم للاوثان كان بعد عبادتهم لها وسياتي عن الجماعة ابن
ابن الجوزي انهم لم يعبدوها وهولا الثلاثة الذين زيد ابن عمرو ورابعهم ورقة ابن نوفل
وعبيد الله ابن جحش ابن عمته صلى الله عليه وسلم اميمة وعثمان ابن الحويرث وزاد ابن
الجوزي على الاربعة جماعة اخرين سياتي الكلام عليهم عند الكلام على اول من اسلم وزيد ابن
ابن عمرو ابن نفيل هذا كان ابن اخي الخطاب والد سيدنا عمر ابن الخطاب رضي الله عنهم
اخاه لامه فاما ورقة فلم يدرك البعثة على ما سياتي وكان ممن دخل في النصرانية اي بعد
دخوله في اليهودية كما سياتي واما عبيد الله ابن جحش فادرك البعثة واسلم وهاجر الى
الحبشة مع من هاجر ثم تنصر هناك كما سياتي وكان يمر على المسلمين ويقول فقحنا وصاصاتم
اي ابصرنا وانتم تلتمسون ولم تبصروا ومات على نصرانيته واما عثمان ابن الحويرث فلم
يدرك البعثة وقدم على قيصر ملك الروم وتنصر عنده واما زيد ابن عمرو ابن نفيل
هذا فصار يعيب قريشا ويقول لهم والذي نفس زيد ابن عمرو بيده ما اصبح احد منكم على
دين ابراهيم غيري حتى ان عمه الخطاب اخرجه من مكة واسكنه بحراء ووكل به من يمنعه
من دخول مكة كراهة ان يفسد عليهم دينهم ثم خرج يطلب الحنيفية دين ابراهيم عليه
السلام ويسال الاحبار والرهبان عن ذلك حتى بلغ الموصل ثم اقبل الى الشام فجا الى راهب
به كان انتهى اليه علم النصرانية فساله عن ذلك فقال انك لتطلب دينا ما انت بواجد من
يحملك عليه اليوم ولكن قد اظلك زمان نبي يخرج من بلادك التي خرجت منها يبعث بدين
ابراهيم الحنيفية فالحق بها فانه مبعوث الآن هذا زمانه فخرج سريعا يريد مكة حتى اذا
توسط بلاد لخم عدوا عليه وقتلوه ودفن بمكان يقال له ميفعة وقيل دفن باصل جبل
حرا هنا وفي كلام الواقدي من زيد ابن عمرو انه قال لعامر ابن ربيعة وانا انتظر نبيا
من بني اسماعيل ولا اري اني ادركه وانا اومن به واصدقه واشهد انه نبي فان طالت
مدتك فرايته فسلم مني عليه قال عامر فلما اسلمت بلغته صلى الله عليه وسلم عن زيد

السلام

السلام فرد عليه السلام وترحم عليه وتقدم ان ولده سعيد رضي الله عنه سال النبي صلى
الله عليه وسلم ان يستغفر لابيه زيد فقال نعم استغفر له الحديث قال وعن
عايشة رضي الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم دخلت الجنة فرايت
لزيد ابن عمرو دوحتين اي شجرتين عظيمتين قال الحافظ ابن كثير اسناده جيد قوي
اي وقال الا انه ليس في شيء من الكتب وفي رواية رايته في الجنة يسحب ذيولا وعن
الزهري نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن اكل ما يذبح للجن وعلى اسمهم واما ما
قيل عند ذبحه بسم الله واسم محمد فحلال اكله وان كان القول المذكور حراما لايهامه
التشريك وهذا من جملة المحال المستثناة من قوله تعالى له صلى الله عليه وسلم لا اذكر
الا وتذكر معي فقد جاء اتاني جبريل عليه السلام فقال ان ربي وربك يقول لك اتدري
كيف رفعت ذكرك اي على اي حال جعلت ذكرك مرفوعا مشرفا المذكور ذلك في قوله تعالى
الم نشرح لك صدرك الى قوله ورفعنا لك ذكرك فقلت الله اعلم قال لا اذكر الا وتذكر معي
اي في غالب المواطن وجوبا او ندبا ومن ذلك ما روي عن علي كرم الله وجهه قال قيل
للنبي صلى الله عليه وسلم هل عبدت وثنا قط قال لا قالوا هل شربت خمرا قال لا وما زلت
اعرف ان الذي هم عليه كفر وما كنت ادري ما الكتاب ولا الايمان انتهى اقول
تحريم شرب الخمر في الجاهلية ليس من خصايصه صلى الله عليه وسلم بل حرمها على نفسه في
الجاهلية جماعة كثيرون سياتي ذكر بعضهم وتقدم ذكر بعض منهم وكون شرب الخمر مثل
الكفر على ما هو ظاهر السياق بمعنى ينبغي ان يجتنب كما يجتنب الكفر ولعل صدور هذا منه
صلى الله عليه وسلم كان بعد تحريم الخمر ويكون الاتيان بذلك للمبالغة في الزجر عنها
والتباعد منها لانها ام الخبائث وقد كانت تعرف من غالبهم الفقها وهذا محل ما جاء
اتاني جبريل عليه السلام فقال بشر امتك انه من مات لا يشرك بالله تعالى شيا اي مصدقا
لما جئت به دخل الجنة اي لا بد ان يدخل الجنة وان دخل النار قلت يا جبريل وان زنا
وان سرق قال نعم وان شرب الخمر والمراد بتحريمها تحريمها على الناس وفي
الخصايص الصغرى للسيوطي وحرمت عليه صلى الله عليه وسلم الخمر من قبل ما بعث قبل
ان تحرم على الناس بعشرين سنة والله اعلم قال واما ما رواه جابر ابن عبد الله رضي الله
عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يشهد مع المشركين مشاهدهم قال الحافظ
ابن حجر رحمه الله انكره الناس اي فقد قال الامام احمد كما في الشفا انه موضوع او شبيه
الموضوع وقال الدارقطني ان ابن ابي شيبة وهم في اسناده والحديث بالجملة منكر فلا
يلتفت اليه والمنكر فيه قول الملك عهدي باستلام الاصنام قبل فان ظاهره انه باشر
الاستلام وليس ذلك مرادا ابدا بل المراد انه شاهد مباشرة المشركين استلام اصنامهم
اي الشهودة صلى الله عليه وسلم بعض مشاهدهم التي تكون عند الاصنام وقال غيره
والمراد بالمشاهد التي شهدها اي التي كان يشهدها مشاهد الحلف ونحوها

كالضيافات الاتي بيانها لامشاهدة استلام الاصنام فانه يرده ما تقدم عن ام ايمن
رضى الله عنها انتهى اي من قولها ان بوانة كانت صنما لقريش تعظم وتعتكف عليه يوما
الى الليل في كل سنة الخ اي ويرده ايضا ما تقدم من قوله صلى الله عليه وسلم لبحيرا لما
حلفه باللات والعزى لا تسالني بهما فاني والله ما ابغضت شيا قط بغضهما الا ان مثل
اللات والعزى غيرهما من الاصنام في ذلك وما سياتي من قوله صلى الله عليه وسلم
لخديجة رضى الله عنها ما ابغضت بغض هذه الاصنام شيا قط وما جا انه صلى الله
عليه وسلم قال لما نشات بغضت لي الاوثان وبغض لي الشعر والله تعالى اعلم

باب رعيته صلى الله عليه وسلم الغنم قال رعيته

بكسر الرا الهيئة انتهى اقول المبين في هذا الباب انما هو فعله صلى الله عليه وسلم
الذي هو رعيه للغنم لا بيان هيئة رعية للغنم فرعيه بكسر الرا لا بفتحها والله اعلم
عن ابي هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بعث الله
نبيا الا رعى الغنم قال له اصحابه وانت يا رسول الله قال وانا رعيتها لاهل مكة بالقراريط
اي وهي اجزا من الدراهم والدنانير يشتري بها الحوايج الحقيرة قال سويد ابن سعيد
يعني كل شاة بقيراط وقيل القراريط موضع بمكة فقد قال ابراهيم الحربي رحمه الله
قراريط موضع ولم يرد بذلك القراريط من الفضة والذهب قال وايد هذا
الثاني بان العرب لم تكن تعرف القراريط التي هي قطع الذهب والفضة بدليل انه جا
في الصحيح ستفتحون ارضا يذكر فيها القراريط ولانه جا في بعض الروايات لاهلي ولا
برعى لاهله باجرة اي كما قضت بذلك العادة وايضا جا في بعض الروايات بدل القراريط
باجياد فدل ذلك على ان القراريط اسم محل عبر عنه تارة بالقراريط وتارة باجياد
وورد بان اهل مكة لا يعرفون بها محلا يقال له القراريط وح يكون اراد باهله اهل
مكة لا اقاربه التي تقضى العادة بانه لا يرعى لهم باجرة والاضافة تاتي لادنى ملابسة
ويدل لذلك ما جا في رواية البخاري وكنت ارعاها اي الغنم على قراريط لاهل مكة
وذكر البخاري لذلك في باب الاجارة وذلك يبعد ان المراد بالقراريط المحل وجعل على
بمعنى البا ويرد القول بان العرب لم تكن تعرف القراريط التي هي قطع الدراهم والدنانير
اي ويمنع دلالة قوله صلى الله عليه وسلم ستفتحون ارضا يذكر فيها القيراط على
ذلك لجواز ان يكون المراد يذكر فيها القيراط لكثرة الكثرة التعامل به فيها او ان المراد
بالقيراط ما يذكر في المساحة وجمع الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى بانه رعى لاهله اي
اقاربه بغير اجرة ولغيرهم باجرة والمراد بقوله اهلي اهل مكة اي الشامل لاقاربه
ولغيرهم قال فيتحد الخبران ويكون في احد الحديثين بين الجر اي التي هي القراريط و
الارض بين المكان الذي هو اجياد وخلاف في ذلك هذا كلامه ملخصا وعبارته تقتضي
وقوع الامرين منه صلى الله عليه وسلم وهو مما يتوقف على النقل في ذلك قال

ابن

ابن الجوزي رحمه الله تعالى كان موسى ومحمد صلى الله عليه وسلم رعاة غنم وهذا
يرد قول بعضهم لم يرد ابن اسحاق برعايته صلى الله عليه وسلم الغنم الا رعايته لها
في بني سعد مع اخيه من الرضاع اي وقد يتوقف في كون قول ابن الجوزي هذا يجوز
يرد قول هذا البعض نعم يرد ما تقدم وما ياتي وفي الهدى انه صلى الله عليه وسلم
اجر نفسه قبل النبوة في رعاية الغنم ومن حكمة الله في ذلك ان الرجل اذا استرعى الغنم
التي هي اضعف البهايم سكن قلبه الرافة واللطف فاذا انتقل من ذلك الى رعاية الخلق
كان قد هذب اولا من الحدة الطبيعية والظلم الغريزي فيكون في اعدل الاحوال ووقع
الافتخار بين اصحاب الابل واصحاب الغنم اي عند النبي صلى الله عليه وسلم فاستطال
اصحاب الابل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث موسى عليه السلام وهو راعي
غنم وبعث داود عليه السلام وهو راعي غنم وبعثت انا وانا راعي غنم اهلي باجياد اي
وهو موضع باسفل مكة من شعابها ويقال له جياد بغير همزة ولعل المراد بقوله صلى
الله عليه وسلم راعي غنم وكذا قوله وانا راعي غنم اي وقد رعى الغنم وقد رعيت الغنم اذ
الاخذ بظاهر الحالية تعبد ولينظر حكمة الاقتصار على من ذكر من الانبيا مع قوله اي
السابق ما بعث الله نبيا الا رعى الغنم وما ياتي من قوله وما من نبي الا وقد رعاها وقد
قال صلى الله عليه وسلم الغنم بركة والابل عز لاهلها وقال في الغنم منها سمنها سمن
وصوفها رياش وفي رواية سمنها معاش وصوفها رياش وفي حديث
الفخر والخيلا في اصحاب الابل والسكينة والوقار في اهل الغنم ولعل هذا الابنا في ما جا في الا
قال لو احمق وفي لفظ اجهل من راعي ضان لما بين ان الضان تنفر من كل شي فيحتاج راعيها
الى جمعها اي وذلك سبب لحمقه فليتامل وفي رواية الفخر والخيلا وفي لفظ والريا في اهل
الخيل والوبر قال وفيما تقدم في الباب قبل هذا من امر السمر دليل على ذلك
اي على رعايته للغنم ايضا وما رواه جابر رضي الله عنه قال كنا مع رسول الله صلى
الله عليه وسلم بجني الكباث بكاف فموحدة مفتوحتين فثا مثلثة اي وهو المنضج من
ثمر الاراك وفي الحديث عليكم بالاسود من ثمر الاراك فانه اطيب فاني كنت اجتنيه اذ
كنت ارعى الغنم قلنا وكنت ترعى الغنم يا رسول الله قال نعم وما من نبي الا وقد رعاها
اقول وح لا ينبغي لاحد عبر برعاية الغنم ان يقول كان النبي صلى الله عليه وسلم يرعى
الغنم فان قال ذلك ادب لان ذلك كما علمت كمال في حق الانبيا عليهم الصلاة والسلام
دون غيرهم فلا ينبغي الاحتجاج به ويجري ذلك في كل ما يكون كمالا في حق النبي صلى الله
عليه وسلم دون غيره كالامية فمن قيل له انت امي فقال كان النبي صلى الله عليه وسلم
اميا يؤدب والله تعالى اعلم

باب حضوره صلى الله عليه وسلم حرب الفجار

الفجار اي بكسر الفا بمعنى المفاجرة كالقتال بمعنى المقاتلة وهو فجار البراض بفتح
البا الموحدة وتشديد الرا وضاد معجمة عن ابن سعد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

مثال

قد حضرته يعني الحروب المذكورة مع عمومتي ورميت فيه باسهم وما احب اني لم اكن فعلت
وكان له من العمر اربع عشرة سنة اي وهذا الفجار الرابع واما الفجار الاول فكان عمره
صلى الله عليه وسلم عشر سنين وسببه اي هذا الفجار الاول ان بدر ابن معشر الغفاري
كان له مجلس يجلس فيه بسوق عكاظ ويفتخر على الناس فبسط يوما رجله وقال انا اعز
العرب فمن زعم انه اعز مني فليضربها بالسيف فوثب عليه رجل فضربه بالسيف على ركبته
فاندرها اي اسقطها وازالها وقيل جرحه جرحا يسيرا قال بعضهم وهو الاصح فاقتتلوا
وسبب الفجار الثاني ان امراة من بني عامر كانت جالسة بسوق عكاظ فاطاف بها
شاب من قريش من بني كنانة فسالها ان تكشف وجهها فابت فجلس خلفها وهي لا
تشعر وعقد ذيلها بشوكة فلما قامت انكشف دبرها فضحك الناس منها فنادت
المراة يا آل عامر فثاروا بالسلاح فنادى الشاب يا بني كنانة فاقتتلوا وقوله فسالها ان
تكشف وجهها فابت يدل على ان النسا في الجاهلية كن يابين كشف وجوههن وسبب
الفجار الثالث انه كان لرجل من بني عامر دين على رجل من بني كنانة فلواه به اي مطله
فجرت بينهما مخاصمة فاقتتل الحيان وقد ذكر ان عبد الله ابن جدعان تحمل ذلك الدين
في ماله وكان ذلك سببا لانقضاء الحرب وقيل لم يقاتل صلى الله عليه وسلم [illegible] في فجار
البراض وعليه اقتصر في الوفا اي لم يرم فيه باسهم بل قال كنت انبل على اعمامي اي ارد
عليهم نبل عدوهم اذا رموهم وقد يقال لا مخالفة لانه ليس في هذه العبارة انه لم يرم بل
فيها انه كان ينبل ويجوز ان يكون اغلب احواله ذلك اي انه كان ينبل اي يرد النبل فلا ينافي
انه رمى في بعض الاوقات باسهم اي وفي كلام بعضهم كان ابو طالب يحضر ايام الفجار
اي فجار البراض وكانت اربعة ايام وكان معه رسول الله صلى الله عليه وسلم
وهو غلام واذا جا هزمت قيس ولعل المراد بها هوازن فلا ينافي ما ياتي من الاقتصار
على هوازن واذا لم يجي هو اي في يوم من تلك الايام هزمت كنانة فقالوا لا ابا لك لا
تغب عنا ففعل ذكره في الامتاع وذكر فيه انه صلى الله عليه وسلم طعن ابا براء ملاعب
الاسنة في تلك الحروب اي في بعض تلك الايام وابو برا هذا كان رئيس بني قيس وحامل
رايتهم في تلك الحروب والطعن ظاهر في الرمح محتمل للنبل وظاهر كلامهم انه صلى الله عليه
وسلم لم يقاتل فيه بغير الرمي للاسهم على تقدير صحة تلك الرواية بذلك ولا يبعد
ان يكون رمى ولم يصب احدا اذ لو اصاب احدا لنقل اذ هو مما تتوفر الدواعي على نقله الا
ان يقال الجواز ان يكون اصاب مرة لم تذكر فليتامل قال وسميت الفجار لان العرب
فجرت فيه لانه وقع في الشهر الحرام انتهى اقول ظاهره حروب الفجار الاربعة التي قد
فجار البراض وغيرها ثم رايت التصريح بذلك في الوفا وسياتي في الباب الذي يلي هذا ان
البراض لم يكن في شهر حرام وسياتي في هذا الباب ما يدل على ذلك اي ان القتال في ذلك
لم يكن في الشهر وانما كان سببه في الشهر الحرام وهو قتل البراض لعروة الرحال فقد

قيل

قيل سبب القتال ان عروة الرحال بتشديد الحا وهو من اهل هوازن اجار لطيمة
للنعمان ابن المنذر ملك الحيرة واللطيمة العير التي تحمل الطيب والبز للتجارة اي
فان المنذر كان يرسل اللطيمة لتباع في سوق عكاظ ويشترى له بثمن ذلك ادم
من ادم الطايف ويرسل تلك اللطيمة في جوار رجل من اشراف العرب فلما جهز
اللطيمة كان عنده جماعة من العرب كان منهم البراض وهو من بني كنانة وعروة
الرحال وهو من بني هوازن فقال البراض انا اجيرها على بني كنانة يعني قومه
فقال له النعمان ما اريد الا من يجيرها على اهل نجد وتهامة فقال له انا اجيرها
لك فقال له البراض اتجيرها على كنانة قال نعم وعلى اهل الشيح والقيصوم وبال من
البراض فخرج عروة الرحال مسافرا وخرج البراض خلفه يطلب غفلته فلما استغفله
وثب عليه فقتله اي فانه شرب الخمر وغنته القيان فسكر ونام فجاءه البراض وايقظه
فقال له الرحال ناشدتك الله لا تقتلني فانها كانت زلة وهفوة فلم يلتفت اليه
وقتله وذلك في الشهر الحرام فاتى آت كنانة وهم بعكاظ فقال لكنانة ان البراض   مع هوازن صح
قد قتل عروة الرحال وهو في الشهر الحرام فانطلقوا وهوازن لم تشعر ثم بلغهم
الخبر فاتبعوهم فادركوهم قبل دخولهم الحرم فامسكت عنهم هوازن ثم التقوا بعد
هذا اليوم وعاونت قريش كنانة ولا يخفى ان هذا تصريح بان القتال لم يكن في الشهر
الحرام لانهم كانوا في الشهر الحرام لا يقاتلون مطلقا اي وان لم يدخلوا الحرم فكفهم
عن قتالهم لمقاربتهم دخول الحرم وقتالهم لهم في اليوم الثاني دليل على ان قتالهم
لم يكن في الشهر الحرام ومكث القتال بينهم اربعة ايام اي كما تقدم اقول قال
السهيلي الصواب ستة ايام والله اعلم قال وشهد رسول الله صلى الله
عليه وسلم بعض تلك الايام اخرجه اعمامه معهم اي ويدل له ما تقدم من انه كان
اذا حضر غلبت كنانة واذا لم يحضر هزمت وفي بعض تلك الايام وهو اشدها وهو
اليوم الثالث قيد امية وحرب ابنا امية وابو سفيان ابن حرب انفسهم كيف لا يفروا
فسموا العنابس اي الاسود انتهى اي وحرب والد ابي سفيان وامية اخوه ماتا على
الكفر وابو سفيان اسلم كما سياتي ثم تواعدوا العام المقبل بعكاظ فلما كان العام
المقبل جاوا للوعد اي وكان امر قريش وكنانة الى عبد الله ابن جدعان وقيل كان
الى حرب ابن امية والد ابي سفيان لانه كان رئيس قريش وكنانة يومئذ وكان عتبة
عتبة ابن ربيعة ابن عبد شمس يتيما في حجره فضن اي بخل به حرب واشفق
اي خاف من خروجه معه فخرج عتبة بغير اذنه فلم يشعر اي يعلم به الا وهو على
بعير بين الصفين ينادي يا معشر مضر علام تقاتلون فقالت له هوازن ما تدعو اليه
قال الصلح على ان ندفع لكم دية قتلاكم وتعفوا عن دمائنا اي فان قريشا وكنانة
كان لهم الظفر على هوازن فقتلوهم قتلا ذريعا اي وذلك لا ينافي انهزامهم في بعض
الايام قالوا وكيف قال ندفع لكم رهنا منا الى ان نوفي لكم ذلك قالوا ومن لنا بهذا قال

انا قالوا ومن انت قال عتبة ابن ربيعة ابن عبد شمس فرضيت به هوازن وكنانة
وقريش ودفعوا الي هوازن اربعين رجلا منهم حكيم ابن حزام وهو ابن اخي خديجة بنت
خويلد زوج النبي صلي الله عليه وسلم ورضي عنها كما تقدم فلما رات هوازن الرهن
في ايديها عفوا عن الدما واطلقوهم وانقضت حرب الفجار وفي رواية وودت قريش قتلى
هوازن ووضعت الحرب اوزارها وقد يقال على تقدير صحة هذه الرواية يراد بودت
التزمت ان تديها فكان انقضاوها على يد عتبة ابن ربيعة وهو من قتل كافرا ببدر
وهو ابو هند زوج ابي سفيان ام معاوية رضي الله عنها وعن زوجها وولدها المذكور
وكان يقال لم يسد مملقا اي فقيرا الا عتبة ابن ربيعة وابو طالب وكان افلس من ابي المذلق
وهو رجل من بني عبد شمس لم يكن يجد قوت ليلته وكذا ابوه وجده وابو جده وجد
جده كلهم يعرفون بالافلاس هذا والذي في الوفا الاقتصار على ان حرب الفجار كان
مرتين المرة الاولى كانت المحاربة فيه ثلاث مرات المرة الاولى سببها قضية بدر
ابن معشر الغفاري والمرة الثانية كان سببها قضية المراة والثالثة سببها قضية
الدين ولم يحضر رسول الله صلى الله عليه وسلم واما المرة الثانية فكانت بين هوازن
وكنانة وقد حضرها صلى الله عليه وسلم وقد يقال لا خلاف في المعنى والله اعلم

باب شهوده صلى الله عليه وسلم حلف الفضول وهو

اشرف حلف في العرب والحلف في الاصل اليمين والعهد وسمي العهد حلفا لانهم يحلفون
عند عقده وكان عند منصرف قريش من حرب الفجار لان حرب الفجار كان في شوال
اي وقيل كان في شعبان لا في الشهر الحرام ه اي وان كان سببه وهو قتل البراض
لعروة الرحال كان في الشهر الحرام كما تقدم وكون هذا الحلف كان منصرف قريش من حرب
الفجار ظاهر في انه كان بعد انقضا الحرب وقبل مجي الفريقين للموعد من قابل لان عند
مجيهم من قابل للموعد لم يقع حرب الا ان يقال اطلق عليه حرب باعتبار انهم كانوا عازمين
على المحاربة وهذا الحلف كان في ذي القعدة واول من دعا اليه الزبير ابن عبد المطلب اي عم
رسول الله صلى الله عليه وسلم شقيق ابيه كما تقدم فاجتمع اليه بنو هاشم وزهرة وبنو
اسد ابن عبد العزي وذلك في دار عبد الله بن جدعان التيمي كانوا بنو تيم في صاير كاهل
بيت واحد يقوتهم وكان يذبح في داره كل يوم جزورا وينادي مناديه من اراد الشحم واللحم
فعليه بدار ابن جدعان وكان يطبخ عنده الفالوذج يطعمه قريشا اي وسبب ذلك
انه كان اولا يطعم التمر والسويق ويسقي اللبن فاتفق ان امية ابن ابي الصلت مر على بني
عبد الدار فراى طعامهم لباب البر والشهد فقال امية ؎

البر يلبك بالشهاد طعامهم ؎ لا ما يعللنا بنو جدعان ؎

فبلغ شعره عبد الله ابن جدعان ومن مدح امية ابن ابي الصلت في ابن جدعان
قوله ؎ أأذكر حاجتي ام قد كفاني ؎ حياوك ان شيمتك الحياء ؎
؎ اذا اثني عليك المرء يوما ؎ كفاه من تعرضك الثناء ؎

كريم لا يغيره صباح ؎ عن الخلق الجميل ولا مساء ؎
يباري الريح مكرمة وجودا ؎ اذا ما الضب احجره الشتاء ؎
وكان عبد الله ذا شرف وسن وانه من جملة من حرم الخمر على نفسه في الجاهلية اي بعد
ان كان بها مغرما وسبب ذلك انه سكر ليلة فصار يمد يديه ويقبض على ضوء القمر ليمسكه
فضحك منه جلساؤه ثم اخبروه بذلك حين صحا فحلف لا يشربها ابدا وممن حرمها على نفسه
في الجاهلية عثمان ابن مظعون رضي الله عنه وقال لا اشرب شيئا يذهب عقلي ويضحك
بي من هو ادنى مني ويحملني على ان انكح كريمتي من لا اريد فصنع عبد الله ابن جدعان
طعاما وتعاقدوا وتعاهدوا بالله ليكونن مع المظلوم حتى يودي اليه حقه ما بل بحر
صوفه اي الابد وعن عايشة رضي الله عنها انها قالت لرسول الله صلى الله عليه وسلم
ان ابن جدعان كان يطعم الطعام ويقري الضيف ويفعل المعروف فهل ينفعه ذلك يوم
القيامة فقال لا لانه لم يقل يوما وفي رواية لم يقل ساعة من ليل ولا نهار رب اغفر لي
خطيئتي يوم الدين اي لم يكن مسلما لان القول المذكور لا يصدر الا من مسلم فلا يقال
مقتضى الحديث انه لو قال ذلك لنفعه ما ذكر يوم القيامة لانه ممن ادرك البعثة ولم
يومن وح يسال عن الحكمة في عدوله صلى الله عليه وسلم الى ذلك عن قوله لانه لم يومن
بي ولم يكن مسلما اي وكان يكنى ابا زهير وقد قال صلى الله عليه وسلم في اسرى بدر
لو كان ابو زهير او مطعم ابن عدي حيا فاستوهبهم لوهبتهم له وقد ذكر ان جفنة
ابن جدعان كان ياكل منها الراكب على البعير اي وسياتي في غزوة بدر انه صلى الله
عليه وسلم ذكر انه ازدحم هو وابو جهل وهما غلامان على مادبة لابن جدعان وانه
صلى الله عليه وسلم دفع ابا جهل لعنه الله فوقع على ركبته فجرحه جرحا اثر فيها ه
اي وقد جا انه صلى الله عليه وسلم قال كنت استظل بجفنة عبد الله ابن جدعان
في صكة عمي اي في الهاجرة وسميت الهاجرة بذلك لان عمي تصغير اعمى على الترخيم رجل من
العماليق اوقع بالعدو القتل في مثل ذلك الوقت وقيل هو رجل من عدوان كان فقيه
العرب في الجاهلية فقدم في قومه معتمرا فلما كان على مرحلتين من مكة قال لقومه
وهم في نحر الظهيرة من اتى مكة غدا في مثل هذا الوقت كان له اجر عمرتين فصكوا ه
الابل صكة شديدة حتى اتوا مكة من الغد في وقت الظهيرة ولعل هذا لا يخالفه قول
ابن عباس رضي الله عنهما عجلنا الرواح للمسجد صكة الاعمى فقيل ما صكة الاعمى
قال انه لا يبالي اية ساعة خرج وكان عبد الله ابن جدعان في ابتدا امره صعلوكا
وكان مع ذلك شريرا فاتكا لا يزال يجني الجنايات فيعقل عنه ابوه وقومه حتى ه
ابغضه قومه وعشيرته وطرده ابوه وحلف لا ياويه ابدا فخرج هايما في شعاب مكة
يتمنى الموت فراى شقا في جبل فدخل فاذا ثعبان عظيم له عينان تتقدان كالسراج
فلما قرب منه حمل عليه الثعبان فلما دنا منه انساب اي رجع عنه فلا زال كذلك حتى

غلب علي ظنه ان هذا مصنوع فقرب منه وامسكه بيده فاذا هو من وعيناه ياقوت
فكسره ثم دخل المحل الذي كان هذا الثعبان علي بابه فوجد فيه رجالا من الملوك
ووجد في ذلك المحل اموالا كثيرة من الذهب والفضة وجواهر كثيرة من الياقوت واللؤلؤ
والزبرجد فاخذ منه ما اخذ ثم علم ذلك الشق بعلامة وصار ينقل من ذلك شيئا
فشيئا ووجد في ذلك الكنز لوحا من الرخام فيه انا نفيلة ابن جرهم ابن قحطان ابن
هود نبي الله تعالى عشت خمسمائة عام وقطعت غور الارض ظاهرها وباطنها في طلب
الثروة والمجد والملك فلم يكن ذلك ينجي من الموت ثم بعث عبد الله ابن جدعان الي ابيه
بالمال الذي دفعه في جناياته ووصل عشيرته كلهم فسادهم وجعل ينفق من ذلك
الكنز ويطعم الناس ويفعل المعروف **قال** وفي رواية تحالفوا علي ان يردوا
الفضول لاهلها ولا يعز ظالم علي مظلوم اي وح فالمراد بالفضول ما يؤخذ ظلما وقيل
ان هذا اي رد الفضول مدرج من بعض الرواة زاد بعضهم علي ما بل بحر صوفه
وما رسا حراء وثبير مكانهما انتهى اي والمراد الابد كما تقدم **وكان** معهم في ذلك الحلف
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال صلى الله عليه وسلم ما احب ان لي بحلف حضرته في دار
ابن جدعان حمر النعم اي الابل واني اغدر به بالغين المعجمة والدال المهملة اي لا احب
الغدر به وان اعطيت حمر الابل في ذلك **قال** وفي رواية لقد شهدت في دار
عبد الله ابن جدعان حلفا ما احب ان لي به حمر النعم اي بفواته ولو دعا به في
الاسلام لاجبت اي لو قال قائل من المظلومين يا الحلف الفضول لاجبت لان الاسلام
انما جاء باقامة الحق ونصر المظلوم وفيه ان الاسلام قد رفع ما كان من دعوي الجاهلية
من قولهم يا لفلان عند الحرب والتعصب واجيب بان هذا مستثني فالدعوي به جايزة
وفي اخرى ما شهدت حلفا لقريش الا حلف المطيبين شهدته مع عمومتي وما احب ان لي
به حمر النعم واني كنت نقضته اي لا احب نقضه وان دفع الي حمر الابل في مقابلة نقض
هم هاشم وزهرة اي بنو زهرة ابن كلاب وامية ومخزوم **قال البيهقي** كذا روى هذا
التفسير ان المطيبين هاشم وزهرة وامية ومخزوم مدرجا ولا ادري من قاله وعبارته في
السنن الكبرى لا ادري هذا التفسير من قول ابي هريرة او من دونه هذا كلامه فان
النبي صلى الله عليه وسلم لم يدرك حلف المطيبين اي لانه كما تقدم وقع بين بني
عبد مناف ابن قصي وهم هاشم واخوته عبد شمس والمطلب ونوفل وبنو زهرة وبنو
اسد ابن عبد العزي وبنو تيم وبنو الحارث فهم المطيبون وبين بني عمهم عبد الدار
ابن قصي واحلافهم بني مخزوم وغيرهم ويقال لهم الاحلاف كما تقدم وذلك قبل
ان يولد النبي صلى الله عليه وسلم وحيث لم يدرك صلى الله عليه وسلم حلف المطيبين
يصير المدرج لفظ المطيبين مع تفسيره بمن ذكر لان المدرج تفسيره بمن ذكر فقط
كما تقتضيه كلام البيهقي وح تكون الرواية ما شهدت حلفا لقريش الا حلفا مع عمومتي

الخ ظن الراوي ان الفضول هو حلف المطيبين فذكر لفظ المطيبين وفسرهم وقد يقال ذكر
ابن اسحاق انه لما قدم عبد الله ابن جدعان هو والزبير ابن عبد المطلب في الدعوي للتحالف
ه اجابوا بنو هاشم وبنو المطلب وبنو اسد وبنو زهرة وبنو تيم هذا كلامه ولا يخفى ان
ه هولا اجل المطيبين اطلق على هذا الحلف الذي هو حلف الفضول حلف المطيبين لانهم هم
ه العاقدون له فليتامل وسمي بالفضول قيل لما تقدم من انهم تحالفوا علي ان يردوا
الفضول علي اهلها وقيل لانه يشبه حلفا وقع لثلاثة من جرهم كل واحد يقال له الفضل وعبارة بعض
لان الداعي اليه كان ثلاثة من اشرافهم اسم كل واحد منهم فضل وهم الفضل ابن فضالة
والفضل ابن وداعة والفضل ابن الحارث والضمير في اشرافهم يتبادر رجوعه الي قريش وهولا
الثلاثه تحالفوا علي نصر المظلوم علي ظالمه فالفضول جمع فضل وقيل لانهم اي هولاء
الثلاثه الذين تحالفوا كانوا اخرجوا فضول اموالهم للاضياف وقيل لان قريشا قالوا عن
الذين تحالفوا لقد دخل هولا في فضول من الامر **والسبب** في هذا الحلف والحامل عليه
ان رجلا من زبيد قدم مكة ببضاعة فاشتراها منه العاص ابن وايل وكان من اهل
الشرف والقدر بمكة فحبس عنه حقه فاستعدي عليه الزبيدي الاحلاف عبد الدار ومخزوما
وجمح وسهما وعدي ابن كعب فابوا ان يعينوا علي العاص وانتهروه اي الزبيدي فلما راى
الشر رقي علي ابي قبيس عند طلوع الشمس وقريش في انديتهم حول الكعبة فقال
باعلا صوته ؛؛ يا ال فهر لمظلوم بضاعته ؛؛ ببطن مكة نائي الدار والنفر ؛؛
؛؛ ومحرم اشعث لم يقض عمرته ؛؛ يا للرجال وبين الحجر والحجر ؛؛
؛؛ ان الحرام لمن تمت مكارمه ؛؛ ولا احرام لثوب الفاجر الغدر ؛؛
والحرام بمعنى الاحترام فقام في ذلك الزبير ابن عبد المطلب اي مع عبد الله ابن جدعان
كما تقدم واجتمع اليه من تقدم وقيل فيه العباس وابو سفيان رضي الله عنهما هم
وتعاقدوا وتعاهدوا ليكونن يدا واحدة مع المظلوم علي الظالم حتى تودى اليه حقه
شريفا او وضيعا ثم مشوا الي العاص ابن وايل فانتزعوا منه سلعة الزبيدي فدفعوها
اليه انتهى **اقول** ذكر السهيلي ان رجلا من خثعم قدم مكة معتمرا او حاجا ومعه
بنت له اضوا نساء العالمين فاغتصبها منه نبيه ابن الحجاج فقيل له عليك بحلف الفضول
فوقف عند الكعبة ونادي يا الحلف الفضول فاذا هم يعنقون اليه من كل جانب وقد
انتضوا اسيافهم اي جردوها يقولون جاءك الغوث فما لك فقال ان نبيها ظلمني في بنتي
فانتزعها مني قسرا فساروا اليه حتى وقفوا علي باب داره فخرج اليهم فقالوا اخرج
الجارية ويحك فقد علمت من نحن وما تعاقدنا عليه فقال افعل ولكن متعوني بها الليلة
فقالوا لا والله ولا شخب لقحة اي مقدار ذلك فاخرجها اليهم **وفي سيرة** الحافظ
الدمياطي رحمه الله تعالى انه كان بين الحسين ابن علي ابن ابي طالب رضي الله عنهما وبين
الوليد ابن عتبة ابن ابي سفيان منازعة في مال متعلق بالحسين رضي الله عنه

رسول

فقال الحسين للوليد احلف بالله لتنصفني من حقي او لآخذن سيفي ثم لاقومن في مسجد رسول
الله صلى الله عليه وسلم ثم لادعون لحلف الفضول اي الحلف المسمى بحلف الفضول وهو نصر
المظلوم على ظالمه ووافقه على ذلك جماعة منهم عبد الله ابن الزبير رضي الله عنهما
لانه كان آخذا كفي المدينة فلما بلغ ذلك الوليد ابن عتبة انصف الحسين من حقه حتى رضي
والله تعالى اعلم **باب سفره صلى الله عليه وسلم الى الشام ثانيا**
وذلك مع ميسرة غلام خديجة بنت خويلد رضي الله عنها لما بلغ رسول الله صلى الله عليه
وسلم خمسا وعشرين سنة اي على الراجح من اقوال ستة وعليه جمهور العلما وتلك
اقوال ضعيفة لم تتم لها حجة على ساق وليس له صلى الله عليه وسلم اسم بمكة الا الامين
لما تكامل فيه من خصال الخير كما تقدم **وسبب** ذلك ان عمه ابا طالب قال له يا ابن اخي
انا رجل لا مال لي وقد اشتد الزمان اي القحط والحت علينا اي اقبلت ودامت سنون
منكرة اي شديدة الجدب وليس لنا مادة اي ما نمير به وما نقوم به ولا تجارة وهذه عير
قومك وتقدم انها الابل التي تحمل الميرة عليها وفي رواية عيرات جمع عيره قد حضر خروجها
الى الشام وخديجة بنت خويلد تبعث رجالا من قومك في عيرانها فيتجرون لها في مالها
ويصيبون منافع فلو جئتها فعرضت نفسك عليها لاسرعت اليك وفضلتك على غيرك
لما يبلغها عنك من طهارتك وان كنت لاكره ان تاتي الشام واخاف عليك من يهود ولكن
لا تجد من ذلك بدا فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم فلعلها ترسل الي في ذلك فقال
ابو طالب اني اخاف ان تولي غيرك فتطلب امرا مدبرا فافترقا فبلغ خديجة رضي الله عنها
ما كان من محاورة عمه ابي طالب له فقالت ما علمت انه يريد هذا ثم ارسلت اليه
صلى الله عليه وسلم فقالت انه دعاني الى البعثة اليك ما بلغني من صدق حديثك
وعظم امانتك وكرم اخلاقك وانا اعطيك ضعف ما اعطي رجلا من قومك ففعل رسول
الله صلى الله عليه وسلم ولقي عمه ابا طالب فذكر له ذلك فقال ان هذا لرزق ساقه
الله اليك فخرج مع غلامها ميسرة اي يريد الشام وقالت خديجة لميسرة لا تعص له امرا
ولا تخالف له رايا وجعل عمومته يوصون به اهل العير اي ومن حين سيره صلى الله عليه
وسلم اظلته الغمامة **فلما قدم صلى الله عليه وسلم الشام** نزل في سوق بصرى في ظل
شجرة قريبة من صومعة راهب يقال له نسطورا اي بالقصر فاطلع الراهب الى ميسرة
وكان يعرفه فقال يا ميسرة من هذا الذي نزل تحت الشجرة فقال ميسرة رجل من
قريش من اهل الحرم فقال له الراهب ما نزل تحت هذه الشجرة قط الا نبي اي صانها
الله تعالى من ان ينزل تحتها غير نبي ثم قال افي عينيه حمرة قال ميسرة نعم لا تفارقه
فقال الراهب هو هو وهو اخر الانبيا ويا ليت اني ادركه حين يؤمر بالخروج اي يبعث
فوعى ذلك ميسرة اي والحمرة كانت في بياض عينيه وهي الشكلة ومن ثم قيل في وصفه
صلى الله عليه وسلم اشكل العين فهذه الشكلة من علامات نبوته صلى الله عليه وسلم

في الكتب

في الكتب القديمة اي وقد تقدم ذلك وفي الشرف للنيسابوري فلما راى الراهب الغمامة
تظله صلى الله عليه وسلم فزع وقال ما انتم اي اي شي انتم قال ميسرة غلام خديجة
فدنا الى النبي صلى الله عليه وسلم سرا من ميسرة وقبل راسه وقدمه وقال امنت بك
وانا اشهد انك الذي ذكرك الله في التوراة ثم قال يا محمد قد عرفت فيك العلامات كلها
اي العلامات الدالة على نبوتك المذكورة في الكتب القديمة خلا خصلة واحدة فاوضح لي
عن كتفك فاوضح له فاذا هو بخاتم النبوة يتلألأ فاقبل عليه يقبله ويقول اشهد
ان لا اله الا الله واشهد انك رسول الله النبي الامي الذي بشر به عيسى ابن مريم
فانه قال لا ينزل بعدي تحت هذه الشجرة الا النبي الامي الهاشمي العربي المكي صاحب
الحوض والشفاعة وصاحب لواء الحمد **اقول** قال في النور ولم ار احدا عد هذا
الراهب الذي هو نسطورا في الصحابة كما عد بعضهم فيها بحيرا الراهب وينبغي ان يكون
هذا مثله هذا كلامه وقد قدمنا ان ساق ان بحيرا ونسطورا ونحوهما ممن صدق
بانه نبي هذه الامة من اهل الفترة لا من اهل الاسلام فضلا عن كونه صحابيا لان
المسلم من اقر برسالته صلى الله عليه وسلم بعد وجودها اي اخر ما ياتي ومن ثم ذكر
الحافظ ابن حجر في الاصابة ان بحيرا من ذكر في كتب الصحابة غلطا **قال** لان تعريف
الصحابة لا ينطبق عليه وهو مسلم لقي النبي صلى الله عليه وسلم مومنا به ومات على
ذلك **قال** فقولي مسلم يخرج من لقيه مومنا به قبل ان يبعث كهذا الرجل يعني بحيرا
هذا كلامه ومراده ما ذكرناه ولعل نسطورا هذا هو الذي تنسب اليه النسطورية من
النصارى فان النصارى افترقت ثلاث فرق نسطورية قالوا عيسى ابن الله ويعقوبية
قالوا عيسى هو الله اهبط الى الارض ثم صعد الى السما وملكانية قالوا عيسى عبد الله
ونبيه زاد بعضهم فرقة رابعة واسرائيلية قالوا هو اله وامه اله والله اله هذا **وفي
القاموس** النسطورية بالضم والفتح امة من النصارى تخالف بقيتهم وهم اصحاب
نسطور الحكيم الذي ظهر في ايام المامون وتصرف في الانجيل برايه وقال ان الله
واحد ذو اقانيم ثلاثة وهو بالرومية نسطورس كما افترقت اليهود ثلاث فرق فانها
افترقت الى قرائية وربانية وسامرة **ولا يخفى** ان بقا تلك الشجرة هذا الزمن الطويل قبل
عيسى وبعده الى زمن نبينا صلى الله عليه وسلم على خلاف العادة وصرف غير الانبيا
عن النزول تحت تلك الشجرة وكذا صرف الانبيا الذين وجدوا بعد عيسى على ما تقدم
عن النزول تحت تلك الشجرة وكذا الامر بعد عيسى الذي دلت عليه الرواية الاولى والرواية
الثانية ممكن وان كانت الشجرة لا تبقى في العادة هذا الزمن الطويل وبعيد في العادة
ان تكون شجرة تخلو عن ان ينزل تحتها احد غير الانبيا الا ان هذا الامر لا يكون مع
كونه ممكنا خارقا للعادة والانبيا لهم خوارق العوائد سيما نبينا صلى الله عليه وسلم
وبهذا يرد قول السهيلي يريد ما نزل تحت هذه الشجرة الساعة الا نبي ولم يرد ما نزل

تحها فط الاني لبعد العهد بالانبيا قبل ذلك وان كان في لفظ الخبر فقط اي كما تقدم
فقد تكلم بها على جهة التاكيد للنفي والشجرة لا تثمر في العادة هذا العمر الطويل حتى
يدري انه لم ينزل تحتها الا عيسى او غيره من الانبيا عليهم الصلاة والسلام ويبعد
في العادة ايضا ان تكون شجرة تخلو من ان ينزل تحتها احد حتى يجي نبي هذه الامة وقد
يقال يجوز ان تكون هذه الشجرة كانت شجرة زيتون فقد ذكر ان شجرة الزيتون تعمر ثلاثة
الاف سنة على ان في بعض الروايات نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم تحت شجرة يابسة تخبر
عودها فلما اطمان تحتها اخضرت ونورت واعشوشبت ما حولها واينع ثمرها وتدلت اغصانها
ترفرف على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بعضهم المختار عند جمهور المحققين من اهل
السنة ان كل ما جاز وقوعه للانبيا من المعجزات جاز للاوليا مثله من الكرامات وشرط
عدم التحدي لان المعجزة يعتبر فيها التحدي وان يكون بعد النبوة وما قبل النبوة كما هنا يقال
له ارهاص وح لا يستبعد ما ذكر عن الشيخ رسلان رحمه الله تعالى ونفعنا به انه كان اذا
استند الى شجرة يابسة قد ماتت تورق ويخرج ثمرها في الحال على انه ساح في الكلام على
غزاة الخندق ان كرامات الاوليا معجزات للانبيا ولما راى الراهب ما ذكر لم يتمالك الراهب
ان انحدر من صومعته وقال له باللات والعزى ما اسمك فقال له اليك عني ثكلتك امك ذكر ومع
الراهب رق مكتوب فجعل ينظر في ذلك الرق ثم قال هو هو ومنزل التوراة فظن بعض القوم
ان الراهب يريد بالنبي صلى الله عليه وسلم مكرا فانتضى سيفه وصاح يا ال غالب يا ال غالب
فاقبل الناس يهرعون اليه من كل ناحية يقولون ما الذي راعك فلما نظر الراهب الى ذلك
اقبل يسعى الى صومعته فدخلها واغلق عليه بابها ثم اشرف عليهم فقال يا قوم ما الذي
راعكم مني فو الذي رفع السموات بغير عمد اني لاجد في هذه الصحيفة ان النازل تحت
هذه الشجرة هو رسول رب العالمين يبعثه الله بالسيف المسلول وبالذبح الاكبر وهو خاتم
النبيين فمن اطاعه نجا ومن عصاه غوي ثم حضر رسول الله صلى الله عليه وسلم سوق
بصري فباع سلعته التي خرج بها واشترى قال ولم اقف على تعيين ما باعه وما اشتراه
صلى الله عليه وسلم انتهى وكان بينه وبين رجل اختلاف في سلعة فقال الرجل لرسول الله
صلى الله عليه وسلم احلف باللات والعزى فقال النبي صلى الله عليه وسلم ما حلفت بهما قط
فقال الرجل القول قولك ثم قال الرجل لميسرة غلام خديجة وخلا به يا ميسرة هذا نبي
والذي نفسي بيده انه الذي تجده احبارنا منعوتا اي في الكتب فوعى ميسرة ذلك اي وقبل ان
يصلوا الى بصري عيي بعيران لخديجة وتخلف معهما ميسرة وكان رسول الله صلى الله عليه
وسلم في اول الركب فخاف ميسرة على نفسه وخاف على البعيرين فانطلق يسعى الى رسول
الله صلى الله عليه وسلم فاخبره بذلك فاقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم الى البعيرين
فوضع يده على اخفافهما وعودهما فانطلقا في اول الركب ولهما رغا قال وفي الشرف
انهم باعوا متاعهم وربحوا ربحا ما ربحوا مثله قط قال ميسرة يا محمد اتجرنا لخديجة

اربعين سنة ما راينا ربحا قط اكثر من هذا الربح على وجهك انتهى اقول لا يخفى
ما في قول ميسرة اتجرنا لخديجة اربعين سنة ولعلها مصحفة عن عشرين او على المبالغة
والله اعلم ثم انصرف اهل العير جميعا راجعين وكان ميسرة يرى ملكين يظلانه صلى
الله عليه وسلم من الشمس وهو على بعيره اذا كانت الهاجرة واشتد الحر وهذا
هو المعنى بقول الخصايص الصغرى وخص صلى الله عليه وسلم باظلال الملائكة له في
سفره ويحتمل ان المراد في كل سفر سافره لكن لم اقف على اظلال الملائكة له في غير
هذه السفرة وقد القى الله تعالى محبة رسول الله صلى الله عليه وسلم في قلب ميسرة
فكان كانه عبده فلما كانوا بمر الظهران اي وهو واد بين مكة وعسفان وهو الذي
تسميه العامة بطن مرو وهو المعروف الان بوادي فاطمة قال ميسرة للنبي صلى الله
عليه وسلم هل لك ان تسبقني الى خديجة فتخبرها بالذي جرى لعلها تزيدك بكرة الى
بكرتيك وفي رواية تخبرها بما صنع الله لها على وجهك فركب النبي صلى الله عليه وسلم
وتقدم حتى دخل مكة في ساعة الظهيرة وخديجة رضي الله عنها في علية اي في غرفة
مع نسا قرات رسول الله صلى الله عليه وسلم حين دخل وهو راكب على بعيره وملكان
يظلان عليه فارته نساها فعجبن لذلك ودخل عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم
فخبرها بما ربحوا وهو ضعف ما كانت تربح فسرت بذلك وقالت اين ميسرة قال خلفته في
البادية قالت عجل اليه ليعجل بالاقبال وانما ارادت ان تعلم اهو الذي رات ام غيره فركب
رسول الله صلى الله عليه وسلم وصعدت خديجة تنظر فراته صلى الله عليه وسلم على
الحالة الاولى فاستيقنت انه هو فلما دخل عليها ميسرة فاخبرته بما رات فقال لها
ميسرة قد رايت هذا منذ خرجنا من الشام والى ذلك اشار الامام السبكي في تائيته ..
.. وميسرة قد عاين الملكين اذ .. اظلاك لما سرت ثاني سفرة ..
واخبرها ميسرة بقول الراهب نسطورا وقول الاخر الذي حالفه اي استحلفه في البيع
اي وقصة البعيرين اي وح اعطت خديجة رضي الله عنها له صلى الله عليه وسلم ضعف
ما سمت له اي وما سمت له ضعف ما كانت لرجل من قومه كما تقدم وقول ميسرة له فيما
تقدم لعلها تزيدك بكرة الى بكرتيك يدل على انها سمت له صلى الله عليه وسلم بكرتين وكانت
لغيره صلى الله عليه وسلم بكرة وفي كلام بعضهم في الروض الباسم استاجرته صلى
الله عليه وسلم على اربع بكرات وفي الجامع الصغير ما نصه اجرت نفسي من
خديجة سفرتين بقلوصين ثم رايت في الامتاع ما يوافق ذلك ونصه واجر صلى الله عليه
وسلم نفسه من خديجة مرتين بقلوصين وفي السفرة الثانية لا الاولى ارسلته صلى الله
عليه وسلم مع عبدها ميسرة الى سوق حباشة اي وهو مكان بارض اليمن بينه وبين مكة
ست ليال كانوا يبتاعون فيه ثلاثة ايام من اول رجب في كل عام فابتاعا منه بزا ورجعا
الى مكة فربحا ربحا حسنا وفي السفرة الثانية ارسلته مع عبدها ميسرة الى الشام وقيل

انقطع

وفيه ان سفره ميسرة الى الشام سفرة ثالثة ففي مستدرك الحاكم وصححه واقره الذهبي
رحمه الله تعالى عن جابر ان خديجة ارسلته صلى الله عليه وسلم سفرتين الى جرش بضم
الجيم وفتح الرا موضع باليمن كل سفرة بقلوص وهي الشابة من الابل وهو يفيد انه صلى الله
عليه وسلم سافر لها ثلاث سفرات كما تقدم ولعل سوق حباشة هو جرش والا لزم ان
يكون سافر لها خمس سفرات اربعة الى اليمن وواحدة الى الشام وما تقدم عن الروض الباسم
من انها استاجرته صلى الله عليه وسلم في سفرة الى الشام باربع بكرات لا يناسب ما تقدم
عن ميسرة وقد جاء في بعض الروايات ان ابا طالب جا لخديجة وقال لها هل لك ان تستاجر
محمدا وقد بلغنا انك استاجرت فلانا ببكرتين وليس نرضى لمحمد دون اربع بكرات فقالت
خديجة لو سالت لبعيد بغيض فكيف وقد سالت لحبيب قريب ثم لا يخفى ان كون سفره
صلى الله عليه وسلم مع ميسرة بسوق حباشة قبل سفره معه الى الشام مخالف لظاهر ما
تقدم من قول عمه ابي طالب وهذه عير قومك قد حضر خروجها الى الشام فلو جئتها فعرضت
نفسك عليها وقول خديجة ما علمت انه يريد هذا وانما قلنا ظاهر لانه يجوز ان يكون
بعد قول ابي طالب وقولها المذكور ارسلته مع ميسرة الى سوق حباشة لقرب مسافته
وقصر زمنه ثم ارسلته مع ميسرة الى الشام وكانت خديجة لا تجوز ان ابا طالب يرضى بسفره
الى الشام وانه صلى الله عليه وسلم يوافق على ذلك فليتامل وتقدم انه صلى الله عليه وسلم
من حين سفره اي من مكة صارت الغمامة تظلم فان كانت غير الملكين فان الغمامة
كانت تظلم في الذهاب والملكان يظلانه في الاياب لعود ولعل عدم ذكر ميسرة لخديجة
تظليل الغمامة له صلى الله عليه وسلم في ذهابه لم يفطن لها مثلا ولكن سياتي في كلام
صاحب الهمزية ما يدل على ان الملكين هما الغمامة وفيه وقوع روية البشر غير نبينا صلى
الله عليه وسلم للملائكة غير جبريل وسياتي في روية جمع من الصحابة لجبريل وفي المنقذ من
الضلال للغزالي رحمه الله تعالى ان الصوفية يشاهدون الملائكة في يقظتهم اي لحصول
طهارة نفوسهم وتزكية قلوبهم وقطعهم العلائق وحسمهم مواد اسباب الدنيا من الجاه
والمال واقبالهم على الله تعالى بالكلية علما دائما وعملا مستمرا والله تعالى اعلم
قال ولم اقف على اسم الرجل الذي حلفه اي استحلفه وقال الحافظ ابن حجر لم
اقف على رواية صحيحة صريحة فيه بانه اي ميسرة بقي الى البعثة انتهى ثم ان خديجة رضي
الله عنها ذكرت ما راته من الايات وما حدثها به غلامها ميسرة لابن عمها ورقة ابن
نوفل وكان نصرانيا اي بعد ان كان يهوديا على ما ياتي قد تتبع الكتب فقال لها ان كان هذا
حقا يا خديجة ان محمدا نبي هذه الامة وقد عرفت انه كاين لهذه الامة نبي منتظر هذا
زمانه اي وكان صلى الله عليه وسلم يتجر قبل النبوة قبل ان يتجر لخديجة وكان صلى الله عليه
وسلم شريكا للسايب ابن ابي السايب صيفي ولما قدم عليه السايب يوم فتح مكة قال
له صلى الله عليه وسلم مرحبا باخي وشريكي كان لا يداري اي لا يرائي ولا يماري اي لا يخاصم

صاحب وهذا يدل

صاحبه وهذا يدل على ان قوله لا يداري الخ من قوله صلى الله عليه وسلم وقد قال
فقهاؤنا رحمهم الله تعالى والاصل في الشركة خبر السايب ابن يزيد انه كان شريكا للنبي
صلى الله عليه وسلم قبل البعثة وافتخر بشركته بعد المبعث اي قال كان صلى الله عليه وسلم
شريكي نعم شريك لا يداري ولا يماري ولا يشاري والمشاراة المشاححة في الامر واللجاج فيه وهو
يدل على ان ذلك كان من مقول السايب ولا مانع ان يكون كلا من النبي صلى الله عليه وسلم
والسايب قال في حق الاخر كان لا يداري ولا يماري وبهذا يندفع قول بعضهم اختلفت
الروايات في هذا الكلام الذي هو خير شريك كان لا يشاري ولا يماري فمنهم من يجعله من
قول النبي صلى الله عليه وسلم في السايب ومنهم من يجعله من قول السايب في حق النبي صلى
الله عليه وسلم ويمكن ان لا يكون مخالفة بين السايب ابن ابي السايب صيفي وبين السايب
ابن يزيد لانه يجوز ان يكون صيفي لقبا لوالده واسمه يزيد وفي الاستيعاب وقع الاضطراب
هل الشريك كان ابا السايب او ولده السايب ابن ابي السايب او ولد السايب وهو قيس ابن
السايب ابن ابي السايب او اخ السايب وهو عبد الله ابن ابي السايب قال وهذا
الاضطراب لا يثبت به شي ولا تقوم به حجة والسايب ابن ابي السايب من المولفة قلوبهم
اعطاه صلى الله عليه وسلم يوم الجعرانة من غنايم حنين وبه يرد قول بعضهم ان السايب
ابن ابي السايب قتل يوم بدر كافرا ومما يدل على ان الشريك كانت لقيس ابن ابي السايب رضي
الله عنه قوله كان رسول الله صلى الله عليه وسلم في الجاهلية شريكي فكان خير شريك
كان لا يشاريني ولا يماريني ووجه الدلالة انه صلى الله عليه وسلم سمع قوله كان شريكي
واقره عليه وذكر في الامتاع ان حكيم ابن حزام اشترى من رسول الله صلى الله عليه وسلم بزا
من تهامة بسوق حباشة وقدم به مكة فكان ذلك سببا لارسال خديجة له صلى
الله عليه وسلم مع عبدها ميسرة الى سوق حباشة ليشتريا لها بزا وفي سفر السعادة
انه صلى الله عليه وسلم وقع منه انه باع واشترى الا انه بعد الوحي وقبل الهجرة كان
شراؤه اكثر من البيع وبعد الهجرة لم يبع الا ثلاث مرات واما شراوه فكثير واجر واستاجر
والاستيجار اغلب ووكل وتوكل وكان توكله اغلب

باب تزوجه صلى الله عليه وسلم لخديجة بنت خويلد رضي الله عنها

ابن اسد ابن عبد العزى ابن قصي فهي
رضي الله عنها تجتمع معه صلى الله عليه وسلم في قصي قال الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى
وهي من اقرب نسايه صلى الله عليه وسلم اليه في النسب ولم يتزوج من ذرية قصي غيرها
الا ام حبيبة رضي الله عنها هذا كلامه عن نفيسة بنت منية اي وهي اخت يعلى ابن منية
ففي الامتاع منية اخت يعلى ابن منية وعليه يكون ضمير وهي راجع لمنية لا لنفيسة قالت
كانت خديجة بنت خويلد امراة حازمة اي ضابطة جلدة اي قوية شريفة اي مع ما اراد
الله تعالى لها من الكرامة والخير يومئذ اوسط نسا قريش نسبا واعظمهم شرفا واكثرهم مالا
اي واحسنهم جمالا وكانت رضي الله عنها تدعى في الجاهلية بالطاهرة وفي لفظ كانت

تعالى لها سيدة قريش لان الوسط في ذكر النسب من اوصاف المدح والتفضيل يقال فلان
اوسط القبيلة اعرفها في نسبها وكل قومها كان حريصًا على نكاحها لو قدر على ذلك وقد
طلبوها وذكروا لها الاموال فلم تقبل فارسلتني دسيسًا اي خفية الى محمد بعد ان رجع
في عيرها من الشام فقلت يا محمد ان تتزوج فقال ما بيدي ما اتزوج به قلت فان كفيت
ذلك ودعيت الى المال والجمال والشرف والكفاية الا تجيب قال فمن هي قلت خديجة قال
وكيف لي بذلك بكسر الكاف لانه خطاب لنفيسة قلت بلى وانا افعل فذهبت فاخبرتها
فارسلت اليه صلى الله عليه وسلم ان ائت لساعة كذا وكذا فارسلت الى عمها عمرو
ابن اسد ليزوجها فحضر ودخل رسول الله صلى الله عليه وسلم في عمومته فزوجه احدهم
اي وهو ابو طالب على ما سياتي فقال في خطبته وابن اخي لم في خديجة بنت خويلد رغبة
ولها فيه مثل ذلك فقال عمرو ابن اسد هذا الفحل لا يقدع انفه اي بالقاف والدال
المهملة اي لا يضرب انفه لكونه كريمًا لان غير الكريم اذا اراد ركوب الناقة الكريمة يضرب
انفه ليرتدع بخلاف الكريم وكون المزوج لها عمها عمرو ابن اسد قال بعضهم هو
المجمع عليه وقيل المزوج لها اخوها عمرو ابن خويلد وعن الزهري ان المزوج لها ابوها
خويلد ابن اسد وكان سكرانا من الخمر فالقت عليه خديجة حلة وهي ثوب فوق ثوب
لان الاعلى يحل فوق الاسفل وضمخته بخلوق اي لطخته بطيب مخلوط بزعفران ٥ فلما
صحا من سكره قال ما هذه الحلة والطيب فقيل له لانك انكحت محمدًا خديجة وقد
ابتنى بها فانكر ذلك ثم رضيه وامضاه اي لان خديجة استقرت من ابيها انه يرغب
ان يزوجها له فصنعت له طعامًا وشرابًا ودعت اباها ونفرا من قريش فطعموا وشربوا
فلما سكر ابوها قالت له ان محمد ابن عبد الله يخطبني فزوجني اياه فزوجها فخلقته
والبسته لان ذلك اي الباس الحلة وصبغ الخلوق به كان عادتهم ان الاب يفعل به ذلك
اذا زوج ابنته فلما صحا من سكره قال ما هذا قالت له خديجة زوجتني من محمد
ابن عبد الله قال انا ازوج يتيم ابي طالب لا لعمري فقالت له خديجة رضي الله عنها الا
تستحي تريد ان تسفه نفسك عند قريش تخبرهم انك كنت سكرانا فلم تزل به حتى رضي
اي وهذا مما يدل على ان شرب الخمر كان عندهم مما يتنزه عنه ويدل له ان جماعة حرموها
على انفسهم في الجاهلية منهم من تقدم ومنهم من ياتي وفي رواية انها عرضت نفسها
عليه صلى الله عليه وسلم فقالت يا ابن عم اني قد رغبت فيك لقرابتك وامانتك وحسن
خلقك وصدق حديثك فذكر ذلك صلى الله عليه وسلم لاعمامه فخرج معه عمه حمزة ابن عبد
المطلب رضي الله تعالى عنه حتى دخل على خويلد ابن اسد فخطبها اليه فزوجها
اقول قال في النور ولعل الثلاثة اي اباها واخاها وعمها حضروا ذلك فنسب
الفعل الى كل واحد منهم هذا كلامه وفي كون المزوج لها ابوها وكونه حضر تزويجها
نظر لان المحفوظ عن اهل العلم ان خويلد ابن اسد قتل قبل حرب الفجار المتقدم ذكرها

قال بعضهم وهو الذي نازع تبعًا اي حين اراد اخذ الحجر الاسود الى اليمن فقام
في ذلك خويلد وقام معه جماعة من قريش ثم راى تبع في منامه ما ردعه عن ذلك
فترك الحجر الاسود مكانه وعلى كون المزوج له صلى الله عليه وسلم عمه حمزة رضي
الله عنه اقتصر ابن هشام رحمه الله تعالى في سيرته وذكر ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم اصدقها عشرين بكرة وعبارة المحب الطبري فلما ذكر ذلك لاعمامه خرج معه
منهم حمزة ابن عبد المطلب حتى دخل على خويلد ابن اسد فخطبها اليه ففعل وحضر
ابو طالب ورؤساء مضر فخطب ابو طالب وقال الحمد لله القصة والله اعلم قال
وعن ابن اسحاق انها قالت له يا محمد الا تتزوج قال ومن قالت انا قال ومن لي بك
وانت ايم قريش وانا يتيم قريش قالت اخطبني الحديث اي وفيه اطلاق اليتيم على البالغ
وذلك بحسب ما كان والمراد به المحتاج والا فالعرف اي الشرعي واللغوي خص بغير
البالغ ممن مات ابوه الحقيقي وعن بعضهم قال مررت انا ورسول الله صلى الله عليه
وسلم على اخت خديجة فنادتني فانصرفت اليها ووقف لي رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقالت اما لصاحبك هذا من حاجة في تزويج خديجة فاخبرته فقال بلى لعمري فذكرت
ذلك لها فقالت اغدوا علينا اذا اصبحنا فغدونا عليهم فوجدناهم قد ذبحوا بقرة
والبسوا خديجة حلة الحديث وفي الامتاع بعد ان ذكر ان السفير بينهما نفيسة بنت
منية ذكر انه قيل كان السفير بينهما غلامها وقيل مولاة مولدة وقد يقال لا منافاة
لجواز ان يكون كل ممن ذكر كان سفيرًا وفي الشرف ان خديجة رضي الله عنها قالت
للنبي صلى الله عليه وسلم اذهب الى عمك فقل له تعجل الينا بالغداة فلما جاءها ومعه رسول
الله صلى الله عليه وسلم قالت له يا ابا طالب تدخل على عمي فكلمه يزوجني من ابن اخيك
محمد بن عبد الله فقال ابو طالب يا خديجة لا تستهزئي فقالت هذا صنع الله تعالى فقام
وذهب وجاء مع عشرة من قومه الى عمها الحديث اي وفي رواية ومعه بنو هاشم
ورؤساء مضر ولا مخالفة لجواز ان يكون المراد ببني هاشم اولئك العشرة وانهم كانوا هم
المراد برؤساء مضر في ذلك الوقت وذكر ابو الحسين ابن فارس وغيره ان ابا طالب خطب
يومئذ فقال الحمد لله الذي جعلنا من ذرية ابراهيم وزرع اسماعيل وضئضئ معد اي
معدنه وعنصر مضر اي اصله وجعلنا حضنة بيته اي المتكفلين بشانه وسواس
حرمه اي القائمين بخدمته وجعل لنا بيتًا محجوجًا وحرمًا امنًا وجعلنا حكام الناس
ان ابن اخي هذا محمد ابن عبد الله لا يوزن به رجل الا رجح به شرفا ونبلا وفضلا
وعقلا وان كان في المال قل فان المال ظل زائل وامر حائل وعارية مسترجعة وهو
والله بعد هذا له نبأ عظيم وخطر جليل وقد خطب اليكم رغبة في كريمتكم خديجة
وقد بذل لها من الصداق ما عاجله واجله اثنا عشر اوقية ونشا اي وهو عشرون
درهمًا والاوقية اربعون درهمًا اي فكانت الاواق والنش من ذهب كما قال المحب

الطبري اي فيكون جملة الصداق خمسماية درهم شرعي وقيل اصدقها عشرين بكره
كما تقدم اقول لا منافاة لجواز ان تكون البكرات عوضا عن الصداق المذكور وقال
بعضهم يجوز ان يكون ابو طالب اصدقها ما ذكر وزاد صلى الله عليه وسلم من عنده
تلك البكرات في صداقها فكان الكل صداقا والله اعلم قال وما قيل ان عليا كرم
الله وجهه ضمن المهر فهو غلط لان عليا لم يكن ولد على جميع الاقوال في مقدار عمره وبه
يرد قول بعضهم وكون علي ضمن المهر غلط لان عليا كان صغيرا لم يبلغ سبع سنين اي
لانه ولد في الكعبه وعمره صلى الله عليه وسلم ثلاثون فاكثر وسنه حين تزوج خديجه
كان خمسا وعشرين سنه على ما تقدم وزياده شهرين وعشرة ايام وقيل خمسة عشر يوما
على ما ياتي وقيل الذي ولد في الكعبه حكيم ابن حزام قال بعضهم لا مانع من ولاده كلاهما
في الكعبه لكن قال في النور حكيم ابن حزام ولد في جوف الكعبه ولا يعرف ذلك لغيره واما ما
روي ان عليا ولد فيها فضعيف عند العلما قال النووي رحمه الله تعالى وعند ذلك
قال عمها عمرو ابن اسد هذا الفحل لا يقدع انفه وانكحها منه وقيل قايل ذلك ورقه ابن
نوفل اي فانه بعد ان خطب ابو طالب بما تقدم خطب ورقه فقال الحمد لله الذي جعلنا كما
ذكرت وفضلنا على ما عددت فنحن سادة العرب وقادتها وانتم اهل ذلك كله لا تنكر العرب
فضلكم ولا يرد احد من الناس فخركم وشرفكم ورغبنا في الاتصال بحبلكم وشرفكم فاشهدوا
على معاشر قريش اني قد زوجت خديجه بنت خويلد من محمد ابن عبد الله و. ذكر المهر
فقال ابو طالب قد احببت ان يشركك عمها فقال عمها اشهدوا علي يا معاشر قريش اني قد انكحت
محمد ابن عبد الله خديجه بنت خويلد واولم عليها صلى الله عليه وسلم نحر جزورا وقيل جزورين
واطعم الناس وامرت خديجه جواريها ان يرقصن ويضربن الدفوف وفرح ابو طالب فرحا
شديدا وقال الحمد لله الذي اذهب عنا الكرب ودفع عنا الهموم وهي اول وليمة اولمها صلى
الله عليه وسلم اقول ولا ينافي هذا ما تقدم من قوله فوجدناهم قد ذبحوا بقره
والبسوا خديجه حله لجواز ان يكون ذلك عند العقد وهذا عند اراده الدخول ولا ينافي
ذلك ما تقدم من قوله وقد ابتني بها لان تلك الروايه غير صحيحه ولا ينافي كون المزوج
له عمه ابو طالب ما تقدم ان المزوج له حمزة لجواز ان يكون حضر مع ابي طالب فنسب التزوج
اليه ايضا والله اعلم والسبب في ذلك اي في عرض خديجه رضي الله عنها نفسها عليه
صلى الله عليه وسلم ايضا مع ما اراد الله بها من الخير ما ذكره ابن اسحاق قال كان لنساء قريش
عيد يجتمعن فيه في المسجد فاجتمعن يوما فيه فجاهن يهودي وقال يا معشر نسا قريش انه
يوشك فيكن نبي قرب وجوده فايتكن استطاعت ان تكون له فراشا فلتفعل فحصبنه والنا
اي رمينه بالحصبا وقبحنه واغلظن له واغضت خديجه على قوله ووقر ذلك في نفسها فلما
اخبرها ميسره بما رآه من الايات وما رأته هي اي وما قال لها ورقه ابن نوفل لما حدثته
بما حدثها به ميسره ما تقدم قالت ان كان ما قال اليهودي حقا ما ذاك الا هذا وذكر

الفاكهي عن انس ان النبي صلى الله عليه وسلم كان عند ابي طالب فاستاذن ابا طالب
ان يتوجه الى خديجه فاذن له وبعث معه جارية يقال لها نبعة فقال انظري ما تقول
له خديجه اي ولعله بعد ان طلبت منه الحضور اليها وذلك قبل ان يتزوجها فخرجت
خلفه فلما جا صلى الله عليه وسلم الى خديجه اخذت بيده فضمتها الى صدرها ونحرها
ثم قالت بابي وامي والله ما افعل هذا الشي ولكن ارجو ان تكون انت النبي الذي سيبعث
فان تكن هو فاعرف حقي ومنزلي وادع الاله الذي سيبعثك لي فقال لها والله لين كنت
انا هو لقد اصطنعت عندي ما لا اضيعه ابدا وان يكن غيري فان الاله الذي تصنعين
هذا لاجله لا يضيعك ابدا فرجعت نبعة واخبرت ابا طالب بذلك وكان تزوجه صلى
الله عليه وسلم لخديجه بعد مجيه من الشام بشهرين وخمسة عشر يوما وعمره اذ ذاك
خمسه وعشرون سنة على ما هو الصحيح الذي عليه الجمهور كما تقدم وزاد بعضهم
على الخمسة والعشرين سنه شهرين وعشرة ايام وقد اشار صاحب الهمزية رحمه الله تعالى
الى ذلك بقوله

ورأته خديجة والتقى والزهد ... فيه سجية والحياء
واتاها ان الغمامة والسرح ... اظلته منهما افياء
واحاديث ان وعد رسول الله ... بالبعث حان منه الوفاء
فدعته الى الزواج وما احسن ... ما يبلغ المنا الاذكياء

اي واعلمته خديجه ذات الشرف الطاهر والمال الوافر والحسب الوافر والحال ان التقى
والزهد والحيا فيه صلى الله عليه وسلم سجيه وطبيعه واتاها الخبر بان الغمامه
والسرح اظلته منهما افيا اي ظلال حال كون تلك الافيا من الغمامة والسرح وفيه ان هذا
يدل على ان الملكين هما الغمامه قال بعضهم وتظليل الغمامة له صلى الله عليه وسلم
كان قبل النبوة تاسيسا لها وانقطع ذلك بعد النبوة واتى خديجه الاحاديث والاخبار
من بعض الاحبار بان وعد الله لرسوله صلى الله عليه وسلم بالبعث والارسال الى الخلق
قرب الوفا به منه تعالى لرسوله فبسبب ذلك خطبته الى ان يتزوج بها وعرضت نفسها
عليه وما احسن بلوغ الاذكيا ما يتمنونه وتزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم
وهي يومئذ بنت اربعين سنه قال وقيل خمس واربعين وقيل ثلاثين وقيل ثمان
وعشرين انتهى اي وقيل خمس وثلاثين وقيل خمس وعشرين وتزوجت قبله صلى الله
عليه وسلم رجلين اولهما عتيق ابن عابد اي بالموحدة والمهملة وقيل بالمثناة تحت
والمعجمة فولدت له بنتا اسمها   وهي ام محمد ابن صيفي المخزومي وثانيهما ابو هاله
واسمه هند فولدت له ولدا اسمه هاله وولدا اسمه هند ايضا فهو هند ابن هند
وكان يقول انا اكرم الناس ابا واما واخا واختا ابي رسول الله صلى الله عليه وسلم
لانه زوج امه وامي خديجه واخي القاسم واختي فاطمه قتل هند هذا مع علي كرم
الله وجهه يوم الجمل وفي كلام السهيلي انه مات بالطاعون بالبصرة وكان قد مات

في ذلك اليوم نحو من سبعين الفا فشغل الناس عن تجهيزهم عن جنازته فلم يوجد
من يحملها فصاحت نادبته واهنداه ابن هنداه واربيب رسول الله فلم تبق جنازة
الا تركت واحتملت جنازته على اطراف الاصابع اعظاما لربيب رسول الله صلى الله عليه
وسلم هذا وفي المواهب انها كانت تحت ابي هالة اولا ثم كانت تحت عتيق ثانيا وسيأتي
بقية ترجمتها في ازواجه صلى الله عليه وسلم والله اعلم **باب بنيان قريش**
الكعبة شرفها الله تعالى لما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم خمسا وثلاثين
سنة على ما هو الصحيح جاء سيل حتى اتى من فوق الردم الذي صنعوه لمنع السيل واخربه
اي ودخلها وصدع جدرانها بعد توهينها من الحريق الذي اصابها وذلك ان امراة
تجمرتها فطارت شرارة في ثياب الكعبة فاحرقت جدرانها فخافوا ان تفسدها السيول
اي تذهبها بالمرة وقيل تجمر المراة كان في زمن عبد الله ابن الزبير رضي الله عنهما
ولا مانع من التعدد وكان ارتفاعها تسعة اذرع من عهد ابراهيم صلى الله عليه وسلم
ولم يكن لها سقف اي فكان الناس يلقون الحلي والمتاع كالطيب اي الذي يهدى
لها في بئر داخلها عند بابها على يمين الداخل منها اعدت لذلك يقال لها خزانة
الكعبة كما سيأتي ذلك فاراد شخص في ايام جرهم ان يسرق من ذلك شيئا فوقع على راسه
وانهار البئر عليه فهلك **وفي كلام بعضهم** فسقط عليه حجر فحبسه في تلك البئر حتى اخرج
منها وانتزع المال منه فليتامل الجمع وقد يقال على بعد جاز ان يكون هذا الرجل تكررت
منه السرقة وكان هلاكه في المرة الثانية فعند ذلك بعث الله حية بيضاء سوداء الراس
والذنب راسها كراس الجدي فاسكنها تلك البئر لحفظ تلك الامتعة وكانت قد تخرج منها
الى ظاهر البيت فتشرق بالقاف اي تبرز للشمس على جدار الكعبة فيبرق لونها وربما
التفت عليه فيصير راسها عند ذنبها لا يدنو احد الا كشت اي صوتت وفتحت فاها مطوق
على كشت **في حياة الحيوان** قال الجوهري كشيش الافعى صوتها من جلدها لا من فيها فمكثت
بئره والبيت خمسماية عام لا تقربه احد اي لا يقرب بئره وخزانته الا اهلكته اي ولعل
المراد لو قرب منه احد اهلكته اذ لو اهلكت احدا قرب من تلك البئر لنقل فلم تزل كذلك
حتى كان زمن قريش وجدى هذا السيل والحريق ارادوا هدمها واعادة بنائها وان يشيدوا
بناءها اي يرفعوه ويرفعوا بابها حتى لا يدخلها الا من شاء واجتمعت القبائل من قريش
تجمع الحجارة كل قبيلة تجمع على حدة واعدوا لذلك نفقة اي طيبة ليس فيها مهر بغي
ولا بيع ربا ولا مظلمة احد من الناس اي ان قام ابو وهب عمرو ابن عايذ فتناول منها
حجرا فوثب منه حتى رجع الى موضعه فقال عند ذلك يا معشر قريش لا تدخلوا
في بنائها من كسبكم الا طيبا الحديث اي وفي لفظ انه قال لهم لا تدخلوا في نفقة هذا
البيت مهر بغي اي زانية ولا بيع ربا وفي لفظ لا تجعلوا في نفقة هذا البيت شيئا
اصبتموه غصبا ولا قطعتم فيه رحما ولا انتهكتم فيه ذمة بينكم وبين احد من الناس

وابو وهب هذا خال عبد الله ابي النبي صلى الله عليه وسلم وكان شريفا في قومه
وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم ينقل معهم الحجارة وروى الشيخان عن جابر
ابن عبد الله رضي الله عنهما قال لما بنيت الكعبة ذهب رسول الله صلى الله عليه
وسلم والعباس رضي الله عنه ينقلان الحجارة فقال العباس رضي الله عنه للنبي
صلى الله عليه وسلم اجعل ازارك على رقبتك يقيك الحجارة اي كبقية القوم فانهم
كانوا يضعون ازرهم على عواتقهم ويحملون الحجارة ففعل صلى الله عليه وسلم ذلك
فخر الى الارض وطمحت عيناه الى السماء اي ونودي عورتك فقال ازاري ازاري اي شدوا
علي ازاري فشد عليه وفي رواية سقط فغشي عليه فضمه العباس رضي الله عنه الى
نفسه وساله عن شانه فاخبره انه نودي من السماء ان شد عليك ازارك وهذا
يبعد ما جاء في رواية قال له العباس اي بعد ان امر بستر عورته وسترها يا ابن
اخي اجعل ازارك على راسك فقال ما اصابني ما اصابني الا من التعري **وفي رواية**
بينا النبي صلى الله عليه وسلم يحمل الحجارة من اجياد وعليه نمرة فضاقت عليه النمرة
فذهب ليضعها على عاتقه فبدت عورته فنودي يا محمد خمر عورتك اي غطها فلم
ير عريانا اي مكشوف العورة بعدها اي وقد يقال هذا لا يخالف ما تقدم عن
العباس لانه يجوز ان يكون ذلك صدر من العباس ح وغايته انه سمى النمرة ازارا
له **قال** واستبعد بعض الحفاظ ذلك اي وقوع هذا مع ما تقدم من نهيه عن ذلك
اي الذي تضمنه الامر بالستر عند اصلاح عمه ابي طالب لزمزم قبل هذا قال لانه صلى
الله عليه وسلم اذا نهي عن شيء مرة لا يعود اليه بوجه من الوجوه انتهى **قال**
وقد يعاد الى ذلك **اقول** يجوز ان يكون صلى الله عليه وسلم لم يفهم ان امر
بستر عورته اولا عزيمة بل جوزوا الترك وفي الثانية علم انه عزيمة لا يقال تقدم من
كرامتي على ربي ان احدا لم ير عورتي وتقدم ان ذلك من خصائصه صلى الله عليه وسلم
في الخصائص الصغرى انه لم تر عورته قط ولو راها احد طمست عيناه لانا نقول لا
يلزم من كشف عورته صلى الله عليه وسلم رؤيتها كما لا يلزم من حضانته وتربيته و
ومجامعة زوجاته ذلك فمن عائشة رضي الله عنها ما رايت منه والظاهر ان بقية
زوجاته كذلك والله تعالى اعلم **ثم عمدوا** اليها ليهدموها على شفق وحذر اي خوف
من ان يمنعهم الله تعالى ما ارادوا اي بان يوقع بهم البلاء قبل ذلك سيما وقد شاهدوا
ما وقع لعمرو ابن عايذ **قال** قال وعند ابن اسحاق ان الناس هابوا هدمها وفروا
منه اي خافوا ان يحصل لهم بسببه بلاء فقال الوليد ابن المغيرة لهم اتريدون بهدمها
الاصلاح ام الاساءة قالوا بل نريد الاصلاح قال فان الله فان الله لا يهلك المصلحين
قالوا من الذي يعلوها فيهدمها قال انا اعلوها وانا ابدؤكم في هدمها فاخذ المعول
ثم قام عليها وهو يقول اللهم لم نرع اي بالراء والعين المهملتين والضمير في نرع للكعبة

اي لم نفزع الكعبة فما نريد الا الخير اي وفي رواية لم نزغ بالنون والزاي والمعجمة اي لم
نخرج عن دينك ثم هدم من ناحية الركنين فتربص الناس تلك الليلة وقالوا ننظر فان
اصيب لم نهدم منها شيئا ورددناها كما كانت وان لم يصبه شيء هدمناها فقد رضي
الله ما صنعنا فاصبح الوليد من ليلته غاديا على عمله فهدم وهدم الناس معه حتى
انتهى بهم الهدم الى الاساس اساس ابراهيم صلى الله عليه وسلم افضوا الى حجارة خضر
كالاسنمة اي اسنمة الابل وفي لفظ كالاسنة قال السهيلي رحمه الله وهو وهم من بعض
النقلة عن ابن اسحاق هذا كلامه اي وقد يقال هي كالاسنة في الخضرة وكالاسنمة
في العظم لا يقال الاسنة زرق لانا نقول شديد الزرقة يرى اخضر اخذ بعضها بعضا
فادخل رجل ممن كان يهدم عتلة بين حجرين منها ليقلع بها بعضها فلما تحرك الحجر
تنفضت مكة اي تحركت باسرها وابصر القوم برقة خرجت من تحت الحجر كادت تخطف
بصر الرجل فانتهوا عن ذلك الاساس ووجدت قريش في الركن كتابا بالسريانية فلم
يدروا ما هو حتى قراه لهم رجل من يهود فاذا هو انا الله ذو بكة خلقتها يوم خلقت
السموات والارض وصورت الشمس والقمر وحففتها بسبعة املاك حنفا لا تزول اخشباها
اي جبلاها وهما ابو قبيس وهو جبل مشرف على الصفا وقينقاع وهو جبل مشرف على مكة
وجهه الى ابي قبيس يبارك لاهلها في الماء واللبن ووجدوا في المقام اي محله كتابا اخر
مكتوب فيه مكة بيت الله الحرام ياتيها رزقها من ثلاث سبل ووجدوا كتابا اخر مكتوب
فيه من يزرع شرا يحصد ندامة اي ما يندم عليه تعملون السيئات وتجزون الحسنات اجل
اي نعم كما يجنى من الشوك العنب اي التمر وفي السيرة الهشامية ان ذلك وجد مكتوبا في حجر
في الكعبة وفي كلام بعضهم وجدوا احجارا فيه ثلاثة اسطر الاول انا الله ذو بكة صنعتها
يوم صنعت الشمس والقمر الخ وفي الثاني انا الله ذو بكة خلقت الرحم وشققت لها من
اسمي فمن وصلها وصلته ومن قطعها قطعته وفي الثالث انا الله ذو بكة خلقت الخير
والشر فطوبى لمن كان الخير على يديه قال ابن المحدث ورايت في مجموع انه وجد بها حجر
مكتوب عليه انا الله ذو بكة مفقر الزناة ومفقر تارك الصلاة ارخصها والاقوات
فارغة واغليها والاقوات ملاء اي فارغ محلها وملان محلها هذا كلامه وقد يقال لا مانع
من ان يكون ذلك حجرا اخر ويكون ذلك الحجر وما ذكر مكتوب في محل اخر منه اي وفي الاصل
عن الاسود ابن عبد يغوث عن ابيه انهم وجدوا كتابا اسفل المقام فدعت قريش رجلا
من حمير فقال ان فيه لحرفا لو حدثتكموه لقتلتموني قال فظننا ان فيه ذكر محمد صلى الله
عليه وسلم وكتمناه وكان البحر قد رمى بسفينة الى ساحل جدة اي الذي به جدة الان
وكان ساحل مكة قبل ذلك الذي ترمى به السفن يقال له الشعبة بضم الشين فلا يخالف
قول غير واحد فلما كانت السفينة بالشعبة ساحل مكة انكسرت وفي لفظ حبسها الريح
وكانت تلك السفينة لرجل من تجار الروم اسمه باقوم وكان بانيا وقيل كانت تلك السفينة

لقيصر ملك الروم يحمل له فيها الرخام والخشب والحديد سرحها مع باقوم الى الكنيسة
التي احرقها الفرس بالحبشة فلما بلغت مرساها من جدة وقيل من الشعيبة بعث
الله تعالى عليها ريحا فحطمها اي كسرها فخرج الوليد ابن المغيرة في نفر من قريش
الى السفينة فابتاعوا خشبها فاعدوه لسقف الكعبة وقيل هابوا هدمها من
اجل تلك الحية العظيمة فكانوا كلما ارادوا القرب منه اي البيت ليهدموه بدت
لهم تلك الحية فاتحة فاها فبينما هي ذات يوم تشرق على جدار الكعبة كما كانت تصنع
بعث الله طائرا اعظم من النسر فاختطفها والقاها في الحجون فالتقمتها الارض قيل وهي
الدابة التي تكلم الناس يوم القيامة وجاء ان الدابة تخرج من شعب اجياد وفي
حديث ان موسى عليه السلام سال ربه ان يريه الدابة التي تكلم الناس فاخرجها له
من الارض فراى منظرا هاله وافزعه فقال اي رب ردها فردها فقالت قريش عند
ذلك انا لنرجو ان يكون الله قد رضي ما اردنا اي بعد ان اجتمعوا عند المقام وعجوا
الى الله تعالى ربنا لم نرع اردنا تشريف بيتك وتزيينه فان كنت ترضى بذلك فاتممه
واشغل عنا هذا الثعبان يعنون الحية والا فما بدا لك فافعل فسمعوا في السماء صوتا
ووجبة واذا الطاير المنكود اخذها فقالوا ما ذكر وقالوا عندنا عامل رفيق وعندنا
اخشاب وقد كفانا الله الحية وذلك العامل هو باقوم الرومي الذي كان بالسفينة وكان
بانيا كما تقدم فانهم جاءوا به معهم الى مكة وهو باقوم مولى سعيد ابن العاص وكان
تاجرا وتلك الاخشاب هي التي اشتروها من تلك السفينة التي كسرت اقول ومع
اخذ الطاير لتلك الحية يجوز ان يقال هابوا هدمها حتى قدم عليه الوليد ابن المغيرة
فلا مخالفة بين ما تقدم عن ابن اسحاق وبين هذا الظاهر في انهم هدموها عند اخذ
الطاير لتلك الحية ولم يهابوا هدمها حتى فعل الوليد ما تقدم والله اعلم اي ثم لما
ارادوا بنيانها تجزاتها قريش اي بعد ان اشار عليهم بذلك ابو وهب عمرو ابن عابد
فقال لهم اني ارى ان تقسموها اربعة ارباع فكان شق الباب لعبد مناف وزهرة
وكان ما بين الركنين الاسود واليماني لبني مخزوم وقبايل من قريش انضموا اليهم
وكان ظهر الكعبة لبني جمح وبني سهم ابني عمرو وكان شق الحجر اي الجانب الذي
فيه الحجر الان لبني عبد الدار ولبني اسد ولبني عدي والذي في كلام المقريزي كان
لبني عبد مناف ما بين الحجر الاسود الى ركن الحجر اي وهو شق الباب وصار لاسد
وعبد الدار وزهرة الحجر كله وصار لمخزوم دبر البيت وصار لساير قريش ما بين
الركن اليماني الى الركن الاسود هذا كلامه فليتامل وفي كلام بعضهم وسمي الركن
اليماني باليماني لان رجلا من اليمن بناه وكان الباني لها باقوم الرومي النجار اي
الذي هو مولى سعيد ابن العاص اقول وكان المناسب ان يكون الذي بناها
باقوم الرومي الذي كان صاحب السفينة التي كسرت انه كما تقدم كان بانيا وسياتي

لتصرح بذلك واما باقوم مولى سعيد ابن العاص فتقدم انه كان نجارا الا ان يقال
باقوم مولى سعيد كان نجارا بنا واشتهر بالوصف الاول ثم رايت في كلام بعضهم
التصريح بذلك فقال وكان اي باقوم الرومي نجارا بنا فقول القايل فكان الباني لها باقوم
النجار مراده باقوم الرومي لا مولى سعيد ثم رايت في بعض الروايات ما يوبد ذلك
وهو وصف باقوم الرومي بانه كان نجارا ونصها فخرجت قريش لتاخذ خشبها اي
السفينة التي كسرت فوجدوا الرومي الذي فيها نجارا فقدموا به وبالخشب فقد دلت
الرواية على انه كان موصوفا بالوصفين ويحتمل ان يكون احدهما بنا والاخر عمل
سقفها او انهما اشتركا فيها لما علمت ان كلا منهما كان بانيا نجارا ثم رايت عن
ابن اسحاق وكان بمكة قبطي يعرف بنجر الخشب وتسويته فوافقهم على ان يعمل لهم سقفها
للكعبة وساعده باقوم اي الرومي فالقبطي هو مولى سعيد ابن العاص وح فغ وصف
هذه الرواية باقوم الرومي بانه كان نجارا كالرواية التي قبلها وسياتي في الرواية
التي تلي هذه انه الذي بناها وهي في الاصابة اسم الرجل الذي بنا الكعبة لقريش باقوم
وكان روميا وكان في سفينة حبستها الريح فخرجت اليها قريش فاخذوا خشبها وقالوا
له ابنها على بنيان الكنايس وان باقوم الرومي اسلم ثم مات ولم يدع وارثا فدفع
النبي صلى الله عليه وسلم ميراثه لسهيل ابن عمرو ثم لما بنوها جعلوا مدماكا من
خشب الساج ومدماكا من الحجارة من اسفلها الى اعلاها وزادوا فيها ستة اذرع
فكان ارتفاعها ثمانية عشر ذراعا ورفعوا بابها من الارض فكان لا يصعد اليها الا
في درج وضاقت بهم النفقة عن بنائها على تلك القواعد فاخرجوا منها الحجر وفي لفظ
اخرجوا من عرضها اذرعا من الحجر وبنوا عليه جدارا قصيرا علامة على انه من الكعبة
فلما بلغ البنيان موضع الحجر الاسود اختصموا كل قبيلة تريد ان ترفعه دون
الاخرى حتى اعدوا للقتال فقربت بنو عبد الدار جفنة مملوة دما ثم تعاقدوا هم
وبنو عدي اي تحالفوا على الموت وادخلوا ايديهم في ذلك الدم في تلك الجفنة فسموا لعقة
الدم وقد تقدم في حلف المطيبين ومكث النزاع بينهم اربعا او خمس ليال ثم اجتمعوا في
المسجد الحرام وكان ابو امية ابن المغيرة واسمه حذيفة اسن قريش كلها يومئذ
اي وهو والد ام سلمة رضي الله عنها وهو احد اجواد قريش المشهورين بالكرم وكان يعرف
بزاد الراكب لانه اذا سافر لا يتزود معه احد بل يكفي كل من سافر معه الزاد اي وذكر
بعضهم ان ازواد الراكب من قريش ثلاثة زمعة ابن الاسود ابن المطلب ابن عبد مناف
قتل يوم بدر كافرا ومسافر ابن ابي عمرو ابن امية وابو امية ابن المغيرة وهو اشهرهم
بذلك وفي كلام بعضهم لا تعرف قريش زاد الراكب الا ابا امية ابن المغيرة وح ويحتمل ان
المراد لا تكاد تعرف قريش غيره بهذا الوصف لشهرته فلا مخالفة وابو امية هذا مات على
دينه وكانه لم يدرك الاسلام فقال يا معشر قريش اجعلوا بينكم فيما تختلفون فيه اول من

يدخل

يدخل من باب هذا المسجد يقضي بينكم اي وهو باب بني شيبة كان يقال له في
الجاهلية باب بني عبد شمس الذي يقال له الان باب السلام وفي لفظ اول من
يدخل من باب الصفا اي وهو المقابل لما بين الركنين اليماني والاسود ففعلوا اي
وفي كلام البلاذري ان الذي اشار على قريش بان تضع الركن اول من يدخل من باب بني شيبة
مهشم ابن المغيرة ويكنى ابا حذيفة وقد يقال لا مخالفة لانه يجوز ان يكون اسمه هو
حذيفة ويكنى بابي حذيفة كما يكنى بابي امية ومهشم لقبه وان الراوي عنه اختلف
كلامه فتارة قيل عنه يقضي بينكم وتارة قيل عنه يضع الحجر الركن المشهود الاول وبين
له ما ياتي فكان اول من دخل منه رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما راوه صلى
الله عليه وسلم قالوا هذا الامين رضينا هذا محمد لانهم كانوا يتحاكمون اليه صلى
الله عليه وسلم في الجاهلية لانه كان لا يداري ولا يماري فلما انتهى اليهم واخبروه
الخبر قال صلى الله عليه وسلم هلم الي ثوبا فاتي به وفي رواية فوضع رسول الله صلى
الله عليه وسلم ازاره وبسطه في الارض اي ويقال انه كسا ابيض من متاع الشام
ويقال ان ذلك الثوب كان للوليد ابن المغيرة فاخذ صلى الله عليه وسلم الحجر فوضعه
فيه بيده الشريفة ثم قال لتاخذ كل قبيلة بناحية من الثوب اي بزاوية من زواياه
ارفعوه ففعلوا فكان في ربع عبد مناف عتبة ابن ربيعة وكان في الربع الثاني زمعة وكان
في الربع الثالث ابو حذيفة ابن المغيرة وكان في الربع قيس ابن عدي حتى اذا بلغوا به موضعه
وضعه صلى الله عليه وسلم اي ولما مات ابو امية ابن المغيرة رثاه ابو طالب بقصيدة
طويلة ورثاه ابن اجحة بقوله

الا هلك الماجد الرافد ... وكل قريش له حامد
ومن هو عصمة ايتامنا ... وغيث اذا فقد الراعد

قال وعن ابن عباس رضي الله عنهما لما وضع رسول الله صلى الله عليه وسلم
الركن اي الحجر ذهب رجل من اهل نجد ليناول النبي صلى الله عليه وسلم حجرا يشد به
الركن فقال العباس رضي الله عنه لا وناول العباس ما شد به الركن فغضب
النجدي وقال واعجبا لقوم اهل شرف وعقول واموال عمدوا الى رجل اصغرهم سنا
واقلهم مالا فراسوه عليهم في مكرمتهم وحرزهم كانهم خدام له اما والله ليفوتنهم
شيئا وليقسمن بينهم حظوظا فكاد يثير شرا فيما بينهم ولعل هذا النجدي هو ابليس
فقد ذكر السهيلي رحمه الله تعالى ان ابليس لعنه الله تعالى تمثل في صورة شيخ نجدي
حين حكموا رسول الله صلى الله عليه وسلم في امر الركن من يرفعه وصاح يا معشر
قريش ارضيتم ان يلي هذا الغلام دون اشرافكم وذوي انسابكم انتهى اي وانما تصور
بصورة نجدي لان في الحديث نجد يطلع منها قرن الشيطان ولما قال صلى الله عليه وسلم
اللهم بارك في شامنا وفي يمننا قالوا وفي نجدنا فاعاد الاول فاعادوا الثاني قال هناك

الزلازل والفتن وفيها يطلع قرن الشيطان **اقول** سياتي انه تصور بهذه الصورة
ايضا عند دخول قريش دار الندوة ليتشاوروا في كيفية قتله صلى الله عليه وسلم ودخل
معهم وسياتي في حكمة تصوره بذلك غير ما ذكر ولا مانع ان يكون حكمة لما هنا ولما ياتي
واعادوا الصور التي كانت في حيطانها لانه كان في حيطانها صور الانبيا بانواع هي
الاصباغ ومن جملتها صورة ابراهيم وفي يده الازلام وصورة اسماعيل وصور الملائكة
وصورة مريم كما سياتي في فتح مكة وكساها زعماؤهم ارديتهم وكانت من الوصايل ولم
يكسها احد بعد ذلك حتى كساها رسول الله صلى الله عليه وسلم الحبرات في حجة الوداع
والله اعلم وهذه المرة الرابعة اي من بناء الكعبة بناءً على ان اول من بناها
الملايكة **في بعض الاثار** ان الله سبحانه وتعالى قبل ان يخلق السموات والارض
كان عرشه على الما اي العذب فلما اضطرب العرش كتب عليه لا اله الا الله محمد رسول
الله فسكن فلما اراد ان يخلق السموات والارض ارسل الريح على ذلك فتموج فعلاه
دخان فخلق من ذلك الدخان السموات ثم ازال ذلك الدخان عن موضع الكعبة فيبس
وفي لفظ ارسل على الما ريحا هفافة فصفقت الريح الما اي ضرب بعضه بعضا فابرز عنه
خشفة اي بالخا المعجمة وهي حجارة يبست بالارض في موضع البيت كانها قبة الحديث
وبسط الله سبحانه وتعالى من ذلك الموضع جميع الارض طولها والعرض فهي اصل
الارض وسرتها وقد يخالفه ما في انس الجليل **وروي** عن علي ابن ابي طالب كرم الله
وجهه انه قال وسط الدنيا بيت المقدس وارفع الارضين كلها الى السما بيت
المقدس وعن ابن عباس ومعاذ ابن جبل رضي الله تعالى عنهم انه اقرب الى السما
باثني عشر ميلا بين ذلك في انس الجليل ولما ماجت الارض وضع عليها الجبال وكان
اول جبل وضع عليها ابو قبيس ومن ثم كان ينبغي ان يسمى ابا الجبال وان يكون افضلها مع
ان افضلها كما قال الجلال السيوطي احد استنباطا لقوله صلى الله عليه وسلم احد
يحبنا ونحبه ولما ورد انه على باب من ابواب الجنة **قال** ولانه من جملة ارض المدينة
التي هي افضل البقاع اي عند تبعا للجمع ولانه مذكور في القران باسمه في قراءة من قرا
اذ تصعدون ولا تلوون على أُحُد اي بضم الهمزة والحا ثم فتق الارض فجعلها سبع
ارضين وقد جا بدا الله خلق الارض في يومين غير مدحوة ثم خلق السموات فسواهن
في يومين ثم دحا الارض بعد ذلك وجعل فيها الرواسي وغيرها في يومين وبهذا
يظهر التوقف في قول مغلطاي ان لفظة بعد في قوله تعالى والارض بعد ذلك دحاها
بمعنى قبل لان خلق الارض قبل خلق السماء لما علمت ان الارض خلقت قبل السماء غير
مدحوة ثم بعد خلق السما دحا الارض **ثم رايت** بعضهم سال ابن عباس رضي الله عنهما
عن ذلك حيث قال له يا امام اختلف علي من القران ايات ثم ذكر منها انه قال
الله تعالى ائنكم لتكفرون بالذي خلق الارض في يومين حتى بلغ طايعين ثم قال وفي

الاية الاخرى ام السما بناها ثم قال والارض بعد ذلك دحاها فاجابه ابن عباس رضي
الله عنهما اما قوله خلق الارض في يومين فان الارض خلقت قبل السما وكانت السما
دخانا فسواهن سبع سموات في يومين بعد خلق الارض واما قوله والارض بعد ذلك
دحاها يقول جعل فيها جبلا وجعل فيها نهرا وجعل فيها شجرا وجعل فيها بحورا
وبه يرد قول بعضهم خلقت السما قبل الارض والظلمة قبل النور والجنة قبل النار
فليتامل وقد جا عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما في قوله تعالى ومن الارض مثلهن قال
سبع ارضين في كل ارض نبي كنبيكم وادم كادمكم ونوح كنوحكم وابراهيم كابراهيمكم
وعيسى كعيساكم رواه الحاكم في المستدرك وقال صحيح الاسناد وقال البيهقي اسناده
صحيح لكنه شاذ بالمرة اي لانه لا يلزم من صحة الاسناد صحة المتن فقد يكون فيه مع
صحة اسناده ما يمنع صحته فهو ضعيف **قال الجلال السيوطي** رحمه الله تعالى ويمكن
ان يؤول على ان المراد بهم النذر الذين كانوا يبلغون الجن عن انبيا البشر ولا يبعد
ان يسمى كل منهم باسم النبي الذي يبلغ عنه هذا كلامه رحمه الله تعالى ومن ثم كان
لنبينا صلى الله عليه وسلم رسول من الجن اسمه كاسمه ولعل المراد اسمه المشهور
وهو محمد فليتامل **ولما خاطب** الله السموات بقوله تعالى ائتيا طوعا او كرها قالتا اتينا
طايعين كان المجيب من الارض موضع الكعبة ومن السما ما حاذاها الذي هو البيت
المعمور وعن كعب الاحبار لما اراد الله تعالى ان يخلق محمدا صلى الله عليه وسلم امر
جبريل عليه السلام ان ياتيه بالطينة التي هي قلب الارض وبهاؤها ونورها فقبض
قبضة رسول الله صلى الله عليه وسلم من موضع قبره الشريف وهي بيضا منيرة لها
شعاع عظيم وعن ابن عباس رضي الله عنهما اصل طينة رسول الله صلى الله عليه
وسلم من سرة الارض بمكة قال بعض العلما هذا يشعر بان ما اجاب من الارض
الا تلك الطينة اي وقد ذكر الشيخ ابو العباس المرسي نفعنا الله به ان النبي صلى
الله عليه وسلم قال يوما لابي بكر الصديق رضي الله عنه اتعرف يوم يوم فقال
ابو بكر رضي الله عنه نعم والذي بعثك بالحق نبيا يا رسول الله سالتني عن يوم المقا
يعني يوم الست بربكم ولقد سمعتك تقول اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول
الله وقد سيل سيدي علي الخواص رحمه الله تعالى ونفعنا ببركاته لم لم تتكلم الانبيا
صلوات الله وسلامه عليهم بلسان الباطن الذي تتكلم به الصوفية بالاصالة الا لو
فهم العامة دون فهم الخاصة الا بعض تلويحات ومنه قوله صلى الله عليه وسلم
للصديق رضي الله عنه اتعرف يوم يوم فقال نعم يا رسول الله الحديث **وتلك الطينة**
لما تموج الما رمى بها من مكة الى محل تربته ومحل مدفنه صلى الله عليه وسلم بالمدينة
وبهذا يندفع ما يقال مقتضى كون اصل طينته صلى الله عليه وسلم بمكة ان
يكون مدفنه بها لان تربة الشخص تكون في محل دفنه ثم يعجنها بطينة ادم عليه السلام

ولعل هذه الطينة هي المعبر عنها بالنور في قوله صلى الله عليه وسلم وقد قال له جابر
رضي الله عنه يا رسول الله اخبرني عن اول شي خلقه الله تعالى قبل خلق الاشيا يا جابر قال صلى الله عليه وسلم
ان الله خلق قبل الاشيا نور نبيك محمد من نوره ولم يكن في ذلك الوقت لا سما ولا
ارض ولا شمس ولا قمر ولا لوح ولا قلم الحديث وجا اول ما خلق الله تعالى نوري وفي
رواية اول ما خلق الله العقل قال الشيخ علي الخواص ومعناهما واحد لان حقيقته صلى
الله عليه وسلم يعبر عنها بالعقل الاول وتارة بالنور فارواح الانبيا والاوليا مستمدة
من روح محمد صلى الله عليه وسلم هذا كلامه وهذا هو المعنى بقول بعضهم لما
تعلقت ارادة الحق بايجاد خلقه ابرز الحقيقة المحمدية من الانوار الصمدية في الحضرة
الاحدية ثم سلخ منها العوالم كلها علوها وسفلها وفيه ان هذا لا يناسبه قوله
ولم يكن في ذلك الوقت لا سما ولا ارضا اذ كيف يتاتي ذلك مع كعب الاحبار رضي الله عنه
امر جبريل عليه السلام ان ياتيه بالطينة التي هي قلب الارض الخ ومع قول ابن عباس
رضي الله عنهما اصل طينة رسول الله صلى الله عليه وسلم من سرة الارض الا ان يقال
ان ذلك النور بعد ايجاده اودع تلك الطينة التي هي قلب الارض وسرها ولا يخالف
ذلك ما جا ان الله تعالى خلق ادم من طينة العزة من نور محمد صلى الله عليه وسلم
فهو صلى الله عليه وسلم الجنس العالي على الاجناس والاب الاكبر لجميع الموجودات
والناس هذا وقد جا في حديث بعض رواته متروك الحديث خلق الله ادم من تراب
الجابية وجا خلق الله آدم من تربة دحنا ومسح ظهره بنعمان الاراك ودحنا محل
قريب من الطائف وتقدم انه يحتاج الى وجه بيان كون ادم خلق من نوره وجعل نوره
في ظهر ادم **ولما خلق الله ادم** عليه السلام وقبل نفخ الروح فيه استخرج ذلك النور
من ظهره واخذ عليه العهد الست بربكم فقد خص بذلك عن بقية خلقه من بني
ادم فان بني ادم ما اخرجوا من ظهر ادم واخذ عليهم الميثاق الا بعد نفخ الروح في
ادم عليه السلام ونقل بعضهم ان الله تعالى لما اخرج النور واعاده في ظهر ادم عليه
السلام امسك روح عيسى عليه السلام حتى ياتي وقت خلقه **ولا يخفى** ان هذا يفيد ان
اخذ العهد على الصديق كان بعد نفخ الروح في ادم عليه السلام واخذ العهد عليه صلى
الله عليه وسلم كان سابقا على ذلك وح فيكون المراد بقول الصديق رضي الله عنه
لما قال له صلى الله عليه وسلم اتعرف يوم يوم قال نعم الى قوله ولقد سمعتك تقول لي
اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا رسول الله اي حين اخذ العهد على بني
ادم لا حين اخذ العهد عليه صلى الله عليه وسلم كما قد يتبادر علمه فليتامل
ثم لما نفخت الروح في ادم عليه السلام صار ذلك النور في ظهر ادم فصارت الملايكة
تقف صفوفا خلف ادم عليه السلام يتعجبون من ذلك النور فقال ادم يا رب ما بال
هولا ينظرون الى ظهري قال تعالى ينظرون الى نور محمد خاتم الانبيا الذي اخرجه

من

من ظهرك فسال الله تعالى ان يجعله في مقدمه لتستقبله الملايكة فجعله الله تعالى
في جبهته ثم سال الله تعالى ان يجعله في محل يراه فكان في سبابته فلما هبط ادم
الى الارض انتقل ذلك النور الى ظهره فكان يلمع في جبهته وفي رواية لما انتقل
النور الى سبابته قال يا رب هل بقي في ظهري من هذا النور شي قال نعم نور اخص
اصحابه فقال يا رب اجعله في بقية اصابعي فكان نور ابي بكر رضي الله عنه في الوسطى
ونور عمر رضي الله عنه في البنصر ونور عثمان رضي الله عنه في الخنصر ونور علي رضي
الله عنه في الابهام **فلما اكل من الشجرة** عاد ذلك النور الى ظهره كذا في بحر العلوم
عن ابن عباس رضي الله عنهما ثم انتقل ذلك النور من ادم الى ولده شيث عليه السلام
ولما قال الله تعالى للملايكة اني جاعل في الارض خليفة قالوا اتجعل فيها من يفسد فيها
يعنون الجن الذين افسدوا فيها وسفكوا الدما غضب عليهم وفي لفظ ظنت الملايكة
اي علمت ان ما قالوا ردا على ربهم وانه قد غضب عليهم من قولهم فلاذوا بالعرش ورفعوا
وطافوا به سبعة اطواف يسترضون ربهم فرضي عنهم وفي لفظ فنظر الله اليهم ونزلت
الرحمة عليهم فعند ذلك قال الله تعالى لهم ابنوا لي بيتا في الارض يعوذ به من سخطت
عليه من بني ادم اي والذي هو الخليفة فيطوفون حوله كما فعلتم بعرشي فارضى عنهم
فبنوا الكعبة وفي هذه الرواية اختصار بدليل ما قيل وضع الله تعالى تحت العرش البيت
المعمور على اربع اساطين من زبرجد يغشاهن ياقوتة حمرا وقال للملايكة طوفوا بهذا
البيت اي لارضى عنكم ثم قال لهم ابنوا لي بيتا في الارض بمثاله قدره ففعلوا وقدره
عطف تفسير على مثاله فالمراد بالمثال القدر وفي لفظ لما قال الله للملايكة اني جاعل في
الارض خليفة وقالوا اتجعل فيها من يفسد فيها الاية خافوا ان يكون الله تعالى
عاتبا عليهم لاعتراضهم في علمه فطافوا بالعرش سبعا يسترضون ربهم ويتضرعون
اليه فامرهم ان يبنوا البيت المعمور في السما السابعة وان يجعلوا طوافهم به فكان
ذلك اهون عليهم من الطواف بالعرش ثم امرهم ان يبنوا في كل سما بيتا وفي كل
ارض بيتا **قال مجاهد** هي اربعة عشر بيتا متقابلة لو سقط بيت منها لسقط على الذي تحته
والبيت المعمور في السما السابعة وله حرمة كحرمة مكة في الارض واسم البيت الذي في
السما الدنيا بيت العزة وفي كلام بعضهم في كل سما بيت يعمره الملايكة كما تعمر اهل الارض
البيت العتيق بالحج في كل عام والاعتمار في كل وقت والطواف في كل اوان وليتنظر ما معنى
الملايكة للبيوت في السموات واذا لم يصح ان الملايكة بنت الكعبة تكون هذه المرة
من بناء قريش وهي المرة الثالثة بناء على ان اول من بناها ادم عليه السلام اي وولده
شيث فقد قال بعضهم ما تقدم من الاثار الدالة على ان اول من بناها الملايكة لم
يصح واحد منها وكانت قبل ذلك اي وكان محلها قبل بنا ادم لها خيمة من ياقوتة
حمرا انزلت لادم عليه السلام من الجنة اي لها بابان باب من زمرد اخضر شرقي وباب
غربي من ذهب منظومان من در الجنة وكان ادم عليه السلام يطوف بها ويانس

اليها وقد حج اليها من الهند ماشيا اربعين حجة ويجوز ان تكون تلك الخيمة هي البيت
المعمور في الان سقف البيت المعمور كان ياقوتة حمرا قال وذكر ان ادم عليه
السلام لما اهبط الى الارض كان رجلاه بها وراسه في السما وفي لفظ كان
راسه يمسح السحاب فصلع فاورث ولده الصلع اي بعض ولده وكان يسمع تسبيح الملايكه
ودعاهم فاستانس بذلك فهابته الملايكة اي تنفر منه فشكا الى الله تعالى فنقص
الى ستين ذراعا بالذراع المتعارف وقيل بذراع ادم فلما فقد اصوات الملايكة حزن
وشكا الى الله تعالى فقال الله تعالى يا ادم اني قد اهبطت بيتا يطاف به اي تطوف به
الملايكة كما تطوف حول عرشي وتصلي عنده كما تصلي عند عرشي اي وكان ذلك
اي الطواف بالعرش والصلاة عنده شان الملايكة اولا فلا ينافي ما تقدم انهم
بعد ذلك صاروا يطوفون بالبيت المعمور كما تقدم فاخرج اليه اي قطف به وصل عنده
وهذا البيت هو هذه الخيمة التي انزلت لاجله وقد علمت انه يجوز ان تكون تلك الخيمة
هي البيت المعمور وقيل اهبط ادم وطوله ستون ذراعا اي على الصفة التي خلق
عليها وهو المراد بقوله صلى الله عليه وسلم خلق الله ادم على صورته وطوله ستون
ذراعا اي اوجده الله تعالى على الهيئة التي خلقه عليها لم ينتقل عن النشاة احوالا
بل خلقه كاملا سويا من اول ما نفخ فيه الروح فالضمير في صورته يرجع لادم عليه
السلام وعلى رجوعه الى الحق سبحانه وتعالى المراد على صفته اي حيا عالما قديرا
مريدا متكلما سميعا بصيرا امرا حكيما وقد يخالف هذا قول ابن خزيمة قوله صلى
الله عليه وسلم ان الله خلق ادم على صورته مخرج على سبب وهو ان النبي صلى
الله عليه وسلم راى رجلا يضرب وجه رجل فقال لا تضربه على وجهه فان الله تعالى
خلق ادم على صورته اي صورة هذا الرجل فهو ينتقل اطوارا ولا يخفى ان هذا خلاف
الظاهر ومن ثم عبر بقوله وقد والقيل المتقدم من انه اهبط وطوله ستون ذراعا
يوافقه ما جا في الحديث المرفوع كان طوله ستين ذراعا في سبعة اذرع ومن ثم قال الحافظ
ابن حجر ان ما روي من ان ادم لما اهبط كانت رجلاه في الارض وراسه في السما فحط الى ستين
ذراعا اي الذي تقدم وظاهر الخبر الصحيح يخالفه وهو انه خلق في ابتدا الامر على طول
ستين ذراعا وهو الصحيح وكان ادم صلى الله عليه وسلم امرد وفي الصحيحين فكل من
يدخل الجنة يكون على صورة ادم عليه السلام وقد جا في صفة اهل الجنة
جرد مرد على صورة ادم وفي بعض الاخبار ان ادم عليه السلام لما كثر بكاؤه على فراق
الجنة نبتت لحيته ولم تنبت اللحية الا ولده وكان مهبطه بارض الهند بجبل عال يراه
البحريون من مسافة ايام وفيه اثر قدم ادم مغموسة في الحجر ويرى على هذا الجبل
كل ليلة كهيئة البرق من غير سحاب ولا بد له في كل يوم من مطر يغسل قدم ادم عليه
السلام وذروة هذا الجبل اقرب ذرا جبال الارض الى السما ولعل هذا وجه النظر
الذي ابداه بعض الحفاظ في قول بعضهم ان بيت المقدس اقرب الارض الى السما بثمانية

عشر ميلا قال بعض الحفاظ وفيه نظر قيل ونزل معه عليه السلام من ورق الجنة فبث
هناك فمنه كان اصل الطيب بالهند وعن عطا ابن ابي رباح ان ادم عليه السلام هبط
بارض الهند ومعه اربعة اعواد من الجنة فهي هذه التي يتطيب الناس بها وجاانه
نزل بنخلة العجوة ثم لما امر الله ادم عليه السلام بالخروج لتلك الخيمة خرج اليها ومد
له في الخطو قيل كانت خطوته مسيرة ثلاثة ايام فقد قيل لمجاهد هل كان ادم عليه
السلام يركب قال واي شي كان يحمله فوالله ان خطوته لمسيرة ثلاثة ايام وفيه
ان هذا يقتضي ان ادم عليه السلام لم يكن يركب البراق فقول بعضهم ان الانبيا عليهم
الصلاة والسلام كانت تركبه مراده مجموعهم لا جميعهم وقبض الله له ما كان في
الارض من مخاض فلم يكن يضع قدمه في شي من الارض الا صار عمرانا وصار خطوه
مفازه حتى انتهى الى مكة فاذا خيمة في موضع الكعبة اي الموضع الذي به الكعبة
الان وتلك الخيمة ياقوتة حمرا من يواقيت الجنة مجوفة اي ولها اربعة اركان بيض
وفيها ثلاث قناديل من ذهب فيها تلتهب من نور الجنة طوله ما بين السما والارض
كذا في بعض الروايات ولعل وصف الخيمة بما ذكر لا ينافي ما تقدم من انه يجوز ان تكون
تلك الخيمة هي البيت المعمور ووصف بانه ياقوتة حمرا لان وصفه كان ياقوتة حمرا الان
الفقد بعيد فليتامل ونزل مع تلك الخيمة الركن وهو الحجر الاسود ياقوتة بيضا من
ارض الجنة وكان كرسيا لادم عليه السلام يجلس عليه اي ولعل المراد يجلس عليه في الجنة
اقول وهذا السياق يدل على ان ادم عليه السلام اهبط من الجنة الى ارض الهند
ابتدا وذكر في مثير الغرام عن ابن عباس رضي الله عنهما ان الله تعالى اهبط ادم
الى موضع الكعبة وهو مثل الفلك من شدة رعدته ثم قال يا ادم تخطا فتخطا فاذا هو
بارض الهند فمكث هناك ما شا الله ثم استوحش الى البيت فقيل له حج يا ادم فاقبل يتخطا
فصار موضع كل قدم قرية وما بين ذلك مفازة حتى قدم مكة الحديث والسياق المذكور
ايضا يدل على ان الخيمة والحجر الاسود نزلا بعد خروج ادم من الجنة ويدل لكون الحجر
الاسود نزل عليه ما في مثير الغرام وانزل عليه الحجر الاسود وهو يتلالا كانه لؤلؤة
بيضا فاخذه ادم عليه السلام فضمه اليه استيناسا به هذا كلامه وفي رواية عنه
انزل الركن والمقام مع ادم عليه السلام ليلة نزل ادم من الجنة فلما اصبح راي الركن
والمقام فعرفهما وضمهما اليه وانس بهما فليتامل الجمع وفي رواية ان ادم عليه السلام
نزل بتلك الياقوتة فعن كعب انزل الله تعالى من السما ياقوتة مجوفة مع ادم عليه
السلام فقال له يا ادم هذا بيتي انزلته معك يطاف حوله كما يطاف حول عرشي
ويصلى حوله كما يصلى حول عرشي اي على ما تقدم ونزل حوله الملايكة فيرفعه قواعده
من الحجارة ثم وضع البيت اي تلك الياقوتة التي عليها ويحتاج الى الجمع بين هاتين
الروايتين على تقدير صحتهما وقد يقال في الجمع يجوز ان تكون المعنية ليست حقيقة

والمراد انه نزل بعد قريبا من نزوله فلقرب الزمن عبر بالمعية فلا ينافي ما تقدم
من قوله يا ادم اني قد اهبطت بيتا يطاف به فاخرج اليه وجا ان ادم عليه السلام نزل
من الجنة ومعه الحجر الاسود متابطا اي تحت ابطه وهو ياقوتة من يواقيت الجنة
ولولا ان الله تعالى طمس نوره ما استطاع احد ان ينظر اليه وكون ادم عليه السلام
نزل بالحجر الاسود متابطا له يخالف الرواية المتقدمة انه نزل مع تلك الخيمة التي هي
الياقوتة بعد نزوله وح فيحتاج الى الجمع بين هاتين الروايتين على تقدير صحتهما
وايضا يحتاج الى الجمع بين ذلك وبين ما روي عن وهب ابن منبه ان ادم عليه السلام لما
امره الله تعالى بالخروج من الجنة اخذ جوهرة من الجنة اي التي هي الحجر الاسود مسح بها
دموعه فلما وصل الى الارض لم يزل يبكي ويستغفر الله ويمسح دموعه بتلك الجوهرة حتى
اسودت من دموعه ثم لما بنى البيت امره جبريل ان يجعل تلك الجوهرة في الركن ففعل
وفي بهجة الاسرار ان الحجر الاسود كان في الابتدا ملكا صالحا ولما خلق الله تعالى ادم
واباح له الجنة كلها الا الشجرة التي نهاه عنها ثم جعل ذلك الملك موكلا على ادم ان
لا ياكل من تلك الشجرة فلما قدر الله سبحانه وتعالى ان ادم عليه السلام ياكل من تلك
الشجرة غاب عنه ذلك الملك فنظر الله تعالى وتجلى الى ذلك الملك بالهيبة فصار حجرا
الا ترى انه جا في الاحاديث الحجر الاسود ياتي يوم القيمة وله يد ولسان واذن وعين
لانه كان في الابتدا ملكا اقول ورايت في ترجمة الشيخ كمال الدين الاخميمي انه لما
جاور بمكة راى الحجر الاسود وقد خرج من مكانه وصار له يدان ورجلان ووجه
ومشى ساعة ثم رجع الى مكانه وقد جا اكثروا من استلام هذا الحجر فانكم توشكون
ان تفقدوه بينما الناس يطوفون به ذات ليلة اذا اصبحوا وقد فقدوه ان الله عز وجل
لا ينزل شيئا من الجنة في الارض الا اعاده فيها قبل يوم القيامة اي فقد جا ليس في
الارض من الجنة الا الحجر الاسود والمقام فانهما جوهرتان من جواهر الجنة ما مسهما ذو
عاهة الا شفاه الله عز وجل وجا استكثروا من الطواف بهذا البيت قبل ان يرفع
وقد هدم مرتين ويرفع في الثالثة والله اعلم وجاء ان ادم عليه السلام اتى ذلك
اي تلك الخيمة التي هي البيت المعمور على ما تقدم الف مرة من الهند ماشيا ثلثمائة حجة
وسبعمائة عمرة واول حجة حجها جاءه جبريل وهو واقف بعرفة فقال له يا ادم بر نسكك
اما انا قد طفنا بهذا البيت قبل ان تخلق بخمسين الف سنة وفي رواية لما حج ادم استقبلته
الملائكة بالردم اي ردم بني جمح الذي هو محل المرعي فقالوا بر حجك يا ادم قد حججنا هذا
البيت قبلك بالف عام اقول وفي تاريخ مكة للازرقي ان ادم عليه السلام حج على رجليه
سبعين حجة ماشيا وان الملائكة لقيته بالمازمين فقالوا بر حجك يا ادم فانا قد حججنا هذا
البيت قبلك بالفي عام والمازمان موضع بين عرفة ومزدلفة قال الطبري ودونهما
ايضا مازمان والله اعلم بالمراد منهما هذا كلامه وجا انه وجد الملائكة بذي طوى

وقالوا

وقالوا له يا ادم ما زلنا ننتظرك ها هنا منذ الفي سنة وكان بعد ذلك اذا وصل الى
المحل المذكور خلع نعليه ويحتاج للجمع بين كون الملائكة استقبلته بالردم وكونها لقيته
بالمازمين وكونه وجدهم بذي طوى وكونهم حجوا البيت قبله بالف عام وكونهم حجوه
قبله بالفي عام وبخمسين الف عام وهل الملائكة خلقوا دفعة واحدة ام خلقوا جيلا
بعد جيل ومما يدل على انهم خلقوا جيلا بعد جيل ما جا من ان من قال سبحان الله وبحمده خلق
الله له ملكا له عينان وجناحان وشفتان ولسان يطير مع الملائكة ويستغفر لقائلها
الى يوم القيامة وما جا ان جبريل عليه السلام في كل غداة يدخل بحر النور فينغمس فيه
الحديث لكن في سفر السعادة الحديث المنسوب الى ابي هريرة انه صلى الله عليه وسلم
قال يامر الله تعالى جبريل عليه السلام كل غداة ان يدخل بحر النور ينغمس فيه انغماسه
ثم يخرج فينتفض انتفاضة يخرج منه سبعون الف قطرة يخلق الله تعالى عز وجل من
كل قطرة منها ملكا لهذا الحديث طرق كثيرة ولم يصح منها شي ولم يثبت في هذا المعنى
حديث هذا لفظه والله اعلم وعند ذلك قال ادم عليه السلام للملائكة ما كنتم تقولون
حوله قالوا كنا نقول سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر قال ادم زيدوا
فيها ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم وكان ادم اذا طاف بالبيت يقولها وكان
طوافه سبعة اسابيع بالليل وخمسة اسابيع بالنهار اي ولما فرغ من الطواف صلى
ركعتين تجاه باب الكعبة ثم اتى الملتزم اي محله فقال اللهم انك تعلم سري وعلانيتي
فاقبل معذرتي وتعلم ما في نفسي وما عندي فاغفر لي ذنبي وتعلم حاجتي فاعطني سولي
الحديث اقول قول الملائكة قد طفنا بهذا البيت لا يحسن ان يصف به تلك الخيمة
المذكورة المعنية بقوله تعالى لادم قد اهبطت بيتا الى اخر ما تقدم اولو انها اهبطت مع
ادم بل المراد محل ذلك البيت الذي هو الخيمة قبل ان تنزل ويجوز ان يكون المراد بتلك
الخيمة بناء على انها البيت المعمور وان الملائكة طافوا به قبل نزولها الى الارض
قال وعن وهب ابن منبه قرات كتابا من كتب الاول ليس من ملك بعثه الله تعالى
الى الارض الا امره بزيارة البيت فينقض من عند العرش محرما ملبيا حتى يستلم
الحجر ثم يطوف سبعا بالبيت ويصلي في جوفه ركعتين ثم يصعد اقول يجوز ان يكون
المراد باحرامه نية الطواف بالبيت لا الاحرام بالعمرة بدليل قوله ثم يطوف سبعا
بالبيت الخ ويجوز ان يكون المراد بالبيت في كلام وهب محل تلك الخيمة او نفس تلك
الخيمة وبين بعث ما بعد من وجد من الملائكة بعد ذلك ولا يخفى ان الاول يبعده قوله
حتى يستلم الحجر وعلى الثاني يكون فيه دلالة على ان الحجر الاسود كان في تلك الخيمة بيت
الطواف بها منه وجا عن عطا وسعيد ابن المسيب وغيرهما ان الله عز وجل اوحى
الى ادم عليه السلام ان اهبط الى الارض ابن لي بيتا ثم احفف به كما رايت الملائكة
تحف ببيتي الذي في السما وفي رواية وطف به واذكرني عنده كما رايت الملائكة تصنع حول
عرشي اي على ما تقدم وهذا السياق بظاهره يوافق ما تقدم عن ابن عباس رضي الله عنه

خلقوا

سيتي

ان هبوط ادم عليه السلام كان من الجنة الي موضع الكعبة والله اعلم قول
وجا ان جبريل عليه السلام بعثه الله الي ادم وحوي فقال لهما ابنيا اي قل لهما
ان الله يقول لكما ابنيا لي بيتا فخط لهما جبريل فجعل ادم يحفر وحوي تنقل التراب حتي
اجابه الما ونودي من تحته حسبك يا ادم وفي رواية حتي اذا بلغ الارض السابعة
فقذفت فيها الملايكة الصخر ما يطيق الصخرة ثلاثون رجلا انتهي وفيه انه ان كان
امر ادم عليه السلام ببنا البيت بعد مجيه من تلك الخيمة من الهند ما شيا خالف ظاهر
ما تقدم عن عطا وسعيد ابن المسيب اوحي الله تعالي الي ادم عليه السلام ان اهبط
الي الارض ابن لي بيتا اذ ظاهره انه اوحي اليه بذلك وهو في الجنة الان يقال
المراد بالارض في قوله اهبط الي الارض ارض الحرم اي اذهب الي ارض الحرم ابن لي بيتا
ثم لا يخفي ان قوله فقذفت فيه الملايكة الصخرة يقتضي ان القا الملايكة للصخر كان بعد
حفر ادم عليه السلام وهو لا يخالف ما تقدم عن كعب انزل الله من السما ياقوتة
مجوفة مع ادم عليه السلام فقال له يا ادم هذا بيتي انزلته معك ونزل معه الملايكة
فرفعوا قواعده من الحجارة ثم وضع البيت عليها فيكون القا الملايكة للصخر بعد حفر
ادم عليه السلام فلما تم ذلك الاساس جعل ذلك البيت فوق الصخور ويكون المراد
بقوله انزل معه الملايكة اي صحبوه من الارض الهند الي ارض الحرم وجا في بعض
الروايات ان ادم وحوي لما استوحشا نزل البيت من السما ذهبا احمر ووكل به من
الملايكة سبعون الف ملك فوضعوه علي اساس ادم ونزل الركن فوضع موضعه الان من
البيت فطاف به ادم اي كما كان يطوف به قبل ذلك وبهذا تجتمع الروايات ولا
مانع ان ينسب بنا هذا الاساس الذي وضعت الملايكة عليه تلك الخيمة الي ادم وان ينسب
للملايكة اما نسبته للملايكة فواضح واما نسبته لادم عليه السلام فلانه السبب فيه اولان
كان اذا القت الملايكة الصخر يضع ادم عليه السلام بعضه فوق بعض وعلي نسبة بنا
ذلك الاساس للملايكة ولادم عليه السلام يحمل القول بان اول من بنا الكعبة الملايكة
والقول بان اول من بنا الكعبة ادم عليه السلام فليتامل وقد جا ان ادم عليه السلام
بناه من لبنان جبل بالشام ومن طور زيتا جبل من جبال القدس ومن طور سينا
جبل بين مصر وايليا وفي كلام بعضهم انه جبل بالشام وهو الذي نودي منه موسي
ومن الجودي وهو جبل بالجزيره ومن حري حتي استوي علي وجه الارض اقول
وفي رواية بناه من ستة اجبل الخمسة السابقة ومن ابي قبيس ومن رضوي ومن
احد فالمستخلص من الروايتين انه بناه من ثمانية اجبل ولا مانع من ذلك واستمر
ذلك البيت الذي هو الخيمة الي زمن نوح عليه السلام فلما كان الغرق بعث الله اليه
سبعين الف ملك رفعوه الي السما الرابعة فهو البيت المعمور كما في الكشاف وكان رفعه
ليلا يصيبه اي الما النجس وبقيت قواعده التي هي الاساس وفي العرايس ثم طافت
السفينة باهلها الارض كلها في ستة اشهر لا تستقر علي شي حتي اتت الحرم فلم تدخله

و دارت بالحرم اسبوعا

و دارت بالحرم اسبوعا وقد رفع الله البيت الذي كان يحجه ادم عليه السلام صيانة
له من الغرق وهو البيت المعمور وكون حوي اسست البيت مع ادم عليه السلام يخالفه
ما جا ان حوي اهبطت بجدة وحرم الله عليها دخول الحرم والنظر الي خيمة ادم والي البيت
من مكة لاجل خطيتها وانها ارادت ان تدخل مع ادم الي مكة فقال لها اليك عني قد
خرجت من الجنة بسببك فتريدين ان احرم هذا فكان ادم عليه السلام اذا اراد ان يلقاها
ليلم بها خرج من الحرم كله حتي يلقاها بالحل وذكر محمد ابن جرير ان الله تعالي اهبط
ادم علي جبل سرنديب بالهند اي وقد تقدم ما فيه وحوي بجدة بالحا المهملة وقيل
بالجيم فجا ادم عليه السلام في طلبها فتعارفا بالحل الذي قيل له بسبب ذلك عرفة فاجتمعا
بالمحل الذي قيل له بسبب ذلك جمع وزلفت اليه بالمحل الذي قيل له بسبب ذلك مزدلفة
وهذا يدل علي ان جمع غير مزدلفة وهو خلاف المشهور من ان جمع هو مزدلفة الا
ان يقال كل من المحلين من جملة البقعة واطلق كل من الاسمين علي جميع تلك البقعة
وقيل سمي المحل عرفة لان جبريل عليه السلام لما علم ابراهيم عليه السلام المناسك
وانتهي الي عرفة قال له اعرفت مناسكك قال نعم فسمي عرفة اي والمراد مناسكه
التي قبل عرفة والا فمعظم المناسك بعد عرفة فليتامل وفي الخصايص الصغري عن
رزين انه روي ان ادم عليه السلام قال ان الله اعطي امة محمد صلي الله عليه وسلم
اربع كرامات لم يعطنيها كانت توبتي بمكة واحدهم يتوب في اي مكان الحديث وهو
يدل علي ان توبته عليه السلام كانت بسبب طوافه بالبيت ويذكر ان حوي عاشت
بعد ادم عليه السلام سنة وجا ان ادم عليه السلام لما فرغ من بنا البيت امره الله
بالمسير الي ان يبني بيت المقدس فسار وبناه ونسك فيه وحينيذ لا اشكل قوله صلي الله ٢ قال م
عليه وسلم وقد قيل له اي مسجد وضع في الارض اولا المسجد الحرام قيل ثم اي قال
بيت المقدس قيل كم بينهما قال اربعون وحينيذ لا حاجة لجواب الامام البلقيني بان المراد
ان المدة المذكورة بين ارضيهما في الدحو اي دحيت ارض المسجد الحرام ثم بعد مضي
مقدار اربعين سنة دحيت ارض بيت المقدس وفيه ان الامام البلقيني انما اجاب
بذلك بنا علي ان سيدنا ابراهيم هو الباني للمسجد الحرام والباني لبيت المقدس سيدنا
سليمان عليه السلام فان بينهما كما قيل اكثر من الف عام وكذا لا اشكال اذا كان
الباني للمسجد الحرام ادم والباني لبيت المقدس احد اولاده كما قيل بذلك ومن ثم
اجاب بعضهم بان سليمان عليه السلام انما كان مجددا لبنا بيت المقدس واما
المؤسس له فسيدنا يعقوب ابن اسحاق بعد بنا جده ابراهيم عليه الصلاة والسلام
للمسجد الحرام بالمدة المذكوره واما علي ان الباني لهما ادم عليه السلام فلا اشكال وفي
اذا كان رواية ان اول من بنا الكعبة اي كلها بعد ان رفعت تلك الخيمة بعد موت
ادم عليه السلام شيث ولد ادم عليهما السلام بناها بالطين والحجارة اي فهي اوليه

اضافته ثم لما جا الطوفان انهدم وبقي محله وقيل انه استمر ولم يبنه احد الى من
ابراهيم عليه السلام ففي رواية ان ابراهيم عليه السلام لما اراد بنا الكعبة جا جبريل
فضرب بجناحه الارض فابرز عن اساس على الارض السابعة ثم بناها ابراهيم
الخليل عليه السلام علي ذلك الاساس ويقال له القواعد كما تقدم وهذا الاساس
كما علمت لادم وللملائكة وانما قيل له اساس ابراهيم وقواعد ابراهيم لانه بني علي
ذلك ولم ينقضه ومما يدل للقيل المذكور ما جا في بعض الروايات عن عايشة
رضي الله تعالي عنها قالت دثر مكان البيت اي بسبب الطوفان بدليل ما جا في
رواية فقد دثر مكان البيت بين نوح وابراهيم عليهما الصلاة والسلام وكان موضعه
اكمة حمرا وكان ياتيه المظلوم والمتعوذ من اقطار الارض وما دعا عنده احد الا
استجيب له وعن عايشة رضي الله تعالي عنها لم يحجه هود ولا صالح لتشاغل هود
عليه السلام بقومه وتشاغل صالح عليه السلام بقومه ثمود وجا ان بين المقام
والركن وزمزم قبر تسعة وتسعين نبيا وجا ان حول الكعبة لقبور ثلثماية نبي وان
ما بين الركن اليماني الى الركن الاسود لقبور سبعين نبيا وكل نبي من الانبيا اذا كذبه
قومه خرج من بين اظهرهم واتي مكة يعبد الله تعالي بها حتي يموت وجا ما بين
الركن اليماني والركن الاسود روضة من رياض الجنه وان قبر هود وشعيب وصالح
واسماعيل عليهم الصلاة والسلام في تلك البقعة **اقول** ويوافق قول بعضهم ان
اسماعيل عليه السلام دفن قبالة الموضع الذي فيه الحجر الاسود لكن جا ان قبر
اسماعيل في الحجر **وذكر المحب الطبري** ان البلاطة الخضرا التي في الحجر قبر اسماعيل وقد يقال
لا منافاة بين كون هود وصالح لم يحجا البيت وبين كونهما دفنا في تلك البقعة لانه
يجوز ان يكونا ماتا قبل وصولهما الى البيت فحج بهما ودفنا في تلك البقعة علي ان بعضهم
ضعف كونهما لم يحجا اي ويدل له انه قد جا حجه هود وصالح ومن معهما وفي بعض
الروايات لم يحج بين نوح وابراهيم احد من الانبيا عليهم الصلاة والسلام ويحتاج
الي الجمع بينه وبين ما تقدم من ان كل نبي اذا كذبه قومه الخ علي تقدير صحتها وقد
يقال لا يحتاج الي الجمع الا ان ثبت ان بين نوح وابراهيم عليهما السلام احد من الانبيا
كذبه قومه علي انه لم يكن بين نوح وابراهيم احد من الانبيا كذبه قومه الا هود
وصالح عليهما السلام وهو يؤيد القول بانهما لم يحجا وتقدم ضعفه وجا في حديث
راويه متروك ان نوحا عليه السلام حجت به السفينه فوقفت بعرفات وباتت بمزدلفة
وطافت به اي بالحرم كما تقدم ان السفينه لم تتجاوز الحرم وهذا لا يناسب قوله وسعت
لان السعي بين الصفا والمروة الا ان يراد بالسعي نفس الطواف فهو من عطف التفسير
انس الجليل ورد حديث شريف ان السفينة طافت ببيت المقدس اسبوعا واستوت علي
الجودي اي وجا ان نوحا عليه السلام قال لاهل السفينه وهي تطوف بالبيت العتيق

انكم في حرم الله وحول بيته لا يمس احد امراة وجعل بينهم وبين النسا حاجزا ويذكر
ان ولده حام تعدي ووطي زوجته فدعا الله عليه بان يسود لون بنيه فاجاب الله
دعاه فجا ولده كوش اسود وهو ابو السودان وقيل في سبب دعوة نوح وسوادهم
غير ذلك وقد بينته ذلك في كتابي اعلام الطراز المنقوش في فضايل الحبوش والله
اعلم وقبر ادم وابراهيم واسحاق ويعقوب ويوسف في بيت المقدس اي بعد ان
نقل سيدنا يوسف من بحر النيل كما سنذكره **قيل** وجا ان الله تعالي اوحي الي
ابراهيم عليه السلام ان ابن لي بيتا فقال ابراهيم اي رب اين ابنيه فاوحي الله تعالي
اليه ان اتبع السكينة وهي روح لها وجه كوجه الانسان اي وقيل كوجه الهر وجناحان
ولها لسان تتكلم به اي وفي الكشاف في تفسير السكينة التي كانت في التابوت
الذي هو صندوق التوراة قيل وهو صورة من زبرجد او ياقوت لها راس كراس
الهر وذنب كذنبه **وعن** علي كرم الله وجهه كان لها وجه كوجه الانسان هذا كلام
الكشاف وفي رواية بعث الله ريحا يقال لها الخجوج لها جناحان وراس في صورة
حية فكشفت لابراهيم واسماعيل ما حول البيت الاول وفي رواية ارسل الله تعالي
فيها راسا فقال الراس يا ابراهيم ان ربك يامرك ان تاخذ بقدر هذه السحابة فجعل
ينظر اليها ويخط قدرها ثم قال الراس له قد فعلت قال نعم فارتفعت فليتامل
الجمع بين هذه الروايات وبينها وبين ان جبريل عليه السلام ضرب بجناحه الارض
فابرز عن اساس الخ وجا ان السكينة جعلت تسير ودليله الصرد وهو الطاير
المعروف اي وهو طاير فوق العصفور ويصيد العصافير وغيرها لان له صفيرا
مختلفا يصفر لكل طاير يريد صيده بلغته فيدعوه الي القرب منه فاذا قرب منه قبضه
واكله من ساعته ويقال له الصوام لانه ورد انه اول طير صام عاشورا **فعن** بعض
الصحابة رضي الله عنه راي رسول الله صلي الله عليه وسلم وعلي يدي صرد فقال
هذا اول طير صام عاشورا لكن قال الذهبي هذا حديث منكر وقال الحاكم حديث
باطل **ويذكر** ان خالد ابن الوليد رضي الله عنه لما هزم طليحة الكذاب الذي ادعي
النبوة في زمنه صلي الله عليه وسلم وقوي امره بعد موته صلي الله عليه وسلم قال
خالد رضي الله عنه لبعض اصحابه ممن اسلم ما كان يقول لكم طليحة
مطلب
من الوحي فقال كان يقول والحمام واليمام والصرد الصوام ليبلغن ملكنا العراق
والشام **وقد سمع** نبي الله سليمان عليه السلام الصرد يصوت فقال يقول استغفروا
الله يا مذنبين وفي الكشاف ان ذلك صياح الهدهد ولا مانع ان يكون ذلك صياحهما
وسمع طاووسا يصوت فقال يقول كما تدين تدان وسمع هدهدا يصوت فقال يقول
من لا يرحم لا يرحم وقد يجمع بينه وبين ما تقدم بانه يجوز ان يكون الهدهد
تارة يقول استغفروا الله يا مذنبين وتارة يقول من لا يرحم لا يرحم وسمع خطافا

بصوت فقال يقول قدموا خيرا تجدوه وسمع ديكا يصوت فقال يقول اذكروا الله
يا غافلين وسمع بلبلا يصوت فقال يقول اذا اكلت نصف تمرة فعلى الدنيا العفا
وصاحت فاختة فقال انها تقول ليت الخلق لم يخلقوا وسمع رخمة تصوت فقال تقول
سبحان ربي الاعلى على سمائه وارضه وقال الحداة تقول كل شي هالك الا وجهه والقطاة
تقول من سكت سلم والببغا تقول ويل لمن الدنيا همه والنسر يقول يا ابن ادم عش
ما شئت واخرك الموت والعقاب يقول في البعد عن الناس انس وعن سيدنا سليمان
صلوات الله وسلامه عليه ليس في الطيور انصح لبني ادم واشفق عليهم من البوم
تقول اذا وقفت عند خربة اين الذين كانوا يتنعمون في الدنيا ويسعون فيها ويل
لبني ادم كيف ينامون وامامهم الشدايد تزودوا يا غافلين لسفركم وعن انس
ابن مالك رضي الله عنه قال خرجت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فراينا طيرا
يضرب بمنقاره على شجرة فقال النبي صلى الله عليه وسلم اتدري ما يقول فقلت الله
ورسوله اعلم قال انه يقول اللهم انت العدل وقد حجبت عني بصري وقد جعت قال فنزلت
جرادة فدخلت في فمه ثم ضرب بمنقاره الشجر فقال صلى الله عليه وسلم اتدري ما
يقول قلت لا قال انه يقول من توكل على الله كفاه ويقال لما قال سليمان للهدهد
لاعذبنك عذابا شديدا قال له الهدهد اذكر يا نبي الله وقوفك بين يدي الله فلما
سمع سليمان ذلك ارتعدت فرايصه فرق وعفا عنه اي فان الهدهد كان دليلا له
على الماء فان الهدهد يرى الما تحت الارض كما يرى الما في الزجاجة فلما فقد سليمان
انما تفقد الطير فلم يجده فارسل خلفه العقاب فراه مقبلا من جهة اليمن فلما راه
الهدهد منقضا عليه قال بالحق من اقدرك على الا رحمتني قيل لابن عباس سبحان
الله الهدهد يرى الما تحت الارض ولا يرى الفخ قال اذا وقع القضا عمي البصر قيل عني
سيدنا سليمان بالعذاب الشديد الذي يعذب به الهدهد التفرقة بينه وبين الفه وقيل
بالزامه خدمة اقرانه وقيل صحبة الاضداد وقد قيل اضيق السجون عشرة الاضداد
وقيل لازوجنه قال تعالى حكاية عنه علمنا منطق الطير عبر عن اصواتها بالمنطق لما
يتخيل منها من المعاني التي تدرك من النطق فسليمان صلوات الله وسلامه عليه مهما
سمع من صوت طاير علم بقوته القدسية الفرض الذي اراده ذلك الطاير وهذا في
طاير لم يفصح بالعبارة والا فقد سمع من بعض الطيور الافصاح بالعبارة فنوع من
الغربان يفصح بقوله الله حق وعن بعضهم قال شاهدت غرابا يقرا سورة السجدة
فاذا وصل الى محل السجود سجد وقال سجد لك سوادي وامن بك فوادي والدرة
تنطق بالعبارة الفصيحة وقد وقع لي اني دخلت منزلا لبعض اصحابنا وفيه درة لم
ارها فاذا هي تقول مرحبا بالشيخ البكري وتكرر ذلك فعجبت من فصاحة عبارتها
وكان يعرف نطق الحيوان غير الطير فقد جا ان سليمان عليه السلام سمع النملة

وقد امست بصوت جنود سليمان عليه السلام تقول للنمل ادخلوا مساكنكم لا
يحطمنكم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون فعند ذلك امر سليمان الريح فوقفت حتى
دخل النمل مساكنها ثم جا سليمان الى تلك النملة وقال لها حذرت النمل ظلمي قالت
اما سمعت قولي وهم لا يشعرون على اني لم ارد حطم النفوس اي هلاكها انما اردت
حطم القلوب خشية ان يشتغلن بالنظر اليك عن التسبيح اي فيمتن فقد جا مرفوعا
اجال البهايم كلها وخشاش في التسبيح فاذا انقضى تسبيحها قبض الله ارواحها
ويروي ما من صيد يصاد ولا شجرة تقطع الا بغفلتها عن ذكر الله تعالى وفي الحديث
الثوب يسبح فاذا اتسخ انقطع تسبيحه وفي رواية ان النملة قالت له عليه السلام
انما خشيت ان تنظر الى ما انعم الله به عليك فتنكر نعم الله عليها فقال لها عظيني
قالت تدري لما جعل ملكك في فص خاتمك قال لا قالت اعلمك ان الدنيا لا تساوي
قطعة من حجر ومن عجيب صنع الله ان النملة تغتذي بشم الطعام لانه لا جوف لها
يكون به الطعام ويذكر ان هذه النملة التي خاطبت سيدنا سليمان اهدت له نبقة
وضعتها له في كفه ويحكي عنها لطيفة لا نطيل بذكرها وفي فتاوي السيوطي قال
الثعالبي في زهرة الرياض لما تولى سليمان عليه السلام الملك جاه جميع الحيوانات
يهنونه الا النملة واحدة فجات تعزيه فعاتبها النمل في ذلك فقالت كيف اهنيه وقد
علمت ان الله تعالى اذا احب عبدا زوى عنه الدنيا وحبب اليه الاخرة وقد شغل
سليمان بامر لا يدري ما عاقبته فهو بالتعزية اولى من التهنية وجاه في بعض
الايام شراب من الجنة فقيل له ان شربته لم تمت فشاور جنده فكل اشار بشربه الا
القنفذ فانه قال لا تشربه فان الموت في العز خير من البقا في سجن الدنيا قال صدقت
فاراق الشراب في البحر قال وصار ابراهيم واسماعيل يتبعان الصرد حتى
وصلا الى محل البيت صارت السكينة سحابة وقالت يا ابراهيم خذ قدر ظلي فابن عليه
وفي لفظ لما امر ابراهيم عليه السلام ببناء البيت ضاق به ذرعا فارسل الله السكينة
وهي ريح خجوج ملتوية في هبوبها لها راس الحديث فحفر ابراهيم واسماعيل عليهما
السلام فابرزا اي الحفر عن اساس ثابت في الارض فبنا ابراهيم واسمعيل يناوله
الحجارة صلاة الله وسلامه عليهما اي التي تاتي بها الملايكة كما سياتي حتى ارتفع البنا
اقول يحتمل ان ابراهيم عليه السلام لما اوحي الله اليه بذلك كان في مكة عند اسماعيل
وانهما كانا بمحل بعيد من البيت ويحتمل انهما كانا بغيرها ثم جاا او قد قيل في قوله تعالى
ان ابراهيم كان امة قانتا الاية اي قايما مقام الامة لانفراده بعبادة الله تعالى في
ارضه لانه لم يكن على وجه الارض من يعبد الله تعالى سواه والله اعلم قال
ثم لما ارتفع البنا جا بالمقام اي وهو الحجر المعروف فقام عليه وهو يبني وهما يقولان
ربنا تقبل منا انك انت السميع العليم وصار كلما ارتفع به المقام في الهوى فاثر

قدم ابراهيم في ذلك الحجر وقيل انما اثر في صخرة اعتمد في صخرة اعتمد عليها وهو
قايم حين غسلت زوجة اسماعيل عليه السلام له راسه لان لا سارة كانت اخذت
عليه عهدا حين استاذنها في الذهاب الي مكة لينظر كيف حال اسماعيل وهاجر فحلف
لها ان لا ينزل عن دابته اي التي هي البراق ولا يزيد على السلام واستطلاع الحال غيرة
من سارة عليه من هاجر فحين اعتمد على الصخرة ابقي الله اثر قدمه اية وفيه كيف
يعتمد بقدمه على الصخرة وهو راكب دابته الا ان يقال لما مال بشقه اعتمد عليها
باحد رجليه مع ركوبه وهذا يدل على ان الموجود في المقام اثر قدمه لا قدميه ٥
ووقوفه عليها في حالة البنا يدل على ان الموجود فيه اثر قدميه فلينظر وجعل
ارتفاع البيت تسعة اذرع قيل وعرضه ثلاثون قال بعضهم وهو خلاف المعروف
ولم يجعل له سقفا ولا بناه بمدر وانما رصه رصا وجعل له بابا اي منفذا لا مصراعا
لا رض غير مرتفع عنها ولم ينصب عليه بابا اي يقفل وانما جعله تبع الحميري بعد
ذلك وحفر له بيرا داخله عند بابه اي على يمين الداخل منه يلقي فيها ما يهدي
اليه وكان يقال لها خزانة الكعبة كما تقدم ولما اراد عليه السلام ان يجعل حجرا
يجعله علما للناس اي يبدون الطواف منه ويختمونه به ذهب اسماعيل الي الوادي
يطلب حجرا فنزل جبريل عليه السلام بالحجر الاسود يتلالا نورا اي فكان نوره يضي ٢ ابراهيم م
الي منتهي انصاب الحرم من كل ناحية وفي الكشاف انه اسود لمماسة الحيض في
الجاهلية وتقدم انه اسود من مسح ادم بدموعه وجا ان خطايا بني ادم سودته
واما شق سواده بسبب اصابة الحريق له اولا في زمن قريش وثانيا في زمن عبد الله
ابن الزبير رضي الله عنهما وقد كان رفع الي السما حين غرقت الارض في زمن نوح
عليه السلام بناء على انه كان موجودا في تلك الخيمة كما تقدم وفي رواية ابراهيم عليه
السلام قال لاسماعيل عليه السلام يا بني اطلب لي حجرا حسنا اضعه هاهنا قال يا
ابت اني كسلان لغب اي تعب قال علي بذلك فانطلق ليا تيه بحجر فجاه جبريل بالحجر
من الهند وهو الحجر الذي خرج به ادم من الجنة اي كما تقدم فوضعه ابراهيم موضعه
وقيل وضعه جبريل وبني عليه ابراهيم وجاء اسماعيل عليه السلام بحجر من
الوادي فوجد ابراهيم قد وضع ذلك الحجر اي وبني عليه فقال من اين هذا الحجر من جاك
به قال ابراهيم عليه السلام من لا يكلني ولا الي حجرك وفي لفظ جاني به من هو انشط ٣ الركن م
منك وفي لفظ ان اسماعيل جاه بحجر من الجبل قال غير هذا اريد فرده مرارا لا يرضي ما ياتيه
به وفي جا ان الله تعالي استودع الحجر ابا قبيس حين اغرق الله الارض زمن نوح عليه
السلام وقال اذا رايت خليلي يبني بيتي فاخرجه له اي فلما انتهي ابراهيم عليه
السلام لمحل الحجر نادي ابو قبيس ابراهيم فقال يا ابراهيم هذا الركن فجا فحفر عنه
فجعله في البيت وقيل تمحض ابو قبيس فانشق عنه اقول وفي لفظ قال يا ابراهيم

يا خليل الرحمن ان لك عندي وديعة فخذها فاذا هو بحجر ابيض من ياقوت الجنة ومن ثم
كان ابو قبيس يسمي في الجاهلية الامين لحفظ ما استودع وسمي ابا قبيس باسم رجل من
جرهم اسمه قبيس هلك فيه وقيل باسم رجل من مذحج بني فيه يقال له ابو قبيس وقيل
لانه اقتبس منه الحجر الاسود فسمي بذلك ويحتاج للجمع بين ما ذكر على تقدير صحته وما
ذكر في ترجمة الياس احد اجداده صلي الله عليه وسلم لانه اول من وضع الركن
اي الحجر الاسود حين غرق البيت وانهدم زمن نوح عليه السلام فكان اول من سقط
عليه اي اول من علم به في زاوية البيت فليتامل والله اعلم اي وعن عبد الله
ابن عمر رضي الله عنهما انه قال عند المقام اشهد به بكرها سمعت رسول الله صلي
الله عليه وسلم يقول الركن والمقام ياقوتتان من ياقوت الجنة طمس الله نورهما
ولولا ان نورهما طمس لاضاما بين المشرق والمغرب اي من نورهما ولعل طمس نور
الحجر كان بسبب ما تقدم فلا مخالفة وجا انهما يقفان يوم القيامة وهما في العظم
مثل ابي قبيس يشهدان لمن وافاهما بالوفا وعن ابن عباس رضي الله تعالي عنهما ١
لولا ما مسهما من اهل الشرك ما مسهما ذو عاهة الا شفاه الله تعالي وعن جعفر
الصادق رضي الله عنه لما خلق الله الخلق قال لبني ادم الست بربكم قالوا بلي
فكتب القلم اقرارهم ثم القم ذلك الكتاب الحجر فهذا الاستلام له انما هو بيعة على
اقرارهم الذي كانوا اقروا به قال وكان ابو ابي على رضي الله عنه يقول
اذا استلم الحجر اللهم امانتي اديتها وميثاقي وفيت به يشهد لي عندك بالوفا
وفي كلام السهيلي ان العهد الذي اخذ الله تعالي علي ذرية ادم عليه السلام
حين مسح ظهره ان لا يشركوا به شيا كتبه في صك والقمه الحجر الاسود ولذلك يقول
المستلم اللهم ايمانا بك ووفاء بعهدك وهذا الذي قاله السهيلي مروي عن علي
ابن ابي طالب كرم الله وجهه فمن سيدنا عمر رضي الله عنه انه لما دخل المطاف
قام عند الحجر وقال والله اني لاعلم انك حجر لا تضر ولا تنفع ولولا اني رايت رسول
الله يقبلك ما قبلتك فقال له كرم الله وجهه بلي يا امير المومنين هو يضر وينفع
قال ولم قلت ذلك قال قلت بكتاب الله قال واين ذلك من كتاب الله تعالي قلت
قال الله تعالي واذ اخذ ربك من بني ادم من ظهورهم ذرياتهم واشهدهم علي
انفسهم الاية وكتب ذلك في رق وكان هذا الحجر له عينان ولسان فقال له افتح
فاك فالقمه ذلك الرق وجعله في هذا الموضع فقال تشهد لمن وافاك بالموافاة يوم
القيامة فقال عمر رضي الله عنه اعوذ بالله ان اعيش في يوم لست فيه يا ابا
الحسن وقد جا الحجر الاسود يمين الله في الارض قال الامام ابن فورك وكان
ذلك سببا لاشتغالي بعلم الكلام فاني لما سمعت بذلك سالت فقيها كنت
اختلف اليه عن معناه فلم يجر جوابا فقيل لي سل عن ذلك فلانا من المتكلمين

فسألته فاجاب بجواب شاف فقلت لا بد لي من معرفة هذا العلم فاشتغلت به وعن قتادة
قال ذكر لنا ان ابراهيم عليه السلام بني البيت من خمسة اجبل من طور سينا ولبنان و
الجودي وحرا وذكر لنا ان قواعده من حرا التي وضعها ادم عليه السلام مع الملايكة
الكرام اقول تقدم ان تلك القواعد كانت من جبل لبنان ومن طور سينا ومن طور زيتا
ومن الجودي ومن حرا الا ان يقال يجوز ان يكون معظم ذلك من حرا فليتامل وذكر بعضهم
ان لم ركنين وهما اليمانيان اي لم يجعل له ابراهيم سوي الركنين المذكورين فجعلت لها قريش
حين بنته اربعة اركان وذكر الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى ان ذا القرنين الاول وهو
المذكور في القران في قصة موسي عليه السلام وهو اسكندر الرومي قدم مكة فوجد
ابراهيم واسماعيل يبنيان الكعبة فاستفهمهما من ذلك فقالا نحن عبدان ماموران فقال
لهما من يشهد لكما فقامت خمسة اكبش شهدت اي قلن نشهد ان ابراهيم واسماعيل مامورا
بالبنا فقال رضيت وسلمت وقال لهما صدقتما وعن ابن عباس رضي الله عنهما لما كان
ابراهيم واسماعيل بمكة واقبل ذو القرنين عليهما فلما كان بالابطح قيل له في هذه البلدة
ابراهيم خليل الرحمن فقال ذو القرنين ما ينبغي لي ان اركب في بلدة فيها ابراهيم خليل الرحمن
فنزل ذو القرنين ومشي الي ابراهيم فسلم عليه ابراهيم عليه السلام واعتنقه فكان
اول من عانق عند السلام قال الفاكهي واظن الاكبش المذكوره اي التي شهدت احجارا
ويحتمل ان يكن غنما ووصف ذي القرنين بالاكبر احترازا عن ذي القرنين الاصغر وهو
الاسكندر اليوناني فانه كان قريبا من زمن عيسى عليه السلام وكان بين ابراهيم وعيسي
عليهما السلام اكثر من الفي سنة وكان كافرا والله اعلم وعن ابن عباس رضي الله عنهما
لما فرغ ابراهيم عليه السلام من بنا البيت قال يا رب قد فرغت قال اذن في الناس بالحج
قال اي رب كيف اقول قال قل يا ايها الناس كتب عليكم الحج الي بيت الله العتيق فاجيبوا
ربكم عز وجل فوقف علي المقام وارتفع به حتي كان اطول الجبال فنادي وادخل
اصبعيه في اذنيه واقبل بوجهه شرقا وغربا ينادي بذلك ثلاث مرات اي وزويت له
الارض يوميذ سهلها وجبلها وبرها وبحرها وانسها وجنها حتي اسمعهم جميعا فقالوا
لبيك اللهم لبيك وبدا بشق اليمن وح يكون اول من اجاب اهل اليمن وسياتي التصريح بذلك
في بعض الروايات وعن ابن عباس رضي الله عنهما كان اهل اليمن اكثر اجابة ومن ثم جا
الحديث الايمان يمان وقال صلى الله عليه وسلم في حق اقوام يريدهم اهل اليمن يريد اقوام
ان يضعوهم ويابي الله الا ان يرفعهم وروي الطبراني باسناده عن علي كرم الله وجهه
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من احب اليمن فقد احبني ومن ابغضهم فقد
ابغضني ومما يوثر عن ابراهيم الخليل صلوات الله وسلامه عليه من علم ان كلامه من
عمله قل كلامه الا فيما يعنيه وقد ذكر في تفسير قوله تعالى فيه ايات بينات مقام
ابراهيم هو ندا ابراهيم عليه السلام على المقام بما ذكر وقيل له البيت العتيق لانه اعتق

من الجبابرة لم يدعه اي بحيث ينسب اليه جبار من الجبابرة الذين كانوا يمكنون مع العمالقة
وجرهم وقال القاضي تبعا للكشاف لانه اعتق من تسلط الجبابرة فكم من جبار سار
اليه ليهدمه فمنعه الله تعالى قال واما الحجاج فانه كان قصد اخراج ابن الزبير
رضي الله عنه لما تحصن به دون التسليط عليه كذا قال بعضهم وعن عبد الله
ابن عمر ابن الخطاب رضي الله عنهما قال انما سميت ببكة اي بالموحدة لانها كانت
تبك اعناق الجبابرة ولينظر من قصد ليهدمه من الجبابرة غير ابرهة ثم رايت في
الشرف ان ثلاثة غيره قصدوا هدمه اثنان قاتلتهما خزاعة ومنعتهما والثالث كان (ثلاثة)
في اول زمان قريش اراد هدمه حسدا علي شرف الذكر لقريش به وان كان يبني عنه
بيتا يصرف حج العرب اليه فلما قارب مكة اظلمت الارض وايقن بالهلاك واقلع عن تلك
النية ونوي ان يكسو البيت وينحر عنده فانجلت الظلمة ففعل ذلك وفيه ان هذا الذي
حصلت له الظلمة انما هو تبع الاول فانه لما عمد الي البيت يريد تخريبه ارسلت
عليه ريح كتفت يديه ورجليه واصابته وتوم من ظلمة شديدة وفي رواية اصابه داء تمخض (واصحفه)
منه راسه قيحا وصديدا اي تنبح لجاحتي لا يستطيع احد ان يدنو منه فدعا بالاطبا
فسالهم عن دايه فهالهم ما راوه منه ولم يجد له عندهم فرجا ففعل ذلك قال له
الحبر لعلك هممت بشي في حق هذا البيت فقال نعم اردت هدمه فقال له تب الي الله
تعالى مما نويت فانه بيت الله وحرمه وامره بتعظيم حرمته فبرا من دايه وقيل لانه
اول بيت وضع في الارض وقيل لانه اعتق من الغرق بسبب الطوفان في زمن نوح عليه
السلام كذا في الكشاف وغيره وفيه نظر ظاهر لما تقدم من دثوره بالطوفان ولما
ذكر في قصة نوح انه لما بعث الحمامة من السفينة لتاتيه بخبر الارض فوقفت بوادي
الحرم فاذا الما قد نضب من موضع الكعبة وكانت طينتها حمرا فاختضبت رجلاها الا
ان يقال ان معني اعتق انه لم يذهب بالمرة بل بقي اثره وفي الخميس عن ابن هشام رحمه
الله تعالى ان ما الطوفان لم يصل للكعبة ولكن قام حولها وبقيت في هوا السما اي
بنا علي ان الكعبة هي الخيمة التي كانت علي زمن ادم عليه السلام وتقدم عن الكشاف
انها رفعت الي السما الرابعة وانها البيت المعمور وهذا كما علمت علي ان المراد بالكعبة
الخيمة التي كانت لادم وقوله قام حولها يويد انه لم يعل علي تلك الخيمة ولعله لا ينافيه
ما تقدم في قصة نوح عليه السلام فليتامل وفي رواية ان ابراهيم عليه السلام نادي يا
ايها الناس ان الله كتب عليكم الحج فحجوا وفي لفظ ان ربكم قد اتخذ بيتا وطلب منكم ان تحجوه
فاجيبوا ربكم كرر ذلك ثلاث مرات فاسمع من في اصلاب الرجال وارحام النسا فاجابه
من كان سبق في علم الله ان يحج الي يوم القيمة لبيك اللهم لبيك فليس حاج يحج الي ان تقوم
الساعة الا من كان اجاب ابراهيم عليه السلام ومن لبي تلبية واحدة حج حجة واحدة
ومن لبي مرتين حج حجتين وهكذا وفي لفظ لما نادي ابراهيم عليه السلام فما خلق الله

جبل ولا شجر ولا شيء من المطيعين له الا اجاب لبيك اللهم لبيك **اقول** لا يخفى انه
يحتاج الي الجمع بين هذه الروايات فيما نادي ابراهيم عليه السلام وسياتي ومعلوم
ان اجابة غير العقلا اجابة اجلال وتعظيم ولعل المراد بالكتب مطلق الطلب لا
خصوص الوجوب لانه لم يفرض الحج على هذه الامة الا بعد الهجرة في السنة السادسة
وقيل في التاسعة وقيل في العاشرة كما سياتي واما بقية الامم من بعد ابراهيم فلم
اقف على وجوب الحج عليهم **وقد ذكر** بعض المتاخرين من اصحابنا ان الصحيح انه لم يجب
الحج الا على هذه الامة واستغرب وفي الخصايص الصغرى وافترض اي على هذه الامة ما
افترض على الانبيا والرسل وهو الوضوء والغسل من الجنابة والحج والجهاد وهو يفيد
انه كان واجبا على الانبيا والرسل وفيه ان الاصل ان ما وجب في حق نبي وجب في
حق امته الا ان يقوم الدليل الصحيح على الخصوصية وقوله وهو الوضوء وسياتي
ما في الوضوء والله اعلم اي **ثم اتي بالمقام** فوضعه قبلة اي ملصقا بالبيت على يمين
الداخل فكان يصلي اليه مستقبل الباب اي جهته واول من اخره عن ذلك المحل
ووضعه موضعه الان عمر رضي الله عنه اي وقد تقدم ذلك عن ابن كثير **اقول**
وقيل ان اول من وضعه الان النبي صلى الله عليه وسلم في فتح مكة وسياتي
الجمع بين هذين القولين وياتي ما فيه وذكر الطبري ان محله اولا المنخفض اي الذي
تسميه العامة المعجنة اي محل عجن الطين للكعبة وذلك المنخفض هو محل صلاة جبريل
به صلى الله عليه وسلم الصلوات الخمس في اليومين كما سياتي ونازع في ذلك العز
ابن جماعة وقال لو كان ذلك لشهر عليه بالكتابة في الحفرة ورد بان ذلك ليس بلازم
والناقل ثقة وهو حجة على من لم ينقل وذكر ابن حجر الهيتمي في رواية اخرى عن ابن عباس
رضي الله عنهما ان ابراهيم عليه السلام صعد ابا قبيس وقيل صعد ثبيرا واذن وان
اول من اجابه اهل اليمن اي كما تقدم بانه بدا بشق اليمن ولا مانع من تعدد ذلك
اي وقوفه على تلك الاماكن التي هي المقام وابو قبيس وثبير ويجوز ان يكون قال في بعض
الاماكن ما لم يقله في غيره مما تقدم فلا مخالفة بين تلك الروايات فيما نادي به
ابراهيم عليه السلام **وجا** انه لما فرغ من دعايه ذهب به الي جبريل فاراه الصفا
والمروة وحدود الحرم وامره ان ينصب عليها الحجارة ففعل وعلمه المناسك اي مع
اسماعيل ففي العرايس خرج جبريل بهما يوم التروية الي مني فصلي بهما الظهر والعصر
والمغرب والعشا الاخرة ثم بات بهما حتي اصبحا فصلي بهما صلاة الصبح ثم غدا بهما الي
عرفة فقام بهما هناك حتي زالت الشمس جمع الصلاتين الظهر والعصر ثم رجع بهما الي
الموقف من عرفة فوقف بهما علي الموقف الذي يقف عليه الناس الان فلما غربت
الشمس دفع بهما الي مزدلفة فجمع بين الصلاتين المغرب والعشا الاخرة ثم بات بهما حتي
طلع الفجر ثم صلي بهما صلاة الغداة ثم وقف بهما علي قزح حتي اذا اسفر افاض بهما

موضعه

الي مني فاراهما كيف رمي الجمار ثم امرهما بالذبح واراهما المنحر من مني وامرهما با
لحلق ثم افاض بهما الي البيت فليتامل ذلك فان فيه التصريح بان ابراهيم واسماعيل
صليا مع جبريل عليه السلام جماعة الصلوات الخمس وجمعا تقديما بين الظهر والعصر
وتاخيرا بين المغرب والعشا للنسك وهو مخالف لقول ايمتنا لم تجمع الصلوات الخمس
الا لنبينا صلى الله عليه وسلم ففي الخصايص الصغرى وخص صلى الله عليه وسلم
بمجموع الصلوات الخمس ولم تجمع لاحد وبالعشا ولم يصلها احد وبالجماعة في الصلاة
الا ان يدعي ان المراد الجمع على جهة المداومة على ذلك لجواز ان ابراهيم واسماعيل
عليهما السلام لم يداوما على ذلك وفيه ما لا يخفى **وفي الوفا** عن وهب قال اوحي
الله تعالى الي ادم عليه السلام انا الله ذو مكة اهلها جيرتي وزوارها وفدي
وفي كنفي اعمرها باهل السما واهل الارض ياتونه افواجا شعثا غبرا يعجون بالتكبير
عجا ويثجون بالتلبية ثجيجا وينحبون بالبكا نحبا فمن اعتمره لا يريد غيره فقد
زارني وضافني ووفد الي ونزل بي وحق لي ان اتحفه بكرامتي اجعل ذلك البيت وذكره
وشرفه ومجده وثناه لنبي من ولدك يقال له ابراهيم ارفع له قواعده واقضي على
يديه عمارته وانيط له سقايته واريه حله وحرمه واعلمه مشاعره ثم يعمره الامم
والقرون ثم ينتهي الي نبي من ولدك وخاتم النبيين واجعله من سكانه وولاته
وحجابه وسقاته فمن سالني يومئذ فانا مع الشعث الغبر الموفين بنذورهم
المقبلين على ربهم ولما دعا ابراهيم عليه السلام بقوله وارزقهم من الثمرات اي علي
ذلك وهو على ثنية كداء بالمد **فعن** ابن عباس رضي الله عنهما ان ابراهيم عليه
السلام حين قال فاجعل افيدة من الناس تهوي اليهم وارزقهم من الثمرات كان
على الثنية العليا ذكره السهيلي وعند ذلك نقل له الطايف من فلسطين من ارض الشام
اي ببركة دعايه يوجد بمكة الفواكه المختلفة الازمان من الربيعية والصيفية والخريفية
في يوم واحد ذكره في الكشاف **ثم لما فرغ** اي من بنا البيت وحج وطاف بالبيت لقيته الملا
في الطواف فسلموا عليه فقال لهم ما تقولون في طوافكم قالوا كنا نقول قبل ابيك ادم
عليه السلام سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر فاعلمناه بذلك فقال ادم زيدوا
ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم فقال ابراهيم عليه السلام زيدوا فيها العلي
العظيم فقالت الملايكة ذلك وكان بنا ابراهيم للبيت بعد ان مضي من عمره ماية سنة
ثم بناه العماليق ثم بنته جرهم وقيل عكسه وقد يتوقف في بنا العماليق له اما في الاول
فلان اول من نزل بمكة مع هاجر وولدها اسماعيل جرهم والهم بعد اسماعيل وبعض
ولده كانوا ولاة البيت واما في الثاني فلان ولاية البيت كانت لخزاعة بعد جرهم كما
تقدم وكيف يبنون البيت ولا ولاية لهم عليه الان يقال لا مانع ان يكونوا حاهل ثروة
لخلاف جرهم وخزاعة **ثم رايت** عن ابن عباس رضي الله عنهما ان العمالق كانوا في عز

يكر

وكانت لهم اموال كثيرة وان الله تعالى سلبهم ذلك لما تظاهروا بالمعاصي وسلط
عليهم الذر حتى خرجوا من الحرم وتفرقوا وهلكوا والذر في النمل كالزنبور في هـ
النحل وفي تاريخ مكة للفاكهي ان العماليق قدموا مكة لما قدم وفد عاد للاستسقا
بالبيت وقيل كانوا بعرفة ولما اخرج الله تعالى زمزم لاسماعيل بواسطة جبريل ففي
ربيع الابرار ان جبريل اخرج زمزم مرتين مرة لادم عليه السلام ومرة لاسماعيل
عليه السلام وعند ذلك تحولوا الى مكة لما علموا بذلك وقيل كانوا بعد جرهم قال
العزيزي ولا يصح ذلك ثم رايت العزيزي صحح ذلك رحمه الله تعالى قال وفي كتاب
اخبار مكة للفاكهي ما يدل على تقدم بناء جرهم على بناء العماليق ولا يصح ذلك لاتفاقهم على
ان ولاية العمالقة على مكة كانت قبل ولاية جرهم وعلى انه لم يلِ مكة بعد
جرهم الا خزاعة ولا يخفى ان هذا صريح في ان العمالقة بنته ولا بد ان بناهم له كان
قبل بناء جرهم له والعماليق من ولد عملاق او عمليق بن لاود بن سام بن نوح عليه
السلام قيل وهو اول من كتب بالعربية وقيل من ولد العيص ابن اسحاق بن ابراهيم
عليهما السلام ثم بناه قصي جده صلى الله عليه وسلم وسقفه بخشب الروم ثم بنته
قريش كما تقدم ثم بناه بعد قريش عبد الله ابن الزبير رضي الله عنهما اي ويكنى
ابا خبيب بضم المعجمة وفتح الباء الموحدة وكني بخبيب لان خبيبا كان رجلا بالمدينة من
النساك طويل الصلاة قليل الكلام اي وعبد الله رضي الله عنه كان مشابها له في
ذلك فكني به هذا وفي كلام ابن الجوزي انه كان لعبد الله ابن الزبير رضي الله عنه
ولد يقال له خبيب حيث قال خبيب ابن عبد الله ابن الزبير ضربه عمر ابن عبد العزيز
بامر الوليد مائة صوت فمات لانه لما حدث عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال
اذا بلغ بنو ابي العاص اربعين رجلا وفي رواية ثلاثين وفي رواية اذا بلغ بنو
الحكم ثلاثين رجلا وفي رواية اذا بلغ بنو امية اربعين رجلا اتخذوا عباد الله
خولا اي عبيدا ومال الله دولا ودين الله دغلا وفي رواية قال بدل دين الله كتاب
الله قال ابن كثير هذا الحديث اي ذكر بني امية وذكر الاربعين منقطع ولما بلغ
الوليد ما ذكر خبيب كتب لابن عمه عمر ابن عبد العزيز وهو والي المدينة ان يضرب
خبيبا هذا مائة صوت ففعل ثم برد ماء في جرة وصبه اي في يوم شات عليه و
فلما مات وسمع بموته سقط الى الارض واسترجع واستعفى من ولاية المدينة فكان
عمر ابن عبد العزيز اذا قيل له ابشر قال كيف ابشر وخبيب على الطريق اي عائق لي
وفي دلايل النبوة للبيهقي عن بعضهم قال كنت عند معاوية ابن ابي سفيان ومعه ابن
عباس رضي الله عنهما على السرير فدخل عليه مروان ابن الحكم فكلمه في حاجة وقال
اقض حاجتي يا امير المومنين فوالله ان مؤنتي لعظيمة فاني ابو عشرة وعم عشرة واخو
عشرة فلما ادبر مروان قال معاوية لابن عباس رضي الله عنهم انشدك بالله يا ابن

عباس ما تعلم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا بلغ بنو الحكم ثلاثين رجلا
اتخذوا مال الله بينهم دولا وعباد الله خولا وكتاب الله دغلا فاذا بلغوا تسعة وتسعين
واربعماية كان هلاكهم اسرع من لوك تمرة فقال ابن عباس رضي الله عنهما نعم ثم
ذكر مروان حاجة فرد مروان ولده عبد الملك الى معاوية رضي الله عنه فكلمه فيها
فلما ادبر عبد الملك قال معاوية رضي الله عنه انشدك الله يا ابن عباس اما تعلم
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر هذا فقال ابو الجبابرة الاربعة فقال ابن عباس
اللهم نعم فان الاربعة من ولده ولوا الخلافة وهم الوليد ويزيد وسليمان وهشام
فليتامل هذا فانه ربما يدل على ان عبد الملك صحابي الا ان يقال ذكره قبل وجوده فهو من
اعلام نبوته وفي كلام ابن كثير هذا الحديث فيه غرابة ونكارة شديدة هذا وقد رايت
عن بعض حواشي الكشاف ان اعدا عبد الله ابن الزبير هم الذين كانوا يكنونه بابي خبيب ٢
لان خبيبا كان من اخر اولاده ويرده قول بعضهم نقلب للشرف كالخبيبين لخبيب بن
عبد الله ابن الزبير واخيه مصعب وذكر ابن الجوزي ايضا في من ضرب بالسياط من
العلما سعيد ابن المسيب ضربه عبد الملك ابن مروان مائة سوط لانه بعث ببيعة
الوليد الى المدينة فلم يبايع سعيد فكتب ان يضرب مائة سوط ويصب عليه جرة ما
في يوم شات ويلبس جبة صوف ففعل به ذلك اي كما فعل بخبيب ثم رايت في تاريخ الحافظ
رحمه الله تعالى لما عهد عبد الملك لولده في حياته وانتهت البيعة الى المدينة امتنع
سعيد ابن المسيب ان يبايع فضربه نايب المدينة ستين سوطا والبسه ثيابا من شعر
واركبه جملا وطاف به المدينة ثم اودع السجن فلما بلغ ذلك عبد الملك ارسل يعنف
والي المدينة على ذلك ويامره باخراجه من السجن هذا كلامه وفي كلام البلاذري
وكان جابر ابن الاسود عاملا لابن الزبير رضي الله عنهما على المدينة وهو الذي ضرب
سعيد ابن المسيب ستين سوطا اذ لم يبايع لابن الزبير هذا كلامه الا ان يقال لا مانع
ان يكون سعيد فعل به الامران لان ولاية ابن الزبير سابقة على ولاية عبد الملك
والد الوليد ثم رايت الحافظ ابن كثير صرح بذلك حيث ذكر ان الحاكم سعيد ابن المسيب
ضرب بالسياط المذكورة وفعل به ما تقدم لما امتنع من المبايعة لابن الزبير وفعل به
ذلك ايضا لما امتنع من المبايعة للوليد وفي طبقات الشيخ عبد الوهاب الشعراني في
ترجمة سعيد ابن المسيب وضربه عبد الملك ابن مروان حيث امتنع من مبايعته والبسه
المسوح ونهى الناس عن مجالسته فكان كل من جلس اليه يقول له قم لا تجالسني هـ
فاني جلدت ومنعوا الناس من مجالستي هذا كلامه الا ان يقال المراد امتنع من
قبول مبايعة عبد الملك لولده الوليد فلا مخالفة وانما امتنع سعيد ابن المسيب من
المبايعة للوليد لانه روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه سيكون في هذه الامة
رجل يقال له الوليد هو شر لامتي من فرعون لقومه وفي رواية هو اضر على امتي من

فرعون على قومه زاد في رواية يسد به ركن من اركان جهنم وفي لفظ زاوية من
زوايا جهنم فكان الناس يرون انه الوليد ابن عبد الملك قال ابن كثير وهو الوليد
ابن يزيد ابن عبد الملك لا الوليد ابن عبد الملك الذي هو عمه **وكان** سعيد ابن المسيب
اعبر الناس للرؤيا قال له رجل رايت كاني ابول في يدي فقال تحتك ذات محرم فنظر
فاذا بينه وبين امراته رضاعة واخذ سعيد الرؤيا عن اسما بنت ابي بكر الصديق
رضي الله عنهما وهي اخذت ذلك عن والدها ابي بكر الصديق رضي الله عنه وعن
سعيد اخذ ابن سيرين ذلك **ومن** ابن سيرين كان ابو بكر الصديق رضي الله عنه
اعبر هذه الامة بعد النبي صلى الله عليه وسلم وكان يعبر الرؤيا في زمنه صلى الله
عليه وسلم وفي حضرته وعن الزهري راى رسول الله صلى الله عليه وسلم رؤيا
فقصها على ابي بكر رضي الله عنه فقال رايت كاني استبقت انا وانت درجة فسبقتك
بمرقاتين ونصف قال يا رسول الله يقبضك الله الى مغفرة ورحمة واعيش بعدك
سنتين ونصفا فكان كما عبر فقد عاش بعده سنتين وبضعة سبعة اشهر وقال رايتني
اردفت غنما سودا ثم اردفتها غنما بيضا حتى ما ترى السود فيها فقال ابو بكر
يا رسول الله اما الغنم السود فان العرب يسلمون ويكثرون والغنم البيض الاعاجم
فانهم يسلمون حتى لا يرى العرب فيهم من كثرتهم فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم كذلك عبرها الملك سحرا **وسبب بنا عبد الله ابن الزبير للكعبة**
رضي الله عنهما ان يزيد ابن معاوية لما وجه الجيش عشرين الف فارس وسبعة
الاف راجل واميرهم مسلم ابن قتيبة لقتال اهل المدينة لما علم انهم خرجوا عن
طاعته اي واظهروا شتمه واعلنوا بانه ليس له دين لانه اشتهر عنه نكاح المحارم
وادمان شرب الخمر وترك الصلاة وانه يلعب بالكلاب اي فقد ذكر بعض ثقات المورخين
انه كان له قرد يحضر مجلس شرابه ويطرح له وسادة ويعطيه فضلة كاسه واتخذ
له اتانا وحشية قد ريضت له ووضع له سرج من ذهب يركب عليها ويسابق بها الخيل في
بعض الايام وكان يلبس عليه قبا وقلنسوة من الحرير الاحمر وقد استفتي الكيا الهراسي
من اكابر ائمتنا معاشر الشافعية كان من رؤس تلامذة امام الحرمين نظير ابي حامد
الغزالي عن يزيد هذا هل هو من الصحابة وهل يجوز لعنه فاجاب بانه ليس من الصحابة
لانه ولد في ايام عمر ابن الخطاب رضي الله عنه وللامام احمد قولان اي في لعنه تلويحا
وتصريحا وكذا للامام مالك وكذا لابي حنيفة ولنا قول واحد التصريح دون التلويح
وكيف لا يكون كذلك وهو اللاعب بالنرد والمتصيد بالفهد ومدمن الخمر وشعره في
الخمر معلوم هذا كلامه **وسئل** الامام حجة الاسلام ابي حامد الغزالي رحمه الله
تعالى هل من صرح بلعن يزيد يكون فاسقا وهل يجوز الترحم عليه فاجاب بان
من لعنه يكون فاسقا عاصيا لانه لا يجوز لعن المسلم ولا يجوز لعن البهائم فقد

ورد

ورد النهي عن ذلك وحرمة المسلم اعظم من حرمة الكعبة بنص النبي صلى الله عليه وسلم
ويزيد صح اسلامه وما صح امره بقتل الحسين ولا رضاه بقتله وما لم يصح منه ذلك
لا يجوز ان يظن به ذلك فان اساءة الظن بالمسلم حرام وان لم تعرف حقيقة الامر
وجب احسان الظن به ومع هذا فالقتل ليس بكفر بل هو معصية واما الترحم
عليه فهو جائز بل هو مستحب لانه داخل في المومنين في قولنا في كل صلاة اللهم اغفر
للمومنين والمومنات هذا كلامه وكان على ما افتى به الكيا الهراسي من جواز التصريح
بلعنه استاذنا الاستاذ الاعظم الشيخ محمد البكري تبعا لوالده الاستاذ الشيخ ابو الحسن
البكري وقد رايت في كلام بعض اتباع استاذنا المذكور في حق يزيد ما لفظه زاده
الله خزيا وضعة وفي اسفل سجين وضعه ٥ وفي كلام ابن الجوزي اجاز العلما الور عون
لعنه وصنف في اباحة لعنه مصنف وقال السعد التفتازاني انا لا اشك في اسلامه
بل في ايمانه فلعنة الله عليه وعلى انصاره واعوانه وعلى هذا يكون مستثنى من عدم
جواز لعن الكافر المعين بالشخص **ولما خلعوا** اي اهل المدينة بيعة يزيد وولوا عليهم
عبد الله ابن حنظلة المقتول مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في وقعة احد اي هو
غسيل الملائكة واخرجوا والي يزيد من المدينة وهو مروان ابن الحكم وبني امية حتى قال
بعضهم ما خرجنا عليه حتى خفنا ان نرمى بحجارة من السما فكانت وقعة الحرة المشهورة
التي كادت ان تبيد اهل المدينة عن اخرهم قتل فيها الجم الغفير من الصحابة والتا بعين
وقيل المقتول فيها من الصحابة ثلاثة منهم عبد الله ابن حنظلة ونهبت المدينة
وافتض فيها الف عذرا اي ولم تقم الجماعة ولا الاذان في المسجد النبوي مدة القتال
وهي ثلاثة ايام وفي كلام بعضهم ووقع من ذلك الجيش الذي وجهه يزيد للمدينة من
القتل والفساد العظيم والسبي واباحة المدينة وقتل من الصحابة رضي الله عنهم ومن
التابعين خلق كثير وكانت عدة المقتولين من قريش والانصار ثلاثمائة وستة رجال
ومن قرا القران نحو سبعمائة نفس وفي التنوير لابن دحية وقتل من وجوه المهاجرين
والانصار الف وسبعمائة ومن حملة القران سبعمائة وجالت الخيل في مسجد رسول
الله صلى الله عليه وسلم وراثت وبالت بين القبر الشريف والمنبر واختفت اهل المدينة
حتى دخلت الكلاب المسجد وبالت على منبره صلى الله عليه وسلم ولم يرض امير ذلك
الجيش من اهل المدينة الا بان يبايعوه ليزيد على انهم خول اي عبيد له ان شا باع
وان شا اعتق حتى قال له بعض اهل المدينة البيعة على كتاب الله وسنة رسوله
فضرب عنقه **وروى البخاري** ان عبد الله ابن عمر رضي الله عنهما لما ارجف اهل المدينة
بيزيد دعا بنيه ومواليه وقال لهم انا بايعنا هذا الرجل على بيعة الله وبيعة رسوله
وانه والله لا يبلغني عن احد منكم انه خلع يدا من طاعته الا كان الفيصل بيني وبينه
ثم لزم بيته ولزم ابو سعيد الخدري رضي الله عنه بيته فقالوا له من انت ايها الشيخ

فقال ابو سعيد الخدري صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا قد سمعنا
خبرك ولنعم ما فعلت حين كففت يدك ولزمت بيتك ولكن هات المال فقال قد اخذ
الذين قبلكم علي وما عندي شي فقالوا كذبت ونتفوا لحيته واما جابر ابن عبد الله رضي
الله عنهما فقد خرج في يوم من تلك الايام وهو اعمى يمشي في بعض ازقة المدينة و صار
يعثر في القتلى ويقول تعس من اخاف رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له قائل
من الجيش من اخاف رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه
وسلم يقول من اخاف المدينة فقد اخافني فما بين جنبي فحمل عليه جماعة من القوم
ليقتلوه فاجاره منهم مروان وادخله بيته قال السهيلي وقتل في ذلك اليوم من
وجوه المهاجرين والانصار الف وسبعماية وقتل من اخلاط الناس عشرة الاف سوى
النسا والصبيان فقد ذكر ان امراة من الانصار دخل عليها رجل من الجيش وهي ترضع
صبيها وقد اخذ ما وجد عندها ثم قال لها هات الذهب والا قتلتك وقتلت ولدك
فقالت ويحك ان قتلته فابوه ابو كبشة صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وانا
من النسوة اللاتي بايعن رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخذ الصبي من يدها وثديها
في فمه وضرب به الحايط حتى انتثر دماغه في الارض فما خرج من البيت حتى اسود نصف
وجهه وصار مثلة في الناس قال السهيلي رحمه الله تعالى واحسب هذه المراة حتى
للصبي لا امًّا له اذ يبعد في العادة ان تبايع امراة رسول الله صلى الله عليه وسلم وتكون
في يوم الحرة في سن من ترضع اي ولدا صغيرا ووقعة الحرة هذه من اعلام نبوته صلى
الله عليه وسلم ففي الحديث انه صلى الله عليه وسلم وقف بحرة الحرة وقال ليقتلن بهذا
المكان رجال هم خيار امتي بعد اصحابي وعن عبد الله ابن سلام رضي الله عنه انه قال
لقد وجدت قصة هذه الوقعة في كتاب يهوذا ابن يعقوب الذي لم يدخله تبديل
وانه يقتل فيها رجال صالحون يجيئون يوم القيمة وسلاحهم على عواتقهم وهذه
الوقعة كانت سنة ثلاث وستين ويقال كان يزيد اعذر اهل المدينة قبل هذه الوقعة
فيما ذكروه وبذل لهم من العطايا اضعاف ما يعطي الناس رغبة في استمالتهم الى
الطاعة وتحذيرهم من الخلاف ولكن يابى الله الا ما اراد وفي التنوير ان الله ابتلى امير
هذا الجيش الذي هو مسلم ابن قتيبة بعد ثلاثة ايام من اخذه بمرض صار ينبح منه
كالكلب الى ان مات وولى امر الجيش بعده الحصين ابن نمير بامر يزيد فانه وصى
مسلم ابن قتيبة لما ولاه امرة الجيش وقال له اذا اشرفت على الموت اي لانه كان
مريضًا بالاستسقا فول امر الجيش للحصين وهذا الذي وقع من يزيد فيه تصديق لقوله
صلى الله عليه وسلم لا يزال امر امتي قايمًا بالقسط حتى يثلمه رجل من بني امية يقال
له يزيد وقد جا عن سعيد ابن المسيب لقد رايتني ليالي الحرة وما في مسجده صلى الله
عليه وسلم غيري وما ياتي وقت صلاة الا سمعت الاذان والاقامة من القبر الشريف

ادخلوا ام

ومما يؤثر

ومما يوثر عن سعيد ابن المسيب الدنيا نزلة تميل الى الانزال ومن استغنى بالله افتقر
اليه الناس ومن جملة من خلع يزيد وقتل من الصحابه في تلك الوقعة معقل بن
سنان الاشجعي روى علقمة عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنهما انه سيل عن رجل
تزوج امراة لم يسم لها صداقا ولم يدخل بها حتى مات فقال ابن مسعود رضي الله عنه
لها مهر مثل نسايها لا وكس ولا شطط وعليها العدة ولها الميراث فقام معقل ابن سنان
وقال قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم في بروع بنت واشق امراة منا مثل ما
قضيت به ففرح بذلك ابن مسعود رضي الله تعالى عنهما وسبب مقاتلة عبد الله
ابن الزبير رضي الله تعالى عنهما لانه امتنع من المبايعة ليزيد ايضا هو والحسين لما
ارسل اليهما يطلب منهما المبايعة له فامتنعا من ذلك وفرا من المدينة الى مكة ثم لما فر
الحسين اي لان الحسين ارسل اليه اهل الكوفة ان ياتيهم ليبايعوه فاراد الذهاب
اليهم فنهاه ابن عباس رضي الله عنهما وبين له غدرهم وقتلهم لابيه وخذلانهم
لاخيه الحسن ونهاه ابن عمر وابن الزبير رضي الله عنهم فابى الا ان يذهب فبكى
ابن عباس رضي الله عنهما وقال واحسيناه وقال له ابن عمر رضي الله عنهما استودعك
الله من قتيل وكان اخوه الحسن رضي الله عنه قال له اياك وسفها الكوفة ان يستخفوك
فيخرجوك ويسلموك فتندم ولات حين مناص وقد تذكر ذلك ليلة قتل فترحم
على اخيه الحسن ولم يبق بمكة الا من حزن على مسيره وقدم امامه الى الكوفة مسلم
ابن عقيل فبايعه من اهل الكوفة للحسين اثنا عشر الفا وقيل اكثر من ذلك ولما
شارف الكوفة جهز اليه اميرها من جانب يزيد وهو عبيد الله ابن زياد وعشرين الف
مقاتل وكان اكثرهم ممن بايع لاجل السحت العاجل على الخير الاجل فلما وصلوا اليه
وراى كثرة الجيوش طلب منهم احد ثلاث اما ان يرجع من حيث جا او يذهب الى بعض
الثغور او يذهب الى يزيد يفعل فيه ما اراد فابوا وطلبوا منه نزوله على حكم ابن
زياد وبيعته ليزيد فابى فقاتلوه الى ان اثخنته الجراحة فسقط الى الارض فحزوا راسه
وذلك يوم عاشورا عام احد وستين ووضع ذلك الراس بين يدي عبيد الله ابن زياد
ولما جا خبر قتل الحسين قام ابن الزبير رضي الله عنهما في الناس يعظم قتل الحسين رضي
الله تعالى عنه وجعل يظاهر بعيب يزيد ويذكر شربه الخمر وغير ذلك ويثبط
الناس عن بيعته ويذكر مساوي بني امية ويطنب في ذلك ولما بلغ يزيد ذلك اقسم
ان لا ياتي الا مغلولا فجا اليه رجل من اهل الشام في خيل من خيل الشام وتكلم مع
ابن الزبير وتكلم مع ابن الزبير وعظم على ابن الزبير الفتنة وقال لا تستحل الحرم
بسببك فان يزيد غير تاركك ولا تقوى عليه وقد اقسم ان لا يوتى بك الا مغلولا وقد
عملت لك غلا من فضة وتلبس فوقه الثياب وتبر قسم امير المومنين والصلح خير
عاقبته واجمل بك وبه فقال انظر في امري ثم دخل على امه اسما رضي الله عنهما

عكس

فاستشارها فقالت يابني عش كريمًا ومت كريمًا ولا تمكن بني امية من نفسك
فتلعب بك فامتنع وصار يبايع الناس سرًّا ثم اظهر المبايعة فاجتمع عليه اهل الحجاز
اهو ولحق به من انهزم من وقعة الحرة فلما جا الجيش الي مكة حاصر عبد الله وضرب
بالمنجنيق ونصبه علي ابي قبيس قيل وعلي الاقمر وهم اخشبا مكة فاصاب الكعبة من
ناره ما حرق ثيابها وسقفها فان الكعبة كانت في زمن قريش مبنية مدماك من خشب
الساج ومدماك من حجارة الحرم كما تقدم وذكر في المشرق ان الله تعالى بعث عليهم
صاعقة بعد العصر فاحرقت المنجنيق واحرقت تحته ثمانين رجلًا من اهل الشام
ثم عملوا منجنيقًا اخر فنصبوه علي ابي قبيس **ويذكر** ان النار لما اصابت الكعبة جا
انذاره بحريق الكعبة **فعن** ميمونة رضي الله عنها زوج النبي صلى الله عليه وسلم
قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف انتم اذا مرج الدين وظهرت الرغبة
والرهبة وحرق البيت العتيق وفي العرايس ان اول يوم تكلم الناس في القدر فلك
اليوم فقيل احراق الكعبة من قدر الله تعالى وليس من قدر الله والمتكلم بذلك
قيل ابو معبد الجهني وقيل ابو الاسود الدولي وقيل غير ذلك وقوله اول يوم
تكلم الناس في القدر لعل المراد اول يوم اشتهر واستفيض فيه الكلام من الناس
في القدر فلا يخالف ما حكي ان شخصًا قال لعلي كرم الله وجهه وهو بصفين يا امير
المومنين اخبرنا عن مسيرنا هذا اكان بقضا الله وقدره فقال نعم والذي خلق الحبة
وبرا النسمة ما وطينا موطيًا ولا قطعنا واديًا ولا علونا شرفًا الا بقضا الله وقدره
والتكلم في القدر ليس من خصايص هذه الامة فقد تكلمت فيه الامم قبلها ففي الحديث
ما بعث الله نبيا الا في امته قدرية يشوشون عليه امر امته وان الله تعالي قد لعن
القدرية علي لسان سبعين نبيا وقد جا في ذم القدرية زيادة علي ما تقدم منها القدرية
مجوس هذه الامة ان مرضوا فلا تعودوهم وان ماتوا فلا تشهدوهم وجا اتقوا
القدر فانه شعبة من النصرانية وجا اخاف علي امتي التكذيب بالقدر **وانما كانت**
القدرية مجوس هذه الامة لان طايفة من القدرية تقول الخير من الله والشر من
العبد وهولا الطايفة شبه بالمجوس القايلين بالاصلين النور والظلمة وهم
المانوية وانما كان القدر شعبة من النصرانية لان اكثر القدرية علي انه ليس من
افعال العبد من خير او شر ناش عن اقدار الله له علي ذلك بل هو ناش عن قدرة
العبد واختياره فقد اثبتوا لله شريكا كما ان النصاري اثبتوا الشريك لله تعالي فهذه
الفرقة من القدرية اشبهت النصاري فكان القدر شعبة من النصرانية بهذا
الاعتبار **وقد اوضحت** ذلك في تعليقي المسمي بالمصباح المنير علي الجامع الصغير وفيه اخر
الكلام في القدر لشرار امتي في اخر الزمان فان الحق اسناد الفعل الي الله تعالي
ايجادًا وللعبد اكتسابا وقيل ان سبب بنا عبد الله ابن الزبير رضي الله عنهما للكعبة

ان

ان امراة تجمرها فطارت شرارة فعلقت بثيابها فحصل ذلك ولا مانع من التعدد وقد
وقع ايضا احراقها بتجمير المراة في زمن قريش ولا مانع من تعدد ذلك ايضا لما
تقدم وعد بعضهم ان من البدع تجمير المسجد وان مالكًا رحمه الله تعالي كرهه وقد
روي لنا عمر ابن الخطاب رضي الله تعالي عنه كان يجمر المسجد النبوي اذا جلس عمر رضي
الله تعالي عنه علي المنبر يخطب ومع حرق الكعبة حرق قرنا الكبش الذي فدي به اسماعيل
فانهما كانا معلقين بالسقف **اقول** ولعل تعليقهما في السقف كان بعد تعليقهما في
الميزاب فقد ذكر بعضهم جا الاسلام وراس الكبش معلق بقرنيه في ميزاب الكعبة ويدل
لتعليقهما في السقف ما جا عن صفية بنت شيبة قالت لعثمان ابن طلحة لما دعاك النبي
صلى الله عليه وسلم بعد خروجه من البيت قال قال لي رسول الله صلي الله عليه وسلم
اني رايت قرني الكبش في البيت فنسيت ان امرك ان تخمرهما فخمرهما فانه لا ينبغي ان في البيت
شي يشغل مصليا **وذكر** الجلال المحلي في قطعة التفسير ان الكبش المذكور هو الذي
قربه هابيل جا به جبريل عليه السلام فذبحه السيد ابراهيم مكبرا وحيكون قول
بعضهم فنزلت نارًا فاكلته علي السمح ويدل لما ذكر الجلال ما جا انه صلي الله عليه وسلم
قال لجبريل عليه السلام ما كان ذبح ابراهيم اي من اي وجه قال الذي قرب ابن ادم قال بعضهم
وهنا الحديث لم يثبت قيل ووصف بانه عظيم لانه رعي في الجنة اربعين عاما وقيل كان
الكبش اضراعا اخترعه الله تعالي في ذلك الوقت قال بعضهم فقد فدي من الموت
بصورة الموت وهذا كله بنا علي ان الذي قربه هابيل كان كبشا وقيل كان جملا سمينا
وعليه اقتصر القاضي فلينظر الجمع علي تقدير صحة كل **وانصدع الحجر** من تلك النار من
ثلاثة اماكن وعند محاصرة الجيش لعبد الله ابن الزبير رضي الله عنهما جا الخبر بموت يزيد
ويقال ان ابن الزبير رضي الله عنهما علم بموت يزيد قبل ان يعلم الجيش وهم اهل
الشام فنادي فيهم يا اهل الشام قد اهلك الله طاغيتكم يعني يزيد فمن احب ان
يدخل فيما دخل فيه الناس فعل ومن احب ان يرجع الي شامه فليفعل فانفل الجيش
وبايع عبد الله ابن الزبير رضي الله عنهما جماعة بالخلافة ودخلوا في طاعته ظاهرا وقيل
ان امير الجيش طلب من ابن الزبير ان يحدثه فخرجا من الصفين حتي اختلفت روس فرسيهما
وجعل فرس امير الجيش ينفر ويكفها فقال ابن الزبير ما لك فقال ان حمام الحرم تحت
رجليها فاكره ان اطا حمام الحرم فقال تفعل هذا وتقتل المسلمين فقال له تاذن لنا
ان نطوف بالكعبة ثم نرجع الي بلادنا فاذن لهم فطافوا وقال له ان كان هذا الرجل
قد هلك فانت احق الناس بهذا الامر يعني الخلافة فارحل معي الي الشام فوالله لا
يختلف عليك اثنان فلم يثق به ابن الزبير رضي الله عنهما واغلظ عليه القول فكر
راجعًا وهو يقول اعده بالملك وهو يعدني بالقتل **ومن ثم** قيل كان في ابن الزبير
خلال لا تصلح معها الخلافة منها سوء الخلق وكثرة الخلاف ودخل في طاعة ابن الزبير

رضي الله عنهما جميع اهل البلدان الا الشام ومصر فان مروان ابن الحكم تغلب
عليهما بعد موت معاوية بن يزيد بن معاوية فان معاوية هذا مكث في الخلافة
اربعين يومًا وقيل عشرين يومًا بعد ان كان مروان عزم على ان يبايع لابن الزبير
بدمشق وقد كان ابن الزبير رضي الله عنهما لما ولي اخاه ان يبايع عنه بالمدينة امر
باجلا بني امية وفيهم مروان وابنه عبد الملك الي الشام فلما اراد مروان ان يبايع
ابن الزبير ثني عزمه عن ذلك جماعة وقالوا له انت شيخ قريش وسيدها وقد فعل
معكم ابن الزبير ما فعل فانت احق بهذا الامر فوافقهم ومكث تسعة اشهر في
الخلافة فهو الرابع من خلفا بني امية وقام بالامر بعده ولده عبد الملك وهو اول من
سمي عبد الملك في الاسلام ثم عهد عبد الملك لاولاده الاربعة من بعده الوليد ثم سليمان
ثم يزيد ثم هشام وادعي عمرو بن سعيد ان مروان عهد اليه بعد ابنه عبد الملك
بذلك فضاق ذرعًا واستفحل امر عمرو بدمشق فلم يزل به عبد الملك حتى قتله وفي كلام
ابن ظفر رحمه الله تعالى ان عبد الملك لما خرج لمقاتلة عبد الله ابن الزبير رضي الله
عنهما خرج معه عمرو بن سعيد وقد انطوي على دغل نية وفساد طوية وطاعية
في الخلافة فلما ساروا عن دمشق اياما تمارض عمرو بن سعيد واستاذن عبد الملك في
العود الى دمشق فاذن له فلما عاد ودخل دمشق صعد المنبر وخطب خطبة نال فيها
من عبد الملك ودعا الناس الى خلعه فاجابوه الى ذلك وبايعوه فاستولي على دمشق
وحصن سورها وبذل الرغايب وبلغ ذلك عبد الملك وهو متوجه الي ابن الزبير
فاشير على عبد الملك ان يرجع الي دمشق ويترك ابن الزبير لان ابن الزبير رضي
الله عنهما لم يطعه طاعة ولا وثب له على مملكة فهو في صورة ظالم له وقصد
لعمرو بن سعيد في صورة مظلوم لانه نكث بيعته وخان امانته وافسد رعيته
فرجع الي دمشق وظفر بعمرو بن سعيد ويقال ان سبب بنا عبد الله بن الزبير رضي
الله عنهما للكعبة انه جا سيل فطبقها وكان عبد الله يطوف سباحة اي ولا مانع من
وجود الامرين الحرق والسيل فلما راي عبد الله رضي الله عنه ما وقع في الكعبة شاور
من حضر ومن جملتهم عبد الله بن عباس رضي الله عنهما في هدمها فهابوا هدمها
وقالوا نري ان نصلح ما وهي منها ولا تهدم فقال رضي الله تعالى عنه لو ان بيت احدكم
احرق لم يرض الا باكمل اصلاح ولا يكمل اصلاحها الا بهدمها وقد حدثتني خالتي رضي
الله عنها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال الم تر قومك يعني قريشًا حين
بنوا الكعبة اقتصروا على قواعد ابراهيم عليه الصلاة والسلام حين عجزت بهم النفقة
ولولا حدثان قومك بالجاهلية وفي لفظ لولا قومك حديثوا عهد بالجاهلية اي قرب
عهدهم بها وفي لفظ لولا الناس حديثوا عهد بكفر وليس عندي من النفقة ما
يقوي على بنائها لهدمتها وجعلت لها بابا يدخل منه وبابا بحياله يخرج الناس منه

وفي لفظ

وفي لفظ وجعلت لها بابين بابا شرقيًا وبابا غربيا والصقت بابها بالارض اي كما
كان عليه في زمن ابراهيم عليه السلام ولادخلت الحجر فيها اي وفي لفظ لادخلت
ستة اذرع وفي رواية ستة اذرع وشيئا وفي رواية وشبرًا وفي رواية قريبا من
سبعة اذرع فقد اضطربت الروايات في القدر الذي اخرجته قريش وفي لفظ لادخلت
فيها ما اخرج منها وفي لفظ لجعلتها في اساس ابراهيم وازيد اي بان ازيد في الكعبة من
الحجر اي وذلك ما اخرجته قريش خشي صلى الله عليه وسلم ان تنكر قلوبهم هدم بنا
الذي يعدونه من اكمل شرفهم فربما حصل لهم الارتداد عن الاسلام وقد ذكر بعضهم
ان كل من بني الكعبة بعد ابراهيم عليه الصلاة والسلام لم يبنها الا قواعد ابراهيم
عليه السلام غير ان قريشا ضاقت بهم النفقة اي الحلال الحديث وهذا بنا على ان من
بعد ابراهيم وقبل قريش بناها وليس كذلك بل الحاصل منهم هو ترميم لها فقوله
لم يبنها الا على قواعد ابراهيم ليس على ظاهره بل المراد انه ابقاها على ذلك قال
وعن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال لعبد الله رضي الله عنه دع بنا واحجارًا
اسلم عليها المسلمون وبعث عليها النبي صلى الله عليه وسلم فانه يوشك ان ياتي
بعدك من يهدمها فلا تزال تهدم وتبني حتى ينتهك الناس حرمتها ولكن ارقعها
اي ارممها فقال عبد الله رضي الله عنه اني مستخير ربي ثلاثا ثم عازم على امري
فلما مضت الثلاثة اجمع امره ان ينقضها فتحاماها الناس وخشوا ان ينزل باول
الناس يقصدها امر من السما حتى صعدها رجل فالقي منها حجارة فلم تر الناس
اصابه شيء فتتابعوا انتهى اي وقيل ان اول فاعل لذلك عبد الله ابن الزبير رضي
الله عنهما نفسه وخرج ناس كثير من مكة الي منى ومنهم ابن عباس رضي الله عنهما
فاقاموا ثلاثا مخافة ان يصيبهم عذاب شديد بسبب هدمها وامر ابن الزبير رضي
الله عنهما جماعة من الحبشة بهدمها رجا ان يكون منهم الذي اخبر به النبي صلى
الله عليه وسلم انه يهدمها وفيه ان الذي اخبر النبي صلى الله عليه وسلم بانه
يهدمها ذكر صفته حيث قال كاني انظر اليه اسود افحج ينقضها حجرًا حجرًا وجا في
وصفه انه مع كونه افحج الساقين ازرق العينين افطس الانف كبير البطن ووصف
ايضا بانه اصلع وفي لفظ اجلح وهو من ذهب شعر مقدم راسه ووصف بانه
اصعل اي صغير الراس وبانه اصمع اي صغير الاذنين معه اصحابه ينقضونها
حجرًا حجرا ويتناولونها حتى يرموا بها الي البحر اي وقوله ويتناولونها حتى يرموا
بها الى البحر لعله لم يثبت عند ابن الزبير وكذا تلك الاوصاف وهدم الحبشة لها يكون
بعد موت عيسى عليه السلام ورفع القران من الصدور والمصاحف اي وورد ان
اول ما يرفع رويته صلى الله عليه وسلم في المنام والقران واول نعمة ترفع من
الارض العسل وقيل يكون هدمها في زمن عيسى عليه السلام وجمع بانه يهدم

يهم

علي م

بعضها في زمن سيدنا عيسى عليه السلام فاذا جا الصريخ هربوا فاذا مات عيسى
عليه السلام عادوا وكملوا الاساس فهدمها عبد الله رضي الله عنه الي ان انتهي
الهدم الي القواعد اي التي هي الاساس قال وفي رواية كشف له عن اساس
ابراهيم عليه السلام فوجد داخلا في الحجر ستة اذرع وشيئا واحجار ذلك الاساس
كانها اعناق الابل حجارة حمرا اخذ بعضها في بعض مشبكة كتشبيك الاصابع واصاب
فيه قبر ام اسماعيل عليه الصلاة والسلام وهذا ربما يدل علي انه لم يصب فيه قبر
اسماعيل عليه السلام وهو يويد القول بان قبره في حيال الموضع الذي فيه الحجر
الاسود لا في الحجر كما ذكر الطبري رحمه الله تعالي وانه تحت البلاطة الخضرا التي
بالحجر كما تقدم فدعا عبد الله ابن الزبير رضي الله عنهما خمسين رجلا من وجوه
الناس واشرافهم واشهدهم علي ذلك الاساس وادخل عبد الله ابن المطيع العدوي
عتلة كانت بيده في ركن من اركان البيت فتزعزعت الاركان كلها فارتج جانب
البيت ورجفت مكة باسرها رجفة شديدة وطارت منه برقة فلم يبق دار من دور
مكة الا دخلت فيها ففزعوا انتهي **اقول** تقدم في بنا قريش انهم افضوا الي
حجارة خضر كالاسنمة اخذ بعضها ببعض وان رجلا ادخل عتلة بين حجرين فخصل
نحو ما ذكر وقد يقال لا مخالفة بين كون تلك الاحجار كانت خضرا وبين كونها حمرا
لانه يجوز ان تكون حمرة تلك الاحجار ليست صافية بل هي قريبة من السواد ومن ثم
وصفت بانها زرق كما تقدم والاسود يقال له اخضر كما ان الاخضر غير الصافي يقال
له اسود والصافي يقال له ازرق والله اعلم **وجعل** عبد الله رضي الله عنه علي تلك
القواعد ستورا وطاف الناس بتلك القواعد حتي بني عليها وارتفع البنا وزاد في
ارتفاعها علي ما كانت عليه في بنا قريش تسعة اذرع فكانت سبعا وعشرين ذراعا
زاد بعضهم وربع ذراع وبناها علي مقتضي ما حدثته به خالته عايشة رضي الله
تعالي عنها فادخل فيها الحجر اي لانه يجوز ان يكون ادخال الحجر هو الذي سمعه من
عايشة رضي الله عنها فعمل به دون غير ذلك من الروايات المتقدمة الدالة علي
ان الحجر ليس من البيت وانما منه ستة اذرع او شبرا او قريب من سبعة اذرع وفيه
ان هذا اي قوله فادخل فيه الحجر اي هو الموافق لما تقدم من ان قريشا اخرجت منها
الحجر وهو واضح ان كان وجد الاساس خارجا عن جميع الحجر واما اذا لم يكن خارجا
عن جميع الحجر كيف تعداه ولا يبني عليه اعتمادا علي ما حدثته به خالته عايشة رضي
الله عنها علي انه سياتي عن نص حديث عايشة رضي الله عنها انه صلى الله عليه وسلم
قال لها فان بدا لقومك من بعدي ان يبنوا فهلمي اريك ما تركوا منه فاراها قريبا من
ستة اذرع وجعل عبد الله رضي الله عنه خلفا اي بابا من خلفها والصقه بالارض
كالمقابل لها **قال** ولما ارتفع البنا الي مكان الحجر الاسود كان في وقت الهدم

وجد

وجد مصدوعا بسبب الحريق كما تقدم فشده بالفضة ثم جعله في ديباجه وادخله
في دار الندوة فحين وصل البنا الي محله امر ابنه حمزة وشخصا اخر ان يحملاه
ويضعاه محله وقال اذا وضعتماه وفرغتما فكبرا حتي اسمعكما فاخفف صلاتي
فانه صلي بالناس بالمسجد اغتناما لشغلهم عن وضعه لما احس منهم بالتنافس
في ذلك اي ان كل واحد يود ان يضعه وخاف الخلاف فلما كبرا تسامع الناس
بذلك فغضب جماعة من قريش حيث لم يحضرهم **وكون الحجر** وجد مصدوعا بسبب
الحريق وكون ابن الزبير رضي الله عنهما شده كذلك بالفضة لا ينافي ما وقع بعد
ذلك من ان ابا سعيد كبير القرامطة وهم طايفة ملاحدة ظهروا بالكوفة سنة سبعين
ومايتين يزعمون ان لا غسل من جنابة وحل الخمر وان لا صوم في السنة الا يومي
النيروز والمهرجان ويزيدون في اذانهم وان محمد ابن الحنفية رسول الله وان
الحج والعمرة الي بيت المقدس وافتتن جماعة من الجهال واهل البراري وقويت
شوكتهم حتي انقطع الحج من بغداد بسببه وسبب ولده ابي طاهر فان ولده ابا طاهر
ابتني دارا بالكوفة وسماها دار الهجرة وكثر فساده واستيلاوه علي البلاد وقتله
المسلمين وتمكنت هيبته من القلوب وكثرت اتباعه وذهب اليه جيش الخليفة
المقتدر بالله السادس عشر من خلفا بني العباس غير مرة وهو يهزمهم وان المقتدر
سير ركب الحاج الي مكة فوافاهم ابو طاهر يوم التروية فقتل الحجيج بالمسجد الحرام
وفي جوف الكعبة قتلا ذريعا والقي القتلي في بير زمزم وضرب الحجر الاسود بدبوس
فكسره ثم اقتلعه واخذه معه وقلع باب الكعبة ونزع كسوتها وقسمها بين اصحابه
وهدم قبة زمزم وارتحل عن مكة بعد ان اقام بها احدي عشر يوما ومعه الحجر
الاسود وبقي عند القرامطة اكثر من عشرين سنة اي والناس يضعون ايديهم محله
للتبرك ودفع لهم فيه خمسون الف دينار فابوا حتي اعيد في خلافة المطيع وهو
الرابع والعشرون من خلفا بني العباس فاعيد الحجر الي موضعه وجعل له طوق
فضة شد به زنته ثلاثة الاف وسبعماية وسبعون درهما ونصف **قال بعضهم**
تاملت الحجر وهو مقلوع فاذا السواد في راسه فقط وسايره ابيض وطوله قدر
عظم الذراع **وبعد القرامطة** في سنة ثلاثة عشر واربعماية قام رجل من الملاحدة
وضرب الحجر الاسود ثلاث ضربات بدبوس فانشق وجه الحجر من تلك الضربات
وتساقطت منه شظيات مثل الاظفار وخرج مكسره اسمر يضرب الي السمرة محببا
مثل حب الخشخاش فجمع بنو شيبة ذلك الفتات وعجنوه بالمسك واللك وحشوه
في تلك الشقوق وطلوه بطلا من ذلك وجعل عبد الله رضي الله عنه طول الباب
احد عشر ذراعا والباب الاخر بازايه كذلك فلما فرغ من بنايها خلقها من
داخلها وخارجها بالخلوق اي الطيب والزعفران وكساها القباطي وهي ثياب بيض

رقاق من كتان يتخذ بمصر ففي كلام بعضهم اول من كسا الكعبة الديباج عبد الله بن
الزبير رضي الله عنهما **اقول** وبنا عبد الله ابن الزبير رضي الله عنه الكعبة من جملة
اعلام النبوة لانه من الاخبار بالمغيبات ففي نص حديث عايشة رضي الله تعالى عنها
فان بدا لقومك من بعدي ان يبنوا فهلمي لاريك ما تركوا منه فاراها قريبا من ستة
اذرع وتقدم ان هذا يرد قول بعضهم ان ابن الزبير رضي الله عنهما ادخل في بناية
جميع الحجر **قال** بعضهم وهذا منه صلى الله عليه وسلم تصريح بالاذن
في ان يفعل ذلك بعده عند القدرة عليه والتمكن منه **وقد قال** المحب الطبري رحمه
الله تعالى وهذا الحديث يعني حديث عايشة رضي الله عنها يدل تصريحا وتلويحا
على جواز التغيير في البيت اذا كان لمصلحة ضرورية او حاجة مستحسنة **قال**
الشهاب ابن حجر الهيتمي رحمه الله تعالى ومن الواضح البين ان ما وهي وتشققت
في حكم المنهدم او المشرف على الانهدام فيجوز اصلاحه بل يندب بل يجب هذا كلامه
وفي شعبان سنة تسع وثلاثين والف جا سيل عظيم بعد صلاة العصر يوم الخميس
العشرين من الشهر المذكور وهدم معظم الكعبة سقط به الجدار الشامي بوجهيه
والحجر معه من الجدار الشرقي الى حد الباب ومن الجدار الغربي من الوجهين نحو
السدس وهدم اكثر بيوت مكة واغرق في المسجد جملة من الناس خصوصا من
الاطفال فان الما ارتفع الى ان سد الباب وعند مجي الخبر بذلك الى مصر جمع متوليها
الوزير محمد باشا وهو الوزير الاعظم الان **اي وفي سنة** ثلاث واربعين والف جمع
جمعا من العلما كنت من جملتهم ووقعت الاشارة بالمبادرة بالعمارة وقد جعلت للوزير
المذكور في ذلك رسالة لطيفة وقعت منه موقعا كبيرا وتعجب بها كثيرا حتى انه دفعها
لمن عبر عنها باللغة التركية وارسل بها لحضرة مولانا السلطان مراد اعز الله انصاره
وذكرت فيها ان الحق ان الكعبة لم تبن جميعا الا ثلاث مرات المرة الاولى بنا ابراهيم
عليه السلام والمرة الثانية بنا قريش وكان بينهما الفا سنة وسبعماية سنة وخمس وسبعون
سنة وحينئذ يكون ما جا في الحديث استكثروا من الطواف بهذا البيت قبل ان يرفع وقد هدم
مرتين ويرفع في الثالثة معناه قد انهدم مرتين ويرفع في الهدم الثالث فلا يعاد والمرة
الثالثة بنا عبد الله ابن الزبير رضي الله عنهما اي وكان بينهما نحو اثنين وثمانين سنة
اي واما بنا الملايكة وبنا ادم وبنا شيث فلم يصح واما بنا جرهم والعمالقة وقصي فانما
كان ترميما ولم تبن بعد هدمها جميعا الا مرتين مرة زمن قريش ومرة زمن عبد الله بن
الزبير رضي الله عنهما **وذكر** الامام البلقيني ان كون ابن الزبير رضي الله عنهما اول
من كسا الكعبة الديباج اشهر من القول بان اول من كساها الديباج ام العباس
بن عبد المطلب كما سياتي وجاز ان يكون عبد الله ابن الزبير رضي الله عنهما كساها
اولا القباطي ثم كساها الديباج والله اعلم وكان كسوتها اي في زمن الجاهلية المسوح

والانطاع فان اول من كساها تبع الحميري كساها الانطاع ثم كساها الثياب الحبرة
اي وفي رواية كساها الوصايل وهي برود حمر فيها خطوط خضر تعمل باليمن وفي كلام
الامام البلقيني ويروي ان تبعا اليماني لما كساها الخسف انتفضت فزال عنها فكساها
المسوح والانطاع فانتفضت فزال ذلك عنها فكساها الوصايل فقبلتها قال
والوصايل ثياب موصوله من ثياب اليمن **وفي الكشاف** كان تبع الحميري مومنا وكان
قومه كافرين ولذلك ذم الله قومه ولم يذمه وعن النبي صلى الله عليه وسلم
انه قال لا تسبوا تبعا فانه كان قد امن وعنه صلى الله عليه وسلم انه قال ما
ادري كان تبع نبيا او غير نبي هذا وقد نقل الشمس الحموي في كتابه المناهج الز
والمباهج المرضية عن ابن عباس رضي الله عنهما انه كان نبيا **وقيل** اول من
كساها عدنان ابن ادد وكانت قريش تشترك في كسوة الكعبة حتى نشا ابو ربيعة
ابن المغيرة فقال لقريش انا اكسو الكعبة سنة وحدي وجميع قريش سنة اي وقيل
كان يخرج نصف كسوة الكعبة في كل سنة ففعل ذلك الى ان مات فسمته قريش
العدل لانه عدل قريشا وحده في كسوة الكعبة ويقال لبنيه بنو العدل وكانت كسوة
لا تنزع فكان كلما تجدد كسوة تجعل فوق واستمر ذلك الى زمنه صلى الله عليه وسلم
ثم كساها النبي صلى الله عليه وسلم الثياب اليمانية وفي كلام بعضهم اول من
كسا الكعبة القباطي النبي صلى الله عليه وسلم وكساها ابو بكر وعمر وعثمان وعلي
رضي الله عنهم القباطي وكساها معاوية رضي الله عنه الديباج والقباطي والحبرات
فكانت تكسي الديباج يوم عاشورا والقباطي في اخر رمضان والاقتصار على ذلك
ربما يفيد ان عطف الحبرات على القباطي من عطف التفسير فليتامل وكساها المامون
الديباج الاحمر والديباج الابيض والقباطي فكانت تكسي الاحمر يوم التروية
والقباطي يوم هلال رجب والديباج الابيض يوم سبعة وعشرين من رمضان
قال بعضهم وهكذا كانت تكسي في زمن المتوكل العباسي ثم في زمن الناصر العباسي
كسيت السواد من الحرير واستمر ذلك الى الان في كل سنة وكسوتها من غلة
قريتين يقال لهما بيسوس وسندبيس من قرى القاهرة وقفهما على ذلك الملك الصالح
اسماعيل ابن الناصر محمد ابن قلاوون في سنة نيف وخمسين وسبعماية اي والان
زادت القرى على هاتين **والحاصل** ان اول من كساها على الاطلاق تبع الحميري
كما تقدم على الراجح وذلك قبل الاسلام بتسعماية سنة قيل وسبب كسوة ام عمه
صلى الله عليه العباس لها الديباج ان العباس رضي الله تعالى عنه ضل وهو صبي
فنذرت امه ان وجدته لتكسون الكعبة فوجدته فكست الكعبة الديباج اي وكان
من بيت مملكة وقيل اول من كساها الديباج عبد الملك ابن مروان اي وهو المراد
بقول ابن اسحاق اول من كساها الديباج الحجاج لان الحجاج كان من امرا عبد الملك

وقد سئل الامام البلقيني هل تجوز كسوة الكعبة بالحرير المنسوج بالذهب ويجوز
اظهارها في دوران المحمل الشريف فاجاب بجواز ذلك تعالى لما فيه من التعظيم لكسوتها
الفاخرة التي يرجى بكسوتها الخلع السنية في الدنيا والاخرة ويجوز اظهارها في دوران
المحمل الشريف فان في ذلك من التفخيم المناسب للحال المنيف هذا كلامه اي واول
من حلي بابها بالذهب جد صلي الله عليه وسلم عبد المطلب فانه لما حفر زمزم وجد فيها
الاسياف والغزالتين من الذهب فضرب الاسياف بابا وجعل في ذلك الباب الذهب فكان
اول ذهب حليته الكعبة علي ما تقدم واول من ذهب الكعبة في الاسلام عبد الملك
ابن مروان وقيل عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما جعل علي اساطينها صفايح
الذهب وجعل مفاتيحها من الذهب وجعل الوليد ابن عبد الملك الذهب علي الميزاب يقال
انه ارسل لعامله علي مكة ستة وثلاثين الف دينار فضرب منها علي باب الكعبة وعلي
الميزاب وعلى الاساطين التي داخلها وعلى اركانها من داخل الكعبة وذكر ان
الامين بن هارون الرشيد ارسل الي عامله بمكة ثمانية عشر الف دينار ليضرب
بها صفايح الذهب علي باب الكعبة فقلع منها ما كان علي الباب من الصفايح وزاد
عليها ذلك وجعل مساميرها وحلقتي الباب والعتبة من الذهب وان ام المقتدر
الخليفة العباسي امرت غلامها لولوان يلبس جميع اسطوانات البيت ففعل وقال
عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما لما فرغ من بنايها من كان لي عليه طاعة فليخرج
فليعتمر من التنعيم ومن قدر ان ينحر بدنة فليفعل فان لم يقدر له فشاة ومن لم
يقدر فليتصدق بما تيسر واخرج ماية بدنة فلما طاف استلم الاركان جميعا فلم تزل
الكعبة علي بنا عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما تستلم اركانها الاربع اي لانها
علي قواعد ابراهيم عليه السلام ويدخل اليها من باب ويخرج من باب حتى قتل
عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما قتله شخص من جيش الحجاج الذي ارسله عبد
الملك ابن مروان لقتاله وكتب عبد الملك ابن مروان الي الحجاج ان اهدم ما زاده ابن
الزبير فيها اي يهدم البنا الذي جعله علي اخر الزيادة التي ادخلها في الكعبة وكانت
قريش اخرجتها بدليل قوله وردها الي ما كانت عليه وسد الباب الذي فتح اي ان
يرفع الباب الاصلي الى ما كان عليه زمن قريش واترك سايرها اي لانه اعتقد ان
ابن الزبير وضع البنا علي اساس قد نظر اليه العدول من اهل مكة اي وهم خمسون
رجلا من وجوه الناس واشرافهم كما تقدم فكتب اليه عبد الملك لسنا من تخبيط
ابن الزبير في شي فنقض الحجاج ما ادخل من الحجر وسد الباب الثاني اي الذي في ظهر
الكعبة عند الركن اليماني ونقص من الباب الاول خمسة اذرع اي ورفعه الي ما
كان عليه في زمن قريش فبني تحته اربعة اذرع وشبرا وبنى داخلها الدرج الموجود
اليوم وفي لفظ ان الحجاج لما ظفر بابن الزبير كتب الي عبد الملك ابن مروان يخبره

ان

ان ابن الزبير زاد في الكعبة ما ليس فيها واحدث فيها بابا اخر واستاذن في رد
ذلك علي ما كانت عليه في الجاهلية فكتب اليه عبد الملك ان يسد بابها الغربي
ويهدم ما زاد فيها من الحجر ففعل ذلك الحجاج فسايرها قبل وقوع هذا الهدم
بالسيل الواقع في سنة تسع وثلاثين بعد الالف ببنايه علي بنا ابن الزبير الا
الجانب الذي يلي الحجر فانه من بنيان الحجاج اي والبنا الذي تحت العتبة وهو
اربعة اذرع وشبر فان باب الكعبة كان علي عهد العماليق وجرهم وابراهيم عليه
الصلاة والسلام لاصقا بالارض حتى رفعته قريش كما تقدم وما سد به الباب
الغربي والردم كان بالحجارة التي كانت داخل ارض الكعبة اي الذي وضعها عبد
الله بن الزبير رضي الله عنهما اي ولعله انما وضع ذلك المحل الحجارة التي تصلح
للبنا فلا ينافي ما اخبرني به بعض الثقات ان بعض بيوت مكة كان فيها نقض
الحجارة التي اخرجت من الكعبة من عبد الله ابن الزبير رضي الله عنهما ويقال
ان ذلك البيت الذي كانت فيه تلك الحجارة كان بيت لعبد الله ابن الزبير رضي
الله عنهما وبنا الحجاج كان في السنة التي قتل فيها عبد الله ابن الزبير رضي
الله عنهما وهي سنة ثلاث وسبعين قيل ولما دخل عبد الله بن الزبير رضي
الله عنهما وهو محاصر حاصره الحجاج خمسة اشهر وقيل سبعة اشهر وسبعة عشر
ليلة علي امه اسما رضي الله عنها قبل قتله بعشرة ايام وهي شاكية اي مريضة فقال
لها كيف تجدينك يا امه قالت ما اجدني الا شاكية فقال لها ان في الموت لراحة
فقالت لعلك تبغيه لي ما احب ان اموت حتى ياتي علي احد طرفيك اما قتلت واما
٢ اليوم صح ظفرت بعدوك فقرت عيني ولما كان ٢ الذي قتل فيه دخل عليها في المسجد فقالت
يا بني لا تقبلن منهم خطة تخاف فيها على نفسك بالذي تخاف القتل فوالله لضربة
سيف في عز خير من ضربة سوط في ذل ويقال ان الناس لا زالوا ينتقلون عن ابن
يب الزبير رضي الله عنهما الي الحجاج لطلب الامان وهو يومنهم حتى دخل اليه قريب
من عشرة الاف حتى كان من جملة من خرج اليه حمزة وخبيب ابنا عبد الله ابن
الزبير رضي الله عنهم واخذا لانفسهما امانا من الحجاج ودخل عبد الله علي امه
رضي الله عنهما فشكي اليها خذلان الناس له وخروجهم الي الحجاج حتى اولاده
واهله وانه لم يبق معه الا اليسير والقوم يعطونني ما شيت من الدنيا فما رايك
فقالت يا بني انت اعلم بنفسك ان كنت تعلم انك علي حق وتدعو الي حق فاصبر عليه
فقد قتل عليه اصحابك ولا تمكن من رقبتك تلعب بها غلمان بني امية وان كنت انما
اردت الدنيا فبيس العبد انت اهلكت نفسك واهلكت من قتل معك كم خلودك
في الدنيا فدنا منها وقبل راسها وقال والله ما ركنت الي الدنيا ولا احببت الحياة
فيها وما دعاني الي الخروج الا الغضب لله ان تستحل حرمته وبعد ان قتل رضي الله عنه

وصلب على الجذوع فوق الثنية ومضت ثلاثة ايام جاءت امه اسماء رضي الله
عنها تقاد لان بصرها كان قد كف حتى وقفت عليه وفزعت له طويلا ولم تقطر
من عينها دمعة وقالت للحجاج اما ان لهذا الراكب ان ينزل فقال لها الحجاج
المنافق ارايت كيف نصر الله الحق واظهره ان ابنك الحد في هذا الحرم وقد قال
الله تعالى ومن يرد فيه بالحاد بظلم نذقه من عذاب اليم وقد اذاقه الله تعالى
ذلك العذاب الاليم وفي كلام سبط ابن الجوزي ان ابن الزبير رضي الله عنهما لما قال
لعثمان رضي الله تعالى عنه وهو محاصر ان عندي نجايب اعددتها لك فهل لك ان
تنجو الى مكة فانهم لا يستحلونك وانت بها قال له عثمان رضي تعالى عنه سمعت رسول
الله صلى الله عليه وسلم يقول يلحد رجل في الحرم من قريش او بمكة يكون عليه نصف
عذاب العالم فلن اكن انا وفي رواية قال له اني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول يلحد بمكة كبش من قريش اسمه عبد الله عليه مثل نصف اوزار الناس هذا
كلامه وعندي ان المراد بعبد الله الحجاج لا ابن الزبير ولا مانع ان يكون الحجاج من
قريش على ان الذي في الصواعق لابن حجر الهيتمي ان القايل لعثمان رضي الله عنه ذلك
المغيرة ابن شعبة ولما سمعت سيدتنا اسماء رضي الله عنها الحجاج يقول في ولدها
رضي الله عنه المنافق قالت له كذبت والله ما كان منافقا ولكنه كان صواما قواما
برا كان اول مولود ولد في الاسلام بالمدينة وسر به رسول الله صلى الله عليه وسلم
وحنكه بيده وكبر المسلمون يومئذ حتى ارتجت المدينة فرحا به وكان عاملا بكتاب الله
حافظا لحرم الله يبغض من يبغض الله عز وجل قال انصرفي فانك عجوز قد خرفت قالت
والله ما خرفت ولقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يخرج من ثقيف
كذاب ومبير اما الكذاب فقد رايناه يعني المختار ابن ابي عبيد الثقفي والي العراق فانه
لما قتل الحسين رضي الله عنه اتفق مع طايفة من الشيعة ممن كان خذل الحسين ولما
قتل ندموا على ذلك فوافقوا المختار على مقاتلة الحسين من اهل الكوفة فتوجهوا
اليها وقتلوا جميع من قاتل الحسين وملكوا الكوفة وشكر الناس للمختار ذلك ثم قالت
رضي الله عنها واما المبير فانت المبير ولما بلغ عبد الملك ما قاله الحجاج لاسماء رضي
الله عنها كتب اليه يلومه على ذلك اي ومن ثم ارسل اليها الحجاج فابت ان تاتيه
فاعاد اليها الرسول اما ان تاتيني او لابعثن اليك من يسحبك من قرونك قالت
والله لا اتي اليك حتى تبعث من يسحبني من قروني فعند ذلك اخذ نعليه ومشى حتى
دخل عليها فقال يا امه ان امير المومنين اوصاني بك فهل لك من حاجة فقالت لست
لك بام ولكن ام المصلوب على راس الثنية ومالي من حاجة ولكن انتظر حتى احدثك ما
سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
يخرج من ثقيف كذاب ومبير فاما الكذاب فقد رايناه واما المبير فانت فقال الحجاج

مبير

صحابه

مبير المنافقين ومن كذب المختار انه ادعى النبوة وانه ياتيه الوحي ويشهد لذلك
وفي دلايل النبوة للبيهقي رحمه الله تعالى عن بعضهم قال كنت اقوم بالسيف على
راس المختار ابن ابي عبيد فسمعته يوما يقول قام جبريل من هذه النمرقة وفي
رواية عن هذا الكرسي فاردت ان اضرب عنقه فتذكرت حديثا حدثنيه ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال اذا امن الرجل الرجل على دمه ثم قتله رفع له لوا
الغدر يوم القيامة فكففت عنه ولعل مستند ما نقل عن كتاب الامالي لامامنا
الشافعي رضي الله تعالى عنه من القول بان المسلم يقتل المستامن وقد كتب المختار
للاحنف ابن قيس وجماعته وقد بلغني انكم تسموني الكذاب وقد كذب الانبيا من
قبلي ولست بخير منهم وقد كان يقع منه امور تشبه الكهانة منها انه لما جهز
جيشا لقتال عبيد الله ابن زياد المجهز الجيش لمقاتلة الحسين رضي الله عنه كما تقدم
قال لاصحابه في غد ياتيكم خبر النفير وقتل ابن زياد فكان كما اخبر وجي براس
ابن زياد والقي بين يدي المختار وكان قتله يوم عاشورا اليوم الذي قتل فيه الحسين
ثم قتل المختار وكان قتله على يدي مصعب ابن الزبير وجي براس المختار بين يدي
مصعب لما ولي العراق من جانب اخيه لابيه عبد الله ابن الزبير ومما يوثر عن مصعب
العجب من ابن ادم كيف يتكبر وقد جرى في مجرى البول مرتين ثم قتل مصعب وقطع
راسه ووضع بين يدي عبد الملك ابن مروان وعن بعضهم انه حدث عبد الملك
فقال يا امير المومنين دخلت القصر قصر الامارة بالكوفة فاذا راس الحسين على ترس
بين يدي عبيد الله ابن زياد وابن زياد على السرير ثم دخلت القصر بعد ذلك بحين
فرايت راس عبيد الله ابن زياد على ترس بين يدي المختار والمختار على السرير
ثم دخلت القصر بعد ذلك فرايت راس المختار بين يدي مصعب ابن الزبير ومصعب
على السرير ثم دخلت القصر بعد ذلك بحين فرايت راس مصعب بن الزبير بين يديك
وانت على السرير فقال لا اراك الخامسة ثم امر بهدم ذلك القصر وعن امامنا الشافعي
رضي الله تعالى عنه ان ابا الحجاج لما دخل بام الحجاج واقعها فنام فراى قايلا يقول
في المنام ما اسرع ما القحت بالمبير وفي كلام سبط ابن الجوزي رحمه الله تعالى ان ام
الحجاج كانت قبل ابيه مع المغيرة ابن شعبة فطلقها بسبب انه دخل عليها يوما فوجدها
تتخلل حين انفتلت من صلاة الصبح فقال لها ان كنت تتخللين من طعام البارحة انك
لقذرة وان كان من طعام اليوم انك لنهمة كنت فبنت قالت والله ما فرحنا اذ كنا ولا
اسفنا اذ بنا ولا هو شي مما ظننت ولكني استكت فاردت ان اتخلل من السواك فندم
المغيرة على طلاقها فخرج فلقي يوسف ابن ابي عقيل والد الحجاج فقال له هل لك الى
شي ادعوك اليه قال وما ذاك قال اني نزلت عن سيدة نسا ثقيف وهي الفارعة
فتزوجها تنجب لك فتزوجها فولدت له الحجاج وفي حياة الحيوان انها كانت قبل ابي الحجاج

جها
عند امية ابن ابي الصلت هذا كلامه وقد يقال لا مانع انها تزوجت الثلاثه وان تزوجها
لامية كان قبل المغيرة وكونها سبية نسا ثقيف بسعد القول بانها المتمنيه التي مر بها
سيدنا عمر رضي الله تعالى عنه وهي تنشد هل من سبيل الى خمر فاشربها الابيات وان كان
يعبر بها فيقال ابن المتمنيه وفي مدة صلب عبد الله ابن الزبير رضي الله عنهما مرت
امه رضي الله عنها تقول اللهم لا تمتني حتى تقر عيني بجثته وذهب اخوه عروة
بن الزبير رضي الله عنهما الى عبد الملك ابن مروان يساله في انزاله عن الخشبة فاجابه
وانزله قال فما غاسله كنا لا نتناول عضو من اعضايه الا جامعنا فكنا نغسل العضو
ونضعه في اكفانه وقامت امه رضي الله عنها فصلت عليه وماتت بعد ذلك بجمعة ذكر
ذلك في الاستيعاب وقيل بعد مائة يوم قال الحافظ ابن كثير وهو المشهود وبلغت
رضي الله عنها من العمر مائة سنه ولم يسقط لها سن ولم ينكر لها عقل وقتل
مع ابن الزبير رضي الله عنهما مايتان واربعون رجلا منهم من سال دمه في جوف
الكعبه وكان من جملة من قتل عبد الله ابن صفوان ابن امية الجمحي قيل يوم قتل ابن
الزبير وقطع راسه وبعث الحجاج براسه وراس ابن الزبير الي المدينة فنصبوهما وصاروا
يقربون راس عبد الله بن صفوان الي راس ابن الزبير كانه يساره يلعبون بذلك
ثم بعثوا بهما الى عبد الملك ابن مروان ولما وضع راس عبد الله ابن الزبير بين يدي
عبد الملك سجد وقال والله كان احب الناس الي واشدهم الي الفا ومودة ولكن
الملك عقيم اي فان الرجل يقتل ابنه واخاه علي الملك فاذا فعل ذلك انقطعت بينهما
الرحم وسياتي مدح عبد الملك لابن الزبير رضي الله عنهما وقد قبح امير الجيش
الذي ارسله يزيد لمقاتلته وقد كان ابن الزبير رضي الله عنهما قال لعبد الله
بن صفوان اني قد اقلتك بيعتي بيه فاذهب حيث شئت فقال انما اقاتل عن ديني
وكان سيدا شريفا مطاعا حليما كريما قتل وهو متعلق باستار الكعبه وقد يشكل كونه
حرما امنا ومما يدل لما تقدم من ان عبد الله ابن الزبير رضي الله عنهما كان عنده
سوء خلق ما حكي انه جا اليه شخص فقال له ان الناس علي باب عبد الله بن
عباس يطلبون العلم وان الناس علي باب اخيه عبيد الله يطلبون الطعام فاحدهما
يفقه الناس والاخر يطعم الناس فما ابقيا لك مكرمة فدعا شخصا وقال له اذهب
الى بني العباس وقل لهما يقول لكما امير المومنين اخرجا عني والا فعلت وفعلت
فخرجا الى الطايف اي وقيل انما خرج عبد الله ابن عباس رضي الله عنهما من مكه
الي الطايف الا لان الله تعالى قال ومن يرد فيه بالحاد بظلم نذقه من عذاب
الناس ~~اليم~~ فقد قال الشيخ محي الدين ابن العربي رحمه الله تعالى اعلم ان الناس
الله تعالى قد عفا عن جميع الخواطر التي لا تستقر عندنا الا بمكة لان الشرع قد ورد
ان الله تعالى يواخذ فيه من يرد فيه بالحاد بظلم وكان هذا سبب سكن عبد الله

ابن عباس

بن عباس رضي الله عنهما بالطايف احتياطا لنفسه لانه ليس في قدرة الانسان ان
يرفع عن قلبه الخواطر قال بعضهم كان يقال من اراد الفقه والجمال والسخا
فلياتي دار بني العباس الجمال للفضل والسخا لعبيد الله والفقه لعبد الله قيل
ولما حج عبد الملك اي وذلك سنة خمس وسبعين قال له الحارث انا اشهد لابن الزبير
بالحديث الذي سمعه عن خالته عايشة رضي الله عنها قال وانت سمعت منها قال
نعم فجعل ينكث بالمنساة فوق بقضيب كان في يده الارض ساعة ثم قال وددت اني
كنت تركته يعني ابن الزبير وما تحمل وفي رواية ان عبد الملك كتب
الي الحجاج وددت انك تركت ابن الزبير وما تحمل وهو الموافق لما في تاريخ الازرقي
ان الحارث وفد علي عبد الملك ابن مروان في خلافته فقال له عبد الملك ما اظن ان
ابا خبيب يعني ابن الزبير سمع من عايشة رضي الله تعالى عنها ما كان يزعم انه سمع
منها في بنا الكعبه قال الحارث انا سمعته منها قال عبد الملك انت سمعته منها الحديث
وكون عايشة رضي الله عنها حدثت ابن الزبير بما ذكر لا ينافي ما في تاريخ ابن كثير عن
بعضهم قال سمعت ابن الزبير رضي الله عنهما يقول حدثتني امي اسما بنت ابي بكر
رضي الله عنها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعايشة رضي الله عنها لولا
قرب عهد قومك بالكفر لرددت الكعبة على اساس ابراهيم عليه السلام الحديث وفي
رواية ان عايشة رضي الله عنها نذرت ان فتح الله مكة علي رسول الله صلى الله عليه
وسلم تصلي في البيت ركعتين فلما فتحت مكة اي وحج رسول الله صلى الله عليه وسلم
حجة الوداع سالت النبي صلى الله عليه وسلم ان يفتح لها باب الكعبه ليلا فجا عثمان بن
طلحة رضي الله عنه بالمفتاح الي رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال يا رسول الله
انها لم تفتح ليلا قط قال فلا تفتحها ثم اخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بيدها
وادخلها الحجر وقال صلي ها هنا فان الحطيم اي الحجر من البيت الا ان قومك قصرت
بهم النفقة اي الحلال فاخرجوه من البيت ولولا حدثان قومك بالجاهلية لنقضت
بنا الكعبه واظهرت قواعد الخليل وادخلت الحطيم في البيت والصقت العتبة على
الارض ولئن عشت الي قابل لافعلن ذلك ولم يعش صلى الله عليه وسلم ولم يتفرغ
العلما لذلك وهو بما ذكر يعلم ما في قول الاصل فهدمها اي عبد الملك وبناها على ما
كانت عليه في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد علمت ان الحجاج لم يبن الا
الجدار الذي يلي الحجر والبنا الذي تحت العتبة والدرجة التي في باطنها واما
التراب الذي في باطنها فيحتمل ان يكون هو التراب الذي اخرجه عبد الله ابن الزبير
رضي الله عنهما استمر باقيا فاعاده الحجاج ويحتمل انه غيره ولم اقف على بيان ذلك
في كلام احد والشاذروان الذي اخرجه عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما من
عرض الاساس الذي بنته قريش لاجل مصلحة استمساك البنا وثباته ومن العجب

حدث به بعضهم قال كنت اميرا على الجيش الذي بعث به يزيد ابن معاوية الى عبد الله
ابن الزبير رضى الله عنهما بمكة فدخلت مسجد المدينة فجلست لجانب عبد الملك ابن
مروان فقال لي عبد الملك انت امير هذا الجيش قلت نعم قال ثكلتك امك اتدري الى ما
تسير الى اول مولود ولد في الاسلام اي بالمدينة من اولاد المهاجرين والى ابن حواري
رسول الله صلى الله عليه وسلم والى ابن ذات النطاقين يعني اسما رضي الله عنها
والى من حنكه رسول الله صلى الله عليه وسلم اما والله ان جيته نهارا رايته صايما
وان جيته ليلا لتجدنه قايما فلو ان اهل الارض اطبقوا على قتله لاكبهم الله تعالى
في النار جميعا فلما صارت الخلافة الى عبد الملك وجهنا مع الحجاج حتى قتلناه وذكر
بعضهم ان عبد الملك ابن مروان لما راى جيش يزيد متوجها الى مكة قال اعوذ
بالله ايبعث الجيش لحرم الله فضرب منكبه شخص كان يهوديا واسلم وكان يقرا
الكتب وقال له جيشك اليه اعظم ويقال ان هذا اليهودي مر على دار مروان والد
عبد الملك هذا فقال ويل لامة محمد صلى الله عليه وسلم من اهل هذه الدار اي لان
مروان كان سببا لقتل عثمان رضي الله عنه وعبد الملك ابنه كان سببا لقتل عبد الله
ابن الزبير رضي الله عنهما ووقع من الوليد ابن يزيد الامور الفظيعة اي وسبب
ولاية الحجاج على الجيش انه قال لعبد الملك ابن مروان رايت في منامي اني اخذت عبد الله
بن الزبير فسلخته فولني قتاله فولاه قتاله فارسله في جيش كثيف من اهل الشام فحصر
ابن الزبير رضى الله عنهما ورمى الكعبة بالمنجنيق ولما رمى به ارعدت السما وابرقت
فخاف اهل الشام فصاح الحجاج هذه صواعق تهامة وانا ابنها ثم قام ورمى المنجنيق
بنفسه فزاد ذلك ولم تزل صاعقة تتبعها اخرى حتى قتلت اثني عشر رجلا من اهل
الشام فخاف اهل الشام زيادة ذلك قال بعضهم ولا زال الحجاج يحضهم بالرمي بالمنجنيق
ولم تزل الكعبة ترمى بالمنجنيق حتى هدمت وحرقت استارها حتى صارت كالفحم اي وفيه
انها لو كان هدمت او احرقت لاعيد بناوها او اصلحت بالترميم ولو وقع ذلك لنقل
لانه مما تتوفر الدواعي على نقله ولعل هذا اشتبه على بعض الرواة ظن ان الذي وقع من
جيش يزيد واقع من الحجاج فان قيل هلا اهلك الله من نصب المنجنيق على الكعبة كما اهلك
ابرهة قلنا لان من نصب المنجنيق لم يرد هدم الكعبة بخلاف ابرهة كما تقدم وفيه
انه قد يشكل كونه حرما امنا وفي البخاري عن ابن عباس رضى الله عنهما انه قال
حين وقع بينه وبين ابن الزبير رضى الله عنهما اي وامر ان يخرج الى الطايف ويقدم
على ما تقدم قلت ابوه الزبير وامه اسما وخالته عايشة وجده ابو بكر وجدته صفية
وفي رواية عنه انه قال اما ابوه فحواري رسول الله صلى الله عليه وسلم يريد الزبير واما
جده فصاحب الغار يريد ابا بكر رضي الله عنه واما امه فذات النطاقين يريد اسما
رضي الله عنها واما خالته فام المومنين عايشة رضي الله عنها واما عمته فزوج النبي

صلى الله عليه وسلم
يريد خديجة رضي الله عنها واما عمة النبي صلى الله عليه وسلم فجدته يريد صفية
ولما قتل عبد الله ابن الزبير رضى الله عنهما ارتجت مكة بالبكا فجمع الحجاج الناس
وخطبهم وقال في خطبته الا ان ابن الزبير كان من خيار هذه الامة الا انه نازع
الحق اهله الا ان الله خلق ادم بيده ونفخ فيه من روحه واسكنه جنته فلما اخطا
اخرجه من الجنة بخطيته وادم اكرم على الله من ابن الزبير والجنة اعظم حرمة من
الكعبة اذكروا الله يذكركم اي ومن اعلام نبوته صلى الله عليه وسلم ما روي
ان عبد الله ابن الزبير رضى الله عنهما لما ولد نظر اليه رسول الله صلى الله عليه
وسلم فقال هو هو فلما سمعت بذلك امه رضي الله عنها امسكت عن ارضاعه رضي
الله عنه فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم ارضعيه ولو بما عينيك كبش بين
ذياب وذياب عليها ثياب ليمنعن او ليقتلن دونه وفي حياة الحيوان ان العرب اذا
ارادوا مدح انسان قالوا كبش واذا ارادوا ذمه قالوا تيس ومن ثم قال صلى الله عليه وسلم
في المحلل التيس المستعار ويقال ان الحجاج بعد قتل ابن الزبير رضى الله عنه ذهب
الى المدينة وعلى وجهه لثام فراى شيخا خارجا من المدينة فساله عن حال اهل المدينة
فقال بشر حال قتل ابن حواري رسول الله صلي الله عليه وسلم قال من قتله قال
الفاجر اللعين الحجاج عليه لعاين الله ورسوله من قليل المراقبة لله فغضب الحجاج
غضبا شديدا ثم قال ايها الشيخ اتعرف الحجاج اذا رايته قال نعم ولا عرفه الله خيرا
ولا وقاه ضرا فكشف الحجاج عن وجهه وقال ستعلم الان اذا سال دمك الساعة فلما
تحقق الشيخ انه الحجاج قال ان هذا لهو العجب يا حجاج انا فلان اصرع من الجنون في
كل يوم خمس مرات فقال الحجاج اذهب لا شفا الله الابعد من جنونه ولا عافا وخلوص
هذا من يد الحجاج من العجب لانا اقدامه على القتل ومبادرته اليه امر لم ينقل عن
مثله لاحد وكان يقول مخبرا عن نفسه ان اكبر لذاته سفك الدما قال بعضهم
والاصل في ذلك انه لما ولد لم يقبل ثديا فتصور لهم ابليس في صورة الحارث ابن كلدة
طبيب العرب وقال اذبحوا تيسا اسودا والعقوه من دمه واطلوا به وجهه ففعلوا
به ذلك فقبل ثدي امه وذكر انه اتي اليه بامراة من الخوارج فجعل يكلمها وهي لا
تنظر اليه ولا ترد عليه كلاما فقال لها بعض اعوانه يكلمك الامير وانت معرضة
فقالت اني استحي ان انظر الى من لا ينظر الله اليه فامر بقتلها فقتلت وقد احصى الذين
قتل بين يديه صبرا فبلغ ماية الف وعشرين الفا ولما عزى سيدتنا اسما رضي الله عنها
عبد الله ابن عمر رضى الله عنهما وامرها بالصبر قالت وما يمنعني من الصبر وقد
اهدي راس يحيى ابن زكريا عليهما السلام الى بغي من بغايا بني اسرايل وقد جاء ان
هذه البغي اول من يدخل النار ويقال ان عبد الله ابن الزبير رضي الله عنهما قال
لامه رضي الله عنها يوم قتل يا امه اني مقتول من يومي هذا فلا يشتد حزنك

وسلي لامر الله تعالى فان ابنك لم يعد الى اتيان منكر ولا عمل بفاحشة وفي كون
عبد الله ابن عمر رضي الله عنهما تاخر موته عن موت ابن الزبير رضي الله عنهما
نظر فقد قيل ان عبد الله ابن عمر رضي الله عنهما مات قبل قتل ابن الزبير رضي
الله عنهما بثلاثة اشهر وسبب موته ان الحجاج سفه عليه فقال له عبد الله رضي
الله عنه انك سفيه سلط فغيره ذلك عليه فامر الحجاج شخصًا ان يسم زج رمحه — قبحه الله م
ويضعه على رجل عبد الله ففعل به ذلك في الطواف فمرض من ذلك اياما ومات
ويذكر ان الحجاج دخل عليه ليعوده فساله عمن فعل به ذلك وقال قتلني الله ان لم اقتله
فقال له عبد الله لست بقاتل له قال ولم قال لانك الذي امرته به وقول عبد الله
ابن عمر رضي الله عنهما للحجاج انك سفيه سلط يشير الى قول ابيه عمر رضي الله
عنه فانه لما بلغه ان اهل العراق حصبوا اميرهم اي رموه بالحجارة خرج غضبان
فصلى فسهي في صلاته فلما سلم قال اللهم كما لبسوا علي فالبس عليهم وعجل عليهم
بالغلام الثقفي يحكم فيهم بحكم الجاهلية لا يقبل من محسنهم ولا يتجاوز عن مسيئهم
وكان قبل ان يولد الحجاج ثم رايت في تاريخ ابن كثير رحمه الله تعالى لما مات — ذلك صح
ابن الزبير رضي الله عنهما استقر الامر لعبد الملك ابن مروان بايعه عبد الله بن
عمر رضي الله عنهما ويوافقه ما في الدلايل للبيهقي رحمه الله تعالى ان ابن عمر رضي
الله عنهما وقف على ابن الزبير رضي الله عنهما وهو مصلوب وقال السلام عليك
ابا خبيب اما والله لقد كنت انهاك عن هذا اما والله لقد كنت انهاك عن هذا
اما والله لقد لقد كنت انهاك عن هذا اما والله ان كنت ما علمت صوامًا قوامًا
وصولا للرحم ويذكر انه كان لعبد الله ابن الزبير رضي الله عنهما مائة غلام لكل
غلام منهم لغة لا يشاركه فيها غيره وكان يكلم كل واحد منهم بلغته وهذا اغرب
مما استغرب وهو ان ترجمان الواثق بالله من خلفا بني العباس كان عارفا بالسن
كثيره حتى انه يقال انه يعرف اربعين لغة ويجاري فيها وقد قال الحجاج لعروة
ابن الزبير رضي الله عنهما يومًا في كلام جرى بينهما لا ام لك فقال الي تقول هذا
وانا ابن عجايز الجنة يعني جدته صفيه وعمته خديجه وخالته عايشة وامه اسما
رضي الله عنهن وقال الحجاج يومًا للشخص ما تقول في عبد الملك ابن مروان فقال
الرجل ما اقول فيمن انت سيئة من سياته وقد اطلق سليمان ابن عبد الملك لما
ولي الخلافه من سجن الحجاج سبعين الفا قد حبسهم للقتل ليس لواحد منهم ذنب يستوجب
به الحبس فضلا عن القتل وذكر انه كان يحبس الرجال مع النسا ولم يكن لحبسه
بيوت اخليه فكان الرجل يبول بجانب المراة والمراة تبول بجانب الرجل فتبدو
العورات وكان كل عشرة في سلسله ويطعمهم خبز الدخن مخلوطا بالملح والرماد مر
يوم جمعة فسمع استغاثة فقال ما هذا فقيل له اهل السجن يقولون قتلنا الحر

فقال

فقال قولوا لهم اخسؤا فيها ولا تكلموني فما عاش بعد ذلك الا اقل من جمعة واخر من
قتله الحجاج من التابعين سعيد ابن جبير ولم يقتل بعد ابن جبير الا رجلا واحدا
وقال عمر ابن عبد العزيز رضي الله عنه لو جات كل امة بفرعونها وجيناهم بالحجاج
لغلبناهم وقال سليمان ابن عبد الملك لرجل من اخصا الحجاج ابلغ الحجاج قعر جهنم
فقال يا امير المومنين يجي الحجاج يوم القيمه بين ابيك عبد الملك وبين اخيك الوليد بن
عبد الملك فضعه من النار حيث شيت ومن غريب الاتفاق ما حكاه بعضهم قال
مات رجل فلما وضع على مغتسله استوى قايمًا وقال نظرت بعيني هاتين واهوى بيده
الى عينيه الحجاج وعبد الملك في النار يسحبان بامعايهما ثم عاد ميتا كما كان والحجاج مثا — صح
بالظلم فقد رايت بعضهم حكى انه يقال في المثل اظلم من الجلندي وهو المشار اليه
بقوله تعالى وكان وراهم ملك ياخذ كل سفينة غصبًا وانه من اجداد الحجاج بينه وبينه
سبعون جدا واستحلف الحجاج رجلا في امر فقال لا والذي انت بين يديه غدا اذل مني
بين يديك اليوم فقال والله اني يوميذ لذليل واول من ضرب الدراهم والدنانير في
الاسلام الحجاج بامر عبد الملك ابن مروان وكتب عليها قل هو الله احد الله
الصمد اي على احد وجهي الدرهم قل هو الله احد وعلى وجهه الثاني الله الصمد
ولم توجد الدراهم الاسلاميه الا في زمن عبد الملك ابن مروان وكانت الدراهم قبل
ذلك رومية وكسرويه وفي زمن الخليفة المستنصر بالله وهو السابع والثلاثون من
خلفا بني العباس ضربت الدراهم وسماها النقرة وكانت كل عشرة بدينار وذلك في سنة
سنه وعشرين وسبعماية ولما دخل سليمان ابن عبد الملك المدينة سال اهل المدينه
احد ادرك احدًا من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا ابو حازم
فارسل اليه فلما دخل عليه ساله فقال يا ابا حازم ما لنا نكره الموت قال لانكم
اضربتم اخرتكم وعمرتم دنياكم فكرهتم ان تنتقلوا من عمران الى خراب فقال له وكيف
القدوم على الله فقال اما المحسن فكالغايب يقدم على اهله واما المسي فكالابق يقدم
على مولاه فبكى سليمان وقال يا ليت شعري ما لنا عند الله فقال اعرض عملك على
كتاب الله تعالى فقال في اي مكان اجده فقال في قوله ان الابرار لفي نعيم وان الفجار
لفي جحيم قال سليمان فاين رحمة الله تعالى قال قريب من المحسنين قال فاي عباد الله
اكرم قال اولوا المروه وجا اعرابي الى سليمان ابن عبد الملك هذا فقال يا امير المو — منين
اني اكلمك بكلام فاحتمله فان وراه ان قبلته ما تحب فقال سليمان هاته يا اعرابي
فقال الاعرابي اني اطلق لساني بما خرست عنه الالسن تادية لحق الله تعالى انه قد
قد اكتنفك رجال قد اسا والاختيار لانفسهم وابتاعوا دنياك بدينهم ورضاك — ٢ اقوام صح
بسخط ربهم وخافوك في الله ولم يخافوا الله فيك فهم حرب الاخرة وسلم الدنيا
فلا تامنهم علي ما استخلفك الله عليه فانهم لن يبالوا بالامانه وانت مسول عما اجترحوا

فلا تصلح دنياهم بفساد اخرتك فان اعظم الناس عند الله عيبًا من باع اخرته بدنيا
غيره فقال له سليمان اما انت يا اعرابي فقد سللت لسانك وهو سيفك قال اجل
يا امير المومنين لك لا عليك ولما حج بالناس قال لولد عمه وولي عهده عمر ابن عبد العزيز
رضي الله عنه الا ترى هذا الخلق الذي لا يحصي عددهم الا الله تعالى ولا يسع رزقهم
غيره فقال يا امير المومنين هولا رعيتك اليوم وهم غدا خصماؤك عند الله تعالى
فبكا سليمان بكاء شديدًا ثم قال بالله استعين وقال يومًا لعمر ابن عبد العزيز
رضي الله عنه حين اعجبه ما صار اليه من الملك يا عمر كيف ترى ما نحن فيه فقال يا
امير المومنين هذا سرور لولا انه غرور ونعيم لولا انه عديم وملك لولا انه هلك
وفرح لو لم يعقبه ترح ولذات لو لم تقترف بآفات وكرامة لو صحبتها سلامة فبكى
سليمان حتى اخضلت دموعه لحيته وولاية عمر ابن عبد العزيز رضي الله تعالى عنه
بشر بها جده لامه عمر ابن الخطاب رضي الله تعالى عنه فعنه رضي الله عنه انه
قال ان من ولدي رجلا بوجهه شين وفي رواية علامة يملأ الارض عدلا وكان
ولده عبد الله رضي الله عنه يقول كثيرًا ليت شعري من هذا الذي من ولد عمر ابن
الخطاب في وجهه علامة يملأ الارض عدلًا وفي رواية عنه كان يقول يا عجبًا يزعم
الناس ان الدنيا لا تنقضي حتى يلي رجل من ال عمر يعمل بمثل عمل عمر قال بعضهم
فاذا هو عمر ابن عبد العزيز رضي الله عنه لان امه ابنة عاصم ابن عمر ابن الخطاب
رضي الله عنه ومما يوثر عن سليمان انه لما ولي الخلافة وقام خطيبًا قال الحمد لله
الذي ما شا صنع وما شا رفع ومن شا وضع ومن شا اعطى ومن شا منع ان الدنيا
دار غرور تضحك باكيا وتبكي ضاحكًا وتخيف امنا وتومن خايفا وقال في خطبة من
خطبه ايضا ايها الناس اين الوليد وابو الوليد وجد الوليد اسمعهم الداعي واسترد
العواري واضمحل ما كان لم يكن ذهب عنهم ثابت الحياة وفارقوا القصور
واستبدلوا بلين الوطا خشن التراب فهم رهنا فيه الى يوم المآب فرحم الله عبدا مهد
لنفسه يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرًا ولما ولي الخلافة ابو جعفر المنصور
اراد ان يبني الكعبة على ما بناها ابن الزبير رضي الله عنهما وشاور الناس في ذلك
فقال له الامام مالك ابن انس رحمه الله تعالى انشدك الله اي بفتح الهمزة وضم الشين
المعجمة اي اسالك بالله يا امير المومنين ان لا تجعل هذا البيت ملعبة للملوك لا يشا
احد منهم ان يغيره الا غيره فتذهب هيبته من قلوب الناس فصرفه عن رايه فيه
قال وذكر الطبري في مناسكه ان الذي اراد ذلك ومنعه مالك هو الرشيد
انتهى اقول وكونه الرشيد هو الذي ذكره المقريزي واقتصر عليه ولان المنصور
مات محرمًا ببير ميمونة لستة ايام خلون من ذي الحجة فلم يدخل مكة وقد يقال يجوز
ان يكون دخل المدينة قبل مسيره الى مكة واستشار الناس في المدينة فقال له الامام
مالك

مالك رضي الله عنه ما تقدم وان الرشيد ايضا اراد ذلك واستشار الامام مالك
فاشار عليه بما ذكر ثم رايت في تاريخ ابن كثير رحمه الله تعالى لما كان في زمن
المهدي ابن المنصور استشار الامام مالك في ردها اي الكعبة الى الصفة التي بناها
ابن الزبير رضي الله عنهما فقال له اني اخشى ان تتخذها الملوك لعبة ورايت
في كلام بعضهم ان المنصور حج وانه لما قضى الحج والزيارة توجه الى زيارة بيت
المقدس ولعل هذا كان في حجة غير هذه التي مات فيها ثم رايت في تاريخ ابن
كثير رحمه الله تعالى ان المنصور حج وهو خليفة اربع غير الحجة التي مات فيها
وكذا في القرا لقاصد ام القرى للطبري وذكر انه مات في الحجة الخامسة قبل يوم
قبل يوم التروية بيومين وانه احرم في بعض حججه من بغداد وقد ذكر الشيخ
الصفوري رحمه الله تعالى ونفعنا به ان المنصور بلغه ان سفيان الثوري ينقم
عليه في عدم اقامة الحق فلما توجه المنصور للحج وبلغه ان سفيان بمكة ارسل
جماعة امامه وقال لهم حيثما وجدتم سفيان خذوه واصلبوه فنصبوا الخشب ليصلبوا
سفيان عليه وكان سفيان بالمسجد الحرام راسه في حجر الفضيل ابن عياض ورجلاه
في حجر سفيان ابن عيينة فقيل له حزنا عليه بالله لا تشمت بنا الاعدا قم فاختف
فقام ومشى حتى وقف بالملتزم وقال ورب هذه الكعبة لا يدخلها يعني مكة المنصور
وكان وصل الى الحجون فزلقت به راحلته فوقع عن ظهرها ومات من فوره فخرج
وصلي عليه هذا كلامه وقد يقال لا مخالفة بين هذا وبين ما تقدم انه مات ببير
ميمونة لانه يجوز ان يكون المراد بوصوله الى الحجون وركبه فليتامل ثم رايت
في تاريخ ابن كثير رحمه الله ان المنصور لما خرج الى الحج وجاوز الكوفة بمراحل اخذه
وجعه الذي مات فيه وافرط به الاسهال ودخل مكة ونزل بها ولعل هذا لا يخالف ما
سبق لانه يجوز انه اطلق مكة على المحل القريب منها وان مع اطلاق بطنه زلقت به
فرسه قيل واخر ما تكلم به المنصور اللهم بارك لي في لقايك ومما يوثر عن المنصور
اولى الناس بالعفو اقدرهم على العقوبة وانقص الناس من ظلم من هو دونه والله
تعالى اعلم وتقدم ان قصيا لما امر قريشا ان تبني حول الكعبة بيوتها فبنت بيوتها من
جهاتها الاربع وتركوا قدر المطاف واستمر الامر على ذلك زمنه صلى الله عليه وسلم
وزمن ابي بكر الصديق رضي الله عنه فلما ولي عمر رضي الله عنه راى ان يوسع حول
الكعبة فاشترى دورا وهدمها ووسع حول الكعبة وبنى جدارا واقتصروا على ذلك
وجعل فيه ابوابًا سبعة ثم وسعه عثمان رضي الله عنه ثم عبد الله ابن الزبير رضي
الله عنهما ثم ان عبد الملك ابن مروان رفع الجدران وسقفه بالساج ثم ان الوليد ابن
عبد الملك نقض ذلك ونقل اليه الاساطين الرخام وسقفه بالساج المزخرف وازره
المسجد بالرخام ثم زاد فيه المنصور ودخل الحجر ثم زاد فيه المهدي اولا وثانيا حتى

صارت الكعبة في وسط المسجد وفي ايام المعتضد بالله الخليفة العباسي ادخلت
دار الندوه في المسجد وتسمى مكة شرفها الله تعالى ماران وتسمى قرية النمل لكثرة نملها
او لان الله تعالى ارسل لعله فيها النمل على العماليق لما اظهروا فيها الظلم حتى اخرجهم
من الحرم كما تقدم ولها اسما كثيره قد افردها صاحب القاموس بمؤلف اقول
وسياتي عن الامام النووي رحمه الله تعالى انه ليس في البلاد اكثر اسما من مكة
والمدينه والله اعلم قال وعن ابي هريرة رضي الله عنه خلقت الكعبة اي موضعها
قبل الارض بالفي عام كانت صفة على الما عليها ملكان يسبحان فلما اراد الله تعالى
ان يخلق الارض دحاها منها فجعلها في وسط الارض وسيل الجلال السيوطي رحمه
الله تعالى عن قوله تعالى ان ربكم الله الذي خلق السموات والارض في ستة ايام
هل كانت ايام ثم موجوده قبل خلق السموات والارض فاجاب ان خلق السموات
والارض وخلق الايام كان دفعة واحدة من غير تقديم احدها على الاخر واستند
في ذلك بما نورا التفسير وفي الحديث ان الله تعالى حرم مكة قبل ان يخلق السموات
والارض الحديث وح فقوله صلى الله عليه وسلم ان ابراهيم عليه الصلاة والسلام
حرم مكة اي اظهر تحريمها والله اعلم باب ما جا من اسما رسول
الله صلى الله عليه وسلم عن احبار اليهود وعن الرهبان من
النصارى وعن الكهان من العرب على السنة الجان وعلى غير السنتهم وما من سمع
من الهواتف ومن بعض الوحوش ومن بعض الطيور وطرد الشياطين من استراق
السمع عند مبعثه بكثرة تساقط النجوم وما ذكر من ذكره وذكر صفته في الكتب القديمة
وما وجد فيه اسمه صلى الله عليه وسلم مكتوبا وجد من النبات والاحجار وغيرهما
قال ابن اسحاق وكانت الاحبار من اليهود والرهبان من النصارى والكهان من
العرب قد تحدثوا بامر رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل مبعثه لما تقرب زمانه
اما الاحبار من اليهود والرهبان من النصارى فلما وجدوا في كتبهم من صفته صلى
الله عليه وسلم ومن صفة زمانه واما الكهان من العرب فجاهم فيما يسترقه من
السمع اذ كانت لا تحجب عن ذلك كما حجبت عند الولاده والبعث وكان الكاهن والكاهنة
لا يزال يقع منها ذكر بعض اموره ولا تلقي العرب لذلك بالا حتى بعثه الله تعالى ووقعت
تلك الامور التي يذكرونها معرفوها وهذا فيه تصريح بان الملايكة كانت تذكره صلى
الله عليه وسلم في السما قبل وجوده صلى الله عليه وسلم في ما اخبار الاحبار اليهود
فمنها ما تقدم ذكره ومنها ما جا عن سلمة ابن سلامة ابن وقش الانصاري رضي
الله عنه وكان من اصحاب بدر قال كان لنا جار من يهود بني عبد الاشهل فذكر
اي عند اصحاب اوثان القيامه والحشر والحساب والميزان والجنة والنار فقالوا له ويحك قومه
يا فلان او ترى هذا كاينا ان الناس يبعثون بعد موتهم الى دار فيها جنة ونار

يجزون

يجزون فيها باعمالهم قال نعم والذي يحلف به ولوداي الشخص ان له بحظ من
تلك النار اعظم تنور يحمونه ثم يدخلونه اياه فيطبقونه عليه بان ينجو من تلك
النار غدا فقالوا له ويحك وما اية ذلك قال نبي يبعث من نحو هذه البلاد واشار
بيده الى مكة واليمن قالوا ومن نراه فنظر الي وانا احدثهم سنا فقال ان يستنفد
اي يستكمل هذا الغلام عمره يدركه قال سلمة والله ما ذهب الليل والنهار حتى
بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم وهو اي ذلك اليهودي بين اظهرنا فامنا
به صلى الله عليه وسلم وكفر هو بغيا وحسدا فقلنا له ويحك يا فلان الست الذي
قلت لنا قال بلى ولكن ما قلت ليس به ومن ذلك ما جا عن عمرو ابن عبسة السلمي
رضي الله عنه قال رغبت عن الهة قومي في الجاهلية اي تركت عبادتها فلقيت ثم
رجلا من اهل الكتاب من اهل تيما اي وهي قرية بين المدينة والشام فقلت له اني
امرء ممن يعبد الحجارة فينزل الحي قوم ليس معهم اله لعله فيخرج الرجل منهم فياتي باربعة
احجار فينصب ثلاثة لقدره اي يستنجي بها ويجعل احسنها الها يعبده ثم لعله يجد ما
هو احسن منه شكلا قبل ان يرتحل فيتركه وياخذ غيره واذا نزل منزلا سواه ورأى
ما هو احسن منه تركه واخذ ذلك الاخر فرايت انه اله باطل لا ينفع ولا يضر فدلني
على ما هو خير من هذا قال يخرج رجل من مكة يرغب عن الهة قومه ويدعو الى
غيرها فاذا رايت ذلك فاتبعه فانه ياتي بافضل الدين فلم يكن لي همة منذ قال
لي ذلك الا مكة اتي فاسال هل حدث فيقال لا ثم قدمت فسالت فقيل لي حدث
رجل يرغب عن الهة قومه ويدعو الى غيرها فشددت راحلتي برحلها ثم قدمت
منزلي الذي كنت انزله بمكة فسالت عنه فوجدته مستخفيا ووجدت قريشا عليه
اشدا فتلطفت حتى دخلت عليه فسالته اي شيء انت قال نبي قلت ومن نباك قال
الله قلت وبما ارسلك قال بعبادة الله وحده لا شريك له وبتكسير الاوثان وبحقن الدما
وبصلة الرحم وامان السبل فقلت نعم ما ارسلك به قد امنت بك وصدقتك
اتامرني ان امكث معك او انصرف قال الا ترى الى كراهة الناس ما جيت به رسالتك فلا تستطيع
ان تمكث معي لعله كن في اهلك فاذا سمعت بي قد خرجت مخرجا فاتبعني فكنت في اهلي حتى
خرج صلى الله عليه وسلم الى المدينة سرت اليه فقدمت المدينة فقلت يا نبي الله اتعرفني
قال نعم انت الذي اتيتني بمكة ومن ذلك ما حدث به عاصم ابن عمرو ابن قتاده
رضي الله عنه عن رجال من قومه قالوا انما دعانا الى الاسلام مع رحمة الله لنا
وهداه ما كنا نسمع من احبار يهود كنا اهل شرك اصحاب اوثان وكانوا اهل كتاب
عندهم علم ليس لنا وكانت لا تزال بيننا وبينهم شرور فاذا نلنا منهم بعض ما يكرهون
قالوا لنا قد تقارب زمن نبي يبعث الان يقتلكم قتل عاد وارم اي يستاصلكم
بالقتل فكان كثيرا ما نسمع ذلك منهم فلما بعث الله رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم

اجبناه حين دعانا الى الله عز وجل وعرفنا ما كانوا يتواعدونا به فبادرناهم
اليه فامنا به وكفروا ففي ذلك نزلت هذه الايات في البقره ولما جاءهم كتاب من عند
الله مصدق لما معهم وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا به فلعنة الله على فلما جاهم ما عرفوا كفروا صح
الكافرين ومن ذلك ما حدث به شيخ من بني قريظة قال ان رجلا من يهود اهل
الشام يقال له ابن الهيبان اي الجبان قدم الينا قبيل الاسلام بسنتين فحل بين
اظهرنا والله ما راينا رجلا قط حل لا يصلي الخمس افضل منه اي لا اظن احدا من
غير المسلمين لان المسلمين يصلون الخمس فلا يصلي لا زائد فاقام عندنا فكنا اذا
قحط المطر اي احتبس عنا قلنا له اخرج يا ابن الهيبان فاستسق لنا فيقول لا والله
حتى تقدموا بين يدي نجواكم صدقة فنقول له كم فيقول صاعا من تمر ومدين من
شعير فنخرجها ثم يخرج بنا الى ظاهر حرتنا فيستسقي لنا فوالله ما يبرح مجلسه حتى
يمر السحاب ويسقي قد فعل ذلك غير مرة اي لا مرة ولا مرتين ولا ثلاثا بل اكثر
من ذلك ثم حضرته الوفاة عندنا فلما عرف انه ميت قال يا معشر يهود ما ترونه
اخرجني من اهل الخمر بالتحريك واسكان الميم الشجر الملتف والخمير الى ارض البوس
والجوع فقلنا انت اعلم قال فانما قدمت هذه الارض اتوكف اي اتوقع خروج
نبي قد اظل زمانه اي اقبل وقرب كانه لقربه اظلهم اي القى عليهم ظله وهذه
البلدة مهاجره وكنت ارجو ان يبعث فاتبعه فقد اظلكم زمانه فلا تسبقن اليه
يا معشر اليهود فانه يبعث بسفك الدماء وسبي الذراري والنسا ممن خالفه فلا
يمنعكم ذلك منه فلما بعث الله رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم وحاصر بني قريظة
قال لهم نفر من اهل هدل بفتح الها والدال المهملة وقيل بسكونها اخوة بني قريظة
وهم ثعلبة ابن سعية واسد ابن سعيه ويقال اسيد بالتصغير واسد بن عبيد
وكانوا شبابا احداثا يا بني قريظة والله لهو بصفته فنزلوا واسلموا فاحرزوا
دماهم واموالهم كما سياتي قال ومن ذلك خبر العباس رضي الله عنه قال
خرجت في تجارة الى اليمن في ركب فيه ابو سفيان ابن حرب فورد كتاب حنظلة بن
ابي سفيان ان محمدا صلى الله عليه وسلم قائم في ابطح مكة يقول انا رسول الله
ادعوكم الى الله ففشا ذلك في مجالس اهل اليمن فجاءنا حبر من اليهود فقال بلغني ان
فيكم عم هذا الرجل فقلت نعم فقال نشدتك الله هل كان لابن اخيك صبوة
قلت لا والله ولا كذب ولا خان وما كان اسمه عند قريش الا الامين قال هل كتب
بيده فاردت ان اقول نعم فخشيت من ابي سفيان ان يكذبني ويرد علي ما قلت
فقلت لا يكتب فوثب الحبر وترك رداءه وقال ذبحت يهود وقتلت يهود قال
العباس فلما رجعنا الى منزلنا قال للعباس يا ابا الفضل ان يهود تفزع من ابن ابو سفيان صح
اخيك فقلت قد رايت لعلك تؤمن به قال لا اومن به حتى ارى الخيل في كدا اي

بالمد قلت ما تقول

اي بالمد قلت ما تقول قال كلمة جاءت على غير في الا اني اعلم ان الله لا يترك خيلا
على كدا قال العباس فلما فتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة ونظر ابو سفيان
الى الخيل قد طلعت من كدا قلت يا ابا سفيان تذكر تلك الكلمة قال اي والله
اني لاذكرها انتهى اي ومن ذلك ما جاء عن امية ابن ابي الصلت الثقفي قال لابي
سفيان اني لاجد في الكتب الالهية صفة نبي يبعث في بلادنا فكنت اظن اني هو
وكنت اتحدث بذلك ثم ظهر لي انه من بني عبد مناف فنظرت فلم اجد فيهم من
هو متصف باخلاقه الا عتبة ابن ربيعة الا انه قد جاوز الاربعين ولم يوح اليه
فعرفت انه غيره قال ابو سفيان فلما بعث محمد صلى الله عليه وسلم قلت لامية
فقال امية انه حق فاتبعه فقلت له فانت ما يمنعك قال الحيا من نسا ثقيف اني
كنت اخبرهن اني هو ثم اصير تبعا لفتى من بني عبد مناف وسياتي ذلك باسط
مما هو واما اخبار الرهبان من النصارى فمنها ما تقدم ذكره ومنها خبر
طلحة ابن عبيد الله التيمي رضي الله عنه قال حضرت سوق بصرى فاذا راهب في
صومعته يقول سلوا اهل هذا الموسم هل فيكم احد من اهل الحرم فقلت نعم انا
قال هل ظهر احمد قلت ومن احمد قال ابن عبد الله بن عبد المطلب هذا شهره الذي
يخرج فيه اي يبعث وهو خير الانبيا مخرجه من الحرم ومهاجره الى نخلة وحره
وسباخ فاياك ان تسبق اليه قال طلحة رضي الله عنه فوقع في قلبي ما قال الراهب
فلما قدمت مكة حدثت ابا بكر رضي الله عنه بذلك فخرج ابو بكر حتى دخل على رسول
الله صلى الله عليه وسلم فاخبره فسر بذلك واسلم طلحة رضي الله عنه فاخذ نوفل
ابن العدوية ابا بكر وطلحة رضي الله عنهما فشدهما في حبل واحد فلذلك سميا القرينين
انتهى اقول ويحتمل ان هذا الراهب هو بحيرا ويحتمل ان يكون نسطورا لان كلا
منهما كان ببصرى كما تقدم في سفره صلى الله عليه وسلم ويحتمل ان يكون غيرهما وهو
اولى لما تقدم ان كلا من بحيرا ونسطورا لم يدرك البعثة والله اعلم اي ومنها
ما حدث به سعيد ابن العاصي ابن سعيد قال لما قتل ابي العاصي يوم بدر كنت
في حجر عمي ابان ابن سعيد وكان يكثر السب لرسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج تا جرا
الى الشام فمكث سنة ثم قدم فاول شي سال عنه ان قال ما فعل محمد فقال ع عبد الله
بن سعيد هو والله اعز ما كان واعلى فسكت ولم يسبه ثم صنع طعاما وارسل الى
سراة بني امية اي اشرافهم فقال لهم اني كنت بقرية فرايت بها راهبا يقال له بكا
لم ينزل الى الارض منذ اربعين سنة اي من صومعته فنزل يوما فاجتمعوا هم
ينظرون اليه فجئت فقلت ان لي حاجة فقال ممن الرجل فقلت اني من قريش وان
رجلا هناك خرج يزعم ان الله ارسله قال ما اسمه قلت محمد قال منذ كم خرج
فقلت عشرين قال الا اصفه لك قلت بلى فوصفه فما اخطا في صفته شيئا ثم قال

هو والله نبي هذه الامة والله ليظهرن ثم دخل صومعته وقال لي اقرا عليه السلام
وكان ذلك في زمن الحديبية اي والحديبية كانت سنة ستة فالعشرون تقريب اي
ومنها ما حدث به حكيم ابن حزام بالزاي رضي الله عنه قال دخلنا الشام
لتجارة قبل ان اسلم ورسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة فارسل الينا ملك الروم
فجيناه فقال من اي العرب انتم من هذا الرجل الذي يزعم انه نبي فقال حكيم فقلت
يجمعني واياه الاب الخامس فقال هل انتم صادقي فيما انباتكم منه فقلنا نعم فقال
انتم ممن تبعه ام ممن رده عليه فقلنا ممن رد عليه وعاداه ثم
فسالنا عن اشيا مما جا بها رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبرناه ثم نهض واستنهضنا معه
فاتى محلا في قصره وامر بفتحه وجا الى ستر فامر بكشفه فاذا صورة رجل فقال اتعرفون
من هذه صورته قلنا لا قال هذه صورة ادم عليه السلام ثم تتبع ابوابها ففتحها ثم
ويكشف عن صور الانبيا ويقول لنا هذا صاحبكم فنقول لا فيقول لنا هذه صورة فلان
حتى فتح بابا وكشف عن صورة فقال اتعرفون هذا قلنا نعم هذه صورة محمد ابن عبد الله
صاحبنا قال اتدرون متى صورت هذه الصور قلنا لا قال منذ الف سنة وان
صاحبكم لنبي مرسل فاتبعوه ولوددت اني عنده فاشرب ما يغسل به قدميه ووقع
نظير ذلك لجبير بن مطعم رضي الله عنه وانه راى صورة ابي بكر رضي الله عنه اخذا
بعقب تلك الصورة واذا بصورة عمر اخذا بصورته بعقب صورة ابي بكر فقال من الذي
اخذ بعقبه قلت هو ابن ابي قحافة قال فهل تعرف الذي بعقبه قلت عمر ابن الخطاب
قال اشهد ان هذا رسول الله وان هذا هو الخليفة من بعده وان هذا هو الخليفة من
بعد هذا ومنها ما حدث سلمان الفارسي رضي الله عنه قال كنت رجلا
فارسيا من اهل اصبهان من قرية يقال لها جي بفتح الجيم وتشديد اليا اي وفي لفظ
من قرى الاهواز يقال لها رامهرمز وفي لفظ ولدت برامهرمز ومنها نشات وان
ابي لمن اصبهان وكان ابي دهقان قريته اي وفي لفظ كنت من ابنا اساورة فارس
وكنت احب خلق الله الى ابي لم يزل حبه اياي حتى حبسني في بيت كما تحبس الجارية
واجتهدت في المجوسية حتى كنت قطن النار بفتح الطا القاف وكسر الطا المهملة وتروى
بفتحها بمعنى قاطن خادمها الذي يوقدها لا يتركها تخبا اي تطفا ساعة وكانت لابي
ضيعة عظيمة وشغل في بنيان له يوما فقال لي يا بني اني قد شغلت في بنيان هذا اليوم
فاذهب اليها وامرني فيها ببعض ما يريد ثم قال لي ولا تحتبس عني اذا احتبست عني
كنت اهم الي من ضيعتي وشغلتني عن كل شي من امري فخرجت اريد ضيعته التي
بعثني اليها فمررت بكنيسة من كنايس النصارى فسمعت اصواتهم فيها وهم يصلون
وكنت لا ادري ما امر الناس لحبس ابي اياي في بيته فلما سمعت اصواتهم دخلت عليهم
انظر ماذا يصنعون فلما رايتهم اعجبتني صلاتهم ورغبت في امرهم وقلت والله هذا خير

من

من الذي نحن عليه فوالله ما برحتهم اي فارقتهم حتى غربت الشمس وتركت ضيعة
ابي فلم اتها ثم قلت لهم اين اهل هذا الدين قالوا بالشام فرجعت الى ابي وقد بعث
في طلبي وشغلته عن عمله فلما جيته قال اي يا بني اين كنت الم اكن عهدت اليك ما
عهدت قلت يا ابت مررت بالناس يصلون في كنيسة لهم فاعجبني ما رايت من دينهم
فوالله ما زلت عندهم حتى غربت الشمس قال اي يا بني ليس في ذلك الدين خير دينك
ودين ابايك خير منه قلت له كلا والله انه لخير من ديننا قال فخافني اي خاف من ان
اهرب فجعل في رجلي قيدا ثم حبسني في بيته وبعثت الى النصارى فقلت لهم اذا قدم
عليكم ركب من الشام فاخبروني فقدم عليهم تجار من النصارى فاخبروني بهم فقلت
لهم اذا قضوا حوايجهم وارادوا الرجعة اخبروني بهم فاخبروني بهم فالقيت الحديد
من رجلي ثم قدمت معهم الى الشام فلما قدمتها قلت من اجل هذا الدين علما قالوا
الاسقف في الكنيسة والاسقف بتخفيف الفا وتشديدها هو عالم النصارى ورييسهم
في الدين فجيته فقلت اني قد رغبت في هذا الدين واحببت ان اكون معك فاخدمك في
كنيستك واتعلم منك واصلي معك قال ادخل فدخلت معه فكان رجل سو يامرهم
بالصدقة ويرغبهم فيها فاذا جمعوا اليه شيا منها اكتنزها لنفسه ولم يعطها المساكين
حتى جمع سبع قلال من ذهب وورق فابغضته بغضا شديدا لما رايته يصنع ثم مات
فاجتمعت النصارى ليدفنوه فقلت لهم ان هذا كان رجل سو يامركم بالصدقة
ويرغبكم فيها فاذا جيتموه بها اكتنزها لنفسه ولم يعط المساكين منها شيا فقالوا
لي وما علمك بذلك فقلت انا ادلكم على كنزه فاريتهم موضعه فاستخرجوا سبع قلال
مملوة ذهبا وورقا وفي رواية وجدوا ثلاث قماقم فيها نحو نصف اردب فضة
فلما راوها قالوا والله لا ندفنه فصلبوه ورموه بالحجارة اي ولم يصلوا عليه صلاة
مع ان هذا الراهب كان يصوم الدهر وكان نقيا من الشهوات ومن ثم قال في
الفتوحات المكية اجمع اهل كل ملة على ان الزهد في الدنيا مطلوب وقالوا ان
ان الفراغ من الدنيا احب لكل عاقل خوفا من الفتنة التي حذرنا الله منها بقوله
انما اموالكم واولادكم فتنة هذا كلامه قال الشيخ عبد الوهاب الشعراوي ومن
فوايد الرهبان انهم لم يدخروا قوتا لغد ولا يكنزون فضة ولا ذهبا قال ورايت
شخصا قال لراهب انظر لي هذا الدينار هو من ضرب اي الملوك فلم يرض وقال النظر
الى الدنيا منهي عنه عندنا قال ورايت الرهبان مرة وهم يسحبون شخصا ويخرجونه
من الكنيسة ويقولون له اتلفت علينا الرهبان فسالت عن ذلك فقالوا راوا على
عمامته دورا مربوطا فقلت لهم ربط الدرهم مذموم فقالوا نعم عندنا وعند
نبيكم صلى الله عليه وسلم هذا كلامه وعند ذلك جاوا برجل اخر فوضعوه مكانه
فما رايت رجلا لا يصلي الخمس اري انه افضل منه اي لا اظن احدا من غير المسلمين

فحملوه

افضل منه ولا ازهد في الدنيا ولا ارغب في الاخرة ولا ادأب ليلًا ونهارًا منه فاحببته
حبا شديدًا لم احبه شيئًا قبله فاقمت معه زمانا حتى حضرته الوفاة فقلت له يا فلان
اني كنت معك واحببتك حبا لم احبه شيئًا قبلك وقد حضرك امر الله ما ترى فالى من
توصيني قال اي بني والله ما اعلم احدًا على ما كنت عليه ولقد هلك الناس وبدلوا
وغيروا اكثر ما كانوا عليه الا رجلا بالموصل وهو فلان وهو على ما كنت عليه فلما مات
وغيب اي ودفن لحقت بصاحب الموصل فاخبرته خبري وما امرني به صاحبي فقال
اقم عندي فاقمت عنده فوجدته على امر صاحبه فاقمت مع خير رجل فلما احتضر قلت
له يا فلان ان فلانا اوصى بي اليك وامرني باللحوق بك وقد حضرك من امر الله تعالى ما
ترى فالى من توصي بي وبم تأمرني قال يا بني والله ما اعلم رجلا على مثل ما كنا
عليه الا رجلا بنصيبين وهو فلان فالحق به فلما مات وغيب لحقت بصاحب نصيبين
فاخبرته خبري وما امرني به صاحبي فقال اقم عندي فاقمت عنده فوجدته على
امر صاحبه فاقمت مع خير رجل فوالله ما لبث ان نزل به الموت فلما احتضر اي
حضرته الملائكة لقبض روحه قلت له يا فلان ان فلانا اوصى بي الى فلان ثم ان
فلانا اوصى بي اليك فالى من توصي بي والى من تأمرني قال يا بني والله ما اعلمه
احد على امرنا آمرك ان تأتيه الا رجلا بعمورية من ارض الروم فانه على ما نحن عليه
فان احببت فأته فلما مات وغيب اي دفن لحقت بصاحب عمورية واخبرته خبري
فقال اقم عندي فاقمت عند خير رجل على هدي اصحابه وامرهم فاكتسبت حتى كانت
لي بقرات وغنيمة ثم نزل به من امر الله ما نزل فلما احتضر قلت له يا فلان اني
كنت مع فلان فاوصى بي الى فلان ثم اوصى بي الى فلان ثم اوصى بي
فلان اليك فالى من توصي بي وبم تأمرني قال اي بني والله ما اعلم اصبح على
ما كنا عليه احد من الناس آمرك ان تأتيه ولكنه قد اظل اي اقبل وقرب زمان
نبي مبعوث بدين ابراهيم يخرج بارض العرب مهاجره الى ارض بين حرتين
بينهما نخل به علامات يأكل الهدية ولا يأكل الصدقة بين كتفيه خاتم النبوة فان
استطعت ان تلحق بتلك البلاد فافعل ثم مات وغيب اقول وهذا السياق يدل
على ان الذين اجتمع بهم من النصارى على دين عيسى اربعة وفي كلام السهيلي
انهم ثلاثون وفي النور انهم اربعة عشر وان هذا اظهر قال سلمان رضي الله
عنه ثم مر بي نفر من كلب تجار فقلت لهم احملوني الى ارض العرب واعطيكم بقراتي
هذه وغنمي هذه فقالوا نعم فاعطيتموها اي اعطيتهم اياها وحملوني معهم حتى
بلغوا بي وادي القرى وهو محل من اعمال المدينة النبوية المنورة ظلموني فباعوني
من رجل يهودي فمكثت عنده فرايت النخل فرجوت ان تكون البلدة التي وصف لي
صاحبي ولم يحق عندي اي لم اتحقق ذلك فبينما انا عنده اذ قدم عليه ابن عم له

من

من بني قريظة من المدينة فابتاعني منه فحملني الى المدينة فوالله ما هو الا ان رايتها
فعرفتها اي تحققتها بصفة صاحبي وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم
واقام بمكة ما اقام لا اسمع له بذكر مع ما انا فيه من شغل الرق ثم هاجر رسول
الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة فوالله اني لفي عذق اي محل نخل لسيدي اعمل
فيه بعض العمل وسيدي جالس تحتي اذ اقبل ابن عم له حتى وقف عليه فقال
يا فلان قاتل الله بني قيلة اي وهما الاوس والخزرج لان قيلة امهما فقدحا
ان الله تعالى امد في باسد العرب واذر وعا بابني قيلة الاوس والخزرج والله
انهم الان لمجتمعون بقبا بالمد والقصر وربما قيل قباة بتا التانيث والقصر على
رجل قدم من مكة اليوم يزعمون انه نبي فلما سمعته اخذتني العروا وهي الحما
النافض اي الرعدة والبرعا الحما الصالب حتى ظننت اني ساقط على سيدي فنزلت
من النخلة فجعلت اقول لابن عم ذلك ما تقول فغضب ولكمني لكمة شديدة ثم قال
ما لك ولهذا اقبل على عملك فقلت لا شيء انما اردت ان استثبته فيما قال وقد كان
عندي شيء جمعته اي وهو محتمل لان يكون تمرًا ولان يكون رطبا فلما امسيت اخذته
ثم ذهبت به الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بقبا فدخلت عليه فقلت
انه قد بلغني انك رجل صالح ومعك اصحاب لك غربا ذوو حاجة وهذا شيء كان
عندي للصدقة فرايتكم احق به من غيركم فقربته اليه فقال لاصحابه كلوا وامسك
هويده فلم ياكل فقلت في نفسي هذه واحدة اي ومن ثم كان اخذ الحسن ابن علي
رضي الله عنهما وهو طفل تمرة من تمر الصدقة ووضعها في فيه قال له النبي
صلى الله عليه وسلم كخ كخ اما تعرف انا لا ناكل من الصدقة رواه مسلم وروى
ايضا انه صلى الله عليه وسلم قال اني لانقلب الى اهلي فاجد التمرة ساقطة على
فراشي ثم ارفعها لاكلها ثم اخشى ان تكون صدقة فالقيها ووجد صلى الله عليه
وسلم تمرة فقال لولا اخشى ان تكون من الصدقة لاكلتها وقال ان الصدقة
لا تحل لمحمد ولا لال محمد انما هي اوساخ الناس وفي رواية ان هذه الصدقة
انما هي اوساخ وانها لا تحل لمحمد ولا لال محمد والراجح من مذهبنا حرمة
الصدقتين على صلى الله عليه وسلم وحرمة صدقة الفرض دون النفل على اله
وقال النووي لا تحل الصدقة لا فرضها لال محمد لا فرضها ولا نفلها ولا لمواليهم
لان مولى القوم منهم بذلك جا الحديث قال سلمان رضي الله تعالى عنه ثم
انصرفت عنه فجمعت شيا هو ايضا محتمل لان يكون تمرا ولان يكون رطبا وتحول
رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة ثم جئته صلى الله عليه وسلم فقلت
له اني رايتك لا تاكل الصدقة وهذه هدية اكرمتك بها فاكل رسول الله صلى الله
عليه وسلم وامر اصحابه فاكلوا منه فقلت في نفسي هاتان ثنتان ومن ثم روى

مسلم كان اذا اتي بطعام سال عنه فان قيل هدية اكل منه وان قيل صدقة لم
ياكل منها قال سلمان رضي الله تعالى عنه ثم جيت رسول الله صلي الله عليه
وسلم وهو ببقيع الغرقد وقد تبع رجل من اصحابه اي وهو كلثوم ابن الهدم الذي
نزل عليه النبي صلي الله عليه وسلم بقبا لما قدم المدينه قيل وهو اول من دفن
به وقيل اول من دفن به اسعد ابن زرارة وقيل اول من دفن به عثمان بن مظعون
رضي الله عنه وجمع بان اول من دفن به من المهاجرين عثمان اي وقد مات في ذي
الحجة من السنة الثانية من الهجرة واول من دفن به من الانصار كلثوم او اسعد رضي
الله عنهما اي وفي الرقيات لابن زيد مات كلثوم ومن بعده ابو امامة اسعد بن
زرارة في شوال من السنة الاولي من الهجرة ودفن بالبقيع هذا كلامه ولم يذكر الوقت
الذي مات فيه كلثوم وفي النور عن الطبري انه مات بعد قدومه صلي الله عليه وسلم
المدينه بايام قليلة واول من مات من الانصار البرا ابن معرور مات قبل قدومه
صلي الله عليه وسلم المدينة مهاجرا بشهر ولما حضره الموت اوصي ان يدفن ويستقبل
به القبلة ففعلوا به ذلك ولما قدم رسول الله صلي الله عليه وسلم المدينة صلي علي
قبره هو واصحابه وكبر اربعا ولم اقف علي محل دفنه وقولهم ان اول من دفن
بالبقيع كلثوم يدل علي ان البرا لم يدفن بالبقيع الا ان يراد الاولية بعد قدومه صلي الله
عليه وسلم المدينة والظاهر ان هذه اول صلاة صليت علي القبر قال سلمان
رضي الله تعالى عنه وكان عليه شملتان وهو جالس في اصحابه فسلمت عليه ثم استدرت
انظر الي ظهره هل اري الخاتم الذي وصف لي فالقي النبي صلي الله عليه وسلم الردا
عن ظهره فنظرت الي الخاتم فعرفته فاكببت عليه اقبله وابكي فقال لي رسول الله صلي
الله عليه وسلم تحول فتحولت بين يديه صلي الله عليه وسلم فقصصت عليه حديثي
قال ابن عباس رضي الله عنهما فاعجب رسول الله صلي الله عليه وسلم ان يسمع ذلك
اصحابه رضي الله عنهم اي وفي شواهد النبوة لما جا سلمان رضي الله تعالى عنه الي
النبي صلي الله عليه وسلم لم يفهم النبي صلي الله عليه وسلم كلامه فطلب ترجمانا فاتي
بتاجر من اليهود كان يعرف الفارسية والعربية فمدح سلمان النبي صلي الله عليه وسلم
فغضب اليهودي وحرف الترجمة فقال للنبي صلي الله عليه وسلم ان سلمان يشتمك فقال
النبي صلي الله عليه وسلم هذا الفارسي جا يوذينا فنزل جبريل عليه السلام وترجم كلام
الفارسي رضي الله تعالى عنه فقال النبي صلي الله عليه وسلم ذلك اي الذي ترجم جبريل
عليه السلام لليهودي فقال اليهودي يا محمد ان كنت تعرف الفارسية فما حاجتك الي
فقال النبي صلي الله عليه وسلم ما كنت اعلمها قبل الان علمني جبريل او كما قال فقال
اليهودي يا محمد قد كنت قبل هذا اتهمك والان تحقق عندي انك رسول الله صلي الله عليك
وسلم وقال اشهد ان لا اله الا الله واشهد انك رسول الله صلي الله عليك وسلم ثم قال

النبي صلي الله عليه وسلم لجبريل عليه السلام علم سلمان العربية فقال له قل له يغمض
عينيه ويفتح فاه ففعل سلمان رضي الله تعالى عنه فتفل جبريل عليه السلام في فيه
فشرع سلمان رضي الله تعالى عنه يتكلم بالعربي الفصيح وهذا السياق يدل علي ان
ذلك كان عند مجيه في هذه المرة الثالثة وح يشكل مجيه اولا وثانيا وقوله ما تقدم
بالعربية الا ان يقال ذلك تعلمه سهل عليه ان يعبر عنه بالعربية بخلاف حكاية حاله
لكثرة ذلك لم يحسن ان يعبر عنه بالعربية قال وقد اختلفت الروايات عن سلمان
رضي الله تعالى عنه في الشي الذي جا به الي النبي صلي الله عليه وسلم اولا وثانيا
فالرواية الاولي المتقدمة ظاهرها يقتضي انه تمر انتهي اي وفيه ان من اين ان
ظاهرها ذلك بل هي محتملة وقد جا التصريح بكونه تمرا في الاولي والثانية في بعض الروا
فسالت سيدي ان يهب لي يوما ففعل فعملت في ذلك اليوم علي صاع او صاعين من تمر
وجيت به النبي صلي الله عليه وسلم فقبله واكل منه اي والذي في كلام السهيلي
قال سلمان رضي الله تعالى عنه كنت عبدا لامراة فسالت سيدتي
ان تهب لي يوما الحديث وقد يقال لا مخالفة لانه يجوز ان يكون عني سيدته زوجة
سيدي لانه يقال لها سيدة علي المتعارف بين الناس وان المراة هي التي اشترته وتوليه
ما ياتي وزوج المراة يقال له في المتعارف بين الناس سيد قال وقيل ان الذي
جا به اولا وثانيا رطب وفي رواية احتطبت حطبا فبعته واشتريت بذلك طعاما
والطعام خبز ولحم وفي رواية جيت بمايدة عليها نبط وفي رواية عليها رطب وجمع بانه
اولا قدم الخبز واللحم الذي هو النبط والتمر ثم قدم الرطب فلم يتحد المقدم وفي مسند
الامام احمد ان المرات ثلاث وان المقدم فيها متحدا انتهي اقول تقدم الرطب
في المرة الثانية يخالفه ما تقدم انه في الثانية انه كان تمرا والله اعلم ثم شغل
سلمان رضي الله تعالى عنه الرق حتي فاته مع رسول الله صلي الله عليه وسلم بدر
واحد فكان اول مشاهده الخندق وكان بعد ذلك يقال له سلمان الخير وكان
معدودا من ا ... ير قال سلمان رضي الله عنه ثم قال لي رسول الله صلي الله عليه
وسلم كاتب يا سلمان فكاتبت صاحبي علي ثلثمائة نخلة اي ودية علي وزن فصيلة
وهي النخلة الصغيرة التي يقال لها الفصيلة احييها له بالتفقير بالفا والقاف اي هي
الحفر اي ومن ثم قيل للبير الفقير اي احفر لها واغرسها بتلك الحفرة وتصير حية
تلك الحفرة اي واتعهدها الي ان تثمر والودية والفصيلة هي النخلة الصغيرة التي
جرت العادة بان تنقل من المحل الذي تنبت فيه الي محل اخر لكن في كلام بعضهم
اذا خرجت النخلة من النواة قيل لها غريسة ثم يقال لها ودية ثم فسيلة ثم اشاه
فاذا فاتت اليد فهي جبارة ويقال للنخلة الطويلة عوانة بلغة عمان وفي الحديث ان
قامت الساعة وبيد احدكم فسيلة فاستطاع ان يغرسها قبل ان تقوم فليغرسها

وعلى اربعين اوقية اوقية من ذهب كما سياتي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
اعينوا صاحبكم فاعانوني بالنخيل الرجل بثلثين والرجل بعشرين ودية والرجل بخمسة
عشر والرجل بعشر يعين بقدر ما عنده حتى اجتمعت لي ثلاثماية ودية قال وفي رواية
انه كوتب على ان يغرس لهم خمسماية فسيلة اي يحفر لها ويغرسها اي ويتعهدها
الى ان تثمر وعلى اربعين اوقية قال سلمان رضي الله تعالى عنه فقال لي رسول
الله صلى الله عليه وسلم اذهب يا سلمان ففقر اي بالفا وفي رواية فنقر اي بالنون
اي احفر لها فاذا فرغت فاتني اكن انا اضعها بيدي ففقرت وفي رواية فنقرتها
واعانني اصحابي حتى اذا فرغت جئته صلى الله عليه وسلم فاخبرته فخرج معي اليها
فجعلنا نقرب اليه الودي فيضعه رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده ما مات منها
ودية واحدة فاديت النخل وبقي علي المال فاتي رسول الله صلى الله عليه وسلم بمثل
بيضة الدجاجة اي وفي رواية مثل بيضة الحمامة من ذهب من بعض المعادن
ولعل هذه البيضة كانت مترددة مثلا بين بيضة الدجاجة وبين بيضة الحمامة اي
اكبر من بيضة الحمامة واصغر من بيضة الدجاجة فاختلف فيها التشبيه فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم ما فعل الفارسي المكاتب فدعيت له فقال خذ هذه فادها
مما عليك يا سلمان اي يكون بعضا مما عليك وح فقد يتوقف في جواب سلمان رضي الله
تعالى عنه بقوله قلت واين تقع هذه يا رسول الله مما علي لان الشي يودي بعضه وان
قل ذلك البعض الا ان يقال العادة قاضية بان ذلك البعض لا يقبل الا اذا كان له
وقع بالنسبة لكله وقد اشار صلى الله عليه وسلم للرد على سلمان بان هذا الذي قلت
فيه لا يحسن ان يكون بعضا مما عليك يوفي به الله عنك جميع ما عليك حيث قال خذها
فان الله تعالى سيودي بها عنك فاخذتها فوزنت لهم منها والذي نفس سلمان
بيده اربعين اوقية فاديتهم حقهم اي وبقي عندي مثل ما اعطيتهم قال وهذا
اي سوال سلمان وجوابه صلى الله عليه وسلم كالصريح في ان الاواق التي كاتب عليه
كانت ذهبا لا فضة وقد جا اي مما يدل على ذلك في بعض الروايات ان سلمان لما قال
للنبي صلى الله عليه وسلم واين تقع هذه مما علي قلبها صلى الله عليه وسلم على لسانه
ثم قال خذها فاوفيهم منها وايضا اي مما يدل على ذلك ايضا ان من المعلوم ان قدر بيضة
الدجاجة من الذهب تعدل اكثر من اربعين اوقية من الفضة انتهي اي ولا يحسن قول
واين تقع هذه مما علي وقد صرح بذلك اي بكونها ذهبا البلاذري والقاضي عياض
في الشفا فقالا على اربعين اوقية من ذهب والى الفضة اشار صاحب الهمزية بقوله

ووفي قدر بيضة من نضار .. دين سلمان حين حان الوفاء

كان يدعي قنا فاعتق لما .. اينعت من نخيله الاقناء

افلا تعذرون سلمان لما .. ان عرته من ذكره العرواء

اي ووفي قدر بيضة من بيض الدجاج او الحمام من ذهب دين سلمان وهو اربعون
اوقية من ذهب حين قرب حلول الدين وتقدم انه وفي دينه منها وبقي عنده
منها قدر ما اعطاهم وسبب هذا الدين الذي على سلمان انه كان يدعي قنا اي
ارق بالباطل كما تقدم فكوتب على ذلك وعلى ان يغرس تلك النخيل ويتعهدها الى
ان تثمر واعتق باداء هذا الدين حين اينعت القراصين من نخيله التي غرسها اي
غرست له افلا ترون لسلمان عذرا يمنعكم من ايذائه حين ان غشيته قوة الحمى من
اجل سماع ذكره صلى الله عليه وسلم قال سلمان وشهدت مع رسول الله صلى
الله عليه وسلم الخندق ثم لم يفتني معه مشهد وعن بريدة ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم اشتري سلمان اي كان سببا لشرايه اي مكاتبته من قوم من اليهود بكذا
وكذا درهما على ان يغرس لهم كذا وكذا من النخل يعمل فيها سلمان حتى تدرك
فغرس رسول الله صلى الله عليه وسلم النخل كله الا نخلة واحدة غرسها عمر رضي
الله عنه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من غرسها قال عمر فقلعها وغرسها
رسول الله صلى الله عليه وسلم فاطعمت من عامها وذكر البخاري ان سلمان
رضي الله عنه غرس بيده ودية واحدة وغرس رسول الله صلى الله عليه وسلم سايرها
فعاشت كلها الا التي غرسها سلمان رضي الله عنه اي ويجوز ان يكون كل من سلمان
وعمر غرس هذه الشجرة احدهما قبل الاخر اقول وهذا الحايط الذي غرس فيه
رسول الله صلى الله عليه وسلم لسلمان من حوايط بني النضير وكان يقال له
الميثب ووقال اليه صلى الله عليه وسلم كما سياتي ولا يخفى ان قول صاحب الهمزية
رحمه الله تعالى كان يدعي قنا مستندا انه لم يرق حقيقة وقد تقدم ذلك فيه انه لو لم
يرق حقيقة لما اقره صلى الله عليه وسلم على الرق وامره بالمكاتبة وادي عنه
وكونه صلى الله عليه وسلم فعل ذلك تطييبا لخاطر ساداته بعيد فليتامل فان قيل
اذا رق حقيقة كيف جاز له صلى الله عليه وسلم ان يامر اصحابه ان ياكلوا مما
جا به صدقة وياكل هو وهم مما جا به هدية والرقيق لا يملك وان ملكه لسيده
على الاصح عندنا معاشر الشافعية بل وعند باقي الايمة رضي الله عنهم قلنا يجوز
ان يكون الرقيق كان في صدر الاسلام يملك ما ملكه له سيده ثم نسخ ذلك على
ان بعض اصحابنا ذهب الى صحته وفي كلام السهيلي وذكر ابو عبيد ان حديث
سلمان حجة على من قال ان العبد لا يملك هذا كلامه او انه صلى الله عليه وسلم
لم يعلم رقه ح لان الاصل في الناس الحرية ولعدم تحقق رق سلمان وعدم مجي
مكاتبه على قوا عدا يمتنا لم يستدلوا على صحة وعية الكتابة بقصة سلمان وفي كلام
السهيلي ان في خبر سلمان من الفقه قبول الهدية وترك سوال المهدي اليه
وكذلك الصدقة وفي الحديث من قدم اليه الطعام فلياكل ولا يسال والله تعالى اعلم

وعن سلمان رضي الله تعالى عنه انه قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم حين اخبره
بالقصة المتقدمة زادان صاحب عمورية قال له ايت كذا وكذا من ارض الشام فان
بها رجلا بين غيضتين يخرج كل سنة من هذه الغيضة الى هذه الغيضة مستجيزا ه
يعترضه الناس ذو العاهات والاسقام فلا يدعو لاحد منهم الا شفي فاساله عن هذا
الدين فهو يخبرك به قال سلمان رضي الله عنه فخرجت حتى حيث وصفه لي فوجدت
الناس قد اجتمعوا بمرضاهم هناك حتى خرج لهم تلك الليلة مستجيزا من احد الغيضتين
الى الاخرى فغشيه الناس بمرضاهم لا يدعو لاحد الا شفي وغلبوني عليه فلم اخلص
حتى دخل الغيضة التي يريد ان يدخلها الا منكبه فتناولته فقال من هذا والتفت
فقلت يرحمك الله اخبرني عن الحنيفية دين ابراهيم عليه الصلاة والسلام فقال انك
تسال عن شيء ما يسال عنه الناس اليوم قد اظلك زمان نبي يبعث بهذا من اهل
الحرم فانه يحملك عليه ثم دخل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لئن كنت صدقتني
لقد لقيت عيسى ابن مريم عليه السلام والغيضة الشجر الملتف قال السهيلي هذا
الحديث مقطوع وفيه رجل مجهول ويقال ان الرجل هو الحسن ابن عمارة وهو ضعيف
باجماع منهم وان صح هذا الحديث فلا نكارة في متنه فقد ذكر الطبري رحمه الله تعالى
ان المسيح عليه السلام نزل بعد ما رفع وامه وامراة اخرى اي كانت مجنونة فابراها
المسيح عند الجذع الذي فيه الصليب يبكيان فاهبطه الله اليهما وكلمهما وقال لهما
علام تبكيان فقالا عليك فقال اني لم اقتل ولم اصلب ولكن الله رفعني واكرمني ه
واخبرهما ان اوقع شبهه على الذي صلب وارسل الى الحواريين اي قال لامه ولتلك المراة
ابلغا الحواريين امري ان يلقوني في موضع كذا ليلا فجا الحواريون ذلك الموضع فاذا
الجبل قد اشتعل نورا لنزوله فيه ثم امرهم ان يدعوا الناس الى دينه والى عبادة
ربهم ووجههم الى الامم واذا جاز ان ينزل مرة جاز ان ينزل مرارا لكن لا نعلم انه
هو حقيقة حتى ينزل النزول الظاهر فيكسر الصليب ويقتل الخنزير كما جا في الصحيح
هذا كلامه ويروى انه اذا نزل تزوج امراة من جذام قبيلة باليمن ويولد له ولدان
يسمى احدهما محمدا والاخر موسى يمكث اربعين سنة وقيل خمسة واربعين سنة وقيل
سبع سنين كما في مسلم وقيل ثمان وقيل تسع وقيل خمس اي وجمع بين كونه مكث
اربعين سنة او خمس واربعين وبين كونها سبع سنين اي وما بعد ذلك بان المراد ه
بالاول مجموع لبثه في الارض قبل الرفع وبعده والسبعة اي وما بعدها من الاقوال
تكون بعد نزوله ويدفن اذا مات في روضة النبي صلى الله عليه وسلم اي وقيل
في حجرته صلى الله عليه وسلم اي عند قبره وقيل في بيت المقدس انتهى اي وقيل
يدفن معه صلى الله عليه وسلم في قبره ويؤيده ما ورد يدفن معي في قبري فاقوم
انا وعيسى من قبر واحد بين ابي بكر وعمر اقول كما يقتل عيسى عليه السلام

الخنزير يقتل الدجال ونزوله فقد جا ينزل عيسى عليه السلام حكما مقسطا يحكم
بشرعنا يقتل الدجال ونزوله يكون عند صلاة الفجر فيصلي خلف المهدي بعد
ان يقول له المهدي تقدم يا روح الله فيقول له تقدم فقد اقيمت لك وفي رواية
ينزل بعد شروع المهدي في الصلاة فيرجع القهقرى ليتقدم عيسى عليه السلام
فيضع يده عليه السلام بين كتفيه ويقول له تقدم فاذا فرغ من الصلاة واخذ
حربته وخرج خلف الدجال فيقتله عند باب لد الشرقي اي ان المهدي يخرج مع
عيسى عليه السلام فيساعده على قتل الدجال وقد جا ان المهدي من عترة النبي
صلى الله عليه وسلم من ولد فاطمة قيل من ولد الحسين وقيل من ولد الحسن وقيل
من ولد عمه صلى الله عليه وسلم العباس فعن ابن عباس رضي الله عنهما ان
ام الفضل اي زوجة العباس مرت به صلى الله عليه وسلم فقال انك حامل
بغلام فاذا ولدتيه فاتيني به قالت فلما ولدته اتته به فاذن صلى الله عليه وسلم
في اذنه اليمنى واقام في اليسرى والباه اي اسقاه صلى الله عليه وسلم اللبا من
ريقه وسماه عبد الله وقال اذهبي بابي الخلفا فاخبرت العباس فاتاه فذكر
له فقال صلى الله عليه وسلم هو ما اخبرتك هذا ابو الخلفا حتى يكون منهم
السفاح حتى يكون منهم السفاح لمهدي اي الخليفة وهو ابو الرشيد ا بدليل قوله
حتى يكون منهم من يصلي بعيسى ابن مريم عليه السلام وهو المهدي الذي
ياتي اخر الزمان اسمه محمد بن عبد الله لو لم يبق من الدنيا الا يوم واحد وفي
رواية الا ليلة واحدة لطول الله ذلك حتى يبعث وظهوره يكون بعد ان يكسف
القمر في اول ليلة من رمضان وتكسف الشمس في النصف منه فان مثل ذلك لم
يوجد منذ خلق الله السموات والارض عمره عشرون سنة وعمره قيل اربعين سنة ووجهه
كوكب دري على خده الايمن خال اسود يخرج في اخر زمان الدجال وينزل في زمانه
عيسى ابن مريم واما ما ورد لا مهدي الا عيسى عليه السلام فقد جا لن تهلك امة
انا اولها وعيسى ابن مريم اخرها والمهدي من اهل بيتي في وسطها وعن العباس
رضي الله عنه كنت عند النبي صلى الله عليه وسلم فقال انظر هل ترى في السما
من شيء قلت نعم قال ما ترى قلت الثريا قال اما انه سيملك هذه الامة بعددها
من صلبك اي وقد اختلف الناس في عددها المرئي فقيل سبعة انجم وقيل تسعة
وجمعنا بينهما بان الاول يكون المرئي لغالب الناس ولو غير حديد البصر والثاني
لمن يكون حديد البصر منهم واما المرئي له صلى الله عليه وسلم فقيل كان يرى
احد عشر نجما وقيل اثنى عشر نجما وجمعنا بينهما بحمل الاول على ما اذا لم يمعن
صلى الله عليه وسلم النظر والثاني على ما اذا امعن النظر وح يقتضي هذا ان
يكون الخلفا من بني العباس اثني عشر وعن سعيد بن جبير رحمه الله تعالى سمعت

لعله الخلفاء

ابن عباس رضي الله عنهما يقول يكون من اهل البيت ثلاثة السفاح والمنصور
والمهدي ورواه الضحاك عن ابن عباس مرفوعا والمهدي في هذه الرواية يحتمل
ان يكون المراد به ابو الرشيد ويحتمل ان يكون المنتظر وروي ابو نعيم بسند
ضعيف انه صلى الله عليه وسلم خرج فتلقاه عمه العباس رضي الله عنه فقال
صلى الله عليه وسلم الا ابشرك يا ابا الفضل قال بلي يا رسول الله قال ان الله فتح
بي هذا الامر وبذريتك يختمه وفي رواية يختمه بولدك وقد افردت ترجمة المهدي
المنتظر بالتاليف في مجلد حافل سماه مولفه القواصم عن الفتن العواصم ⁂
وقد رويت قصة سلمان رضي الله عنه على غير هذا الوجه الذي تقدم
فمنه رضي الله تعالى عنه قال كان لي اخ اكبر مني وكان يتقنع بثوبه ويصعد
الجبل يفعل ذلك غير مرة متنكرا فقلت له اما انك تفعل كذا وكذا فلم لا تذهب
بي معك قال انت غلام واخاف ان يظهر منك شيء قلت لا تخف قلت ان في هذا
الجبل قوما لهم عبادة وصلاح يذكرون الله ويذكرون الاخرة ويزعمون انا على
غير دين قلت فاذهب بي معك اليهم قال حتى استامرهم فاستامرهم فقالوا جي
به فذهبت معه فانتهيت اليهم فاذا ستة او سبعة وكان الروح قد خرجت منهم
يصومون النهار ويقومون الليل وياكلون الشجر وما وجدوا فقعدنا اليهم
فحمدوا الله واثنوا عليه وذكروا من مضى من الرسل والانبيا صلوات الله وسلامه
عليهم حتى خلصوا الى عيسى ابن مريم عليه السلام قالوا ولد بغير ذكر وبعثه الله
رسولا وسخر له ما كان يفعل من احيا الموتى وخلق الطير وابرا الاعمى والابرص فكفر
به قوم وتبعه قوم ثم قالوا يا غلام ان لك ربا وان لك معادا وان بين ذلك جنة ونارا
اليهما تصير وان هولا الذين يعبدون النيران اهل كفر وضلالة لا يرضي الله بما
يصنعون وليسوا على دين ثم انصرفنا ثم عدنا اليهم فقالوا مثل ذلك واحسن فلزمتهم
ثم اطلع عليهم الملك فامرهم بالخروج من بلاده فقلت ما انا بمفارقكم فخرجت معهم
حتى قدمنا الموصل فلما دخلوا حفوا بهم ثم اتاهم رجل من كهف جبل فسلم وجلس
فحفوا به فقال لهم اين كنتم فاخبروه قال ما هذا الغلام معكم فاثنوا علي خيرا واخبروه
باتباعي اياهم ولم ار مثل اعظامهم له فحمد الله واثنى عليه ثم ذكر من ارسله الله من
رسله وانبيائه عليهم الصلاة والسلام وما لقوا وما صنع بهم حتى ذكر عيسى عليه
الصلاة والسلام ثم وعظهم وقال اتقوا الله والزموا ما جاء به عيسى ولا تخالفوا
فيخالف بكم ثم اراد ان يقوم فقلت ما انا بمفارقك فقال يا غلام انك لا تستطيع ان تكون
معي اني لا اخرج من كهفي هذا الا كل يوم احد قلت ما انا بمفارقك فتبعته حتى دخل
الكهف فما رايته نايما ولا طاعما الا راكعا وساجدا الى الاحد الاخر فلما اصبحنا خرجنا
واجتمعوا اليه فتكلم نحو المرة الاولي ثم رجع الى كهفه ورجعت معه فلبث ما شاء الله

ان يلبث ويخرج في كل يوم احد ويخرجون اليه ويعظهم ويوصيهم فخرج في احد فقال
مثل ما كان يقول ثم قال يا هولا اني قد كبر سني ورق عظمي وقرب اجلي واني لا عهد
لي بهذا البيت يعني بيت المقدس منذ كذا وكذا سنة فلا بد لي من اتيانه فقلت ما انا
بمفارقك فخرج وخرجت معه حتى اتيت الى بيت المقدس فدخل وجعل يصلي وكان
فيما يقول لي يا سلمان ان الله سوف يبعث رسولا اسمه احمد يخرج من جبال تهامة
علامته ان يا كل الهديه ولا يا كل الصدقه بين كتفيه خاتم النبوة وهذا زمانه الذي
يخرج فيه قد تقارب فاما انا فشيخ كبير لا احسبني ادركه فان ادركته فصدقه
واتبعه فقلت وان امرني بترك دينك وما انت عليه قال وان امرك ثم خرج من
بيت المقدس وعلى بابه مقعد فقال له ناولني يدك فناوله يده فقال له قم باسم
الله فقام كانما نشط من عقال فقال لي المقعد يا غلام احمل علي ثيابي حتى انطلق
فحملت عليه ثيابه فذهب الراهب وذهبت في اثره اطلبه كلما سالت عنه قالوا
امامك حتى لقيني ركب من كلب فسالتهم فلما سمعوا لغتي اناخ رجل منهم بعيره وحملني
عليه وجعلني خلفه حتى اتوا الى بلادهم فباعوني فاشترتني امراة من الانصار
فجعلتني في حايط لها اي بستان وقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة فاخبرت
به فاخذت من تمر حايطي ثم اتيته صلى الله عليه وسلم فوجدت عنده اناسا فوضعته
بين يديه فقال ما هذا قلت صدقة فقال للقوم كلوا ولم يا كل هو ثم لبثت ما شا
الله ثم اخذت مثل ذلك ثم اتيته صلى الله عليه وسلم فوجدت عنده اناسا فوضعته
بين يديه فقال ما هذا قلت هدية قال باسم الله واكل القوم فقلت في نفسي
هذه من اياته صلى الله عليه وسلم ويحتاج للجمع بين هذه الرواية وفي الدر
المنثور ان امراة من جهينة اشترته وصار يرعي غنما لها فبينما هو يوما يرعى
اذ اتاه صاحب له فقال له اشعرت انه قد قدم المدينة اليوم رجل يزعم انه
نبي فقال له سلمان اقم في الغنم حتى اتيك فهبط سلمان رضى الله تعالى عنه
الى المدينة فاشترى بدينار ببعضه شاة فشواها وببعضه الاخر خبزا ثم اتاه
به فقال صلى الله عليه وسلم ما هذا فقال سلمان هذه صدقة قال لا حاجة لي بها
فاخرجها فاكلها اصحابه ثم انطلق فاشترى بدينار اخر خبزا ولحما فاتى به النبي
صلى الله عليه وسلم فقال ما هذا فقال هذه هدية قال فاقعد فكل فقعد هو
واكلا جميعا منها فدرت خلفه فنظر بي فارخى ثوبه فاذا الخاتم في ناحية كتفه
الايسر فثبته ثم درت حتى جلست بين يديه فقلت اشهد ان لا اله الا الله وانك
رسول الله وهذه الرواية تخالف ما تقدم فليتامل ولينظر كيف الجمع ونقل بعضهم
الاجماع على ان سلمان رضى الله عنه عاش مايتين وخمسين وكان حبرا عالما فاضلا
زاهدا متقشفا وكان ياخذ من بيت المال في كل سنة خمسة الاف وكان يتصدق بها

ولا ياكل الا من عمل يده وكان رضي الله تعالى عنه له عباءة يفترش بعضها ويلبس بعضها قال بعضهم دخلت عليه رضي الله تعالى عنه وهو امير علي المداين وهو يعمل الخوص فقلت له لم تعمل هذا وانت امير وهو يجري عليك رزق فقال اني احب ان اكل من عمل يدي وربما اشتري اللحم ودعا المجذومين فاكلوا منه واول مشاهده الخندق كما تقدم قيل وشهد بدرًا واحدًا قبل ان يعتق اي وهو مكاتب فيكون اول مشاهده الخندق بعد عتقه والله تعالى اعلم ؞

وأما اخبار الكهان لا عن السنة الجان منها ما تقدم في ليلة ولادته صلى الله عليه وسلم وفي ايام رضاعه صلى الله وسلم عليه قال ومنها ايضًا خبر ابن معدي كرب رضي الله عنه قال والله لقد علمت ان محمدًا رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل ان يبعث فقيل له وكيف ذاك قال فزعنا الي كاهن لنا في امر نزل بنا فقال الكاهن اقسم بالسما ذات الابراج والارض ذات الادراج والريح ذات العجاج ان هذا لامراج لعله من اجيج النار اهولتها بها ولقاح ذي نتاج قالوا وما نتاجه قال ظهور نبي صالح دق بكتاب ناطق وحسام فالق قالوا واين يظهر والى ما ذا يدعو قال يظهر بصلاح ويدعو الي فلاح ويبطل القداح وينهي عن الراح قالوا ممن هو قال من ولد الشيخ الاكرم حافر زمزم وعزه سرمد وخصمه مكمد انتهى ومنها خبر قس بن ساعدة الايادي وهو اول من قال البينة على المدعي واليمين على من انكر واول من اتكى على عصى او قوس او سيف عند الخطبة وقيل اول من تكلم بان البينة على المدعي واليمين على من انكر داود عليه السلام وان ذلك فصل الخطاب ورد بانه لم يثبت عنه انه تكلم بغير لغته عن ابن عباس رضي الله عنهما قال قدم وفد عبد القيس علي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ايكم يعرف القس ابن ساعدة الايادي قالوا كلنا يا رسول الله نعرفه قال فما فعل قالوا هلك قال ما انساه بعكاظ على جمل احمر وهو يقول ايها الناس اجتمعوا واسمعوا وعوا من عاش مات ومن مات فات وكل ما هو ات ات ان في السما لخبرا وان في الارض لعبرا مهاد موضوع وسقف مرفوع ونجوم تمور وبحار تغور اقسم قس قسما حاتما لئن كان في الارض رضي ليكونن سخطا ان لله دينا احب اليه من دينكم الذي انتم عليه ما لي ارى الناس يذهبون ولا يرجعون رضوا بالمقام فقاموا ام تركوا هناك فناموا ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ايكم يروي شعره فانشدوه ؞

؞ في الذاهبين الاولين ؞ من القرون لنا بصاير ؞
؞ لما رايت مواردًا ؞ للموت ليس لها مصادر ؞
؞ ورايت قومي نحوها ؞ تمضي الاصاغر والاكابر ؞

لايرجع

؞ لا يرجع الماضي الي ؞ ولا من الباقين غابر ؞
؞ ايقنت اني لا محالة ؞ حيث صار القوم صاير ؞

وفي رواية اخرى عن ابن عباس رضي الله عنهما قال قدم الجارود ابن عبد الله وكان سيدا في قومه وقيل له الجارود لانه اغار على قوم من بني بكر ابن وايل فجردهم اي اخذ جميع اموالهم والى ذلك الاشاره بقول الشاعر ؞

؞ ودسناهم بالخيل من كل جانب ؞ كما جرد الجارود بكر ابن وايل ؞

فلما قدم علي رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له النبي صلى الله عليه وسلم هل في جماعة وفد عبد القيس من يعرف لنا القس قالوا كلنا نعرفه يا رسول الله قال الجارود وانا بين يدي القوم كنت اقفو اي اتبع اثره كان من اسباط العرب اي من ولد ولدهم شيخنا عمر سبعماية سنة وقيل ستماية سنة ادرك من الحواريين سمعان فهو اول من تاله اي تعبد من العرب اي ترك عبادة الاصنام واول من قال اما بعد اي وقيل اول من قال ذلك كعب ابن لوي كما تقدم وقيل سحبان ابن وايل وقيل يعقوب وقيل يعرب ابن قحطان وقيل داود وهو فصل الخطاب ورد بانه لم يثبت عنه انه تكلم بغير لغته اي وبعد لفظ عربية وفصل الخطاب الذي اوتيه داود عليه السلام هو فصل الخصومه اي وهذا يويد ما تقدم عنه انه اول من قال البينة على المدعي واليمين علي من انكر وتقدم ما فيه وجمع بان الاولية بالنسبة لداود حقيقة ولغيره اضافية فلكعب ابن لوي بالنسبة للعرب ولغيره بالنسبة لقبيلته وقس اول من كتب من فلان الى فلان قال الجارود كاني انظر اليه يقسم بالرب الذي هو له ليبلغن الكتاب اجله وليوفين كل عامل عمله ثم انشا يقول ؞ ؞

؞ هاج للقلب من جواه اذكار ؞ وليال خلالهن نهار ؞
؞ وجبال شوامخ راسيات ؞ وبحار مياههن غزار ؞
؞ ونجوم تلوح في ظلم الليل ؞ تراها في كل يوم تدار ؞
؞ والذي قد ذكرت دل على الله ؞ نفوس لها هدى واعتبار ؞

فقال النبي صلى الله عليه وسلم على رسلك يا جارود والرسل بكسر الراء التؤدة فلست انساه بسوق عكاظ وهو سوق بين بطن نخلة والطايف كان سوق لثقيف والقيس غيلان كما تقدم على جمل اورق اي يضرب لونه الى السواد وهو يتكلم بكلام ما اظن اني احفظه وفي لفظ تكلم بكلام له حلاوة ولا احفظه الان فقال ابو بكر رضي الله عنه يا رسول الله فاني احفظه كنت حاضرًا ذلك اليوم بسوق عكاظ فقال في خطبته يا ايها الناس اسمعوا وعوا واذا وعيتم فانتفعوا من عاش مات ومن مات فات وكل ما هو ات ات مطر ونبات وارزاق واقوات واباء وامهات

واحيا واموات وجمع وشتات وايات بعد ايات ان في السما لخبرا وان في الارض لعبرا
ليل داج اي مظلم وسما ذات ابراج وارض ذات فجاج وبحار ذات امواج مالي ارى
الناس ارضوا بالمقام فقاموا ام تركوا هناك فناموا اقسم قس قسما حاتما لا حانثا فيه
ولا اثما ان لله دينا هو احب من دينكم الذي انتم عليه ونبيا قد حان حينه واظلكم زمانه
فطوبى لمن امن به فهداه وويل لمن خالفه فعصاه ثم قال تبا لارباب الغفلة من
الامم الخالية والقرون الماضية يا معشر اياد وهي قبيلة من اليمن اين الاباء والاجداد
واين المريض والعواد واين الفراعنة الشداد اين من بنى وشيد وزخرف ونجد اين
زين وطول وغيرة المال والولد اين من بغى وطغى وجمع فاوعى وقال انا ربكم الاعلى
الم يكونوا اكثر منكم اموالا واطول منكم اجالا وابعد امالا طحنهم التراب بكلكم
اي بصدره ومزقهم بتطاوله فتلك عظامهم بالية وبيوتهم خاوية عمرتها الذئاب
العاوية كلا بل هو الله الواحد المعبود ليس بوالد ولا مولود ثم انشا يقول الابيات
المتقدمة **وفي رواية** لما وفد وفد اياد على النبي صلى الله عليه وسلم قال يا معشر
وفد اياد ما فعل قس بن ساعدة الايادي قالوا هلك يا رسول الله قال لقد شهدته
يوما بسوق عكاظ على جمل احمر يتكلم بكلام معجب مونق لا اجدني احفظه الان فقام
امرء اعرابي من اقاصي القوم فقال انا احفظه يا رسول الله فسر النبي صلى الله عليه
وسلم بذلك كان يقول يا معشر اياد اجتمعوا كل من مات فات وكل شي ات ات
ليل داج وسما ذات ابراج وبحر عجاج نجوم تزهر وجبال مرسية وانهار مجرية
الحديث وفي رواية ابن الصعب ذو القرنين ملك الخافقين واذل الثقلين وعمر
الفين ثم كان ذلك كلحظة عين اي وفي رواية اخرى عن ابن عباس رضي الله عنهما
ان قس بن ساعدة كان يخطب قومه بسوق عكاظ فقال سياتيكم حق من هذا الوجه
واشار بيده الى نحو مكة قالوا له وما هذا الحق قال رجل ابلج احور من ولد لوي
بن غالب يدعوكم الى كلمة الاخلاص وعيش ونعيم لا ينفد ان دعاكم فاجيبوه
ولو علمت اني اعيش الى مبعثه لكنت اول من يسعى اليه وقد رويت هذه القصة
على طرق متعددة قال الحافظ ابن كثير هذه الطرق على ضعفها كالمتعاضدة على
اثبات اصل القصة وقال الحافظ ابن حجر طرق هذا الحديث كلها ضعيفة وهو يرد
قول ابن الجوزي في موضوعاته حديث قس من جميع جهاته باطل انتهى **اقول**
ذكر في النور ان في قصة قس ما يرشد الى التعدد مرتين مرة حفظ عليه الصلاة
والسلام كلامه وكان على جمل احمر والثانية التي لم يحفظ صلى الله عليه وسلم فيها
كلامه كان قس على جمل اورق قلت لكن لا ادري اي المرتين كانت اولا هذا كلامه
وقد يقال النسيان جائز عليه صلى الله عليه وسلم فيجوز ان يكون صلى الله عليه
وسلم ذكر كلام قس بعد الاخبار به اولا ويدل لذلك قوله صلى الله عليه وسلم

لا اظن

لا اظن اني احفظه او قبل الاخبار به فيكون خبره صلى الله عليه وسلم متاخرا عن
خبر ابي بكر رضي الله عنه فلا دلالة في ذلك على التعدد ووصف الجمل بانه اورق
ووصفه بانه احمر لا يدل على التعدد لانه يجوز ان يكون شديد الحمرة يميل الى
السواد وهو الاورق فاخبر عنه مرة بانه احمر ومرة بانه اورق وهذا السياق
يدل على تعدد مجي وفد عبد القيس مرة جاوا وحدهم ومرة جاوا مع سيدهم
الجارود وقد جاء رحمه الله قسا انه كان على دين اسمعيل بن ابراهيم عليهما
السلام **ومن ذلك** خبر نافع الجرشي بضم الجيم وفتح الرا وبالشين المعجمة نسبة
من جرش سمي به بلدهم ان بطنا من اليمن كان لهم كاهن في الجاهلية فلما ذكر امر
رسول الله صلى الله عليه وسلم وانتشر في العرب جاوا الى كاهنهم واجتمعوا اليه
في اسفل جبل فنزل اليهم حين طلعت الشمس فوقف لهم قائما متكئا على قوس
فرفع راسه الى السما طويلا ثم قال ايها الناس ان الله اكرم محمدا واصطفاه وطهر
قلبه وحشاه ومكثه فيكم ايها الناس قليل **واما اخبار الكهان على السنة الجان**
فكثيرة ايضا منها خبر سواد ابن قارب وكان يتكهن في الجاهلية وكان شاعرا ثم
اسلم فعن محمد بن كعب القرظي قال بينا عمر بن الخطاب رضي الله عنه ذات
يوم جالسا اذ مر به رجل فقيل له يا امير المومنين اتعرف هذا المار قال ومن هذا قال
سواد بن قارب الذي اتاه رئيه اي تابعه من الجن الذي يتراي له اتاه بظهور
النبي صلى الله عليه وسلم اي بعد ان قال عمر رضي الله عنه على المنبر اي منبر
النبي صلى الله عليه وسلم ايها الناس افيكم سواد بن قارب فلم يجبه احد فلما
كانت السنة المقبلة ولعل ذلك كان في زمن الحج للزيارة من الافاق قال ايها الناس
افيكم سواد بن قارب قال بعضهم يا امير المومنين وما سواد بن قارب قال ان
سواد بن قارب كان بدو اسلامه شيئا عجيبا قال البرا فبينا نحن كذلك اذ طلع
سواد بن قارب قال نعم قال انت الذي اتاك رئيك بظهور النبي صلى الله عليه
وسلم قال نعم قال فانت على ما كنت عليه من كهانتك فغضب سواد بن قارب وقال
ما استقبلني بهذا احد منذ اسلمت يا امير المومنين فقال له سبحان الله ما كنا عليه
من الشرك اي من عبادة الاصنام اعظم مما كنت عليه من كهانتك اي وفي رواية
ان عمر رضي الله عنه قال اللهم غفرا قد كنا في الجاهلية على شر من هذا نعبد
الاصنام والاوثان حتى اكرمنا الله تعالى برسوله صلى الله عليه وسلم وبالاسلام
اقول ان المتبادر ان غضب سواد انما هو بسبب ما فهمه من نسبته الى الكهانة
بعد الاسلام لا قبله بدليل قوله ما استقبلني بهذا احد منذ اسلمت وجواب
سيدنا عمر رضي الله عنه يدل على انه فهم ان غضب سواد بسبب نسبته الى
الكهانة قبل الاسلام فلذلك قال رضي الله عنه سبحان الله متعجبا منه وفي كلام

السهيلي ان عمر رضي الله عنه مازح سوادًا رضي الله عنه فقال له ما فعلت
كهانتك يا سواد فغضب وقال له سواد قد كنت انا وانت على شر من هذا من عبادة
الاصنام واكل الميتات افتعيرني بامر قد تبت منه فقال عمر رضي الله عنه اللهم
غفرا فليتامل ثم قال رضي الله عنه لسواد اخبرني ما انبا رئيك بظهور رسول الله
صلى الله عليه وسلم وفي رواية قال يا سواد حدثنا ببدء اسلامك كيف كان قال
نعم يا امير المومنين بينا انا ذات ليلة بين النايم واليقظان اذ اتاني رئيي
فضربني برجله وقال قم يا سواد بن قارب فاسمع مقالتي واعقل ان كنت تعقل
انه قد بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم من لوي بن غالب يدعو الى الله
عز وجل والى عبادته ثم انشا يقول

عجبت للجن وتطلابها ❊ وشدها العيس باقتابها ❊
تهوي الى مكة تبغي الهدى ❊ ما صادق الجن ككذابها ❊
فارحل الى الصفوة من هاشم ❊ ليس قداماها كاذنابها ❊

فقلت دعني انام فاني امسيت ناعسا فلما كانت الليلة الثانية اتاني فضربني برجله
وقال قم يا سواد بن قارب فاسمع مقالتي واعقل ان كنت تعقل انه قد بعث رسول
الله صلى الله عليه وسلم من لوي بن غالب يدعو الى الله عز وجل والى عبادته ثم
انشا يقول

عجبت للجن وتخبارها ❊ وشدها العيس باكوارها ❊
تهوي الى مكة تبغي الهدى ❊ ما مومن الجن ككفارها ❊
فارحل الى الصفوة من هاشم ❊ بين روابيها واحجارها ❊

فقمت فقلت دعني انام فاني امسيت ناعسا فلما كانت الليلة الثالثة اتاني فضربني
برجله وقال قم يا سواد بن قارب واعقل ان كنت تعقل انه قد بعث رسول الله
صلى الله عليه وسلم من لوي بن غالب يدعو الى الله عز وجل والى عبادته ثم انشا
يقول

عجبت للجن وتحساسها ❊ وشدها العيس باحلاسها ❊
تهوي الى مكة تبغي الهدى ❊ ما خير الجن كانجاسها ❊
فارحل الى الصفوة من هاشم ❊ واسم بعينيك الى راسها ❊

فقمت فقلت قد امتحن الله قلبي فرحلت ناقتي ثم اتيت المدينة وفي رواية ثم
اتيت مكة كما قال البيهقي اقرب الى الصحة من الاولى اي لان الجن انما جاءت
النبي صلى الله عليه وسلم الى مكة واصحابه حوله وفي لفظ والناس حوله وفي
لفظ والناس عليه كعرف الفرس فلما راني قال مرحبا بك يا سواد بن قارب قد
علمنا ما جاء بك قلت يا رسول الله قد قلت شعرا فاسمع مقالتي يا رسول الله
فقال هات فانشات اي ابتدات اقول

اتاني نجيي بعد هدء ورقدة ❊

وفي لفظ

اتاني رئيي بعد ليل وهجعة ❊ ولم يك فيما قد بلوت بكاذب ❊

ثلاث ليال قوله كل ليلة ❊ اتاك رسول من لوي بن غالب ❊
فشمرت عن ذيل الازار وفي لفظ عن ساق الازار ووسطت ❊ بي الدعلب الوجنا ❊ (بين السباسب)
فاشهد ان الله لا رب غيره ❊ وانك مامون على كل غايب ❊
وانك ادنى المرسلين وسيلة ❊ الى الله يا ابن الاكرمين الاطايب ❊ (خ من مشي)
فمرنا بما ياتيك يا خير مرسل ❊ وان كان فيما جاء شيب الذوايب ❊
وكن لي شفيعا يوم لا ذو شفاعة ❊ سواك بمغن عن سواد بن قارب ❊ (وفي رواية)
وكن لي شفيعا يوم لا ذو قرابة ❊ بمغن فتيلا عن سواد بن قارب ❊

قال فقرح النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه بمقالتي فرحا شديدا حتى روي
في وجوههم اي وضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه وقال افلحت
يا سواد بن قارب فرايت عمر رضي الله عنه التزمه وقال كنت اشتهي ان اسمع منك
هذا الحديث فهل ياتيك رئيك اليوم قال منذ قرات القرآن فلا ونعم العوض كتاب
الله تعالى من الجن اي وهذا السياق يدل على ان سيدنا عمر رضي الله عنه لم
يكن حاضرا عند النبي صلى الله عليه وسلم لما اخبره سواد رضي الله عنه ولما مات
النبي صلى الله عليه وسلم وخشي سواد رضي الله عنه على قومه الردة قام خطيبا
فيهم فقال يا معشر دوس من سعادة القوم ان يتعظوا بغيرهم ومن شقايهم ان
لا يتعظوا الا بانفسهم وانه من لم تنفعه التجارب ضرته ومن لم يسعه الحق لم يسعه
الباطل وانما تسلمون اليوم بما اسلمتم به امس ولا ينبغي لاهل البلا الا ان يكونوا اذكر
من اهل العافية ولست ادري لعله تكون للناس صولة فان تكن فالسلامة منها
الاناة والله يحبها فاحيوها فاجابه القوم بالسمع والطاعة اي ومن ذلك انه
امراة كانت كاهنة بالمدينة يقال لها فاطمة كان لها تابع من الجن فجاءها يوما فوقف
على جدارها فقالت ما لك لا تحدثنا ونحدثك فقال انه قد بعث نبي بمكة يحرم الزنا
فحدثت بذلك فكان اول خبر تحدث به في المدينة عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم واما ما سمع من جوف الاصنام فكثير ايضا فمنها اي غير ما تقدم
في ليلة ولادته صلى الله عليه وسلم خبر عباس بن مرداس قال كان لمرداس السلمي
وثن يعبده يقال له ضمار بكسر الضاد المعجمة وميم مخففة بعدها الف ثم راء
مهملة فلما حضرت مرداس الوفاة قال للعباس ولده اي بني اعبد ضمارا فانه
ينفعك ويضرك فبينما عباس يوما عند ضمار اذ سمع من جوف ضمار مناديا يقول

من للقبايل من سليم كلها ❊ اودى ضمار وعاش اهل المسجد ❊
ان الذي ورث النبوة والهدى ❊ بعد ابن مريم من قريش مهتدي ❊
اودى ضمار وكان يعبد مرة ❊ قبل الكتاب الى النبي محمد ❊

فحرق عباس رضي الله عنه ضمارا ولحق بالنبي صلى الله عليه وسلم وفي لفظ

ان عباس بن مرداس كان في لقاح له نصف النهار اذ طلع عليه راكب على نعامة
بيضا وعليه ثياب فقال له يا عباس الم تر ان السما قد تعب احراسها وان الحرب
قد صرفت انفاسها وان الخيل وضعت احلاسها وان الذي نزل عليه البر والتقوى
صاحب الناقة القصوى فقال عباس رضي الله عنه فراعني ذلك فجيت وثنا
لنا يقال له الضمار كنا نعبده ونكلم من جوفه فكنست ما حوله ثم تمسحت به فاذا صايح
يصيح من جوفه ؞ قل للقبايل من قريش كلها ؞ هلك الضمار وفاز اهل المسجد ؞
؞ هلك الضمار وكان يعبد مدة ؞ قبل الصلاة الى النبي محمد ؞
؞ ان الذي ورث النبوة والهدى ؞ بعد بن مريم من قريش مهتدي ؞

قال عباس رضي الله عنه فخرجت مع قومي بني حارثة الى رسول الله صلى
الله عليه وسلم بالمدينة فدخلت المسجد فلما راني رسول الله صلى الله عليه وسلم
تبسم وقال يا عباس كيف اسلامك فقصصت عليه القصة فقال صدقت واسلمت
انا وقومي ومن ذلك خبر مازن بن المضوبة قال كنت اسدن اي اخدم صنما
بقرية بعمان اي بالتخفيف تدعي سمايل وسمال يقال له باجر وفي لفظ باحر بالحا
المهملة فعترنا ذات يوم عترة عتيرة وهي الذبيحة مطلقا وقيل في رجب خاصة فسمعنا
صوتا من جوف الصنم يقول يا مازن اسمع تسر ظهر خير وبطن شر بعث نبي من
مضر بدين الله اكبر فدع نحيتا من حجر تسلم من حر سقر قال مازن ففزعت لذلك وقلت
ان هذا العجب ثم عترت بعد ايام عتيرة اي ذبحت ذبيحة لذلك فسمعت صوتا من الصنم
يقول ؞ اقبل الى اقبل ؞ تسمع ما لا تجهل ؞ هذا نبي مرسل ؞ جا بحق منزل ؞
؞ فامن به كي تعدل ؞ عن حر نار تشعل ؞ وقودها بالجندل ؞ فقلت ان هذا لعجب
وانه لخير يراد بي اقول في بعض السير تقديم هذه الابيات على ما قبلها وان مازنا
قال سمعت صوتا ابين من الاول وهو يقول يا مازن اسمع الى اخره والله اعلم قال
مازن فبينا نحن كذلك اذ قدم رجل من اهل الحجاز قلنا ما الخبر وراك قال ظهر رجل
يقال له احمد يقول لمن اتاه اجيبوا داعي الله فقلت هذا نبا ما سمعته فنزلت الى
الصنم فكسرته جذاذا وركبت راحلتي واتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وشرح
لي الاسلام واسلمت وقلت كسرت بادر وفي لفظ باحر جذاذا وكان لنا ربا نطيف
به بتضلال ؞ بالهاشمي هدانا من ضلالتنا ؞ ولم يكن دينه شيا على بالي ؞
؞ يا راكبا بلغن عمرا واخوتها ؞ اني لما قال ربي باحر قالي ؞
وعنى بعمرو واخوتها بني حطامة وهم بطن من طي وهذه الابيات ساقطة في
اسد الغابة قال مازن رضي الله عنه فقلت يا رسول الله اني مولع بالطرب اي
مغرم به وبشرب الخمر وبالهلوك اي الفاجرة من النسا التي تتمايل وتتثنى عند
جماعها وقيل الساقطة على الرجال اي لشدة شبقها ولحت اي دامت علينا سنون اي

اي اعوام القحط والجدب فذهبن بالاموال وهزلن الذراري والعيال وليس لي
ولد فادع الله ان يذهب عني ما اجد وياتيني بالحيا ويهب لي ولدا فقال النبي صلى
الله عليه وسلم اللهم ابدله بالطرب قراة القران وبالحرام الحلال وبالخمر ريا لا
اثم فيه وبالعهر اي الزنا عفة الفرج واته بالحيا اي المطر واته ولدا قال مازن
رضي الله عنه فاذهب الله ما كنت اجد وتعلمت شطر القران وحججت حججا واخصبت
عمان بعني قريته وما حولها من قرى عمان وتزوجت اربع حراير ووهب الله
لي حيان يعني ولده وانشات اقول ؞
؞ اليك رسول الله حنت مطيتي ؞ فيغفر لي ذنبي وارجع بالفلج ؞
؞ لتشفع لي يا خير من وطئ الحصا ؞ تجوب الفيافي من عمان الى الفرج ؞
اي لا رجع بالفوز والظفر بالمطلوب ؞ الى معشر خالفتهم في دينهم ؞
ولا رايهم رايي ولا شرجهم شرجي ؞ اي بالشين والجيم اي لا شكلهم شكلي ولا طريقهم
طريقي ؞ وكنت امرءا بالعهر والخمر مولعا ؞ شبابي حتى اذن الجسم بالنهجي ؞ اي بالبلا
؞ فبدلني بالخمر خوفا وخشية ؞ وبالعهر احصانا فحصن لي فرجي ؞
؞ فاصبحت همي في الجهاد ونيتي ؞ فلله ما صومي ولله ما حجي ؞

قال مازن فلما رجعت الى قومي انبوني اي عنفوني ولاموني وشتموني وامروا
شاعرهم فهجاني فقلت ان هجوتهم فانما اهجو نفسي وتنحيت عنهم واتيت مسجدا
اتعبد فيه فكان لا ياتي هذا المسجد مظلوم فيتعبد فيه ثلاثا ويدعو على ظالمه
الا استجيب له ولا دعا ذو عاهة من برص او غيره الا عوفي ثم ان القوم ندموا
وطلبوا مني الرجوع اليهم فاسلموا كلهم وضعف هذا الحديث واما ما سمع من
جوف الذبايح فمنه ما جا عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال كنا يوما في حي من
قريش يقال لهم ال ذريح بالحا المهملة وقد ذبحوا عجلا لهم والجزار يعالجه اذ سمعنا
صوتا من جوف العجل ولا نرى شيا يا ال ذريح ، امر نجيح ، صايح يصيح ، بلسان فصيح
يشهد ان لا اله الا الله ؞ والمراد بالذريح العجل الذي ذبح لانه ملطخ بالدم الاحمر
لقولهم احمر دريحي اي شديد الحمرة والذي في البخاري يقول يا جليح ، امر نجيح
رجل فصيح ، يقول لا اله الا الله ؞ والمراد بالجليح العجل المذبوح ايضا لانه قد
جلح اي كشف عن جلده واما ما سمع من الهواتف ولم يجي على السنة الكهان وله
سمع من جوف الاصنام ولا من جوف الذبايح فكثير من ذلك ما حدث به بعضهم
وذكره للنبي صلى الله عليه وسلم قال يا رسول الله لقد رايت من قس عجبا خرجت
اطلب بعيرا لي حتى اذا عسعس الليل اي ادبر وكاد الصبح ان يتنفس هتف بنا هاتف
يقول ؞ يا ايها الراقد بالليل الاصم ؞ اي بالحا المهملة الاسود ؞ قد بعث الله نبيا بالحرم ؞
؞ من هاشم اهل الوفاء والكرم ؞ يجلو دجنات الليالي والبهم ؞

طرفي

اي الظلمات والامور المشكلة فادرت شخصي فرايت شخصًا فانشات اقول

يا ايها الهاتف في داجي الظلم ،، اهلاً وسهلاً بك من طيف الم ،،

نبي هداك الله في لحن الكلم ،، من الذي تدعوا اليه يغتنم ،،

فاذا انا بنحنحة وقايل يقول ظهر النور وبطل الزور، وبعث الله محمدًا م

بالحبور، اي السرور صاحب النجيب الاحمر، اي الكريم من الابل والتاج والمغفر

والوجه الازهر، اي الابيض والطرف الاحور، اي شديد سواده صاحب قول

شهادة ان لا اله الا الله ،، فذاك محمد المبعوث الي الاسود والاحمر، اهل المدر

والوبر، العجم والعرب ثم انشا يقول ،، الحمد لله الذي لم يخلق الخلق عبث ،،

ارسل فينا احمدا ،، خير نبي قد بعث ،، صلى الله عليه ما ،، حج له ركب وحث ،،

والي ذلك اشار صاحب الهمزية رحمه الله تعالى بقوله ،، ،، ،،

وتغنت بمدحه الجن حتى ،، اطرب الانس منه ذاك الغناء ،، ،، ،،

اي اظهرت الجن اوصافه صلى الله عليه وسلم الجميلة في صورة الغنا الذي يالف

النفس ولا تصبر عنها عند سماعه فسمع لغيره حتي اطرب الانس ذاك الغنا الذي

سمع من الجن قال فلاح الصباح واذا بالفنيق يتشقشق والفنيق بفتح الفا

وكسر النون وسكون المثناة تحت ثم قاف الفحل الكريم من الابل ويتشقشق بشينين

معجمتين وقافين اي يهدر الي الفوق فملكت خطامه وعلوت سنامه حتى اذا

لغب بالغين المعجمة والبا الموحدة اي تعب فنزلت في روضة خضرا فاذا انا

بقس بن ساعدة في ظل شجرة وبيده قضيب من اراك ينكت به الارض والنكت بالتا

فوق وهو يقول ،، يا ناعي الموت والملحود في جدث ،، اي قبر عليهم من بقايا بزهم

خرق ،، اي والبز الثياب ،، دعهم فان لهم يومًا يصاح به ،، فهم اذا انتبهوا من نومهم فرقوا ،،

،، منهم عراة ومنهم في ثيابهم ،، منها الجديد ومنها المنهج الخلق ،،

والمنهج من الثياب الذي اخذ فيها البلا قال فدنوت منه فسلمت عليه فرد

علي السلام فاذا بعين خرارة اي لما يخاضر اي صوت في الما الارض خوارة اي

ضعيفة ومسجد بين قبرين واسد بين عظيمين يلوذان به واذا احدهما قد سبق

الاخر الي الما فتبعه الاخر يطلب الما فضربه بالقضيب الذي في يده وقال ارجع

ثكلتك امك اي فقدتك حتى يشرب الذي قبلك فرجع ثم ورد فقلت له ما هذان

القبران قال هذان كانا قبرا اخوين لانا لي يعبدان الله عز وجل ولا يشركان

به شيئًا اسم احدهما شمعون والاخر سمعان فادركهما الموت فقبرتهما وها انا بين

قبريهما حتى الحق بهما ثم انظر اليهما فاشتد ابياتا فقال رسول الله صلى الله عليه

وسلم رحم الله قسا اني ارجو ان يبعثه الله امة وحده اي واحد يقوم مقام

جماعة كما تقدم وقد اشار الي ذلك الاصل بقوله ،،

،، وعنه اضرب قس قومه فله ،، علي مسامعهم من ذكره شنفا ،،

ولما مات قس قبر عندهما وتلك القبور الثلاثة بقرية يقال لها ... وحين من

اعمال حلب وعليها بنا والناس يزورونهم وعليهم وقف ولهم خدام ومن ذلك

ما رواه الواقدي باسناد له قال ابو هريرة رضي الله عنه بلغت ان قومًا من

خثعم كانوا عند صنم لهم جلوسًا وكانوا يحتكمون الي اصنامهم فبينما الخثعميون

عند صنم لهم اذ سمعوا هاتفا يهتف ويقول ،، ،،

،، يا ايها الناس ذروا الاصنام ،، ومسند الحكمة للاصنام ،،

،، اما ترون ما اري امامي ،، من ساطع يجلو دجا الظلام ،،

،، ذاك نبي سيد الانام ،، من هاشم في ذروة الختام ،،

،، مستعلن بالبلد الحرام ،، جا لهدا الكفر بالاسلام ،،

،، اكرمه الرحمن من اسلام ،، قال ابو هريرة رضي الله عنه فامسكوا

ساعة حتى حفظوا ذلك ثم تفرقوا فلم يمض بهم ثالث يوم حتى جاهم خبر رسول

الله صلى الله عليه وسلم انه قد ظهر بمكة اي جاهم ذلك فما اسلم الخثعميون حتى

استاخر اسلامهم ورادوا عمرًا عند اصنامهم واما خبر زمل ابن عمرو العذري

قال كان لبني عذرة وهم قبيلة من اليمن صنم يقال له حمام بالحا المهملة المضمومة

وتخفيف الميم وكانوا يعظمونه وكان في بني هند بن حرام بالحا المهملة المفتوحة

والرا وكان سادنه اي خادمه رجلا يقال له طارق قال في النور لا اعلم له

ترجمة ولا اسلامًا وكانوا يعترون اي يذبحون الذبايح عنده فلما ظهر النبي صلى

الله عليه وسلم سمعنا صوتا يقول يا بني هند بن حرام ، ظهر الحق واودى حمام،

اي هلك ورفع الشرك الاسلام، قال زمل ففزعنا لذلك وهالنا اي فزعنا

فمكثنا اياما ثم سمعنا صوتا يقول ، يا طارق يا طارق ، بعث النبي الصادق،

بوحي ناطق ، صدع صدعه بارض تهامة ، لناصريه السلامة، ولخاذليه

الندامة، هذا الوداع مني الي يوم القيامة فوقع الصنم لوجهه فان كان

ذلك الصوت من جوف الصنم ويرشد اليه قوله هذا الوداع مني الي يوم القيامة

فهو من غير هذا النوع وان لم يكن من جوف الصنم فهو من هذا النوع قال

زمل فابتعت اي اشتريت راحلة ورحلة حتى اتيت النبي صلى الله عليه وسلم

مع نفر من قومي وانشدته صلى الله عليه وسلم ،، اليك رسول الله علمت نضها ،،

النضي هو الغاية في السير ،، اكلفها حزنا وقوزا من الرمل ،،

والحزن ما ارتفع من الارض والقوز بالقاف والزاي التل الصغير ،،

،، لانصر خير الناس نصرا موزرا ،، اي قويا ، واعقد حبلا من حبالك في حبلي ،،

الحبل العهد والميثاق ،، واشهد ان الله لا شي غيره ،، ادين له ، اي اخضع له واطيع

ما انقلت قدمي نعلي، **ومن هذا النوع** خبر تميم الداري رضي الله عنه اي م
ويكنى ابا رقية اسم ابنة له لم يولد له غيرها روى عنه صلى الله عليه وسلم
قصة الجساسة مع الدجال على المنبر فقال حدثني تميم الداري وذكر القصة
قال بعضهم وهذا اولى ما يخرجه المحدثون في رواية الكبار عن الصغار وقد
يكون من ذلك ما روي ان ابا بكر رضوان الله تعالى عليه مر يوما على ابنته عائشة
رضي الله عنها فقال هل سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم دعاء كان
يعلمناه وذكر ان عيسى بن مريم عليه السلام كان يعلمه اصحابه ويقول لو كان
على احدكم جبل من الدين ذهبا قضاه الله عنه قالت نعم اللهم فارج الهم
كاشف الغم مجيب دعوة المضطرين رحمن الدنيا والاخرة ورحيمهما انت ترحمني
برحمة تغنيني بها عن رحمة من سواك **وعن** ابي هريرة رضي الله عنه كان علي دين
وكنت له كارها فقلته فلم البث الا يسيرا حتى قضيته **قال** تميم كنت بالشام
حين بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرجت الى بعض حاجاتي فادركني الليل
فقلت انا في جوار عظيم هذا الوادي فلما اخذت مضجعي اذا مناديا ينادي لا اراه
عذ بالله فان الجن لا تجير على الله فقلت ايما تقوله وايم الله تشديد الياء واسكانها وفتح
الميم فيهما اي اي شيء تقول فقال قد خرج الرسول الامين رسول الله صلى الله
عليه وسلم وصلينا خلفه بالحجون اي وهو مقبرة مكة التي يقال لها المعلاة
كما تقدم واسلمنا واتبعناه وذهب كيد الجن ورميت بالشهب فانطلق الى محمد صلى الله
عليه وسلم فلما اصبحت ذهبت الى دير ايوب فسالت راهبه واخبرته فقال صدقوك
تجده يخرج من الحرم اي مكة ومهاجره الحرم اي المدينة وهو خير الانبياء فلا تسبق
اليه قال تميم رضي الله عنه فطلبت الشخوص اي الذهاب حتى جئت رسول الله
صلى الله عليه وسلم فاسلمت **اقول** وهذا يدل ظاهرا على ان تميم الداري اسلم
بمكة قبل الهجرة فهو مما يتوقف الكلام فيه بل رايت تتمة الخبر فسرت الى مكة فلقيت
النبي صلى الله عليه وسلم وكان مستخفيا فامنت به ورايت بعضهم قال وهذه
الرواية غريبة لان تميم الداري رضي الله عنه انما اسلم سنة تسع من الهجرة والله اعلم
قال ومن ذلك ما حدث به سعيد بن جبير رضي الله عنه ان رجلا من بني تميم حدث
عن بدء اسلامه قال اني لاسير برمل عالج ذات ليلة اذ غلبني النوم فنزلت عن
راحلتي واخنتها ونمت وتعوذت قبل نومي فقلت اعوذ بعظيم هذا الوادي من الجن
فرايت في منامي رجلا بيده حربة يريد ان يضعها في نحر ناقتي فانتبهت فزعا فنظرت
يمينا وشمالا فلم ار شيئا فقلت هذا حلم ثم عدت فغفوت فرايت مثل ذلك فانتبهت
فرايت ناقتي ترعد ثم غفوت فرايت مثل ذلك فانتبهت فرايت ناقتي تضطرب فالتفت
فاذا انا برجل شاب كالذي رايته في منامي بيده حربة ورجل شيخ ممسك بيده يرده

عن

عن ناقتي وبينهما نزاع فبينما هما يتنازعان اذ طلعت ثلاثة اثوار من الوحش فقال
الشيخ للفتى قم فخذ ايها شئت فدا لناقة جاري الانسي فقام الفتى فاخذ منها ثورا
وانصرف ثم التفت الي الشيخ وقال يا فتى اذا نزلت واديا من الاودية فخفت هوله
فقل اعوذ بالله رب محمد من هول هذا الوادي ولا تعذ باحد من الجن فقد بطل
امرها فقلت له ومن هذا قال نبي عربي لا شرقي ولا غربي قلت اين مسكنه قال يثرب
ذات النخل فركبت ناقتي وحثثت السير حتى اتيت المدينة فرايت رسول الله صلى
الله عليه وسلم فحدثني قبل ان اذكر له منه شيئا ودعاني الى الاسلام فاسلمت وهذا
الباقي يدل على ان هذه القصة بعد الهجرة لا عند المبعث الذي تقدم الكلام فيه
ونظير هذا ما حدث به بعض الصحابة رضي الله عنهم قال خرجت في طلب ابل لي وكنا
اذا نزلنا بوادي قلنا نعوذ بعزيز هذا الوادي فتوسدت ناقتي وقلت اعوذ بعزيز
هذا الوادي فاذا هاتف يهتف بي فيقول ،،

،، ويحك عذ بالله ذو الجلال ،، منزل الحرام والحلال ،،
،، ووحد الله ولا تبالي ،، ما كيد ذي الجن من الاهوال ،،
،، اذ تذكر الله على الاحوال ،، وفي سهول الارض والجبال ،،
،، وصار كيد الجن في تسفال ،، الا التقى وصالح الاعمال ،، فقلت له
،، يا ايها الصائح ما تقول ،، ارشد عندك ام تضليل ،، فقال
،، هذا رسول الله ذو الخيرات ،، جاء بيس وحاميمات ،،
،، وسور بعد مفصلات ،، يامر بالصلاة والزكاة ،،
،، ويزجر الاقوام عن هنات ،، قد كن في الاسلام منكرات ،،

فقلت اما لو كان لي من يودي ناقتي ابلي الى اهلي لاتيته حتى اسلم فقال انا اوديها
فركبت بعيرا منها ثم قدمت فاذا النبي صلى الله عليه وسلم على المنبر وفي رواية
فوافيت الناس يوم الجمعة وهم في الصلاة فاني انيخ راحلتي اذ خرج الي ابو ذر
رضي الله عنه فقال يقول لك رسول الله صلى الله عليه وسلم ادخل فدخلت فلما
راني رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما فعل الرجل وفي لفظ ما فعل الشيخ
الذي ضمن لك ان يودي ابلك اما انه قد اداها سالمة وقد قص الله تعالى على
نبيه صلى الله عليه وسلم ما كان عليه الناس قبل بعثته من ان الانسان اذا نزل
منزلا قال اعوذ بسيد هذا الوادي من شر سفهائه بقوله سبحانه وتعالى وانه
كان رجال من الانس يعوذون برجال من الجن اي يستعيذون برجال من الجن
اي حين ينزلون في اسفارهم بمكان مخوف يقول كل رجل اعوذ بسيد هذا المكان من
شر سفهائه فزادوهم رهقا اي زادوهم الجن اي سادتهم باستعاذتهم بهم طغيانا
فيقولون سدنا الانس والجن **اي ومن ذلك** ما حكاه وائل بن حجر الحضرمي ويكنى

ابا هنيدة كان قيلا من اقيال الناس حضرموت وكان ابوه من ملوكهم قال وفدت
على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد بشر اصحابه بقدومي فقال يأتيكم وائل
بن حجر من ارض بعيدة من حضرموت راغبا في الله عز وجل وفي رسوله وهو بقية
ابناء الملوك قال وائل رضي الله عنه فما لقيني احد من الصحابة الا قال بشرنا بك
رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل قدومك بثلاث فلما دخلت على رسول الله صلى
الله عليه وسلم رحب بي وادناني من نفسه وقرب مجلسي وبسط لي رداءه فاجلسني
عليه وقال اللهم بارك في وائل بن حجر وولده وولد ولده ثم صعد المنبر وانا بين
يديه ثم قال ايها الناس هذا وائل بن حجر اتاكم من ارض بعيدة من حضرموت راغبا
في الاسلام فقلت يا رسول الله بلغني ظهورك وانا في ملك عظيم فمن الله علي
فرفضت ذلك كله واثرت دين الله تعالى فقال صدقت اللهم بارك في وائل بن حجر وولده
وولد ولده قال وسبب وفودي على رسول الله صلى الله عليه وسلم انه كان لي
صنم من العقيق بينا انا نائم في الظهيرة اذ سمعت صوتا منكرا من المخدع الذي به
الصنم فاتيت الصنم وسجدت بين يديه واذا قائل يقول ..

واعجبا لوائل ابن حجر .. يخال يدري وهو ليس يدري ..
ماذا يرجى من نحيت صخر .. ليس بذي نفع ولا ذي ضر ..
لو كان ذا حجر اطاع امري .. فقلت سمعت ايها الهاتف الناصح فماذا تامرني
فقال .. ارحل الى يثرب ذات النخل .. تدين دين القائم المصلي ..
.. محمد النبي خير الرسل .. ثم خر الصنم لوجهه فاندق عنقه

فقمت اليه فجعلته رفاتا ثم سرت مسرعا حتى اتيت فدخلت المسجد الحديث وفيه ان
كان الصوت من جوف هذا الصنم فهو من غير هذا النوع ولوائل هذا حديث مع
معاوية رضي الله عنه تركناه لطوله واما ما سمع من بعض الوحوش فمنه ما حدث
ابو سعيد الخدري رضي الله عنه قال بينما راع يرعى بالجزيرة اذ عرض الذئب لشاة
من شياهه فحال الراعي بين الذئب وبين الشاة فاقعى الذئب على ذنبه وقال للراعي
اتحول بيني وبين رزق ساقه الله الي فقال الراعي عجبا من ذئب يتكلم بكلام الانس
فقال الذئب الا اخبرك باعجب من ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم بين الحرتين
وفي رواية بيثرب يحدث الناس بانباء ما قد سلف وفي لفظ يخبركم بما مضى وما هو
كائن بعدكم فساق الراعي شياهه فاتى المدينة فقصد لرسول الله صلى الله عليه وسلم
فحدثه بما قال له الذئب فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم صدق الراعي ان من
اشراط الساعة كلام السباع للانس لا تقوم الساعة حتى يكلم الرجل والذي نفس
محمد بيده شراك نعله وهو احد سيورها الذي يكون على وجهها كما تقدم اي عذبة
سوطه اي طرفه وقيل احد سيوره ويخبره بما فعل اهله اي وفي لفظ فامر رسول الله

صلى الله عليه وسلم فنودي بالصلاة جامعة ثم خرج فقال للاعرابي اخبرهم
فاخبرهم ان راعي الغنم كان يهوديا وفي رواية ان الذئب قال له انت اعجب من ذلك
واقفا غنمك وتركت نبيا لم يبعث الله قط اعظم منه قدرا وقد فتحت له ابواب
الجنة واشرف اهلها على اصحابه ينظرون قتالهم وما بينك وبينه الا هذا الشعب
فتصير في جنود الله تعالى فقال له الراعي من لي بغنمي فقال له الذئب انا ارعاها حتى
ترجع فاسلم اليه غنمه ومضى الى النبي صلى الله عليه وسلم واسلم وقال له رسول
الله صلى الله عليه وسلم عد الى غنمك فتجدها بوفرها فوجدها كذلك وذبح
للذئب شاة منها وفيه ان هذا وما تقدم من خبر سعيد بن جبير كان علمت بعد
الهجرة لا عند المبعث الذي الكلام فيه قال في النور هذا الراعي لا اعرف اسمه
قال وكلم الذئب غير واحد وانظرهم في تعليقي على البخاري اقول ذكر في حياة
الحيوان عن ابن عبد البر كلم الذئب من الصحابة رضي الله عنهم ثلاثة رافع بن
عميرة وسلمة بن الاكوع ووهبان بن اوس واما ما سمع من بعض الاشجار فقد
روي عن ابي بكر رضي الله عنه انه قيل له هل رايت قبل الاسلام شيئا من دلائل
نبوة محمد صلى الله عليه وسلم قال نعم بينا انا قاعد في ظل شجرة في الجاهلية اذ تدلى
على غصن من اغصانها حتى صار على راسي فجعلت انظر اليه واقول ما هذا فسمعت
صوتا من الشجرة هذا النبي يخرج في وقت كذا وكذا فكن انت من اسعد الناس به
والله اعلم واما تساقط النجوم وطرد الجن بها عن استراق السمع فقد قال ابن اسحاق
رحمه الله تعالى لما تقارب امر رسول الله صلى الله عليه وسلم وحضر مبعثه حجبت
الشياطين عن استراق السمع وحيل بينها وبين المقاعد التي كانت تقعد فيها فرموا
بالنجوم فعرف الجن ان ذلك لامر حدث من الله في العباد قال الله تعالى لنبيه محمد
صلى الله عليه وسلم حين بعثه يقص عليه خبرهم اذ حجبوا وانا لمسنا السماء اي
طلبنا استراق السمع منها فوجدناها ملئت حرسا شديدا اي ملائكة اقوياء يمنعون
عنها وشهبا وانا كنا نقعد منها مقاعد للسمع لخلوها عن الحرس والشهب فمن
يستمع الان يجد له شهابا رصدا اي ارصد له ليرمى به اي ومن يخطف الخطفة
منهم بخفة حركة يتبعه شهاب ثاقب اي يحرق وجهه او يخبله قبل ان يلقيها
الى الكاهن وذلك لئلا يلتبس امر الوحي بشيء من خبر الشياطين مع نزوله وبعد
انقضائه وموته صلى الله عليه وسلم ولئلا تدخل الشبهة على ضعفاء العقول فربما
توهموا عود الكهانة التي سببها استراق السمع وان امر رسالته صلى الله عليه وسلم
قديم واقتضت الحكمة حراسة السماء في حياته صلى الله عليه وسلم وبعد موته ومن
ثم قال صلى الله عليه وسلم لا كهانة بعد اليوم وقد حدث بعضهم ان اول العرب
العرب فزع للرمي بالنجوم حين رمي بها ثقيف وانهم جاءوا الى رجل يقال له عمرو

ابن اميه وكان ادهى العرب وانكرها رايا اي ادهاها رايا وكان ضريرا وكان يخبرهم
بالحوادث فقالوا له يا عمرو الم تر اي تعلم ما حدث في السماء من الرمي بهذه النجوم
فقال بلى انظروا فان كانت معالم النجوم اي النجوم المشهوره التي يهتدى بها في البر
والبحر ويعرف بها الانوا من الصيف والشتا هي التي يرمى بها فهو والله طي هذه الدنيا
وهلاك هذا الخلق الذي فيها وان كانت نجوما نواء وهي ثابتة على حالها فهو لامر اراد
الله بهذا الخلق اي والنوء بالنون والهمزه هنا ما يحصل عند سقوط نجم في الغرب وطلوع
نجم رقيبه من الشرق يقابله من ساعته في كل ثلاثة عشر يوما وحقيقة النوء سقوط
النجم وطلوع رقيبه في المدة المذكوره وكانت العرب تضيف الامطار والرياح والحر والبرد
الى الساقط منها والى الطالع منها فيقولوا مطرنا بنوء كذا وسياتي الكلام على ذلك في
غزوة الحديبية وفي لفظ فامر اراده الله ونبي يبعث في العرب فقد تحدث بذلك
لا يقال قد رجمت الشياطين بالنجوم قبل ذلك وذلك عند مولده لانا نقول رجمت الا
باكثر مما كان قبل او صارت تصيب ولا تخطي ومن ثم حدث بعضهم قال لما بعث النبي
صلى الله عليه وسلم اي قرب زمن بعثه رجمت الشياطين بنجوم لم تكن ترجم بها قبل
فاتوا عبد يا ليل بن عمرو وهو بياءين تحتيتين وكسر اللام الاولى الثقفي وكان اعمى
فقالوا ان الناس قد فزعوا وقد اعتقوا رقيقهم وسيبوا انعامهم فقال لا تعجلوا
وانظروا فان كانت النجوم التي تعرف اي وهي التي يهتدى بها في البر والبحر ويعرف
بها الانوا فهي عند فنا الناس وان كانت لا تعرف فهي من حدث فنظروا فاذا نجوم
لا تعرف فقالوا هذا من حدث اي وقد روى مسلم انه صلى الله عليه وسلم قال النجوم
امنة السما فاذا ذهبت النجوم اتى السما ما توعد وانا امنة لاصحابي فاذا ذهبت
اتى اصحابي ما يوعدون فلم يلبثوا حتى سمعوا بالنبي صلى الله عليه وسلم وفي
لفظ فما مكثوا الا يسيرا حتى قدم الطايف ابو سفيان بن حرب رضي الله عنه فقال
ظهر محمد بن عبد الله يدعي انه نبي مرسل وهذا قد يخالف ما ياتي عن ابن عمر
رضي الله عنهما لما كان اليوم الذي تنبا فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم
منعت الشياطين من خبر السما ولا مانع من تكرر سوال ثقيف مرة لعمرو بن اميه
ومرة لعبد يا ليل بن عمرو وان كلا منهما كان اعمى ويحتمل اتحاد الواقعة ووقع الاختلاف
في الاسم الذي سالوه فسماه بعضهم عمرو بن اميه وبعضهم سماه عبد يا ليل بن عمرو
وهذا كما ترى كان عند المبعث وبه يعلم ما في قول الماوردي الذي نقله عن شيخ
بعض مشايخنا النجم الغيطي رحمهم الله في معراجه واقره وسببه اي رمي النجوم ان
الله تعالى لما اراد بعثة محمد صلى الله عليه وسلم رسولا كثر انقضاض الكواكب
قبل مولده ففزع اكثر العرب منها وفزعوا الى كاهن لهم ضرير وكان يخبرهم بالحوادث
فسالوه عنها فقال انظروا البروج الاثني عشر فان انقض منها شي فهو ذهاب الدنيا

وان لم

وان لم ينقض منها شي فسيحدث في الدنيا امر عظيم فلما بعث رسول الله صلى
الله عليه وسلم هو الامر العظيم فانه يقتضي ان المراد ببعثته ولادته وولادته
وكان يتعين اسقاط قوله قبل مولده لما علمت ان هذا اي كثرة تساقط النجوم انما
كان عند بعثته ونبوته لا عند ولادته ومنه خبر ابي لهب اللهيب بن مالك اي من
بني لهب فان بني لهب فزعوا كفزع ثقيف قال حضرت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
فذكرت عنده الكهانة فقلت بابي انت وامي نحن اول من عرف حراسة السما ومنع
الجن من استراق السمع وذلك انا اجتمعنا الى كاهن يقال له خطر بالخا المعجمه والطا
المهمله والرا ابن مالك قال في النور لا اعرف له ترجمة ولا اسلاما شيخا كبيرا قد اتت وكان صح
عليه مايتا سنة وثمانون سنة وكان من اعلم كهاننا فقلنا له يا خطر هل عندك علم
من هذه النجوم التي يرمى بها فانا قد فزعنا لها وخفنا سوء عاقبتها فقال ايتوني بسحر
اي قبيل الفجر اخبركم الخبر ام ضرر ولا امن قال فانصرفنا عنه يومنا فلما الخير ام
كان من غد في وجه السحر اتيناه فاذا هو قايم على قدميه شاخص في السما بعينيه
فناديناه يا خطر فاومى الينا ان امسكوا فامسكنا فانقض نجم عظيم من السما
فصرخ الكاهن رافعا راسه اصابه صابه جمع وصب الجمل وجاء في الهمزة بدل
من الواو عودا من عقابه عاجله عذابه احرقه شهابه زايله جوابه اي زال
عن جوابه يا ويله بلبله بلباله بلبالة الم عاوده خباله تقطعت حباله وغيرت ما خانه صح
احواله ثم امسك طويلا ثم قال يا معشر بني قحطان، اخبركم بالحق والبيان، اقسم
بالكعبة والاركان، والبلد المؤتمن السدان، اي الحرم قد منع السمع عتاة الجان،
بثاقب بكف ذي سلطان، من اجل مبعوث عظيم الشان، يبعث بالتنزيل والفرقان،
وبالهدى وفاصل القران، تبطل به عبادة الاوثان، قال فقلنا له ويلك يا خطر
انك لتذكر امرا عظيما فما ذا ترى لقومك قال

١ اري لقومي ما اري لنفسي ... ان يتبعوا خير نبي الانس
برهانه مثل شعاع الشمس ... يبعث في مكة دار الحمس
بمحكم التنزيل غير لبس

والحمس بضم الحا المهمله واسكان الميم وبالسين المهمله هم قريش ومن ولدت من
غيرها فانهم كانوا لا يزوجون بناتهم لاحد من اشراف العرب الا على شرط ان
تتحمس اولادهم فان قريشا من بين قبايل العرب دانوا بالتحمس ولذلك تركوا
الغزو لما في ذلك من استحلال الاموال والفروج ومالوا للتجارة ومن ثم يقال قريش
الحمس سموا بذلك لتشددهم في دينهم لان الحماسة هي الشدة فقلنا له يا خطر ومن
هو فقال والحياة والعيش انه لمن قريش ما في حكمه طيش اي عدول عن الحق
من قولهم طاش السهم عن الهدف اذا عدل عنه اي ولا في خلقه هيش اي كيس

في طبيعته وتشجيته لا في قول قبيح يكون فحش من القحطان والاوس والقحطان
هم الانصار قال صلى الله عليه وسلم رحا الايمان دايرة في ولد قحطان والاوس
قبيلة من الجن المومنين ينسبون اليهم ايش من كبراء الجن وقيل اراد بهم المهاجرين
اي ومن المهاجرين الذين يقال لهم ايش لانه يقال في مقام المدح فلان ايش على
معنى اي شي هو اي شي عظيم لا يمكن ان يعبر عن عظمته وجلالته ويروى
بدل ايش ريش قلنا له بين لنا من اي قريش فقال والبيت ذي الدعايم يعني
الكعبة والركن يعني الحجر الاسود والاصايم يعني بير زمزم لان الاحايم جمع احوام
وهو الماء في البير والاحايم بير زمزم وان الاصل الحوام ففيه قلب مكان الاصل
فراعى فصار افاعل والحوام جمع الطير التي تحوم على الما والمراد حمام مكة
انه لمن نجل اي نسل هاشم من معشر اكارم يتبعث بالملاحم يعني الحروب وقتل كل
ظالم ثم قال هذا هو البيان اخبرني به انس وجان ثم قال الله اكبر جا الحق وظهر
وانقطع عن الجن الخبر ثم سكت واغمي عليه فما افاق الا بعد ثلاثة ايام فقال لا
اله الا الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد نطق عن مثل نبوة اي وحي
وانه ليبعث يوم القيامة امة وحده اي مقام جماعة كما تقدم نظيره قال
ومن ذلك ما رواه مسلم عن ابن عباس رضي الله عنهما عن نفر من الانصار قالوا
بينما نحن جلوس مع رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا رمي بنجم فاستنار فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ما كنتم تقولون في هذا النجم الذي يرمى به في
الجاهلية اي قبل المبعث قالوا يا رسول الله كنا نقول حين رأيناه يرمى بها مات ملك
ولد مولود فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس ذلك كذلك ولكن الله سبحانه
وتعالى كان اذا قضى في خلقه امرا سمعته حملة العرش فسبحوا فسبح من تحتهم
لتسبيحهم فيسبح من تحت ذلك فلا يزال التسبيح يهبط حتى ينتهي الى سما الدنيا فيسبحوا
ثم يقول بعضهم لبعض لم سبحتم فيقولون قضى الله في خلقه كذا الامر الذي كان
اي يكون في الارض فيهبط به من سما الى سما يقول اهل كل سما لمن يليهم حتى
ينتهي الى سما الدنيا فتسترقه الشياطين بالسمع على توهم واختلاس ثم ياتون به الى
الكهان فيخطئون بعضا ويصيبون بعضا اي وفي البخاري اذا قضى الله الامر في
السما ضربت الملائكة باجنحتها خضعانا لقوله كالسلسلة على صفوان فاذا فزع عن
قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم [illegible] قالوا الحق وهو العلي الكبير فيسمعها مسترقوا
السمع فربما ادرك الشهاب المستمع قبل ان يرمي بها الى صاحبه فيحرقه الحديث
فقولهم للذي قال الحق اي ثم يذكرونه كما تقدم من قولهم قضى الله في خلقه كذا
وكذا ولما ياتي وقوله صلى الله عليه وسلم يرمى بها في الجاهلية في انه كان يرمى
بالنجوم للحراسة من الفترة التي كانت بينه صلى الله عليه وسلم وبين عيسى عليه

الصلاة

الصلاة والسلام قبل مولده صلى الله عليه وسلم ويخالفه ما ياتي عن ابي بن كعب
وقد سيل صلى الله عليه وسلم عن الكهان فقال انهم ليسوا بشي فقالوا يا رسول
الله انهم يحدثونا احيانا بشي يكون قال تلك الكلمة من الجن فيقذفها في اذن
وليه فيخلطون فيها اكثر من ماية كذبة ثم ان الله تعالى حجب الشياطين بهذه
النجوم التي يقذفون بها فانقطعت الكهانة اليوم فلا كهانة اي وفي البخاري
انه صلى الله عليه وسلم قال ان الملائكة تتحدث في العنان اي الغمام بالامر
الذي يكون في الارض فتسمع الشياطين الكلمة فتقرها في اذن الكاهن فيزيدون معها
ماية كذبة وعن ابي بن كعب رضي الله عنه لم يرم بنجم منذ رفع عيسى عليه
السلام حتى تنبا محمد صلى الله عليه وسلم رمي بها فلما رات قريش امرا لم تكن
تراه فزعوا كالمبتديا ليل الحديث اقول وهذا يفيد انه لم يرم بها قبل مبعثه
صلى الله عليه وسلم اي قبل قربه الشامل لزمن الولادة وقد يخالف ما تقدم
ان النجوم كان يرمى بها قبل ان يرفع عيسى عليه الصلاة والسلام وذلك صادق
بزمن ادم فمن بعده من الرسل وهو الموافق لقول الزهري الحجب وتساقط
النجوم كان موجودا قبل البعث في سالف الازمان اي في زمن الرسل لا في زمن
الفترات بين الرسل لقول الكشاف وقول بعضهم ظاهر الاحاديث تدل على ان الرجم
للشياطين بالشهب كان في زمن غيره صلى الله عليه وسلم من الرسل وهو كذلك وعليه
اكثر المفسرين حراسة لما ينزل من الوحي على الرسل واما الزمن الذي ليس فيه
رسول فكان يرمى به اي وهو زمن الفترات بين الرسل عليهم الصلاة والسلام فكانوا
يسترقون السمع في مقاعدهم ويلقون ما يسمعون للكهان اي لان الله تعالى ذكر
فايدتين في خلق النجوم فقال تعالى ولقد زينا السما الدنيا بمصابيح وجعلناها
رجوما للشياطين وقال تعالى انا زينا السما الدنيا بزينة الكواكب وحفظا من كل
شيطان مارد وكونها انما جعلت رجوما وحفظا ليس الا عند قرب مبعثه صلى
الله عليه وسلم خاصة دون بقية الرسل من ابعد البعيد حيث كان المقصود من الرمي
بالنجوم منع الشياطين من استراق السمع اقتضى ذلك انه لم يرم بها قبل مبعثه
ومنه زمن ولادته صلى الله عليه وسلم ويوافق ذلك قول ابن اسحاق لما تقارب
امر رسول الله صلى الله عليه وسلم وحضر مبعثه حجبت الشياطين وقول ابن عمر رضي
الله عنهما لما كان اليوم الذي تنبا فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم منعت الشياطين طين
من خبر السما ورموا بالشهب فذكروا ذلك لابليس فقال بعث اي لعله بعث نبي عليكم
بالارض المقدسة اي لانها محل الانبيا وهذا يدل على ان عند ابليس علم بان
الرمي بالنجوم علامة على بعث الانبيا عليهم الصلاة والسلام فذهبوا ثم رجعوا اليه
فقالوا ليس بها احد فخرج ابليس يطلبه بمكة اي لانها مظنة ذلك بعد محل الانبيا

فاذا رسول الله صلي الله عليه وسلم بحرا منحدرا معه جبريل عليه السلام فرجع
الي اصحابه فقال بعث احمد ومعه جبريل وفي رواية ان ابليس قال لما اخبروه
بانهم منعوا من خبر السما ان هذا الحديث حديث من الارض فأتوني من تربة كل
ارض فاتوه بذلك فجعل يشمها فلما شم تربة مكة قال من ههنا الحديث فمضوا
فاذا رسول الله صلي الله عليه وسلم قد بعث اقول قد يقال لا منافاة بين
الروايتين لانه يجوز انهم لم يخبروه بمبعثه صلي الله عليه وسلم لما وجدوه قد
بعث او ذهب بعد اخبارهم له بذلك للاستيناف وهذا يفيد ان الرمي بالنجوم ان كان
عند مبعثه اي عند تقارب زمنه لا قبل ذلك الذي منه زمن ولادته صلي الله عليه وسلم
وح يشكل حضور مثل ذلك لابليس وجنوده عند مولده صلي الله عليه وسلم ومن ثم
قدمنا انه يجوز ان يكون من خلط بعض الرواة وهذه الرواية تدل علي ان ابليس لم
يكن عنده علم بان سقوط النجوم علي الشياطين علامة علي مبعث النبي صلي الله عليه وسلم
والرواية التي قبلها تدل علي خلاف ذلك كما علمت وكلا الروايتين تدل علي انه لم يعلم
عينه ولا محله والله والله تعالى اعلم وقد اشار صاحب الهمزية رحمه الله تعالى الي
ان حجب الشياطين كان عند بعثة صلي الله عليه وسلم بقوله

بعث الله عند مبعثه الشهب ۞ حراسا فضاق عنها الفضاء ۞
تطرد الجن عن مقاعد للسمع ۞ كما تطرد الذئاب الرعاء ۞
فمحت اية الكهانة ايات ۞ من الوحي ما لهن انمحاء ۞

اي ارسل الله زمن ارساله صلي الله عليه وسلم الشعلة من النار علي الجن لاجل حراسة
السما منهم ولكثرة تلك الشعلة ضاق عنها المفازات الواسعة حال كون تلك الشهب تطرد
الجن عن امكنة قريبة يقعدون فيها لاجل ان يسمعوا شيئا من الملائكة المتكلمين بما
سيقع في الارض والمغيبات وطرد تلك الشهب للشياطين في السما كطرد الرعا للذئاب
عن الغنم اذا ارادت ان تقدر عليها فبسبب ذلك الطرد البالغ للجن عن خبر السما محت
ايات من الوحي اية الكهانة التي هي الاخبار بالامور المعينة تلك الايات من الوحي انمحا
اي ذهاب بل هي باقية الي يوم القيامة وفيه انه لزم علي كون الغرض من الرمي بالنجوم
حفظ الوحي ان ذلك لا يكون الا عند مبعثه ولا يكون قبل ذلك الذي منه وقت ولادته
صلي الله عليه وسلم وايضا لو كان ذلك موجودا قبل مبعثه صلي الله عليه وسلم
واستمر عند مبعثه لم تفزع العرب منه الا عند مبعثه صلي الله عليه وسلم واجيب عن الاول
بانه يجوز ان يكون الغرض الاصلي من الرمي بها حفظ الوحي فلا ينافي وجود ذلك قبل ذلك
عند ولادته ارهابا وتخويفا وكان هذا السوال الثاني هو الحامل لابي بن كعب رضي الله
عنه علي دعوى انه لم يرم بالنجوم منذ رفع عيسى عليه الصلاة والسلام حتى تنبا رسول
رسول الله صلي الله عليه وسلم رمي بها ومن ثم قال فلما رات قريش امرا لم تكن تراه

فزعوا

فزعوا العبد يا ليل ويجاب بانه يجوز ان يكون الرمي بالنجوم عند المبعث مخالفا للرمي بها
قبله اما لفرط كثرتها واما لان الرمي بها بعد البعث كان من كل جانب وقيل كان من
جانب واحد واما لان الرمي بها صار لا يخطئ وقبل ذلك كان يخطئ تارة ويصيب اخرى فمنهم
من يقتله ومنهم من يحرق وجهه ومنهم من يخبله اي يصيره وهو لا يضل الناس في البراري
فكان ذلك سببا لفزع العرب لانه كان قبل ذلك لم يكن من كل جانب ولم يكثر ويخطئ
ويعود الشيطان الي مكانه فيسترق السمع ويلقي ما يسترقه الي كاهنه فلم تنقطع الكهانة
قبل مبعثه صلي الله عليه وسلم بالمرة بل كانت موجودة الي زمن مبعثه وعند مبعثه
انقطعت بالمرة ومن ثم قال رسول الله صلي الله عليه وسلم لا كهانة بعد اليوم
وهذا كله علي تسليم رواية ابن عباس رضي الله عنهما ان النجوم رمي بها عند ولادته
وحفظ الوحي بالرمي بالشهب لا يخالف ما حكاه في الاتقان عن سعيد بن جبير رضي
الله عنه ما جا جبريل عليه السلام بالقران الي النبي صلي الله عليه وسلم الا ومعه
اربعة من الملائكة حفظة وسيأتي عن الينبوع عن ابن جرير ما نزل بوحي قط الا
ونزل معه الملائكة حفظة يحيطون به وبالنبي الذي يوحيه اليه يطردون الشياطين
عنهما لئلا يسمعوا ما يبلغه جبريل الى ذلك النبي من الغيب اي يوحيه اليه فيبلغونه
الي اوليائهم وعن بعضهم قال سافرت عن زوجتي فخلفني عليها شيطان علي صورتي
وكلامي وساير حالاتي التي تعرفها مني فلما قدمت من السفر لم تفرح بي ولم تتهيا لي
وكانت اذا قدمت من السفر تتهيا لي كما تتهيا العروس فقلت لها في ذلك فقالت انك
لم تغب فبينا انا كذلك اذ قد ظهر لي ذلك الشيطان وقال رجل من الجن عشقت امرا تكن
وكنت اتيها في صورتك فلا تنكر ذلك فاخترنا ما ان يكون الليل لك ولي النهار او لك
النهار ولي الليل فراعني ذلك ثم اخترت النهار فلما كان في بعض الليالي جاني وقال
بت الليلة عند اهلك فقال حضرت نوبتي في استراق السمع من السما فقلت له انت
تسترق السمع فقال نعم هل لك ان تكون معي قلت نعم فلما جا الليل اتاني وقال حول
وجهك فحولت وجهي فاذا هو في صورة خنزير له جناحان فحملني علي ظهره فاذا
له معرفة كمعرفة الخنزير فقال لي استمسك بها فانك تري امورا واهوالا فان تفارقني
تهلك ثم صعد حتى لحق بالسما فسمعت قايلا يقول لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم
ما شا الله كان وما لم يشا لم يكن فهوى بي ووقع من العمران فحفظت الكلمات فلما
اصبحت اتيت اهلي فلما كان الليل جا فقلتهن فاضطرب فلم ازل اقولهن حتى صار
رمادا فان لم يحمل وقوع ذلك في الجاهلية والا كان كذبا لانهم اجابوا عن ايراد ان
القول بقدرة الجن علي التصور يلزمه رفع الثقة بشي فان من راي نحو ولده او
زوجته احتمل انه جني فيشك ان الله تكفل لهذه الامة بعصمتها عن ان يقع منها
ما يودي الي ما يترتب عليه ريبة في الدين فليتامل وقد جا فضل لا حول ولا

قوة الا بالله العلي العظيم من كثرت همومه وغمومه فليكثر من قول لا حول ولا قوة
الا بالله العلي العظيم والذي نفسي بيده ان لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم شفا
من سبعين داء ادناها الهم والغم والحزن وفرق بين الهم والغم بان الهم يعرض
منه السهر والغم يعرض منه النوم وفي حكمة داود العافية ملك خفي وهم ساعة
هرم سنة وقالت الاطبا الهم يوهن القلب ومنه ذهاب الحيا كما ان في الحزن ذهاب
البصر وفي الحديث من كثر همه سقم بدنه فعلم ان النجوم على تسليم انه كان
يرمى بها قبل الولادة وبعدها الى البعثة كانت قبل قرب زمن المبعث وتصيب تارة
ولا تصيب اخرى مع قلتها عند البعثة تصيب ولا بد مع كثرتها وان الكثرة هي سبب
الفزع لا دوام الاصابة والا فمجرد دوام الاصابة لا يكون حاملا على الفزع لانه لا
يظهر لكل احد بخلاف الكثرة ومجرد الكثرة لا يكون سببا لقطع الكهانة اذ انها
قبل المبعث كانت ترمى من جانب دون اخر وبعد المبعث رميت من جميع الجوانب
واليه الاشارة بقوله تعالى ويقذفون من كل جانب دحورا فكان ذلك سببا للفزع
والمراد وجود ذلك مع دوام الاصابة ليكون سببا لقطع الكهانة والا فمجرد الرمي
من كل جانب مع قلة الاصابة لا يكون سببا لقطع الكهانة ولما انقطعت الكهانة
بعدم اخبار الجن قالت العرب هلك من في السما فجعل صاحب الابل ينحر كل يوم بعيرا
وصاحب البقر ينحر كل يوم بقرة وصاحب الغنم ينحر كل يوم شاة حتى اسرعوا في
اموالهم اي في اهلاكها فقالت ثقيف وكانت اعقل العرب ايها الناس امسكوا فانه
على اموالكم فانه لم يمت من في السما الستم ترون معالمكم من النجوم كما هي والشمس
والقمر كذا في كلام بعضهم ولعله لا يخالف ما تقدم من ان اول العرب فزع للرمي
بالنجوم ثقيف وانهم جاووا الى رجل منهم يقال له عمرو بن امية ولرجل اخر يقال له
عبد ياليل لجواز ان يكون ما ذكر هنا صدر من بعضهم البعض ثم اجتمعوا على عمرو
وعبد ياليل والله اعلم وظاهر القران والاخبار ان الذي يرمى به الشياطين المسترقين
نفس النجم وانه المعبر عنه بالكوكب وبالمصباح وبالشهاب وقيل الشهاب عبارة عن
شعلة نار تنفصل من النجم اي كما قدمنا فاطلق عليها النجم ولفظ المصباح ولفظ
الكوكب ويكون معنى جعلناه رجوما جعلنا منها رجوما وهي تلك الشهب ومعنى كونها
حفظا باعتبار ما نشا عنها من تلك الشهب قالت الفلاسفة ان الشهب انما هي اجزاء
نارية تحصل في الجو عند ارتفاع الابخرة المتصاعدة واتصالها بالنار التي دون الفلك
وقيل السحاب اذا اصطكت اجرامه تخرج منه نار لطيفة لا تمر بشي الا اتت عليه الا
انها مع حدتها سريعة الخمود فقد حكي انها سقطت على نخلة فاحرقت نحو النصف
ثم طفيت قاله في الكشاف ومما يويد ان الشعلة منفصلة من النجوم ما جا عن سلمان
الفارسي رضي الله عنه ان النجوم كلها كالقناديل معلقة في السما الدنيا كتعليق القناديل

في المساجد

مخلوقة من نور وقيل انها معلقة بايدي الملائكة ويبصر هذا القول قوله تعالى
اذا السما انفطرت واذا الكواكب انتثرت ان انتشارها يكون بموت من كان يحملها وقيل
ان هنا تشبث في السما وقد وقع في سنة سبع وتسعين من القرن السادس ان النجوم
ماجت وتطايرت تطاير الجراد ودام ذلك الى الفجر وافزع الخلق فلجوا الى الله تعالى
بالدعا قال بعضهم ولم يعهد ذلك الا عند ظهور رسول الله صلى الله عليه وسلم اقول
قد وقع نظير ذلك في سنة احد واربعين من القرن الثالث ماجت النجوم وتناثرت
الكواكب كالجراد اكثر الليل وكان امرا مزعجا لم ير مثله ووقع في سنة ثلاثماية
تناثر النجوم تناثرا عجيبا الى ناحية الشرق والله تعالى اعلم واما ما جا من ذكر
اسمه صلى الله عليه وسلم اي ذكر اسمه وصفته وصفة امته في الكتب القديمة
كالتوراة المنزلة على موسى عليه السلام لست ليال خلون من رمضان اتفاقا
والانجيل المنزل على عيسى عليه السلام لثنتي عشرة خلت من رمضان وقيل لثلاث
عشر وقيل لثمان عشر والزبور المنزل على داود عليه السلام لاثني عشر وقيل لثلاث
عشر وقيل لثمان عشر وقيل لست خلت من رمضان وصحف شعيا عليه السلام وتقال
له اشعيا اي ومزامير داود عليه السلام وصحف شيت عليه السلام فقد انزل عليه
خمسون صحيفة وقيل ستون وصحف ابراهيم عليه السلام فقد انزل عليه عشرون
صحيفة وقيل ثلاثون اول ليلة من رمضان اتفاقا وفي كتاب شعيب عليه السلام
ولم يذكر صحف ادريس عليه السلام وقد انزلت عليه عشرون صحيفة وذكر بعضهم
ان موسى عليه السلام انزل عليه قبل التوراة عشرون صحيفة وقيل عشر صحايف
وهذا كما ترى يزيد على ما اشتهر ان الكتب المنزلة ماية واربعة كتب ومن كلام بعضهم
اتفقوا على ان القران نزل لاربع وعشرون ليلة خلت من رمضان وعن ابي قلابة
رضي الله عنه انزلت الكتب كاملة ليلة اربع وعشرين من رمضان وح يكون من
حكى الاتفاق في التوراة وصحف ابراهيم لم يطلع على هذا ولم يعتد به وقد اشار الى
ذكره صلى الله عليه وسلم في جميع الكتب المنزلة الامام السبكي في تائيته بقوله

وفي كل كتب الله نعتك قد اتى ،، يقص علينا ملة بعد ملة
وهذا كما لا يخفى ابلغ من قول بعضهم
من قبل مبعثه جات مبشرة ،، به زبور وتوراة وانجيل

واعترض على هذا القايل بعض الاغنيا بان التوراة والانجيل قد صحت بشارتهما به صلى
الله عليه وسلم واما الزبور فلا ندري ولا نقول الا ما نعلم ويرده ما ذكره الامام
العلامة تقي الدين السبكي وسنده قوله تعالى وانه لفي زبر الاولين اي في كتبهم
فقد قال بعض المفسرين ان الضمير عايد الى النبي صلى الله عليه وسلم لان الاضافة
حيث لا عهد تحمل على العموم وسياتي ايضا التصريح بوجود اسمه صلى الله عليه وسلم في الزبور

وقد جا ان اسمه صلى الله عليه وسلم في التوراة احمد يحمده اهل السما والارض كما تقدم وقد قيل في سبب قوله تعالى ومن يرغب عن ملة ابرهيم الا من سفه نفسه ان عبد الله بن سلام رضي الله عنه دعا ابني اخيه سلمة ومهاجرا الى الاسلام فقال لهما قد علمتما ان الله تعالى قال في التوراة اني باعث من ولد اسماعيل نبيا اسمه احمد من امن به فقد اهتدى ورشد ومن لم يؤمن به فهو ملعون فاسلم سلمة وابا مهاجر فانزل الله الاية وفيها ايضا محمد اسمه ومنها ايضا حميلطا وقيل حمطايا اي يحمي الحرم من الحرام واسمه في التوراة ايضا قدحايا اي الاول السابق واسمه فيها ايضا بيد بيد واسمه ايضا اصيد وقيل اصيد اي يمنع نار جهنم عن امته واسمه فيها ايضا طاب طاب اي طيب واسمه فيها ايضا كما في الشفا محمد حبيب الرحمن ووصف فيها بالضحوك اي طيب النفس وفيها محمد بن عبد الله مولده بمكة ومهاجره الى طابة وملكه بالشام والتوراة اسما اي على ان يكون على فرض عربيا ماخوذ من التوراة وهو كتمان السر بالتعريض لان اكثرها معاريض عن غير تصريح واسمه في الانجيل المنحمنا والمنحمنا بالسريانية محمد اي وما جا عن سهل مولى خيثمة قال كنت يتيما في حجر عمي فاخذت الانجيل فقراته حتى مرت بي ورقة ملصقة بغراء ففتقتها فوجدت فيها وصف محمد صلى الله عليه وسلم فجا عمي فلما راى الورقة ضربني وقال مالك فتحت هذه الورقة وقراتها فقلت لقيت فيها وصف النبي احمد فقال انه لم يات بعد اي الان اي وفي الانجيل ايضا اسمه حنطا اي يفرق بين الحق والباطل ووصفه ايضا بانه صاحب المدرعة وهي الدرع وفيه ايضا وصفه صلى الله عليه وسلم بانه يركب الحمار والبعير وسياتي ان راكب الحمار عيسى عليه السلام وراكب الجمل محمد صلى الله عليه وسلم وسياتي الجمل وفي الانجيل ان احببتموني فاحفظوا وصيتي وانا اطلب الى ربي فيعطيكم بارقليط والبارقليط لا يجيئكم ما لم اذهب فاذا جا وبخ العالم على الخطية ولا يقول من تلقا نفسه ولكنه ما سمع يكلمهم ويبشرهم بالحق ويخبرهم بالحوادث والغيوب اي وما جا بذلك واخبر بالحوادث الا محمد صلى الله عليه وسلم والبارقليط الحكم والرسول قيل والانجيل اي على فرض ان يكون اسما عربيا ماخوذ من الانجيل وهو الخروج ومن ثم سمي الولد نجلا لخروجه وقيل مشتق من النجل وهو الاصل يقال له لعن الله ناجيله اي اصوله فسمي هذا الكتاب بهذا الاسم المرجوع اليه في ذلك الدين وقيل من التنجلة وهي سعة العين لانه انزله سعة لهم اي لان فيه تحليل بعض ما حرم عليهم ومن ذلك ما جا عن عطا بن يسار قال لقيت عبد الله بن عمرو بن العاص فقلت اخبرني عن صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم في التوراة قال اجل والله انه لموصوف في التوراة ببعض صفته في القران يا ايها النبي انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وحرزا للاميين وانت عبدي ورسولي سميتك المتوكل ليس

بفظ

بفظ اي سيئ الخلق ولا غليظ اي شديد القول ولا صخاب بالسين والصاد في الاسواق اي لا يصيح فيها وفي الحديث اشد الناس عذابا كل صمار نفار صخاب في الاسواق ولا يدفع السيئة بالسيئة ولكن يعفو ويغفر ولن يقبضه الله تعالى حتى يقيم به الملة العوجا اي ملة ابراهيم عليه السلام التي غيرتها العرب واخرجتها عن استقامتها بان يقولوا لا اله الا الله ويفتح به اعينا عميا واذانا صما وقلوبا غلفا اي لا تفهم كانها في غلاف قال عطا ثم لقيت كعب الاحبار فسالته فما اخطا في حرفا اقول لكن في رواية كعب واعطي المفاتيح ليبصرن الله به اعينا عورا وليسمعن به اذانا صما ويقيم به الا لسنة المعوجة يمين المظلوم ويمنعه ان يستضعف وفيها وصفه بانه يسبق حلمه جهله لا تزيده شدة الجهل عليه الا حلما وعن بعض احبار اليهود انه قال على جميع ما وصف به في التوراة وقفت عليه الا على هذين الوصفين وكنت اشتهي الوقوف عليهما فجاه صلى الله عليه وسلم شخص يطلب منه ما يستعين به وذكر له انه لم يكن عنده ما يعينه به فقلت له هذه دنانير تدفعها له ويكون على كذا من التمر ليوم كذا ففعل فجيته قبل الاجل بيومين او ثلاثة فاخذت بمجامع قميصه وفي رواية ونظرت اليه صلى الله عليه وسلم بوجه غليظ وقلت الا تقضيني يا محمد حقي انكم يا بني عبد المطلب مطل فقال لي عمر رضي الله عنه اي عدو الله تقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما اسمع وهو نبي فنظر اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم في سكون وتودة وتبسم ثم قال انا وهو احوج الى غير هذا منك يا عمر ان تامرني بحسن الادا وتامره بحسن التباعة اي المطالبة اذهب وا وفه وزده عشرين صاعا مكان ما رعته اي اخفته فاسلم اليهودي وذكر القصة وفي التوراة هو لا يزال الملك في يهودا الى ان يجي الذي اليه تنتظر الامم اي لا يزال امرهم ظاهرا الى ان يجي الذي تنتظر الامم اي المرسل اليهم وهو محمد صلى الله عليه وسلم لانه المرسل لجميع الامم وما زعم اليهود من انه يوشع عليه السلام رد بنص التوراة في محل اخر ان الله ربكم يقيم نبيا من اخوتكم مثلي وقد قال لي انه سوف اقيم نبيا مثلك من اخوتهم واجعل كلمتي في فيه وانما الانسان لم يطع كلامه انتقم منه لان قوله مثلي اي رسولا بكتاب مشتمل على الاحكام والشرايع وذكر المبدا والمعاد لان يوشع عليه السلام لم يكن له كتاب بل كان متابعا لسنة موسى عليه السلام في بني اسرايل الامة وايضا يوشع عليه السلام منهم لا من اخوتهم فلو كان يوشع لقال منكم وما زعم النصارى انه المسيح رد عليهم بنصوص الانجيل التي منها ان الله يقيم لكم نبيا من اخوتكم لان المسيح ليس من اخوتهم بل منهم لانه من نسل داود عليهما السلام ففي زبور داود سيولد لك ولد ادعى له ابا ويدعى لي ابنا واخوته بني اسرايل انما هم بنو اسحاق الذي هو اخو اسماعيل عليهما السلام وبنو اسرايل منه

وايضا لو كان المسيح لم يحسن ان يخاطب بهذا اللفظ وفي الانجيل جا الله من طور سينا
وظهر بساعير واعلن بفاران اي عرف الله بارسالة موسي وعيسي
ومحمد صلى الله عليه وسلم لان ظهور نبوة موسي عليه السلام كانت في طور سينا
وتقدم انه جبل بالشام قيل هو الذي بين مصر وايليا وانزلت التوراة عليه فيه
وظهور نبوة عيسي عليه السلام كان في ساعير وهو جبل القدس لان عيسي عليه
السلام كان سكن بقرية بارض الخليل يقال لها ناصرة وباسمها سمي من اتبعه
وانزل عليه الانجيل بها وظهور نبوة محمد صلى الله عليه وسلم كان في فاران
وهي مكة وانزل عليه القرآن بها وفي التوراة ان اسماعيل عليه السلام اقام
بقرية فاران وانما عبر في جانب موسي عليه السلام بالمجي لانه اول المشرعين لانه
كتابه الذي هو التوراة اول كتاب اشتمل علي الاحكام والشرايع بخلاف ما قبله من
الكتب فانها لم تشتمل علي ذلك وانما كانت مشتملة علي الايمان بالله وتوحيده
ثم قيل لها صحف واطلاق الكتب عليها مجاز ولما حصل بعيسي عليه السلام وبكتابه
الذي هو الانجيل نوع ظهور عبر في جانبه بالظهور الذي هو اقوي من المجي
ثم لما زاد الظهور ~~من المجي~~ بمحمد صلى الله عليه وسلم عبر عنه بالاعلان الذي
هو اقوى من مجرد الظهور **وقد قيل** في تفسير قوله تعالى الذي يجدونه
مكتوبا عندهم في التوراة والانجيل انهم يجدون نعته صلى الله عليه وسلم يامرهم
بالمعروف وهو مكارم الاخلاق وصلة الارحام وينهاهم عن المنكر وهو الشرك
ويحل لهم الطيبات وهي الشحوم التي حرمت علي بني اسرايل والبحيرة والسايبة
والوصيلة والحام التي حرمتها الجاهلية ويحرم عليهم الخبايث التي كانت تستحلها
الجاهلية من الميتة والدم ولحم الخنزير ويضع عنهم اصرهم من تحريم العمل يوم
السبت وعدم قبول دية المقتول وان يقطعوا ما اصابهم من البول والله اعلم
ومن ذلك ما جا عن النعمان السبائي رضي الله عنه وكان من احبار يهود باليمن
قال لما سمعت بذكر النبي صلى الله عليه وسلم قدمت عليه وسالته عن اشيا ثم
قلت له ان ابي كان يختم علي سفط يقول لا تقراه علي يهود حتي تسمع بنبي قد
خرج بيثرب قال فاذا سمعت به فافتحه قال النعمان رضي الله عنه فلما سمعت بك
فتحت السفط فاذا فيه صفتك كما اراك الساعة واذا فيه ما تحل وما تحرم واذا
فيه انت خير الانبيا وامتك خير الامم وانت احمد صلى الله عليك وسلم وامتك الحامدون
اي يحمدون الله في السرا والضرا قربانهم دماوهم اي يتقربون الي الله تعالي باراقة
دمائهم واناجيلهم في صدورهم اي يحفظون كتابهم لا يحضرون قتالا الا وجبريل عليه
السلام معهم يتحنن الله عليهم كتحنن الطير علي فراخه قال لي يعني اباه اذا سمعت به
فاخرج اليه وصدقه وامن به فكان النبي صلى الله عليه وسلم يحب ان يسمع اصحابه

حديثه فاتاه يوما فقال له النبي صلى الله عليه وسلم يا نعمان حدثنا فابتدا
النعمان الحديث من اوله فروي رسول الله صلى الله عليه وسلم يتبسم ثم قال
اشهد اني رسول الله **اقول** لعله نعم والنعمان هذا رضي عنه قتله الاسود
العنسي الذي ادعي النبوة وقطعه عضوا وهو يقول ان محمدا صلى الله عليه وسلم
رسول الله وانك كذاب مفتر على الله ثم حرقه في النار فلم يحترق كما وقع للخليل
عليه السلام وقيل الذي حرقه الاسود العنسي بالنار ذويب بن كليب او ابن
وهب لما بلغه صلى الله عليه وسلم ذلك قال له لاصحابه فقال عمر رضي الله عنه
الحمد لله الذي جعل في امتنا مثل ابراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام وهذا السفر
يحتمل ان يكون ملخص من التوراة وقوله الا وجبريل معهم يدل علي ان جبريل
عليه السلام يحضر كل قتال صدر من الصحابة رضي الله عنهم للكفار بل ظاهره
كل قتال صدر حتي من جميع الامة وفي رواية بعضهم نقلا عن سفر من التوراة
لا يلقون اي امته صلى الله عليه وسلم عدوا الا وبين ايديهم ملايكة معهم
رماح وفي التوراة في صفة امته صلى الله عليه وسلم زيادة علي ما سبق يوضيون
اطرافهم ويتزرون في اوساطهم ويصفون في صلاتهم كما يصفون في قتالهم وقد
جا اتزروا كما رايت الملايكة ليلة الاسرا تاتزر اي متوزرين عنه بها الي انصاف
سوقها **وقد جا** عليكم بالعمايم وارخوها خلف ظهوركم فانها سيما الملايكة
وكلاهما اي الاتزار وارخا العذبة من خصايص هذه الامة **وقد جا** ان العمايم
تيجان المسلمين وفي رواية من سيما المسلمين اي علاماتهم المميزة لهم من غيرهم
ويوخذ من وصفهم انهم يوضيون اطرافهم ان الامم السابقة كانوا لا يتوضون
ويوافقه قول الحافظ بن حجر ان الوضو من خصايص الانبيا عليهم الصلاة والسلام
دون اممهم الا هذه الامة ويوافقه ما رواه بن مسعود رضي الله عنه مرفوعا
يقول الله تعالي افترضت عليهم ان يتطهروا في كل صلاة كما افترضت علي الانبيا
ان يكونوا طاهرين وان هذا اي وجوب التطهر لكل صلاة كان في صدر الاسلام
ولم ينسخ الا الي فتح مكة كما سياتي ويخالف كون الوضو من خصايص هذه الامة
ما رواه الطبراني في الاوسط بسند فيه بن لهيعة عن بريده قال دعا رسول الله
صلى الله عليه وسلم بوضو فتوضا واحدة واحدة فقال هذا الوضو الذي لا
يقبل الله الصلاة الا به ثم توضا ثنتين ثنتين فقال هذا وضو الامم قبلكم ثم
توضا ثلاثا ثلاثا ثم قال هذا وضوي ووضو الانبيا من قبلي فان هذا افاد
ان الوضو كان للامم السابقة لكن مرتين ولانبياهم عليهم الصلاة والسلام كان
ثلاثا وعليه فالخاص بهذه الامة التثليث كوضو الانبيا عليهم الصلاة والسلام
كما اختصت هذه الامة بالغرة والتحجيل وعلي هذا يحمل قول الشيخ ابن حجر الهيتمي

رحمه الله تعالى ان الوضوء من خصايص هذه الامة بالنسبة لبعثة الامم لا انبيائهم وفي
كلام ابن عبد البر قيل ان ساير الامم كانوا يتوضون ولا اعرفه من وجه صحيح وفي كلام
ابن حجر والذي من خصايصنا اما الكيفية المخصوصة او الغرة والتحجيل هذا كلامه وهو
يفيد ان يكون الكيفية المخصوصة ومنها الترتيب غير مقطوع به بل الامر فيه على الاحتمال
ولا يخفي ان الاشارة في قوله صلى الله عليه وسلم هذا وضوء الامم يدل على الترتيب
فقد استدل ايمتنا على وجوب الترتيب بانه صلى الله عليه وسلم لم يتوضا الا مرتبا
باتفاق اصحابه ولو كان جايز الترك لتركه في بعض الاحايين وما اعترض به على دعوى
الاتفاق بانه جاء عن ابن عباس رضي الله عنهما انه وصف وضوء صلى الله عليه وسلم
فتوضا فغسل وجهه ثم يديه ثم رجليه ثم مسح راسه اجيب عنه بضعف هذه الرواية
وعلى تقدير صحتها يجوز ان يكون ابن عباس رضي الله عنهما نسي مسح الراس فذكره
بعد غسل رجليه فمسحه ثم اعاد غسل رجليه والراوي عن ابن عباس رضي الله عنهما
لم يقف على اعادة ابن عباس رضي الله عنهما غسل رجليه **وفي التوراة** في وصفه
امته صلى الله عليه وسلم دويهم في مساجدهم كدوي النحل وفي رواية اصواتهم بالليل
في جو السما كاصوات النحل رهبان بالليل ليوث بالنهار اذا هم احدهم بحسنة فلم يعملها
كتبت له حسنة واحدة وان عملها كتبت له عشر حسنات واذا هم احدهم بسيئة فلم يعملها
لم تكتب وان عملها كتبت عليه سيئة واحدة يامرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويومنون
بالكتاب الاول اي وهو التوراة او خبر الكتب السابقة والكتاب الاخر وهو القران
وروي الامام احمد باسناد صحيح قال الله تعالى يا عيسى يا عيسى اني باعث من بعدك
نبيا امته ان اصابهم ما يحبون حمدوا الله وشكروا وان اصابهم ما يكرهون صبروا
واحتسبوا ولا حلم ولا علم قال كيف يكون هذا لهم ولا حلم ولا علم قال اعطيهم
من حلمي وعلمي وحينيذ يكون المراد ولا حلم ولا علم لهم كامل وان الله تعالى يكمل
حلمهم وعلمهم من حلمه وعلمه ويدل على ذلك ما ذكره بعضهم ان هذه الامراض
الامم وكان الحلم الذي قسم بين الامم كما تشهد به حديث ان الله قسم بينكم اخلاقكم
قد دق جدا فلم تدرك منه هذه الامة الا اليسير من ذلك مع قصر اعمارهم فاعطاهم
الله من حلمه وعلمه **وجا** انهم يسمون في التوراة صفوة الرحمن وفي الانجيل حلما
علما ابرارا اتقيا كانهم من الفقه انبيا وفي الطبراني ان عمر رضي الله عنه قال
لكعب الاحبار كيف تجدني يعني في التوراة قال خليفة قرن من حديد امير شديد
لا تخاف في الله لومة لايم ويزاد عن جواب السوال ثم الخليفة من بعدك تقتله امة
ظالمين ثم يقع البلا بعد وفي صحف شعيا عليه السلام اسمه صلى الله عليه وسلم
اسمه ركن المتواضعين وفيها اني باعث نبيا اميا افتح به اذانا صما وقلوبا
غلفا واعينا عميا مولده بمكة ومهاجره بطيبة وملكه بالشام ورحيما بالمومنين

يبكي للبهيمة المثقلة ويبكي لليتيم في حجر الارملة لو عبر الي جنبه السراج لم
يطفه من سكينته ولم يمش على القصب الرعراع يعني اليابس لم يسمع من تحت
قدميه الي اخر الرواية فان فيها طولا وقد ساقها الجلال السيوطي في الخصايص
الكبرى وشعيا هذا كان بعد داود وسليمان وقبل زكريا ويحيى عليهم الصلاة
والسلام ولما نهي بني اسرايل عن ظلمهم وعتوهم طلبوه ليقتلوه فهرب منهم الي
شجرة فانفلقت له ودخل فيها وادركه الشيطان فاخذ بهدبة ثوبه فابرزها
فلما روا ذلك جاوا بالمنشار فوضعوه على الشجرة ونشروها ونشروه معها وكان
من جملة الرسل الذين عناهم الله تعالى بقوله وقفينا من بعده اي موسى بالرسل
وهم سبعة وهو ثالث تلك الرسل السبعة اي وهو المبشر بعيسى وبمحمد صلى الله
عليه وسلم فقال يخاطب بيت المقدس لما شكي اليه الخراب والقا الجيف فيه ابشر
باتيك راكب الحمار يعني عيسى عليه السلام وتقدم في وصفه صلى الله عليه وسلم
انه يركب الحمار والبعير وقد يقال لا مخالفة لانه يجوز ان يكون عيسى اختص
بركوب الحمار بخلاف محمد صلى الله عليه وسلم انه كان يركبهما هذا تارة وهذا
اخرى فليتامل **ومن جملتهم** ارميا قيل وهو الخضر والله اعلم واسمه صلى الله
عليه وسلم في الزبور حاط والفلاح الذي يمحق الله به الباطل والفارق الذي يفرق
بين الحق والباطل وهو كما تقدم معنى فارقليط بالفا في الاول والموحدة في الثاني
وقيل معناه الذي يعلم الاشيا الخفية **وفي الينبوع** من الالفاظ الذي رضوها الا
يعني النصارى وترجموها على اختيارهم ان المسيح عليه السلام قال اني سايل الله ان
يبعث اليكم بارقليط اخر يكون معكم الى الابد وهو يعلمكم كل شي ونفس لكم الا
وهو يشهد لي كما شهدت له ويكون خاتم النبيين ولم يشهد له بالبراة والصدق
والنبوة بعده الا محمد صلى الله عليه وسلم **وقد ذكر** صاحب الدر المنظم باسناده
ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لعمر رضي الله عنه يا عمر اتدري من انا انا
الذي بعثني الله في التوراة لموسى وفي الانجيل لعيسى وفي الزبور لداود ولا
فخر اي لا اقول ذلك على سبيل الافتخار بل على سبيل التحدث بالنعمة يا عمر اتدري
من انا انا اسمي في التوراة احيد وفي الانجيل بارقليط وفي الزبور حمياطا وفي صحف
ابراهيم طاب طاب ولا فخر **وذكر** صاحب كتاب شفا الصدور في مختصره ان من قضا
ما رواه مقاتل قال وجدت مكتوبا في زبور داود عليه السلام اني انا الله لا اله الا
انا ومحمد رسولي ووصفه في مزامير داود بانه يقوي الضعيف الذي لا ناصر له
ويرحم المساكين ويبارك عليه في كل وقت ويدوم ذكره الى الابد وبالجبار رقيقها
تقلد ايها الجبار سيفك فان قيل قال الله تعالى وما انت عليهم بجبار اجيب بان
الاول هو الذي يجبر الخلق الى الحق والثاني هو المتكبر وفيها يا داود وسياتي

تفهم

سراد

من بمركه نبي اسمه احمد ومحمد صادق لا اغضب عليه ابدًا وقد غفرت له قبل
ان يعصيني ما تقدم من ذنبه وما تاخر اي على فرض وقوع ذلك الذنب والمراد
به خلاف الاولى من باب حسنات الابرار سيات المقربين اي ما يعد حسنة
بالنسبة لمقام الابرار قد يعد سيئة بالنسبة لمقام المقربين لعلو مقامهم وارتفاع
شانه وامته مرحومة ياتون يوم القيامة ونورهم مثل نور الانبيا وفي بعض مزامير
داود ان الله اظهر من صهيون اكليلا محمودا وصهيون اسم مكة والاكليل
الامام الرئيس وهو محمد صلى الله عليه وسلم وفي صحف شيث احونا خ ومعناه
صح الاسلام وهذا يدل على ان مزامير داود نسخة مختلفة بالزيادة والنقص وفي
صحف ابراهيم نوذ موذ وقيل ان ذلك في التوراة ولا مانع من وجوده فيهما وتقدم
انه في صحف ابراهيم طاب طاب المسرس الوضيف في تلك الصحف وفي صحف شعيا
عليه السلام عبدي الذي يثب من شانه انزل عليه وحيي فينظر في الامم عدلي
لا يضحك اي مع رفع الصوت ومن ثم قال لا يسمع صوته في الاصوات لانه ضحكه
صلى الله عليه وسلم كان التبسم يفتح العيون العور والاذان الصم ويحيي القلوب
الغلف وما اعطيته لا اعطيه احد وفيه ايضا مشقح بالشين المعجمة والقاف والحا المهملة
اي زاهج يحمد الله حمدًا جديدًا اي مخترعًا لم يسبق اليه احد ياتي من اقصى الارض
لعل المراد به مكة يؤمن به تفرح البريه وسكانها وهو ركن المتواضعين وهو
نور الله الذي لا يطفا سلطانه على كتفه وذكر البريه وسكانها اشارة له وللعرب
والمراد بسلطانه على كتفه خاتم النبوة لانه علامة وبرهان على نبوته وذكر ابن
ظفر رحمه الله تعالى ان في كتب الله المنزلة اني باعث رسولا من الاميين اسدده
بكل جميل واهب له كل خلق كريم واجعل الحكمة منطقه والصدق والوفا طبيعته
والعفو والمعروف خلقه والحق شريعته والعدل سيرته والاسلام ملته ارفع به
من الوضيعة واهدي به من الضلالة واولف به قلوب متفرقة واهوا مختلفة
واجعل امته اخر الامم واما ما جا مما يدل على وجود اسمه الشريف اي لفظه
محمد في الاحجار والنبات والحيوان وغير ذلك بقلم القدرة فكثير من ذلك ما جا
عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
كان نقش خاتم سليمان بن داود عليهما السلام لا اله الا الله محمد رسول الله قال
المراد فص خاتمه فمن عبادة بن الصامت رضي الله عنه مرفوعًا ان فص خاتم سليمان
كان سماويا اي من السما القي اليه فوضعه في خاتمه اي وكان نقشه انا الله لا اله
الا انا محمد عبدي ورسولي وصيغته يكون ما تقدم عن جابر رضي الله عنه وما
ياتي يجوز ان يكون روي بالمعنى وكان ينزعه اذا دخل الخلا واذا جامع وكان
عند نزعه يتنكر عليه امر الناس ولم يحجر من نفسه ما كان يجد قبل نزعه وفي

وفي انس الجليل كان نقش خاتم سليمان عليه السلام لا اله الا الله وحده
لا شريك له محمد عبده ورسوله ووجد على بعض الحجارة مكتوب محمد عبد تقي
مصلح وسيد امين وفي جامع مدينة قرطبة بالغرب عمود احمر مكتوب فيه بقلم
القدرة محمد وعن عمر ابن الخطاب رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم لما اقترف ادم الخطية قال يا رب اسالك بحق محمد صلى الله عليه وسلم
الا غفرت لي قال وكيف عرفت محمد وفي لفظ كما في الوفا وما محمد ومن محمد قال
لانك لما خلقتني بيدك ونفخت في من روحك رفعت راسي الى عرشك فرايت على
قوايم العرش مكتوبًا لا اله الا الله محمد رسول الله فعلمت انك لم تضف الى اسمك الا احب
الخلق اليك قال صدقت يا ادم ولولا محمد ما خلقتك اي وفي لفظ كما في الشفا قال
ادم لما خلقتني رفعت راسي الى عرشك فاذا فيه مكتوب لا اله الا الله محمد رسول
الله فعلمت انه ليس احد اعظم قدرا عندك ممن جعلت اسمه مع اسمك فاوحى الله
اليه وعزتي وجلالي انه لاخر النبيين من ذريتك ولولاه ما خلقتك وفي الوفا
عن ميسرة قلت يا رسول الله متى كنت نبيا قال لما خلق الله الارض واستوى فسواهن
سبع سموات وخلق العرش كتب على ساق العرش محمد رسول الله خاتم الانبيا
وخلق الله الجنة التي اسكنها ادم وحوى وكتب اسمي اي موصوفا بالنبوة او بما هو
اخص منها وهو المشهود على الابواب والاوراق والقباب والخيام وادم بين الروح
والجسد اي قبل ان تدخل الروح جسده فلما احياه الله نظر الى العرش فراى اسمي
فاخبره الله انه سيد ولدك فلما غرهما الشيطان تابا واستشفعا باسمي اليه اي فقد
وصف بالنبوة قبل وجود ادم وفيه ايضا عن سعيد بن جبير اختصم ولد ادم
اي الخلق اكرم على الله فقال بعضهم ادم خلقه الله بيده واسجد له ملايكته وقال
اخرون بل الملايكة لانهم لم يعصوا الله عز وجل فذكروا ذلك لادم عليه السلام
فقال لما نفخ في الروح لم تبلغ قدمي حتى استويت جالسا فبرق لي العرش فنظرت
فيه محمد رسول الله فذلك اكرم الخلق على الله عز وجل قيل كان يكنى ادم
بابي محمد وبابي البشر وظاهره يكنى بذلك في الدنيا وتقدم انه يكنى بابي محمد في
الجنة ومن ذلك عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه انه قال لكعب الاحبار اخبرنا
عن فضايل رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل مولده قال نعم يا امير المومنين
قرات ان ابرهيم براهيم الخليل عليه الصلاة والسلام وجد حجرا مكتوبا عليه اربعة
اسطر الاول انا الله لا اله الا انا فاعبدون والثاني انا الله لا اله الا انا محمد
رسولي طوبى لمن امن به واتبعه والثالث انا الله لا اله الا انا الحرم لي والكعبة
بيتي من دخل بيتي امن عذابي ولينظر الرابع وذكر بعضهم ان في سنة اربعة
وخمسين واربعماية عصفت ريح شديدة بخراسان كريح عاد انقلبت منها الجبال وفرت

منها الوحوش فظن الناس ان القيامة قد قامت وابتهلوا الي الله بالدعا فنظروا
فاذا نور عظيم قد نزل من السما ثم تاملوا الوحوش فاذا هي منصرفة الي ذلك الجبل
الذي سقط فيه ذلك النور فساروا امامها اليه فوجدوا به صخرة طولها ذراع في
عرض ثلاثة اصابع وفيها ثلاثة اسطر سطر فيه لا اله الا انا فاعبدون وسطر
فيه محمد رسول الله القرشي وسطر ثالث فيه احذروا واقعة المغرب فانها تكون
من سبعة او تسعة والقيامة قد ازفت اي قربت وجا ان ادم عليه السلام قال
طفت فلم ار في السموات موضعا الا رايت اسم محمد صلي الله عليه وسلم مكتوبا عليه
ولم اري في الجنة قصرا ولا غرفة الا واسم محمد مكتوبا عليه ولقد رايت اسم محمد صلي
الله عليه وسلم بحور الحور العين وورق اجام اي ورق قصب اجام الجنة وشجرة
طوبي وسدرة المنتهي وبين اعين الملائكة وهذا الحديث قد حكم بعض الحفاظ بوضعه
وقد قيل اول شي كتب القلم في اللوح المحفوظ بسم الله الرحمن الرحيم
اني انا الله لا اله الا انا محمد رسولي من استسلم لقضاي وصبر علي بلاي وشكر
علي نعماي ورضي بحكمي كتبته صديقا وبعثته يوم القيامة من الصديقين وفي
رواية مكتوب في صدر اللوح المحفوظ لا اله الا الله دينه الاسلام محمد عبده ورسوله
فمن امن بهذا ادخله الله الجنة وفي رواية لما امر الله تعالى القلم ان يكتب ما
كان وما يكون كتب علي سرادق العرش لا اله الا الله محمد رسول الله يتامل هذا
فانه ان كان المنزلة كما هو المتبادر ان القلم لما امر ان يكتب ما ذكر كان اول
شي كتبه علي سرادق العرش ما ذكر ثم كتب ثم كتابة ما امر به علي ذلك كما كتب
اول ما ذكر البسملة في اللوح المحفوظ ثم كتابة ما امر به لزم ان يكون القلم كتب ما
كان وما يكون في اللوح وعلى سرادق العرش ومن ذلك ما جا عن عمر بن الخطاب
ايضا رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم ان ادم عليه السلام قال
وجدت اسم محمد علي ورق شجرة طوبي وعلي ورق سدرة المنتهي اي وعلي ورق
قصب اجام الجنة ومن ثم قال الامام السيوطي رحمه الله تعالي في الخصايص الكبري
من خصايصه صلي الله عليه وسلم كتابة اسمه الشريف مع اسم الله تعالى علي
العرش وفيها لما خلقت العرش علي الما فاضطرب فكتبت عليه لا اله الا الله محمد
رسول الله فسكن ومكتوب اسمه صلي الله عليه وسلم علي ساير ما في الملكوت اي
اي من السموات والجنان وما فيهن وفي الخصايص الصغري له ايضا ومن خصايصه
صلي الله عليه وسلم كتابة اسمه الشريف علي العرش وكل سما والجنان وما فيها وساير
ما في الملكوت اقول ولا يخالف هذا اي ما تقدم عن ادم عليه السلام وما جا
علي تقدير صحته ان ادم عليه السلام لما نزل الي الارض استوحش فنزل عليه
جبريل عليه السلام فنادي بالاذان الله اكبر الله اكبر مرتين اشهد ان لا اله الا الله

مرتين

مرتين اشهد ان محمدا رسول الله مرتين قال ادم عليه السلام ومن محمد قال
جبريل عليه السلام اراد ان يستثبت هل هو محمد الذي اري اسمه مكتوبا واخبر
بانه اخر الانبيا من ذريته وانه لولاه ما خلقه واستشفع به او غيره فلينامل
وانما قلنا علي تقدير صحته لانه سياتي في بدء الاذان انه في سند هذا الحديث
مجاهيل وذكر صاحب كتاب شفا الصدور في مختصره عن علي كرم الله وجهه
عن النبي صلى الله عليه وسلم عن الله عز وجل انه قال يا محمد وعزتي وجلالي
لولاك ما خلقت ارضي ولا سماي ولا رفعت هذه الخضرا ولا بسطت هذه الغبرا
وفي رواية عنه ولا خلقت سما ولا ارضا ولا طولا ولا عرضا وبهذا يرد علي من رد
علي القايل في مدحه صلى الله عليه وسلم

لولاك ما كان لا فلك ولا فلك كلا ولا بان تحريم وتحليل

بان قوله لولاك ما كان لا فلك ولا فلك مثل هذا يحتاج الي دليل ولم يرد في
الكتاب ولا في السنة ما يدل علي ذلك فيقال له بل جا في السنة ما يدل علي ذلك
والله تعالي اعلم ومن ذلك ايضا ما حدث به بعضهم قال غزونا الهند فوقعت
في غيضة فاذا هي شجر عليها ورق احمر مكتوب عليه بالبياض لا اله الا الله محمد رسول الله
وعن بعضهم رايت في جزيرة شجرة عظيمة لها ورق كبير طيب الرايحة مكتوب عليه
بالحمرة والبياض من الورقة ثلاثة اسطر الاول لا اله الا الله والثاني محمد
رسول الله والثالث ان الدين عند الله الاسلام وعن بعض اخر قال دخلت بلاد
الهند فرايت في بعض قراها شجر ورد اسود ينفتح علي وردة كبيرة سودا طيبة
الرايحة مكتوب عليها بخط ابيض لا اله الا الله محمد رسول الله ابو بكر الصديق عمر
الفاروق فشككت في ذلك وقلت انه معمول فعمدت الي وردة لم تنفتح فرايت فيها كما
رايت في ساير الورق وفي البلد منها شي كثير واهل تلك البلد يعبدون الحجارة
ونقل ابن مرزوق في شرح البردة عن بعضهم قال عصفت بنا ريح ونحن في لج بحر الهند
فارسينا في جزيرة فراينا فيها وردا احمر ذكي الرايحة مكتوب عليه بالاصفر براءة
من الرحمن الرحيم الي جنات النعيم لا اله الا الله محمد رسول الله ومن ذلك ما حكاه
بعضهم قال رايت في بلاد الهند شجرة تحمل ثمرا شبيه اللوز له قشران فاذا قشر خرج
منه ورقة صغيرة خضرا مطوية مكتوب عليها بالحمرة لا اله الا الله محمد رسول الله
كتابة جلية وهم يتبركون بتلك الشجرة ويستسقون بها اذا منعوا الغيث هذا وفي
مزيل الخفا الاقتصار علي لا اله الا الله وح لا يكون شاهدا علي ما ذكرنا ومن ذلك
ما حكاه الحافظ السيفلي عن بعضهم ان شجرة ببعض البلاد لها ورق اخضر وعلي
كل ورقة مكتوب بخط اشد خضرة من لون الورق لا اله الا الله محمد رسول الله
وكان اهل تلك البلاد اهل اوثان وكانوا يقطعون ويمحون اثارها فترجع الي ما كانت

عليه في اقرب وقت فاذابوا الرصاص وجعلوه في اصلها فخرج من حول الرصاص اربع
فروع علي كل فرع لا اله الا الله محمد رسول الله فصاروا يتبركون بها ويستشفون
بها من المرض اذا اشتد بها بالزعفران واجل الطيب ومن ذلك انه وجد في سنة سبع
اوتسع وثمانماية حبة عنب فيها خط بارع بلون اسود محمد ومن ذلك ما ذكره بعضهم
انه اصطاد سمكة مكتوب علي جنبها الايمن لا اله الا الله وعلي جنبها الايسر محمد رسول
الله فلما رايتها القيتها في النهر احتراما لها وعن بعض اخر قال ركبت بحر المغرب ومعنا
ومعنا غلام معه سنارة فادلاها في البحر فاصطاد سمكة قدر شبر بيضا فنظرنا فاذا
مكتوب بالاسود علي اذنها الواحدة لا اله الا الله وفي قفا بها وادنها الاخري محمد رسول
الله فقذفناها في البحر وعن بعضهم انه ظهرت له سمكة بيضا واذا علي قفاها مكتوب
بالاسود لا اله الا الله محمد رسول الله وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال كنا عند
رسول الله صلي الله عليه وسلم واذا بطاير في فمه لوزة خضرا فالقاها فاخذها النبي
صلي الله عليه وسلم فوجد فيها دودة خضرا مكتوب عليها بالاصفر لا اله الا الله
محمد رسول الله ومن ذلك ما حكاه بعضهم انه كان بطبرستان قوم يقولون لا اله الا
الله وحده لا شريك له ولا يقرون لمحمد صلي الله عليه وسلم بالرسالة وحصل منهم
افتتان ففي يوم شديد الحر ظهرت سحابة شديدة البياض فلم تزل تنشا حتي اخذت
ما بين الخافقين واحاطت بين السما والبلد فلما كان وقت الزوال ظهر في السحابة
بخط واضح لا اله الا الله محمد رسول الله فلم تزل كذلك الي وقت العصر فتاب
كل من كان افتتن واسلم اكثر من كان بالبلد من اليهود والنصاري ومن ذلك ما
جا عن عمر بن الخطاب رضي الله تعالي عنه قال بلغني في قول الله تعالي وكان تحته
كنز لهما قال كان لوح من ذهب اي وقيل لوحا من رخام مكتوب فيه عجبا لمن
ايقن بالموت اي بانه يموت كيف يفرح عجبا لمن ايقن بالحساب[2] كيف يضحك عجبا لمن
ايقن بالقضا اي ان الامور بالقضا والقدر كيف يحزن عجبا لمن يري الدنيا وتقلبها
باهلها كيف يطمئن اليها لا اله الا الله محمد رسول الله وروي البيهقي وغيره عن
علي رضي الله عنه ان الكنز الذي ذكره الله في كتابه لوح من ذهب فيه
بسم الله الرحمن الرحيم عجبت لمن ايقن بالموت كيف ينصب اي يتعب عجبت لمن ذكر
النار ثم يضحك عجبت لمن ذكر الموت ثم غفل لا اله الا الله محمد رسول الله وفي لفظ
لا اله الا انا محمد عبدي ورسولي وفي تفسير القاضي البيضاوي عجبت لمن يومن بالقدر
كيف يحزن وعجبت لمن[7] بالرزق اي ان الله رازقه كيف ينصب اي يتعب وعجبت لمن
يومن بالموت كيف يفرح وعجبت لمن يومن بالحساب كيف يغفل وعجبت لمن يومن
بالدنيا وتقلبها كيف يطمئن اليها لا اله الا الله محمد رسول الله اقول قد يقال
يجوز ان يكون ما ذكره اولا في احد وجهي ذلك اللوح وما ذكرنا ثانيا في الوجه الثاني

[2] اي بانه يحاسبه ح

[7] يؤمن ح

وان بعض الرواة زاد وبعضهم نقص وبعضهم روي بالمعني وحفظ ذلك الكنز لاجل
صلاح ابيهما وكان تاسع اب لهما وقد قال محمد بن المنكدر ان الله تعالي ليحفظ بالرجل
الصالح ولده وولد ولده والدويرات التي هو فيها والدويرات حوله فلا يزالون
في حفظ وستر ويذكر ان بعض العلوية هم هارون الرشيد بقتله فلما دخل
عليه اكرمه وخلي سبيله فقيل له بما دعوت حتي نجاك الله منه قال قلت يا من حفظ
الكنز علي الصبيين لصلاح ابيهما احفظني منه لصلاح ابائي كذا في العرايس ومن
ذلك ما جا عن جابر رضي الله عنه قال مكتوب علي كتفي ادم عليه السلام محمد رسول
الله خاتم النبيين ويذكر عن بعضهم انه شاهد في بعض بلاد خراسان مولود
علي احد جنبيه مكتوب لا اله الا الله وعلي الاخر محمد رسول الله اي ومن ذلك
ما حكاه بعضهم قال ولد عندي في عام اربعة وسبعون وستماية جدي اسود غرته
بيضا علي شكل الدايرة وفيها مكتوب محمد بخط في غاية الحسن والبيان وما حكاه
بعضهم قال شاهدت ببلدة من بلاد افريقية بالغرب رجلا ببياض عينه اليمني من
اسفل مكتوب بعرق احمر كتابة مليحة محمد رسول الله ذكره الشيخ عبد الوهاب
الشعراوي نفعنا الله ببركاته في كتاب لواقح الانوار القدسية في قواعد السادة
الصوفية وفي كتابتي لهذا الموضع رايت علما من اعلام النبوة وذلك ان شخصا اتاني
براس خروف شواها واكلها واراني فيها مكتوبا بخط الهي علي الجبهة لا اله الا الله
محمد رسول الله ارسله بالهدي ودين الحق يهدي به من يشا قال الشيخ عبد الوهاب
وتكرير ذلك لحكمة فان الله لا يسهو هذا كلامه وقد يقال بعد الحكمة التاكيد لعلو
مقام الهداية كيف وهو المجانب لمقام الضلالة والغواية وعن الزهري رحمه الله تعالي
قال شخصت الي هشام بن عبد الملك فلما كنت بالبلقا رايت حجرا مكتوبا عليه بالعبراني
فارشدت الي شيخ يقراه فلما قراه ضحك وقال امر عجيب مكتوب عليه باسمك اللهم
جا الحق من ربك بلسان عربي مبين لا اله الا الله محمد رسول الله وكتبه موسي بن عمران

باب سلام الحجر والشجر عليه صلي الله عليه وسلم قبل مبعثه

روي مسلم عن جابر بن سمرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلي الله عليه وسلم اني لاعرف
حجرا بمكة كان يسلم علي قبل ان ابعث اني لاعرفه الان قال جا في بعض الروايات
ان هذا الحجر هو الحجر الاسود اي وقيل انه غيره وانه الذي في زقاق مكة يعرف
بزقاق الحجر اي ولعله غير الحجر الذي به اثر المرفق ذكر انه صلي الله عليه وسلم اتكا
عليه بمرفقه وهو الذي يقال له زقاق المرفق وغير الحجر الذي به اثر الاصابع وروي
انه صلي الله عليه وسلم حين اراد الله كرامته بالنبوة كان اذا خرج لحاجة اي الحاجة
الانسان ابعد حتي لا يري بيتا ويفضي الي الشعاب ويطرق الاودية فلا يمر بحجر ولا
شجر الا قال الصلاة والسلام عليك يا رسول الله وكان يلتفت عن يمينه وشماله

وحلفه فلا يرى احدا انتهى والى ذلك يشير صاحب الاصل بقوله ؞

؞ لم يبق في الارض احجار ولا شجر ؞ الا وسلم بل هناه مارهبا ؞

والى ذلك يشير ايضا صاحب الهمزيه بقوله ؞

؞ والجمادات افصحت بالذي اخرس عنه لاحمد الفصحاء ؞

اي والجمادات التي لا روح فيها نطقت بكلام فصيح لا تلعثم فيه اي بالشهادة له صلي الله عليه وسلم بالرسالة ولم تنطق به اهل الفصاحة والبلاغة وهم الكفار من قريش وغيرهم **وعن** علي رضي الله عنه وكرم الله وجهه قال كنت مع النبي صلي الله عليه وسلم بمكة فخرجنا في بعض نواحيها فما استقبله جبل ولا شجر الا وهو يقول السلام عليك يا رسول الله **اقول** والى تسليم الحجر قبل البعثة يشير الشيخ الامام السبكي رحمه الله تعالى في تائيته بقوله ؞

؞ وما جزت بالاحجار الا وسلمت ؞ عليك بنطق شاهد قبل بعثة ؞

واما حديث عايشة رضي الله عنها قالت قال رسول الله صلي الله عليه وسلم لما اوحي الي جعلت لا امر بحجر ولا شجر الا قال السلام عليك يا رسول الله وما ذكره بعضهم ان الجن قالوا له صلي الله عليه وسلم من يشهد انك رسول الله قال تلك الشجرة ثم قال لها من انا قالت رسول الله وليس من المترجم له وفي الخصايص الصغري وخص صلي الله عليه وسلم بتسليم الحجر وبكلام الشجر وبشهادتها له صلى الله عليه وسلم بالنبوة واجابتها دعوته **وفي كلام السهيلي** رحمه الله يحتمل ان يكون نطق الحجر والشجر كلاما مقرونا بحياة وعلم ويحتمل ان يكون صوتا مجردا غير مقترن بحياة وعلي كل حال هو علم من اعلام النبوة وفي كلام الشيخ محي الدين بن العربي اكثر العقلا بل كلهم يقولون عن الجمادات لا تعقل فوقفوا عند بصرهم والامر عندنا كذلك فاذا جاءهم عن نبي او ولي حجرا كلمه مثلا يقولون خلق الله فيه العلم والحياة في ذلك الوقت والامر عندنا ليس كذلك بل سر الحياه سار في جميع العالم وقد ورد ان كل شي سمع صوت الموت من رطب ويابس يشهد له ولا يشهد الا من علم واطال في ذلك وقال قد اخذ الله بابصار الانس والجن عن ادراك حياة الجماد الا من شا الله كنحن واضرابنا فانا لا نحتاج الى دليل في ذلك لكون الحق تعالى قد كشف لنا عن حياتها عينا واسمعنا تسبيحها ونطقها وكذلك اندكاك الجبل لما وقع التجلي انما كان ذلك منه لمعرفته بعظمة الله تعالى ولولا ما عنده من العظمة لما تدكدك والله تعالى اعلم

باب بيان حين البعث وعموم بعثته صلي الله عليه وسلم

قال ابن اسحاق رحمه الله تعالى لما بلغ رسول الله صلي الله عليه وسلم اربعين سنة بعثه الله رحمة للعالمين وكافة للناس اجمعين وكان الله تعالى قد اخذ له الميثاق علي كل نبي بعثه قبله

بالايمان به والتصديق له والنصر علي من خالفه وان يودوا ذلك الى كل من امن بهم وصدقهم اي فهم وامهم من جملة امته صلي الله عليه وسلم كما سياتي عن العلامة السبكي رحمه الله تعالى فعن انس بن مالك رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث على راس الاربعين **قال** وهذا هو المشهور بين الجمهور من اهل السير والعلم بالاثر وقيل بزيادة يوم وقيل بزيادة عشرة ايام وقيل بزيادة شهرين وقيل بزيادة سنتين وهو شاذ واكثر منه شذوذا ما قيل انه بزيادة ثلاث سنين وما قيل انه بزيادة خمس سنين قال بعضهم والاربعون هي سن الكمال ونهاية بعث الرسل اي لا يرسلون دونها ومن ثم قال في الكشاف ويروى انه لم يبعث نبي الا على راس اربعين سنة هذا كلام الكشاف واما ما ذكر عن المسيح عليه السلام انه رفع الى السما وهو ابن ثلاث او اربع وثلاثين سنة اي ومعلوم انه دعا الى الله قبل ذلك فهو قول شاذ حكاه وهب بن منبه عن النصارى انتهى وجرى عليه غير واحد من المفسرين من ذكر في مبلغ سنه اذ رفع اكثر من ثلاث وثلاثين سنة هذا كلامه وفي الهدي واما ما يذكر عن المسيح عليه السلام انه رفع الى السما وله ثلاث وثلاثون سنة فهذا لا يعرف به اثر متصل يجب المصير اليه هذا كلامه ويوافق ما نقل عن بعض المفسرين من عرايس ولما تمت له يعني عيسى عليه السلام ثلاثون سنة اوحى الله اليه ان يبرز للناس ويدعوهم ويضرب الامثال لهم ويداوي المرضى والزمنا والعميا والمجانين ويقمع الشياطين ويذلهم ويدحرهم ففعل ما امر به واظهر المعجزات فاحيى ميتا يقال له عازر بعد ثلاثة ايام من موته وكان عيسى عليه السلام يمشي على الما وعبارة الجلال السيوطي في قطعة التفسير احيى عيسى عليه السلام اربعة عازر وكان صديقا له وابن العجوز وابنة العاشر وسام بن نوح عليه السلام هذا كلامه وذكر البغوي قصة كل واحد فراجعه ومكث في الرسالة ثلاث سنوات ثم رفع ويوافق ذلك قول ابن

٢ الصلاة ص الجزري واما حديث ما من نبي الا نبي بعد الاربعين فموضوع لان عيسى عليه السلام نبي ورفع الى السما وهو ابن ثلاثة وثلاثين سنة بل اي نبي وهو ابن ثلاثين سنة ورفع وهو ابن ثلاثة وثلاثين سنة بل قيل وهو طفل فاشتراط الاربعين في حق الانبيا عليهم الصلاة والسلام ليس بشي هذا كلامه وفيه ان هذا بمجرده لا يدل علي وضع الحديث ويوافقه ايضا قول القاضي البيضاوي ونبي نوح وهو ابن خمسين وقيل اربعين ويوافقه ايضا قول بعضهم ومما يدل علي ان بلوغ الاربعين ليس شرطا للنبوة قصة سيدنا يحيى صلوات الله وسلامه علي نبينا وعليه ان الحكمة في قوله تعالى واتيناه الحكم صبيا النبوة لا الحكمة وتفهيم التوراة كما قيل بذلك بل احكم الله عقله في صباه واستنباه قيل كان ابن سنتين او ثلاث عقله في صباه ولما ولي الخلافة المقتدر بالله العباسي وهو غير بالغ صنف الامام الصولي له كتابا فيمن ولي الامر وهو غير بالغ

واستدل على جواز ذلك بان الله تعالى بعث يحيى بن زكريا عليهما السلام نبيا وهو غير
بالغ وذكر فيه كل من استعمله النبي صلى الله عليه وسلم من الصبيان قال بعضهم وهو
كتاب حسن فيه فوايد كثيرة وكان ذبح يحيى ابن زكريا عليهما السلام قبل رفع عيسى
عليه السلام سنة ونصف سنة وما على ما تقدم عن الهدى اي من انكار ان عيسى
رفع وله ثلاث وثلاثون سنة قول بعضهم الاحاديث الصحيحة تدل على انه انما
رفع وهو ابن مائة وعشرين سنة من تلك الاحاديث قوله صلى الله عليه وسلم
في مرض موته لابنته فاطمة رضي الله عنها اخبرني جبريل عليه السلام انه لم يكن
نبي الا عاش نصف عمر الذي قبله اخبرني ان عيسى بن مريم عليه السلام عاش عشرين
ومائة سنة ولا اراني الا ذاهبا على راس الستين وفي الجامع الصغير ما بعث الله نبيا
الا عاش نصف ما عاش النبي الذي قبله سكل ان نوحا عليه الصلاة والسلام كان
اطول الانبيا عمرا ومن ثم قيل له كبير الانبيا وشيخ المرسلين وهو اول من تشق عنه
الارض بعد نبينا صلى الله عليه وسلم ثم رايت ان الحافظ الهيتمي ضعف حديث ما بعث
الله نبيا الا عاش نصف ما عاش النبي الذي قبله وقال العماد وابن كثير انه غريب
جدا وعن عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده ان رسول الله صلى الله عليه وسلم عام
تبوك قام من الجبل في الليل يصلي فاجتمع رجال من اصحابه يحرسونه اي وينتظرون
فراغه لان نزول والله يعصمك من الناس كان قبل هذا حتى اذا صلى وانصرف اليهم
قال لهم لقد اعطيت الليلة خمسا ما اعطيهن احد قبلي زاد في رواية لا اقولهن فخرا
اما اولهن فارسلت الى الناس كلهم عامة الجن في زمنه وغيرهم ممن تقدم او تاخر | الذين صح
اي وللشجر والحجر الى اخر ما ياتي وكان من قبلي وفي لفظ وكان كل نبي انما يرسل
الى قومه اي جميع اهل زمنه او جماعة منهم خاصة ومن الاول نوح عليه السلام
فانه كان مرسلا لجميع من كان في زمنه من اهل الارض ولما اخبر بانه لا يومن منهم
الا من امن معه وهم اهل السفينة وكانوا ثمانين رجلا واربعين امراة وفي عوارف
المعارف اصحاب السفينة كانوا اربعماية وقد يقال من الادميين وغيرهم فلا مخالفة
دعا على ما عدا من ذكر باستيصال العذاب فكان الطوفان الذي كان به هلاك جميع
الارض الا من امن ولو لم يكن مرسلا اليهم ما دعا عليهم بسبب مخالفتهم له في عبادتهم
الاصنام لقوله تعالى وما كنا معذبين اي في الدنيا حتى نبعث رسولا اي لمن يعبد
الاصنام لان عبادة الاصنام اول ما حدثت في قومه وارسله الله اليهم ينهاهم عن
ذلك وح لا يخالف كون اول الرسل عليهم الصلاة والسلام ادم عليه السلام ارسله
الله الى اولاده بالايمان به تعالى وتعليم شرايعه وذكر بعضهم انه كان مرسلا الى زوجته
حوى في الجنة لان الله تعالى امره ان يامرها وينهاها في ضمن اخباره بامره ونهيه
قوله تعالى يا ادم اسكن انت وزوجك الجنة وكلا منها رغدا حيث شئتما ولا تقربا هذه

الشجرة وذلك من الارسال كما ادعاه بعضهم فعلم ان عموم رسالة نوح لجميع اهل الارض
في زمنه لا يساوي عموم رسالة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم لما علمت ان رسالته
عامة حتى لمن لم يوجد بعد زمنه وح فيسقط السوال وهو انه لم يبق بعد الطوفان
الا المومن فصارت رسالة نوح عليه السلام عامة وسقط جواب الحافظ ابن حجر عنه
بان هذا العموم الذي حصل بعد الطوفان مائة عام وقد حققنا فيما لم يكن من اصل
بعثته بل طرا بعد الطوفان بخلاف رسالة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم قيل كان
بعد الدعوة والطوفان مائة عام وقد حققنا فيما سبق ان ادم عليه السلام ومن بعده
دعا الى الايمان بالله وعدم الاشراك به الا ان الاشراك به وعبادة الاصنام اتفق
انه لم يقع الا زمن نوح عليه السلام ومن بعده واما قول اليهود او بعضهم وهم
العيسوية طايفة من اليهود اتباع عيسى الاصفهاني انه صلى الله عليه وسلم انما
بعث للعرب خاصة دون بني اسرايل وانه صادق ففاسد لانهم اذا سلموا انه رسول
الله وانه صادق ولا يكذب لزمهم التناقض لانه ثبت بالتواتر عنه انه رسول الله
لكل الناس من العرب وغيرهم لعينه اقول قال بعضهم ولا ينافيه قوله تعالى وما ارسلنا
من رسول الا بلسان قومه لانه لا يدل على اقتصار رسالته عليهم بل على كونه متكلما
بلغتهم ليفهموا عنه اولا ثم يبلغ الشاهد الغايب ويحصل الافهام لغير اهل بلغته
من الاعاجم بالتراجم الذي ارسل اليهم فهو صلى الله عليه وسلم مبعوث الى الخلق | الخلق صح
وان كان هو وكتابه عربيين كما كان موسى وعيسى عليهم الصلاة والسلام مبعوثين
لبني اسرايل بكتابيهما العبراني اي وهو التوراة والسرياني وهو الانجيل مع ان
من جملتهم جماعة لا يفهمون بالعبرانية ولا بالسريانية كالاروام فان لغتهم اليونانية | ثنيه
والله اعلم واشار صلى الله عليه وسلم الى الثانية من الخمس بقوله ونصرت
بالرعب على العدو ولو كان بيني وبينه مسيرة شهر اي امامه وخلفه على ما هو
زعما اي بقذف الرعب في قلوب اعدايه وفي الغاية شهرا لانه لم يكن بينه وبين بلد
احد من اعدايه اي المحاربين له اكثر من شهر اي وجا ان سيدنا سليمان
عليه الصلاة والسلام ذهب هو وجنده من الانس والجن وغيرهما الى الحرم وكان
يذبح كل يوم خمسة الاف ناقة وخمسة الاف ثور وعشرين الف شاة لان ساحة
جنده عليه السلام كانت مائة فرسخ قال لمن حضر من اشراف جنده هذا مكان
يخرج منه نبي عربي يعطى النصر على جميع من ناداه وتبلغ هيبته مسيرة شهر القريب
والبعيد عنده في الحق سوا لا تاخذه في الله لومة لايم قال فاي دين يا نبي الله يدين
قال الحنيفية فطوبى لمن امن به قالوا كم بين خروجه وزماننا قال مقدار الف عام
واشار صلى الله عليه وسلم الى الثالثة بقوله واحلت لي الغنايم كلها وكانت
قبلي اي من امر بالجهاد منهم يعطونها ويحرمونها اي لانهم كانوا يجمعونها والمراد

ماعدا الحيوانات من الامتعة والاطعمة والاموال فان الحيوانات تكون ملكا
للغانمين دون الانبيا ولا يجوز للانبيا اخذ شئ من ذلك بسبب الغنيمة لذا في الوق
وجا في بعض الروايات واطعمت امتك الفي ولم احلها لامة قبلها اي والمراد بالفي
ما يعم الغنيمة كما انه يراد بالغنيمة ما يعم الفي هنا وفي بعض الروايات وكانت الانبيا
عليهم الصلاة والسلام يعزلون الخمس فتجي النار اي نار بيضا من السما فتاكله اي حيث
لا غلول وامرت ان اقسمه في فقراء امتي وفي تكملة تفسير الجلال السيوطي لتفسير
الجلال المحلي المجمل ان ذلك لم يعهد في زمن عيسى عليه الصلاة والسلام ولعله لم
يكن ممن امر بالجهاد فلا يخالف ما سبق واشار صلى الله عليه وسلم الى الرابعة بقوله
وجعلت لي الارض مسجدا وطهورا اي اينما ادركتني الصلاة تمسحت اي تيممت وصليت
لا تيماء وصليت فلا يختص السجود منها بموضع دون غيره وكان من قبلي يعظمون
ذلك اي الصلاة في اي محل ادركتهم فيه انما كانوا يصلون في كنايسهم وبيعهم اي ولم
يكن احد منهم يتيمم لان التيمم من خصايصنا وفي رواية جابر رضي الله عنه لم يكن
احد من الانبيا عليهم الصلاة والسلام يصلي حتى يبلغ محرابه وجا في تفسير قوله
تعالى واخبار موسى قومه سبعين رجلا الاية من الماثور ان الله تعالى قال لموسى
اجعل لكم الارض مسجدا فقال لهم موسى ان الله تعالى قد جعل لكم الارض مسجدا
قالوا لا نريد ان نصلي الا في كنايسنا فعند ذلك قال الله تعالى ساكتبها للذين يتقون
ويوتون الزكاة الى قوله تعالى المفلحون اي وهم امة محمد صلى الله عليه وسلم
وفيه انه قيل كان عيسى يسيح في الارض ويصلي حيث ادركته الصلاة ويحتاج الى
الجمع بين هذا وبين ما تقدم من قوله لم يكن احد من الانبيا يصلي حتى يبلغ محرابه الا
ان يقال لا يصلي مع امته الا في محرابه واما عيسى عليه الصلاة فخص بانه يصلي
حيث ادركته الصلاة وسياتي في خصايص الكلام على ذلك واشار صلى الله عليه وسلم
الى الخامسة بقوله قيل لي سل فان كل نبي سال فاخرت مسالتي الى يوم القيامة
فهي لكم ولمن شهد ان لا اله الا الله وهي لاخراج من في قلبه ذرة من الايمان
ليس له عمل صالح الا التوحيد اي اخراج ذلك من النار لان شفاعة غيره تقع فيمن
في قلبه اكثر من ذلك قال القاضي عياض اي وقد جا بيان من يشفع باذن الله
له في الشفاعة فلا يبقى نبي ولا شهيد الا يشفع وفي رواية يشفع الملايكة والنبيون
والشهدا والصالحون والمومنون فيشفعهم الله تعالى وقد جا ان اول شافع جبريل
عليه السلام ثم ابراهيم ثم موسى ثم يقوم نبيكم رابعا لا يقوم بعده احد فيما يشفع
فيه وفي الحديث اي تحت العرش فاخر ساجدا فيقال يا محمد ارفع راسك سل تعطه
واشفع تشفع فارفع راسي فاقول يا رب امتي فيقال انطلق فمن كان في قلبه مثقال
حبة من خردل بر او شعير من ايمان وفي لفظ حبة من خردل وفي لفظ ادنى من مثقال

حبة من خردل فاخرجه من النار فانطلق فافعل اي اخرجه من النار وادخله الجنة
وله صلى الله عليه وسلم شفاعة قبل هذه في ادخال اهل الجنة الجنة بعد مجاوزة الصراط
ففي الحديث فاذا دخلت الجنة فنظرت الى ربي خررت ساجدا فياذن لي في حمده وتمجيده
ثم يقول ارفع راسك يا محمد واشفع تشفع واسال تعطى فاقول يا رب قد قول يا رب
شفعني في اهل الجنة ان يدخلوا الجنة فياذن الله تعالى لي في الشفاعة الى اخر ما
تقدم ومن هذا يعلم ان الشفاعة في الاخراج من النار انما تكون منه صلى الله عليه وسلم
وهو في الجنة كما تقدم من قوله تحت العرش خر ساجدا الى اخره انما ذلك في الشفاعة
في فصل القضا فهذا خلط من بعض الرواة اي خلط الشفاعة في الموقف التي هي الشفاعة
في فصل القضا بالشفاعة بعد مجاوزة الصراط في دخول اهل الجنة الجنة وبالشفاعة
بعد دخول الجنة وفي اخراج اهل التوحيد من النار والشفاعة في فصل القضا هي
المشار اليها في قوله صلى الله عليه وسلم واعطيت الشفاعة العظمى في اراحة الناس من
هول الموقف اي وهذا هو المقام المحمود الذي يحمده ويغبطه فيه الاولون والاخرون
المعنى بقوله تعالى عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا وعن حذيفة رضي الله عنه
يجمع الناس في صعيد واحد فاول من يدعى محمد صلى الله عليه وسلم فيقول لبيك
وسعديك والشر ليس اليك والمهدي من هديت وعبدك بين يديك ولك واليك لا ملجا
ولا منجا منك الا اليك تباركت وتعاليت سبحانك رب البيت وقد هاجت فتنة كبيرة
ببغداد بسبب هذه الاية اعني عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا فقالت الحنابلة
معناه يجلسه الله على عرشه وقال غيرهم بل هي الشفاعة العظمى في فصل القضا فدام
الخصام الى ان اقتتلوا فقتل كثيرون وهذه الشفاعة احدى الشفاعات الثلاث المعنية
بقوله صلى الله عليه وسلم عند ربي ثلاث شفاعات وعدنيهن وفي كلام بعضهم
له صلى الله عليه وسلم تسع شفاعات اخر غير فصل القضا جرى في اختصاصه
ببعضها خلاف وهي الشفاعة في ادخال قوم الجنة بغير حساب ولا عقاب قال
النووي وجماعة هي مختصة به والشفاعة في اناس استحقوا دخول النار فلا يدخلونها
قال القاضي عياض وغيره ويشركه فيها من يشا الله والشفاعة فيمن في اخراج من
يدخل النار من الموحدين وفي قلبه مثقال ذرة من ايمان وهي مختصة به صلى الله
به صلى الله عليه وسلم والشفاعة في اخراج من ادخل النار منهم وفي قلبه ازيد
من ذرة من ايمان ويشاركه فيها الانبيا والملايكة والمومنون وظاهر هذا السياق
ان المراد من في قلبه مثقال ذرة من ايمان الى اخره عام في امته صلى الله عليه
وسلم وفي غيرهم من الامم وهو يخالف قول بعضهم جا في الصحيح فاقول يا رب ايذن لي
فيمن قال لا اله الا الله اي ومات على ذلك قال ليس ذلك لك ولكن وعزتي وجلالي
وكبريائي وعظمتي لاخرجن من النار من قال لا اله الا الله ولا يقال يشكل على ذلك

قوله صلى الله عليه وسلم اتاني ات من عند ربي فخيرني بين ان يدخل نصف امتي
وفي رواية ثلثي امتي الجنة اي بلا حساب ولا عذاب وبين الشفاعة فاخترت
الشفاعة وهي لمن مات لا يشرك بالله شيا فاخترت الشفاعة وعلمت انها اوسع
لهم لانا نقول المراد بالذين تنالهم شفاعته صلى الله عليه وسلم من مات لا
يشرك بالله شيا خصوصا امته واما من قيل له فيه ليس ذلك لك فهم الموحدون
من الامم السابقة فليتامل مع ما سبق من شفاعة الانبيا والملايكة والمومنين
والشفاعة في زيادة الدرجة في الجنة لاهلها وجوز النووي رحمه الله اختصاصها
به صلى الله عليه وسلم والشفاعة في تخفيف العذاب عن بعض الكفار كابي طالب
وابي لهب في كل يوم اثنين بالنسبة لابي لهب والشفاعة لمن مات بالمدينة الشريفة
ولعل المراد انه لا يحاسب وقد اوصل ابن القيم رحمه الله تعالى شفاعاته صلى الله
عليه وسلم الى اكثر من عشرين شفاعة وفي رواية اعطيت ما لم يعط احد من الانبيا
نصرت بالرعب واعطيت مفاتيح الارض فوضعت بين يدي ولا منافاة لانه يجوز انه
اعطي ذلك يقظة بعد ان اعطيه مناما وسميت احمد اي ومحمدا لان احدا من الانبيا
لم يسم بذلك فهو من خصايصه صلى الله عليه وسلم بالنسبة للانبيا كذا في الخصايص
الصغرى وتقدم ان النسبة باحد من خصايصه صلى الله عليه وسلم على جميع الناس وفي
وصفه صلى الله عليه وسلم نفسه بما ذكر وقول عيسى عليه الصلاة والسلام اني عبد الله
الا انه وقول سليمان عليه الصلاة والسلام علمنا منطق الطير واوتينا من كل شي دليل
لذكر العلما مناقبهم في كتبهم وهو ماخوذ من قوله تعالى واما بنعمة ربك فحدث ومن
قوله صلى الله عليه وسلم التحدث بنعمة الله شكر وتركه كفر وقال تعالى لئن شكرتم
لازيدنكم ولئن كفرتم ان عذابي لشديد وصعد سيدنا عمر رضي الله عنه المنبر فقال
الحمد لله الذي صيرني ليس فوقي احد ثم نزل فقيل له في ذلك فقال انما فعلت ذلك
اظهارا للشكر وعن سفيان الثوري رحمه الله من لم يتحدث بنعمة الله فقد عرضها
للزوال والحق في ذلك والتفصيل وهو ان من خاف على نفسه من التحدث بالنعمة واظهارها
الريا فعدم التحدث بها واظهارها اولى اي وفي الشفا انه صلى الله عليه وسلم
احمد المحمودين واحمد الحامدين ويوم القيامة يحمده الحامدون الاولون والاخرون
لشفاعته لهم فحقق ان سمي محمدا واحمد وتقدم ان هذا يوافق ما تقدم عن الهدي
ان احمد ماخوذ من الفعل الواقع من المفعول وقد جا انا محمد وانا احمد وانا
الماحي الذي يمحي الله بي الكفر وانا الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي وانا العاقب
الذي ليس بعدي نبي وجعلت امتي اخر الامم قال القاضي البيضاوي وفي
التسمية بالاسما العربية تنويه اي تعظيم المسمى هذا كلامه وفي رواية لما اسري بي
الى السما قربني ربي حتى كان بيني وبينه كقاب قوسين او ادنى قيل لي قد جعلت

امتك

امتك اخر الامم وافضح الامم عندهم اي بوقوفهم على اخبارهم ولا افضحهم عند الامم
اي لتاخرها عنهم وعليه فالضمير في دنا يعود اليه صلى الله عليه وسلم وذكر
بعضهم ان دنا فتدلى الاية عبارة عن تقريبه تعالى الى النبي صلى الله عليه وسلم
اي فالضمير في دنا الخ يعود الى الله تعالى وهو معنى لطيف وفي رواية نحن الاخرون
من اهل الدنيا والاولون يوم القيامة المقضي اليهم قبل الخلايق وفي رواية نحن
اخر الامم واول من يحاسب تتفرج لنا الامم عن طريقنا فنمضي غرا محجلين من اثر
الطهور وفي رواية من اثر الطهور وفي رواية من اثر الوضوء فتقول الامم كادت
هذه الامة ان تكون انبيا كلها هذا وفي رواية غرا من السجود محجلين من اثر الوضوء
وفي رواية فضلت على الانبيا بست اي ولا مخالفة بين ذكر الخمس اولا وبين ذكر الست
هنا لانه يجوز ان يكون اطلع اولا على الخمس بعض ما اختص به ثم اطلع على الباقي هنا
على اعتبار بعضهم العدد ثم اشار صلى الله عليه وسلم الى بيان الست بقوله اعطيت
جوامع الكلم ونصرت بالرعب واحلت لي الغنايم وجعلت لي الارض طهورا ومسجدا
وارسلت الى الخلق كافة والخلق يشمل الانس والجن والملايكة والحيوان والنبات
والحجر قال الجلال السيوطي وهذا القول اي ارساله للملايكة رجحته في كتاب
الخصايص وقد رجحه قبل الشيخ تقي الدين السبكي وزاد انه مرسل لجميع الانبيا والامم
السابقة من لدن ادم الى قيام الساعة ورجحه ايضا البارزي وزاد انه مرسل الى
جميع الحيوانات والجمادات وازيد على ذلك انه مرسل الى نفسه وذهب جمع الى انه
لم يرسل الى الملايكة منهم الحافظ العراقي في نكته على ابن الصلاح والجلال المحلي
في شرح جمع الجوامع ومشيت عليه في شرح التقريب وحكى الفخر الرازي والبرهان
النسفي في تفسيرهما فيه الاجماع هذا كلامه وبهذا الثاني افتى والد شيخنا الرملي
وعليه فيكون قوله صلى الله عليه وسلم ارسلت الى الخلق كافة وقوله تعالى
ليكون للعالمين نذيرا من العام المخصوص او الذي اريد به الخصوص ولا يشكل
عليه حديث سلمان اذا كان الرجل في ارض واقام الصلاة صلى خلفه من الملايكة
ما لا يرى طرفاه يركعون بركوعه ويسجدون بسجوده لانه يجوز ان لا يكون ذلك
صادرا عن نفسه اليهم ولا يشكل ما ورد بعثت الى الاحمر والاسود كما تقدم لان
المراد بذلك العرب والعجم وفي الشفا وقيل الاحمر الانس والاسود الجان واستدل
بقوله الاول اي القايل بانه ارسله الى الملايكة بقوله تعالى ومن يقل منهم اني
اله من دونه فذلك نجزيه جهنم فهي انذار الملايكة على لسانه
صلى الله عليه وسلم في القران الذي انزل عليه فثبت بذلك ارساله اليهم ودعوى
الاجماع منازع فيها فهي غير مسموعة ثم رايت الجلال السيوطي ذكر هذا
الاستدلال وهو واضح وذكر تسعة ادلة وهي لا تثبت المدعي الذي هو ان الملايكة

مكلفون بشرعه كما لا يخفى على من رزق نزع فيهم بالوقوف عليها فعلم انه صلى
الله عليه وسلم مرسل لجميع الانبيا واممهم على تقدير وجوده في زمنهم لان
الله تعالى اخذ عليهم وعلى اممهم الميثاق على الايمان ونصرته به مع بقائهم
على نبوتهم ورسالتهم الى اممهم فنبوته ورسالته صلى الله عليه وسلم اعم
واشمل وتكون شريعته في تلك الاوقات بالنسبة الى اولئك الامم ما جاءت به
انبياؤهم لان الاحكام والشرائع تختلف باختلاف الاشخاص والاوقات قال
السبكي رحمه الله اي لجميع الانبيا واممهم من جملة امته عليه الصلاة والسلام
فقد قال صلى الله عليه وسلم لعمر بن الخطاب رضي الله عنه والذي نفسي
بيده لو ان موسى عليه السلام كان حيا ما وسعه الا ان يتبعني واخرج احمد
وغيره عن عبد الله بن ثابت قال جا عمر رضي الله عنه الى رسول الله صلى
الله عليه وسلم فقال يا رسول الله اني مررت باخ لي من قريظة فكتب لي
جوامع من التوراة لا عرضها عليك فتغير وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم
وقال والذي نفس محمد بيده لو اصبح فيكم موسى ثم اتبعتموه لضللتم انكم
حظي من الامم وانا حظكم من النبيين وفي النهر لابي حيان رحمه الله ان عبد الله
بن سلام استاذن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يقيم على السبت وان يقرا
من التوراة في صلاته من الليل فلم ياذن له ولكون جميع الانبيا واممهم من امته
صلى الله عليه وسلم المراد امة الدعوة لا امة الاجابة لانها مخصوصة بمن امن
به صلى الله عليه وسلم بعد البعث على ما تقدم وياتي وبعثته صلى الله عليه
وسلم رحمة حتى للكفار بتاخير العذاب ولم يعاجلوا بالعقوبة كسائر الامم
المكذبة وحتى للملائكة قال تعالى وما ارسلناك الا رحمة للعالمين وقد ذكر في الشفا
ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لجبريل عليه السلام يا جبريل هل اصابك
من هذه الرحمة شي قال نعم كنت اخشى العاقبة فامنت لثنا الله تعالى علي
في القران بقوله عز وجل ذي قوة عند ذي العرش مكين قال الجلال ه
السيوطي ان هذا الحديث لم نقف له على اسناد فهو صلى الله عليه وسلم افضل
من سائر المرسلين وجميع الملائكة المقربين وفي لفظ اخر فضلت على الانبيا بست
لم يعطهن احد كان قبلي غفر لي ما تقدم من ذنبي وما تاخر واحلت لي الغنائم
وجعلت امتي خير الامم وجعلت لي الارض مسجدا وطهورا واعطيت الكوثر
ونصرت بالرعب والذي نفسي بيده ان صاحبكم لصاحب لوا الحمد يوم القيامة
تحته ادم فمن دونه وفي رواية فما من احد الا وهو تحت لوائي يوم القيامة
ينتظر الفرج وان معي لوا الحمد انا امشي ويمشي الناس حتى اتي باب الجنة
الحديث اقول سكت عما حكاه الجلال السيوطي انه ورد الى مصر نصراني

من

من الفرنج وقال لي شبهة ان ازلتموها اسلمت فعقد له مجلس بدار الحديث هو
بالكاملية وراس العلما اذ ذاك الشيخ عز الدين ابن عبد السلام فقال له النصراني
والناس يسمعون اي افضل عندكم المتفق عليه او المختلف فيه فقال الشيخ
عز الدين المتفق عليه فقال له النصراني قد اتفقنا نحن وانتم على نبوة عيسى
عليه السلام واختلف في نبوة محمد صلى الله عليه وسلم فيلزم ان يكون عيسى
افضل من محمد صلى الله عليه وسلم فاطرق الشيخ عز الدين راسه ساكتا من
اول النهار الى الظهر حتى ارتج المجلس واضطرب اهله ثم رفع الشيخ عز الدين
راسه وقال عيسى لبني اسرائيل ومبشرا برسول ياتي من بعدي اسمه احمد ه
فيلزمكم ان تصدقوه فيما قال وتؤمنوا باحمد الذي بشر به فاقام الحجة على النصراني
واسلم بانه كيف اقام بها الحجة على كون محمد صلى الله عليه وسلم افضل من
عيسى اذ غاية ما ذكر ان محمدا رسول الله فاجيب بانه حيث ثبت ان محمدا رسول
الله وجب الايمان به وبما جا به ومما جا به واخبر به انه افضل من جميع الانبيا
وقد سيل ابو الحسن الحال بالحا المهملة من فقها بنا معاشر الشافعية محمد
وموسى صلوات الله وسلامه عليهما وعلى سائر الانبيا والمرسلين ايهما افضل
فقال محمد فقيل له ما الدليل على ذلك فقال انه تعالى ادخل بينه وبين موسى
الملك فقال واصطنعتك لنفسي وقال لمحمد صلى الله عليه وسلم ان الذين يبايعونك
انما يبايعون الله ففرق بين من قام بوصفه وبين من اقامه مقام نفسه والله
تعالى اعلم وفي رواية اذا كان يوم القيامة كان لي لوا الحمد وكنت امام
المرسلين وصاحب شفاعتهم وفي لفظ الا وانا حبيب الله ولا فخر وانا اول شافع
وانا اول مشفع يوم القيامة ولا فخر وانا اول من يحرك حلق الجنة اي حلقها
فيفتح لي فادخلها ومعي فقرا المومنين ولا فخر اي وفي رواية اتي باب الجنة يوم
القيامة فاستفتح اي بتحريك حلقة الباب او قرعه بها لا بالصوت فيقول لي ه
الخازن اي وهو رضوان من انت فاقول محمد وفي رواية انا محمد فيقول بك امرت
لا افتح وفي رواية ان لا افتح لاحد قبلك زاد في رواية ولا اقوم لاحد بعدك لا افتح
له فمن صلى الله عليه وسلم ان رضوان لا يفتح الا له ولا يفتح لغيره من الانبيا
وغيرهم وانما يتولى ذلك غيره من الخزنة وهي خصوصية عظيمة نبه عليها
الخضري رحمه الله تعالى وكون الفاتح له الخازن انما فتح بامر الله فهو الفاتح ه
الحقيقي لا ينافي ما قبله من كون الفاتح له الحق سبحانه وتعالى لما علم ان الخازن
انما فتح بامر الله فهو الفاتح الحقيقي وفي رواية انا اول من يفتح له باب الجنة
ولا فخر فاتي فاخذ بحلق الجنة فيقال من هذا فاقول محمد فيفتح لي فيستقبلني
على ان دخوله الجنة مترتب على فتح الباب غالبا لان ذلك قبل يوم القيامة

وفي القيامة يخرج الى الموقف فيكون مع امته للحساب ولا ينافيه ما جا اول من
يقرع باب الجنة بلال بن حمامة رضي الله عنه على تقدير صحته لانه يجوز
ان يكون يقرع الباب الاصلي لا حلقة الباب او الاول من الامة والله اعلم وفي
الاوسط للطبراني باسناد حسن حرمت الجنة على الانبيا حتى ادخلها وعلى
الامم حتى تدخلها امتي وسياتي ان هذا من جملة ما اوحي اليه ليلة المعراج
الذي اشار اليه قوله تعالى فاوحى الى عبده ما اوحى ولعل هذا هو المراد بما
جا في المرفوع عن ابن عباس رضي الله عنهما حرمت الجنة على جميع الامم حتى
ادخلها انا وامتي وان ظاهرهما من انه لا يدخلها احد من الانبيا الا بعد
دخول هذه الامة ليس مرادا وفي هذين منقبة عظيمة لهذه الامة المحمدية
وهو انه لا يدخل الجنة احد من الامم السابقة ولو من صلحايها وعلمايها
وزهادها حتى يدخل من كان يعذب في النار من عصاة هذه الامة بنا على
انه لا بد من تعذيب طائفة من هذه الامة في النار ولا بعد في ذلك انه لا يتقدم
ان اول من يحاسب من الامم هذه الامة فيجوز ان الامم لا تفرغ حسابهم ولا
ياتوا الى باب الجنة الا وقد خرج من كان يعذب من هذه الامة في النار و
دخل الجنة وجا انه يدخلها قبله صلى الله عليه وسلم من امته سبعون الفا
مع كل واحد سبعون الفا لا حساب عليهم وذلك معارض لقوله صلى الله عليه و سلم
انا اول من يدخل الجنة الا ان يقال اول من يدخل الجنة من الباب وهولا السبعون
الفا ورد انهم يدخلون من اعلى حايط في الجنة فلا معارضة ولا يعارض ذلك
ما جا اول من يدخل الجنة ابو بكر رضي الله عنه لان المراد اول من يدخلها من
رجال هذه الامة غير الموالي ولا يعارض ذلك ايضا ما تقدم عن بلال انه اول من
يقرع باب الجنة لانه لا يلزم من القرع الدخول وعلى تسليم ان القرع كناية
عن الدخول فالمراد من الموالي ولا يعارض ذلك ايضا ما جا اول من يدخل بنتي
فاطمة كما لا يخفى لان المراد اول من يدخلها من نسا هذه الامة قال ولي الله
وجا لا تستقضي يوم القيامة لا لكرامة في الارض من حجر وشجر وعن انس رضي
الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم فضلت على الناس باربع السخا والشجاعة
وقوة البطش وكثرة الجماع اي فمن سلمى رضي الله عنها مولاة النبي صلى الله
عليه وسلم انها قالت طاف رسول الله صلى الله عليه وسلم على نسائه التسع
وتطهر من كل واحدة قبل ان ياتي الاخرى وقال هذا الطهر واطيب واطهر وتقدم
على قوة بطشه صلى الله عليه وسلم مع ركانة كما سياتي في الخصايص الصغرى وكان
افرس العالمين فهو صلى الله عليه وسلم اجود بني ادم على الاطلاق كما
انه افضلهم واشجعهم واعلمهم واحلمهم في جميع الاخلاق الجميلة والاوصاف

الجميع قال ابن عبد السلام ومن خصايصه صلى الله عليه وسلم ان الله اخبره
بالمغفرة اي لما تقدم وما تاخر ولم ينقل انه اخبر احدا من الانبيا عليهم الصلاة
والسلام بمثل ذلك اي ولانه لو وقع لنقل لانه مما تتوفر الدواعي على نقله
ومما اختص به صلى الله عليه وسلم وقوع غفران نفس الذنب المتقدم والمتاخر
كما تقدم من قوله صلى الله عليه وسلم في بيان ما اختص به عن الانبيا عليهم
الصلاة والسلام وغفر لي ما تقدم من ذنبي وما تاخر اي ولا ينافي ذلك قوله
تعالى في حق داود فغفرنا له ذلك لانه غفران ذنب واحد قال ابن
عبد السلام بل الظاهر انه لم يخبرهم اي بغفران ذنوبهم بدليل قولهم في الموقف
نفسي نفسي لا بن الخ وعن ابي موسى رضي الله عنه قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم من سمع بي من يهودي او نصراني ثم لم يسلم دخل
النار اي لانه يجب عليه ان يؤمن به صلى الله عليه وسلم اقول والذي في
مسلم والذي نفس محمد بيده لا يسمع بي احد من هذه الامة يهودي او نصراني
ثم يموت ولم يؤمن بالذي ارسلت به الا كان من اصحاب النار اي من سمع بنبينا
صلى الله عليه وسلم ممن هو موجود في زمنه صلى الله عليه وسلم وبعده الى يوم
القيامة ثم مات غير مؤمن بما ارسل به كان من اصحاب النار اي ومن جملة ما
ارسل به انه ارسل الى الخلق كافة لا لخصوص العرب تامل وان خص اليهود
والنصارى بالذكر تنبيها على غيرهما الا انه اذا كان حالهما ذلك مع ان لهم كتابا
فغيرهم ممن لا كتاب له كالمجوس اولى لان اليهود كتابهم التوراة والنصارى
كتابهم الانجيل لان شريعة التوراة التي هي شريعة موسى يقال لها اليهودية
اخذا من قول موسى عليه الصلاة والسلام انا هدنا اليك اي رجعنا اليك فمن
كان على دين موسى عليه السلام يسمى يهوديا وشريعة الانجيل يقال لها النصرانية
اخذا من قوله صلى الله على عيسى عليه السلام من انصاري الى الله ومن كان على دين
عيسى عليه الصلاة والسلام يسمى نصرانيا وكان القياس ان يقال له انصاري وقيل
النصراني نسبة الى ناصرة قرية من قرى الشام نزل بها عيسى عليه الصلاة والسلام
كما تقدم ولا مانع من رعاية الامرين في ذلك وجا في رواية وجعلت صفوفنا
كصفوف الملائكة اي والامم السابقة كانوا يصلون متفرقين كل واحد على
حدته وان امته صلى الله عليه وسلم حط عنها الخطا والنسيان وحمل ما لا
تطيقه الذي اشارت اليه خواتيم سورة البقرة وان شيطانه اسلم وفي الخصايص
الصغرى واسلم قرينه صلى الله عليه وسلم ومجموع هذه الخصال سبع عشرة
خصلة قال الحافظ ابن حجر ويمكن ان يوجد اكثر من ذلك لمن امعن التتبع
وذكر ابو سعيد النيسابوري رحمه الله في شرف المصطفى انه عد الذي اختص به

يص

نبينا صلى الله عليه وسلم في امته ان وصف الاسلام خاص بها لم يوصف به
احد من الامم السابقة سوى الانبيا فقط فقد شرفت هذه الامة المحمدية بان
وصفت بالوصف الذي كان يوصف به الانبيا عليهم الصلاة والسلام وهو الاسلام
على القول الراجح نقلا ودليلا لما قام عليه من الادلة الساطعة قاله الجلال السيوطي
رحمه الله والله اعلم **باب بدء الوحي له صلى الله عليه وسلم** عن
عائشة رضي الله عنها اول ما بدي به رسول الله صلى الله عليه وسلم من النبوة
حين اراد الله تعالى كرامته ورحمة العباد به الرؤيا الصالحة لا يرى رؤيا الا
جاءت كفلق اي وفي لفظ كفرق الصبح اي لضيائه وانارته فلا يشك فيها
احد كما لا يشك احد في وضوح الصبح ونوره وفي لفظ فكان لا يرى شيئا في المنام
الا كان اي وجد في اليقظة كما روى فالمراد بالصالحة الصادقة وقد اجاب في
رواية البخاري في التفسير اي ولا يخفى ان رؤيا النبي صلى الله عليه وسلم كلها
صادقة وان كانت شاقة كما في رؤياه صلى الله عليه وسلم في احد **قال**
قال القاضي وغيره وانما ابتدئ رسول الله صلى الله عليه وسلم بالرؤيا لئلا
يفجأه الملك الذي هو جبريل عليه السلام بالنبوة اي الرسالة فلا تحتملها القوى
البشرية لا تحتمل رؤية الملك وان لم يكن على صورته التي خلقه الله عليها وعلى
سماع صوته ولا على ما يخبر به لا سيما الرسالة فكانت الرؤيا تانيسا له والمراد
بالملك جبريل لكن ذكر بعضهم ان من لطف الله تعالى بنا عدم رؤيتنا للملائكة
اي على الصورة التي خلقوا عليها لانهم خلقوا على احسن صورة فلو كنا نراهم
لطارت اعيننا وارواحنا لحسن صورهم وعن علقمة بن قيس اول ما يؤتى به
الانبيا في المنام اي ما يكون في المنام حتى تهدأ قلوبهم ثم ينزل الوحي انتهى
اي في اليقظة لان رؤيا الانبيا عليهم الصلاة والسلام وحي وصدق وحق لا اضغاث
احلام ولا تخيل من الشيطان اذ لا سبيل له عليهم لان قلوبهم نورانية فما يرونه
في المنام له حكم اليقظة بجميع ما ينطبع في عالم مثالهم لا يكون الا حقا ومن ثم
جا نحن معاشر الانبيا تنام اعيننا ولا تنام قلوبنا **اقول** وفي كون القول بان
خصوصياته صلى الله عليه وسلم اجتماع الانواع الثلاثة وعد منها الرؤية في المنام
وعد منها الكلام من غير واسطة وبواسطة جبريل عليه السلام نظر لما علمت ان
الانبيا جميعهم مشتركون في الرؤية وموسى عليه الصلاة والسلام حصل له كل
من الكلام بلا واسطة وبواسطة جبريل عليه الصلاة والسلام وذكر بعضهم ان
ان مدة الرؤيا ستة اشهر قال فيكون ابتدا الرؤيا حصل في شهر ربيع الاول
وهو مولده صلى الله عليه وسلم ثم اوحي اليه في اليقظة اي في رمضان ذكره
البيهقي وغيره وجا في الحديث الرؤيا الصادقة وفي البخاري الرؤيا الحسنة اي الصادقة

من الرجل الصالح جزء من ستة
واربعين جزءا من النبوة

من الرجل الصالح جزء من ستة واربعين جزءا من النبوة قال بعضهم معناه ان النبي
صلى الله عليه وسلم حين بعث اقام بمكة ثلاث عشرة سنة وبالمدينة عشر
سنين يوحى اليه فمدة الوحي اليه في اليقظة ثلاث وعشرون سنة ومدة الوحي اليه
في المنام اي التي هي الرؤية ستة اشهر فالمراد خصوص رؤيته وخصوص نبوته
صلى الله عليه وسلم وهذا القيل نقله في الهدي واقره حيث قال قيل كانت
جزءا من ستة واربعين جزءا من النبوة هذا كلامه وح يكون المعنى ورؤياي جزء من
ستة واربعين جزءا من نبوتي ولا يخفى ان هذا لا يناسب الرؤيا الصالحة من الرجل
الصالح وهو يقتضي ان مطلق الرؤية الصالحة جزء من مطلق النبوة الشامل لنبوته
صلى الله عليه وسلم ونبوة غيره فليتأمل ولم اقف في كلام احد على مشاركة احد
من الانبيا له صلى الله عليه وسلم في هذين المدتين وح يحمل الخصوصية التي
ادعاها بعضهم على هذا ومما يدل على ان المراد مطلق الرؤيا ومطلق النبوة لا خصوص
رؤياه ونبوته صلى الله عليه وسلم ما جا في ذلك من الالفاظ التي بلغت خمسة عشر
لفظا ففي رواية انها جزء من سبعين جزءا وفي رواية من اربعة واربعين جزءا وفي رواية
انها جزء من خمسين جزءا من النبوة وفي رواية من تسعة واربعين وفي اخرى اي انها
جزء من ستة وسبعين وفي اخرى من خمس وعشرين جزءا وفي اخرى من ستة وعشرين
وفي اخرى من اربعة وعشرين جزءا فان ذلك باعتبار الاشخاص لتفاوت مراتبهم
في الرؤيا **وذكر** الحافظ ابن حجر ان اصح الروايات مطلقا رواية ستة واربعين ثم
ويليها رواية انها جزء من سبعين جزءا فقد ثبت ان الرؤية المذكورة جزء من مطلق
النبوة او لجزء منها من جهة الاطلاع على بعض الغيب فلا ينافي انقطاع النبوة بموته
صلى الله عليه وسلم ومن ثم جا رفعت النبوة وبقيت المبشرات اي الراى اي التي
كانت مبشرات للانبيا بالنبوة بدليل ما في رواية لم يبق بعدي من المبشرات اي مبشرات
النبوة الا الرؤيا اي مجرد الرؤيا الخالية عن شي من مبشرات النبوة بدليل ما في لفظ
لم يبق الا الرؤية الصالحة يراها المسلم او ترى له لا يقال الرؤيا الصادقة قد تكون من
الكافر ولو هو [illegible] بالرجل الصالح وبالمسلم لانا نقول لو فرض وقوع ذلك كان
استدراجا وفيه انها واقعة وظاهر سياق الحديث الحصر وكما تكون الرؤية مبشرة
بخير عاجلا واجلا تكون منذرة بشر كذلك قال بعضهم وقد تطلق البشارة التي هي
الخبر السار على ما يشمل النذارة التي هي الخبر الضار بنحو المجاز بان يراد بالبشارة
ما يعود الى الخبر لان النذارة بما قادت الى الخبر وفي الاتقان ومن المجاز تسمية
الشي باسم ضده نحو فبشرهم بعذاب اليم انتهى اي وهو في هذه الاية تهكم
وجا رجل اي وهو ابو قتادة الانصاري رضي الله عنه الى النبي صلى الله عليه وسلم
فقال يا رسول الله اني ارى في المنام الرؤيا تمرضني فقال النبي صلى الله عليه وسلم

الرويا الحسنة من الله والسيئة من الشيطان فاذا رايت الرويا تكرهها فاستعذ بالله
من الشيطان الرجيم واتفل عن يسارك ثلاث مرات فانها لا تضرك اي وحكمة التفل
احتقار الشيطان واستقذاره وفي رواية اذا راي احدكم ما يكرهه فليتعوذ بالله من
شرها ومن شر الشيطان الرجيم كان يقول اعوذ بالله من شر ما رايت ومن شر الشيطان
وليتفل ثلاثا ولا يحدث بها احدا فانها لا تضره زاد في رواية وان يتحول عن جنبه
الذي كان عليه زاد في اخرى وليتيمم فليصل اي ليكون فعل ذلك سببا للسلامة
من المكروه الذي راه وفي البخاري اذا راي احدكم الرويا يحبها فانما هي من الله
فليحمد الله عليها وليتحدث بها ولا يخبر بها الا من يحب واذا راي غير ذلك مما يكره
فانما هي من الشيطان اي لا حقيقة لها وانما تخيل يقصد به تخويف الانسان والتهويل
عليه فليستعذ بالله من شرها ولا يذكرها لاحد فانها لا تضره وفي الاذكار
ثم ليقل اللهم اني اعوذ بك من عمل الشيطان وسيئات الاحلام وفي الحديث الرويا
الصالحة من الله والحلم من الشيطان فيه تنبيه على معناه لان صاحب الرويا يرى الشي على
ما هو عليه بخلاف صاحب الحلم اذا فسد والرويا قيل انها امثلة يدركها الرائي بجزء
من القلب لم تستولي عليه افة النوم واذا ذهب النوم عن اكثر القلب كانت الرويا
اضغاثا وذكر الفخر الرازي ان الرويا الرديئة يظهر تعبيرها اي اثرها عن قرب
والرويا الجيدة انما يظهر تعبيرها بعد حين والسبب فيه ان حكمة الله تعالى تقتضي
ان لا يحصل الاعلام بوصول الشر الا عند قرب وصوله حتى يكون الحزن والغم اقل
والاعلام بالخير فانه يحصل متقدما على ظهوره بزمان طويل حتى تكون البهجة
الحاصلة بسبب توقع حصوله ذكر الخير اكثر وايضا جري على ما هو الغايب والافضل
قيل لجعفر الصادق كم تتاخر الرويا فقال راي النبي صلى الله عليه وسلم كان
كلبا ابقع يلغ في دمه فكان اي ذلك الابقع شمرا قاتل الحسين وكان ابرص فكان
تاخر الرويا بعد خمسين سنة وجا عن عمرو بن شرحبيل ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال لخديجة رضي الله عنها اذا خلوت سمعت ندا ان يا محمد يا محمد وفي
رواية اري نورا اي يقظة لا مناما واسمع صوتا وقد خشيت ان يكون والله لهذا
امرا وفي رواية والله ما ابغضت بغض هذه الاصنام شيئا قط ولا الكهان واني
لاخشى ان اكون كاهنا اي فيكون الذي يناديني تابع من الجن لان الاصنام
كانت الجن تدخل فيها وتخاطب سدنتها والكاهن ياتيه الجن بخبر السما وفي رواية
واخشى ان يكون بي جنونا اي لمة من الجن فقالت له يا ابن عم ما كان الله ليفعل
ذلك بك فوالله انك لتودي الامانة وتصل الرحم وتصدق الحديث وفي رواية ان
خلقك كريم اي فلا يكون للشيطان عليك سبيل استدلت رضي الله عنها بما فيه من
الصفات العلية والاخلاق السنية على انه لا يفعل به الا خيرا لان من كان كذلك

لا يجري الا خيرا
ونقل

ونقل الماوردي رحمه الله عن الشعبي رحمه الله تعالى ان الله تعالى قرن اسرافيل
عليه السلام بنبيه صلى الله عليه وسلم ثلاث سنين يسمع حسه ولا يرى شخصه
يعلمه الشي بعد الشي ولا يذكر له القران فكان في هذه المدة مبشرا بالنبوة وامهل
هذه المدة ليتاهب لوحيه وفيه انه لو كان في تلك المدة مبشرا بالنبوة لما قال
لخديجة ما تقدم الا ان يقال ما تقدم انما قاله لخديجة في اول الامر ويدل لذلك
ما قيل انه مكث خمسة عشر سنة يسمع الصوت احيانا ولا يرى الشخص وسبع سنين
يرى نورا ولم يري شيئا غير ذلك وان المدة التي بشر فيها بالنبوة كانت ستة
اشهر من تلك المدة التي هي اثنان وعشرون سنة وهذا الشي الذي كان يعلمه
اسرافيل لم اقف على ما هو والله اعلم وبعد ذلك حبب الله تعالى اليه الخلوة
صلى الله عليه وسلم الخلو الذي يكون فيه فراغ القلب والانقطاع عن الخلق
فهي تفرغ القلب عن اشتغال الدنيا لدوام ذكر الله تعالى فيصفو وتشرق عليه
انوار المعرفة لدوام فلم يكن شي احب اليه من ان يخلو وحده وكان يغار حرا
بالمد والقصر وهذا الجبل هو الذي نادي رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله
الي يا رسول الله لما قال له ثبير وهو على ظهره اهبط عني يا رسول الله فاني
اخاف ان تقتل على ظهري يا رسول الله فاعذب فكان صلى الله عليه وسلم يتحنث
ان يتعبد اي يغار حرا الليالي ذوات ويروي اولات العدد وايامها وانما غلب
الليالي لانها انسب بالخلوة قال بعضهم وابهم العدد لاختلافه بالنسبة الى المدة
فتارة كان ثلاث ليال وتارة سبع ليال وتارة شهر رمضان او غيره وفي كلام
بعضهم ما قد يدل على انه لم يختل اقل من شهر وح يكون قوله في الحديث الليالي
ذوات العدد محمول على القدر الذي كان صلى الله عليه وسلم يتزود له فاذا
فرغ زاده رجع الي مكة ويتزود الي غيرها الي ان يتم الشهر وكذا قول بعضهم
فتارة كان ثلاث ليال وتارة سبع ليال وتارة شهرا ولم يصح انه اختلا اكثر
من شهر قال السراج البلقيني في شرح البخاري لم يجي في الاحاديث التي وقفنا
عليها كيفية تعبده عليه الصلاة والسلام هذا كلامه وسياتي بيان ذلك تقريبا
ثم اذا مكث صلى الله عليه وسلم تلك الليالي اي وقد فرغ زاده يرجع الى خديجة
رضي الله عنها فيتزود لمثلها اي وقيل كانت زوادته صلى الله عليه وسلم الكعك
والزيت وفيه ان الكعك والزيت في المدة الطويلة فيمكث جميع الشهر الذي
يختلي فيه ثم رايت عن الحافظ بن حجر مدة الخلوة كانت شهرا فكان يتزود لبعض
ليالي الشهر فاذا نفد ذلك الزاد رجع الي اهله يتزود قدر ذلك ولم يكونوا
في سعة بالغة من العيش وكان غالب ادمهم اللبن واللحم وذلك لا يدخر منه
كفاية شهر لئلا يسرع الفساد اليه لا سيما وقد وصف بانه صلى الله عليه وسلم

كان يطعم من يرد عليه هذا كلامه وهو يشير فيه الى ثلاث اجوبة الاول انه صلى الله
عليه وسلم لم يكن في سعة حتى يدخر ما يكفيه شهرا من الكعك والزيت الثاني ان
غالب ادمهم كان اللحم واللبن وهو لا يدخر شهرا الثالث انه على فرض انه يدخر ما
يكفيه شهرا اي من الكعك والزيت الا انه كان يطعم وربما نفد ما ادخره وانما اختار
الزيت للادم لان دسومته لا ينفر منها الطبع بخلاف اللبن واللحم ومن ثم جا ايتدموا
من هذه الشجرة المباركة اي من عصارة ثمرة هذه الشجرة المباركة التي هي الزيتونة
وهو الزيت وقيل لها مباركة لانها لا تكاد تنبت الا في شريف البقاع التي بورك فيها
كارض بيت المقدس حتى جاءه الحق في غار حرا اي في اليوم والشهر المتقدم ذكرهما
وعن عبيد بن عمير رضي الله عنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يجاور في
حرا في كل سنة شهرا وكان ذلك مما تحنث فيه قريش في الجاهلية اي المتألهين
منهم او كانت اول من تحنث فيه من قريش جده صلى الله عليه وسلم عبد المطلب
فقد قال ابن الاثير واول من تحنث بحرا عبد المطلب كان اذا دخل شهر رمضان
صعد حرا واطعم المساكين ثم تبعه على ذلك من كان يتاله اي يتعبد كورقة بن
نوفل وابي امية بن المغيرة وقد اشار الى تعبده صلى الله عليه وسلم صاحب الهمزية
بقوله ∴ الف النسك والعبادة والخلوة ∴ طفلا وهكذا النجباء ∴
∴ واذا حلت الهداية قلبا ∴ نشطت في العبادة الاعضاء ∴
اي الف العبادة والخلوة في حال كونه طفلا ومثل هذا الشان العلي شان الكرام
وانما كان هذا شان الكرام لانه اذا حلت الهداية قلبا نشطت الاعضا في العبادة
لان القلب رئيس البدن المعول عليه في صلاحه وفساده ولعل الخلوة في كلام صاحب
الهمزية المراد به مطلق اعتزاله للناس واراد بطفل من رضاعه صلى الله عليه وسلم
من حليمة فقد تقدم عنها رضي الله عنها انها قالت لما ترعرع رسول الله صلى الله
عليه وسلم كان يخرج الى الصبيان وهم يلعبون فيجتنبهم لا خصوص اعتزاله الناس
في غار حرا فلا ينافي قوله طفلا ظاهر ما تقدم من ان خلوته صلى الله عليه وسلم
بغار حرا كان في زمن تزوجه بخديجة رضي الله عنها فكان صلى الله عليه وسلم
يجاور ذلك الشهر يطعم من جاءه من المساكين وقد قيل ان هذا كان تعبده صلى الله
عليه وسلم في غار حرا مع الانقطاع عن الناس والا فمجرد اطعام المساكين لا يختص
بذلك المحل الا اذا كان ذلك المحل صار في ذلك الشهر مقصودا للمساكين دون غيره
وقيل كان تعبده التفكر مع الانقطاع عن الناس اي لا سيما ان كانوا على باطلهم
لان في الخلوة يخشع القلب وينسى المألوف من مخالطة ابناء الجنس المؤثرة في الانس البشري
ومن ثم قيل الخلوة صفوة الصفوة وقول بعضهم كان يتعبد بالتفكر اي مع الانقطاع
لما ذكر والا فمجرد التفكر لا يختص بذلك المحل الا ان يدعى ان التفكر في غيره لعدم

وجود

وجود شاغل به وقيل كان تعبده صلى الله عليه وسلم بالذكر وصح في سفر السعادة
وقيل بغير ذلك من ذلك الغير انه قيل كان يتعبد قبل النبوة بشرع ابراهيم وقيل
بشريعة موسى غير ما نسخ منها من ذلك في شرعنا وفي كلام الشيخ محيي الدين
ابن العربي رحمه الله تعبده صلى الله عليه وسلم قبل نبوته كان بشريعة ابراهيم
عليه الصلاة والسلام حتى فجاه الوحي وجاءته الرسالة فالولي الكامل يجب عليه
متابعة العمل بالشريعة المطهرة حتى يفتح الله له في قلبه عين الفهم عنه فيلهم
معاني القران ويكون من المحدثين بفتح الدال ثم يصير الى ارشاد الخلق وكان
صلى الله عليه وسلم اذا قضى جواره من شهره ذلك كان اول ما يبدا به اذا
انصرف قبل ان يدخل بيته الكعبة فيطوف بها سبعا او ما شاء الله تعالى ثم يرجع
الى بيته حتى اذا كان الشهر الذي اراد الله به ما اراد من كرامته وذلك في
شهر رمضان وقيل شهر ربيع الاول وقيل شهر رجب خرج رسول الله صلى الله
عليه وسلم الى حرا كما كان يخرج الى جواره ومعه اهله اي عياله التي هي خديجة
اما مع اولادها او بدونهم حتى اذا كانت الليلة التي اكرمه الله فيها برسالته
ورحم العباد به وتلك الليلة ليلة سبع عشرة من ذلك الشهر وقيل رابع عشريه
وقيل كان ذلك ليلة ثمان من ربيع الاول اي وقيل ليلة ثالثة قال بعضهم القول
بانه في ربيع الاول يوافق القول بانه بعث على راس الاربعين لان مولده صلى الله
عليه وسلم كان في ربيع الاول على الصحيح وهو قول الاكثرين وقيل كان ذلك
ليلة او يوم السابع والعشرين من رجب فقد اورد الحافظ الدمياطي رحمه الله تعالى
في سيرته عن ابي هريرة رضي الله عنه قال من صام يوم سبع وعشرين من رجب
كتب الله له صيام ستين شهرا وهو اليوم الذي نزل فيه جبريل عليه السلام
على النبي صلى الله عليه وسلم بالرسالة واول يوم اهبط فيه جبريل عليه السلام
هذا كلامه واول يوم هبط على النبي صلى الله عليه وسلم ولم يهبط عليه قبل ذلك
وسياتي في بعض الروايات ان جبريل نزل في سحر تلك التي هي ليلة الاثنين ويجوز
ان يكون كل من تلك الليالي كانت ليلة الاثنين فقد جاء ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال لبلال رضي الله تعالى عنه لا يفوتنك صوم يوم الاثنين لاني ولدت فيه
وبعثت فيه فلا مخالفة بين كونه في الليل وبين كونه في اليوم لان وقت السحر قد
يلحق بالليل وفي كلام بعضهم اتاه جبريل ليلة السبت وليلة الاحد ثم ظهر له
بالرسالة يوم الاثنين لسبع عشرة خلت من رمضان في حرا فجاءه بامر الله تعالى
وهذا القول اي ان البعث كان في رمضان قال جماعة منهم الامام الصرصري رحمه
الله تعالى حيث قال ∴ واتت عليه اربعون فاشرقت ∴ شمس النبوة منه في رمضان ∴
واحتجوا ان اول ما اكرمه الله تعالى بنبوته انزل عليه القران واجيب بان المراد

نزول القران في رمضان نزوله جملة واحدة في ليلة القدر الى بيت العزة في سما الدنيا
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاني وانا نايم بنمط وهو ضرب من البسط وفي
رواية جاني وانا نايم بنمط من ديباج فيه كتاب اي كتابة فقال اقرا فقلت ما انا بقارى
اي اني انا لا احسن القراة اي قراة المكتوب او مطلقا فغطني به اي غمني بذلك النمط او
حمله على فمه وانفه قال حتى ظننت انه الموت ثم ارسلني فقال اقرا اي من غير هذا
المكتوب فقلت ماذا اقرا ما اقول ذلك الا افتدا منه اي تخلصا منه ان يعود الى
مثل ما صنع اي انما استفهمت عما اقراه ولم انف ضعفا ان يعود لي بمثل ما صنع النبي
اي وفي رواية فقلت والله ما قرات شيا قط وما ادري شيا اقراه اي لاني ما قرات وما ادري ما
شيا فهو من عطف السبب على المسبب قال اقرا باسم ربك الذي خلق خلق الانسان من
علق اقرا وربك الاكرم الذي علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم فقراتها فانصرف
عني وهببت اي استيقظت من نومي فكانما كتبت في قلبي كتابا **اقول** اي استقر
ذلك في قلبي وحفظته ثم لا يخفى ان كلام هذا البعض وهو انه جاه ليلة السبت وليلة
الاحد ثم ظهر له يوم الاثنين محتمل لان يكون اتاه بذلك النمط ليلة السبت وليلة
الاحد وسحر يوم الاثنين وهو نايم لا يقظة لقوله هببت من نومي ولا ينافي ذلك قوله
ثم ظهر له بالرسالة اي اعلن له بما يكون سببا للرسالة الذي هو اقرا الى اخره في
اليقظة وح يكون تكرير مجيئه هو السبب في استقرار ذلك في قلبه صلى الله عليه وسلم
وح لا يبعد قوله في الليلة الثانية ما قرات شيا لان المراد لم يتقدم لي قراة قبل
مجيئك الي ولا يبعد ايضا قوله ما ادري ما اقرا لانه لم يستقر ذلك في قلبه لما علم
ان سبب الاستقرار التكرر فلم يستقر ذلك في قلبه صلى الله عليه وسلم في الليلة
الاولى وفي سيرة الشمس الشامي رحمه ان مجي جبريل بالنمط لم يتكرر وانه كان
قبل دخوله صلى الله عليه وسلم غار حرا وهذا السياق يدل على انه كان بعد
وفي سفر السعاده ما يقتضي انه جاه صلى الله عليه وسلم بالنمط يقظة في حرا فانه
بينا هو في بعض الايام قايم على جبل حرا اذ ظهر له شخص وقال ابشر يا محمد يا
احمد انا جبريل وانت رسول الله صلى الله عليه وسلم لهذه الامة ثم اخرج له قطعة
نمط من حرير مرصعة بالجواهر ووضعها في يده وقال اقرا قال والله ما انا بقاري
ولا اقرا وفي هذه الرسالة كتابة اي لا اعلم ولا اعرف المكتوب فيها قال فضمني اليه
وغطني حتى بلغ مني الجهد فعل بي ذلك ثلاثا وهو يامرني بالقراة ثم قال اقرا
باسم ربك هذا كلامه فليتامل **قال** رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرجت
من الغار لان كل ذلك كان قبل مجي جبريل اليه باقرا خلافا لما تقتضيه السياق
حتى اذا كنت في شط من الجبل اي في جانب منه سمعت صوتا من السما يقول يا محمد
انت رسول الله وانا جبريل فوقفت انظر اليه فاذا جبريل على صورة رجل صاف

وما ادري ما

قدميه وفي رواية واضعا احد رجليه على الاخرى في افق السما اي نواحيها يقول
يا محمد انت رسول الله وانا جبريل فوقفت انظر اليه فما اتقدم وما اتاخر وجعلت
اصرف وجهي عنه في افق السما فلا انظر في ناحية فيها الا رايته كذلك فما زلت
واقفا ما اتقدم امامي وما ارجع ورايي حتى بعثت خديجة رسلها في طلبي فبلغوا
مكة ورجعوا اليها وانا واقف في مكاني ذلك ثم انصرف عني وانصرفت راجعا
الى اهلي حتى اتيت خديجة اي في الغار فجلست الى فخذها مضيفا اليها اي مستندا
اليها فقالت يا ابا القاسم اين كنت فوالله لقد بعثت رسلي في طلبك فبلغوا مكة
ورجعوا **اقول** وهذا يدل على ان خديجة رضي الله عنها كانت معه بغار حرا
وهو الموافق لما تقدم من قوله ومعه اهله اي خديجة رضي الله عنها على ما تقدم
وقد يخالف ذلك ما روي ان خديجة صنعت طعاما ثم ارسلته الى رسول الله صلى
الله عليه وسلم فلم تجده بحرا فارسلت في طلبه الى بيت اعمامه واخواله فلم تجده
فشق عليها ذلك فبيناهي كذلك اذ اتاها وحدثها بما سمع وراي **فهذا** يدل
على انها لم تكن معه بحرا وقد يقال يجوز ان تكون خرجت معه اولا وارسلت
رسلها اليه صلى الله عليه وسلم وهو بحرا فلم تجده وان الرسل اخطا واو محل
وقوفه بالجبل الذي هو حرا ثم رجعت الى مكة وارسلت رسلها اليه بحرا لاحتمال عوده
اليه ثم ارسلت اليه الى بيت اعمامه واخواله لما لم تجده بحرا فارسالها تكرر مرتين
مع اختلاف محلها فيكون قوله وانصرفت راجعا الى اهلي اي بمكة لا بحرا لانه
يجوز ان يكون بلغه رجوع خديجة الى مكة هذا على مقتضى الجمع واما على ظاهر
الرواية الاولى فيكون رجوعه الى اهله بحرا كما ذكرنا وهو يدل على ان خروجه
الى شط الجبل كان من غار حرا كما ذكرنا لا من مكة الذي يدل عليه قول الشمس
فخرج مرة اخرى الى حرا قال فخرجت حتى اتيت الشط من الجبل سمعت صوتا
الى اخره والله اعلم **قال** صلى الله عليه وسلم ثم حدثها بالذي رايت اي
من سماع الصوت ورؤية جبريل عليه السلام وقوله يا محمد انت رسول الله
فقالت ابشر يا ابن عم واثبت فوالذي نفسي بيده اني لارجو ان تكون نبي هذه الامة
ثم قامت فجمعت عليها ثيابها التي تتجمل بها عند الخروج ثم انطلقت الى ورقة
بن نوفل فاخبرته بما اخبرها به رسول الله صلى الله عليه وسلم انه راي وسمع
اي راي جبريل وسمع منه انت رسول الله وانا جبريل فقال ورقة قدوس
قدوس بالضم والفتح والذي نفسي بيده لان كنت صدقت يا خديجة لقد جاءه
الناموس الاكبر الذي كان ياتي موسى الذي هو جبريل وانه لنبي هذه الامة
فقولي له يثبت والقدوس الطاهر المنزه عن العيوب وهذا يقال للتعجب اي وجا
بدل قدوس سبوح سبوح وما لجبريل يذكر في هذه الارض التي تعبد فيها الاوثان

جبريل امين الله بينه وبين رسله اي لان هذا الاسم لم يكن معروفا بمكة ولا غيرها
من بلاد العرب فرجعت خديجة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبرته بقوله ثم
ورقة بن نوفل فلما قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم جواره انصرف لفراغ ما تزوده
وليس المراد انقضا جواره بانقضا الشهر لان ذلك كان في الشهر الذي اكرمه الله فيه
برسالته فصنع ذلك صنع كما كان يصنع بدا بالكعبة فطاف بها فلقيه ورقة بن نوفل
وهو يطوف بالكعبة فقال له يا ابن اخي اخبرني بما رايت وبما سمعت فاخبره رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال له ورقة والذي نفسي بيده انك لنبي هذه الامة ولقد
جاءك الناموس الاكبر الذي جا به موسى عليه السلام ولتكذبنه ولتوذينه ثم
ولتقاتلنه ولتخرجنه بها السكن ولا تكون الا ساكنه ولئن انا ادركت ذلك اليوم لانصرن
الله نصرا يعلمه ثم ادنى ورقة راسه صلى الله عليه وسلم منه فقبله وقبل يافوخه
اي وسط راسه لان اليافوخ بالهمز وسط الراس اذا اشتد وقبل اشتداده كما في
راس الطفل يقال له الفادية بالفا ثم انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم الى منزله
اي ولا مانع من تكرر مراجعة ورقة فتارة قال قدوس وتارة قال سبوح سبوح
وجمع ذلك في وقت واحد وبعض الرواة اقتصر على احد اللفظين وقد جا ان ابا بكر
رضي الله عنه دخل على خديجة رضي الله عنها وليس عندها رسول الله صلى الله عليه
وسلم فقالت له يا عتيق اذهب بمحمد الى ورقة اي تجدان اخبرته بما اخبرها به رسول
الله صلى الله عليه وسلم كما سنذكر فلما دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم اخذ
ابو بكر رضي الله عنه بيده فقال انطلق بنا الى ورقة فذهب به الى ورقة فقال له
رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا خلوت وحدي سمعت ندا خلفي يا محمد يا محمد ثم
فانطلق هاربا الى الارض فقال له لا تفعل اذا اتاك فاثبت حتى تسمع ما يقول ثم ائتني
اي وهذا قبل ان يراه ويجتمع به ويجي اليه بالقران وح يكون تكرر رسو الى ورقة
ثلاث مرات الاولى على يد ابي بكر رضي الله عنه وذلك قبل ان يرى جبريل عليه
السلام والثانية الذي راي فيها جبريل عليه السلام وسمع منه ولم يجتمع به وذلك
اجتماعه صلى الله عليه وسلم به في المطاف الثالثة التي هي بعد مجي جبريل عليه السلام
لم يقظ بالقران اي اقرا باسم ربك على المشهور من انه اول ما نزل وذلك على يد
خديجة ولا ينافي ذلك ما ذكره الحافظ بن حجر رحمه الله كما سياتي ان القصة لم تتعدد
ومخرجها متحد لان مراده قصة مجي جبريل عليه السلام له صلى الله عليه وسلم
يقظة باقرا باسم ربك وسياتي ما فيه وانما قال ورقة له صلى الله عليه وسلم يا ابن
اخي قيل لانه يجتمع مع عبد الله والد النبي صلى الله عليه وسلم في قصي فكان عبد الله
بمثابة الاخ له او انه قال ذلك توقيرا له صلى الله عليه وسلم وانما ذكر موسى دون
عيسى عليهما الصلاة والسلام مع ان عيسى اقرب منه وهو على دينه لانه كان على

دين موسى

١٤٤

نبيا

موسى عليه السلام ثم صار على دين عيسى عليه السلام اي كان يهوديا ثم صار نصرانيا
لان بنوة موسى عليه السلام مجمع عليها اي على نبوته ناسخة لما قبلها وان شريعة
عيسى عليه السلام متممة ومقررة لشريعة موسى عليهما الصلاة والسلام لا ناسخة
لها قيل ولان ورقة كان فيمن تنصر كما علمت والنصارى لا يقولون بنزول جبريل
على عيسى عليه الصلاة والسلام اي بل كان يعلم الغيب لانهم يقولون فيه انه
احد الاقانيم الثلاثة اللاهوتية وذلك الاقنوم هو اقنوم الكلمة التي هي العلم
مر بناسوت المسيح عليه السلام واتحد به فلذلك كان يعلم الغيب ويخبر بما في الغد
وفيه ان دوايه وانك على مثل ناموس موسى وعيسى عليهما الصلاة والسلام
اي ففي بعض الروايات جمع وفي بعضها اقتصار على موسى وفي الاقتصار على موسى
دون الاقتصار على عيسى عليهما الصلاة والسلام ما علمت ثم رايت انه جا في غير
الصحيح الاقتصار على عيسى عليه السلام فقال هذا الناموس الذي نزل على عيسى
فهو كما جا الجمع بينهما جا الاقتصار على كل منهما ولا ينافي ذلك اي مجي جبريل لعيسى
ما تقدم عن النصارى من انهم لا يقولون بنزول جبريل لجواز ان يكون المراد هم
لا ينزل عليه دائما وابدا بالوحي بل في بعض الاحيان وفي بعضها يعلم الغيب بغير
واسطة ورايت في فتح الباري ان عند اخبار خديجة رضي الله عنها لورقة بالقصة
قال لها هذا ناموس عيسى بحسب ما هو فيه من النصرانية وعند اخبار النبي صلى
الله عليه وسلم له بالقصة قال هذا ناموس موسى للمناسبة بينهما لان موسى
عليه السلام ارسل بالنقمة على فرعون وقد وقعت النقمة على يد نبينا محمد صلى الله
عليه وسلم على فرعون هذه الامة الذي هو ابو جهل هذا كلامه فليتامل وقد
جا انه صلى الله عليه وسلم قال في حق ابي جهل يوم بدر هذا فرعون هذه الامة
والله اعلم وعن عايشة رضي الله عنها جا صلى الله عليه الملك سحرا اي سحر يوم
الاثنين يقظة لا مناما اي بغير غط فقال له اقرا قال ما انا بقارئ اي لا اوجد
القراة قال فاخذني فغطني اي ضمني وعصرني وفي لفظ فاخذ في حلقي حتى بلغ
مني الجهد ثم ارسلني فقال اقرا فقلت ما انا بقارئ اي لا احسن القراة اي
لا احفظ شيا اقراوه فاخذني فغطني الثانية حتى بلغ مني الجهد ثم ارسلني
فقال اقرا فقلت ما انا بقارئ اي اي شي اقراه وفيه انه لو كان كذلك لقال
ما اقراوه وماذا اقراوه الا ان يقال اطلق ذلك واراد لازمه الذي هو الاستفهام
خصوصا وقد ترمه قال فاخذني فغطني الثالثة حتى بلغ مني الجهد ثم ارسلني
فقال اقرا باسم ربك الذي خلق خلق الانسان من علق اقرا وربك الاكرم الذي
علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم وقولنا اي بغير غط هو ظاهر الروايات
ويجوز ان يكون لفظ الغط سقط في هذه الرواية لغيرها من الروايات ويويده

اقتصار السيرة الهشامية على مجيئه بالنمط وايضا كيف الجمع بين قوله هنا ما ذكر
وبين قوله هناك فكانما كتب في قلبي كتابا وما بال المهدمين قديما الا ان يقال يجوز
ان يكون صلى الله عليه وسلم جواز ان يكون جبريل يريد منه قراة غير الذي قراه
وكتبه في قلبه ولا يخفى انه علم ان قول جبريل اقرا امر بالقراة وفيه انه من التكليف
بما لا يطاق اي في الحال ومن ثم ادعى بعضهم انه بمجرد التنبيه والتيقظ لما يلقى اليه
وفيه انه لو كان لم يحسن ان يقال في جوابه ما انا بقاري الذي معناه لا اوجد القراه
الا ان يقال جبريل عليه السلام اراد التنبيه لا الامر وجوابه صلي الله عليه وسلم
بناه علي مقتضى ظاهر اللفظ واعلم ان قوله صلى الله عليه وسلم ما انا بقاري في المواضع
الثلاثة معناه مختلف في الاول معناه الاخبار بعدم ايجاد القران والثاني معناه
الاخبار بانه لا يحسن شيئا يقراوه وان كان ذلك هو مستند الاول والثالث معناه
الاستفهام عن اي شي يقراوه وفيه ما علمت وبعضهم جعل قوله الاول لا اقرا
اي لا احسن القراة بدليل انه جا في بعض الروايات ما احسن ان اقرا وح يكون
بمعنى الثاني فيكون تاكيدا له اي الغرض منهما شي واحد قال بعضهم وجه المناسبة
بين الخلق من العلق والتعلم وتعلم العلم ان ادنى مراتب الانسان كونه علقة واعلاها
كونه عالما فالله تعالى امتن على الموحد الانسان بنقله من ادنى المراتب وهو الجهل
الي اعلاها وهي تعلم العلم وقد اشتملت هذه الايات علي براعة الاستهلال وهو ان
يستهل اول الكلام وهو ما يناسب الحال المتكلم فيه واشير الي مسوق الكلام لاجله فانها
اشتملت علي الامر بالقراة والقراة فيها باسم الله الي غير ذلك مما ذكره في الاتقان
قال فيه ومن ثم قيل انها جديرة ان تسمى عنوان القران وان عنوان الكتاب يجمع
مقاصده بعبارة موجزة في اوله وكرر جبريل عليه السلام الغط ثلاثا للمبالغة واخذ منه
تعليم القران الكريم من ثلاث ضربات واورد الحافظ السيوطي عن الكامل لابن عدي
بسند ضعيف عن بن عمر رضي الله عنهما ان النبي صلى الله عليه وسلم نهى ان يضرب
المؤدب فوق ثلاث ضربات وذكر السهيلي رحمه الله ان في ذلك اي الغط ثلاثا اشارة
الي انه صلى الله عليه وسلم يحصل له شدايد ثلاث ثم يحصل له الفرج بعد ذلك
وكانت الاولى ادخال قريش له الشعب والتضييق عليه والثانيه اتفاقهم علي الاجماع
علي قتله والثالثه خروجه صلى الله عليه وسلم من احب البلاد اليه وجاءه صلى الله عليه
وسلم جبريل وميكاييل اي قبل قول جبريل عليه السلام له اقرا فشق جبريل بطنه
وقلبه الي اخر ما تقدم في الكلام علي الرضاع ثم قال له جبريل عليه السلام اقرا الحديث
فعلم ان اقرا باسم ربك نزلت من غير بسملة وقد صرح بذلك الامام البخاري رحمه
الله تعالي وما ورد عن ابن عباس رضي الله عنهما ان اول ما نزل جبريل عليه السلام
علي محمد صلى الله عليه وسلم قال يا محمد استعذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم

قال

قال قل بسم الله الرحمن الرحيم ثم قال اقرا باسم ربك قال الحافظ بن كثير هذا الاثر
غريب في اسناده ضعف وانقطاع اي فلا يدل للقول بان اول ما نزل بسم الله الرحمن
الرحيم حكاه بن النقيب رحمه في مقدمة تفسيره وبه يرد علي الجلال السيوطي رحمه الله
حيث قال وعندي ان هذا لا يعد قولا براسه فانه من ضرورة نزول السورة نزول
البسملة معها اي سورة اقرا نزول البسملة معها فهي اول اية نزلت علي الاطلاق هذا كلامه والله
اعلم قال الحافظ بن حجر رحمه الله تعالى هذا الذي وقع له صلى الله عليه وسلم
في ابتدا الوحي من خصايصه صلى الله عليه وسلم اذ لم ينقل عن احد من الانبيا
عليهم الصلاة والسلام انه جرى له عند ابتدا الوحي مثل ذلك ولما قرا رسول الله
صلى الله عليه وسلم تلك الاية رجع بها ترجف بوادره والبادرة اللحمة التي بين
المنكب والعنق يتحرك عند الفزع ويقال لها الفريصة والفرايص وفي رواية فواده
اي قلبه ولا مانع من اجتماع الامرين لان تحريك البادره ناشي عن فزع القلب حتى
دخل صلى الله عليه وسلم علي خديجة رضى الله عنها فقال زملوني اي غطوني
بالثياب فزملوه حتى ذهب عنه صلى الله عليه وسلم الروع بفتح الرا اي الفزع ثم
اخبرها الخبر وقال لقد خشيت علي نفسي وفي روايه علي عقلي كما في الامتاع قالت
له خديجة كلا ابشر فوالله لا يخزيك الله ابدا اي يفضحك انك لتصل الرحم وتصدق
الحديث وتحمل الكل اي الشي الذي يحصل منه التعب والاعيا لغيرك وتكسب المعدوم
بضم التا والمعدوم الذي لا مال له لان من لا مال له كالمعدوم اي توصل اليه الخير
الذي لا يجده عند غيرك وبهذا يعلم سقوط قول الخطابي الصواب المعدم بلا واو
لان المعدوم اي الشخص المعدوم لا يكسب اي لا يعطى الكسب وتقري الضيف وتعين
علي نوايب الدهر علي حوادثه فانطلقت به خديجة رضى الله عنها اي عم اسمع بن
اخيك اي وقولها اي عم صوابه ابن عم لانه بن عمها لا عمها كما وقع في مسلم قال
بن حجر وهو وهم لانه وان كان صحيحا لجواز ارادة التوقير لكن القصة لم يتعدد
ومخرجها متحد اي فلا يقال يجوز انها جاءت اليه بعد نزول الاية مرتين قالت في مرة
اي عم وفي مرة اي بن عم قال ورقة يا ابن اخي ماذا ترى فاخبره رسول الله
صلى الله عليه وسلم خبر ما راى فقال له ورقة هذا الناموس الذي انزل على موسى
اي صاحب سر الوحي وهو جبريل عليه السلام يا ليتني فيها جذعا اي يا لا ليتني اكون
في زمن الدعوة اي اظهارها الذي جاء به وانذر واصل وجودها يتقدم علي تاخير الدعوة
التي هي الرسالة علي النبوة على ما ياتي شابا حتى ابالغ في نصرتها يا ليتني اكون حيا
حيث يخرجك قومك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اومخرجي هم بتشديد
اليا المفتوحة لانه جمع مخرج والاصل او مخرجوي حذفت النون للاضافة فصار
مخرجوي فقلبت الواو يا وادغمت قال ورقة نعم لم يات رجل بما جيت به الا

ام الي وقته نسخ فل
وقابلت طحم صحم

عودي اي فتكون سببًا لاخراجه وهذا يفيد بظاهره ان ما تقدم من الانبيا اخرجوا
من اماكنهم لمعاداة قومهم لهم والا فمجرد المعاداة لا تقتضي الاخراج فلا يحسن ان
يكون علامة عليه ويويد ذلك ما تقدم عند الكلام على بنا الكعبة ان كل نبي اذا هم
كذبه قومه خرج من بين اظهرهم الى مكة يعبد الله عز وجل بها حتى يموت وتقدم
ما فيه وهنا كونه صلى الله عليه وسلم لم يقل شيا في جواب قول ورقة انه يكذب
ويؤذى ويقاتل وقال في جواب قوله انه يخرج او مخرجي هم استفهامًا انكاريا
دليل على شدة حب الوطن وعسر مفارقته خصوصًا وذلك الوطن حرم الله وجوار
بيته ومسقط راسه صلى الله عليه وسلم قال ورقة وان ادركني يومك انصرك
نصرا موزرًا اي شديدًا قويا من الازر وهو الشدة والذي في الحديث وان يدركني
يومك وساق في بعض الروايات وان يدركني ذلك قال السهيلي رحمه الله وهو
القياس كما قال اشقى الناس من ادركته الساعة وهو حي هذا كلامه اي وفي بعض
الروايات انه قال لها ان ابن عمك لصادق وان هذا لبدء النبوة وفي لفظ انه لنبي
هذه الامة وفي الشفا ان قوله صلى الله عليه وسلم لخديجة رضي الله عنها لقد خشيت
على نفسي ليس معناه الشك فيما اتاه الله من النبوة ولكنه لعله خشية ان لا تحتمل
قوته مقاومة الملك واعبا الوحي بنا على انه قال ذلك بعد لقاء الملك وارساله اليه
بالنبوة فان للنبوة اثقالا لا يستطيع حملها الا اولوا العزم من الرسل وفي كلام الحافظ
ابن حجر اختلف العلما رحمهم الله في هذه الخشية على اثني عشر قولا واولاها بالصواب
واسلمها من الارتياب ان المراد بها الموت او المرض ودوام المرض هذا كلامه فليتامله
مع رواية خشيت على عقلي قال وفي بعض الروايات ان خديجة قبل ان تذهب به
الى ورقة ذهبت به الى عداس وكان نصرانيا من اهل نينوى قرية سيدنا يونس عليه
الصلاة والسلام فقالت له يا عداس اذكرك الله الا ما اخبرتني هل عندكم علم من
جبريل اي فان هذا الاسم لم يكن معروفا بمكة ولا بغيرها من ارض العرب كما تقدم
فقال عداس قدوس قدوس ما شان جبريل يذكر بهذه الارض التي اهلها اهل اوثان
اي والقدوس المنزه عن العيوب وان هذا يقال للتعجب كما تقدم فقالت اخبرني
بعلمك قال هو امين الله بينه وبين النبيين هو صاحب موسى وعيسى عليهما الصلاة
والسلام انتهى وفيه انه سياتي عند الكلام على ذهابه صلى الله عليه وسلم للطائف
بعد موت ابي طالب يلتمس اسلام ثقيف واجتماع عداس به صلى الله عليه وسلم بعداس الموصوف بما
ذكر لكن في تلك القصة ما يبعد معه كل البعد انه المذكور هنا فليتامل ثم رايت
ان عداس المذكور هنا راهبا وكان شيخا كبير السن وقد وقع حاجباه على عينيه
من الكبر وان خديجة قالت له انعم صباحا يا عداس فقال كان هذا الكلام كلام خديجة
سيدة نساء قريش قالت اجل قال ادني مني فقد ثقل سمعي فدنت منه ثم قالت له

ما تقدم وهذا صريح في انه غير عداس الاتي ذكره وانهما اشتركا في الاسمية والبلد
والدين اي وكونهما غلامين لعتبة بن ربيعة ففي كلام ابن دحية رحمه الله عداس
كان غلامًا لعتبة بن ربيعة من اهل سبق اي عنده علم من الكتاب فارسلت اليه
خديجة تساله عن جبريل فقال قدوس قدوس الحديث ولا يخفى ان هذه الاشتباهات
وقع في بعض الروايات بل شك وفي رواية ان عداس هذا قال لها يا خديجة ان
الشيطان ربما عرض للعبد فاراه امورا فخذي كتابي هذا وانطلقي به الى صاحبك فان
كان مجنونا فانه سيذهب عنه وان كان من الله فلن يضره فانطلقت بالكتاب معها
فلما دخلت منزلها اذا هي برسول الله صلى الله عليه وسلم مع جبريل يقريه هذه الاية
ن والقلم وما يسطرون ما انت بنعمة ربك بمجنون وان لك لاجرا غير ممنون وانك لعلى
خلق عظيم فستبصر ويبصرون بايكم المفتون فلما سمعت خديجة رضي الله عنها
قراته صلى الله عليه وسلم اهتزت فرحا ثم قالت للنبي صلى الله عليه وسلم فداك
ابي وامي امضي معي الى عداس فلما راه عداس كشف عن ظهره الشريف فاذا خاتم
النبوة يلوح بين كتفيه فلما نظر عداس اليه خر ساجدا يقول قدوس قدوس انت
النبي الذي بشر بك موسى وعيسى الحديث وفيه ان كان هذا قبل ان تذهب به
الى ورقة اقتضى ان نزول سورة ن قبل اقرا ولا يحسن ذلك مع قوله صلى الله عليه
وسلم لجبريل عليه السلام ما انا بقارئ اذ هو صريح في انه لم يقرا شيا قبل ذلك
ومن ثم كان المشهور ان اول ما نزل اقرا وكون ن نزلت لهذا السبب مخالف لما ذكر في
اسباب النزول انما نزلت لما وصفه المشركون بانه مجنون الا ان يقال لا مانع من
تعدد النزول وذكر ابن دحية رحمه الله ايضا انه صلى الله عليه وسلم لما اخبرها
بجبريل ولم تكن سمعت به قط كتبت الى بحيرا الراهب فسالته عن جبريل فقال لها
قدوس قدوس يا سيدة نسا قريش اني لك بهذا الاسم فقالت رضي الله عنها بعلي
وابن عمي اخبرني بانه ياتيه فقال انه السفير بين الله وبين انبيائه وان الشيطان
لا يجترئ ان يتمثل به ولا ان يتسمى باسمه وهذه العبارة كون جبريل هو السفير بين
الله وبين انبيائه صدرت من الحافظ رحمه الله وزاد لا يعرف ذلك لغيره من الملائكة
واعترض عليه بعضهم بان اسرافيل كان سفيرا بين الله وبينه صلى الله عليه وسلم
فعن الشعبي رحمه الله انه جا انه صلى الله عليه وسلم النبوة وهو ابن اربعين
سنة وقرن بنبوته جبريل اسرافيل ثلاث سنين فلما مضت ثلاث سنين قرن
بنبوته جبريل وفي لفظ عنه فلما مضت ثلاث سنين تولى عنه اسرافيل وقرن به جبريل
وقد تقدم ان اسرافيل قرن به قبل النبوة ثلاث سنين يسمع حسه ولا يرى شخصه
يعلمه الشي بعد الشي الخ وح يلزم ان يكون قرن به بعد النبوة ثلاث سنين ايضا
وسياتي عن بحث بعض الحفاظ انها مدة فترة الوحي فليتامل فيه واجاب الحافظ السيوطي

عن ذلك بان السفير هو الموصل لذلك وذلك لا يعرف لغير جبريل ولا ينافي ذلك مجي غيره
من الملايكة الى النبي صلى الله عليه وسلم في بعض الاحيان ولذا ان نقول الرواية
ان اسرافيل كان ياتيه بوحي في تلك المدة وجواب الحافظ السيوطي عن ذلك يقتضي ان
اسرافيل وغيره من الملايكة كان ياتيه بوحي من الله قبل مجي جبريل بوحي النبوة ولا يخرجه
ذلك عن الاختصاص باسم السفير وبان اسرافيل لم ينزل لغير النبي صلى الله عليه
وسلم من الانبيا صلوات الله وسلامه عليهم كما ثبت في الحديث فلم يكن السفير بين
الله وبين جميع انبيايه الا جبريل **قيل** لعله وانما خص بذلك لانه اول من سجد من
الملايكة لادم عليه السلام ورايته سيل هل نزل على عيسى عليه السلام بعد نزوله
يوحي اليه فاجاب بنعم واورد حديث النواس بن سمعان الذي اخرجه مسلم واحمد
وابو داود والترمذي والنساي وغيرهم وفيه التصريح بانه يوحي اليه **قال**
والظاهر ان الجاي له بالوحي جبريل عليه السلام قال لانه هو الذي يقطع به ولا يتردد
فيه لان ذلك وظيفته عليه السلام وهو السفير بين الله تعالى وبين انبيائه لا تعرف
ذلك لغيره من الملايكة ثم استدل على ذلك بما يطول **قال** وما اشتهر على
السنة الناس ان جبريل عليه السلام لا ينزل الى الارض بعد موت النبي صلى الله
عليه وسلم فهو شي لا اصل له وزعم زاعم ان عيسى عليه الصلاة والسلام انما
يوحي اليه وحي الهام ساقط **قال** وحديث لا وحي بعدي باطل اي وبدله ما
رايته في كلام بعضهم جبريل ملك عظيم ورسول كريم مقرب عند الله امين على وحيه
وهو سفيره الى انبيائه كلهم وسماه روح القدس والروح الامين واختصه بوحيه من
بين الملايكة المقربين **قال** ورايت في بعض التواريخ ان جبريل عليه السلام نزل
على النبي صلى الله عليه وسلم ستا وعشرين الف مرة ولم يبلغ احد من الانبيا والله اعلم هذا العدد
وفي اسباب النزول للواقدي عن علي كرم الله وجهه لما سمع الندا يا محمد قال
لبيك قال اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله ثم قل الحمد لله رب العالمين
الرحمن الرحيم مالك يوم الدين حتى فرغ السورة اي فلما بلغ ولا الضالين قال
قل امين كما في رواية عن وكيع وابن ابي شيبة وجا في حديث قال بعضهم اسناده
ليس بالقايم اذا دعا احدكم فليختم بامين فان امين في الدعا مثل الطابع على الصحيفة
وفي الجامع الصغير امين خاتم دعا رب العالمين على لسان عباده المومنين اي خاتم
دعا رب العالمين اي يمنع من ان يتصرف اليه رد وعدم قبول ومن ثم لما سمع النبي صلى
الله عليه وسلم رجلا يدعو قال قد اوجب ان ختمت بامين **فاتي** صلى الله عليه
وسلم ورقة فذكر له ذلك فقال له ورقة ابشر ثم ابشر فاني اشهد انك الذي بشر
بك عيسى بن مريم فانك على مثل ناموس موسى عليه السلام نبي مرسل وانك ستومر
بالجهاد بعد يومك ولين ادركني ذلك لاجاهدن معك **قال** هذا لا ينافي القول

بان الفاتحة اول ما نزل عليه كما قال في الكشاف اكثر المفسرين ان يبعد كل البعد ان
يكون هذه الرواية قبل نزول اقرا باسم ربك **ثم رايت** عن البيهقي انه قال فيما
تقدم من اسباب النزول هذا مرسل رجاله ثقات فان كان محفوظا فيحتمل ان يكون
خبرا عن نزولها بعد ما نزلت عليه اقرا والمدثر اي والمدثر نزلت بعد يا ايها المزمل
ثم رايت ابن حجر اعترض ما تقدم عن الكشاف بقوله على الكشاف الذي ذهب اليه
اكثر الايمة هو الاول اي القول الاول بانه اقرا واما الذي نسبه الاكثرون فلم
يقل به الا عدد اقل من القليل بالنسبة الى من قال بالاول هذا كلامه **ثم رايت**
الامام النووي قال القول بان الفاتحة اول ما نزل بطلانه اظهر من ان يذكر
اي ومما يدل على ذلك ما جا من طرق عن مجاهد ان الفاتحة نزلت بالمدينة ففي
تفسير وكيع عن مجاهد ان الفاتحة ~~نزلت بالمدينة~~ الكتاب هي مدنية وفيه ايضا
جا عن قتادة انها نزلت بمكة **وعن** علي كرم الله وجهه كما في اسباب النزول للواحدي
انها نزلت بمكة من كنز تحت العرش وفيها عنه لما قام النبي صلى الله عليه وسلم
بمكة قال بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين قالت قريش رضي الله فاك
وفي الكشاف ان الفاتحة نزلت بمكة وقيل نزلت بالمدينة فهي مكية مدنية هذا
كلامه وتبعه على ترجيح انها مكية القاضي البيضاوي حيث قال وقد صح انها
مكية وفي الاتقان وذكر قوم منه اي مما تكرر اي مما تكرر نزوله الفاتحة قلت ال
فانه لا يقال ذلك الا بنا على انها نزلت بها اي نزلت بمكة ثم بالمدينة مبالغة في
تشريفها وقد اشار القاضي البيضاوي الى ان تكرر نزولها ليس بمجزوم به وقيل
نزل نصفها بمكة ونصفها بالمدينة **قال** في الاتقان والظاهر ان الذي
نزل بالمدينة النصف الثاني ولا دليل لهذا القول هذا كلامه واستدل بعضهم على
انها مكية بان لا خلاف ان سورة الحجر مكية وفيها ولقد اتيناك سبعا من المثاني
والقران العظيم وهي الفاتحة فعن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم وقد قري عليه الفاتحة والذي نفسي بيده ما انزل الله في
التوراة ولا في الانجيل ولا في الزبور ولا في القران مثلها انها لهي السبع المثاني وهو
والقران العظيم الذي اوتيته **وقد حكي** بعضهم الاتفاق على ان المراد بالسبع المثاني في
اية الحجر هي الفاتحة ويؤيد دعوى الاتفاق قول الجلال السيوطي رحمه الله وقد صح عن
ابن عباس رضي الله عنه تفسير السبع المثاني في اية الحجر بالسبع الطوال ومما يدل على
ان المراد بها الفاتحة ما ذكر في سبب نزولها وهو ان عيرا لابي جهل قدمت من الشام
بمال عظيم وهي سبع قوافل ورسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه ينظرون اليها
واكثر اصحابه صلى الله عليه وسلم بهم عري وجوع فخطر ببال النبي صلى الله عليه وسلم
شي لحاجة اصحابه فنزلت اني اعطيناك سبعا من المثاني مكان سبع قوافل ولا تنظر

لما اعطيناه لابي جهل وهو متاع الدنيا الدنية ولا تحزن عليهما اي على اصحابك
واخفض جناحك لهم فان تواضعك لهم اطيب لقلوبهم من ظفرهم بما يحب من اسباب
الدين وفي رواية الجامع الصغير لو ان فاتحة الكتاب وجعلت في كفة الميزان والقران
في الكفة الاخرى لفضلت فاتحة الكتاب على القران سبع مرات وفي لفظ فاتحة الكتاب
شفاء من كل داء وفي لفظ فاتحة الكتاب تعدل ثلثي القران فليتامل ولها اثنان
وعشرون اسما وذكر الاستاذ الشيخ ابو الحسن البكري في تفسيره الوسط ان لها ثلاثين
اسما وذكرها قال السهيلي ويكره ان يقال لها ام الكتاب اي لما ورد لا يقولن احدكم
ام الكتاب قال الحافظ السيوطي لا اصل له في شي من كتب الحديث وانما اخرجه ابن
الضريس بهذا اللفظ عن ابن سيرين وقد ثبت في الاحاديث الصحيحة تسميتها بذلك
هذا كلامه ولا يخفى انه جاء في تسمية الفاتحة ذكر المضاف وهو سورة كذا واسقاطه اخرى
وتارة جوزوا الامرين وهو يشكل على ان تسمية السور توقيفي ثم رايت في الاتقان قال
قال الزركشي في البرهان ينبغي البحث عن تعداد الاسامي هل هو توقيفي او لما يظهر من
المناسبات فان كان الثاني فيمكن الفطن ان يستخرج من كل سورة معاني كثيرة تقتضي اشتقاق
اسمائها وهو بعيد هذا كلامه ويلزمه القول بانها انما نزلت بالمدينة ان من اقامته
صلى الله عليه وسلم بمكة كان يصلي بغير الفاتحة قال في اسباب النزول وهذا مما لا
يقبله القول اي لانه لم يحفظ انه كان في الاسلام صلاة بغير الفاتحة اي ويدل لذلك
ما رواه الشيخان لا صلاة لمن لم يقرا الفاتحة وفي رواية لا يجزي صلاة لا تقرا فيها
فاتحة الكتاب والمراد في كل ركعة لقوله صلى الله عليه وسلم للمسيء صلاته اذا استقبلت
القبلة فكبر ثم اقرا ام الكتاب ثم اقرا بما شئت الى ان قال ثم اصنع ذلك اي القراءة في
~~الفاتحة ثم اقرا بما شئت~~ الكتاب في كل ركعة وجاء على شرط الشيخين ام القران عوض
من غيرها وليس غيرها عوض عنها ويدل لذلك ايضا وصف القول بانها انما نزلت
بالمدينة بانه هفوة من قايل لانه تفرد بهذا القول والعلماء على خلافه اي لان نزولها
كان بعد فترة الوحي بعد نزول يا ايها المدثر ويلزم على كونها نزلت بعد المدثر انه صلى
الله عليه وسلم صلى بغير الفاتحة في مدة فترة الوحي على ما سياتي وقد يقال لا ينافيه
ما تقدم من انه لم يحفظ انه لم يكن في الاسلام صلاة بغير الفاتحة لجواز ان يراد صلاة
من الصلوات الخمس وما تقدم مما يدل على تعيين الفاتحة في الصلاة يجوز ان يكون
صدر منه صلى الله عليه وسلم بعد فرض الصلوات وفي الامتاع نزل الملك بشر
بالفاتحة وبالايتين من سورة البقرة يدل على انها نزلت بالمدينة فقد اخرج مسلم
عن ابن عباس رضي الله عنهما قال بينا جبريل قاعد عند النبي صلى الله عليه وسلم
سمع نقيضا اي صوتا من فوقه فرفع راسه فقال هذا باب من السماء فتح اليوم لم
يفتح قط الا اليوم فسال وقال ابشر بنورين اوتيتهما لم يوتهما من قبلك فاتحة
فسكت

يكره صح

الكتاب

الكتاب وخواتيم سورة البقرة هذا كلامه فليتامل وجه الدلالة من هذا على انه سياتي
عن الكامل للهذلي ما يصرح بان خواتيم سورة البقرة نزلت عليه صلى الله عليه وسلم
ليلة الاسرا بقاب قوسين ومما يدل على ان البسملة اية منها نزولها معها كما في بعض
الروايات ولان الروايات المتقدمة تدل على انها لم تنزل معها ويدل لكون البسملة
ايضا اية من الفاتحة ايضا ما اخرجه الدارقطني وصححه البيهقي عن ابي هريرة رضي الله
عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا قراتم بالحمد لله فاقرءوا بسم الله
الرحمن الرحيم انها ام القران وام الكتاب والسبع المثاني وبسم الله الرحمن الرحيم
احدى اياتها وقد اخرج الدارقطني عن علي كرم الله وجهه انه سيل عن السبع المثاني
فقال الحمد لله رب العالمين فقيل له انما هي ست ايات فقال بسم الله الرحمن الرحيم قيل
لها السبع المثاني لانها سبع ايات وتثنى في الصلاة وقيل المثاني مجمل القران لانه تثنى
فيه كل صفات المومنين والكفار والمنافقين وقصص الانبيا والوعد والوعيد قال
بعضهم والوجه ان يقال بالسبع المثاني السبع الطوال اي كما المراد في قوله تعالى ولقد
اتيناك سبعا من المثاني على ما تقدم وهي البقرة وال عمران والنسا والمايدة والانعام
والاعراف والسابعة يونس وقيل براة وقيل الكهف وعن ام سلمة رضي الله تعالى
عنها ان النبي صلى الله عليه وسلم عد البسملة اية من الفاتحة وبه يعلم ما في تفسير
البيضاوي عن ام سلمة رضي الله عنها بلسانه صلى الله عليه وسلم بلسانه صلى الله عليه
وسلم عد بسم الله الرحمن الرحيم والحمد لله رب العالمين اية فقد ذكر بعض الحفاظ
ان اللفظ لم يرد عن ام سلمة والذي رواه جماعة من الحفاظ عن ام سلمة ان بسم الله
الرحمن الرحيم اية وحدها منها انما ذكرت ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يصلي
في بيتها فيقرا بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين وفي رواية عنها ان
النبي صلى الله عليه وسلم كان يقرا في الصلوات بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب
العالمين وفي الاستدلال على ان البسملة اية من الفاتحة بكونها نزلت معها يقتضي
ان البسملة ليست اية من اقرا باسم ربك ومن ثم قال الحافظ الدمياطي نزول اقرا بلا
بسملة يدل على ان البسملة ليست اية من كل سورة ويستدل به اي بعدم نزولها في اول
سورة اقرا ايضا كما قال الامام النووي رحمه الله تعالى من يقول ان البسملة ليست
بقران في اوايل السور اي وانما نزلت وكتبت للفصل والتبرك بالابتدا بها وهذا القول
سبب لقول امامنا الشافعي رضي الله عنه في القديم وهو قول قديم الحنفية قال
وجواب المثبتين لقراتها في ذلك انها نزلت في وقت اخر كما نزل باقي السورة اي سورة
اقرا واحتجوا بهم ايضا بان الاجماع من الصحابة والسلف على اثباتها في مصاحفهم مع
مبالغتهم في تجريدها عن كتابة غير القران فيها حتى انهم لم يكتبوا امين فيها
واستدل ايضا لعدم قراتها في اوايل السور بعد تواترها في محلها لا يقتضي سلب

القرينة عنها ورد هذه الروايات الامام الكافيجي قال المختار عند المحققين من علما
السنة وجوب التواتر اي القران في محله ووصفه وترتيبه ايضا كما يجب تواتره في
اصله اي **وفي الفتوحات** البسملة من القران بلا شك عند العلما بآية وتكرارها
في السورة لتكرار ما تكرر في القران من ساير الكلمات وهو نظاهر يريد ما ذهب اليه
امامنا الشافعي من انها آية من كل سورة ويحتمل لما قاله السهيلي رحمه الله حيث
قال نقول انها آية من كتاب الله مقترنة مع السورة وفي كلام ابي بكر ابن العربي
وزعم الشافعي انها آية من كل سورة وما سبقه الي هذا القول احد فانه لم يعدها
احدا آية من ساير السور **ونقل** عن امامنا الشافعي انها آية من اول الفاتحة دون
بقية السور فعن الربيع رحمه قال سمعت الشافعي رضي الله عنه يقول اول الفاتحة
بسم الله الرحمن الرحيم واول البقرة الم **قال بعضهم** ويدل على ان البسملة آية
من اول الفاتحة دون بقية السور فانها ليست آية من اولها بل هي آية في اولها عادة
لها وتكرر لها وروى ما يوافق ذلك وهو قول الجلال السيوطي رحمه الله تعالى في الخصايص
الصغرى وخص صلى الله عليه وسلم بالبسملة والفاتحة هذا كلامه وكونه صلى الله عليه
وسلم خص بالبسملة يخالفه ولكن في الاتقان عن الدارقطني ان النبي صلى الله عليه وسلم
قال لبعض الصحابة لا علمنك آية لم تنزل على نبي بعد سليمان عليه السلام غيري بسم الله
الرحمن الرحيم كما سياتي وسياتي ما فيه **قيل** وانما لم تنزل البسملة في اول براة لعدم
المناسبة بين الرحمة التي تدل عليها البسملة والتبري الذي يدل عليه اول براة ورد
في الفتوحات بانها جاءت في اوايل السور المبدوة بويل قال واين الرحمة من الويل
وذكر بعضهم ان الانفال وبراة سورة واحدة اي فعن ابن عباس رضي الله عنه
قال سألت عثمان بن عفان رضي الله عنه لم لم تكتبوا بين براة والانفال سطر
بسم الله الرحمن الرحيم فقال كانت الانفال من اول ما نزل بالمدينة وكانت براة من
اخر ما نزل بالمدينة وكانت قصتها شبيهة بالاخرى فظننت انها واحدة **وفي كلام**
بعض المفسرين عن طاوس وعمر بن عبد العزيز انهما كانا يقولان ان الضحى والم نشرح
سورة واحدة فكانا يقرانهما في ركعة واحدة ولا يفصلان بينهما ببسم الله الرحمن الرحيم
وذلك لانهما رايا ان اوايلهما مشبه لقوله الم يجدك يتيما وليس كذلك لان تلك حال
اغتمامه صلى الله عليه وسلم باذى الكفار فهي محنة وضيق وهذا حال انشراح الصدر
وتطيب القلب فكيف يجمعان هذا كلامه وذكر ائمتنا انه يكفي في وجوب الاتيان
بالبسملة في الفاتحة في الصلاة الظن المفيد له خبر الاحاد ولعدم التواتر لا يكفر
من نفى كونها آية من الفاتحة باجماع المسلمين وقد جهر بها صلى الله عليه وسلم كما رواه
جمع من الصحابة رضي الله عنهم اجمعين **قال** ابن عبد البر نقلت عدتهم احدى عشر
صحابيا واما ما رواه مسلم عن انس رضي الله عنه قال صليت مع النبي صلى الله عليه وسلم

وابي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم فلم اسمع احدا منهم يقرا بسم الله الرحمن الرحيم
فاجيب عنه لم ينف الاسماع ويجوز انهم تركوا الجهر بها في بعض الاوقات بيانا للجواز
ويؤيده قول بعضهم كانوا يخفون البسملة واما ما رواه البخاري وابو داود والترمذي
وغيرهم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم وابا بكر وعمر رضي الله عنهما كانوا
يفتتحون الصلاة بالحمد لله رب العالمين فمعناه بسورة الحمد لا بغيرها من القران ولا
يبعد هذا الحمل ما في رواية عبد الله بن مغفل انه قال سمعني ابي وانا اقرا بسم الله الرحمن
الرحيم فقال بني اياك والحديث فاني صليت مع النبي صلى الله عليه وسلم ومع ابي بكر
وعمر فلم اسمع احدا منهم يقولها فاذا قرات فقل الحمد لله رب العالمين لانه لما لم
يسمع فهم انهم لا ياتون بها راسا فقال ذلك وكذا يقال فيما روي كانوا لا يقرؤن
بسم الله الرحمن الرحيم فعلى تقدير ثبوت تلك الرواية وصحتها يجوز ان يكون
الراوي فهم ما تقدم ترك البسملة فروى بالمعنى فاخطا ومما استدل به على ان البسملة
من الفاتحة ما جاء عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال الله تعالى قسمت الصلاة اي
الفاتحة في الصلاة بيني وبين عبدي نصفين فنصفها لي ونصفها لعبدي ولعبدي
ما سال فاذا قال الحمد لله رب العالمين قال الله تعالى حمدني عبدي واذا قال
الرحمن الرحيم قال مجدني عبدي واذا قال مالك يوم الدين قال فوض الي عبدي واذا
قال اياك نعبد واياك نستعين قال هذه بيني وبين عبدي ولعبدي ما سال فيقول
عبدي اهدنا الصراط المستقيم الى اخرها **قال** ابو بكر بن العربي المالكي رحمه الله فانتفى
بذلك ان تكون بسم الله الرحمن الرحيم آية منها من وجهين احدهما انه لم يذكرها
في القسمة والثاني انها ان صارت في القسمة لما كانت نصفين بل يكون ما لله اكثر مما
للعبد لان بسم الله ثناء على الله تعالى لا شيء للعبد فيه ثم ذكر ان التعبير بالصلاة عن
الفاتحة يدل على ان الفاتحة من فرضها واطال في ذلك وسياتي في الحديث انه صلى الله
عليه وسلم كان يكتب باسمك اللهم موافقة للجاهلية قيل كتب ذلك في اربع كتب واول
من كتبها امية بن ابي الصلت فلما نزلت بسم الله مجريها ومرسيها لما نزل قل ادعوا الله
او ادعوا الرحمن كتب بسم الله الرحمن ثم لما نزل انه من سليمان وانه بسم الله الرحمن الرحيم
كتب بسم الله الرحمن الرحيم كذا نقل عن الشعبي ان النبي صلى الله عليه وسلم
لم يكتب بسم الله الرحمن الرحيم حتى نزلت سورة النمل وهذا يفيد ان البسملة لم تنزل
قبل ذلك في شيء من اوايل السور ويؤيده قول السهيلي ثم كان بعد ذلك اي بعد
نزول وانه بسم الله الرحمن الرحيم نزل عليه جبريل ببسم الله الرحمن الرحيم
مع كل سورة اي تمييزا لها من غيرها وثبت في سواد المصحف لاجماع الصحابة رضي
الله عنهم على ذلك هذا كلامه فليتامل ما فيه فانه قد لا يدل للقول ان البسملة
ليست من اوايل السور وانما هي للفصل فقد علمت ان البسملة نزلت اول الفاتحة

علي ما في بعض الروايات ونقل ابو بكر التونسي رحمه الله اجماع علما كل امة على ان
الله سبحانه وتعالى افتتح جميع كتبه ببسم الله الرحمن الرحيم وفي الاتقان عن
الدارقطني ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لبعض اصحابه لاعلمنك اية لم تنزل بعد
سليمان عليه السلام على غيري بسم الله الرحمن الرحيم وبهذا يعلم ما في الخصايص
الصغرى ان البسملة من خصايصه صلى الله عليه وسلم وما في قوله على نبي بعد سليمان
غيري فانه يشكل عليه ان عيسى عليه السلام بين سليمان وبينه صلى الله عليه وسلم
وكتابه الانجيل وهو من جملة كتب الله المنزله وعن النقاش ان البسملة لما نزلت
سبحت الجبال فقالت قريش سحر محمد الجبال قال السهيلي ان صح ما ذكر فانما
سبحت الجبال خاصة لان البسملة انما نزلت على ال داود وقد كانت الجبال تسبح مع
داود عليه السلام والله تعالى اعلم ثم لم يلبث ورقة ان توفي قال سبط ابن الجوزي
وهو اخر من مات في الفترة ودفن بالحجون فلم يكن مسلما ويوئده ما جا في رواية
في سندها ضعف عن ابن عباس رضي الله عنهما انه مات على نصرانيته وهذا يدل
على ان من ادرك النبوة وصدق بنبوته صلى الله عليه وسلم ولم يدرك الرسالة
بنا على تاخرها لا يكون مسلما بل يكون من اهل الفترة فلما توفي ورقة قال النبي
صلى الله عليه وسلم لقد رايت القس يعني ورقة في الجنة وعليه ثياب الحرير
اي والقس بكسر القاف رئيس النصارى وبفتحها تتبع الشيء وطلبه كالنقس وبالفتح
صاحب الابل الذي لا يفارقها ورئيس النصارى في العلم وفي رواية ابصرته في بطنان
الجنة وعليه السندس وفي رواية قد رايته فرايت عليه ثياب بيض واحسبه اي اظنه
لو كان من اهل النار لم يكن عليه ثياب بيض قال صريح الرواية الثالثة انه لم
يره في الجنة فقد تعددت الروية واما الرواية الثانية فلا تخالف الرواية الاولى
لان السندس من افراد الحرير فلا دلالة في ذلك على التعدد والله اعلم وفي رواية
لا تسبوا ورقة فاني رايت له جنة او جنتين لانه امن بي وصدقني اي قبل الدعوة التي
هي الرسالة وح يكون معنى قوله له جنة او جنتين هيت له جنة او جنتان ولا مانع
من ان يكون بعض اهل الفترة من اهل الجنة اذ لو كان مسلما حقيقة بان ادرك
الدعوة وصدق به صلى الله عليه وسلم لم يقل فيه صلى الله عليه وسلم واحسب لو كان
من اهل النار لم يكن عليه ثياب بيض وجزم ابن كثير رحمه الله باسلامه قال
بعضهم وهو الراجح عند جهابذ الايمة اي بناء على انه ادرك الدعوة الى الله تعالى
التي هي الرسالة وفي الامتاع ان ورقة مات في السنة الرابعة من البعث ويوافقه
ما ياتي عن ابن اسحاق وعنه في كتاب الخميس وح يكون قوله صلى الله عليه وسلم
لانه امن بي وصدقني واضح لكن ينازع في ذلك قوله واحسبه لو كان من اهل
النار لم يكن عليه ثياب بيض كما مر وسياتي عن الذهبي ما يخالفه ويخالفه ايضا

سيرة صح

ما تقدم من سبط
ابن الجوزي

يعني صح

ما تقدم من سبط ابن الجوزي انه من اهل الفترة وعن يحي بن بكر قال سالت جابر
بن عبد الله رضي الله عنهما عن ابتدا الوحي قال لا احدثك الا ما حدثني رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال جاورت بحرا فلما قضيت جواري هبطت فنوديت
فنظرت عن يميني فلم ار شيا فنظرت عن يساري فلم ار شيا فنظرت من خلفي فلم
ار شيا فرفعت راسي فرايت شيا بين السماء والارض وفي رواية فاذا بالملك هو
الذي جاني بحرا جالس على كرسي زاد في رواية متربعا عليه وفي لفظ على عرش
بين السما والارض ففزعت منه فاتيت خديجة فقلت دثروني وفي رواية زملوني
زملوني وصبوا ماء باردا فنزلت هذه الاية يا ايها المدثر اي الملتف بثيابه قم فانذر
وربك فكبر ولم يقل بعد ذلك فانذر وبشر لانه كما بعث بالنذاره بعث بالبشارة
لان البشارة تكون لمن امن ولم يكن امن احد من قبل وهذا يدل ان هذه
الاية اول ما نزل اي قبل اقرا وان النبوة والرسالة مقترنتان قال الامام النووي
بان اول ما نزل يا ايها المدثر ضعيف باطل وانما نزلت بعد فترة الوحي ومما يدل على
ذلك قوله فاذا الملك الذي جاني بحرا ومما يدل على ذلك ايضا ما في البخاري ان
في رواية جابر رضي الله عنه انه صلى الله عليه وسلم حدث عن فترة الوحي لا
عن ابتدا الوحي فما تقدم من قول بعضهم يعني عن ابتدا الوحي فيه نظر وكذا
في قول الراوي عن جابر رضي الله عنه جاورت بحرا كان قبل فترة الوحي الا ان
يقال جابر رضي الله عنه جمع عنه روايته واحده في ابتدا الوحي واخرى في فترة الوحي
وبعض الرواة خلط فان صدر الرواية يدل على ان ذلك كان عند ابتدا الوحي
وعجزها يدل على ان ذلك كان عند فترة الوحي هذا ويجوز ان يكون صلى الله عليه
وسلم جاور بحرا في مدة فتور الوحي ويؤيد ذلك ما في البيهقي مرسلا عن عبد
بن عمر انه صلى الله عليه وسلم كان يجاور في كل سنة مرة شهرا وهو رمضان وكان
ذلك في مدة فترة الوحي وسياتي الجمع بين الروايات في اول ما نزل وعن اسماعيل
ابن ابي حكيم مولى الزبير رضي الله عنه انه حدث ان خديجة رضي الله عنها
قالت لرسول الله صلى الله عليه وسلم استطيع ان تخبرني بصاحبك هذا الذي
ياتيك اذا جاءك قال نعم اي وذلك قبل ان ياتيه بالقران اي بشيء منه وهو اقرا
باسم ربك بناء على انه اول ما نزل ولا ياتي ذلك قولها هذا الذي ياتيك اذا جاءك
لان المعنى الذي يتراي لك اذا رايته فجاءه جبريل عليه السلام فقال لها رسول الله
صلى الله عليه وسلم يا خديجة هذا جبريل جاني اي قد رايته لكن سياتي عن ابن حجر
الهيتمي رحمه الله ان ذلك كان بعد البعثة قالت قم يا ابن عم فاجلس على فخذي
فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فجلس على فخذها قالت هل تراه قال نعم
قالت فتحول فاجلس في حجري فتحول رسول الله صلى الله عليه وسلم فجلس في حجرها

الله

ثم قالت هل تراه قال نعم فاماطت الخمار عن راسها ثم قالت هل تراه قال لا قالت يا ابن عمي اثبت وابشر فوالله انه لملك ما هذا شيطان والى ذلك اشار صاحب الهمزية رحمه الله بقوله

واتاه في بيتها جبرئيل ∴ ولذي اللب في الامور ارتياء
فاماطت عنها الخمار لتدري ∴ اهو الوحي ام هو الاغماء
فاختفى عند كشفها الراس جبريل ∴ فما عاد او اعيد الغطاء
فاستبانت خديجة انه الكنز ∴ الذي حاولته والكيمياء

واتاه قال ابن حجر اي بعد البعث اي والنبوة واجتماعه به في بيتها حامل الوحي وذي اللب الصاحب العقل الكامل في الاحوال التي قد تشتبه الاستبصار فبسبب كمال استبصارها ازالت عن راسها الخمار وهو ما يغطى به الراس لتعلم عن اليقين ان هذا الذي يعرض له صلى الله عليه وسلم هل هو حامل الوحي الذي كان ياتي به الانبيا عليهم الصلاة والسلام قبله صلى الله عليه وسلم ام هو الاغما الذي هو بعض الامراض الجايزة عليهم عليهم الصلاة والسلام **وفيه** انه كان ينبغي ان يكون المراد به الاغما الناشي عن لمة الجن فيكون من الكهان لا من الانبيا عليهم الصلاة والسلام الذي قال صلى الله عليه وسلم بسببه لخديجة لقد خشيت على نفسي وبيان انه كان يعتريه عليه الصلاة والسلام عند نزوله وهو بمكة قبل ان ينزل عليه القران ما كان يعتريه صلى الله عليه وسلم اي عند نزول الوحي عليه اي من الاغما الى اخره فبسبب القاها ما تغطي به راسها عنها اختفى فلم يعد الى ان اعادت غطا راسها عليه فاستبانت علمت علم اليقين ان ما يعرض له صلى الله عليه وسلم هو الوحي لا الجن لان الملك لا يرى لراس المكشوف من المراة بخلاف الجن وشبه الناظم رحمه الله ذلك بالشي النفيس والامر العظيم لان كلا من الكنز والكيميا لا يظفر به الا القليل من الناس لعزتهما **اقول** في الخصايص الكبرى ما يدل لما قلناه مما فعلته خديجة كان عند تراييه له صلى الله عليه وسلم وقبل اجتماعه به ومجيه له بالقران وقول بعضهم ان ذلك من خديجة رضى الله عنها كان بارشاد من ورقة فانه قال لها اذهبي الى الكاهن الذي راى فيه ما راى فاذا راه فتحسري فان يكن من عند الله لم يراه اي فتراي وهو صلى الله عليه وسلم في بيت خديجة ففعلت فلما تحسرت تغيب جبريل عليه السلام فلم تره فرجعت فاخبرت ورقة فقال انه ليأتيه الناموس الاكبر ومن ثم قال في فتح الباري ان في سيرة ابن اسحاق رحمه الله تعالى ان ورقة كان يمر ببلال رضى الله عنه وهو يعذب وذلك يقتضي انه تاخر الى زمن الدعوة والى ان دخل الناس في الاسلام اي وفي كلام صاحب الخميس في الصحيحين ان الوحي تتابع في حياة ورقة وانه امن به صلى الله عليه وسلم وتقدم انه الموافق لما في الامتاع من انه مات في السنة الرابعة من البعثة وتقدم انه مخالف لما تقدم عن سبط ابن الجوزي

ومخالف

ويخالف ايضا لقول الذهبي رحمه الله حيث قال الاظهر انه مات بعد النبوة وقبل الرسالة اي بنا على تاخرها وبدليل تاخرها ما تقدم من قول ورقة يا ليتني فيها جذع فقدم ان المراد يا ليتني اكون في زمن الدعوة اي ومن ادرك النبوة ولم يدرك البعثة لا يكون مسلما بل هو كما تقدم من اهل الفترة لان الايمان النافع عند الله تعالى الذي يصير به الشخص مستحقا لدخول الجنة ناجيا من الخلود في النار اقتضى شيئين في القلب بما علم بالضرورة انه من دين محمد صلى الله عليه وسلم اي بما ارسل به وان لم يقر بالشهادتين مع التمكن من ذلك حيث لم تطلب منه ذلك ويمتنع فقيل لا بد مع ذلك بالاقرار بالشهادتين للتمكن من الاسلام وحيث ادرك الرسالة فهو مسلم ولم يكن صحابيا **ونقل بعضهم** عن الحافظ رحمه الله تعالى انه في الاصابة تردد في ثبوت الصحبة لورقة بن نوفل قال لكن المفهوم من كلامه في شرح التحفة ثبوتها وانه يفرق بينه وبين بحيرا وهو ظاهر والتعريف السابق يشمل هذا كلامه والتعريف السابق للصحابي هو من اجتمع بالنبي صلى الله عليه وسلم مؤمنا وعبارة شرح التحفة هل يخرج اي من تعريف الصحابي من لقي النبي صلى الله عليه وسلم مؤمنا به في انه لقيه مؤمنا بانه سيبعث ولم يدرك البعثة محل نظر ولا يخفى عليك ان ما في شرح التحفة لا يدل لهذا البعض على انه تقدم عن ابن حجر في الاصابة قال في بحيرا ما ادري ادرك البعثة ام لا ولا يخفى عليك ما تقدم عن ابن حجر من ان ورقة ادرك وان لم يدرك الدعوة فان يقتضي ان البعثة هي عبارة عن النبوة لا عن الرسالة وان الرسالة هي الدعوة لا البعثة **وروى** ابن اسحاق رحمه الله عن شيوخه انه صلى الله عليه وسلم كان يرقى من العين وهو بمكة قبل ان ينزل عليه القران فلما نزل عليه القران اصابه نحو ما كان يصيبه قبل ذلك وهذا يدل على انه كان يصيبه صلى الله عليه وسلم قبل نزول القران ما يشبه الاغما بعد حصول الرعدة وتغميض عينيه ويزبد وجهه ويغط كغطيط البكر فقالت له خديجة رضي الله عنها اوجه اليك من يرقيك قال اما الان فلا ولم اقف من كان يرقيه ولا ما كان يرقى به واشتهر على بعض الالسنة ان امنة يعني امه صلى الله عليه وسلم رقت النبي صلى الله عليه وسلم من العين ولعل مستند ذلك ما تقدم من امه انها لما اه لكة كانت ما ملابه جا الملك وقال لها قولي اذا ولدتيه اعيذه بالواحد من شر كل حاسد والطاهر انها قالت ذلك **وعن** اسما بنت عميس رضي الله عنها انها قالت يا رسول الله ارى ابني اي ولدها من جعفر بن ابي طالب رضي الله عنه تصيبهما العين افنسترقي لهما قال نعم لو كان شي سابق القدر لسبقته العين فان قيل هذه الامور علم صلى الله عليه وسلم انه يتكلم عن الله تعالى اجيب بانه على تسليم ان قول ورقة المذكور وما تقدم عنده لا يفيده العلم فقد يقال خلق الله تعالى فيه صلى الله عليه وسلم علما ضروريا بعد ذلك علم به انه جبريل وانه يتكلم عن الله تعالى كما خلق في جبريل علما ضروريا بان الموحي

الله هو الله جل جلاله وقد ذكر بعض المفسرين انه صلى الله عليه وسلم كان له عدو
من شياطين الجن يقال له الابيض كان ياتيه في صورة جبريل واعترض بانه يلزم
عليه عدم الوثوق بالوحي واجيب عنه بمثل ما هنا وهو ان الله تعالى جعل في النبي صلى
الله عليه وسلم علما ضروريا يميز به بين جبريل عليه السلام وبين هذا الشيطان غير
قرينه الذي اسلم وفي كلام ابن العماد رحمه الله وشيطان الانبيا عليهم الصلاة والسلام
يسمى الابيض والانبياء معصومون منه وهذا الشيطان هو الذي اغوى برصيصا
الراهب العابد بعد عبادة خمسماية سنة وهو المعني بقوله تعالى كمثل الشيطان اذ قال
للانسان اكفر فلما كفر قال اني بري منك هذا كلامه وعن ابن عباس رضي الله عنهما
عن النبي صلى الله عليه وسلم قال كان من الانبيا من يسمع الصوت ولا يرى مصورا فيكون
بذلك نبيا قال بعضهم يحتمل ان يكون صوتا خلقه الله تعالى في الجو اي ليس من جنس الكلام
المعهود يتضمن كون ذلك الشخص قال صلى الله عليه وسلم وان جبريل عليه السلام
ياتيني فيكلمني كما ياتي احدكم صاحبه فيكلمه اي ويبصره من غير حجاب وفي رواية كنت
اراه احيانا كما يرى الرجل صاحبه من وراء الغربال ولا يخفى ان هاتين الحالتين كل منهما
حالة من حالات الوحي وهي اما ان يكون جبريل عليه السلام على صورة دحية الكلبي رضي
الله عنه وهو بكسر الدال المهملة على المشهور وحكي فتحها او صورة غيره ومنه ما وقع في
حديث عمر رضي الله عنه بينا نحن جلوس عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم
اذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر لا يرى عليه اثر السفر ولا يعرفه
منا احد الحديث ورواية البخاري تدل على انه صلى الله عليه وسلم لم يعرفه الا في اخر
الامر وورد ما جاءني يعني جبريل في صورة لم اعرفها الا في هذه الصورة وفي صحيح ابن
حبان والذي نفسي بيده ما اشتبه علي منذ اتاني قبل مرتي هذه وما عرفته حتى ولى وبهذا
علم ما في كلام الامام السبكي رحمه الله تعالى حيث قسم الوحي الى ثلاثة اقسام حيث قال فتارة
تاتيه ٥ ولا يرى الناموس اما بشكله ٥ واما بنفسه او بحلية دحية ٥
فليتامل قيل وكان اذا اتاه على صورة الادمي ياتيه بالوعد والبشارة فان قيل اذا
جاء جبريل عليه السلام على صورة الادمي دحية او غيره هل هي الروح تتشكل بذلك
وعليه هل يصير جسده الاصلي حيا بغير روح او يصير ميتا اجيب بان الجائي يجوز ان
لا يكون هو الروح بل الجسد لانه يجوز ان الله تعالى جعل في الملائكة قدرة على التطور
والتشكل باي شكل ارادوه كالجن فيكون الجسد واحدا ومن ثم قال الحافظ ابن حجر
رحمه الله ان تمثل الملك ليس معناه ان ذاته انقلبت رجلا بل معناه انه ظهر بتلك
الصورة تانيسا لمن يخاطبه والظاهر ان القدر الزائد لا يزول ولا يفنى بل يخفى على
الرائي فقط واخذ من ذلك بعض غلاة الشيعة انه لا مانع ولا بعد ان الحق سبحانه
وتعالى يظهر في صورة علي كرم الله وجهه واولاده الاثني عشر وهم الحسن والحسين وابن

الحسين

والحسين وابن الحسين زين العابدين وابنه محمد الباقر وابن محمد جعفر الصادق وابن
جعفر الصادق موسى الكاظم وابن موسى الكاظم علي الرضى وابن علي الرضى محمد
الجواد وابن محمد الجواد علي التقي والحادي عشر حسن العسكري والثاني عشر ولد حسن
العسكري وهو المهدي صاحب الزمان وهو حي باق الى ان يجتمع بسيدنا عيسى عليه
السلام على ما قيل فقد قال عبد الله بن سلام بن سبا يوما لعلي كرم الله وجهه
انت يعني انت الاله كان من اهل صنعا وامه يهودية سودا ومن ثم كان يقال له
ابن السودا وكان اول من اظهر سب الشيخين رضي الله عنهما وسبهما للافتيات على سيدنا
علي حسدا على علي كرم الله وجهه ولما قيل لسيدنا علي كرم الله وجهه لولا انك تضمر ما اعلن
ما اجترا على ذلك فقال علي كرم الله وجهه معاذ الله ان اضمر لهما ذلك لعن الله من اضمر
لهما الا الحسن الجميل فارسل الى ابن سبا فنفاه علي الى المداين وقال لا يساكنني في بلد ابدا
وكان عبد الله بن سبا هذا يهوديا فاظهر الاسلام في اول خلافة عثمان رضي الله عنه
وقيل في خلافة عمر رضي الله عنه وكان يصرح باظهار الاسلام بوارا للاسلام وخذلان
اهله وكان يقول قبل اظهار الاسلام في يوشع بن نون مثل ما قال في علي كرم الله وجهه
وكان يقول في علي انه حي لم يقتل وان فيه الجز الالهي وانه يجي في السحاب والرعد
صوته والبرق صوته وانه ينزل بعد ذلك الى الارض فيملاها عدلا كما ملئت جورا
وظلما وعبد الله هذا كان يظهر امر الرجعة اي انه صلى الله عليه وسلم يرجع الى الدنيا
كما يرجع عيسى عليه السلام وكان يقول العجب فيمن يزعم ان عيسى عليه السلام يرجع
الى الدنيا ويكذب رجعة محمد صلى الله عليه وسلم وقد قال تعالى ان الذي فرض عليك
القران لرادك الى معاد فمحمد صلى الله عليه وسلم احق بالرجوع من عيسى عليه السلام
واظهر امر الوصية اي ان عليا كرم الله وجهه وصي لرسول الله صلى الله عليه وسلم
بالخلافة وكان هو السبب في اثارة الفتنة التي قتل فيها عثمان رضي الله عنه كما
سياتي ومن غلاة الشيعة من قال بالوهية اصحاب الكسا الخمسة محمد صلى الله عليه وسلم
وعلي كرم الله وجهه وفاطمة والحسن والحسين رضي الله عنهم ومن قال بالوهية
جعفر الصادق والوهية ابائه وهم الحسين وابنه زين العابدين ومحمد الباقر وهولا
الشيعة موافقون في ذلك لمن يقول بالحلول وهم الحلاجية اصحاب حسين بن منصور
الحلاج كانوا اذا راوا صورة جميلة زعموا ان معبودهم حل فيها وممن زعم الحلول في
ادمي الا انه لاهيه المقنع عطا الخراساني وذلك في سنة ثلاث وستين ومائة ادعى
ان الله حل في صورته هو فافتتن به خلق كثير بسبب التمويهات التي اظهرها لهم فانه
كان يعرف شيئا من السحر والنيرنجيات فقد اظهر قمرا يراه الناس من مسافة شهرين
من موضعه ثم يغيب ولما اشتهر امره ثار عليه الناس وقصدوه ليقتلوه وجاءوا الى
القلعة التي كان متحصنا بها فلما علم ذلك شرب وسقى اهله سما فماتوا ومات ودخل

الناس تلك العلمه فقتلوا من بقي حيًا بها من اتباعه والقول بالاتحاد كفر فقد قال
العز بن عبد السلام رحمه الله تعالى من اظهر ان الاله يحل في شيء من اجسام الناس
او غيرهم فهو كافر اجماعًا من غير خلاف وانه لا يجري فيه الخلاف الذي يجري في
تكفير المجسمة **ومن ثم قال** القاضي عياض في الشفا ان ادعى حلول الباري جل
وعلا في احد الاشخاص كان كافرا باجماع المسلمين وقول بعض العارفين وهو
ابو يزيد البسطامي رحمه الله تعالى سبحاني ما اعظم شاني وقوله اني انا الله لا اله الا انا
فاعبدني وقوله انا ربكم الاعلى انا الحق وهو انا وانا هو ليس من دعوى الحلول وانما
قوله سبحاني انا الله محمول على الحكاية اي قال ذلك على لسان الحق جل وعلا كما ورد من
باب الحديث ان الله تعالى قال على لسان عبده سمع الله لمن حمده وقوله انا ربكم الاعلى
وانا الحق الى اخره انما قال ذلك لانه انتهى سلوكه الى الله تعالى بحيث استغرق في بحر
التوحيد بحيث غاب عن كل ما سواه سبحانه وصار لا يرى في الوجود غيره تعالى الذي
هو مقام الفنا ومحو النفس وتسليم الامر كله لله تعالى وترك الارادة منه والاختيار
فالعارف اذا وصل الى هذا المقام ربما قصرت عبارته عن بيان ذلك الحال الذي هو
نازل عنه تلك العبارة الموهمة للحلول وقد اصطلحوا على تسمية هذا المقام الذي هو
مقام الفنا بالاتحاد ولا مشاحة في الاصطلاح لانه اتحد مراده بمراد محبوبه فصار
واحدا الفنا ارادة المحب في مراد المحبوب فقد فني هوى نفسه وحظوظها فصار
لا يحب الا الله ولا يبغض الا الله ولا يوالي الا الله ولا يستعين الا بالله فيكون الله ورسوله
احب اليه مما سواهما **وفي كلام** سيدي علي وفا رضي الله عنه حيث اطلق القول
بالاتحاد في كلام القوم من الصوفية فمرادهم فنا مرادهم في مراد الحق جل وعلا كما يقال
بين فلان وفلان اتحاد اذا عمل كل منهما على مراد الاخر ولله المثل الاعلى هذا كلامه رضي
الله عنه ورضي عنا به وهذا المقام غير مقام الوحدة المطلقة الخارجة عن دايرة العقل
الذي ذكر السعد والسيد ان القول بهما باطل وضلال اي لانه يلزم عليها القول بالجمع
بين الضدين **فقد قال** بعض العلما حضرة الجمع عبارة عن شهود اجتماع
الرب والعبد في حال فنا العبد فيكون العبد معدوما وموجودا في آن واحد ولا يدرك
هكذا ذلك الا من اشهده الله الجمع بين الضدين ومن لم يشهده ذلك انكره فيجوز ان يكون
الجسد للملك متعددا وعليه فمن الممكن ان يجعل الله لروح الملك قوة يقتدر بها على
التصرف في اجزاء جسدها المعهود مع تصرفها في ذلك الجسد المعهود كما هو شان الابدال
لانهم يرحلون الى مكان ويقيمون في مكانهم شبحا اخر مشبها لشبحهم الاصلي بدلا عنه
وقد ذكر التاج بن الامام السبكي في الطبقات ان كرامات الاوليا انواع وعد منها ان
يكون له اجساد متعددة قال هذا هو الذي تسميه الصوفية ومنه بعثه قضيب البان
وغيره كواقعة الشيخ عبد القادر والطوطي الدشطوطي نفعنا الله به **فقد ذكر** الجلال

السيوطي

السيوطي رحمه الله تعالى انه رفع اليه سوال في رجل حلف بالطلاق ان ولي الله الشيخ عبد القادر
الدشطوطي بات عنده ليلة كذا فحلف اخر بالطلاق انه بات عنده تلك الليلة بعينها
فهل يقع الطلاق على احدهما قال فارسلت قاصدي الى الشيخ عبد القادر فسالته عن
ذلك فقال ولو قال اربعة اني بت عندهم لصدقوا قال فافتيت بانه لا حنث على واحد
منهما لان تعدد الصور والشكل ممكن كما يقع ذلك للجان وقد قيل للابدال انهم انما
سموا ابدالا لانهم قد يرحلون الى مكان ويقيمون في مكانهم الاول شبحا اخر شبيها
بشبحهم الاصلي بدلا عنه ويقال له عالم المثال كما تقدم فهو عالم متوسط بين عالم
الاجساد والطف من عالم الارواح فالارواح تتجسد وتظهر في صور مختلفة من عالم
المثال **قال** وهذا الجواب اولى مما تكلفه بعضهم الجواب عن جبريل عليه السلام
بانه كان يندمج بعضه في بعض اي الذي اجاب به الحافظ بن حجر رحمه الله ومما
يدل على وجود المثال رويته صلى الله عليه وسلم للجنة والنار في عرض الحايط **وقول**
ابن عباس رضي الله عنه في قوله تعالى لولا ان راى برهان ربه بانه مثل له
يعقوب بمصر وهو بالشام ومن ذلك ما اشتهر ان الكعبة شوهدت تطوف ببعض
الاوليا في غير مكانها **وممن وقع** له ذلك ابو يزيد البسطامي والشيخ عبد القادر
الجيلي والشيخ ابراهيم المتبولي نفعنا الله ببركاتهم ولعل مجي جبريل عليه السلام
في صورة دحية رضي الله عنه كان في المدينة بعد اسلام دحية فان اسلامه كان بعد
بدر فلم يشهدها وشهد المشاهد كلها بعدها اذ يبعد مجيه على صورة دحية قبل
اسلامه رضي الله عنه **قال** الشيخ الاكبر رضي الله عنه دحية الكلبي كان اجمل
اهل زمانه واحسنهم صورة فكان الغرض من نزول جبريل عليه السلام على سيدنا محمد
صلى الله عليه وسلم في صورته اعلاما من الله تعالى انه ما بيني وبينك يا محمد سفير
الا صورة الحسن والجمال وهي التي لك عندي فيكون ذلك بشرى له صلى الله عليه وسلم
لا سيما اذا اتى بامر الوعيد والزجر فتكون تلك الصورة الجميلة تسكن عنه ما يحركه
من ذلك الوعيد والزجر هذا كلامه وهو واضح لو كان لا ياتيه الا على تلك الصورة
الا ان يدعي انه من حين اتاه على صورة دحية لم ياته على صورة ادمي غيره وتكون
واقعة سيدنا عمر رضي الله عنه سابقة على ذلك لكن تقدم انه كان اذا اتاه على صورة
الادمي ياتيه بالوعد والبشارة اي بالوعد والبشارة واذا اتاه على غير صورة ذلك
ياتيه بالوعيد والزجر فليتامل وفي البرهان للزركشي في التنزيل اي تلقي القران طريقان
احدهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم انخلع من صورة البشرية الى صورة الملكية واخذه
من جبريل عليه السلام لان الانبيا عليهم الصلاة والسلام يحصل لهم الانسلاخ من
البشرية الى الملكية بالفطرة الالهية من غير اكتساب فيما هو اقرب من لمح البصر **والثاني**
ان الملك انخلع من الملكية الى البشرية حتى اخذه رسول الله صلى الله عليه وسلم منه

عليه السلام

هذا كلامه والراجح ان المنزل اللفظ والمعنى تلقفه جبريل من الله تعالى تلقفا روحانيا
وان الله خلق تلك الالفاظ اي الاصوات الدالة عليها في الجو واسمعها جبريل عليه السلام
وخلق فيه علما ضروريا انها دالة على ذلك المعنى القديم القايم به تعالى واوحاه
اليه صلى الله عليه وسلم كذلك او حفظ جبريل من اللوح المحفوظ ونزل به وعلم ان
من حالات الوحي النفث اي انه كان ينفث في روعه الكلام نفثا قال صلى الله عليه وسلم
ان روح القدس اي المخلوق من الطهارة يعني جبريل نفث من الطهارة نفث اي
القى والنفث في الاصل النفخ اللطيف الذي لا ريق معه في روعي بضم الراء اي قلبي ان
لن تموت نفس حتى تستكمل اجلها ورزقها فاتقوا الله واجملوا في الطلب اي عاملوا
الجميل في طلبكم وتمتد ولا يحملنكم استبطا الرزق على ان تطلبوه بمعصية الله اي كالكذب
فان ما عند الله لا ينال الا بطاعته وفي كلام ابن عطا الله نفعنا الله به الاجمال في
الطلب يحتمل وجوها كثيرة منها ان لا تطلبه متكلا عليه مستقلا عن الله به ومنها ان
تطلبه من الله ولا تعين قدرا ولا وقتا لان من طلب وعين وقتا او قدرا فقد تحكم على
ربه واحاطت الغفلة بقلبه ومنها ان يطلبه وهو شاكر لله ان اعطى وشاهد حسن
اختياره اذا منع ومنها ان يطلب من الله ما فيه رضاه ولا يطلب ما فيه حظوظ دنياه
ومنها ان يطلب ولا يستعجل الاجابة وفي حديث ضعيف اطلبوا الحوايج بعزة النفس فان
الامور تجري بالمقادير ومن حالات الوحي انه كان ياتيه صلى الله عليه وسلم في مثل
صلصلة الجرس وهي اشد الاحوال عليه صلى الله عليه وسلم اي لما قيل انه كان ياتيه
في هذه الحالة بالوعيد والنذارة **اقول** روى الشيخان عن عايشة رضي الله عنها ان
الحارث بن هشام بن المغيرة رضي الله عنه وهو اخي ابي جهل لابويه فكان يضرب به
المثل في السودد حتى قال فيه الشاعر ٭ احسبت ان اباك حين تسبني ٭ في المجد كان
الحارث بن هشام ٭ اولى قريش بالمكارم والندا ٭ في الجاهلية كان والاسلام ٭
اسلم يوم الفتح وساتي انه استجار في ذلك اليوم بام هانى اخت علي بن ابي طالب
واراد علي كرم الله وجهه قتله فذكرت ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فقال قد اجرنا
من اجرت يا ام هانى وحسن اسلامه وشهد حنينا وكان من المولفة قلوبهم كما سياتي
سال رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف ياتيك الوحي اي حامله الذي هو جبريل فقال
احيانا ياتيني مثل صلصلة الجرس وهو اشده علي فيفصم بالفا اي يقلع عني وقد
وعيت ما قال وفي رواية ياتيني احيانا له صلصلة كصلصلة الجرس واحيانا يتمثل
لي الملك اي الذي هو حامل الوحي رجلا يتصور بصورة الرجل وفي رواية بصورة الفتى فيكلمني
فاعي ما يقول روى انه في الحالة الثانية ينفلت منه ما يقبره بخلاف الحالة الاولى ونص
ونص هذه الرواية كان الوحي ياتيني على نحوين ياتيني جبريل فيلقيه على كما يلقي الرجل
على الرجل فذ ينفلت مني وياتيني في شي مثل صوت الجرس حتى يخالط قلبي فذلك الذي

لا ينفلت مني قيل وانما كان ينفلت منه في الحالة الاولى لشدة تانسه بحامله لانه ياتي اليه
في صورة يعهدها ويخاطبه بلسان يعهده فلا يتثبت فيما القي اليه بخلافه في الحالة
الثانية لان سماع مثل هذا الصوت يفزع منه القلب مع عدم رؤية احد يخاطبه اذا
علم انه وحي اضطر الى التثبت في ذلك وقولنا اي حامله يخالف قول الحافظ ابن حجر
حيث ذكر ان قوله مثل صلصلة الجرس بين بها صفة الوحي لا صفة حامله وفيه
ان ذلك لا يناسب قوله وقد وعيت ما قال وقول بعضهم الصلصلة المذكورة هي
صوت الملك بالوحي وقوله ياتيني احيانا له صلصلة كصلصلة الجرس واحيانا يتمثل
لي الملك رجلا وكان يجد ثقلا عند نزول الوحي ويتحدر جبينه عرقا في البرد كانه
الجمان وربما غط كغطيط البكر محمرة عيناه **وعن زيد بن ثابت** رضي الله عنه كان
اذا نزل الوحي على رسول الله صلى الله عليه وسلم ثقل لذلك وربما وقع فخذه على
فخذي فوالله ما وجدت شيا اثقل من فخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم وربما اوحي
اليه وهو على راحلته فترعد حتى يظن ان ذراعها ينفصم وربما بركت اي وجا انه
صلى الله عليه وسلم لما نزلت عليه سورة المايدة كان على ناقة فلم تستطع ان تحمله
فنزل عنها **وفي رواية** فاندق كتف راحلته العضبا من ثقل السورة ولا يخالفه ما
قبله لانه جاز ان يكون حصل لها ذلك فكان سببا لنزوله ثم رايت في رواية ما يصرح
بذلك وجا ما من مرة يوحى الي الا ظننت ان نفسي تقبض مني وعن اسما بنت عميس رضي
الله عنها كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا نزل عليه الوحي يكاد يغشى عليه
وفي رواية يصير كهيئة السكران **اقول** اي يقرب من حال الغشي عليه لتغيره عن
حالته المعهوده تغيرا شديدا حتى تصير صورته صورة السكران اي مع بقا عقله وتمييزه
ولا ينافي ذلك قول بعضهم ذكر العلما انه صلى الله عليه وسلم كان يوخذ عن الدنيا
لانه يجوز ان يكون مع ذلك على عقله وتمييزه على خلاف العادة وهذا هو اللايق بمقامه
صلى الله عليه وسلم ولا ينقض وضوءه صلى الله عليه وسلم **ثم رايت صاحب الوفا**
قال فان قال قايل ما كان يجري من البرحا حين نزول الوحي هل ينقض وضوءه فالجواب
لانه محفوظا في منامه تنام عينه ولا ينام قلبه فاذا كان النوم الذي يسقط فيه الوكا
لا ينقض وضوءه فالحالة التي اكرم فيها بالمسارة والقا الهدى الى قلبه اولى ان يكون
فيها معصوما من الاذى هذا كلامه وما ذكرناه اولى لما تقدم ان الاغما ابلغ من
النيام **وفي كلام** الشيخ محي الدين رحمه الله ما يدل على انه صلى الله عليه وسلم
وجميع من ياتيه الوحي من الانبيا كان اذا جاءه الوحي يستلقي على ظهره حيث قال سبب
اضطجاع الانبيا على ظهورهم عند نزول الوحي اليهم ان الوارد الالهي الذي هو صفة
القيومية اذا جاءهم اشتغل الروح الانساني عن تدبيره فلم يبق للجسم من يحفظ عليه
قيامه لا قعوده فرجع الى اصله وهو الصوعرة بالارض وعن ابي هريرة رضي الله عنه

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا نزل عليه الوحي صدع فيغلف راسه بالحنا نير
وهو محمل قول بعض الصحابة انه صلى الله عليه وسلم كان يخضب بالحنا والا فهو لم يخضب
لانه لم يبلغ سنا يخضب فيه وفيه انه امر بالخضاب للشباب فقد جا اختضبوا بالحنا فانه
يزيد في شبابكم وجمالكم ونكاحكم وفي مسلم عن ابي هريرة رضي الله عنه كان رسول
الله صلى الله عليه وسلم اذا نزل عليه الوحي لم يستطع احد منا يرفع طرفه اليه حتى
ينقضي الوحي وفي لفظ كان اذا نزل عليه الوحي استقبله الرعدة وفي رواية كرب لذلك
وتربد له وجهه وغمض عينيه وربما غط كغطيط البكر وعن زيد بن ثابت رضي الله عنه
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم السورة الشديدة اخذه من الشدة والكرب على قدر
شدة السورة واذا نزل عليه السورة اللينة اصابه من ذلك على قدر لينها وعن عمر بن
الخطاب رضي الله عنه كان اذا نزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم الوحي يسمع عند
وجهه كدوي النحل وذكر الحافظ بن حجر ان دوي النحل لا يعارض صلصلة الجرس اي
المتقدم ذكرها لان سماع الدوي بالنسبة للنبي صلى الله عليه وسلم ان الراوي شبه
بدوي النحل والنبي صلى الله عليه وسلم شبهه بصلصلة الجرس فالمراد بهما شي واحد
والله تعالى اعلم ومن حالاته اي حالات الوحي اي حامله انه كان يأتيه على صورته
التي خلقه الله عليها له ستمائة جناح اقول فيوحي اليه صلى الله عليه وسلم في تلك
الحالة كما هو المتبادر وفيه انه قد جا عن عايشة رضي الله عنها وابن مسعود رضي الله
عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم لم يرى جبريل عليه السلام على صورته التي خلقه الله عليها الا مرتين حتى ساله ان يريه نفسه فقال وددت اني رايتك في صورتك اي وذلك
بحرا وابر البعثة بعد فترة الوحي بالافق المبين ويقوله تعالى فاستوى بالافق
الاعلى من الارض وهي المرة المعنية بقوله تعالى ولقد راه بالافق المبين وبقوله
تعالى فاستوى وهو بالافق الاعلى طلع جبريل عليه السلام من المشرق فسد الافق الى
المغرب فخر النبي صلى الله عليه وسلم مغشيا عليه فنزل اليه في صورة الادميين وضمه
الى نفسه وجعل يمسح الغبار عن وجهه الحديث والاخرى ليلة الاسري المعنية بقوله
تعالى ولقد راه نزلة اخرى عند سدرة المنتهى وسياق الكلام على ذلك وفي الخصايص
الصغرى خص صلى الله عليه وسلم برويته جبريل في صورته التي خلق عليها اي لم
يره احد من الانبيا عليهم الصلاة والسلام على تلك الصورة الا نبينا صلى الله عليه وسلم
وذكر السهيلي رحمه الله ان المراد بالاجنحة في حق الملايكة صفة ملكية وقوة روحانية
وليست كاجنحة الطير ولا ينافي ذلك وصف كل جناح منها بانه يسد ما بين المشرق
والمغرب هذا كلامه ولعله ينافيه ما تقدم عن الحافظ بن حجر من ان تمثل الملك رجلا
ليس معناه ان ذاته انقلبت رجلا بل معناه مظهر بتلك الصورة تانيسا لمن يخاطبه
والظاهر ان القدر الزايد لا يزول ولا يفنى بل يخفى على الرائي فقط والله تعالى اعلم

ومن حالاته الوحي اي نفسه اي الموحي اليه لا حامله الذي هو جبريل ان الله تعالى
اوحى اليه صلى الله عليه وسلم بلا واسطة ملك بل من وراء حجاب يقظة او من غير
حجاب بل كفاحا وذلك ليلة المعراج واسم الاشارة يحتمل ان يكون للنوعين وقع كل
منهما ليلة الاسري ويحتمل ان يكون نوعا واحدا وان الاول بناء ~~المناسبة~~ ذلك
على القول بعدم الرؤية والثاني بناء على القول بالرؤية وح لا يناسب ذلك نوعين
كما فعل الشمس الشامي ومن ثم نسب ابن القيم هذا النوع لبعضهم كالمتبرئ من حيث
قال وقد زاد بعضهم مرتبة ثامنة وهي تكليم الله له كفاحا بغير حجاب هذا كلامه
لابن القيم ممن لا يقول بوجود الرؤية فما زاده فما زاده بعضهم بناه على القول
بوجود الرؤية كما علمت وح يكون هذا ليلة المعراج وعلى هذا جا في قوله تعالى وما
كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا او من وراء حجاب او يرسل رسولا وقول ابن القيم
الثالثة اي من حالات الوحي اوحاه الله تعالى اليه وهو فوق السموات من فرض الصلوات
وغيرها لان ذلك انما هو ليلة المعراج بغير واسطة ملك وهذا محتمل لان يكون من
غير حجاب وان يكون من وراء الحجاب فهي لم تخرج عما تقدم ولذا قوله الرابعة اي من
حالات كلام الله تعالى منه اليه بلا واسطة ملك كما كلم الله موسى اي من وراء حجاب
فهي لم تخرج عما تقدم وح يكون كلمه صلى الله عليه وسلم بواسطة الملك وكلمه بغير
واسطة الملك من وراء حجاب وشافهه من غير حجاب وصاحب المواهب نقل عن المولى
العراقي كلاما فيه الاعتراض على ابن القيم بغير ما ذكر والجواب عنه واقع مع ما في
ذلك الكلام من التطير الظاهر الذي لا يكاد يخفى والله اعلم قال الحافظ السيوطي
وليس في القران من هذا النوع اي مما شافهه به الحق سبحانه وتعالى من غير حجاب
شي فيما اعلم نعم يمكن ان يعد منه اخر سورة البقرة اي من السور الى اخر الايات
لانها نزلت كما في الكامل للهذلي رحمه الله بقاب قوسين وروى الديلمي قيل يا رسول
الله اي اية في كتاب الله تحب ان تصيبك وامتك قال سورة البقرة فانها من كنز الرحمة
من تحت عرش الله ولم تترك خيرا في الدنيا والاخرة الا اشتملت عليه ولعل هذا لا يعارض
ما جا في فضل اية الكرسي من قوله صلى الله عليه وسلم وقد قيل له يا رسول الله اي
اية في كتاب الله اعظم قال اية الكرسي اعظم وما جاء عن الحسن مرسلا افضل القران
سورة البقرة وافضل اية منها اية الكرسي وفي رواية اعظم اية فيها اية الكرسي
ونزل في ذلك الموطن الذي هو قاب قوسين بعض سورة الضحى وبعض سورة الم نشرح
قال صلى الله عليه وسلم سالت ربي مسالة وددت اني لم اكن سالت سالت ربي اتخذت
ابراهيم خليلا وكلمت موسى تكليما فقال يا محمد الم اجدك يتيما فاويتك وضالا فهديتك
وعايلا فاغنيتك وشرحت لك صدرك ووضعت عنك وزرك ورفعت لك لك ذكرك فلا اذكر
الا وتذكر معي انتهى اقول قد يقال لا يلزم من النزول في قاب قوسين ان يكون مشافهة

٥ ٥٥ من غير حجاب قوله تعالى يا محمد الم اجدك الخ ليس هذا من نص التلاوة وان
وان هذا ظاهر في ان المدلول المتلو ن الدال على ماذكر نزل قبل ذلك وان هذه
تذكير به والله تعالى اعلم **ومن حالات الوحي** انه اوحي اليه بلا واسطة ملك
مناما كما في حديث معاذ رضي الله عنه اتاني ربي وفي لفظ رايت ربي في احسن
صورة فقال فيما يختصم الملأ الاعلى يا محمد قلت انت اعلم اي ربي فوضع كفه
بين كتفي فوجدت بردها بين ثديي فعلمت ما في السما والارض **اي وفي كلام**
الشيخ محي الدين بن العربي رضي الله عنه فهذا علم حاصل لا عن قوة من القوى
الحسية او المعنوية وهذا لا يبعد ان يقع مثله للاوليا بطريق الارث اي يتجلى لهم
الحق بالتجلي الخاص الذي ماذكر عبارة عنه وفي رواية فعلمت علم الاولين والآخرين
اي ومن حالات الوحي رؤيا النوم له صلى الله عليه وسلم رؤيا الانبيا وحي كما تقدم
ومن حالاته العلم الذي يلقيه الله تعالى في قلبه عند الاجتهاد في الاحكام بناء على
ثبوته لا بواسطة ملك وبذلك فارق النفث في الروع ويذكر هذه الانواع في الوضع للوحي
نعلم ان ما تقدم من حصره في الحالتين المذكورتين عند سؤال الحارث له صلى الله عليه
وسلم اغلبي وان ما عداهما وقع بعد سؤال الحارث وفي ينبوع الحياة عن ابن جرير
ما نزل جبريل بوحي قط الا ونزل معه من الملائكة حفظة يحيطون به وبالنبي الذي
يوحى اليه يطردون الشياطين عنهما لئلا يسمعوا ما يبلغه جبريل الى النبي صلى الله عليه
وسلم من الغيب الذي يوحيه اليه فيلقوه الى اوليائهم ثم رايته في الاتقان ذكر ان من
القران ما نزل معه ملائكة مع جبريل مشيعة من ذلك سورة الانعام شيعها سبعون
الف ملك وفاتحة الكتاب شيعها ثمانون الف ملك واية الكرسي شيعها ثلاثون الف ملك
وسورة يس شيعها ثلاثون الف ملك واسال من ارسلنا قبلك من رسلنا شيعها عشرون
الف ملك ولعل هذا لا ينافي ما تقدم من ان الغرض من تساقط النجوم حراسة السما من
استراق سمع الشياطين لما يوحى لجواز ان يكون هذا الحفظ ما يوحى اليه من استراقه
في الارض وبين السما والارض **وعن النخعي** ان اول سورة انزلت عليه اقرا باسم ربك
قال الامام النووي وهو الصواب الذي عليه الجماهير من السلف والخلف هذا كلامه
ولا يخفى ان مراده بالسورة هنا القطعة من القران اي اول اية انزلت فلا ينافي ما تقدم
عن رواية عمرو بن شرحبيل مما يدل على ان اول سورة كاملة انزلت الاية في شان
الانذار فلا ينافي ما تقدم عن رواية جابر مما يقتضي ان اول ما نزل يا ايها المدثر لان
المراد بذلك اول سورة كاملة نزلت في شان الانذار فلا ينافي ما تقدم بعد فترة الوحي
اي فانها نزلت في شان الانذار بعد فترة الوحي اي فانها نزلت قبل تمام سورة اقرا
وهذا الجمع تقدم الوعد به اي لكن يشكل عليه ما في الكشاف عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم ما نزل علي القران الا اية اية وحرفا حرفا ما خلا سورة براة وقل هو الله احد

فانها نزلت علي ومعها سبعون الف ملك من الملائكة فان هذا السياق يدل على
انه لم ينزل عليه صلى الله عليه وسلم سورة كاملة الا براة وقل هو الله احد ويخالفه
ما في الاتقان ان مما نزل جملة سورة الفاتحة وسورة الملك وسورة تبت وسورة
لم يكن وسورة النصر والمرسلات والانعام لكن ذكر ابن الصلاح ان هذا روي
عن سند فيه ضعف قال ولم ار له اسنادا صحيحا وقد روي ما يخالفه ولم يذكر
في الاتقان سورة براة مما نزل جملة سورة براة وذكر ان المعوذتين نزلتا دفعة
واحدة وحينئذ يكون المراد بقوله صلى الله عليه وسلم الا اية اية وحرفا حرفا اي
كلمة والمراد بهما ما قابل السورة والا فقد انزل عليه ثلاث ايات واربع ايات
وعشر ايات كما انزل عليه بعض اية فقد صح نزول غير اولي الضرر منفردة
وهي بعض اية وفي الاتقان عن جابر رضي الله عنه قال اول ما انزل الله من
القران بمكة اقرا باسم ربك ثم ن والقلم ثم يا ايها المزمل ثم يا ايها المدثر ثم الفاتحة
الى اخر ما ذكر **ثم قال** قلت هذا السياق غريب وفي هذا الترتيب نظر وجابر
بن زيد من علما التابعين هذا كلامه **وذكر** بعض المفسرين ان سورة التين اول
ما نزل من القران والله اعلم وما تقدم من نزول يا ايها المدثر كان في شان الانذار
بعد فترة الوحي لانه كان بعد نزول جبريل عليه السلام باقرا باسم ربك مكث مدة
لا يرى جبريل عليه السلام اي وانما كان كذلك ليذهب عنه ما كان يجده من الرعب
وليحصل له التشوق الى العود ومن ثم حزن لذلك حزنا شديدا حتى غدا صلى الله عليه
وسلم مرارا كي يتردى من رؤوس شواهق الجبال فكلما اوفى بذروة كي يلقي نفسه منها
تبدى له جبريل عليه السلام فقال يا محمد انك رسول الله حقا فيسكن لذلك جاشه اي قلبه
وتقر نفسه ويرجع فاذا طالت عليه فترة الوحي غدا لمثل ذلك فاذا اوفى ذروة جبل
تبدى له مثل ذلك **قال** وفي رواية انه لما فتر الوحي عنه صلى الله عليه وسلم
حزن حزنا شديدا حتى كان يغدو الى ثبير مرة والى حراء مرة اخرى يريد ان يلقي
نفسه فكلما اوفى ذروة جبل منها كي يلقي نفسه تبدى له جبريل عليه السلام فقال يا محمد
انت رسول الله حقا فيسكن لذلك جاشه وتقر عينه فيرجع فاذا طالت عليه فترة
الوحي عاد لمثل ذلك وكانت تلك المدة اربعين يوما وقيل اثني عشر يوما وقيل خمسة
عشر يوما وقيل ثلاثة عشر يوما وقيل ثلاثة ايام قال بعضهم وهو الاشبه بحاله
عند الله تعالى انتهى **اقول** ويبعده هذا الاشبه قوله فاذا طالت عليه فترة
الوحي والله اعلم وفي الاصل وهذه الفترة لم يذكرها ابن اسحاق مدة معينة **اقول**
في فتح الباري ان ابن اسحاق جزم بانها ثلاث سنين والله اعلم **قال** ابو القاسم
وقد جا في بعض الاحاديث المسندة ان مدة هذه الفترة كانت سنتين ونصف سنة
اي وفي كلام الحافظ بن حجر وهذا الذي اعتمده السهيلي لا يثبت وقد عارض ما جاء

لفترة
عن ابن عباس رضي الله عنهما ان مدة الوحي كانت اياما اي واقلها ثلاثة ايام
وتقدم ما فيه قال بعض الحفاظ والظاهر والله اعلم انها اي مدة الفترة
كانت بين اقرا ويا ايها المدثر وهي المدة التي اقترن معه فيها اسرافيل كما قال
الشعبي انتهى اقول ويوافق ذلك ما في الاستيعاب لابن عبد البر رحمه الله
ان الشعبي قال انزلت عليه النبوة وهو ابن اربعين واقترن بنبوته اسرافيل
عليهما السلام وتقدم ذلك وفي الاصل عن الشعبي ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم وكل به اسرافيل فكان يتراءى له ثلاث سنين ويأتيه بالكلمة من الوحي ولم
ينزل القرآن اي منه على لسانه ثم وكل به صلى الله عليه وسلم جبريل عليه السلام
فجا بالوحي بالقرآن وهو موافق في ذلك لما في سيرة الحافظ الدمياطي شيخه حيث قال
قال بعض العلما وقرن به اسرافيل ثم قرن به جبريل عليهما السلام وهو ظاهر
في ان اقتران اسرافيل به كان بعد النبوة ويؤيده قوله ويأتيه بالكلمة من الوحي
ومحتمل لان يكون ذلك قبل النبوة فيوافق ما تقدم عن الماوردي لكن تقدم انه كان
يسمع حسه ولا يرى شخصه الا ان يقال لا يلزم من كونه يتراءى له ان يراه وقوله يأتيه
بالكلمة من الوحي وهو معنى قوله يأتيه بالشي بعد الشي ثم رايت رحمه الله
انكر على الشعبي كون اسرافيل قرن به اولا وقال لم يقترن به من الملائكة الا جبريل
اي بعد النبوة ويحتمل مطلقا قال بعضهم ما قاله الشعبي هو الموافق لما هو
المشهور المحفوظ الثابت عنه في الاحاديث الصحيحة وخبر الشعبي مرسل او معضل
فلا يعارض ما في الاحاديث الصحيحة هذا كلامه ثم رايت الحافظ ابن حجر نظر في كلام
الواقدي بان المثبت مقدم على النافي الا ان صحب النافي دليل نفيه فيقدم هذا كلامه
لا يقال قد وجد الدليل فقد جا بينا النبي صلى الله عليه وسلم جالس وعنده جبريل
عليه السلام جالس اذ سمع نقيضا اي هدة من السما فرفع جبريل عليه السلام بصره
الى السما فقال يا محمد هذا ملك قد نزل لم ينزل الى الارض قط قال جماعة من العلما
ان هذا الملك اسرافيل لانا نقول هذا مجرد دعوى لا دليل عليها ولا يحسن ان يكون
مستندهم في ذلك ما في الطبراني عن ابن عمر رضي الله عنهما سمعت رسول الله صلى الله
عليه وسلم يقول لقد هبط علي ملك من السما ما هبط على نبي قبلي ولا يهبط على احد
بعدي وهو اسرافيل عليه السلام فقال انا رسول ربك الحديث ومن ثم عد السيوطي
رحمه الله تعالى من خصايصه صلى الله عليه وسلم هبوط اسرافيل عليه السلام عليه اذ
ليس في ذلك دليل على ان اسرافيل لم يكن ينزل اليه صلى الله عليه وسلم قبل ذلك
حتى يكون دليلا على اقتران جبريل به سابق على اقتران اسرافيل به هذا وفي كلام
الحافظ السيوطي ان مجي اسرافيل كان بعد ابتدا الوحي بسنتين قال كما عرفا ذلك
من ساير طرق الاحاديث وهو بظاهره يرد ما في سفر السعادة انه صلى الله عليه

وسلم

تسع
لعله
وسلم لما بلغ سنتين امر الله اسرافيل ان يقوم بملازمته فلازمه سنتين ولما بلغ احد
عشر سنة امر الله تعالى جبريل بملازمته فلازمه تسعا وعشرين سنة فليتامل
وعن يحيى بن بكير قال ما خلق الله خلقا في السموات احسن صوتا من اسرافيل فاذا قرا
في السما يقطع على اهل السما ذكرهم وتسبيحهم ثم رايت في فتح الباري ليس المراد بفترة
الوحي المقدرة بثلاث سنين اي على ما تقدم ما بين نزول اقرا ويا ايها المدثر عدم
مجي جبريل عليه السلام اليه صلى الله عليه وسلم بل تاخر نزول القرآن عليه فقط
هذا كلامه اي فكان جبريل عليه السلام ياتي اليه بغير قرآن بعد مجيه اليه باقرا
ولم يجي اليه بالقرآن الذي هو يا ايها المدثر الا بعد ثلاث سنين على ما تقدم ثم
في تلك المدة مكث اياما لا ياتيه اصلا ثم جا بيا ايها المدثر فكان قبل تلك الايام يختلف
اليه هو واسرافيل عليهما السلام وهذا السياق كما لا يخفى يوخذ منه عدم المنافاة بين
كون مدة فترة الوحي ثلاث سنين كما يقول ابن اسحاق وسنتين ونصفا كما يقول السهيلي
وسنتين كما يقول الحافظ السيوطي وبين كونها اياما اقلها ثلاثة واكثرها اربعون
كما تقدم عن ابن عباس رضي الله عنهما لان تلك الايام هي التي كانت لا يرى فيها
جبريل اصلا على ما تقدم بل ولا يرى فيها اسرافيل ايضا وفي غير تلك الايام كان
ياتيه بغير القرآن وحينئذ فما ذكره الحافظ السيوطي في ما سبق عن السهيلي وينبغي ان تكون تلك
الايام التي كان لا يرى صلى الله عليه وسلم فيها جبريل واسرافيل عليهما الصلاة
والسلام هي التي كان يريد ان يلقي فيها نفسه من روس شواهق الجبال وهذا السياق
ايضا يدل على ان النبوة سابقة على الرسالة بناء على ان الرسالة كانت بيا ايها
المدثر ويصرح به ما تقدم من قول بعضهم نبأه بقوله اقرا اقرا باسم ربك وارسله
بقوله يا ايها المدثر قم فانذر وربك فكبر وثيابك فطهر وان بينهما فترة الوحي وعليه
اكثر الروايات وقيل النبوة والرسالة مقترنتان ولعل من يقول بذلك يقول
يا ايها المدثر دلت على طلب الدعوة الى الله تعالى وهذا غير اظهار الدعوة والمناجاة
بها الذي دل عليه قوله تعالى فاصدع بما تومر فليتامل وذكر السهيلي رحمه الله تعالى
ان من عادة العرب اذا قصدت الملاطفة ان تسمي المخاطب باسم مشتق من الحالة التي
عليها ملاطفة الحق سبحانه وتعالى بقوله يا ايها المدثر فبذلك علم رضاه الذي هو
غاية مناه ومطلوبه وبه كان يهون عليه تحمل الشدايد ومن هذه الملاطفة قوله
صلى الله عليه وسلم لعلي ابن ابي طالب كرم الله وجهه وقد نام وترب جبينه قم
يا ابا تراب وقوله صلى الله عليه وسلم لحذيفة رضي الله عنه في غزاة احد وقد نام الى
الاسفار قم يا نومان وذكر الشيخ محي الدين بن عربي في قوله تعالى يا ايها المدثر
قم فانذر اعلم ان التدثر انما يكون من البرودة التي تحصل عقب الوحي وذلك ان الملك
اذا ورد على النبي صلى الله عليه وسلم بعلم او حكم تلقى ذلك الروح الانساني وعند

ذلك تشتعل الحرارة الغريزية فتغير الوجه وتنتقل الرطوبات الى سطح البدن لاشتعال
الحرارة فيكون من ذلك العرق فاذا سرى عنه ذلك سكن المزاج وانقشعت تلك
الحرارة وانفتحت تلك المسام وقبل الجسم الهوى من خارج فيتحلل الجسم فيبرد المزاج
فتاخذه القشعريرة فتزاد عليه الثياب لتسخن هذا ملخص كلامه **وذكر بعضهم**
في تفسير قوله تعالى وثيابك فطهر ان الشيخ ابا الحسن الشاذلي رحمه الله قال
رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم في النوم فقال يا ابا الحسن طهر ثيابك من
الدنس تحظ بمدد الله تعالى في كل نفس فقلت يا رسول الله وما ثيابي قال ان الله
تعالى كساك حلة التوحيد وحلة المحبة وحلة المعرفة قال ففهمت من قوله تعالى
وثيابك فطهر **وجاء** في وصف اسرافيل عليه السلام في بعض الاحاديث لا تفكروا
في عظمة ربكم ولكن تفكروا في ما خلق الله من الملائكة فان خلقا من الملائكة يقال
له اسرافيل عليه السلام زاوية من زوايا العرش على كاهله وقدماه في الارض
السفلى وقد مرق راسه من سبع سموات وانه ليتضاءل من عظمة الله تعالى حتى
يصير كانه الوصع فهو عند نزوله عليه السلام يكون حاملا لزاوية العرش لا لحلقه
غيره من الملائكة عليهم الصلاة والسلام في ذلك الحمل والله تعالى اعلم

باب ذكر وضوئه وصلاته صلى الله عليه وسلم

اول البعثة اي اول الارسال اليه صلى الله عليه وسلم باقرا **اقول** في المواهب
انه روي ان جبريل عليه السلام بدا له صلى الله عليه وسلم في احسن صورة واطيب
رايحة فقال له يا محمد ان الله يقريك السلام ويقول لك انت رسول الله الى الجن
والانس فادعهم الى قول لا اله الا الله ثم ضرب برجله الارض فنبعت عين ماء فتوضا
منها جبريل عليه السلام ثم امره صلى الله عليه وسلم ان يتوضا وقام جبريل عليه
السلام يصلي وامره صلى الله عليه وسلم ان يصلي معه فعلمه الوضوء والصلاة
الحديث وقوله فعلمه الوضوء يحتمل ان يكون بفعله المذكور ويحتمل ان يكون علمه
بقوله افعل كذا في وضوئك وصلاتك ويدل للاول ما سياتي ففيه ان قول جبريل
المذكور انما كان عند امره باظهار الدعوة والمناجاة بها الى الله تعالى بعد فترة
الوحي كما سياتي فالجمع بينه وبين قوله ثم ضرب برجله الارض الى اخره لا يحسن لانه
سياتي ان ذلك كان في يوم نزوله له باقرا باسم ربك ولعله من تصرف بعض الرواة
والله اعلم **فعن ابن اسحاق** حدثني بعض اهل العلم ان الصلاة حين افترضت على
النبي صلى الله عليه وسلم اي قبل الاسرا اتاه جبريل وهو باعلى مكة فهمز له
بعقبه في ناحية الوادي فانفجرت منه عين ماء فتوضا جبريل عليه السلام ورسول
الله صلى الله عليه وسلم ليريه كيف الطهور اي الوضوء للصلاة اي فغسل وجهه
ويديه الى المرفقين ومسح براسه وغسل رجليه الى الكعبين كما في بعض الروايات

اي وفي

اي وفي رواية فغسل كفيه ثم تمضمض واستنشق ثم غسل وجهه ثم غسل يديه الى المرفقين
ثم مسح راسه ثم غسل رجليه ثلاثا ثلاثا ثم امر النبي صلى الله عليه وسلم فتوضا
مثل وضوئه **اقول** وبهذه الرواية يرد قول بعضهم النبي صلى الله عليه وسلم
زاد في الوضوء التسمية وغسل الكفين والمضمضة والاستنشاق ومسح جميع راسه والتخليل
ومسح الاذنين والتثليث الا ان يقال مراد هذا البعض ان ما ذكر زاده على ما في الانجيل
وفي كلام بعضهم كانت العرب في الجاهلية يغتسلون من الجنابة ويداومون على المضمضة
والاستنشاق والسواك والله اعلم **ثم قام** جبريل فصلى به صلى الله عليه وسلم ركعتين
يحتمل ان تلك الصلاة كانت بالغداة وقبل طلوع الشمس ويحتمل انها كانت بالعشي اي
قبل غروب الشمس وفي الامتاع انما كانت الصلاة قبل الاسرا صلاة بالعشي قبل غروب
الشمس ثم صارت صلاة بالغداة وصلاة بالعشي اي ركعتين بالغداة وركعتين بالعشي
والعشي هو العصر ففي كلام بعضهم اهل اللغة العصر والعشا والعصران الغداة والعشي
وكانت صلاته صلى الله عليه وسلم نحو الكعبة واستقبل الحجر الاسود اي جعل الحجر الاسود
قبالته وهذا يدل على انه لم يستقبل في تلك الصلاة بيت المقدس لانه لا يكون مستقبلا
لبيت المقدس الا اذا صلى بين الركنين الاسود واليماني كما كان يفعل بعد فرض الصلوات
الخمس وعليه كما سياتي انه كان يصلي بين الركنين الركن اليماني والحجر الاسود ويجعل
الكعبة بينه وبين الشام اي بينه وبين بيت المقدس اي صخرته الا ان يقال يجوز ان
يكون صلى الله عليه وسلم عند صلاته الى الكعبة كان بينهما الا انه كان الى الحجر الاسود
اقرب منه الى اليماني فقيل استقبل الحجر الاسود فلا مخالفة **لكن** سياتي ما قد يفيد انه
لم يستقبل بيت المقدس الا في الصلوات الخمس اي بعد الاسرا وقبل ذلك كان يستقبل
الكعبة الى اي جهة من جهاتها ولما صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بصلاة جبريل
عليه السلام جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم الى خديجة فاخبرها فغشي عليها من
الفرح ثم توضا لها ليريها كيف الوضوء للصلاة كما اراه جبريل فتوضات كما توضا لها
رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم صلى بها كما صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم
كما صلى به جبريل عليه السلام **وفي سيرة** الحافظ الدمياطي ما يفيد ان ذلك كان في يوم
نزول جبريل عليه السلام له باقرا باسم ربك حيث قال بعث النبي صلى الله عليه وسلم يوم
الاثنين وصلى فيه وصلت خديجة رضي الله عنها اخر يوم الاثنين ويوافقه ظاهر ما
جاء انه اتاني جبريل في اول ما اوحي الي فعلمني الوضوء والصلاة فلما فرغ من الوضوء اخذ غرفة
من الماء فنضح بها فرجه اي رش بها فرجه اي محل الفرج من الانسان بناء على انه لا فرج
له وكون الملك لا فرج له لو تصور بصورة الانسان استدل عليه بانه ليس له ذكر ولا
انثى وفيه نظر لانه يجوز ان يكون له الة ليست كالة الذكر ولا كالة الانثى كما قيل
بذلك في الخنثى ويقال لذلك فرج وبعض شراح الحديث حمل الفرج على ما يقابل الفرج من

من الاذاد وبذلك استدل ايمتنا على انه يستحق لمن استنجا بالما ان ياخذ بعد الاستنجا
كفا من ماء يرشه في ثيابه التي تحاذي فرجه حتى اذا خيل اليه ان شيا خرج ووجد
بللا قد تقرر انه من ذلك الما ولعل هذا هو المراد بقوله صلى الله عليه وسلم علمني جبريل
عليه السلام الوضوء وامرني ان انضح تحت ثوبي مما يخرج من البول بعد الوضوء لوجود بلل
المحل وعن ابن عمر رضي الله عنهما انه كان ينضح سراويله حتى يبلهما وما جا انه لما
اقراه اقرا باسم ربك قال له جبريل انزل من الجبل فنزل معه الى قرار الارض قال
فاجلسني على درنوك بالدال المهملة والرا والنون وهو نوع من البسط ذو خمل ثم ضرب
برجله الارض فنبعت عين ماء فتوضا منها جبريل الحديث فمشروعية الوضوء كانت مع
مشروعية الصلاة التي هي غير الخمس وان ذلك كان في يوم الاثنين نزول جبريل باقرا
وهو مخالف لقول ابن حزم لم يشرع الوضوء الا بالمدينة ونقل ابن عبد البر اتفاق
اهل السير على انه لم يصل قط الا بوضوء قال وهذا مما لا يجهله عالم هذا كلامه الا
ان يقال مراد ابن حزم انه لم يشرع وجوبا الا في المدينة وهو الموافق لقول بعض
المالكية انه كان قبل الهجرة مندوبا اي وانما وجب بالمدينة باية المايدة يا ايها الذين
امنوا اذا قمتم الى الصلاة فاغسلوا وجوهكم الاية ويرده ما في الاتقان ان هذه الاية مما
تاخر نزوله عن حكمه يعني قوله تعالى يا ايها الذين امنوا اذا قمتم الى الصلاة الى قوله لعلكم
تشكرون فان الاية مدنية اجماعا وفرض الوضوء كان بمكة مع فرض الصلاة اي فالوضوء كان
هذا مكي بالفرض مدني بالتلاوة قال والحكمة في ذلك اي في نزول الاية بعد تقدم العمل
ان تكون قرانية مكتوبة هذا كلامه وقوله مع فرض الصلاة يحتمل ان المراد صلاة الركعتين
بناء على انهما كانتا واجبتين عليه صلى الله عليه وسلم وهو الموافق لما تقدم عن ابن اسحاق
ويحتمل ان المراد الصلاة الخمس اي ليلة الاسرا وهو الموافق لما اقتصر عليه شيخنا الشمس
الرملي حيث قال وكان فرضه مع الصلاة قبل الهجرة بسنة هذا كلامه وح يكون قبل ذلك
مندوبا حتى في صلاة الليل وقول صاحب المواهب ما ذكر من ان جبريل علمه الوضوء وامره
به يدل ان فرضية الوضوء كانت قبل الاسرا فيه نظر ظاهر اذ لا دلالة في ذلك على الفرضية
اذ يحتمل ان يكون اللفظ الصادر من جبريل له صلى الله عليه وسلم امرتك ان تفعل كفعلي
وصيغته امر بين الوجوب والندب وذكر بعضهم ان الفرض من نزول سورة المايدة بيان
انه لم يقدر على الوضوء والغسل لمرض او فقد الما يباح له التيمم اي ففرضية الوضوء
والغسل سابقة على نزولها وهو يؤيد قول عايشة رضي الله تعالى عنها في الاية فانزل
الله اية التيمم ولم تقل اية الوضوء وهي هي لان الوضوء كان مفروضا قبل ان توجد تلك
الاية ويوافقه ما ذكره ابن عبد البر من اتفاق اهل السير على ان الغسل من الجنابة
فرض عليه صلى الله عليه وسلم وهو بمكة وعن عمر رضي الله عنه ما يقتضي ان فرض
الغسل كان مع فرض الصلاة ليلة الاسرا فقد جا عنه كانت الصلاة خمسين والغسل من

الجنابة

الجنابة سبع مرات فلم يزل رسول الله صلى الله عليه وسلم يسال حتى جعلت الصلاة
خمسا والغسل من الجنابة مرة قال بعض فقهاينا رواه ابو داود ولم يضعفه وهو
اما صحيح او حسن قال ذلك البعض ويجوز ان يكون المراد بها اي الفرض من نزولها
فرض غسل الرجلين في قراة من قرا وارجلكم بالنصب فان حديث جبريل ليس فيه الا
مسحهما وهو ان جبريل اول ما جا النبي صلى الله عليه وسلم توضا فغسل وجهه
ويديه الى المرفقين ومسح راسه ورجليه الى الكعبين وسجد سجدتين اي ركعتين
مواجهة البيت ففعل النبي صلى الله عليه وسلم كما راى جبريل يفعله هذا كلامه
وفيه نظر لان اكثر الروايات وغسل رجليه كما تقدم فرجليه في هذه الرواية معطوفة
على وجهه كما ان ارجلكم في الاية على قراة الجر معطوفة على الوجه وانما جر للمجاورة
وان كان الجر للمجاورة في غير النعت قليلا او عبر عن الغسل الخفيف بالمسح وفي كلام
الشيخ محيي الدين مسح الرجلين في الوضو بظاهر الكتاب وغسلهما بالسنة المبينة
للكتاب قال ويحتمل العدول عن الظاهر بناء على ان المسح فيه يقال للغسل فيكون
من الالفاظ المترادفة والفتح في ارجلكم لا يخرجها عن الممسوح فان هذه الواو قد تكون
واو المعية وجا انه صلى الله عليه وسلم كان يتوضا لكل صلاة اي عملا بظاهر قوله
تعالى يا ايها الذين امنوا اذا قمتم الى الصلاة الاية فلما كان يوم الفتح صلى صلى الله
عليه وسلم الصلوات الخمس بوضوء واحد فقال له سيدنا عمر رضي الله عنه فعلت شيا
لم تكن تفعله فقال صلى الله عليه وسلم عمدا فعلته يا عمر اي للاشارة الى جواز
الاقتصار على وضوء واحد للصلوات الخمس وجواز ذلك ظاهر في نسخ وجوب الوضوء
لكل صلاة ويوافقه قول بعضهم قيل كان ذلك الوضوء لكل صلاة واجبا عليه ثم نسخ
هذا كلامه اي ويؤيد ذلك ظاهر ما جا انه امر بالوضوء لكل صلاة طاهرا كان او
غير طاهر فلما شق ذلك عليه وضع عنه الوضوء الا من حدث اي ويكون وقت المشقة
يوم فتح مكة لما علمت انه لم يترك الوضوء لكل صلاة الخ وهذا السياق يدل على ان وجوب
الوضوء لكل صلاة كان من خصوصياته صلى الله عليه وسلم ويدل لذلك ما روي
عن انس رضي الله عنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتوضا لكل صلاة
قيل له فكيف كنتم تصنعون اي هل كنتم تفعلون كفعله صلى الله عليه وسلم قال يجزي
احدنا الوضوء الواحد ما لم يحدث فوجوب الوضوء لكل صلاة كان من خصوصياته صلى
الله عليه وسلم ثم نسخ وذكر فقهاؤنا ان الغسل كان واجبا لكل صلاة فنسخ بالنسبة
للحدث الاصغر تخفيفا فصار الوضوء بدلا عنه ثم نسخ الوضوء لكل صلاة ظاهر سياقهم
يقتضي ان وجوب الغسل ثم الوضوء لكل صلاة كان ثابتا في حقه صلى الله عليه وسلم
وحق امته ويحتاج الى بيان وقت نسخ وجوب الغسل في حقه صلى الله عليه وسلم وحق
الامة وبيان وقت نسخ وجوب الوضوء لكل صلاة في حق الامة ومنه يعلم ان نسخ وجوب

الوضوء لكل صلاة يكون بالنسبة للامة ثم بالنسبة اليه صلى الله عليه وسلم وحينئذ فكل
قول فمقتضى الاية تقتضي وجوب الطهر بالما والتراب لكل صلاة خرج الوضوء بالسنة
اي بما تقدم من فعله صلى الله عليه وسلم يوم الفتح وتجويزه صلى الله عليه وسلم للامة
ان يصلي الواحد منهم الصلوات الخمس بوضوء واحد بقي التيمم على مقتضى الواحد منهم
الاية مع النسخ اولا بالنسبة للامة ثم ثانيا بالنسبة اليه صلى الله عليه وسلم ولعل وجوب
الغسل لكل صلاة كان بوحي غير قران وباجتهاد ولا يخفى ان كون ظاهر الاية يقتضي
وجوب الوضوء والتيمم لكل صلاة انما هو بقطع النظر عما نقله امامنا الشافعي رضي
الله عنه عن زيد بن اسلم ان الاية فيها تقديم وحذف وان التقدير اذا قمتم الى
الصلاة من النوم او جا احد منكم من الغائط او لامستم النسا فاغسلوا وجوهكم الاية والله
اعلم **وعن مقاتل** بن سليمان فرض الله في اول الاسلام الصلاة ركعتين بالغداة اي قبل طلوع — في اول صح
الشمس وركعتين بالعشي اي قبل غروب الشمس **اقول** ان كان المراد باول
الاسلام نزول جبريل عليه السلام باقرا يرد ما تقدم عن الامتاع ان اول ما وجب ركعتان — نزول صح
بالعشي ثم صارت صلاة بالغداة وصلاة بالعشي ركعتين الا ان يراد الاولية اضافية
وفي بعض الاحاديث ما يدل على ان وجوب الركعتين كان خاصا به صلى الله عليه وسلم
دون امته منها قوله صلى الله عليه وسلم اول ما افترض على امتي الصلوات الخمس وفيه
انه افترض عليها قبل ذلك صلاة الليل ثم نسخ بالصلوات الخمس **وفي الامتاع** كان رسول
الله صلى الله عليه وسلم يخرج الى الكعبة اول النهار فيصلي صلاة الضحى وكانت
صلاة لا تنكرها قريش وكان صلى الله عليه وسلم واصحابه اذا جا وقت العصر تفرقوا
في الشعاب فرادى ومثنى فيصلون صلاة العشي وكانوا يصلون صلاة الضحى والعشي ثم
نزلت الصلوات الخمس هذا كلامه وهو يفيد ان الركعتين الاوليين كان تصليها وقت
الضحى لا قبل الشمس فليتامل والله اعلم **ثم فرضت** الخمس ليلة المعراج وذهب جمع الى
انه لم يكن قبل الاسرا صلاة مفروضة اي لا عليه ولا على امته الا ما وقع الامر به من صلاة
الليل من غير تحديد اي بقوله فاقرؤوا ما تيسر اي صلوا **اقول** وهو الناسخ لما وجب
قبل ذلك من التحديد في اول السورة الحاصل بقوله تعالى قم الليل الا قليلا نصفه
او انقص منه قليلا او زد عليه وقد نسخ قيام الليل بالصلوات الخمس ليلة الاسرى ولم
يذكروا ايضا وجوب صلاة الركعتين عليه صلى الله عليه وسلم بل قالوا اول ما فرض عليه
الانذار والدعا الى التوحيد ثم فرض عليه قيام الليل المذكور في اول سورة المزمل ثم نسخ
بما في اخرها ثم نسخ بالصلوات الخمس وهو مخالف لما تقدم عن ابن اسحاق من وجوب
صلاة الركعتين عليه ويوافقه قول ابن كثير في قولهم ماتت خديجة رضي الله عنها
قبل ان تفرض الصلاة مرادهم قبل ان تفرض الصلوات الخمس ليلة الاسرا **قال بعضهم**
وانما قال ذلك لان اصل الصلاة قد فرض في حياة خديجة ركعتين بالغداة وركعتين بالعشي

وفي كلام ابن حجر

وفي كلام ابن حجر الهيتمي رحمه الله لم يكلف الناس الا بالتوحيد فقط ثم استمر على
ذلك مدة ثم فرض عليهم من الصلاة ما ذكر في سورة المزمل ثم نسخ ذلك كله بالصلوات
الخمس ثم لم تكثر الفرايض وتتابع الا بالمدينة ولما ظهر الاسلام وتمكن في القلوب
وكان كلما ازداد ظهورا وتمكنا ازدادت الفرايض وتتابعت هذا كلامه ولم اقف
على ما كان يقرا في صلاة الركعتين قبل فترة الوحي وبعدها وقبل نزول الفاتحة
بناء على تاخر نزولها عن ذلك كما هو الراجح **ثم رايت** في الاتقان ان جبريل عليه — مطلب في اسلام من اسلم من الاصحاب رضي الله عنهم
السلام حين حولت القبلة اخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الفاتحة ركن في
الصلاة كما كانت بمكة هذا كلامه وينبغي حمله على الصلوات الخمس ويكون ما تقدم من
قول بعضهم لم يحفظ انه كان في الاسلام صلاة بغير الفاتحة محمولا على ذلك ايضا
وقد تقدم ذلك والله اعلم **باب ذكر اول الناس ايمانا به صلى الله عليه
وسلم** اي بعد البعثة اي لا يخفى انه صلى الله عليه وسلم لما بعث اخفا امره
وجعل يدعو الى الله سرا وتبعه ناس عامتهم ضعفا من الرجال والنسا والى هذا — اسلام خديجة رضي الله عنها
الاشارة بقوله صلى الله عليه وسلم ان هذا الدين بدا غريبا وسيعود كما بدا فطوبى للغربا **ولا يخفى** ان علما السلف على ان اول الناس ايمانا به صلى الله عليه وسلم
على الاطلاق خديجة رضي الله عنها **اقول** نقل الثعلبي المفسر اتفاق العلما عليه
وقال النووي انه الصواب عند جماعة من المحققين وقال ابن الاثير رحمه الله
خديجة اول خلق الله اسلاما باجماع المسلمين لم يتقدمها رجل ولا امراة وفيه ان
بناته صلى الله عليه وسلم الاربع لم يكن موجودات عند البعثة ويبعد تاخير ايمانهن
الا ان يقال خديجة تقدم لها اشراك بخلافهن اخذا مما ياتي **وعن ابن اسحاق** — اسلام علي كرم الله وجهه
رحمه الله ان خديجة رضي الله عنها كانت اول من امن بالله ورسوله وصدقت بما
جا به عن الله تعالى وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يسمع شيئا يكرهه من
قومه الا فرج الله عنه بها اذا رجع اليها واخبرها به ثم علي ابن ابي طالب كرم الله
وجهه ففي المرفوع عن سلمان رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اول
هذه الامة ورودا على الحوض اولها اسلاما علي ابن ابي طالب وجا انه صلى الله عليه
وسلم اول ما زوجه فاطمة قال لها زوجتك سيدا في الدنيا وفي الاخرة وانه لاول
اصحابي اسلاما واكثرهم علما واعظمهم حلما وكان لم يبلغ الحلم كما سياتي حكاية الاجماع
عليه وكان سنه ثمان سنين وكان عند النبي صلى الله عليه وسلم قبل ان يوحى اليه
يطعمه ويقوم بامره لان قريشا كان اصابهم قحط شديد وكان ابو طالب كثير العيال
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمه العباس ان اخاك ابا طالب كثير العيال
والناس فيما ترى من الشدة فانطلق بنا اليه فلنخفف من عياله تاخذ واحدا وانا
اخذ واحدا فجا اليه وقالا انا نريد ان نخفف عنك من عيالك حتى ينكشف عن الناس

وقيل طالبا

ماهم فيه فقال لهما ابو طالب اذا تركتما لي عقيلا فاصنعا ما شئتما فاخذ رسول الله صلى
الله عليه وسلم عليا فضمه اليه واخذ العباس جعفرا فضمه اليه وتركا له عقيلا وطالبا
فلم يزل علي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي خصايص العشرة للزمخشري ان النبي
صلى الله عليه وسلم تولى تسميته بعلي وتغذيته اياما من ريقه المبارك يمصه لسانه
الشريف وعن فاطمة بنت اسد ام علي كرم الله وجهه انها قالت لما ولدته سماه صلى الله
عليه وسلم عليا وبصق في فيه ثم انه القمه لسانه فما زال يمصه حتى نام قالت فلما كان
من الغد طلبنا له مرضعة فلم يقبل ثدي احد فدعونا له محمدا صلى الله عليه وسلم فالقمه
لسانه فنام فكان كذلك ما شاء الله عز وجل وهذا كلامه فليتامل وعنها رضي الله عنها
انها في الجاهلية ارادت ان تسجد لهبل وهي حاملة بعلي كرم الله وجهه فتقوس في بطنها
فمنعها من ذلك. وكان علي كرم الله وجهه اصغر اخوته فكان بينه وبين اخيه جعفر
عشر سنين وبين جعفر واخيه عقيل ذلك وبين عقيل واخيه طالب ذلك ايضا فكل اكبر
من الذي بعده بعشر فاكبرهم طالب ثم عقيل ثم جعفر ثم علي اقول وكلهم اسلموا
الا طالب فانه اختطفته الجن فذهب ولم يعلم اسلامه وقد جاء انه صلى الله عليه وسلم
قال لعقيل يا ابا يزيد اني احبك حبين حبا لقرابتك مني وحبا لما كنت اعلم لحب عمي اياك و
عقيل اسرع الناس جوابا وابلغهم في ذلك قال له معاوية رضي الله عنه يوما ابن
ترى عمك ابا لهب من النار فقال رضي الله عنه اذا دخلتها يا معاوية فهو على يسارك
مفترش عمتك حمالة الحطب والراكب خير من المركوب ولما وفد على معاوية وقد غضب
من اخيه علي كرم الله وجهه لما طلب منه عطاه وقال لم اصبر حتى يخرج عطاؤك مع
المسلمين فاعطيك فقال له لاذهبن الى رجل هو اوصل منك فذهب الى معاوية رضي
الله عنه فاعطاه معاوية مايتي الف درهم ثم قال له معاوية اصعد المنبر فاذكر ما
اولاك علي وما اوليتك فصعد المنبر فحمد الله واثنى عليه ثم قال ايها الناس اني اخبركم
اني اردت عليا على دينه فاختار دينه واني اردت معاوية على دينه فاختارني على
دينه وفي رواية ان معاوية رضي الله عنه قال لجماعة يوما بحضرة عقيل هذا ابو
يزيد يعني عقيلا لولا علمه باني خير له من اخيه لما اقام عندنا وتركه فقال عقيل رضي
الله عنه اخي خير لي في ديني وانت خير لي في دنياي وقد اثرت دنياي واسال الله خاتمة
الخير توفي عقيل رضي الله عنه في خلافة معاوية قيل وسبب اسلام علي كرم الله
وجهه انه دخل على النبي صلى الله عليه وسلم ومعه خديجة وهما يصليان سرا فقال
ما هذا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم دين الله الذي اصطفاه لنفسه وبعث
به رسله فادعوك الى الله وحده لا شريك له والى عبادته والى الكفر باللات والعزى
فقال علي كرم الله وجهه هذا امر لم اسمع به قبل اليوم فلست بقاض امرا حتى احدث
ابا طالب وكره رسول الله صلى الله عليه وسلم ان سيعلن امره فقال له رسول الله صلى

ان يفشي [illegible]

الله عليه وسلم

الله عليه وسلم يا علي اذا لم تسلم فاكتم هذا فمكث ليلته ثم ان الله تبارك وتعالى
هداه للاسلام فاصبح غاديا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاسلم انتهى اقول
وذلك في اليوم الثاني من صلاته صلى الله عليه وسلم هو وخديجة وهو يوم الثلاثا
كما في سيرة الدمياطي رحمه الله تعالى اي لانه تقدم ان صلاته صلى الله عليه وسلم
مع خديجة كانت اخر يوم الاثنين وهذا انما ياتي على القول بان النبوة والرسالة
تقارنتا لا على ان الرسالة تاخرت عن النبوة وان بينهما فترة الوحي على ما تقدم
وفي اسد الغابة ان ابا طالب راى النبي صلى الله عليه وسلم وعليا يصليان وعلي
على الميمنة فقال لجعفر رضي الله عنه صل جناح ابن عمك فصلى عن يساره وكان
اسلام جعفر بعد اسلام اخيه علي بقليل والله اعلم قال بعضهم وانما صح
اسلام علي كرم الله وجهه اي مع انهم اجمعوا على انه لم يكن بلغ الحلم اي ومن ثم
نقل عنه رضي الله عنه قال "سبقتكم الى الاسلام طرا" "صغيرا ما بلغت اوان حلمي"
اي كان عمره ثمان سنين على ما سبق لان الصبيان كانوا اذ ذاك مكلفين لان القلم انما
رفع عن الصبي عام خيبر وعن البيهقي ان الاحكام انما تعلقت بالبلوغ في عام الخندق
وفي لفظ في عام الحديبية وكانت قبل ذلك منوطة بالتمييز اي وقد ذكر انه لم يحفظ
عن علي كرم الله وجهه انه قال شعرا وقيل لم يصح الا البيتين اي ولعل احدهما ما
تقدم ثم رايت عن القاموس ان البيتين هما قوله كرم الله وجهه

"تلكم قريش تمناني لتقتلني" "فلا وربك ما بروا ولا ظفروا"

"فان هلكت فرهن ذمتي لهم" "بذات ودقين لا تبقي ولا تذر"

وذات ودقين هي الداهية وذكر ان الزبير رضي الله عنه اسلم وهو ابن ثمان سنين
وقيل ابن خمسة عشر وقيل ابن ثنتي وقيل ابن ستة عشر ومما يدل لذلك
ما جاء عن بعضهم كان علي والزبير وطلحة وسعد بن ابي وقاص رضي الله عنهم ولدوا
في عام واحد ومن العجب ان الزمخشري في خصايص العشرة اقتصر على ان سن الزبير
رضي الله عنه كان حين اسلم ستة عشر سنة وذكر بعد ذلك باسطر انه اول من
سل سيفا في سبيل الله وهو ابن اثني عشر سنة مقتصرا على ذلك ومما يدل للاول
ايضا ما في كلام بعض احرا اسلم علي بن ابي طالب والزبير بن العوام وهو ابن ثمان
سنين واجماعهم على ان عليا لم يكن بلغ الحلم يرد القول بان عمره كان اذ ذاك عشر
سنين اي بناء على ان سن امكان الاحتلام تسع سنين كما يقول به ايمتنا ويوافقه
ما حكاه بعضهم ان الراشد بالله وهو الحادي والثلاثون من خلفا بني العباس
لما كان عمره تسع سنين وطي جارية حبشية فحملت منه وولدت ولدا حسنا ويرده
القول بان سنه اذ ذاك كان ثلاثة عشر او خمسة عشر او ستة عشر اقول
قال بعض متاخري اصحابنا انما صحت عبادة الصبي المميز ولم يصح اسلامه لان

بن العوام صح

عبادته نعل والاسلام لتنفرد به وعلي هذا مع ما تقدم يشكل ما في الامتاع واما علي ابن ابي طالب
كرم الله وجهه فلم يكن مشركا بالله ابدا لانه كان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
في كفالته كاحد اولاده يتبعه في جميع اموره فلم يحتج ان يدعى الى الاسلام بتردده ما
فيقال اسلم هذا كلامه فليتامل وفيه ان عليا كرم الله وجهه كان تابعا لابيه في
دينه ولم يكن تابعا له صلى الله عليه وسلم كاولاده وقوله فلم يحتج ان يدعى للاسلام
يرده ما تقدم من قوله صلى الله عليه وسلم ادعوك الى الله وحده الخ ثم رايت في
الحديث ما يدل لما في الامتاع وهو ثلاثة ما كفروا بالله قط مومن ال يس وعلي بن
ابي طالب وآسية امراة فرعون والذي في العرايس روي عن النبي صلى الله عليه وسلم
انه قال سباق الامم ثلاثة لم يكفروا بالله طرفة عين حزقيل مومن ال فرعون وحبيب
النجار صاحب يس وعلي بن ابي طالب رضي الله عنهم وهو كرم الله وجهه افضلهم الا
ان يراد بعدم كفرهم انهم لم يسجدوا لصنم وفيه انه قد يخالف ذلك قوله صلى الله
عليه وسلم لهم ادعوك الى الكفر باللات والعزى وانه قد قيل ايضا ان ابا بكر رضي
الله عنه لم يسجد لصنم قط وقد عد ابن الجوزي رحمه الله من رفض عبادة الاصنام
في الجاهلية اي ولم يات ابا بكر الصديق رضي الله عنه وزيد بن عمرو بن نفيل وعبيد الله
بن جحش وعثمان بن الحويرث وورقة بن نوفل ورئاب بن البرا واسد بن كريب الحميري
وقس بن ساعدة الايادي وابا قيس صرمة بن انس ولا يخفى ان عدم السجود للاصنام لا
ينافي الحكم بالكفر علي من لم يسجد لها لكن في كلام السبكي رحمه الله تعالى الصواب ان
يقال الصديق رضي الله عنه لم يثبت عنه حال كفر بالله فلعل حاله قبل كان كحال زيد
بن عمرو بن نفيل واضرابه فلذلك خص الصديق بالذكر من الصحابة هذا كلامه وهو
واضح اذا لم يكن احد من جميع ما ذكر اسلم وفي كلام الحافظ ابن كثير رحمه الله الظاهر
ان اهل بيته صلى الله عليه وسلم امنوا قبل كل احد خديجة وزيد وزوجة زيد ام
ايمن وعلي رضي الله عنهم فليتامل وقوله امنوا قبل كل احد وكذا يتامل قول ابن اسحاق
رحمه الله اما ابنا ه صلى الله عليه وسلم فكلهن ادركن الاسلام فاسلمن والله اعلم
وعن ابن اسحاق ذكر بعض اهل العلم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا
حضرت الصلاة خرج الى شعاب مكة وخرج معه علي كرم الله وجهه مستخفيا من قومه
فصليان فيها فاذا امسيا رجعا لذلك ثم ان ابا طالب عثر اي اطلع عليهما يوما وهما يصليان
اي بنخلة المحل المعروف فقال لرسول الله صلى الله عليه وسلم يا ابن اخي ما هذا الدين الذي
اراك تدين به قال هذا دين الله ودين ملائكته ورسله ودين ابينا ابراهيم وبعثني الله
به رسولا الى العباد وانت احق من بذلت له النصيحة ودعوته الى الهدى واحق من اجابني
الى الله واعانني عليه فقال ابو طالب اني لا استطيع افارق دين ابائي وما كانوا عليه وفي
رواية انه قال له ما بالذي تقوله من باس ولكن والله لا تعلبني استي ابدا وهذا كما

ينبغي ان يكون صدر منه قبل ما تقدم من قوله لابنه جعفر صل جناح ابن عمك وصل على
يساره لما روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يصلي وعليا على يمينه لكن يروى
ان عليا كرم الله وجهه ضحك يوما وهو على المنبر فسئل عن ذلك فقال تذكرت ابا طالب
حين فرضت الصلاة وراني اصلي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بنخلة فقال ما هذا
الفعل الذي ارى فلما اخبرناه قال هذا حسن ولكن لا افعله ابدا لاني لا احب ان تعلوني
استي فلما تذكرت الان قوله ضحكت وقوله حين فرضت الصلاة يعني الركعتين بالغداة
والركعتين بالعشي وهذا يؤيد القول بان ذلك كان واجبا وذكر ان ابا طالب قال لعلي
كرم الله وجهه اي بني ما هذا الذي انت عليه فقال يا ابت امنت بالله وبرسوله وصدقته
ما جاء به واتبعته فقال له اما انه لم يدعك الا الى خير فالزمه اي ويذكر عنه انه كان
يقول اني لاعلم ان ما يقول ابن اخي الحق ولولا اني اخاف ان تعيرني نسا قريش
لاتبعته وعن عفيف الكندي رضي الله عنه قال كنت امرأ تاجرا فقدمت للحج واتيت العباس
بن عبد المطلب رضي الله عنه لابتاع منه بعض التجارة وكان العباس لي صديقا وكان
يختلف الى اليمن يشتري العطر ويبيعه ايام الموسم فبينا انا عند العباس بمنى وفي لفظ
في المسجد اذا رجل مجتمع اي وبلغ اشده خرج من خبا قريب منه فنظر الى الشمس فلما
راها مالت توضا فاسبغ الوضوء اي اكمله ثم قام يصلي اي الى الكعبة كما في بعض الروايات
ثم خرج غلام مراهق اي قارب البلوغ فتوضا ثم قام الى جنبه يصلي ثم جاءت امراة
من ذلك الخبا فقامت خلفهما ثم ركع الرجل وركع الغلام وركعت المراة ثم خر الرجل
ساجدا وخر الغلام وخرت المراة فقلت ويحك يا عباس ما هذا الدين قال هذا دين
محمد بن عبد الله اخي يزعم ان الله بعثه رسولا هذا ابن اخي علي بن ابي طالب وهذه
امراته خديجة قال عفيف بعد ما اسلم يا ليتني كنت رابعا اي ولعل زيد بن حارثة لم
يكن موجودا عندهم في ذلك الوقت فلا ينافي انه كان يصلي معهم او ان ذلك كان قبل
اسلامه لانه سياتي قريبا ان اسلامه كان بعد اسلام علي ولذا ابو بكر رضي الله عنه
لم يكن موجودا ذلك الوقت عندهم بناء على ان اسلامه كان قبل اسلام علي كرم الله وجهه
ويؤيده ما قيل اول من صلى مع النبي صلى الله عليه وسلم ابو بكر رضي الله عنه لكن
في الاستيعاب لابن عبد البر ان العباس رضي الله عنه قال لعفيف الكندي لما قال له
ما هذا الذي يصنع قال يصلي وهو يزعم انه نبي ولم يتبعه على امره الا امراته وابن
عمه هذا الغلام وفيه ان عليا كرم الله وجهه قال لم اعبد الله قبل ان يعبده
احد من هذه الامة خمس سنين اي ولعل المراد انه عبده بغير الصلاة وقوله في هذا
الحديث فنظر الى الشمس فلما راها مالت توضا وصلى قد يخالف ما تقدم من ان فرض
الصلاة كان ركعتين بالغداة وركعتين بالعشي قبل غروب الشمس فقط اقول قد يقال
لا مخالفة لانه يجوز ان تكون صلاته في الوقت ليست مما فرض عليه والجماعة في ذلك

جائزة وقد فعلها صلى الله عليه وسلم في النفل المطلق وهذا يدل على ان الجماعة كانت مشروعة
بمكة في صدر الاسلام قبل فرض الصلوات الخمس وفي كلام بعض فقهائنا انها لم تشرع
الا في المدينة دون مكة لقهر الصحابة رضي الله عنهم بها الا ان يقال المراد بمشروعيتها
طلبها فكانت في المدينة مطلوبة استحبابا وجوبا كفاية او عينا على الخلاف عندنا في ذلك
وفي مكة كانت مباحة لكن في كلام بعض اخر من فقهائنا ان الجماعة لم تفعل بمكة لقهر الصحابة
وفيه ان القهر انما يناسب اظهار الجماعة لا فعلها الا ان يقال تركت حسما للباب وفيه انه يبعد
تركها وهم مستخفون في دار الارقم فليتامل والله اعلم ثم بعد اسلام علي كرم الله وجهه
اسلم من الصحابة رضي الله عنهم زيد بن حارثة بن شراحيل وقال ابن هشام رحمه الله
شرحبيل مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهبته له خديجة رضي الله عنها اي لما
تزوجها اي وكان اشتراه لها ابن اخيها حكيم بن حزام ممن سباه في الجاهلية اي فان
عمته خديجة امرته ان يبتاع لها غلاما ظريفا عربيا فلما قدم سوق عكاظ وجد زيدا
يباع وعمره ثمان سنين فانه اسر من عند اخواله طي وعليه اقتصر السهيلي رحمه الله فان
امه لما خرجت به لتزير اهلها فاصابته خيل فباعوه فاشتراه اي وقيل اشتراه من سوق
حباشة باربع مائة درهم وقيل بستمائة درهم فلما راته خديجة رضي الله تعالى عنها
اعجبها فاخذته اي ولعل هذا مراد من قال فباعه من عمته خديجة اي اشتراه لها فلما
تزوجها صلى الله عليه وسلم وهو عندها اعجب به فاستوهبه منها فوهبته له فاعتقه
رسول الله صلى الله عليه وسلم وتبناه قبل الوحي اي وقيل اشتراه صلى الله عليه وسلم
لها فانه صلى الله عليه وسلم جا الى خديجة رضي الله عنها فقال رايت غلاما بالبطحاء
قد وقفوه ليبيعوه ولو كان معي ثمنه لاشتريته قالت وكم ثمنه قال سبعمائة درهم قالت خذ
سبعمائة درهم فاذهب فاشتره فاشتراه وجاء به اليها وقال انه لو كان لي لاعتقته قالت
هو لك فاعتقه وقيل بل اشتراه رسول الله صلى الله عليه وسلم من الشام لخديجة حين
توجه مع ميسرة فوهبته له صلى الله عليه وسلم فليتامل ذلك وزعم ابو عبيدة ان زيد بن
حارثة لم يكن اسمه زيد ولكن النبي صلى الله عليه وسلم سماه بذلك باسم جده قصي حين
تبناه ثم انه رضي الله عنه حين خرج في ابل لابي طالب الى الشام فمر بارض قومه فعرفه
عمه فقام اليه فقال من انت يا غلام فقال غلام من اهل مكة قال من انفسهم قال لا
قال فحر انت ام مملوك قال مملوك قال اعربي انت ام عجمي قال عربي قال ممن اهلك قال من كلب
قال من اي كلب قال من بني عبد ود قال ويحك ابن من انت قال ابن حارثة بن شراحيل
قال واين اصبت قال في اخوالي قال من اخوالك قال طي قال ما اسم امك قال سعدى
فالتزمه وقال ابن حارثة ودعا اباه فقال يا حارثة هذا ابنك فاتاه حارثة فلما نظر
اليه عرفه قال كيف صنع مولاك اليك قال يوثرني على اهله وولده منه حبا فلا اصبح الا ما
شيئت فركب معه ابوه وعمه واخوه وفي رواية ان ناسا من قوم حجوا فراوا زيدا فعرفوه

زيد

وعرفهم

وعرفهم فانطلقوا واعلموا اباه ووصفوا له مكانه فجاء ابوه وعمه وقد يقال لا مخالفة لجواز
ان يكون اجتماعه بعمه وابيه كان بعد اخبار اولئك الناس فلما جاء اهله في طلبه خيره
النبي صلى الله عليه وسلم بين المكث عنده والرجوع الى اهله فاختار المكث عند رسول
الله صلى الله عليه وسلم فقد ذكر انهم لما جاءوا الى النبي صلى الله عليه وسلم قالوا
يا ابن عبد المطلب يا ابن سيد قومه اي وفي لفظ لما قدم ابوه وعمه في فدائه سالوا
عن النبي صلى الله عليه وسلم فقيل هو بالمسجد فدخلوا عليه فقالوا يا ابن عبد المطلب
يا ابن هاشم يا ابن سيد قومه اي وفي لفظ انتم اهل حرم الله وجيرانه تفكون الاسير
العاني وتطعمون الجائع جئناك في ولدنا عندك فامنن علينا واحسن في فدائه فانا سندفع
لك فقال وما ذاك قالوا زيد بن حارثة فقال صلى الله عليه وسلم او غير ذلك قالوا وما
هو قال ادعوه فخيروه فان اختاركم فهو لكم من غير فداء وان اختارني فوالله ما انا بالذي
يختار على الذي يختارني فداء فقالوا زدت على النصف وفي لفظ زدتنا على النصف فدعاه
صلى الله عليه وسلم فقال تعرف هؤلاء قال نعم ابي وعمي ولعل سكوته رضي الله عنه عن اخيه
لاستصغاره بالنسبة لابيه وعمه وفي كلام السهيلي ان زيدا رضي الله عنه لما جاء قال له
صلى الله عليه وسلم من هذان فقال هذا ابي حارثة بن شراحيل وهذا كعب بن شراحيل
عمي فعند ذلك قال له صلى الله عليه وسلم انا من علمت وقد رايت صحبتي لك فاخترني
او اخترهما فقال زيد رضي الله عنه ما انا بالذي اختار عليك احدا انت مني مكان الاب
والعم فقالا ويحك تختار العبودية على الحرية وعلى ابيك وعمك واهل بيتك قال نعم ما
انا بالذي اختار عليه احدا فلما راى رسول الله صلى الله عليه وسلم منه ما راى اخرجه الى
الحجر اي الذي هو محل جلوس قريش فقال ان زيدا ابني ارثه ويرثني فطابت نفسهما
وانصرفا وفي كلام ابن عبد البر انه حين تبناه رسول الله صلى الله عليه وسلم كان سنه
ثمان سنين وانه حين تبناه كان ياتي به على حلق قريش يقول هذا ابني وارثا وموروثا
يشهدهم على ذلك فكان الرجل في الجاهلية يعاقد الرجل فيقول دمي دمك وهدمي
هدمك وثاري ثارك وحربي حربك وسلمي سلمك ترثني وارثك وتطلب بي واطلب بك وتعقل
عني واعقل عنك فيكون للحليف السدس من ميراث الحليف اي من حالفه فنسخ ذلك
وهذا الذي ذكره ابن عبد البر رحمه الله من انه صلى الله عليه وسلم حين تبناه وكان
عمره ثمان سنين يدل على ان ذلك كان عقب ملكه صلى الله عليه وسلم له قبل الوحي وان
ذلك كان قبل مجيء ابيه وعمه ولا يكون عتقه وتبنيه بعد مجيء ابيه وعمه اظهارا لما تقدم
فليتامل وفي اسد الغابة ان حارثة اسلم وفي كلام بعضهم لم يبلغ اسلام حارثة الا
المنذري ولما تبنى رسول الله صلى الله عليه وسلم زيدا كان يقال له زيد بن محمد ولم
يذكر في القران من الصحابة احد باسمه الا هو كما سياتي قال ابن الجوزي الا ما روي
في بعض التفاسير ان السجل الذي في قوله تعالى يوم نطوي السماء كطي السجل للكتاب اسم رجل

كان يكتب للنبي صلى الله عليه وسلم اي وقد ابدي السهيلي حكمة لذكر زيد باسمه في القرآن
وهي انه لما نزل قوله تعالى ادعوهم لابائهم وصار يقال له زيد بن حارثة ولا يقال له زيد
بن محمد ونزع عنه هذا التشريف الجليل شرفه الله تعالى بذكر اسمه في القرآن دون
غيره من الصحابة فصار اسمه في المحاريب ولا يخفى انه يأتي في زيد ما تقدم في علي ولم
يذكر في القرآن امراة باسمها الا مريم ولزيد اخ اسمه جبلة اسن منه سئل جبلة انت
اكبر ام زيد فقال زيد اكبر مني وانا ولدت قبله اي لان زيدا افضل منه بسبقه للاسلام
ثم اسلم من الصحابة ابو بكر الصديق رضي الله عنه قال بعضهم في سبب اسلامه انه
كان صديقا لرسول الله صلى الله عليه وسلم يكثر غشيانه في منزله ومحادثته وكان يسمع
قول ورقة لما ذهب معه اليه كما تقدم فكان متوقعا لذلك فهو مع حكيم بن حزام
في بعض الايام اذ جاءت مولاة لحكيم بن حزام وقالت له ان عمتك خديجة تزعم في هذا اليوم
ان زوجها نبي مرسل مثل موسى فانسل ابو بكر رضي الله عنه حتى اتى رسول الله صلى
الله عليه وسلم فساله عن خبره فقص عليه قصته المتضمنة لمجي جبريل له بالرسالة فقال
صدقت بابي انت وامي واهل الصدق انت انا اشهد ان لا اله الا الله وانك رسول الله
فيقال سماه يومئذ الصديق وهذا السياق ربما يدل على ان اسلام ابو بكر رضي الله عنه
تاخر الى نزول يا ايها المدثر بعد فترة الوحي بناء على ما تقدم وكونه سماه يومئذ الصديق
لا ينافي ذلك ما سياتي انه سمي بذلك صبيحة الاسرا لما صدقه وقد كذبته قريش لجواز انه
لم يشتهر بذلك الا ح وقد جا في تفسير قوله تعالى والذي جا بالصدق وصدق به اي
الذي جا بالصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي صدق به ابو بكر رضي الله عنه
قال ولما سمعت خديجة رضي الله عنها مقالة ابي بكر خرجت وعليها خمار احمر
فقالت الحمد لله الذي هداك يا ابن ابي قحافة واسمه عبد الله سماه بذلك رسول الله صلى
الله عليه وسلم وكان اسمه قبل ذلك عبد الكعبة فابو بكر اول من غير النبي صلى الله
عليه وسلم اسمه ولقب عتيق لحسن وجهه او لانه عتق من الذم والعيب اي وقيل
نظر اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال هذا عتيق من النار فهذا اول
لقب وجد في الاسلام وقيل سمته بذلك امه لانه كان لا يعيش لها ولد فلما ولدته
استقبلت الكعبة ثم قالت اللهم هذا عتيقك من الموت فهبه لي فعاش قيل ويدل له
ما ذكره بعضهم ان امه كانت اذا هزته تقول عتيق وما عتيق ذو النظر الانيق وفي كلام
ابن حجر الهيتمي رحمه الله تعالى وصح ان الملقب له به النبي صلى الله عليه وسلم لما دخل
عليه في بيت عايشة وانه غلب عليه من يومئذ قال وبه يندفع ان الملقب له ابوه وزعم
انه امه هذا كلامه وليتامل قوله في بيت عايشة مع ما تقدم في بيت عايشة وما في كلام
السهيلي قيل وسمي عتيقا لان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له حين اسلم انت
عتيق من النار وكان ابو بكر رضي الله عنه صدرا معظما في قريش على سعة من المال

وكرم

وكرم الاخلاق من رؤسا قريش ومحط مشورتهم وكان من اعف الناس وكان رئيسا
مكرما سخيا يبذل المال محببا في قومه حسن المجالسة وكان اعلم الناس بتعبير الرؤيا
ومن ثم قال ابن سيرين وهو المقدم في هذا العلم اتفاقا ابو بكر اعبر هذه الامة
بعد النبي صلى الله عليه وسلم وكان اعلم الناس بانساب العرب فقد جا عن جبير
بن مطعم البالغ النهاية في ذلك انه قال انما اخذت النسب من ابي بكر لا سيما انساب
قريش فانه كان اعلم قريش بانسابها وبما كان فيها من خير وشر وكان لا يعد مساويهم
فمن ثم كان محببا فيهم بخلاف عقيل بن ابي طالب رضي الله عنهم فانه كان بعد ابي بكر
اعلم قريش بانسابها وبايامها وما فيها من خير وشر وكان مبغضا اليهم لانه كان يعد
مساويهم وكان عقيل يجلس اليه في المسجد النبوي لاخذ علم الانساب وايام العرب
ووقايعهم وفي كلام بعضهم كان ابو بكر عند اهل مكة من خيارهم يستعينون به فيما
نابهم وكانت له بمكة ضيافات لا يفعلها احد قال الزمخشري ولعله كني بابي بكر
لابتكاره الخصال الحميدة وكان نقش خاتمه نعم القادر وكان نقش خاتم عمر رضي الله
عنه كفى بالموت واعظا يا عمر وكان نقش خاتم عثمان امنت بالله مخلصا وكان نقش خاتم
علي كرم الله وجهه الملك لله وكان نقش خاتم ابو عبيدة بن الجراح الحمد لله وكان يقول
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما دعوت احدا الى الاسلام الا كانت عنده
كبوة اي وقفة وتاخر وتردد الا ما كان من ابي بكر وفي رواية ما كلمت احدا في الاسلام
الا ورايته في الكلام الا ابن ابي قحافة فاني لم اكلمه في شي الا قبله واستقام عليه
اي ومن ثم كان اسد الصحابة رايا واكملهم عقلا الخبر تمام اتاني جبريل فقال ان الله
يامرك ان تستشير ابا بكر ونزل فيه وفي عمر رضي الله عنهما وشاورهم في الامر وكان
ابو بكر رضي الله عنه بمنزلة الوزير من رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان يشاوره
في اموره كلها وجا ان الله تعالى امدني باربعة وزرا اثنين من اهل السما جبريل
وميكائيل واثنين من اهل الارض ابو بكر وعمر رضي الله عنهما وفي حديث رواه ثقات
ان الله يكره ان يخطأ ابو بكر وفي رواية ان الله يكره في السما ان يخطى ابو بكر الصديق
في الارض وجاء الحسن بن علي رضي الله عنهما وهو صغير الى ابي بكر وهو يخطب على
المنبر فقال انزل عن مجلس ابي فقال له مجلس ابيك والله لا مجلس ابي فاجلسه
في حجره وبكى فقال علي كرم الله وجهه ما هذا عن رايي والله ما امرتك ووقع نظير
ذلك لسيدنا عمر رضي الله عنه مع سيدنا الحسين رضي الله عنه فانه قال له وهو يخطب
انزل عن منبر ابي فقال له منبر ابيك لا منبر ابي فقال من امرك بهذا فقام علي كرم الله
وجهه فقال ما امره بهذا احد ثم قال للحسين لاوجعنك يا غدر فقال عمر لا توجع
ابن اخي صدق منبر ابيه قال وسبب مبادرته الى التصديق ما علمه رضي الله عنه
من دلايل نبوته صلى الله عليه وسلم وبراهين صدق دعوته ولرؤيا راها قبل

ذلك رأي القمر نزل الي مكة فدخل في كل بيت منه شعبة ثم كان جميعه في حجره فقصها
علي بعض اهل الكتاب فعبرها له بانه يتبع النبي المنتظر الذي قد اظل زمانه وانه يكون
اسعد الناس به ولعل هذا الذي من اهل الكتاب هو بحيرا فقد رايت ان ابا بكر رضي الله
عنه راي رؤيا فقصها علي بحيرا فقال ان صدقت رؤياك فانه سيبعث نبي من قومك
تكون انت وزيره في حياته وخليفته بعد مماته اي واخرج ابو نعيم عن بعض الصحابة
ان ابا بكر رضي الله عنه امن بالنبي صلي الله عليه وسلم قبل النبوة اي علم انه النبي
المنتظر لما مر عن بحيرا ولما سمعه عن شيخ عالم من الازد وقد قرا الكتب نزل به في اليمن ثم
فقال له احسبك حرميا فقال ابو بكر رضي الله عنه نعم فقال احسبك قرشيا قال نعم فقال
احسبك تيميا قال نعم قال بقيت لي فيك واحدة قال وما هي قال تكشف لي عن بطنك فقال
له لا افعل او تخبرني لما ذلك فقال اجد في العلم الصحيح الصادق ان نبيا يبعث في الحرم يعاونه
علي امره فتى وكهل فاما الفتى فخواض غمرات ودفاع معضلات واما الكهل فابيض نحيف
علي بطنه شامة وعلي فخذه اليسري علامة اي مع كونه حرميا قرشيا تيميا بدليل قوله
احسبك حرميا احسبك قرشيا احسبك تيميا وما عليك ان تريني ما سالتك فقد تكاملت فيك
الصفة اي كونه حرميا قرشيا تيميا ابيض نحيفا الا ما خفي علي فقال ابو بكر فكشفت له بطني
فراي شامة سودا فوق سرتي اي وراي العلامة علي الفخذ الايسر فقال انت هو ورب الكعبة
قال ابو بكر رضي الله عنه فلما قضيت اربي من اليمن اتيته لاودعه فقال احافظ عني
ابياتا قلتها في ذلك النبي قلت نعم فذكر ابياتا قال ابو بكر رضي الله عنه فقدمت مكة
وقد بعث النبي صلي الله عليه وسلم فجاءني صناديد قريش كعقبة بن ابي معيط وعتبة
بن ربيعة وشيبة بن ربيعة وابو جهل بن هشام وابو البختري فقالوا يا ابا بكر يتيم ابي
طالب يزعم انه نبي ولولا انتظارك ما انتظرنا به فاذ قد جئت فانت الغاية والكفاية
اي لان ابا بكر رضي الله عنه كما تقدم كان صديقا له صلي الله عليه وسلم قال ابو بكر
فصرفتهم علي احسن شي ثم جئته صلي الله عليه وسلم فقرعت عليه الباب فخرج الي فقال
لي يا ابا بكر اني رسول الله اليك والي الناس كلهم فامن بالله فقلت وما دليلك علي
ذلك قال الشيخ الذي افادك الابيات قلت ومن اخبرك بهذا يا حبيبي قال الملك المعظم
الذي كان ياتي الانبيا قبلي قلت مد يدك فانا اشهد ان لا اله الا الله وانك رسول الله
قال ابو بكر رضي الله عنه وما بين لابتيها اشد سرورا من رسول الله صلي الله عليه وسلم
وفي لفظ اشد سرورا مني باسلامي ولا مانع من صدور الامرين منه رضي الله عنه وعنهما
للجمع بين هذا وبين ما تقدم من انه كان مع حكيم بن حزام يوما الخ علي تقدير صحة
الروايتين وما جاء من شعر حسان رضي الله عنه من ان ابا بكر اول الناس اسلاما حيث
يقول «والثاني التالي المحمود مشهده» «واول الناس منهم صدق الرسلا»
انه صلي الله عليه وسلم سمع ذلك ولم ينكره بل قال صدقت يا حسان كما سياتي عنده

الكلام

الكلام علي الصحيح وقول بعض الحفاظ ان ابا بكر رضي الله عنه اول الناس اسلاما
هو المشهور عند الجمهور من اهل السنة لا ينافي ما تقدم من ان عليا كرم الله وجهه
اول الناس اسلاما بعد خديجة ثم مولاه زيد بن حارثة لان المراد اول رجل بالغ ليس
من الموالي اسلم ابو بكر اي وعبارة ابن الصلاح رحمه الله والاورع ان يقال اول من
اسلم من الرجال الاحرار اي غير الموالي ابو بكر ومن الصبيان علي ومن النسا خديجة
ومن الموالي زيد بن حارثة وهذا ربما قبله يدل علي ان اسلام زيد رضي الله كان بعد
البلوغ والا فلا حاجة لزيادة ليس من الموالي تامل او ان مراد من قال ان ابا بكر رضي
الله عنه سبق عليا في الاسلام اي في اظهار الاسلام لانه حين اسلم اظهر اسلامه بخلاف
علي كرم الله وجهه فقد جاء عن علي كرم الله وجهه انه قال ان ابا بكر رضي الله عنه سبقني
الي اربع وعد منها اظهار الاسلام وقال وانا اخفيه ولعله لا ينافي ذلك ما جاء بسند حسن
ان اول من جهر بالاسلام عمر بن الخطاب رضي الله عنه لان ذلك كان عند اختفائه
صلي الله عليه وسلم هو واصحابه في دار الارقم كما سياتي فاولية اظهار الاسلام اضافية
قال ابن كثير رحمه الله تعالي وورد عن علي كرم الله وجهه انه قال انا اول من اسلم
ولا يصح اسناد ذلك اليه قال وقد روي في هذا المعني احاديث اوردها ابن عساكر
كثيرة منكرة كلها لا يصح منها شي هذا كلامه وعلي تقدير صحتها يراد اول من اسلم من
الصبيان فالاولية اضافية ومما يؤثر عن علي كرم الله وجهه لا تكن ممن يرجو الاخرة بغير
عمل ويؤخر التوبة لطول الامل تحب الصالحين ولا تعمل باعمالهم البشاشة فخ المودة والصبر
قبر العيوب والغالب بالظلم مغلوب واول من اسلم من النسا بعد خديجة ام الفضل زوج
العباس رضي الله عنها واسما بنت ابي بكر رضي الله عنهما وينبغي ان تكون ام ايمن سابقة
في الاسلام علي ام الفضل علي ما تقدم وقول السراج البلقيني موافقة للزين العراقي
ان اول رجل اسلم ورقة بن نوفل لقوله للنبي صلي الله عليه وسلم انا اشهد انك الذي
بشر به عيسي بن مريم وانك علي مثل ناموس موسي وانك نبي مرسل قد علمت ما فيه
وانه انما كان من اهل الفترة كما صرح به الحافظ الذهبي رحمه الله وهو يرد القول
المتقدم بان وفاة ورقة تاخرت عن البعثة فورقة ونحو كبحيرا من اهل الفترة لا من
اهل الاسلام ويؤيده ما تقدم ان باجماع المسلمين لم يتقدم خديجة في الاسلام رجل
ولا امراة لكن هو من القسم الذي تمسك بدين قبل نسخه وامن وصدق بانه صلي الله عليه
وسلم النبي المنتظر وذلك نافع له في الاخرة ومن ثم قال صلي الله عليه وسلم لما توفي ورقة
لقد رايت القس يعني ورقة في الجنة وعليه ثياب خضر لانه امن بي وصدقني الي اخر ما
تقدم وعلي تسليمه انه لا يشترط في المسلم ان يؤمن ويصدق برسالته صلي الله عليه وسلم
بعد وجودها بل يكفي ولو قبل ذلك وليس ورقة بصحابي لان الصحابي من اجتمع به صلي
الله عليه وسلم بعد الرسالة مؤمنا بما جاء به عن الله تعالي اي محكوما بايمانه ومات

اسلام ام الفضل واسما رضي الله عنهما

رد الحافظ الذهبي علي ابن منده اي ومن وافقه كالزين العراقي في عد ورقة من الصحابة اي كما عد منهم بحيرا ونسطورا بقوله الا الظهر ان من مات بعد النبوة وقبل الرسالة فهو من اهل الفترة هذا كلام الحافظ الذهبي والمراد بالرسالة نزول يا ايها المدثر لا الظهر ان نزول قوله تعالى فاصدع بما تؤمر بناء علي تاخر الرسالة عن النبوة وحين اسلم ابو بكر رضي الله عنه دعا الى الله تعالى والى رسوله من وثق به من قومه فاسلم بدعائه عثمان بن عفان بن ابي العاص بن امية بن عبد شمس اي ولما اسلم عثمان رضي الله عنه اخذه عمه الحكم بن ابي العاص بن امية والد مروان فاوثقه كتافا وقال اترغب عن ملة آبائك الي دين محمد والله لا احلك ابدا حتى تدع ما انت عليه فقال عثمان رضي الله عنه والله لا ادعه ابدا ولا افارقه فلما راى الحكم صلابته في الحق تركه وقيل عذبه بالدخان ليرجع عن الاسلام فما رجع وفي كلام ابن الجوزي رحمه الله انه المعذب بالدخان ليرجع عن الاسلام الزبير بن العوام رضي الله عنه هذا كلامه ولا مانع من تعدد ذلك وجاء لكل نبي رفيق في الجنة ورفيقي فيها عثمان بن عفان رضي الله عنه واسلم بدعاء الصديق ابي بكر ايضا الزبير بن العوام بن اسد بن خويلد بن عبد العزى بن قصي وكان عمره ثمان سنين علي ما تقدم وعبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه وكان اسمه في الجاهلية عبد عمرو وقيل عبد الكعبة وقيل عبد الحارث فسماه رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الرحمن قال وكان امية بن خلف لي صديقا فقال لي يوما ارغبت عن اسم سماك به ابوك فقلت نعم فقال انا لا اعرف الرحمن ولكن اسميك بعبد الاله فكان يناديني بذلك قال وسبب اسلام عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه ما حدث به قال سافرت الى اليمن غير مرة وكنت اذا قدمت نزلت علي عسكلان بن عواكف الحميري فكان يسالني هل ظهر فيكم رجل له نبا له ذكر هل خالف احد منكم عليكم في دينكم فاقول لا حتى كانت السنة التي بعث فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم قدمت اليمن فنزلت عليه الى اخر القصة وعن علي كرم الله وجهه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لعبد الرحمن بن عوف انت امين في اهل الارض امين في اهل السما وجا انه صلى الله عليه وسلم وصفه بالصالح البار واسلم بدعاء ابي بكر رضي الله عنه ايضا سعد بن ابي وقاص رضي الله عنه اي فان ابا بكر رضي الله عنه لما دعاه الي الاسلام لم يبعد واتى النبي صلى الله عليه وسلم فساله عن امره فاخبره به فاسلم وكان عمره سبع عشرة سنة وهو من بني زهرة ومن ثم قال صلى الله عليه وسلم وقد اقبل عليه سعد هذا خالي فليأتي كل امرء بخاله وفي كلام السهيلي انه عم امنة بنت وهب ام النبي صلى الله عليه وسلم وكرهت امه اسلامه وكان بارا بها فقالت الست تزعم ان الله يامرك بصلة الرحم وبر الوالدين قال فقلت نعم فقالت والله لا اكلت طعاما ولا شربت شرابا حتى تكفر بما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم اي وان تمس اسافا ونائلة هم فكانوا يفتحون فاها ثم يلقون فيه الطعام والشراب فانزل الله تعالى ووصينا الانسان

بوالديه حسنا وان جاهداك علي ان تشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما الاية وفي رواية انها مكثت يوما وليلة لا تاكل فاصبحت وقد جهدت ثم مكثت كذلك قال سعد فلما رايت ذلك قلت لها تعلمين والله يا امه لو كان لك مائة نفس تخرج نفسا نفسا ما تركت ديني هذا النبي فكلي ان شئت او لا تاكلي وفي الانساب للبلاذري عن سعد قال اخبرت امي اني كنت اصلي العصر اي الركعتين اللتين كانوا يصلونهما بالعشي فجئت فوجدتها علي بابها تصيح الا اعوان يعينوني عليه من عشيرتي او عشيرته فاحبسه في بيت واطبق عليه بابه حتى يموت او يدع هذا الدين المحدث فرجعت من حيث جئت وقلت لا اعود اليك ولا اقرب منزلك فهجرتها حينا ثم ارسلت الي ان عد الي منزلك ولا تضفني للناس فيلزمنا عار فرجعت الى منزلي فمرة تلقاني بالبشر ومرة تلقاني بالشر وتعيرني باخي عامر وتقول هو البر لا يفارق دينه ولا يكون تابعا فلما اسلم عامر لقي منها ما لم يلق احد من الصياح والاذى حتى هاجر الى الحبشة ولقد جئت يوما والناس مجتمعون علي امي وعلي اخي عامر فقلت ما شان الناس فقالوا هذه امك قد اخذت اخاك عامرا وهي تعطي الله عهدا الا يظلها ظل ولا تاكل طعاما ولا تشرب شرابا حتى يدع صبائه فقلت لها والله يا امه لا تستظلين ولا تاكلين ولا تشربين حتى تتبوئي مقعدك من النار وجاء انه صلى الله عليه وسلم امر سعد بن ابي وقاص ان ياتي الحارث بن كلدة طبيب العرب ليستوصفه في مرض نزل بسعد وكان ذلك في حجة الوداع فجاءه رسول الله صلى الله عليه وسلم يعود عبد الرحمن بن عوف لمرض نزل به وجاء عنه الحارث بن كلدة فقال النبي صلى الله عليه وسلم لعبد الرحمن بن عوف اني لارجو ان يشفيك حتى يضر بك قوم وينتفع بك اخرون ثم قال للحارث بن كلدة عالج سعدا مما به وكان سعد بالمجلس فقال والله اني لارجو شفاءه فيما ينفعه في رحله هل معك من هذه التمرة العجوة شيء قال نعم فخلط ذلك التمر بحلبة ثم اسعفها سمنا ثم احساه اياها فكانما نشط من عقال وهذا استدل به علي اسلام الحارث بن كلدة لان حجة الوداع لم يحج فيها مشرك فهو معدود من الصحابة وانكر بعضهم اسلامه وجعله دليلا علي جواز استشارة اهل الكفر في الطب اذا كانوا من اهله وممن اسلم ابي بكر رضي الله عنه ايضا طلحة بن عبيد الله التيمي فجاء به الي رسول الله صلى الله عليه وسلم حين استجاب له فاسلم اي ولما تظاهر بهما ابو بكر وطلحة رضي الله عنهما بالاسلام اخذهما نوفل بن العدوية وكان يدعى اسد قريش فشدهما في حبل واحد ولم يمنعهما بنو تيم ولذلك سمي ابو بكر وطلحة رضي الله عنهما القرينين ولشدة ابن العدوية وقوة شكيمته كان صلى الله عليه وسلم يقول اللهم اكفنا شر ابن العدوية اقول وسبب اسلام طلحة بن عبيد الله ما تقدم انه قال حضرت سوق بصرى فاذا راهب في صومعته يقول سلوا اهل هذا الموسم هل ثم من اهل الحرم احد فقلت نعم انا قال هل ظهر احمد بعد قلت

ومن احمد قال ابن عبد الله بن عبد المطلب هذا شهره الذي يخرج فيه وهو اخر الانبيا
عليهم الصلاة والسلام مخرجه من الحرم ومهاجره الي ارض ذات نخل وسباخ فاياك ان
تسبق اليه قال طلحة فوقع في قلبي ما قال فخرجت سريعا حتى قدمت مكة فقلت هل كان
من حدث قالوا نعم محمد بن عبد الله الامين يدعو الي الله وقد تبعه ابن ابي قحافة
فخرجت حتي دخلت علي ابي بكر رضي الله عنه فاخبرته بما قال الراهب فخرج ابو بكر
حتي دخل علي رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبره بذلك فسر بذلك واسلم طلحة
وطلحة هذا احد العشرة رضي الله عنهم وقد شاركه رجل اخر في اسمه واسم ابيه ونسبه
وهو طلحة بن عبيد الله التيمي وهو الذي نزل فيه قوله تعالى وما كان لكم ان تؤذوا رسول
الله الاية لانه قال لئن مات محمد لاتزوجن عائشة وفي لفظ يتزوج محمد بنات عمنا
ويحجبهن عنا لئن مات لاتزوجن عائشة من بعده فنزلت هذه الاية قال الحافظ
السيوطي وقد كنت في وقفة شديدة من صحة هذا الخبر لان طلحة احد العشرة اجل مقاما
من ان تصدر منه ذلك حتي رايت انه رجل اخر شاركه في اسمه واسم ابيه ونسبه هذا
كلامه والحاصل ان ابا بكر رضي الله عنه اسلم علي يده خمسة من العشرة المبشرين بالجنة
وهم عثمان وطلحة بن عبيد الله ويقال له طلحة الفياض وطلحة الجود والزبير وسعد بن
ابي وقاص وعبد الرحمن بن عوف وزاد بعضهم سادسا وهو ابو عبيدة بن الجراح وكان
كل من ابي بكر وعثمان بن عفان وعبد الرحمن بن عوف وابو عبيدة بن الجراح ذو صناعة طلحة
بزازا وكان الزبير جزارا وكان سعد بن ابي وقاص يصنع النبل والله اعلم ثم دخل الناس
في دين الاسلام ارسالا من الرجال والنسا وذكر في الاصل جماعة من السابقين في الاسلام
منهم عبد الله بن مسعود رضي الله عنه وان عبد الله بن مسعود سبب اسلامه ما حدث به
قال كنت في غنم لال عقبة بن ابي معيط فجا رسول الله صلى الله عليه وسلم وابو بكر بن
ابي قحافة فقال النبي صلى الله عليه وسلم هل عندك لبن فقلت نعم ولكني مؤتمن
قال هل عندكم من شاة لم ينز عليها الفحل فقلت نعم فاتيته صلى الله عليه وسلم بشاة وفي لفظ
شصوص لا ضرع لها فمسح النبي صلى الله عليه وسلم مكان الضرع فاذا ضرع حافل مملو
لبنا كذا في الاصل وفي الصحاح كما في النهاية الشصوص التي ذهب لبنها ويكون قوله
لا ضرع لها اي لا لبن لها ويدل لذلك قول ابن حجر الهيتمي في شرح الاربعين حدث فمسح ضرعها
وقول ابن مسعود فمسح مكان الضرع اي محل اللبن فاتيت النبي صلى الله عليه وسلم بصخرة
منقورة فاحتلب النبي صلى الله عليه وسلم فسقى ابا بكر وسقاني ثم شرب ثم قال للضرع
اقلص فرجع كما كان اي لا وجود له علي ظاهر ما في الاصل ولا لبن فيه علي ما في النهاية
كالصحاح والي ذلك اشار الامام السبكي رحمه الله تعالى في تائيته بقوله

،، ورب عناق ما ترى الفحل فوقها ،، مسحت عليها باليمين فدرت ،،

قال ابن مسعود فلما رايت هذا من رسول الله صلى الله عليه وسلم قلت يا رسول الله علمني

نسخ

مسح راسي وقال بارك الله فيك فانك علام معلم اقول فان قيل قول ابن مسعود
رضي الله عنه ولكني مؤتمن وعدوله صلى الله عليه وسلم عن ذات اللبن الي غيره يخالف
ما سياتي في حديث المعراج والهجرة ان العادة كانت جارية باباحة مثل ذلك اللبن لابن
السبيل اذا احتاج الي ذلك فكان كل راع ماذونا له في ذلك واذا كان ذلك امرا متعارفا
مشهورا يبعد خفاوه قلنا قد يقال لا مخالفة لان ابن السبيل المسافر وجاز ان يكون
صلى الله عليه وسلم وابو بكر رضي الله عنه لم يكونا مسافرين لجواز ان تكون تلك الغنم
التي كان فيها ابن مسعود رضي الله عنه ببعض نواحي مكة القريبة منها التي لا يعد
قاصدها مسافرا ولعله لا ينافي ذلك ما سياتي من خصايصه انه صلى الله عليه وسلم
ابيح له اخذ الطعام والشراب من مالكها المحتاج اليها اذا احتاج صلى الله عليه وسلم
اليها وكان عبد الله بن مسعود رضي الله عنه يعرف بامه وهي ام عبد وكان قصيرا
جدا طوله نحو ذراع خفيف اللحم ولما ضحكت الصحابة رضي الله عنهم من دقة رجله قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم لرجل عبد الله في الميزان اثقل من احد وقال في حقه
صلى الله عليه وسلم رضيت لامتي ما رضي لها ابن ام عبد وسخطت لها ما سخط لها ابن
ام عبد وقوله صلى الله عليه وسلم لرجل عبد الله في الميزان يدل للقول بان الموزون
الانسان نفسه لا عمله وكان صلى الله عليه وسلم يكرمه ويدنيه ولا يحجبه فلذلك كان
كثير الولوج عليه صلى الله عليه وسلم وكان رضي الله عنه يمشي امامه صلى الله عليه وسلم
ويستره اذا اغتسل ويوقظه اذا نام ويلبسه نعليه اذا قام فاذا جلس ادخلهما في ذراعيه
ولذلك كان مشهورا بين الصحابة رضي الله عنهم بانه صاحب سر رسول الله صلى الله عليه وسلم
وبشره رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجنة ولم اقف علي انه اسلم حين احتلبت
الشاة لرسول الله صلى الله عليه وسلم لكن قول العلامة ابن حجر الهيتمي في شرح الاربعين
اسلم قديما بمكة لما مر به صلى الله عليه وسلم وهو يرعى غنما الخ يدل علي انه اسلم ح
ومما يوثر عنه رضي الله عنه الدنيا كلها هموم فما كان منها في سرور فهو ربح والله
تعالى اعلم وذكر في الاصل من السابقين ابا ذر الغفاري رضي الله عنه واسمه جندب
بن جنادة بضم الجيم فيهما قال وسبب اسلامه ما حدث به قال صليت قبل ان القى
النبي صلى الله عليه وسلم ثلاث سنين لله اتوجه حيث وجهني ربي فبلغنا ان رجلا خرج
بمكة يزعم انه نبي فقلت لاخي انيس انطلق الي هذا الرجل فكلمه واتني بخبره فلما جاء انيس
قلت ما عندك قال والله رايت رجلا يامر بخير وينهى عن الشر وفي رواية رايتك علي دينه
يزعم ان الله ارسله ورايته يامر بمكارم الاخلاق قلت فماذا يقول الناس فيه قال
يقولون شاعر كاهن ساحر والله انه لصادق وانهم لكاذبون فقال قلت اكفني حتي
اذهب فانظر قال نعم وكن علي حذر من اهل مكة فحملت جرابا وعصا ثم اقبلت حتي
اتيت مكة فجعلت لا اعرفه صلى الله عليه وسلم وكرهت ان اسال فمكثت في المسجد ثلاثين

ابو ذر رضي الله عنه

ليلة ويومًا وما كان لي طعام الا زمزم فسمنت حتى تكسرت عكن بطني وما وجدت على بطني
سخنة جوع والسخنة بالتحريك قيل حرارة يجدها الانسان من الجوع ففي ليلة لم يطف بالبيت
احد واذا برسول الله صلى الله عليه وسلم وصاحبه جا فطافا بالبيت ثم صلى رسول
الله صلى الله عليه وسلم فلما قضى صلاته اتيته فقلت السلام عليك يا رسول الله اشهد
ان لا اله الا الله وان محمدًا رسول الله فرايت الاستبشار في وجهه ثم قال من الرجل فقلت
من غفار فقال منذ متى كنت هاهنا قال كنت من ثلاثين ليلة ويوم قال فمن كان يطعمك
قلت ما كان لي من طعام الا زمزم فسمنت حتى تكسرت عكن بطني وما اجد على بطني
سخنة جوع قال مبارك انها طعام طعم وشفا سقم اي وجا ماء زمزم لما شرب له ان شربته
للشفا شفاك الله وان شربته لتشبع اشبعك الله وان شربته ليقطع ظماك قطعه الله وهي هزمة
جبريل وسقيا الله اسمعيل عليه السلام وجاء التضلع من ماء زمزم براءة من النفاق وجاء
اية بيننا وبين المنافقين انهم لا يتضلعون من ماء زمزم وبين المنافقين انهم لا يتضلعون من
ماء زمزم وذكر ان ابا ذر رضي الله عنه اول من قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم السلام
عليك التي هي تحية الاسلام فهو اول من حيا رسول الله صلى الله عليه وسلم بتحية الاسلام
وبايع رسول الله صلى الله عليه وسلم على ان لا تاخذه في الله لومة لائم وعلى ان يقول الحق
ولو كان مرًا ومن ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما اظلت الخضرا اي السماء ولا
اقلت الغبرا اي الارض اصدق لهجة من ابي ذر وقال صلى الله عليه وسلم في حق ابي ذر
يمشي في الارض على زهد عيسى بن مريم عليه السلام وفي الحديث ابو ذر ازهد امتي واصدقها
وقد هاجر ابو ذر رضي الله عنه بعد وفاة ابو بكر رضي الله عنه الى الشام واستمر بها الى
ان ولي عثمان رضي الله عنه فاستقدمه من الشام لشكوى رضي الله عنه منه واسكنه الربذة
فكان بها حتى مات فان ابا ذر رضي الله عنه صار يغلظ القول لمعاوية ويكلمه بالكلام الخشن
وعن ابن عباس رضي الله عنهما ان لقيا ابو ذر رضي الله عنه لرسول الله صلى الله عليه
وسلم كانت بدلالة علي كرم الله وجهه وانه قال له ما اقدمك هذه البلدة فقال له ابو ذر
ان كتمت علي اخبرتك وفي رواية ان اعطيتني عهدا وميثاقا ان ترشدني اخبرتك ففعل
قال ابو ذر رضي الله عنه فاخبرته فارشدني واوصلني الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فاسلمت وفي الامتاع ان عليا كرم الله وجهه استضاف ابا ذر ثلاثة ايام لا يساله عن شي
وهو لا يخبره ثم في الثالث قال له ما امرك وما اقدمك هذه البلدة قال له ان كتمت علي
اخبرتك قال فاني افعل قال له بلغنا انه قد خرج هاهنا رجل يزعم انه نبي فارسلت اخي
ليكلمه فرجع ولم يشفني من الخبر فاردت ان القاه فقال له اما انك قد رشدت هذا وجهي
اي خروجي اليه فاتبعني ادخل حيث ادخل فان رايت احدًا اخافه عليك قمت الى الحايط كاني
اصلح نعلي وفي لفظ كاني اريق الما فامض انت قال ابو ذر فمضى ومضيت حتى دخل ودخلت
معه على النبي صلى الله عليه وسلم فقلت له اعرض علي الاسلام فعرضه علي فاسلمت مكاني

الحديث

رسول الله صلى الله عليه وسلم

الحديث وما تقدم من قوله صلى الله عليه وسلم ما كان لي طعام الا ماء زمزم يبعد ان يكون
علي كرم الله وجهه اضاف ابا ذر ولم ياكل عنده وكذا يبعده ما جا ان ابا بكر رضي الله عنه
قال يا رسول الله ايذن لي في اطعامه الليلة قال ابو ذر فانطلق رسول الله صلى الله عليه
وسلم وانطلق ابو بكر رضي الله عنه فانطلقت معهما ففتح ابو بكر بابا فجعل يقبض لنا من
زبيب الطايف فكان ذلك اول طعام اكلته الا ان يحمل الطعام على خصوص الزبيب وبعض
التوفيق بين الروايتين اي رواية دخوله على النبي صلى الله عليه وسلم مع علي فاسلم
ورواية اجتماعه به صلى الله عليه في الطواف فاسلم بان يكون ابو ذر دخل عليه اولا مع
علي كرم الله وجهه ثم لقيه في الطواف ويكون المراد باسلام الثاني الثبات عليه بتكرير
الشهادتين وعذره رضي الله عنه في عدم اجتماعه به صلى الله عليه وسلم في المسجد مدة
ثلاثين يوما عدم خلو المطاف كما يرشد لذلك قوله ففي ليلة لم يطف بالبيت احد الخ والا
فيبعد ان يكون صلى الله عليه وسلم لم يحضر المسجد للطواف مدة ثلاثين يومًا ويبعد
هذا الجمع قوله صلى الله عليه وسلم من الرجل الخ ثم قال صلى الله عليه وسلم لابي ذر
يا ابا ذر اكتم هذا الامر وارجع الى قومك فاخبرهم يانوني فاذا بلغك ظهورنا فاقبل
فقلت والذي بعثك بالحق لاصرخن بها بين ظهرانيهم قال وكنت في الاسلام خامسًا وفي
رواية رابعًا ولعل المراد من الاعراب فلا ينافي ما ياتي في وصف خالد بن سعيد فلما اجتمعت
قريش بالمسجد ناديت باعلا صوتي اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدًا رسول الله
فقالوا قوموا الى هذا الصابي فضربت الابواب وفي لفظ فمال علي اهل الوادي بكل مدرة
وعظم حتى خررت مغشيًا علي فاكب علي العباس رضي الله عنه ثم قال لهم ويلكم
الستم تعلمون انه من غفار وان طرق تجاراتكم عليهم فخلوا عني قال فجئت زمزم فغسلت
عني الدما فلما اصبحت الغداة رجعت لمثل ذلك فصنع في مثل ما صنع وادركني العباس
وكان منه كالامس فخرجت واتيت انيسًا فقال ما صنعت فقلت قد اسلمت وصدقت فقال
ما لي رغبة عن دينك فقد اسلمت وصدقت ثم اتينا امنا فقالت ما لي رغبة عن دينكما فاني قد
اسلمت وصدقت ثم اتينا قومنا غفار فاسلم نصفهم وقال النصف الاخر اذا قدم رسول
الله صلى الله عليه وسلم المدينة اسلمنا فلما جاء المدينة اسلم النصف الثاني اي لانه
صلى الله عليه وسلم قال لابي ذر اني قد وجهت الى ارض ذات نخل لا اراها الا يثرب فهل
انت مبلغ قومك عسى الله ان ينفعهم بك ويوجرك فيهم وجاءت اسلم القبيلة المعروفة
فقالوا يا رسول الله نسلم على الذي اسلم عليه اخواننا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
غفار غفر الله لها واسلم سالمها الله اي وقد ذكر ان ابا ذر رضي الله عنه وقف يومًا
عند الكعبة اي في حجة حجها او عمرة اعتمرها فاكتنفه الناس فقال لو ان احدكم اراد سفرا
اليس يتخذ زادا فقالوا بلى فقال سفر القيامة ابعد مما تريدون فخذوا ما يصلحكم قالوا
وما يصلحنا قال حجوا حجة لعظائم الامور وصوموا يومًا شديدًا حره ليوم النشور وصلوا

في ظلمة الليل لوحشة القبور **ومن اسلم خالد بن سعيد** بن العاص رضي الله عنه قيل
كان من اسلم رابعا وقيل ثالثا وقيل خامسا وهو اول من اسلم من اخوته ويمكن ان
يكون ذلك محمل قول ابنته ام خالد اول من اسلم ابي اي من اخوته **وسبب** اسلامه رضي
الله عنه انه راى في النوم النار وراي قطاعتها واهوالها امرا مهولا وراي انه على شفيرها
وان اباه يريد ان يلقيه فيها وراي رسول الله صلى الله عليه وسلم اخذ بحجزته يمنعه
من الوقوع فيها فقام من نومه فزعا وعلم ان نجاته من النار تكون على يد رسول الله
الله صلى الله عليه وسلم فاتى ابا بكر رضي الله عنه وذكر له ذلك فقال لم اريد بك
خيرا هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم فاتبعه فاتاه فقال يا محمد ما تدعو قال
ادعو الى الله وحده لا شريك له وان محمدا عبده ورسوله وتخلع ما انت عليه من عبادة
حجر لا يسمع ولا يبصر ولا يضر ولا ينفع فاسلم خالد رضي الله عنه **وفي الوفا** عن ام
خالد بنت خالد بن سعيد انها قالت كان خالد بن سعيد ذات ليلة نائما قبل مبعث
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رايت كانه غشيت مكة ظلمة حتى لا يبصر امرء
كفه فبينما هو كذلك اذ خرج نور منها اي من زمزم ثم علا في السما فاضا في البيت ثم اضا
مكة كلها ثم تحولت الى يثرب فاضاءها حتى اني لانظر الى البسر في النخل فاستيقظت فقصصتها
على اخي عمرو بن سعيد وكان جزل الراي فقال يا اخي ان هذا الامر يكون في بني عبد
المطلب الا ترى انه خرج من حفر ابيهم ثم انه ذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم
اي بعد مبعثه فقال يا خالد انا والله ذلك النور وقص عليه ما بعثه الله به فاسلم وعلم
بذلك ابوه وهو سعيد ابو اجيحة وكان من عظما قريش وكان اذا اعتم لم تعتم قريش
اعظاما له ومن ثم قال فيه القايل ٭
٭ ابو اجيحة من يعتم عمته ٭ يضرب وان كان ذا مال وذا عدد ٭
وعند اسلام ولده خالد ارسل في طلبه فانتهره وضربه اي بمقرعة كانت في يده حتى كسرها
على راسه **ثم قال** اتبعت محمدا وانت ترى خلاف قومه وما جاء به من عيب آلهتهم وعيب
من مضى من ابائهم فقال والله اتبعته على ما جاء به فغضب ابوه وقال اذهب حيث شئت
وقال لامنعنك القوت قال ان منعتني فان الله يرزقني ما اعيش به فاخرجه وقال لبنيه
ولم يكونوا اسلموا لا يكلمه احد منكم الا صنعت به فانصرف خالد رضي الله عنه الى رسول
الله صلى الله عليه وسلم فكان يلزمه ويعيش معه ويغيب عن ابيه في نواحي مكة حتى
خرج اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الى ارض الحبشة في الهجرة الثانية فكان
خالد رضي الله عنه اول من خرج اليها **وذكر** عن والده سعيد انه مرض فقال
ان رفعني الله من مرضي هذا لا يعبد اله ابن ابي كبشة بمكة ابدا فقال خالد رضي الله عنه
عند ذلك اللهم لا ترفعه فتوفي في مرضه ذلك وخالد هذا اول من كتب بسم الله الرحمن الرحيم
وأسلم اخوه عمرو بن سعيد بن العاص رضي الله عنه قيل وسبب اسلامه انه راى نورا

خرج

خرج من زمزم اضاءت له نخل المدينة حتى البسر فيها فقص رؤياه فقيل له هذه بير بني عبد
المطلب وهذا النور منهم يكون فكان سببا لاسلامه وتقدم قريبا ان هذه الرؤيا وقعت لخالد
وكانت سببا لاسلامه وانه قصها على اخيه عمرو المذكور فهو من خلط بعض الرواة الا ان
يقال لا مانع من تعدد هذه الرواية لخالد ولاخيه وانها كانت سبب لاسلامهما واسلم من
بني سعيد ايضا ابان والحكم الذي سماه رسول الله صلى الله عليه وسلم **ابي ومن السابقين
للاسلام صهيب** رضي الله عنه كان ابوه عاملا لكسرى اغارت الروم عليهم فسبي صهيبا وهو
غلام صغير فنشا في الروم حتى كبر ثم ابتاعه جماعة من العرب وجاوا به الي سوق عكاظ
فابتاعه منهم بعض اهل مكة وهو عبد الله بن جدعان التيمي فلما بعث رسول الله صلى الله عليه
وسلم مر صهيب رضي الله عنه علي دار رسول الله صلى الله عليه وسلم فراي عمار بن ياسر
رضي الله عنه فقال له عمار بن ياسر اين تريد يا صهيب فقال اريد ان ادخل الي محمد فاسمع
كلامه وما يدعو اليه قال عمار وانا اريد ذلك ايضا فدخلا على رسول الله صلى الله عليه وسلم
فامرهما بالجلوس فجلسا وعرض عليهما الاسلام وتلا عليهما القران فشهدا ثم مكثا عنده يومهما
ذلك حتى امسيا خرجا مستخفين فدخل عمار رضي الله عنه علي امه وابيه فاخبرهما باسلامه
وعرض عليهما الاسلام وقرا عليهما ما حفظ من القران في يومه ذلك فاعجبهما فاسلما على
يده فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسميه الطيب المطيب **وكان اسلام** صهيب وعمار بعد
بضع وثلاثين رجلا **واسلم ايضا حصين** رضي الله عنه والد عمران بن حصين رضي الله عنهما
بعد اسلام ولده عمران **وسبب** اسلامه رضي الله عنه ان قريشا جاءت اليه وكانت تعظمه
وتجله فقالوا له كلم لنا هذا الرجل فانه يذكر الهتنا ويسبها فجاوا معه حتى جلسوا قريبا
من باب النبي صلى الله عليه وسلم ودخل حصين فلما راه النبي صلى الله عليه وسلم قال
اوسعوا للشيخ وعمران ولده في الصحابة فقال حصين ما هذا الذي بلغنا عنك انك تشتم
الهتنا وتذكرها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا حصين كم تعبد من اله قال سبعة
في الارض وواحد في السما فقال فاذا اصابك الضر لمن تدعو قال الذي في السما قال فاذا هلك
المال فمن تدعو قال الذي في السما قال فيستجيب لك وحده وتشرك معه ارضيته في الشكر
يا حصين اسلم تسلم فاسلم **فقام** اليه ولده عمران فقبل راسه ويديه ورجليه فبكى صلى
الله عليه وسلم وقال بكيت من صنع عمران دخل حصين وهو كافر فلم يقم اليه عمران
ولم يلتفت ناحيته فلما اسلم وفى حقه فداخلني من ذلك الرقة **فلما** اراد حصين الخروج
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاصحابه شيعوه الي منزله فلما خرج من سدة الباب
اي عتبة داره قريش فقالوا له قد صبا وتفرقوا عنه رضي الله تعالى عنه والله اعلم

باب استخفائه صلى الله عليه وسلم واصحابه في دار الارقم بن ابي الارقم

رضي الله عنه ودعائه صلى الله عليه وسلم الي الاسلام جهرا وكلام قريش لابي طالب
في ان يخلي بينهم وبينه صلى الله عليه وسلم وما لقي هو واصحابه من الاذي واسلام عمه

حمزة رضي الله عنه ﻫ عن ابن اسحاق ان مدة ما اخفي صلى الله عليه وسلم امره اي المدة
التي صار يدعو الناس فيها خفية بعد نزول يا ايها المدثر ثلاث سنين اي فكان من اسلم
اذا اراد الصلاة يذهب الى بعض الشعاب ليستخفي بصلاته من المشركين اي كما تقدم فبينما
سعد بن ابي وقاص في نفر من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم رضي عنهم في شعب من
شعاب مكة اذ ظهر عليهم نفر من المشركين وهم يصلون فناكروهم وعابوا عليهم ما يصنعو
حتى قاتلوهم فضرب سعد بن ابي وقاص رضي الله رجلا منهم بلحي بعير فشجه فهو اول
دم اهريق في الاسلام ثم دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم هو واصحابه مستخفين في دار
اي بعد هذه الوقعة فان جماعة اسلموا قبل دخوله صلى الله عليه وسلم دار الارقم
ودار الارقم هي المعروفة الان بدار الخيزران عند الصفا اشتراها الخليفة المنصور واعطاها
ولده المهدي ثم اعطاها المهدي للخيزران ام ولديه موسى الهادي وهارون الرشيد ولم
يعرف امراة ولدت خليفتين الا هذه وولبيه جارية عبد الملك بن مروان فانها ام الوليد وسليمان
وقد روت الخيزران عن زوجها المهدي عن ابيه عن جده عن ابن عباس رضي الله عنهما قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من اتقى الله وقاه كل شيء فكان صلى الله عليه وسلم
واصحابه يقيمون الصلاة بدار الارقم ويعبدون الله تعالى باظهار الدين اي هذا البا
يدل على انه صلى الله عليه وسلم استمر مستخفيا هو واصحابه في دار الارقم الى ان اظهر
الدعوة واعلن صلى الله عليه وسلم في السنة الرابعة اي وقيل مدة استخفائه صلى الله عليه
وسلم اربع سنين واعلن في الخامسة وقيل اقاموا في تلك الدار شهرا وهم تسعة وثلاثون
وقد يقال الاقامة شهرا مخصوصة بالعدد المذكور فلا منافاة واعلانه صلى الله عليه وسلم
كان في الرابعة والخامسة بقوله تعالى فاصدع بما تؤمر واعرض عن المشركين وبقوله تعالى
وانذر عشيرتك الاقربين واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين اي اظهر ما تؤمر به من الشرع
الى الله ولا تبال من المشركين وخوف بالعقوبة عشيرتك الاقربين وهم بنو هاشم وبنو المطلب
اي وبنو عبد شمس وبنو نوفل بنو عبد المطلب وقال بعضهم اية فاصدع بما تؤمر اشتملت على
شرايط الرسالة وشرايعها وحلالها وحرامها قال بعضهم امره بالصدع لغلبة الرحمة عليه
صلى الله عليه وسلم اقول ذكر بعضهم لعله لما نزل عليه صلى الله عليه وسلم قوله وانذر
عشيرتك الاقربين اشتد ذلك عليه صلى الله عليه وسلم وضاق به ذرعا اي عجز عن احتماله فمكث
صلى الله عليه وسلم شهرا او نحوه جالسا في بيته حتى ظن عماته انه شاك اي مريض فدخلن
عليه عايدات فقال ما اشتكيت شيئا لكن الله امرني بقوله وانذر عشيرتك الاقربين فاريد
اجمع بني عبد المطلب لادعوهم الى الله تعالى قلن فادعهم ولا تجعل عبد العزى فيهم يعنون
عمه ابا لهب فانه غير مجيبك الى ما تدعوه اليه وخرجن من عنده اي وكنى عبد العزى بابي لهب
لجمال وجهه ونضارة لونه كان وجهه وجبينه لهب النار اي لما زعمه بعضهم ان ولده عقبه
الاسد كان اسمه لهبا او ولد غيره قال في الاتقان ليس في القران من الكنى غير ابي لهب ولم يذكر

وهو عبد العزى اي الصنم لانه حرام شرعا هذا كلامه وفيه ان الحرام وضع ذلك ذلك لا
وفي كلام بعضهم ما يفيد ان الاستعمال حرام ايضا الا ان يشتهر بذلك كما في الاوصاف النقص
كالاعمش وفي كلام القاضي واعلم كناه والكنية تكرمة اي بالعدول عن الاسم اليها لاشتهار
بكنيته ولان اسمه عبد العزى الذي هو الصنم فاستكره ذكره ولانه لما كان من اصحاب النار
كانت الكنية اوفق بحاله فهي كنية تفيد اللزوم فاندفع ما يقال هذا يخالف قولهم ولا يكنى
كافر وفاسق ومبتدع الا لخوف فتنة او تعريف لان ذلك خاص بالكنية التي تفيد المدح لا
الذم ولم يشتهر بها صاحبها قال فلما اصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث الى
بني عبد المطلب فحضروا وكان فيهم ابو لهب فلما اخبرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم
بما انزل اليه اسمعه ما يكره فقال تبا لك الهذا جمعتنا اي واخذ حجرا ليرمي به رسول الله
صلى الله عليه وسلم به وقال ما رايت احدا قط جا بني ابيه وقومه بشر مما جيتهم به فسكت
رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يتكلم في ذلك المجلس انتهى وفي الامتاع ان ابا لهب ظن
انه صلى الله عليه وسلم يريد ان ينزع عما يكرهون الى ما يحبون فقال له هؤلاء عمومتك
تكلم بما تريد واترك الصباة واعلم انه ليس لقومك بالعرب طاقة وانا احق من اخذك وحبسك
اسرتك وبنو ابيك ان اقمت على امرك فهو ايسر عليك من ان تثب عليهم بطون قريش وتمدها
العرب فما رايت يا ابن اخي قط احدا جا بني ابيه وقومه باشر مما جيتهم به وعند ذلك
انزل الله تعالى تبت يدا اي خسرت وهلكت يدا ابي لهب وتب اي خسر وهلك بجملته اي
والمراد بالاول جملته عبر عنها باليدين مجازا والمراد بها الدعا وبالثاني الخبر على حد اهلكه
الله وقد هلك اي قال ابو لهب عند نزول تبت يدا ابي لهب وتب ان كان ما يقول محمد حقا
افتديت منه بمالي وولدي نزل ما اغنى عنه ماله وما كسب اي واولاده لان الولد من كسب
ابيه اي وفي رواية وهي في الصحيحين انه صلى الله عليه وسلم دعا قريشا فخص وعم وقال
يا بني كعب بن لوي انقذوا انفسكم من النار يا بني مرة بن كعب انقذوا انفسكم من النار اي
وفيه انما امر بالانذار لعشيرته الاقربين ثم قال يا بني هاشم انقذوا انفسكم من النار
يا بني عبد شمس انقذوا انفسكم من النار يا بني عبد مناف انقذوا انفسكم من النار يا بني
زهرة انقذوا انفسكم من النار يا بني عبد المطلب انقذوا انفسكم من النار يا فاطمة انقذي
نفسك من النار يا صفية عمة محمد انقذي نفسك من النار فاني لا املك لكم من الدنيا منفعة
ولا من الاخرة نصيبا الا ان تقولوا لا اله الا الله اي لا تتفقوا على كفركم اتكالا على قرابتكم مني
فهو حث لهم على صالح الاعمال وترك الاتكال غير ان لكم رحما سابلها ببلالها اي اصلها
بالدعاء والبلال بالفتح كقطام ما يبل الحلق من الماء واللبن وبل رحمه اذا وصلها
وبلوا ارحامكم ندوها بالصلة وفي الحديث بلوا ارحامكم ولو بالسلام اي صلوها اي
وقد ذكر ائمتنا ضابط الصلة وفي تخصيصه صلى الله عليه وسلم فاطمة رضي الله عنها
من بين بناته مع انها اصغرهن بناته صلى الله عليه وسلم وقيل اصغر بناته صلى الله عليه وسلم و

لعله
وقيل هو صح

اسمه وهو عبد العزى
لانه حرام شرعا

وقيل وتخصيصه صفية من بين عماته حكمة لا تخفى ومن الغريب ما في الكشاف من زيادة ما اغني
بنت ابي بكر يا حفصة بنت عمر وعندي ان ذكر عايشة وحفصة بل وفاطمة هنا من خلط الرواة
وان هذا ذكره صلى الله عليه وسلم بعد ذلك فذكره بعض الرواة هنا فان المراد بالانقاذ
من النار الاتيان بالاسلام بدليل قوله صلى الله عليه وسلم الا ان تقولوا لا اله الا الله مع
انه تقدم ان بناته صلى الله عليه وسلم لم يكن كبارا ثم مكث صلى الله عليه وسلم اياما ونزل
عليه جبريل عليه السلام وامره بامضا امر الله فجمعهم رسول الله صلى الله عليه ثانيا وخطبهم
ثم قال لهم ان الرايد لا يكذب اهله والله لو كذبت الناس جميعا ما كذبتكم ولو غررت الناس
جميعا ما غررتكم والله لتموتن كما تنامون ولتبعثن كما تستيقظون ولتحاسبن بما تعملون
ولتجزون بالاحسان احسانا وبالسوء سوءا وانها الجنة ابدا والنار ابدا والله يا بني عبد المطلب ما
اعلم شابا جا قومه بافضل مما جئتكم به اني قد جئتكم بامر الدنيا والاخرة فتكلم القوم كلاما لينا
غير ابي لهب فانه قال يا بني عبد المطلب هذه والله السوءة خذوا على يديه قبل ان ياخذ على يديه غيركم فان
اسلمتموه حينئذ ذللتم وان منعتموه قتلتم فقالت له اخته صفية عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم
ورضي الله عنها اي اخي ايحسن بك خذلان ابن اخيك فوالله ما زال العلما يخبرون انه يخرج
من ضيضئ اي اصل عبد المطلب نبي فهو هو قال هذا والله الباطل والاماني وكلام النسا في الحجال
اذا قامت بطون قريش وقامت معها العرب فما قوتنا بهم فوالله ما نحن عندهم الا اكلة راس
فقال ابو طالب والله لنمنعنه ما بقينا ثم دعا النبي صلى الله عليه وسلم جميع قريش وهو قايم
على الصفا وقال ان اخبرتكم ان خيلا تخرج من سفح بالسين والنون والحا المهملة اصل وفي لفظ
سفح بالفا والحا المهملة هذا الجبل تريد ان تغير عليكم اكنتم تكذبوني قالوا ما جربنا عليك كذبا ثم
فقال يا معشر قريش انقذوا انفسكم من النار فاني لا اغني عنكم من الله شيا اني لكم نذير مبين بين
يدي عذاب شديد اي وفي لفظ انما مثلي ومثلكم كمثل رجل راى العدو فانطلق يريد اهله يخشى
ان يسبقوه فجعل يهتف يا صباحاه اتيتم اتيتم ومن امثاله صلى الله عليه وسلم انا النذير العريان اي
الذي ظهر صدقه من قولهم عرى الامر اذا ظهر وقولهم الجو عار اي ظاهر وقيل الذي جرده
العدو فاقبل عريانا ينذر العدو وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما انه حفظ عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم الف مثل واختلفت الروايات في محل وقوفه صلى الله عليه وسلم ففي رواية وقف
على الصفا كما تقدم وفي رواية وقف على صخرة من جبل اعلاها حجر فهتف يا صباحاه فقالوا من هذا
الذي يهتف قالوا محمد فاجتمعوا اليه فجعل الرجل اذا لم يستطع ان يخرج ارسل رسولا الحديث
وفي رواية صاح على ابي قبيس يا ال عبد مناف اني نذير لكم وروي انه لما نزل قوله تعالى وانذر عشيرتك
الاقربين جمع بني عبد المطلب في دار ابي طالب وهم اربعون وفي الامتاع خمسة واربعون رجلا
وامرأتان فصنع لهم صلى الله عليه وسلم طعاما اي رجل شاة مع مد من البر وصاعا من لبن
فقدمت لهم الجفنة فقال كلوا بسم الله فاكلوا حتى شبعوا وشربوا حتى نهلوا وفي رواية حتى
رووا وفي رواية قال ادنوا عشرة عشرة فدنا القوم عشرة عشرة ثم تناول صلى الله عليه وسلم

القعب

القعب الذي فيه اللبن فجرع منه ثم ناولهم وكان الرجل منهم ياكل الجذعة وفي رواية يشرب
العس من الشراب في مقعد واحد فنهرهم ذلك فلما اراد رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يتكلم
بدره بالكلام ابو لهب فقال لقد سحركم صاحبكم سحرا عظيما وفي رواية سحركم محمد وفي رواية
ما راينا كالسحر اليوم فتفرقوا ولم يتكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما كان الغد قال
صلى الله عليه وسلم يا علي عد لنا بمثل ما صنعت بالامس من الطعام والشراب قال علي كرم
الله وجهه ففعلت ثم جمعتهم له فاكلوا حتى شبعوا وشربوا حتى نهلوا ثم قال لهم صلى الله عليه
يا بني عبد المطلب ان الله قد بعثني الى الخلق كافة واليكم خاصة فقال وانذر عشيرتك الا قربين
وانا ادعوكم الى كلمتين خفيفتين على اللسان ثقيلتين في الميزان شهادة ان لا اله الا الله واني
رسول الله فمن يجيبني الى هذا الامر ويوازرني اي يعاونني على القيام به قال علي كرم
الله وجهه انا يا رسول الله فقال وانا احدثهم وسكت القوم زاد بعضهم في الرواية يكن اخي
ووزيري وخليفتي من بعدي فلم يجبه احد منهم فقام علي رضي الله عنه فقال انا يا رسول الله
ثم جلس ثم اعاد القول على القوم ثانيا فصمتوا فقام علي كرم الله وجهه فقال انا يا رسول الله
فقال اجلس ثم اعاد على القوم ثالثا فلم يجبه احد منهم فقام علي كرم الله وجهه فقال انا
يا رسول الله فقال اجلس فانت اخي ووزيري ووصيي ووارثي وخليفتي من بعدي قال
الامام ابو العباس بن تيمية في الزيادة المذكورة انها كذب وحديث موضوع من له ادنى معرفة
في الحديث يعلم ذلك وقد روى الحديث مع زيادته المذكورة ابن جرير والبغوي باسناد فيه
ابو مريم الكوفي وهو مجمع على تركه وقال الاحمد انه ليس بثقة عامة احاديثه بواطيل وقال
ابن المديني رحمه الله كان يضع الحديث وفي رواية عن علي كرم الله وجهه ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم امر خديجة فصنعت له طعاما ثم قال لي ادع لي بني عبد المطلب فدعوت
اربعين رجلا الحديث ولا مانع من تكرر فعل ذلك ويجوز ان يكون علي كرم الله وجهه فعل ذلك
عند خديجة رضي الله عنها وجا به الى بيت ابي طالب ولعل جمعهم هذا كان متاخرا عن
جمعهم مع غيرهم المتقدم ذكره ويشهد له السياق فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم حرصا
على اسلام اهل بيته فلما دعا قومه فلم يردوا عليه ولم يجيبوه اي وفي رواية صاروا كفار قريش
غير منكرين لما يقول لهم فكان اذا مر عليهم يشيرون اليه ان غلام بني عبد المطلب ليكلم من
السما وكان ذلك دابهم حتى عاب الهتهم وسفه عقولهم وضلل اباهم اي حتى مر عليهم
يوما وهم في المسجد الحرام يسجدون للاصنام فقال يا معشر قريش والله لقد خالفتم ملة
ابيكم ابراهيم عليه السلام فقالوا انما نعبد الاصنام حبا لله لتقربنا الى الله فانزل الله عليه
صلى الله عليه وسلم قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله فناكروه واجمعوا خلافه
وعداوته الا من عصم الله منهم وجاؤا الى ابي طالب وقالوا يا ابا طالب ان ابن اخيك قد سب
الهتنا وعاب ديننا وسفه احلامنا اي عقولنا ونسبنا الى قلة العقل وضلل اباءنا فاما ان تكفه
عنا واما ان تخلي بيننا وبينه فانك على مثل ما نحن عليه من خلافه فقال لهم ابو طالب قو

مطلب مشي قريش الى ابي طالب اول مرة

رفيقا وردهم ردا جميلا فانصرفوا عنه ومضى رسول الله صلى الله عليه وسلم يظهر دين الله ويدعو اليه لا يرده عن ذلك شيء والى ذلك اشار صاحب الهمزية بقوله ؞

؞ ثم قام النبي يدعو الى الله ؞ وفي الكفر نجدة واباء ؞
؞ امما اشربت قلوبهم الكفر ؞ فداء الضلال فيهم عياء ؞

اي ثم قام صلى الله عليه وسلم يدعو جماعتهم الى الله تعالى بان يقولوا لا اله الا الله حسبما امر فقد جاء ان جبريل عليه السلام نزل له صلى الله عليه وسلم في احسن صورة واطيب رائحة وقال له يا محمد ان الله يقريك السلام ويقول لك انت رسول الله الى الجن والانس فادعهم الى قول لا اله الا الله فدعاهم والحال ان في اهل الكفر نجدة تامة وامتناعا من اتباعه اختلط الكفر بقلوبهم وتمكن فيها حتى صارت لا تقبل غيره وبسبب ذلك صار داء الضلال اي داؤه هو الضلال فيهم عياء يعني الاطباء مداواته وحصول شفاه ثم سري الامر بفتح الشين المعجمة وكسرها وفتح المثناة تحت كثر وتزايد وانتشر بينهم وبينه حتى تباعد الرجال وتضاغنوا اي اضمروا الحقد واكثر قريش ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم بينها وتذامروا عليه بالذال المعجمة وحض اي حث بعضهم بعضا عليه اي على حربه وعداوته ومقاطعته ثم انهم مشوا الى الى ابي طالب مرة اخرى فقالوا يا ابا طالب ان لك سنا وشرفا ومنزلة فينا وانا قد طلبنا منك ان تنهى ابن اخيك فلم تنهه عنا والله لا نصبر على هذا من شتم ابائنا وتسفيه احلامنا اي عقولنا وعيب الهتنا حتى تكفه عنا او ننازله واياك في ذلك حتى يهلك احد الفريقين ثم انصرفوا عنه فعظم على ابي طالب فراق قومه وعداوتهم له ولم يطب نفسا بان يخذل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له يا ابن اخي ان قومك جاؤني فقالوا لي كذا وكذا فابق علي وعلى نفسك ولا تحملني من الامر ما لا اطيق فظن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان عمه خاذله وانه ضعف عن نصرته والقيام معه فقال له يا عم والله لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على ان اترك هذا الامر حتى يظهره الله تعالى او اهلك فيه ما تركته ثم استعبر رسول الله صلى الله عليه وسلم اي حصلت له العبرة التي هي دمع العين فبكى ثم قام فلما ولى ناداه ابو طالب فقال له اقبل يا ابن اخي فاقبل عليه فقال اذهب يا ابن اخي فقل ما احببت فوالله لا اسلمك وانشد ابياتا منها قوله ؞

؞ والله لن يصلوا اليك بجمعهم ؞ حتى اوسد في التراب دفينا ؞
؞ فاصدع بامرك ما عليك غضاضة ؞ وابشر بذاك وقر منه عيونا ؞

وحكمة تخصيص الشمس والقمر بالذكر وجعل الشمس في اليمين والقمر في اليسار لا تخفى لان الشمس النير الاعظم واليمين اليق به والقمر النير الممحو واليسار اليق به وخص النيرين حيث ضرب المثل بهما لان الذي جاء به صلى الله عليه وسلم نور قال الله تعالى يريدون ان يطفئوا نور الله بافواههم ويابى الله الا ان يتم نوره ومن غريب التعبير ان رجلا كان عاملا لسيدنا عمر رضي الله عنه فقال لسيدنا عمر رضي الله عنه اني رايت في المنام كان الشمس والقمر يقتتلان ومع كل واحد منهما نجوما فقال مع ايهما كنت قال مع القمر قال كنت مع الاية الممحوة اذهب فلا تعمل لي عملا

فاتفق

[illegible]

مطلب ... ابي طالب

فاتفق ان هذا الرجل كان مع معاوية يوم صفين وقتل ذلك اليوم فلما عرفت قريش ان ابا طالب قد ابى خذلان رسول الله صلى الله عليه وسلم مشوا اليه بعمارة بن الوليد بن المغيرة فقالوا له يا ابا طالب هذا عمارة بن الوليد بن المغيرة انهد اي اشد واقوى فتى في قريش واجمله فخذه لك ولدا بان تتبناه واسلم الينا ابن اخيك هذا الذي خالف دينك ودين ابائك وفرق جماعة قومك وسفه احلامهم فنقتله فانما هو رجل كرجل فقال لهم ابو طالب والله لبئس ما تسومونني اتعطوني ابنكم اغذوه لكم واعطيكم ابني تقتلونه هذا والله لا يكون ابدا اي وقال ارايتم ناقة تحن الى غير فصيلها قال المطعم بن عدي والله يا ابا طالب لقد انصفك قومك وجهدوا على التخلص مما تكره فما اراك تريد ان تقبل منهم شيئا فقال ابو طالب والله ما انصفوني ولكنك قد اجمعت اي قصدت خذلاني ومظاهرة القوم اي معاونتهم علي فاصنع ما بدا لك اي وقد مات عمارة بن الوليد هذا بارض الحبشة بعد ان سحر وتوحش وسار في البراري والقفار كما سياتي ومات المطعم بن عدي المذكور على كفره ايضا فمعنى عدم قبول ابو طالب ما ارادوه شرا الامر ولما راى ابو طالب من قريش ما راى دعا بني هاشم وبني المطلب الى ما هو عليه من منع رسول الله صلى الله عليه وسلم والقيام دونه فاجابوه الى ذلك غير ابي لهب فكان من المجاهرين بالظلم لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولكل من امن به وتوالى الاذى من قريش على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى من اسلم معه ه

فمما وقع لرسول الله صلى الله عليه وسلم من الاذية ما حدث به عمه العباس رضي الله عنه قال كنت يوما في المسجد فاقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبرته بقول ابي جهل فخرج غضبان حتى دخل المسجد فعجل ان يدخل من الباب فاقتحم من الحائط وقرا اقرا باسم ربك الذي خلق خلق الانسان من علق حتى بلغ شان ابي جهل كلا ان الانسان ليطغى ان راه استغنى الى ان بلغ اخر السورة سجد فقال انسان لابي جهل يا ابا الحكم هذا محمد قد سجد فاقبل اليه يركض ثم نكص راجعا فقيل له في ذلك فقال ابو جهل الا ترون ما ارى لقد سد افق السماء علي وفي رواية رايت بيني وبينه خندقا من نار وسياتي ان قوله تعالى ارايت الذي ينهى عبدا اذا صلى الى اخر السورة نزلت في ابي جهل ومن ذلك ما حدث بعضهم قال ذكر لنا ان ابا جهل بن هشام قال يوما لقريش يا معشر قريش ان محمدا قد ابى الا ما ترون من عيب دينكم وشتم الهتكم وتسفيه احلامكم وسب ابائكم اني اعاهد الله لاجلسن له يعني النبي صلى الله عليه وسلم غدا بحجر لا اطيق حمله فاذا سجد في صلاته رضخت به راسه فاسلموني عند ذلك او امنعوني فليصنع بي بنو عبد مناف ما بدا لهم قالوا والله لا نسلمك لشيء ابدا فامض لما تريد فلما اصبح ابو جهل اخذ حجرا كما وصف ثم جلس لرسول الله صلى الله عليه وسلم ينتظره كما كان يغدو الى الصلاة اي وكانت قبلته الى الشام الى الصخرة بيت المقدس فكان يصلي بين الركن اليماني والحجر الاسود ويجعل الكعبة بينه وبين الشام على ما تقدم وقريش جلوس في انديتهم ينتظرون ما ابو جهل فاعل فلما سجد رسول الله صلى الله عليه وسلم احتمل ابو جهل الحجر

ابو جهل فقال ... على ان ... محمد ... ساجدا اذا ...

دنا

ثم اقبل نحوه حتى اذا دنا منه رجع منهزما منتقعا لونه اي متغيرا بالصفرة مع الكدورة من
الفزع قد يبست يداه على حجره حتى قذفه من يده وقامت اليه رجال من قريش وقالوا ما لك يا ابا
الحكم قال قمت اليه لافعل ما قلت لكم البارحة فلما دنوت منه عرض لي فحل من الابل ما رايت
مثله قط هم ان ياكلني فلما ذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم قال ذاك جبريل عليه السلام
لو دنا لاخذه والى ذلك اشار صاحب الهمزية رحمه الله تعالى بقوله

وابو جهل اذ راى عنق الفحل اليه كانه العنقاء

اي وابو جهل الذي هو اشد الاعداء على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقت ان هم بالقاء الحجر
عليه صلى الله عليه وسلم وهو ساجد ابصر عنق الفحل وقد برزت اليه كانه الداهية العظمى
اي فرجع عند ذلك عن الرمي بذلك الحجر وفي رواية ان ابا جهل قال رايت بيني وبينه خندقا
من نار ولاهما ونوافذ يكون وجد الامرين معا وذكر في سبب نزول قوله تعالى انا جعلنا
في اعناقهم اغلالا فهي الى الاذقان فهم مقمحون اي انا جعلنا ايديهم متصلة باعناقهم واصلة الى
اذقانهم ملصقة بها رافعون رؤوسهم لا يستطيعون خفضها من اخذ البعير فخفض راسه وجعلنا
من بين ايديهم سدا ومن خلفهم سدا فاغشيناهم فهم لا يبصرون ان الاية الاولى نزلت في ابي جهل
لما حمل الحجر ليرضخ به راس رسول الله صلى الله عليه وسلم ورفعه اثبتت يديه الى عنقه ولزق
الحجر بيده فلما عاد الى اصحابه اخبرهم فلم يفكوا الحجر من يده الا بعد تعب شديد والاية الثانية في
اخر لما راى ما وقع لابي جهل قال انا اقتل هذا الحجر عليه فذهب اليه فلما قرب منه عمي بصره فجعل
يسمع صوته ولا يراه فرجع اليهم فاخبرهم بذلك وعن الحكم بن ابي العاص والد مروان ان
ابنه قال له ما رايت قوما كانوا اسوا رايا واعجز في امر رسول الله صلى الله عليه وسلم منكم يا بني
امية فقال لا تلومنا يا بني اني لا احدثك الا ما رايت لقد اجمعنا الليلة على اغتياله فلما رايناه يصلي
ليلا جئنا خلفه فسمعنا صوتا ظننا انه ما بقي بتهامة جبل الا انقلب علينا اي ظننا انه نفتت وانه
يقع علينا فما عقلنا حتى قضى صلاته ورجع الى اهله ثم تواعدنا ليلة اخرى فلما جاء نهضنا اليه
فرايت الصفا والمروة التصقتا احداهما على الاخرى فحالتا بيننا وبينه يا مرهذا لان صلاته صلى
الله عليه وسلم انما تكون عند الكعبة وليست بين الصفا والمروة وفي رواية كان النبي صلى الله
عليه وسلم يصلي فجاءه ابو جهل فقال الم انهك عن هذا فانزل الله تعالى ارايت الذي ينهى عبدا
اذا صلى الى اخر السورة وفي رواية انه صلى الله عليه وسلم لما انصرف من صلاته زبره ابو جهل
اي انتهره وقال انكم لتعلم ما بها ناد اكثر مني فانزل الله تعالى فليدع ناديه سندع الزبانية قال
ابن عباس رضي الله عنهما لو دعا ناديه لاخذته زبانية الله اي وقال يوما وقد لقي النبي صلى
الله عليه وسلم فقال للنبي صلى الله عليه وسلم لقد علمت اني امنع اهل البطحا وانا العزيز الكريم
كذا قال الكريم فانزل الله تعالى فيه ذق انك انت العزيز الكريم كذا قال الواقدي اي تقول له
الزبانية عند القائه في النار وما ذكر تو بيخا له ومن ذلك ما حدث به بعضهم قال لما انزل الله
سورة تبت يدا ابي لهب جاءت امراة ابي لهب وهي ام جميل واسمها العوراء وقيل اسمها اروى بنت

حرب اخت ابي سفيان بن حرب ولها ولولة وفي يدها فهر بكسر الفا وسكون الها حجر يملأ
الكف فيه لولب تدق به في الهاون الى النبي صلى الله عليه وسلم ومعه ابو بكر رضي الله
عنه فلما راها قال يا رسول الله هذه ام جميل قد جاءت قال انها لن تراني فجاءت فقالت يا ابا بكر
صاحبك هجاني اي وفي لفظ ما شان صاحبك ينشد في الشعر قال لا وما يقول الشعر اي
ينشئه وفي لفظ لا ورب هذا البيت ما هجاك والله ما صاحبي بشاعر وما يدري ما الشعر اي لا
يحسن انشاءه قالت له انك عندي تصدق وانصرفت وهي تقول قد علمت قريش اني بنت سيدها
اي تعني عبد مناف جد ابيها ومن كان عبد مناف اباه لا ينبغي لاحد ان يتجاسر على ذمه فقلت
يا رسول الله لم تركك قال لم يزل ملك يسترني بجناحيه اي وقد جاء في رواية انه صلى الله عليه
وسلم قال لابي بكر قل لها هل ترين عندي احدا فسالها ابو بكر رضي الله عنه فقالت اتهزا بي
لا والله ما ارى عندك احدا اقول في الامتاع انها جاءت وهو صلى الله عليه في المسجد معه
ابو بكر وعمر رضي الله عنهما وفي يدها فهر فلما وقفت على النبي صلى الله عليه وسلم اخذ
الله على بصرها فلم تره ورات ابا بكر وعمر فاقبلت على ابي بكر رضي الله عنه فقالت اين صاحبك
فقال وما تصنعين به قالت بلغني انه هجاني والله لو وجدته لضربت بهذا الفهر فمه فقال
عمر ويحك انه ليس بشاعر فقالت اني لا اكلمك يا ابن الخطاب اي لما تعلمه من شدته ثم اقبلت
على ابي بكر رضي الله عنه لما تعلمه من تواضعه ولينه فقالت والثواقب اي النجوم انه لشاعر
اي فكما هجاني لاهجونه وانصرفت فقيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم انها لن تراك فقال
انها لن تراني جعل بيني وبينها حجاب اي لانه صلى الله عليه وسلم قرا قرانا اعتصم به
كما قال الله تعالى واذا قرات القران جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالاخرة حجابا مستورا
وفي رواية اقبلت ومعها فهر وهي تقول مذمما ابينا ودينه قلينا وامره عصينا
فقالت اين الذي هجاني وهجا زوجي والله لئن رايته لاضربن انثييه بهذا الفهر قال
ابو بكر رضي الله عنه فقلت لها يا ام جميل والله ما هجاك ولا هجا زوجك قالت والله ما انت
بكذاب وان الناس ليقولون ذلك ثم ولت ذاهبة فقلت يا رسول الله انها لم تر فقال النبي
صلى الله عليه وسلم حال بيني وبينها جبريل عليه السلام ولعل مجيئها قد تكرر فلا منافاة
بين ما ذكر وكذا ما ياتي وكما يقال في الحال وكما يقال في الحمد محمد يقال في الذم مذمم لانه
يقال ذلك الالمن ذم مرة بعد اخرى كما ان محمد الا يقال الالمن حمد مرة بعد مرة اخرى
كما تقدم وقد جاء انه صلى الله عليه وسلم قال الا تعجبون كيف يصرف الله عني شتم قريش
ولعنهم يشتمون مذمما ويلعنون مذمما وانا محمد وفي الدر المنثور اتت رسول الله صلى
الله عليه وسلم وهو جالس في الملا فقالت يا محمد علام تهجوني قال اني ما هجوتك ما هجاك الا
الله قالت رايتني احمل حطبا او رايت في جيدي حبلا من مسد وهذا مما يؤيد ما قاله بعض
المفسرين ان الحطب عبارة عن النميمة يقال فلان يحتطب علي اي ينم لانها تمشي بين الناس
بالنميمة وتغري زوجها وغيره بعداوته صلى الله عليه وسلم وتبلغهم عنه احاديث لتحنقهم

بها على عداوته وان الحبل عبارة عن حبل النار محكم وعن عروة بن الزبير رضي الله عنهما مسد
النار سلسلة من حديد ذرعها سبعون ذراعا تدخل من فيها وتخرج من دبرها ويلوي سايرها في
عنقها والله اعلم والى ذلك اشار الشرف البوصيري في الهمزية بقوله

واعدت حمالة الحطب الفهر ٭ وجاءت كانها الورقاء
ثم جاءت غضبى تقول افي مثلي ٭ من احمد يقال الهجاء
وتولت وما راته ومن اين ٭ ترى الشمس مقلة عمياء

اي وهيأت حمالة الحطب الفهر ولقبت بذلك لانها كانت تحتطب اي تجمع الحطب لبخلها ودناءة
نفسها وكانت تحمل الشوك والحسك وتطرحه في طريقه صلى الله عليه وسلم ولا مانع من اجتماع
الاوصاف الثلاثة لكن استعمالها بقيد الوصفين الاخيرين والفهر الحجر الذي يملا الكف كاعدت
ذلك لتضرب النبي صلى الله عليه وسلم به والحال انها جاءت في غاية السرعة والعجلة كانها في
شدة الاسراع حمامة ورقا في شدة الاسراع حالة كونها غضبى من شدة ما سمعت من ذمها في سورة
تبت يدا ابي لهب تقول افي مثلي وانا بنت سيد بني عبد شمس يقال الهجا والسب حالة كونه من احمد
وتولت والحال انها ما راته وكيف ترى الشمس عين عمياء اقول في ينبوع الحياة انها لما
بلغها سورة تبت يدا ابي لهب جاءت الى اخيها ابي سفيان رضي الله عنه في بيته وهي مضطرمة
اي متحرقة غضبا فقالت له ويحك يا احمش اي يا شجاع اما تغضب ان هجاني محمد فقال ساكفيكه
اياه ثم اخذ سيفه وخرج ثم عاد سريعا فقالت هل قتلته فقال لها يا اخية ايسرك ان راس
اخيك في فم ثعبان قالت لا والله قال فقد كاد ذلك يكون الساعة اي فانه راى ثعبانا لو قرب
منه صلى الله عليه وسلم لالتقم راسه ولما نزلت هذه السورة قال ابو لهب لابنه عتبة اي
بالتكبير رضي الله عنه فانه اسلم يوم الفتح كما سياتي راسي من راسك حرام ان لم تفارق ابنة
محمد يعني رقية رضي الله عنها فانه كان متزوجها ولم يدخل بها ووقع في كلام بعضهم طلقها
لما اسلمت فليتامل وكان اخوه عتيبة بالتصغير متزوجا ابنته صلى الله عليه وسلم ام كلثوم
ولم يدخل بها فقال وقد اراد الذهاب الى الشام لاتين محمدا فلاوذينه في ربه فاتاه فقال — فقال صح
يا محمد هو كافر بالنجم اذا هوى وبالذي دنا فتدلى ثم بصق في وجه النبي صلى الله عليه وسلم
ورد عليه ابنته وطلقها فقال النبي صلى الله عليه وسلم اللهم سلط وفي رواية ابعث عليه
كلبا من كلابك وكان ابو طالب حاضرا فوجم لها ابو طالب وقال ما كان اغناك يا ابن اخي عن هذه
الدعوة فرجع عتيبة الى ابيه ابي لهب فاخبره بذلك ثم خرج هو وابوه الى الشام في جماعة فنزلوا
منزلا فاشرف عليهم راهب من دير فقال لهم ان هذه الارض مسبعة اي كثيرة السباع فقال ابو
لهب لاصحابه انكم قد عرفتم مكاني وحقي فقالوا اجل يا ابا لهب فقال اعينونا يا معشر قريش هذه
الليلة فاني اخاف على ابني دعوة محمد فاجمعوا متاعكم الى هذه الصومعة ثم افرشوا لابني عليه
ثم افرشوا حوله ففعلوا ثم جمعوا جمالهم واناخوها حولهم واحدقوا بعتيبة فجاء الاسد يتشمم
وجوههم حتى ضرب عتيبة فقتله وفي رواية فرضخ راسه وفي رواية ثنى ذنبه ووثب وضربه

بذنبه

بذنبه ضربة واحدة فخدشه فمات مكانه وفي رواية فضغمه ضغمة كانت اياها فقال وهو باخر
رمق الم اقل لكم ان محمدا اصدق الناس لهجة ومات فقال ابوه قد عرفت والله ما كان لينفلت
من دعوة محمد صلى الله عليه وسلم اقول وكلمة الخ يدل على ان ذلك كان بعد — بالنجم صح
الاسرا والمعراج ووقع مثل ذلك لجعفر الصادق رضي الله عنه قيل له هذا فلان ينشد
الناس هجاكم يعني اهل البيت بالكوفة فقال لذلك القايل هل علقت من ذلك قوله شيئا
قال نعم فانشد يقول

صلبنا لكم زيدا على راس نخلة ٭ ولم ار مهديا على الجذع يصلب
وقستم بعثمان عليا سفاهة ٭ وعثمان خير من علي واطيب

فعند ذلك رفع جعفر رضي الله عنه يديه وقال اللهم ان كان كاذبا فسلط عليه كلبا من
كلابك فخرج ذلك الرجل فافترسه الاسد وانما سمي الاسد كلبا لانه يشبه الكلب في انه اذا
بال رفع رجله ومن ثم قيل ان كلب اهل الكهف كان اسدا وقيل كان رجلا منهم جلس عند
الباب طليعة لهم فسمي باسم الكلب لملازمته للحراسة وضعف ببسط الذراعين لان ذلك من
صفة الكلب الذي هو الحيوان وقد جاء انه ليس في الجنة من الحيوان الا كلب اهل الكهف
وحمار العزير وناقة صالح والله اعلم ومما وقع له صلى الله عليه وسلم من الاذية ما حدث
به عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في المسجد
وهو يصلي وقد نحر جزورا وبقي فرثه اي روثه فقال ابو جهل الا رجل يقوم الى هذا القذر
يلقيه على محمد اي وفي رواية قال قايل الا تنظرون الى هذا المرائي ايكم يقوم الى جزور بني
فلان فيعمد الى فرثها ودمها وسلاها فيجي به ثم يمهله حتى اذا سجد وضعه بين كتفيه وفي
رواية ايكم ياخذ سلا جزور بني فلان لجزور ذبحت من يومين او ثلاثة فيضعه بين كتفيه
اذا سجد فقام شخص من المشركين وفي لفظ اشقى القوم وهو عقبة بن ابي معيط وجاء بذلك
الفرث فالقاه على النبي صلى الله عليه وسلم وهو ساجد فاستضحكوا وجعل بعضهم يميل
على بعض اي من شدة الضحك قال ابن مسعود رضي الله عنه فهبنا اي خفنا ان نلقيه عنه وفي لفظ — لعله الضحك صح
وانا قايم انظر لو كانت لي منعة لطرحته عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى فاطمة رضي
الله عنها اي بعد ان ذهب اليها انسان واخبرها بذلك واستمر صلى الله عليه وسلم ساجدا
حتى القته عنه واستمراره صلى الله عليه وسلم في الصلاة عند فعلها انما تقدم علمه صلى الله
عليه وسلم بنجاسة ما القي عليه ولما القته رضي الله عنها اقبلت عليهم تشتمهم فقام صلى — لعله سي
الله عليه وسلم فسمعته يقول وهو قايم يصلي اللهم اشدد وطاتك اي عقابك على مضر سنين
كسني يوسف اللهم عليك بابي الحكم بن هشام يعني ابا جهل وعتبة بن ربيعة وعقبة بن
ابي معيط وامية بن خلف زاد بعضهم وشيبة بن ربيعة والوليد بن عتبة بالمثناة فوق لا
بالقاف كما وقع في رواية مسلم فقد اتفق العلماء على انه غلط لانه لم يكن ذلك الوقت موجودا
او كان صغيرا جدا وعمارة بن الوليد اي وهو المتقدم ذكره الذي ارادوا ان يجعلوه عوضا عنه
صلى الله عليه وسلم اقول والذي في المواهب فلما قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم الصلاة

رفع صوته ثم دعا عليهم وكان صلى الله عليه وسلم اذا دعا دعا ثلاثا ثم قال اللهم عليك بقريش
فلما سمعوا صوته ذهب عنهم الضحك وهابوا دعوته ثم قال اللهم عليك بابي جهل بن هشام
الحديث وان ابن مسعود رضي الله عنه قال والله لقد رايتهم وفي رواية رايت الذين سمى
صرعى يوم بدر ثم سحبوا الى القليب قليب بدر واعترض بان عمارة بن الوليد مات بالحبشة ولم
يقتل ببدر وانما اسيرا منها وقيل بعرق الظبية كما سياتي وان امية بن خلف لم يطرح بالقليب واجيب
بان قول ابن مسعود رضي الله عنه رايتهم اي رايت اكثرهم وقد يقال لا مانع ان يكون صلى
الله عليه وسلم اتى بهذا الدعا وهو قايم يصلي بعد الفراغ من الصلاة فلا منافاة والله اعلم
والمراد بسني يوسف بتخفيف اليا ويروى سنين باثبات النون فاصابهم قحط اكلوا فيها الجيف
والجلود والعظام والعلهز وهو الوبر والدم اي يخلط الدم باوبار الابل ويشوى على النار وصار
الواحد منهم يرى ما بينه وبين السما كالدخان من الجوع وجا صلى الله عليه وسلم جماعة
من المشركين فيهم ابو سفيان رضي الله عنه وقالوا يا محمد انك تزعم انك بعثت رحمة وان قومك
قد هلكوا فادع الله لهم فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم فسقوا الغيث فاطبقت عليهم
سبعا فشكى الناس كثرة المطر فقال صلى الله عليه وسلم اللهم حوالينا ولا علينا فانحدرت السحابة
وانهم قالوا ربنا اكشف عنا العذاب انا مومنون اي لا نعود لما كنا عليه فلما كشف عنهم ذلك
عادوا **اي وفيه** ان هذا انما كان بعد الهجرة فسياتي انه صلى الله عليه وسلم مكث شهرا اذا
رفع راسه من الركعة الثانية بعد صلاة الفجر بعد قوله سمع الله لمن حمده يقول اللهم انج الوليد
بن الوليد وسلمة بن هشام وعياش بن ابي ربيعة والمستضعفين من المومنين بمكة اللهم اشدد
وطاتك على مضر اللهم اجعلها عليهم سنين كسني يوسف وربما فعل ذلك بعد رفعه من الركعة الاخيرة
من صلاة العشا وسياتي ما فيه وقد يقال لا مانع ان يكون حصل لهم ذلك قبل الهجرة وبعد الهجرة
مع اخرى سياتي الكلام عليها ثم رايت في الخصايص الكبرى ما يوافق ذلك حيث قال رحمه الله
قال البيهقي رحمه الله قد روي في قصة ابي سفيان ما دل على ان ذلك كان بعد الهجرة ولعله كان
مرتين وسياتي في السرايا ان ثمامة بن اثال الحنفي رضي الله تعالى عنه لما منع عن قريش الميرة ان
تاتي من اليمن حصل لهم مثل ذلك وكتبوا في ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم **وفي البخاري**
لما استعصت قريش على النبي صلى الله عليه وسلم دعا عليهم بسني كسني يوسف فقحطت
السما سبع سنين لا تمطر وفي رواية قيل ايضا لما ابطوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم بالاسلام
قال اللهم اعني عليهم بسبع كسبع يوسف فاصابتهم سنة حصت كل شي الحديث وفي رواية اللهم
اعني عليهم بسبع سنين كسبع يوسف فاصابهم قحط وجهد حتى اكلوا العظام فجعل الرجل
ينظر الى السما فيرى ما بينه وبينها كهيئة الدخان من الجهد فانزل الله تعالى فارتقب يوم تاتي
السما بدخان مبين يغشى الناس هذا عذاب اليم فاتى ابو سفيان رسول الله صلى الله عليه
وسلم فقال يا رسول الله استسق لمضر فانها قد هلكت فاستسقى لهم فسقوا فلما اصابتهم الرفاهية
عادوا الى ما كانوا عليه فانزل الله تعالى يوم نبطش البطشة الكبرى انا منتقمون يعني يوم

بكذب

بدر **ومن ذلك** ما حدث به عثمان بن عفان رضي الله عنه قال كان رسول الله صلى الله
عليه وسلم يطوف بالبيت ويده في يد ابي بكر رضي الله عنه وفي الحجر ثلاثة نفر جلوس عقبة
بن ابي معيط وابو جهل بن هشام وامية بن خلف فمر رسول الله صلى الله عليه وسلم
عليهم فلما حاذاهم اسمعوه ما يكره فعرف ذلك في وجه النبي صلى الله عليه وسلم فدنوت
منه حتى وسطته اي جعلته وسطا فكان صلى الله عليه وسلم بيني وبين ابي بكر رضي
الله عنه وادخل اصابعه في اصابعي وطفنا جميعا فلما حاذاهم قال ابو جهل والله ما نصالحك
ما بل بحر صوفة وانت تنهى ان نعبد ما يعبد اباونا فقال صلى الله عليه وسلم انا ذلك
ثم مشى عنهم فصنعوا به في الشوط الثالث مثل ذلك حتى اذا كان في الشوط الرابع ناهضوه
اي قاموا اليه صلى الله عليه وسلم ووثب ابو جهل يريد ان ياخذ بمجامع ثوبه صلى الله عليه
وسلم فدفعت في صدره فوقع على استه ودفع ابو بكر امية بن خلف ودفع رسول الله صلى
الله عليه وسلم عقبة بن ابي معيط ثم انفرجوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو
واقف ثم قال صلى الله عليه وسلم اما والله لا تنتهوا حتى يحل بكم عقابه ينزل عليكم عاجلا
قال عثمان رضي الله عنه فوالله ما منهم رجلا الا اخذته الرعدة فجعل رسول الله صلى
الله عليه وسلم يقول بيس القوم انتم لنبيكم ثم انصرف رسول الله صلى الله عليه
وسلم الى بيته وتبعناه حتى انتهى الى باب بيته ثم اقبل صلى الله عليه وسلم علينا بوجهه
فقال ابشروا فان الله عز وجل مظهر دينه ومتم كلمته وناصر نبيه ان هولا الذين ترون
مما يذبح الله على ايديكم عاجلا ثم انصرفنا الى بيوتنا فوالله لقد ذبحهم الله بايدينا يوم بدر
اقول ولا يخالف ذلك كون عقبة بن ابي معيط حمل اسيرا يوم بدر وقتل بعرق الظبية
صبرا اوهم راجعون من بدر ولا كون عثمان بن عفان لم يحضر بدرا والله اعلم **وفي رواية**
ان عقبة بن ابي معيط وطئ على رقبته الشريفة صلى الله عليه وسلم وهو ساجد حتى كادت
عيناه صلى الله عليه وسلم تبرزان وفي رواية دخل ابن ابي معيط الحجر فوجده صلى الله عليه
وسلم يصلي فوضع ثوبه على عنقه صلى الله عليه وسلم وخنقه خنقا شديدا فاقبل ابو بكر
رضي الله عنه حتى اخذ بمنكبيه ودفعه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال رضي الله
عنه اتقتلون رجلا ان يقول ربي الله وقد جاكم بالبينات من ربكم **اي وفي البخاري** عن عروة
بن الزبير رضي الله عنهما قال قلت لعبد الله بن عمرو بن العاص اخبرني باشد ما صنع المشركون
برسول الله صلى الله عليه وسلم قال بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي بفناء الكعبة
اذ اقبل عقبة بن ابي معيط فاخذ بمنكب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولوى ثوبه في عنقه
وخنقه خنقا شديدا فاقبل ابو بكر رضي الله عنه فاخذ بمنكبيه ودفعه عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم الحديث ولعل اشدية ذلك باعتبار ما بلغ عبد الله بن عمرو وما راه **وعنه** رضي
الله عنه قال ما رايت قريشا اصابت من عداوة احد ما اصابت من عداوة رسول الله صلى
الله عليه وسلم ولقد حضرتهم يوما وقد اجتمع ساداتهم وكبراوهم في الحجر فذكروا رسول الله

صلى الله عليه وسلم فقالوا ما صبرنا لامر كصبرنا لامر هذا الرجل قالوا ولقد سفه احلامنا
وشتم اباءنا وعاب ديننا وفرق جماعتنا وسب الهتنا لقد صبرنا منه على امر عظيم فبينما هم
كذلك اذ طلع عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فاقبل يمشي حتى استلم الركن ثم مر
طائفا بالبيت فلما مر بهم الثانية فلمزوه بمثلها فعرفنا ذلك في وجهه ثم مر بهم الثالثة
فلمزوه بمثلها فعرفنا ذلك في وجهه فوقف صلى الله عليه وسلم وقال اتسمعون يا معشر قريش
اما والذي نفس محمد بيده لقد جئتكم بالذبح فارتعبوا لكلمته تلك وما بقي رجل منهم الا كانما
على راسه طائر واقع فصاروا يقولون يا ابا القاسم انصرف فوالله ما كنت جهولا فانصرف
صلى الله عليه وسلم فلما كان الغد اجتمعوا في الحجر وانا معهم فقال بعضهم لبعض ذكرتم
ما بلغ منكم وما بلغكم عنه حتى اذا باداكم بما تكرهون تركتموه فبينما هم كذلك اذ طلع عليهم
رسول الله صلى الله عليه وسلم فتواثبوا اليه وثبة رجل واحد واحاطوا به وهم يقولون
انت الذي تقول كذا وكذا نعني عيب الهتهم ودينهم فقال نعم انا الذي اقول ذلك فاخذ
رجل منهم بمجمع ردائه صلى الله عليه وسلم فقام ابو بكر رضي الله عنه دونه وهو يبكي
ويقول اتقتلون رجلا ان يقول ربي الله فاطلقوا الرجل ووقعت الهيبة في قلوبهم فانصرفوا عنه
فذلك اشد ما رايتهم نالوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي رواية السيرة لقد قالوا في
الهتنا كذا قال بلى فتشبثوا به باجمعهم فاتى الصريخ الى ابي بكر رضي الله عنه فقيل له ادرك
صاحبك فخرج ابو بكر رضي الله عنه حتى دخل المسجد فوجد رسول الله صلى الله عليه وسلم
والناس مجتمعون عليه فقال ويلكم اتقتلون رجلا ان يقول ربي الله وقد جاءكم بالبينات من
ربكم فكفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم واقبلوا على ابي بكر رضي الله عنه
يضربونه قالت بنته اسماء رضي الله عنها فرجع الينا فجعل لا يمس شيئا من غدائره الا اجابه وهو
يقول تباركت يا ذا الجلال والاكرام وجاء انهم جذبوا راسه صلى الله عليه وسلم ولحيته حتى
سقط اكثر شعره فقام ابو بكر رضي الله عنه دونه وهو يقول اتقتلون رجلا ان يقول ربي
الله اي وهو يبكي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
دعهم يا ابا بكر فوالذي نفسي بيده اني بعثت اليهم بالذبح فرجعوا عنه وعن فاطمة رضي
الله عنها قالت اجتمع مشركوا قريش بالحجر فقالوا اذا مر محمد فليضربه كل واحد منا ضربة
فسمعت فدخلت على ابي صلى الله عليه وسلم فذكرت ذلك له اي وهي تبكي وتقول تركت الملا
من قريش قد تعاقدوا في الحجر فحلفوا باللات والعزى ومناة واساف ونائلة اذا هم راوك
يقومون اليك فيضربونك باسيافهم فيقتلونك فقال يا بنية اسكتي وفي لفظ لا تبكي ثم خرج
صلى الله عليه وسلم اي بعد ان توضا فدخل عليهم المسجد فرفعوا رؤوسهم ثم نكسوا فاخذ
صلى الله عليه وسلم قبضة من تراب فرمى بها نحوهم ثم قال شاهت الوجوه فما اصاب رجلا
منهم الا قتل ببدر وكان بجواره صلى الله عليه وسلم جماعة منهم ابو لهب والحكم بن ابي العاص
بن امية والد مروان وعقبة بن ابي معيط فكانوا يطرحون عليه الاذى فاذا طرحوه عليه

صلى

صلى الله عليه وسلم وخرج به ووقف على بابه ويقول يا بني عبد مناف اي جوار هذا ثم يلقيه
في الطريق ولم يسلم ممن ذكر الا الحكم وكان في اسلامه شيء وتقدم انه صلى الله عليه وسلم
نفاه الى الطائف وانه سياتي السبب في نفيه واشار صاحب الهمزية رحمه الله الى ان هذه الاذية
لا يظن ظان انها منقصة له صلى الله عليه وسلم بل هي رفعة له ودليل على تمام قربه
وعلو مرتبته وعظيم رفعته ومكانته عند ربه لكثرة صبره صلى الله عليه وسلم وحلمه
واحتماله مع علمه صلى الله عليه وسلم باستجابة دعائه ونفوذ كلمته عند الله تعالى وقد
قال صلى الله عليه وسلم اشد الناس بلاء الانبياء عليهم الصلاة والسلام وذلك سنة من سنن
النبيين السابقين عليهم الصلاة والسلام بقوله ،،

،، لا تخل جانب النبي مضاما ،، حين مسته منهم الاسواء ،،
،، كل امر ناب النبيين فالشدة ،، فيه محمودة والرخاء ،،
،، لو يمس النضار هون من النار ،، لما اختير للنضار الصلاء ،،

اي لا تظن ان النبي صلى الله عليه وسلم حصل له الضيم وقت مسته الاذيات حال كونها
صادرة منهم لان كل امر من الامور العظام اصاب النبيين فالشدة التي تحصل
لهم منه محمودة لانه لو كان يمس الذهب هوان من ادخاله النار لما اختير له العرض على النار
فالانبياء عليهم الصلاة والسلام كالذهب والشدائد التي كانت تصيبهم كالنار التي يعرض
عليها الذهب فان ذلك لا يزيد الذهب الا حسنا فكذلك الشدائد لا تزيد الانبياء الا رفعة ،،
قال ووقع لابي بكر رضي الله عنه من الاذية ما حدث به بعضهم ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم لما دخل دار الارقم ليعبد الله تعالى هو ومن معه من اصحابه فيها سرا
اي كما تقدم وكانوا ثمانية وثلاثين رجلا الح ابو بكر رضي الله عنه على النبي صلى الله
عليه وسلم في الظهور اي الخروج الى المسجد فقال صلى الله عليه وسلم يا ابا بكر انا قليل
فلم يزل حتى خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن معه من اصحابه الى المسجد وقام
ابو بكر رضي الله عنه في الناس خطيبا ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس ودعا الى الله
ورسوله فهو اول خطيب دعا الى الله وثار المشركون على ابي بكر وعلى المسلمين يضربونهم فضربوهم
ضربا شديدا ووطئ ابو بكر رضي الله عنه بالارجل وضرب ضربا شديدا وصار عتبة بن ربيعة
يضرب ابا بكر رضي الله عنه بنعلين مخصوفتين اي مطبقتين ويحرفهما على وجهه حتى صار
لا يعرف انفه من وجهه فجاءت بنو تيم يتعادون فاجلت المشركين عن ابي بكر رضي الله عنه
وحملوه في ثوب الى ان ادخلوه منزله ولا يشكون في موته اي ثم رجعوا فدخلوا المسجد فقالوا
والله لئن مات ابو بكر لنقتلن عتبة ثم رجعوا الى ابي بكر رضي الله عنه وصار والده ابو قحافة
رضي الله عنه وبنو تيم يكلمونه فلا يجيب حتى اذا كان اخر النهار تكلم وقال ما فعل رسول
الله صلى الله عليه وسلم فعذلوه فصار رضي الله عنه يكرر ذلك فقالت امه رضي الله عنها
والله ما لي علم بصاحبك فقال لها اذهبي الى ام جميل بنت الخطاب اخت عمر بن الخطاب رضي الله عنهما

فانها كانت اسلمت كما تقدم وهي تخفي اسلامها فسألتها عنه فخرجت اليها وقالت ان ابا بكر
يسال عن محمد بن عبد الله فقالت لا اعرف محمدا ولا ابا بكر ثم قالت لها تريدين ان اخرج معك
قالت نعم فخرجت معها الى ان جاءت ابا بكر رضي الله عنه فوجدته صريعا فصاحت وقالت ان
قوما نالوا منك هذا لاهل فسق واني لارجو ان ينتقم الله منهم فقال لها ابو بكر ما فعل رسول
الله صلى الله عليه وسلم فقالت له هذه امك تسمع قال فلا عين عليك منها اي انها لا تفشي
سرك قالت سالم فقال اين هو قالت في دار الارقم فقال والله لا اذوق طعاما ولا اشرب شرابا
او اتي رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت امه فامهلناه حتى اذا هدأت الرجل وسكن الناس
فخرجنا به يتكي علي حتى دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فرق له رقة شديدة واكب
عليه يقبله واكب عليه المسلمون كذلك فقال بابي وامي انت يا رسول الله ما بي باس الا ما
نال الناس من وجهي وهذه امي برة بولدها فعسى الله ان يستنقذها بك من النار فدعا
لها رسول الله صلى الله عليه وسلم ودعاها الى الاسلام فاسلمت انتهى هذا وذكر
الزمخشري في خصائص العشرة ان هذه الواقعة حصلت لابي بكر رضي الله عنه لما اسلم واخبر
قريشا باسلامه فليتامل فان تعدد الواقعة بعيد ومما وقع لابن مسعود رضي الله عنه من
الاذية ان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم اجتمعوا يوما فقالوا والله ما سمعت قريش
القرآن جهرا الا من رسول الله صلى الله عليه وسلم فمن رجل يسمعهم القرآن جهرا فقال
عبد الله بن مسعود رضي الله عنه انا فقالوا انا نخشى عليك منهم انما نريد رجلا له عشيرة تمنعه
من القوم فقال دعوني فان الله يمنعني منهم ثم انه رضي الله عنه قام عند المقام وقت الضحى
وقريش في انديتهم فقال بسم الله الرحمن الرحيم الرحمن علم القرآن واستمر فيها فتاملته
قريش وقالوا ماذا قال ابن ام عبد فقال بعضهم يتلو بعض ما جاء به محمد ثم قاموا اليه يضربون
وجهه وهو مستمر في قراءته حتى قرأ غالب السورة ثم انصرف الى اصحابه وقد ادمت قريش وجهه
فقال له اصحابه هذا الذي خشينا عليك منه فقال والله ما رايت اعداء الله اهون علي مثل
اليوم ولو شئتم لاتيتهم بمثلها غدا قالوا لا قد اسمعتهم ما يكرهون ومما وقع له صلى الله عليه
وسلم من الاذية انه كان اذا قرأ القرآن اتفق له جماعة عن يمينه وجماعة عن يساره يصفقون
ويصفرون ويخلطون عليه بالاشعار لانهم تواصوا وقالوا لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه
حتى كان منهم من اراد القراءة منهم سماع القرآن اتى خفية فاسترق السمع خوفا منهم
ومما وقع له صلى الله عليه وسلم من الاذية ما كان سببا لاسلام عمه حمزة رضي الله عنه وهو
حدث ابن اسحاق قال حدثني رجل من اسلم ان ابا جهل مر برسول الله صلى الله عليه وسلم عند
الصفا اي وقيل عند الحجون فاذاه وشتمه ونال منه ما يكره اي وقيل انه صب التراب على راسه
اي وقيل القى عليه فرثا ووطئ برجله على عاتقه فلم يكلمه رسول الله صلى الله عليه وسلم
ومولاة لعبد الله بن جدعان في مسكن لها تسمع ذلك وتبصره ثم انصرف ابو جهل الى نادي قريش
اي محل تحدثهم في المسجد فجلس معهم فلم يلبث حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه ان جاء

اقبل

اقبل متوشحا قوسه راجعا من قنصه اي من صيده وكان من عادته اذا رجع من قنصه لم يصل
الى اهله الا ان يطوف بالبيت فمر على تلك المولاة فاخبرته الخبر اي فقالت له يا ابا عمارة لو رأيت
ما لقي ابن اخيك محمد آنفا من ابي الحكم بن هشام يعني ابا جهل وجده هنا جالسا فاذاه وسبه
وبلغ منه ما يكره ثم انصرف عنه ولم يكلمه محمد صلى الله عليه وسلم اي وقيل ان التي اخبرته
مولاة اخته صفية بنت عبد المطلب قالت له انه صب التراب على راسه والقى عليه فرثا ووطئ
برجله على عاتقه وعلى القاء الفرث عليه اقتصر ابو حيان في النهر فقال حمزة انت رأيت
هذا الذي تقولين قالت نعم وفي رواية فلما رجع حمزة من صيده واذا امرأتان تمشيان خلفه
فقالت احداهما لو علم ذا ما صنع ابو جهل بابن اخيه اقصر عن مشيته فالتفت اليهما
فقال ما ذاك قالتا ابو جهل فعل بمحمد كذا وكذا ولا مانع من تعدد الاخبار من المرأتين
فاحتمل حمزة الغضب ودخل المسجد فرأى ابا جهل جالسا في القوم فاقبل نحوه حتى قام على
راسه رفع القوس وضربه فشجه شجة منكرة ثم قال اتشتمه فانا على دينه اقول ما يقول
فرد على ذلك ان استطعت اي وفي لفظ ان حمزة رضوان الله عليه لما قام على راس ابي جهل
صار ابو جهل يتضرع اليه ويقول سفه عقولنا وسب آلهتنا وخالف اباءنا فقال حمزة ومن
اسفه منكم تعبدون الحجارة من دون الله اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله
فقامت رجال من بني مخزوم اي من عشيرة ابي جهل الى حمزة لينصروا ابا جهل فقالوا ما
نراك الا قد صبأت فقال حمزة وما يمنعني وقد استبان لي منه انا اشهد انه رسول الله وان
ما يقوله حق والله لا انزع فامنعوني ان كنتم صادقين فقال لهم ابو جهل دعوا ابا عمارة اي
ويكنى ايضا بابي يعلى اسم ولد له ايضا فاني والله قد اسمعت ابن اخيه شيئا قبيحا وتم
حمزة على اسلامه اي استمر اي بعد ان وسوس له الشيطان فقال النفس لما رجع الى بيته
انت سيد قريش اتبعت هذا الصابئ وتركت دين ابائك الموت خير لك مما صنعت ثم قال اللهم
ان كان رشدا فاجعل تصديقه في قلبي والا فاجعل لي مما وقعت فيه مخرجا فبات بليلة لم يبت
بمثلها من وسوسة الشيطان حتى اصبح فغدا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا ابن
اخي اني قد وقعت في امر لا اعرف المخرج منه واقامة مثلي على ما لا ادري ارشد هو ام
غي شديد فاقبل عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكره ووعظه وخوفه وبشره فالقى
الله في قلبه الايمان بما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اشهد انك لصادق فاظهر
يا ابن اخي دينك وفي قال ابن عباس رضي الله عنهما ان هذه الواقعة سبب لنزول قوله تعالى
أومن كان ميتا فاحييناه وجعلنا له نورا يمشي به في الناس يعني حمزة كمن مثله في الظلمات
ليس بخارج منها يعني ابا جهل وسر رسول الله صلى الله عليه وسلم باسلام حمزة
سرورا كبيرا لانه كان اعز فتى في قريش واشدهم شكيمة اي اعظمهم في عزة النفس وشهامتها
ومن ثم لما عرفت قريش ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد عز باسلام حمزة رضي الله
تعالى عنه كفوا عن بعض ما كانوا ينالون منه واقبلوا على بعض اصحابه صلى الله عليه وسلم

رضي الله عنه

بالاذية سيما المستضعفين منهم الذين لا جوار لهم اي لا ناصر لهم فانا كل قبيلة عذبت كل من اسلم منها تعذبه وتفتنه وترده عن دينه بالحبس والضرب والجوع والعطش وغير ذلك اي حتى ان الواحد منهم ما يقدر ان يستوي جالسا من شدة الضرب الذي به وكان ابو جهل لعنه الله يحثهم على ذلك وكان اذا سمع بان رجلا اسلم له شرف ومنعة جاء اليه ووبخه وقال له ليغلبن رايك وليضعفن شرفك وان كان تاجرا قال والله لتكسدن تجارتك ويهلك مالك وان كان ضعيفا اغرى به حتى ان منهم من فتن عن دينه ورجع الى الشرك كالحارث بن ربيعة بن الاسود وابو قيس بن الوليد بن المغيرة وعلي بن امية بن خلف والعاص بن منبه بن الحجاج وكل هؤلاء قتلوا على كفرهم يوم بدر **ومن ثبت فلم يفتتن عن دينه** وتسلط عليه ولم يرجع للكفر بلال بن رباح رضي الله عنه وكان مملوكا لامية بن خلف **فعن** بعضهم ان بلالا رضي الله عنه كان يجعل في عنقه حبل يدفعه الى الصبيان يلعبون به ويطوفون به في شعاب مكة وهو يقول احد احد بالرفع والتنوين او بغير تنوين اي الله احد او يا احد فهو اشارة لعدم الاشراك وقد اثر الحبل في عنقه رضي الله عنه **وعن** ابن اسحاق رحمه الله ان امية بن خلف كان يخرج بلالا رضي الله عنه اذا حميت الظهيرة بعد ان يجيعه ويعطشه يوما وليلة فيطرحه على ظهره في الرمضا اي الرمل اذا اشتدت حرارته بحيث لو وضعت قطعة لحم لنضجت ثم يامر بالصخرة العظيمة فتوضع على صدره ثم يقول لا تزال هكذا حتى تموت او تكفر بمحمد وتعبد اللات والعزى فيقول رضي الله عنه احد احد اي لا اشرك بالله شيئا انا كافر باللات والعزى **وقيل** كان بلال رضي الله عنه مولدا من مولدي مكة وكان لعبد الله بن جدعان التيمي وكان من جملة مماليك مولدة له فلما بعث الله نبيه صلى الله عليه وسلم امر بهم فاخرجوا من مكة اي خوف اسلامهم فاخرجوا الا بلالا فانه كان يرعى غنمه فاسلم بلال رضي الله عنه وكتم اسلامه وسلح بلال على الاصنام التي حول الكعبة ويقال انه صار يبصق عليها ويقول خسر من عبدك فشعرت به قريش فشكوه الى عبد الله بن جدعان هم وقالوا له اصبوت قال ومثلي يقال له هذا قالوا ان اسودك قد صنع كذا وكذا فاعطاهم مائة من الابل ينحرونها للاصنام ومكنهم من تعذيب بلال فكانوا يعذبونه بما تقدم اي ويجوز ان يكون ابن جدعان بعد ذلك ملكه لامية بن خلف فلا يخالف ما تقدم من ان امية بن خلف كان يتولى تعذيبه وما ياتي عن ابي بكر رضي الله عنه انه اشتراه منه ويقال انه صلى الله عليه وسلم مر عليه وهو يعذب فقال سينجيك احد احد وقيل مر عليه ورقة بن نوفل وهو يقول احد احد فقال نعم احد احد والله يا بلال ثم اتى الى امية وقال له والله لئن قتلتموه على هذا لاتخذنه حنانا اي لاتخذن قبره منسكا ومترحما لانه من اهل الجنة وتقدم ان هذا يدل على ان ورقة ادرك البعثة التي هي الرسالة وتقدم ما فيه وكان بلال رضي الله عنه يعني بقوله احد احد يمزج مرارة العذاب بحلاوة الايمان وقد وقع له رضي الله عنه انه لما احتضر وسمع امراته تقول واحزناه صار يقول واطرباه

غدا

مطلب فيمن اعتق الصديق رضوان الله عليهم من الموالي

غدا نلقى الاحبة محمدا وحزبه فكان يمزج مرارة الموت بحلاوة اللقا **وقد ذكر** بعضهم ان هذا قاله ابو موسى الاشعري رضي الله عنه ومن معه لما وفدوا عليه صلى الله عليه وسلم وهو في غزوة خيبر اي صار يقول غدا نلقى الاحبه محمدا وحزبه **ومر به** ابو بكر رضي الله عنه يوما وهو ملقى على ظهره في الرمضا وعلى ظهره تلك الصخرة فقال لامية بن خلف الا تتقي الله تعالى في هذا المسكين حتى متى تعذبه قال انت افسدته فانقذه مما ترى قال ابو بكر رضي الله عنه عندي غلام اسود اجلد منه واقوى اي على دينك اعطيكه قال قبلت قال هو لك فاعطاه ابو بكر رضي الله عنه غلامه ذلك واخذ بلالا رضي الله عنه فاعتقه **وفي تفسير الامام البغوي** قال سعيد بن المسيب بلغني ان امية بن خلف قال لابي بكر الصديق رضي الله عنه في بلال حين قال له اتبيعنيه قال نعم ابيعه بنسطاس يعني عبدا لابي بكر رضي الله عنه كان صاحب عشرة الاف دينار وغلمان وجوار ومواش وكان مشركا يابى الاسلام فاشتراه ابو بكر رضي الله عنه به هذا كلامه **وفي الامتاع** لما ساوم ابو بكر رضي الله عنه امية بن خلف في بلال رضي الله عنه قال امية لاصحابه لالعبن بابي بكر لعبة ما لعبها احد باحد ثم تضاحك وقال له اعطني عبدك نسطاس فقال له ابو بكر رضي الله عنه ان فعلت تفعل قال نعم قال قد فعلت فتضاحك وقال لا والله حتى تعطيني معه امراته قال ان فعلت تفعل قال نعم قال قد فعلت فتضاحك وقال لا والله حتى تعطيني ابنته مع امراته قال ان فعلت تفعل قال نعم قال قد فعلت فتضاحك وقال لا والله حتى تزيدني معه مائتي دينار فقال ابو بكر انت رجل لا تستحي من الكذب قال لا واللات والعزى لئن اعطيتني لافعلن فقال هو لك فاخذه هذا كلامه **وقيل** اشتراه بسبع وقيل بخمس اواق ذهبا اي وقيل ببردة وعشرة اواق من الفضة وفي رواية برطل من الذهب وروي ان سيده قال لابي بكر رضي الله عنه لو ابيت الا اوقية اي لو قلت لا اشتريه الا باوقية لبعناكه فقال رضي الله عنه لو طلبت مائة اوقية لاخذته بها ولما قال المشركون انما اعتق ابو بكر بلالا رضي الله عنهما ليد كانت له عنده فكافاه بها انزل الله تعالى والليل اذا يغشى الى تمام السورة فالاتقى ابو بكر رضي الله عنه والاشقى امية بن خلف لعنه الله **قال الامام** فخر الدين الرازي اجمع المفسرون هنا على ان المراد بالاتقى ابو بكر رضي الله عنه وذهبت الشيعة الى ان المراد به علي كرم الله وجهه ورده وصف الاتقى بقوله وما لاحد عنده من نعمة تجزى لان هذا الوصف لا يصدق على علي كرم الله وجهه لانه كان في تربية النبي صلى الله عليه وسلم منعما عليه نعمة يجب عليه جزاؤها اي نعمة دنيوية لانها التي يجازى عليها بخلاف ابي بكر رضي الله عنه فانه لم يكن له صلى الله عليه وسلم نعمة الا الهداية وهي نعمة لا يجازى عليها قال الله تعالى قل لا اسالكم عليه اجرا الا المودة في القربى فتعين حمل الاية على ابي بكر الصديق رضي الله عنه فيلزم ان يكون ابو بكر رضي الله عنه بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم وبقية الانبياء عليهم الصلاة والسلام افضل الخلق لان الله تعالى يقول ان اكرمكم عند الله اتقاكم والاكرم هو الافضل

ومن ذلك الفخر الرازي رحمه الله بان الامة مجمعة على ان افضل الخلق بعد النبي صلى الله
عليه وسلم اما ابو بكر واما علي رضي الله عنهما ولا يمكن حمل الاية على علي كرم الله وجهه
لما تقدم فتعين حملها على ابي بكر رضي الله عنه وذهب بعض اهل المعاني المبينين لمعاني القرآن
كالزجاج والفراء والاخفش الى ان المراد بالاشقى والاتقى الشقي والتقي فافعل التفضيل
موقع فعيل فهو عام في امية بن خلف وابي بكر رضي الله عنه وغيرهما وان كان السبب خاصا
والذي بخل واستغنى المراد به ابو سفيان رضي الله عنه لانه عاتب ابا بكر رضي الله عنه في
انفاقه واعتاقه وقال له اضعت مالك والله لا تصيبه ابدا وقيل المراد به امية بن خلف **ولما بلغ**
النبي صلى الله عليه وسلم ان ابا بكر رضي الله عنه اشترى بلالا رضي الله عنه قال الشركة
يا ابا بكر قال قد اعتقته اي لان بلالا قال لابي بكر رضي الله تعالى عنه حين اشتراه ان كنت اشتريتني
لنفسك فامسكني وان كنت قد اشتريتني لله عز وجل فدعني لله فاعتقه **هذا وذكر** ان النبي صلى
الله عليه وسلم لقي ابا بكر رضي الله عنه فقال لو كان عندي مال اشتريت بلالا فانطلق العباس
رضي الله عنه فاشتراه فبعث به الى ابي بكر اي ملكه له فاعتقه فلينظر الجمع بين هذا وما
تقدم **وقد اشترى** ابو بكر رضي الله عنه جماعة جماعة اخر ممن كان يعذب في الله منهم حمامة
ام بلال رضي الله عنهما ومنهم عامر بن فهيرة فانه كان يعذب في الله تعالى حتى لا يدري ما
يقول وكان لرجل من بني تيم من ذوي قرابة ابي بكر رضي الله عنه ومنهم ابو فكيهة كان
عبدا لصفوان بن امية اسلم حين اسلم بلال رضي الله عنه فمر به ابو بكر رضي الله عنه وقد اخذه
امية بن خلف ابو صفوان واخرجه نصف النهار في شدة الحر مقيدا الى الرمضاء فوضع على بطنه
صخرة فخرج لسانه واخوا منه يقول له زده عذابا حتى ياتي محمد فيخلصه بسحره فاشتراه ابو بكر
رضي الله عنه ومنهم امراة وهي زنيرة بزاي فنون مشددة مكسورتين فمثناة تحت ساكنة وهي
اللفظة الحصاة الصغيرة عذبت في الله تعالى حتى عميت قال لها ابو جهل ان اللات والعزى فعلا
بك ما ترين فقالت له كلا والله لا تملك اللات والعزى نفعا ولا ضرا هذا امر من السماء وربي قادر
على ان يرد علي بصري فاصبحت تلك الليلة وقد رد الله عليها بصرها فقال هذا من سحر محمد
فاشتراها ابو بكر رضي الله عنه واعتقها اي وكذا ابنتها وفي السيرة الشامية ام عنيس بالنون
والبا الموحدة فمثناة تحتية فسين مهملة امة لبني زهرة كان الاسود بن عبد يغوث يعذبها ويصفها
بانها بنت زنيرة فاشتراها رضي الله عنه واعتقها وكذا النهدية وابنتها وكانتا للوليد بن
المغيرة وكذا امراة يقال لها اللطيفة ولذا راحت عامر بن فهيرة اوامه وكانت لعمر بن الخطاب
رضي الله عنه قبل ان يسلم فقرحا ان ابا بكر رضي الله عنه مر على عمر بن الخطاب رضي الله عنه
وهو يعذب جارية اسلمت استمر يضربها حتى مل قبل ان يسلم ثم قال لها اني اعتذر اليك فاني
لم اتركك حتى مللت فقالت له كذلك يعذبك ربك ان لم تسلم فاشتراها منه واعتقها اي النبي
الشامية وصفها بانها جارية بني المومل بن حبيب وكان يقال لها لبينة هولاء تسعة
وممن فتن عن دينه فثبت عليه خباب بن الارت بالمثناة فوق فانه سبي في الجاهلية واشتراه

ام انمار اي وكانت قينا اي حدادا وكان صلى الله عليه وسلم يالفه ويأتيه فلما اسلم واخبرت
بذلك مولاته صارت تاخذ الحديدة وقد حمتها في النار فتضعها على راسه فشكى ذلك لرسول
الله صلى الله عليه وسلم فقال اللهم انصر خبابا فاشتكت مولاته راسها فكانت تعوي مع
الكلاب فقيل اكتوي فكان خباب ياخذ الحديدة قد احماها فيكوي راسها **وفي البخاري**
عن خباب رضي الله عنه قال اتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو متوسد بردة في
ظل الكعبة ولقد لقينا يعني معاشر المسلمين من المشركين شدة شديدة فقلت يا رسول الله
الا تدعو الله لنا فقعد صلى الله عليه وسلم محمرا وجهه فقال انه كان من قبلكم
ليمشط احدهم بامشاط الحديد ما دون عظمه من لحم وعصب ما يصرفه ذلك عن دينه ويضع
المنشار على مفرق راسه احدهم فيشق ما يصرفه ذلك عن دينه وليظهرن الله هذا الامر حتى
يسير الراكب من صنعاء الى حضرموت لا يخاف الا الله والذئب على غنمه **قال** وعن خباب
رضي الله عنه انه حكى عن نفسه لقد رايتني يوما وقد اوقدوا نارا ووضعوها على ظهري
فما اطفاها الا ودك ظهري اي دهنه **وممن فتن عن دينه** فثبت عليه عمار بن ياسر رضي
الله عنه كان يعذب بالنار وفي كلام ابن الجوزي رحمه الله كان صلى الله عليه وسلم يمر
به وهو يعذب بالنار فيمر يده على راسه ويقول يا نار كوني بردا وسلاما على عمار كما كنت
على ابراهيم هذا كلامه ثم ان عمارا كشف عن ظهره فاذا هو قد برص اي صار اثر النار به
ابيض كالبرص ولعل حصول ذلك كان قبل دعائه صلى الله عليه وسلم بان النار تكون بردا
وسلاما عليه **وعن** ام هانئ رضي الله عنها ان عمار بن ياسر واباه ياسر واخاه عبد الله
وسمية ام عمار رضي الله عنهم كانوا يعذبون في الله تعالى فمر بهم النبي صلى الله عليه وسلم
فقال صبرا يا ال ياسر فان موعدكم الجنة وفي رواية صبرا يا ال ياسر اللهم اغفر لال ياسر
وقد فعلت فمات ياسر في العذاب واغلظت سمية رضي الله عنها لابي جهل لعنه الله اي
اعطاها له عمه ابو حذيفة بن المغيرة فانها كانت مولاته فطعنها في قبلها فماتت اي بعد
ان قال لها ما امنت بمحمد الا لانك عشقتيه لجماله ثم طعنها بالحربة في قبلها حتى قتلها اي فهي
اول شهيد في الاسلام انتهى **وعن بعضهم** كان ابو جهل لعنه الله يعذب عمارا وابن ياسر
وامه رضي الله عنهما ويجعل لعمار درعا من حديد في اليوم الصائف فنزل قوله تعالى الم احسب
الناس ان يتركوا ان يقولوا امنا وهم لا يفتنون وجاء ان عمارا رضي الله عنه قال لرسول
الله صلى الله عليه وسلم لقد بلغ منا العذاب كل مبلغ فقال له النبي صلى الله عليه وسلم صبرا
ابا اليقظان ثم قال اللهم لا تعذب احدا من ال عمار بالنار **قال بعضهم** وحضر عمار رضي
الله عنه بدرا ولم يحضرها من ابواه مومنان الا هو اي من المهاجرين فلا ينافي ان بشر بن
البراء بن معرور الانصاري حضر بدرا وابواه مومنان **ومما** اوذي به ابو بكر رضي الله عنه الصديق
ما روي عن عائشة رضي الله عنها قالت لما ابتلي المسلمون باذى المشركين اي وحصروا
بني هاشم والمطلب في شعب ابي طالب واذن صلى الله عليه وسلم لاصحابه في الهجرة الى الحبشة

وهي الهجرة الثانية خرج ابو بكر رضي الله عنه مهاجرا نحو ارض الحبشة حتى اذا بلغ برك
الغماد بالغين المعجمة موضع باقاصي هجر وقيل موضع وراء مكة بخمس ليال اي وفي رواية
حتى اذا سار يوما او يومين لقيه ابن الدغنة بفتح الدال المهملة وكسر الغين المعجمة وتخفيف
النون وهو سيد القارة اي واسمه الحارث والقارة قبيلة مشهورة كان يضرب
بهم المثل في قوة الرمي ومن ثم قيل لهم رماة الحدق لا سيما ابن الدغنة والقارة اكمة سودا
نزلوا عندها فسموا بها قال له اين تريد يا ابا بكر قال له ابو بكر رضي الله عنه اخرجني
قومي فاريد ان اسيح في الارض فاعبد ربي قال ابن الدغنة فان مثلك يا ابا بكر لا يخرج انك
تكسب المعدوم وتصل الرحم وتحمل الكل وتقري الضيف وتعين على نوائب الزمان وانك لنا
جار فارجع فاعبد ربك ببلدك فرجع مع ابن الدغنة فطاف ابن الدغنة في اشراف قريش وقال
لهم ان ابا بكر لا يخرج مثله اتخرجون رجلا يكسب المعدوم ويصل الرحم ويحمل الكل ويقري الضيف
ويعين على نوائب الزمان وهو في جواري فلم تكذب قريش بجوار ابن الدغنة اي لم ترد جواره
وقالوا لابن الدغنة مر ابا بكر فليعبد ربه في داره فليصل فيها وليقرا ما شاء ولا يوذينا
بذلك ولا يستعلن به فانا نخشى ان يفتن نساءنا وابناءنا فقال ابن الدغنة ذلك لابي بكر رضي الله
عنه فلبث ابو بكر رضي الله عنه يعبد ربه في داره ولا يستعلن في صلاته ولا يقرا في غير
داره ثم ابتنى مسجدا بفناء داره فكان يصلي فيه ويقرا القران وكان رضي الله تعالى عنه
رجلا بكاء لا يملك عينيه اذا قرا القران فكانت نساء قريش يزدحمن عليه فافزع كثيرا من
اشراف قريش من المشركين فارسلوا الى ابن الدغنة فقدم عليهم فقالوا انا اجرنا ابا بكر بجوارك
على ان يعبد ربه في داره فقد جاوز فابتنى مسجدا بفناء داره فاعلن بالصلاة والقراءة وانا
قد خشينا ان يفتن نساءنا وابناءنا بهذا فان احب ان يقتصر على ان يعبد ربه في داره فعل وان
ابى الا ان يعلن بذلك فاساله ان يرد عليك ذمتك فانا قد كرهنا ان نخفرك اي نزيل خفارتك اي
ننقض جوارك ونبطل عهدك فاتى ابن الدغنة ابا بكر رضي الله عنه فقال قد علمت الذي
عاقدت لك عليه فاما ان تقتصر على ذلك واما ان ترجع الي ذمتي فاني لا احب ان تسمع العرب
اني اخفرت اي ازيلت خفارتي في رجل عقدت له فقال له ابو بكر رضي الله تعالى عنه فاني ارد
عليك جوارك وارضى بجوار الله تعالى قال ولما رد جوار ابن الدغنة لقيه بعض
سفهاء قريش وهو عامد الى الكعبة فحثا على راسه ترابا فمر عليه بعض كبراء قريش من المشركين
فقال له ابو بكر رضي الله عنه الا ترى ما صنع هذا السفيه فقال له انت فعلت بنفسك فصار
ابو بكر رضي الله عنه يقول ربي ما احلمك قال ذلك ثلاثا انتهى اي وفي كلام بعضهم وينبغي ان
يتامل فيما وصف به ابن الدغنة ابا بكر رضي الله عنه بين اشراف قريش بتلك الاوصاف
الجليلة المساوية لما وصفت به خديجة رضي الله عنها النبي صلى الله عليه وسلم ولم يطعنوا
فيها مع ما هم متلبسون به من عظيم بغضه ومعاداته بسبب اسلامه رضي الله عنه فان هذا
منهم اعتراف بان ابا بكر رضي الله عنه كان مشهورا بينهم بتلك الاوصاف شهرة تامة بحيث

لا يمكن احدا ان ينازع

لا يمكن احدا ان ينازع فيها ولا ان يجحد شيئا منها والا لبادروا الى جحدها بكل طريق لما ملكهم
لما تحملوا به من قبيح العداوة له بسبب ما كانوا يرونه منه من صدق موالاته رضي الله عنه
لرسول الله صلى الله عليه وسلم وعظيم محبته له ومما يؤثر عنه رضوان الله تعالى عليه
صنائع المعروف تقي مصارع السوء ثلاث من كن فيه كن عليه البغي والنكث والمكر

باب عرض قريش على النبي صلى الله عليه وسلم اشياء من خوارق العادات

وغير العادات ليكف عنهم لما راوا المسلمين يزيدون ويكثرون وسوالهم اشياء من خوارق
العادات معينات وغير معينات وبعثهم الى احبار يهود بالمدينة ليسالوهم عن صفة النبي
صلى الله عليه وسلم وعن ما جابه وحديث الزبيدي وحديث المستهزئين به صلى الله عليه
وسلم ومن نصد منهم حديث الاراشي ومن قصد اذيته صلى الله عليه وسلم فرد خائبا
حدث محمد بن كعب القرظي قال حدثت ان عتبة بن ربيعة وكان سيدا مطاعا في قريش
قال يوما وهو جالس في نادي قريش اي متحدثهم والنبي صلى الله عليه وسلم جالس في المسجد
وحده يا معشر قريش الا اقوم لمحمد واكلمه واعرض عليه امورا لعله يقبل بعضها فنعطيه
اياها ويكف عنا قالوا يا ابا الوليد فقم اليه وكلمه قال وفي رواية ان نفرا من قريش
اجتمعوا وفي اخرى اشراف قريش من كل قبيلة اجتمعوا وقالوا ابعثوا الى محمد حتى تعذروا
به فقالوا انظروا اعلمكم بالسحر والكهانة والشعر فلياتي هذا الرجل الذي فرق جماعتنا
وشتت امرنا وعاب ديننا فليكلمه ولينظر ماذا يريد فقالوا لا نعلم احدا غير عتبة بن ربيعة
انتهى فقام عتبة حتى جلس الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له يا ابن اخي انك
منا حيث علمت من السطة في العشيرة والمكان في النسب اي من الوسط اي الخيار حسبا
ونسبا وانك قد اتيت قومك بامر عظيم فرقت به جماعتهم وسفهت به احلامهم وعبت به الهتهم
ودينهم وكفرت به من مضى من ابائهم قال زاد بعضهم انه قال له ايضا انت خير
ام عبد الله انت خير ام عبد المطلب اي فسكت ان كنت تزعم ان هولاء خير منك فقد عبدوا
الالهة التي عبت وان كنت تزعم انك خير منهم فقل نسمع لقولك فقد افضحتنا في العرب حتى صار
فيهم ان في قريش ساحرا وان في قريش كاهنا الى ان نقوم بعضنا الى بعض بالسيوف حتى
نتفانى انتهى فاسمع ما اعرض عليك امورا تنظر فيها لعلك تقبل منا بعضها فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم قل يا ابا الوليد اسمع فقال يا ابن اخي ان كنت انما تريد بما جئت
به من هذا الامر مالا جمعنا لك من اموالنا حتى تكون اكثرنا مالا وان كنت تريد شرفا سودناك
علينا حتى لا نقطع امرا دونك وان كنت تريد ملكا ملكناك علينا اي فيصير لك الامر والنهي
فهو اخص مما قبله وان كان هذا الذي ياتيك رئيا من الجن تراه لا تستطيع رده عن نفسك
طلبنا لك الطب وبذلنا اموالنا حتى نبريك منه فانه ربما غلب التابع على الرجل حتى يداوى
حتى اذا فرغ عتبة ورسول الله صلى الله عليه وسلم يسمع منه قال لقد فرغت يا ابا الوليد قال
نعم قال فاسمع مني قال افعل قال بسم الله الرحمن الرحيم حم تنزيل من

الرحمن الرحيم كتاب فصلت اياته قرانا عربيا لقوم يعلمون بشيرا ونذيرا فاعرض اكثرهم فهم
لا يسمعون ثم مضى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها يقراها عليه وقد انصت عتبة
لها والقى يديه خلف ظهره معتمدا عليها يسمع منه ثم انتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم
الى قوله تعالى فان اعرضوا فقل انذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود فامسك عتبة
على فيه صلى الله عليه وسلم وناشده بالرحم ان يكف عن ذلك ثم انتهى صلى الله عليه وسلم
الى السجدة فسجد ثم قال صلى الله عليه وسلم قد سمعت يا ابا الوليد ما سمعت فانت وذاك
فقام عتبة الى اصحابه فقال بعضهم لبعض نحلف لكم لقد جاءكم ابا الوليد بغير الوجه الذي
ذهب به فلما جلس اليهم قالوا ما وراءك يا ابا الوليد قال وراءي اني سمعت قولا والله
ما سمعت مثله قط والله ما هو بالشعر ولا بالسحر ولا بالكهانة يا معشر قريش اطيعوني واجعلوها
بي خلوا بين هذا الرجل وبين ما هو فيه فان تصبه العرب فقد كفيتموه بغيركم وان يظهر
على العرب فملكه ملككم وعزه عزكم وكنتم اسعد الناس به قالوا سحرك والله يا ابا الوليد
بلسانه قال هذا رايي فيه فاصنعوا ما بدا لكم قال وفي رواية ان عتبة لما قام من
عند النبي صلى الله عليه وسلم ابعد عنهم ولم يعد اليهم فقال ابو جهل لعنه الله يا معشر
قريش ما نرى عتبة الا قد صبا الى محمد واعجبه كلامه فانطلقوا بنا اليه فاتوه فقال ابو جهل
والله يا عتبة ما جئناك الا انك قد صبوت الى محمد واعجبك امره فقص عليهم القصة وقال
والله الذي نصب هذه البنية يعني الكعبة ما فهمت شيئا مما قال غير انه انذركم صاعقة
مثل صاعقة عاد وثمود فامسكت بفيه وناشدته بالرحم ان يكف وقد علمت ان محمدا اذا قال
شيئا لم يكذب فخفت ان ينزل عليكم العذاب فقالوا له ويلك يكلمك الرجل بالعربية لا تدري ما
قال قال والله ما سمعت مثله والله ما هو بشعر الى اخر ما تقدم فقالوا والله سحرك يا
يا ابا الوليد قال هذا رايي فاصنعوا ما بدا لكم انتهى وعن ابن عباس رضي الله عنه ان
قريشا يعني اشرافهم وشيختهم منهم الاسود بن المطلب وابنه زمعة بن الاسود والوليد بن
المغيرة وامية بن خلف والعاص بن وايل وعتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة وابو سفيان
بن حرب والنضر بن الحارث وابو جهل بن هشام وفي الينبوع انه الوليد بن المغيرة في اربعين
رجلا من الملا اي السادات منهم ابو طالب وسالوه ان يحضر لهم رسول الله صلى الله عليه
وسلم ويامره باشكائهم ما يشكون منه اي يزيل شكواهم منه ويجيبهم الى امر فيه الالفة
والاصلاح فاحضره وقال يا ابن اخي هولاء الملا من قومك فسلهم وتالفهم فعاتبوا النبي صلى
الله عليه وسلم على تسفيه احلامهم واحلام ابائهم وعيب الهتهم الحديث اي قالوا له يا محمد
انا بعثنا اليك لنكلمك وانا والله ما نعلم رجلا من العرب ادخل على قومه ما ادخلت على قومك
لقد شتمت الاباء وعبت الدين وسببت الالهة وسفهت الاحلام وفرقت الجماعة ولم يبق
قبيح الا اتيته فيما بيننا وبينك فان كنت انما جئت بهذا الحديث تطلب به مالا جمعنا لك من
اموالنا حتى تكون اكثرنا مالا وان كنت انما تطلب به الشرف فينا فنحن نشرفك ونسودك علينا

وان

وان كان هذا الذي ياتيك الحدى تابعا من الجن قد غلب عليك بذلنا اموالنا في طبك وفي رواية
لما اجتمعوا ودعوه صلى الله عليه وسلم فجاءهم مسرعا طامعا في هدايتهم حتى جلس اليهم
وعرضوا عليه صلى الله عليه وسلم الاموال والشرف والملك فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم ما جئت بما جئتكم به اطلب اموالكم ولا الشرف فيكم ولا الملك عليكم ولكن بعثني
الله اليكم رسولا وانزل علي كتابا وامرني ان اكون بشيرا ونذيرا فبلغتكم رسالات ربي
ونصحت لكم وان تقبلوا مني ما جئتكم به فهو حظكم في الدنيا والاخرة وان تردوه علي
اصبر لامر الله حتى يحكم الله بيني وبينكم وفي رواية اخرى عن ابن عباس رضي الله
عنه دعت قريش النبي صلى الله عليه وسلم الى ان يعطوه مالا فيكون اغنى رجل بمكة
ويزوجوه ما اراد من النساء ويكف عن شتم الهتهم ولا يذكرها بسوء فقد ذكر ان عتبة بن
ربيعة قال ان كان بك الباه فاختر اي نساء قريش فنزوجك عشرا وقالوا ارجع الى دينا
واعبد الهتنا واترك ما انت عليه ونحن نتكفل لك بكل ما تحتاج اليه في دنياك واخرتك
وقالوا له ان لم تفعل فانا نعرض عليك خصلة واحدة ولك فيها صلاح قال صلى الله عليه
وسلم وما هي قالوا تعبد الهتنا اللات والعزى سنة ونعبد الهك سنة ونشترك نحن
وانت في الامر فان كان الذي نعبده خيرا مما تعبد كنت اخذت منه حظك وان كان الذي
تعبد خيرا مما نعبد كنا قد اخذنا بحظنا فقال صلى الله عليه وسلم حتى انظر ما ياتيني
من ربي في الوحي بقوله تعالى قل يا ايها الكافرون لا اعبد ما تعبدون ولا انتم عابدون
ما اعبد ولا انا عابد ما عبدتم السورة وعن جعفر الصادق رضي الله عنه ان المشركين
قالوا له صلى الله عليه وسلم اعبد معنا الهتنا يوما ونعبد معك الهك عشرا واعبد
معنا الهتنا شهرا ونعبد معك الهك سنة فنزلت اي لا اعبد ما تعبدون يوما ولا انتم
عابدون ما اعبد عشرا ولا انا عابد ما عبدتم شهرا ولا انتم عابدون ما اعبد سنة ه
وروى ذلك النقد ابو جعفر رضي الله تعالى عنه ردا على بعض الزنادقة حيث قالوا الا طعنا
في القران لو قال امرؤ القيس قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل وكرر ذلك في اربع مرات
في نسق واحد ما كان عيبا فكيف وقع في القران قل يا ايها الكافرون السورة وهي مثل
ذلك وقوله لكم دينكم ولي دين نسخ باية القتال وبقوله تعالى افغير الله تامروني اعبد
ايها الجاهلون بل الله فاعبد وكن من الشاكرين ولما قال لهم رسول الله صلى الله عليه
وسلم ان الله انزل لما ذكرتموه القران قالوا ايت بقران غير هذا فانزل الله تعالى ولو
تقول بعض الاقاويل وقد يقال المناسب للرد عليهم قوله تعالى قل ما يكون لي ان ابدله
من تلقاء نفسي الاية ثم رايت في الكشاف ما يوافق ذلك وهو انه لما غاظهم ما في القران
من ذم عبادة الاوثان والوعيد الشديد قالوا لا ايت بقران اخر ليس فيه ما يغيظنا
من ذلك فنتبعك او بدله بان تجعل مكان اية عذاب اية رحمة وتسقط ذكر الهتنا وذم
عبادتها نزل قوله تعالى قل ما يكون لي ان ابدله الاية قال وجلس اي رسول الله

صلى الله عليه وسلم مجلسا فيه ناس من وجوه قريش منهم ابو جهل بن هشام وعتبة بن ربيعة
اي وشيبة بن ربيعة وامية بن خلف والوليد بن المغيرة فقال لهم صلى الله عليه وسلم اليس
حسنا ما جئت به فيقولون بلى والله وفي لفظ هل ترون بما اقول باسا فيقولون لا فجاء عبد الله
بن ام مكتوم وهو خال خديجة ام المومنين رضي الله تعالى عنها وهو من اسلم قديما بمكة والنبي
صلى الله عليه وسلم مشتغل باولئك القوم وقد راى منهم مواسنة وطمع في اسلامهم فصار
يقول يا رسول الله علمني مما علمك الله واكثر عليه فشق عليه صلى الله عليه وسلم ذلك فاعرض
عن ابن ام مكتوم ولم يكلمه انتهى أي وفي رواية اشار صلى الله عليه وسلم الى قايد ابن ام مكتوم
بان يكفه حتى يفرغ من كلامه فكفه القايد فدفعه ابن ام مكتوم فعبس النبي صلى الله عليه وسلم
واعرض عنه مقبلا على من كان يكلمه فعاتبه الله تعالى في ذلك بقوله عبس وتولى ان جاءه الاعمى
السورة اي والمجي مع العمى ينبي عن مزيد الرغبة وتجشم الالفة والرغبة المشتغلة في المجي ومن
كان هذا شانه حقه الاقبال عليه لا الاعراض عنه فكان صلى الله عليه وسلم بعد ذلك
اذا جاءه يقول مرحبا بمن عاتبني فيه ربي ويبسط له رداءه صلى الله عليه وسلم قال
وبهذا سقط ما للقاضي ابي بكر بن العربي هنا انتهى اقول لعل الذي له هو ما ذكره تلميذه
السهيلي رحمه الله وهو ان ابن مكتوم لم يكن اسلم والا لم يسميه بالاسم المشتق من العمى دون
الاسم المشتق من الايمان لو كان دخل في الايمان قبل ذلك وانما دخل فيه بعد نزول الاية ويدل
على ذلك قوله رضي الله تعالى عنه للنبي صلى الله عليه وسلم استدنيني يا محمد ولم يقل استدنيني
يا رسول الله ولعل في قوله تعالى لعله يزكى للترجي والانتظار ولو كان ايمانه قد تقدم قبل
هذا لخرج عن حد الترجي والانتظار للتزكي هذا كلامه وعن الشعبي قال دخل رجل على عائشة
رضي الله عنها وعندها ابن ام مكتوم رضي الله عنه وهي تقطع الاترج وتجعله في العسل وتطعمه
فقيل لها في ذلك فقالت مازال هذا له من ال محمد صلى الله عليه وسلم فقد عاتب الله عز وجل
فيه نبيه صلى الله عليه وسلم والله تعالى اعلم وفي فتاوى الجلال السيوطي رحمه الله تعالى من جملة
اشيا رفعت اليه فاجاب عنها بانها باطلة ان ابا جهل قال يا محمد ان اخرجت لنا طاووسا من
صخرة في داري امنت بك فدعا صلى الله عليه وسلم ربه عز وجل فصارت الصخرة تئن كانين المراة
الحبلى ثم انشقت عن طاووس صدره من ذهب وراسه من زبرجد وجناحاه من ياقوت ورجلاه
من جوهر فلما راى ذلك ابو جهل لعنه الله اعرض ولم يؤمن ومما سالوه صلى الله عليه وسلم
من الايات غير المعينات على رواية الشيخان او معينة كما رواه ابن عباس وسياتي ما يعلم منه
انهم سالوه اولا اية غير معينة ثم عينوها فلا مخالفة فقد ذكر ابن عباس رضي الله عنه ان
قريشا سالت النبي صلى الله عليه وسلم ان يريهم اية وفي رواية عن ابن عباس رضي الله عنهما
اجتمع المشركون اي منهم الوليد بن المغيرة وابو جهل بن هشام والعاص بن وائل والعاص بن هشام
والاسود بن عبد يغوث والاسود بن المطلب وابنه زمعة بن الاسود والنضر بن الحارث على
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا ان كنت صادقا فاشق لنا القمر فرقتين نصفا على ابي قبيس

ونصف

ونصفا على قعيقعان وقيل يكون نصفه بالمشرق ونصف الاخر بالمغرب وكانت ليلة اربعة
عشر اي ليلة البدر فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان فعلت تؤمنون قالوا نعم
فسال رسول الله صلى الله عليه وسلم ربه ان يعطيه ما سالوه فانشق القمر نصفا على ابي قبيس
ونصفا على قعيقعان وفي لفظ فانشق القمر فرقتين فرقة فوق الجبل وفرقة دونه ولعل
الفرقة التي كانت فوق الجبل كانت في جهة المشرق والتي كانت دون الجبل كانت في جهة
المغرب فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اشهدوا اشهدوا ولا منافاة بين الروايتين
ولا بينهما وبين ما جاء في رواية فانشق القمر نصفين نصفا على الصفا ونصفا على المروة
قدر ما بين العصر الى الليل ينظر اليه ثم اي ان كان الانشقاق قبيل الفجر فواضح والا
فمحمة اخرى لان القمر ليلة اربعة عشر يستمر جميع الليل وسياتي عن رواية زين المعمر
انه عاد بعد غروبه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اشهدوا والفرقتان هما
المرادتان بالمرتين في بعض الروايات التي اخذ بظاهرها بعضهم كالزين العراقي رحمه
الله فقال انه انشق مرتين لان المرة قد تستعمل في الاعيان وان كان الاصل وضعها في
الافعال فقد قال ابن القيم رحمه الله كون القمر انشق مرتين مرة بعد مرة في زمانين ما
لا من له خبرة باحوال رسول الله صلى الله عليه وسلم وسيرته يعلم انه غلط وانه لم
يقع الانشقاق الا مرة واحدة وعند ذلك قال كفار قريش سحركم ابن ابي كبشة اي وهو
اي ابو كبشة احد اجداده صلى الله عليه وسلم من قبل امه صلى الله عليه وسلم لانه
وهب بن عبد مناف بن زهرة جده ابي امنة امه صلى الله عليه وسلم يكنى ابا كبشة او هو
من قبل مرضعته حليمة لان والدها او جدها كان يكنى بذلك او كان لها بنت تسمى كبشة
فكان زوجها الذي هو ابوه من الرضاعة يكنى بتلك البنت كما تقدم في الرضاع وقد روي
صلى الله عليه وسلم عنه فقال حدثني ماضني ابو كبشة انهم لما ارادوا دفن سلول
وكان سيدا معظما حفروا له فوقعوا على باب مغلق ففتحوه واذا سرير وعليه رجل وعليه
حلل عدة وعند راسه كتاب انا ابو شمر ذو النون ماوى المساكين ومستفاد الغارمين اخذني
الموت غصبا وقد اعيا الجبابرة قبلي قال صلى الله عليه وسلم كان ذو النون هذا هو سيف
بن ذي يزن الحميري وقيل ابو كبشة جده لابيه لان ابا ام جده عبد المطلب كان يدعى ابا كبشة
وكان يعبد النجم الذي يقال له الشعرى وترك عبادة الاصنام مخالفة لقريش فهم يشيرون
بذلك الى انه له مخالفتهم سلفا وقيل الذي عبد الشعرى وترك عبادة الاصنام رجل
من خزاعة يشبهونه صلى الله عليه وسلم به في مخالفته لهم في عبادة الاصنام اي ومما
يؤيد هذا القول الاخير ما في الاتقان حيث مثل بهذه الاية للنوع المسمى بالتنكيت وهو
ان يخص المتكلم شيئا من الاشيا بالذكر لاجل نكتة كقوله تعالى وانه هو رب الشعرى خص
الشعرى بالذكر دون غيرها من النجوم وهو تعالى رب كل شيء لان العرب كان ظهر فيهم
رجل يعرف بابن ابي كبشة عبد الشعرى ودعا خلقا الى عبادتها فانزل الله تعالى وانه هو

رب الشعري اي التي ادعت فيها الربوبية هذا كلامه وكشف ليس مونث كبير لان مونث
الكبير كبير من لفظ **فقال** رجل منهم ان محمدا ان كان سحر القمر اي بالنسبة اليكم فانه
لا يبلغ من سحره ان يسحر الارض كلها اي جميع الارض وفي رواية لئن كان سحرنا ما يستطيع ان
يسحر الناس كلهم فاسألوا من ياتيكم من بلد اخر هل راو هذا فسالوهم فاخبروهم انهم راو
مثل ذلك وفي رواية ان ابا جهل قال هذا سحر محمد فاسألوا اهل الافاق وفي لفظ انظروا
ما ياتيكم به السفار حتى تنظروا اهل راو ذلك ام لا فاخبروا اهل الافاق وفي لفظ فجا السفار
وقدموا من كل وجه فاخبروهم انهم راوه منشقا فعند ذلك قالوا هذا سحر مستمر اي
مطرد فهو اشارة الى ذلك والى ما قبله من الايات وفي لفظ قالوا هذا سحر اسحر السحرة
فانزل الله تعالى اقتربت الساعة وانشق القمر وان يروا اية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر
اي مطرد كما تقدم او محكم او قوي شديد او مار دائم ذاهب لا يبقى وهذا كلام كما لا يخفى يدل
على انه لم يختص برؤيته القمر منشقا اهل مكة بل جميع الافاق وبه يرد قول بعض الملاحدة
لو وقع انشقاق القمر لاشترك اهل الارض كلهم برؤيته ولم يختص بها اهل مكة ولا يخفى
الجواب عنه بانه طلبه جماعة خاصة فاختصت رويته بمن اقترح وقوعه والا بانه قد يكون
القمر في بعض المنازل التي تظهر لبعض الافاق دون بعض ولا يقول بعضهم ان انشقاق
القمر اية ليلية جرى مع طايفة في جنح ليلة ومعظم الناس نيام **وفي فتح الباري** حنين
الجذع وانشقاق القمر نقل كل منهما نقلا مستفيضا يفيد القطع عند من يطلع على طرق الحديث
اقول والى انشقاق القمر اشار صاحب الهمزية رحمه الله بقوله

شق عن صدره وشق له البدر ومن شرط كل شرط جزاء

اي شق عن صدره صلى الله عليه وسلم وفي نسخة عن قلبه وكل منهما صحيح لانه شق صدره
اولا ثم شق قلبه ثانيا وشق لاجله القمر ليلة اربعة عشر وانما شق له صلى الله عليه وسلم
لان شرط كل شرط جزاء لانه لما شق صدره صلى الله عليه وسلم جوزي على ذلك باعظم
مشابه له في الصورة وهو شق القمر الذي هو من اعظم المعجزات بل اعظمها بعد القران
وقد اشار الى ذلك ايضا الامام السبكي رحمه الله في تائيته بقوله

ونور الدياجي انشق نصفين بعدما ارادت قريش منك اظهار اية

اي فانهم اجتمعوا فيما بينهم فاتفقوا على ان يقترحوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان يريهم انشقاق القمر الذي هو بعيد الاطماع في غاية الامتناع اي فقد سالوه او لا عن
اية غير معينة ثم عينوها **وفي الاصابة** عن بعضهم قال وانا ابن سبع عشرة سنة سافرت
مع ابي وعمي من خراسان الى الهند في تجارة فلما بلغنا اول بلاد الهند وصلنا الى ضيعة
من الضياع فعرج اهل القافلة نحوها فسال الناس عن ذلك فقالوا هذه ضيعة الشيخ زين الدين
المعمر فراينا شجرة خارج الضيعة تظل خلقا كثيرا وتحتها جمع كثير من اهل تلك الضيعة
فسال الناس عن ذلك فقالوا في هذا الزنبيل الشيخ زين الدين راي رسول الله صلى الله عليه وسلم

ودعا له بطول العمر ست مرات اي فيبلغ ستماية سنة كل دعوة بماية سنة فسال الناس ان
ينزلوا الشيخ لنسمع كلامه وحديثه فتقدم شيخ منهم فانزل الزنبيل فاذا هو مملو بالقطن
والشيخ في وسط القطن وهو كالفرخ فوضع فمه على اذنه وقال يا جداه هولاء قوم قدموا
من خراسان وقد سالوا ان تحدثهم كيف رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم وماذا قال
لك فعند ذلك تنفس الشيخ وتكلم بصوت كصوت النحل بالفارسية ونحن نسمع فقال سافرت
مع ابي وانا شاب هذه البلاد الى الحجاز في تجارة فلما بلغنا بعض اودية مكة وكان المطر
ملاء الاودية فرايت غلاما حسن الشمايل يرعى ابلا في تلك الاودية وقد حالت السيل بينه
وبين ابله وهو يخشى من خوض الما لقوة السيل فعلمت حاله فاتيت اليه وحملته وخضت به
السيل الى عند ابله من غير معرفة سابقة فلما وضعته عند ابله نظر الي فقال لي ثم عدنا
الى بلادنا وتطاولت المدة ففي ليلة ونحن جلوس في ضيعتنا هذه في ليلة تمام ليلة البدر
والبدر في كبد السماء اذ نظرنا اليه وقد انشق نصفين فغرب نصف في المشرق وغرب نصف
بالمغرب واظلم الليل ساعة ثم طلع النصف من المشرق والثاني من المغرب الى ان التقيا
في وسط السما كما كان اول مرة فتعجبنا من ذلك غاية العجب ولم نعرف لذلك سببا فسالنا الركبان
عن سببه فاخبرونا ان رجلا هاشميا ظهر بمكة وادعى انه رسول الله الى الناس كافة العام
وان اهل مكة سالوه معجزة واقترحوا عليه بان يامر القمر فينشق في السما ويغرب نصفه في المشرق
ونصفه بالمغرب ثم يعود كما كان عليه ففعل لهم ذلك فاشتقت الى رؤياه فذهبت الى مكة
وسالت عنه فدلوني على موضعه واتيت الى منزله واستاذنت فاذن لي في الدخول فلما سلمت
عليه نظر الي وتبسم وقال ادن مني وبين يديه طبق فيه رطب فتقدمت وجلست واكلت
من الرطب وصار يناولني الى ان ناولني ست رطبات ثم نظر الي وتبسم وقال لي الم تعرفني
قلت لا قال الم تحملني في عام كذا من السيل ثم قال امدد يدك فصافحني وقال قل اشهد
ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا رسول الله فقلت ذلك فسر وقال اي عند خروجي من عنده بارك
الله في عمرك قال ذلك ست مرات فبارك الله في عمري بكل دعوة مائة سنة فعمري اليوم
ستماية سنة اي في المائة السادسة مشرفا على تمامها تامل **وسئل الحافظ السيوطي**
عن مثل هذا الحديث وهو الحديث الذي رواه معمر الذي يزعم انه صحابي وانه يوم الخندق
صار ينقل التراب بغلقين وبقية الصحابة بغلق واحد فضرب النبي صلى الله عليه وسلم
بكفه الشريف بين كتفيه اربع ضربات وقال له عمرك الله معك يا معمر فعاش بعد ذلك
ذلك اربع ماية سنة ببركة الضربات التي ضربها له صلى الله عليه وسلم كل ضربة مائة
سنة وقال له بعد ان صافحه من صافحك الى ست او سبع لم تمسه النار هل هو صحيح ام كذب
وافترا لا يجوز روايته فاجاب بانه باطل وان معمر هذا كذاب دجال لانه ثبت في الصحيح
انه صلى الله عليه وسلم قال قبل موته بشهر ارايتكم ليلتكم هذه فان على كل ماية سنة لا
يبقى اليوم ممن هو على ظهر الارض احد **وقد قال** اهل الحديث وغيرهم ان من ادعى الصحبة

كبار

رسول الله

بعد مائة سنة من وفاته صلى الله عليه وسلم فهو كذاب ومعلوم ان اخر الصحابة مطلقا موتا
ابو الطفيل رضي الله عنه مات سنة عشر ومائة من الهجرة وثبت ذلك في صحيح مسلم واتفق
عليه العلماء فمن ادعى الصحبة بعد ابي الطفيل فهو كذاب **وفيما سألوه** صلى الله عليه وسلم من الايات
المعينات ما حدث به بعضهم ان قريشا قالت له صلى الله عليه وسلم سل ربك يسير عنا هذه الجبال
التي ضيقت علينا ويبسط لنا بلادنا ويخرق فيها انهارا كالشام والعراق ويبعث لنا من مضى
من ابائنا وليكن فيمن يبعث لنا قصي ابن كلاب فهو شيخ صدق فنسأله عما تقول احق هو ام باطل
قال زاد في رواية فان صدقوك وصنعت ما سألناك صدقناك وعرفنا منزلتك من الله وانه
بعثك الينا رسولا كما تقول فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بهذا بعثت اليكم انما
جئتكم من الله بما بعثني به انتهى ثم قالوا واسأل ربك يبعث معك ملكا يصدقك فيما تقوله
ويراجعنا عنك اي وفي لفظ قالوا له لم لا انزل علينا الملائكة فتخبرنا بان الله ارسلك او نرى
ربنا فيخبرنا بانه ارسلك فنؤمن حقيقة بك وقال اخر يا محمد لن نؤمن لك حتى تاتي بالله
والملائكة واسأله ان يجعل لك جنانا وقصورا وكنوزا من ذهب وفضة يغنيك بها عما نراك تبتغي
فانك تمشي في الاسواق وتلتمس المعاش كما نلتمسه اي فلا بد تتميز عنا حتى نعرف فضلك ومنزلتك
من ربك فان كنت رسولا اي وفي لفظ قالوا ان محمدا يأكل الطعام كما نأكل نحن ويمشي في الاسواق
ويلتمس المعاش كما نلتمسه نحن فلا يجوز ان يمتاز عنا بالنبوة فقال لهم رسول الله صلى الله
عليه وسلم ما انا بالذي يسأل ربه هذا وانزل الله تعالى وقالوا ما لهذا الرسول يأكل الطعام
ويمشي في الاسواق وقالوا الله اعظم من ان يكون رسوله بشرا مثلنا انزل الله تعالى اكان للناس
عجبا ان اوحينا الى رجل منهم ثم قالوا او اسقط السماء علينا كسفا اي قطعا كما زعمت ان ربك ان
شاء فعل وقد بلغنا انك انما يعلمك رجل باليمامة يقال له الرحمن وانا والله لن نؤمن بالرحمن
ابدا اي وقد عنوا بالرحمن مسيلمة وقيل كاهنا كان لليهود باليمامة وقد رد الله عليهم
بان الرحمن المعلم له هو الله تعالى بقوله قل هو ربي لا اله الا هو عليه توكلت
واليه متاب اي توبتي ورجوعي **وعند ذلك** قام صلى الله عليه وسلم حزينا اسفا على ما فاته
من هدايتهم التي طمع فيها وقال له عبد الله بن عمته عاتكة بنت عبد المطلب قبل ان يسلم رضي
الله عنه يا محمد قد عرضوا عليك ما عرضوا فلم تقبل ثم سألوا امورا ليعرفوا بها منزلتك من الله
كما تقول ويصدقوك ويتبعوك فلم تفعل ثم سألوك ان تعجل بعض ما تخوفهم به من العذاب
فلم تفعل والله لن نؤمن بك ابدا حتى تتخذ الى السماء سلما ثم ترقى فيه وانا انظر اليك حتى تاتيها
ثم تاتي معك بصك اي بكتاب معه اربعة من الملائكة يشهدون معك انك كما تقول وايم الله
لو فعلت ذلك ما ظننت اني اصدقك فانزل الله تعالى عليه الايات التي شرح فيها هذه المقالة
في سورة الاسرا وفيها الاشارة الى ان الله تعالى خيره بين ان يعطيه جميع ما سألوه وانهم
ان كفروا بعد ذلك استأصلهم بالعذاب كالامم السابقة وبين ان يفتح لهم باب الرحمة والتوبة
لعلهم يتوبون واليه يرجعون فاختار صلى الله عليه وسلم الثاني لانه صلى الله عليه وسلم

يعلم

يعلم من كثير منهم العناد وانهم لا يؤمنون وان حصل لهم ما سألوا فيستأصلهم بالعذاب
لان الله تعالى يقول واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة **وعن محمد بن كعب القرظي**
رضي الله عنه ما جاء عنه ان الملأ من قريش اقسموا للنبي صلى الله عليه وسلم بالله عز وجل
انهم يؤمنون به اذا صار الصفا ذهبا فقام يدعو الله ان يعطيهم ما سألوه فاتاه جبريل
عليه السلام فقال له ان شئت كان ذلك ولكني لم ات قوما باية اقترحوها فلم يؤمنوا بها
وفيه انه ح يشكل بسؤالهم انشقاق القمر **وفي رواية** اتاه جبريل فقال يا محمد ربك يقرئك السلام
ويقول ان شئت ان يصبح لهم الصفا ذهبا لاصبح (لعله) فان لم يؤمنوا انزلت عليهم العذاب عذابا
لا اعذبه احدا من العالمين وان شئت ان لا يصير الصفا ذهبا وفتحت لهم باب الرحمة والتوبة
فقال صلى الله عليه وسلم لا بل ان تفتح لهم باب التوبة والرحمة وفي رواية وان شئت تركتهم
حتى يتوب تائبهم فقال صلى الله عليه وسلم بل حتى يتوب تائبهم وانما وافق صلى الله عليه
على فتح باب الرحمة والتوبة لانه صلى الله عليه وسلم علم ان سؤالهم لذلك جهل منهم
لانه حقت عليهم ارسال الرسل وهي امتحان الخلق وتعبدهم بتصديق الرسل ليكون ايمانهم
من نظر واستدلال فيحصل الثواب لمن فعل ذلك ويحصل العقاب لمن اعرض عنه اذ مع كشف
الغطا يحصل العلم الضروري فلا يحتاج الى ارسال الرسل ويفوت الايمان بالغيب وايضا
لم يبالوا ما سألوا من تلك الايات الا تعنتا واستهزاء لا الى جهة الاسترشاد **وانى سؤالهم** ٢ ودفع الشكهم
تلك الايات وارتيابهم في القران وقولهم فيه انه سحر وافترا اي سحر ناثره اي ياخذه عن
مثله وعن اهل بابل يفرق بين المرء واخيه وبين المرء وزوجته وبين المرء وعشيرته ان هو الا
قول البشر من قول ابي البشر وهو عبد لبني الحضرمي كان النبي صلى الله عليه وسلم يجالسه
والى قول ابي جهل ايضا تزاحمنا نحن وبنو عبد المطلب الشرف حتى صرنا كفرسي رهان قالوا
منا نبي يوحى اليه والله لا نرضى به ولا نتبعه ابدا الا ان ياتينا وحي كما ياتيه فنزل قوله تعالى
واذا جاءتهم اية قالوا لن نؤمن حتى نؤتى مثل ما اوتي رسل الله اشار صاحب الهمزية بقوله

عجبا للكفار زادوا ضلالا ۞ بالذي فيه للعقول اهتداء
والذي يسألون منه كتاب ۞ منزل قد اتاهم وارتقاء

اي اعجب عجبا من حال الكفار كونهم زادوا ضلالا بالقران الذي فيه اهتدا للعقول
واعجب عجبا ايضا من الامر الذي يطلبونه منه صلى الله عليه وسلم وهو كثير من جملته كتاب منزل
معه عليهم من السما وهو القران العظيم بقوله

اولم يكفهم من الله ذكر ۞ فيه للناس رحمة وشفاء
اعجز الانس اية منه والجن ۞ فهلا تاتي به البلغاء
كل يوم تهدي الى سامعيه ۞ معجزات من لفظه القراء
تتحلى به المسامع والافواه ۞ فهو الحلي والحلواء
رق لفظا وراق معنى فجاءت ۞ في حلاها وحليها الخنساء

وارتنا فيه غوامض فضل ** رقة من زلاله وصفاء
انما تجتلي الوجوه اذا ما ** جليت عن مرآتها الاصداء
سور منه اشبهت صورا منا ** ومثل النظائر النظراء
والاقاويل عندهم كالتماثيل ** فلا يوهمنك الخطباء
كم ابانت اياته من علوم ** عن حروف ابان عنها الهجاء
فهي كالحب والنوى اعجب الزرا ** ع منها سنابل وزكاء
فاطالوا فيه التردد والريب ** فقالوا سحر وقالوا افتراء
واذا البينات لم تغن شيئا ** فالتماس الهدى بهن عناء
واذا ضلت العقول على علم ** فماذا يقوله النصحاء

اي اولم يكفهم عما سالوه عنادا اذ ذكروا اصل البهتان كونه من الله تعالى رحمة وشفا للناس والجن والملائكة اعجز الانس والجن الا منه فهلا تاتي بتلك الاية اهل البلاغة كل وقت تهدي قراوه الى سامعيه معجزات من لفظ ولذلك تجلى اسماعه المسامع من التحلية التي هي الحلي وتحلي بالفاظه الافواه من الحلوا فهو الحلي والحلوا احسن من جهة اللفظ وتصفي شوايب النفس من جهة المعنى فارتنا رقة من زلاله وصفا من ذلك الزلال خبايا افضل العلوم المستنبط منه وانما تظهر الوجوه ظهورا واضحا لا خفا معه بوجه اذا قوبلت بمرآة وقت جلا الاصدا عن تلك المرآة سور منه اشبهت صورا منا من حيث اشتمال كل صورة منا على عقل وفهم وخلق لا يشاركه فيه غيره والاقاويل الصادرة من الكفار في القران كالصور التي يصورها المصور فانه لا وجود لها في الحقيقة فما قالوا في القران باطل قطع البطلان فاحذر الخطبا ان توقع في وهمك ان ما ياتي به يقارب القران كم اوضحت اياته علوما حالة كونها متولدة عن حروف قليلة كشف عنها التهجي كالحب الذي يلقيه الزارع والنوى الذي يلقيه الغارس اعجب الزراع والغراس منها اي من تلك الحبوب والنوى سنابل وثمار وعز فاق الحصر فاطالوا في تلك السور لها الشك فقالوا سحر وتمويه لا حقيقة له وقالوا امر اساطير الاولين واذا كانت الحجج البراهين لم تفدهم شيا من الهدى فطلب الهدى منهم بتلك الحجج تعب لا يفيد شيا واذا ضلت العقول عن طرق الحق مع علم منها فاي قول تقوله النصحا اي وقال الوليد بن المغيرة يوما اينزل القران على محمد واترك انا وانا كبير قريش وسيدها ويترك ابو مسعود الثقفي سيد ثقيف ونحن عظما القريتين اي مكة والطايف فانزل الله تعالى وقالوا لولا اي هلا نزل هذا القران على رجل من القريتين عظيم اي اعظم واشرف من محمد صلى الله عليه وسلم فرد الله تعالى عليهم بقوله اهم يقسمون رحمة ربك الاية وفي لفظ كان الاحق بالرسالة الوليد بن المغيرة من اهل مكة او عروة بن مسعود الثقفي من الطايف ثم لا يخفى ان كفار قريش بعثوا النضر بن الحارث وعقبة بن ابي معيط الى احبار اليهود بالمدينة وقالوا لهما سلاهم عن محمد وصفا لهم صفته واخبراهم بقوله فانهم اهل الكتاب الاول اي التوراة لانه قبل الانجيل وعندهم علم

ليس عندنا فخرجا حتى قدما المدينة وسالا احبار اليهود اي قالوا لهم اتيناكم لامر حدث فينا منا غلام يتيم حقير يقول قولا عظيما يزعم انه رسول الله وفي لفظ رسول الرحمن قالوا اصفوا لنا صفته فوصفوا اي لهم فقالوا من تبعه قالوا اسفلنا فضحك حبر منهم وقال هذا النبي الذي نجد نعته ونجد قومه اشد الناس له عداوة وقالت لهم احبار اليهود سلوه عن ثلاثة اشيا فان اخبركم بهن فهو نبي مرسل وان لم يفعل فالرجل متقول سلوه عن فتية ذهبوا في الدهر الاول اي وهم اهل الكهف ما كان من امرهم فانه قد كان لهم حديث عجيب وسلوه عن رجل طواف قد بلغ مشارق الارض ومغاربها اي وهو ذو القرنين ما كان نباوه وسلوه عن الروح ما هي فاذا اخبركم بذلك اي بحقيقة الاولين وبعارض من عوارض الثالث وهو كونها من امر الله فاتبعوه فانه نبي مرسل فرجع النضر وعقبة الى قريش وقالا قد جيناكم بفصل ما بينكم وبين محمد واخبراهم الخبر فجاوا الى النبي صلى الله عليه وسلم وسالوه عن ذلك فقال لهم عليه الصلاة والسلام اخبركم غدا ولم يستثن اي ولم يقل ان شا الله تعالى وانصرفوا فمكث خمسة عشر يوما وقيل ثلاثة ايام وقيل اربعة ايام لا ياتيه الوحي وتكلمت قريش في ذلك مما اخبر به صلى الله عليه وسلم فقالوا ان محمدا قلاه ربه وتركه اي ومن جملة من قال له ذلك ام جميل امراة عمه ابي لهب قالت ما ارى صاحبك الا وقد ودعك وقلاك اي تركك وبغضك وفي رواية قالت امراة من قريش ابطا عليه شيطانه وشق عليه صلى الله عليه وسلم ذلك منهم ثم جاءه جبريل عليه السلام بسورة الكهف وفيها خبر الفتية الذين ذهبوا وهم اهل الكهف ويروى انهم يكونون مع عيسى عليه السلام اذا نزل ويحجون البيت وخبر الرجل الطواف وهو ذو القرنين اي وهو الاسكندر ذو القرنين كان له قرنان صغيران من لحم تواريهما العمامة وفي لفظ كان له شبه القرنين في راسه وقيل غديرتان من شعر وقيل لانه قرن ما بين طلوع الشمس ومغربها اي بلغ قطر المشرق والمغرب وقيل ضرب على قرن راسه فمات ثم احيي وقيل لانه ملك الروم وفارس وقيل لانه انقرض في زمانه قرنان من الناس والقرن زمانا مائة سنة وكان ذو القرنين رجلا صالحا من اهل مصر من ولد يونانيه وفي لفظ يونان بن يافث بن نوح عليه الصلاة والسلام وكان من الملوك العادلة وكان له الخضر عليه السلام صاحب لوايه الاكبر وقيل كان نبيا قاله الضحاك وجا صلى الله عليه وسلم بالجواب المذكور وذلك في سورة الاسرا وهو ان الروح من امر ربي اي قل لهم الروح من امر ربي اي من علمه لا يعلمه الا هو اي وكان في كتبهم ان الروح من امر الله تعالى اي مما استاثر الله بعلمه ولم يطلع عليه احدا من خلقه ومن ثم جاء في بعض الروايات ما تقدم ان اجابكم عن حقيقة الروح فليس بنبي والا بان اجابكم عنها بانها من امر ربي فهو نبي ولعل هذا هو المراد بما جاء في بعض الروايات سلوه عن الروح فان اخبركم به فليس بنبي وان لم يخبركم فهو نبي اقول اذا كان في كتبهم ان حقيقة الروح مما استاثر الله تعالى بعلمه كيف هم يسالونه فيخبرهم بذلك الا ان يقال المراد ان اجابكم بغير قوله من امر ربي فاعلموا انه غير نبي فانه تجاوز ان يخبركم من حقيقتها وحقيقتها لا يعلمها الا الله تعالى ويوافقه ما في

ماثور التفسير من امر ربي من علم ربي لا علم لي به وفي بعض الروايات عن ابن عباس
رضي الله عنه سألوه عن الروح التي نفخ الله تعالى في ابن ادم فان قال لكم من الله تعالى
فقولوا له كيف يعذب الله في النار شيئا هو منه وحاصل الجواب الذي اشار ربنا
اليه الاية ان الروح امر من مامورا لله وخلق من خلقه لا انها جزء منه والله تعالى اعلم
اي وهذا يدل على ان المسئول عنه روح الانسان التي هي سبب الحياة في افادة الحياة للجسد
وفي كلام الامام الغزالي رحمه الله ان الروح دخان صافي وهو الذي تسميه الاطبا المزاج
وهو جسم لطيف بخاري سار في البدن الحامل لقوى الحواس الظاهرة والقوى الجسمانية
وهذه الروح تفنى بفناء الحواس البدن وتعدم بالموت وروح روحاني وهي التي يقال لها
الناطقة ويقال لها اللطيفة الربانية ويقال لها الروح ويقال لها القلب من الالفاظ الدالة
على معنى واحد لها تعلق بقوى النفس الحيوانية وهذه الروح لا تفنى بفناء البدن وتبقى بعد
الموت هذا كلامه وفي كلام بعضهم والروح عند اكثر اهل السنة جسم لطيف مغاير للاجسام
ماهيته وهيئته منصرفة في البدن حال فيه حلول الدهن في الزيتون يعبر عنه بانا وانت واذا
فارق البدن مات وذهب جمع منهم الغزالي والامام الرازي وفاقا للحكما والصوفية الى انه
امر مجرد غير حال بالبدن يتعلق به تعلق العاشق بالمعشوق ويدبر امره على وجه لا يعلمه الا
الله تعالى انتهى ورايت في كلام الشيخ الاكبر رحمه الله تعالى ونفعنا به ان الامام ركن
الدين السمرقندي لما فتح المسلمون بلاد الهند خرج بعض علمائها لمناظر المسلمين فسال عن
العلما فاشاروا الى الامام ركن الدين السمرقندي فقال لهم الهندي ما تعبدون قال نعبد
الله بالغيب قال من انباكم قال محمد صلى الله عليه وسلم قال فما الذي قال في الروح قال
هو من امر ربي قال صدقتم فاسلم وليس المراد بالروح خلق من الملايكة على صورة بني ادم
او ملك عظيم عرض شحمة اذنه خمسماية عام الى غير ذلك قال بعضهم قلت كذا في الرواية
انهم سالوه اي اهل مكة عن الروح وحديث ابن مسعود يدل على ان السوال عن الروح ونزول
الاية كان بالمدينة اي من اليهود هذا كلامه وفيه انه سيأتي جواز تكرار السوال وتكرير
نزول تلك الاية الى اخر ما ياتي وبه يعلم ما في الاتقان حيث تعقب قول بعضهم ان اصحاب
محمد صلى الله عليه وسلم عن الروح وعن ذو القرنين بقوله قلت السايل عن الروح وذي القرنين
مشركوا مكة او اليهود كما في اسباب النزول لا الصحابة رضي الله عنهم وفي الاتقان قد يعدل
عن الجواب اصلا اذا كان السايل قصد التعنت نحو ويسالونك عن الروح قل الروح من امر
ربي قال صاحب الافصاح انما سال اليهود تعجيزا وتغليطا اذ كان الروح يقال بالاشتراك على روح
الانسان والقران وعيسى وجبريل وملك اخر وصنف من الملايكة فقصد اليهود ان يسالوه
فباي شيء اجابهم قالوا ليس هو فجاءهم الجواب مجملا وكان هذا الاجمال كيدا يرد به كيدهم
وفي سورة الكهف ايضا انه ولا تقولن لشيء اني فاعل ذلك غدا الا ان يشاء الله واذكر ربك
اذا نسيت اي اذا اردت ان تفعل اي ان تقول سافعل شيئا فيما يستقبل من الزمان

تقول

تقول ان شاء الله فان نسيت التعليق بذلك ثم تذكرت فات بها فذكرها بعد النسيان كذكرها
بعد القول قال جمع منهم الحسن ما دام في المجلس اي وان طال الفصل وفي الخصايص
الكبرى ان هذا اي الاتيان بالمشيئة بعد التذكر من خصايصه صلى الله عليه وسلم وليس لاحد
منا ان يستثني اي ياتي بالمشيئة الا في صلة يمينه اقول كان ينبغي ان يقول الا وصلة
اخباره لان سياق الاية في الاخبار لا في الحلف فان قيل هي عامة في الخبر والحلف قلنا ينبغي
ان يقول في صلة كلامه انا نشاركه عليه الصلاة والسلام في الخبر دون الحلف والله
اعلم ثم لا يخفى انه قيل في سبب احتباس الوحي ما ذكر وهو انه صلى الله عليه وسلم لم يقل ان شاء
الله وهو المشهور وقيل لانه كان في بيته كلب وفي لفظ كان تحت سريره جرو ميت فقد
جا انه صلى الله عليه وسلم لما عاتب جبريل عليه السلام في احتباسه قال اما علمت انا
الملايكة لا تدخل بيتا فيه كلب اي فانه صلى الله عليه وسلم قال لخادمته خولة يا خولة ما حدث
في بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فان الوحي لا ياتيني قالت فقلت في نفسي لو كنست البيت
فاهويت بالمكنسة تحت السرير فاخرجت الجرو ميتا اقول قال ابن كثير قد ثبت في الحديث
المروي في الصحاح الست والمسانيد من حديث جماعة من الصحابة رضي الله عنهم عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم انه قال لا تدخل الملايكة بيتا فيه صورة ولا كلب ولا جنب وقد اورد
بعض الزنادقة سوالا وهو اذا كانت الملايكة لا تدخل بيتا فيه كلب وصورة اي صورة التماثيل
التي فيها الارواح يلزم ان لا يموت من عنده كلب او صورة وان لا تكتب عمله واجيب عنه بان
المراد لا تدخل ذلك البيت الاكرام لصاحبه وتحصيل بركة له فلا ينافي دخولهم لكتابة الاعمال وقبض
الارواح والله تعالى اعلم وقيل لانه صلى الله عليه وسلم زجر سايلا ملحا وقد كان صلى
الله عليه وسلم قبل ذلك يرد السايل بقوله اتاكم الله من فضله اي وربما سكت فقد روى
الشيخان ما سيل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لا قال الحافظ ابن حجر المراد بذلك
انه لا ينطق بالرد فان كان عنده شيء اعطاه والا سكت وهذا هو المراد بما جا انه صلى
الله عليه وسلم ما رد سايلا اي شافهه بالرد وقد حكى بعضهم قال رايت النبي صلى
الله عليه وسلم في النوم فقلت يا رسول الله استغفر لي فسكت فقلت يا رسول الله ابن عيينة
حدثنا عن جابر رضي الله عنه انك ما سيلت شيا قط فقلت لا فتبسم صلى الله عليه وسلم
واستغفر لي اي فكان صلى الله عليه وسلم ياتي بالا ولا حيث لا يكون المقام يقتضي الاقتصار
على السكوت ولعل هذا في غير مقناه فلا يخالف ما رواه البزار رحمه الله عن انس رضي
الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا دخل شهر رمضان اطلق كل اسير
واعطى كل سايل وبين الشيخ ابن الجوزي رحمه الله في النشر سبب الحاح هذا السايل
فقال ان النبي صلى الله عليه وسلم اهدي اليه قطف من عنب قبل اوانه فهم صلى الله عليه
وسلم ان ياكل منه فجاء سايل فقال اطعموني مما رزقكم الله فسلم اليه صلى الله عليه وسلم
ذلك القطف فلقيه بعض الصحابة فاشتراه منه واهداه للنبي صلى الله عليه وسلم فعاد

السايل الى النبي صلى الله عليه وسلم فساله فاعطاه اياه فلقيه رجل اخر من الصحابة فا(شتراه)
منه واهداه للنبي صلى الله عليه وسلم فعاد السايل فساله فانتهره صلى الله عليه وسلم
وقال انكم ملح قالت وهذا سياق غريب جدًا وهو مفصل سبب ذلك غير ذلك من ذلك
الغيران جبريل عليه السلام لما قال له صلى الله عليه وسلم ما حبسك عني قال كيف نايتكم
وانتم لا تقصون اظفاركم ولا تنقون براجمكم ولا تاخذون شعوركم ولا تستاكون اقول
واختلاف هذه الاسباب ظاهر في ان الواقعة متعددة ولا ينافيه قوله ونزلت ايه سورة
الضحى ردًا عليهم في قولهم ان محمدًا قلاه ربه وتركه وهي قوله تعالى ما ودعك ربك وما
قلى اي ما قطعك قطع المودع وما ابغضك لانه يجوز ان يكون مما تكرر نزوله لاختلاف
سببه ويمكن ان يقال يجوز ان تكون الواقعة واحدة وتعددت اسبابها ولا ينافي اخبار
جبريل عليه السلام تارة بان سبب احتباسه عدم قص الاظفار وما ذكر معه وتارة
بان الملايكة لا تدخل بيتا فيه كلب وتارة بقوله وما نتنزل الا بامر ربك كما ياتي قريبًا
وكما سياتي في قصة الافك لكن قال الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى قصة ابطا جبريل عليه
السلام بسبب الجرو مشهورة لكن كونها سبب نزول الاية اي ما ودعك ربك وما قلى
غريب فالمعتمد ما في الصحيح هذا كلامه اقول ومما يدل على ان واقعة الجرو كانت بالمدينة
ما في بعض التفاسير ان هذا الجرو كان للحسن والحسين رضي الله عنهما وما رواه مسلم
عن عايشة قالت واعد رسول الله صلى الله عليه وسلم جبريل عليه السلام في ساعة
ان ياتيه فجاءت تلك الساعة ولم ياته فيها قالت وكان بيده صلى الله عليه وسلم عصى
فطرحها من يده وهو يقول ما يخلف الله وعده ولا رسله ثم التفت فاذا كلب تحت السرير
فقال من دخل هذا الكلب فقلت والله ما دريت به فامر به فاخرج فجاء جبريل عليه السلام
فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم وعدتني فجلست لك ولم تات فقال منعني الكلب الذي
في بيتك انا لا ندخل بيتًا فيه كلب ولا صورة وفي زيادة الجامع الصغير اتاني جبريل عليه
السلام فقال لي اني كنت اتيتك البارحة فلم يمنعني ان اكون دخلت عليك البيت الذي كنت
فيه الا كان على الباب تماثيل وكان في البيت قرام ستر فيه تماثيل وكان في البيت كلب فامر رسول الله
صلى الله عليه وسلم براس التماثيل الذي في البيت فليقطع فيصير كهيئة الشجرة وامر بالستر
فليقطع فيجعل منه وسادتين منبوذتين توطان وامر بالكلب فاخرج ومعلوم ان مجي جبريل
عليه السلام اكرام له وتشريف له صلى الله عليه وسلم فلا ينافي ما تقدم فليتامل ولما نزلت
السورة المذكورة كبر صلى الله عليه وسلم فرحًا بنزول الوحي واستمر صلى الله عليه وسلم لا
يجاهر قومه بالدعوة حتى نزل واما بنعمة ربك فحدث فعند ذلك كبر صلى الله عليه وسلم
ايضا وكان ذلك سببًا للتكبير في افتتاح السورة التي بعدها وفي ختمها الى اخر القران
وعن ابي بن كعب انه قرا كذلك على النبي صلى الله عليه وسلم بعد امره صلى الله عليه وسلم
بذلك وانه كان كلما ختم سورة وقف وقفة ثم قال الله اكبر هذا وقيل ان ابتدا التكبير

انما

انما هو لاخر السورة وابتداوه من اخر سورة الضحى الى اخر قل اعوذ برب الناس والاتيان
بالتكبير في الاول والاخر جمع بين الروايتين الرواية التي جاءت بانه يكبر في اول السورة
المذكورة والرواية الاخرى بانه يكبر في اخرها ومما يدل على التكبير في اول سورة الضحى
ما جا عن عكرمة بن سليمان قال قرات على اسمعيل بن عبد ربه فلما بلغنا الضحى قال
لي كبر فاني قرات على عبد الله بن كثير وانه قرا على مجاهد فامره بذلك واخبره انه قرا على
ابي فامره بذلك واخبره ابي ان النبي صلى الله عليه وسلم امره بذلك قال بعضهم حديث
غريب ونقل عن امامنا الشافعي رضي الله تعالى عنه قال لاخر اذا تركت التكبير من الضحى
الى الحمد في الصلاة وفي غيرها وخارجها فقد تركت سنة من سنن نبيك صلى الله عليه وسلم
وفي كلام الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى ولم يرد ذلك اي التكبير عند نزول سورة الضحى
باسناد يحكم عليه بصحة ولا ضعف وقد ذكر سيدي الشيخ ابو المواهب الشاذلي عن شيخه
ابي عثمان انه قال انما نزلت سورة الم نشرح عقب قوله واما بنعمة ربك فحدث اشارة
الى ان من حدث بنعمة الله تعالى فقد شرح الله تعالى صدره قال وكانه تعالى يقول اذا
حدثت بنعمتي ونشرتها بين عبادي فقد شرحت لك صدرك وعن ابن اسحاق رحمه الله تعالى
ذكر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لجبريل عليه السلام لقد احتبست عني يا جبريل
حتى سوت ظنا وفي رواية ما منعك ان تزورنا اكثر مما تزورنا فقال له جبريل عليه السلام
وما نتنزل الا بامر ربك له ما بين ايدينا وما خلفنا وما بين ذلك وما كان ربك نسيًا
اي لا ننتقل من مكان الى مكان ولا ننزل في زمان دون زمان الا بامره ومشيته على مقتضى
حكمته وما كان ربك تاركا لك كما زعم الكفار بل كان ذلك لحكمة راها سبحانه وتعالى
واما حديث الزبيدي فقد حكى بعضهم قال بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم
جالس في المسجد ومن معه من الصحابة رضي الله عنهم اذ جا رجل زبيدي يطوف على حلق
قريش حلقة بعد حلقة اخرى وهو يقول يا معشر قريش كيف تدخل عليكم المارة او يجلب
اليكم جلب او يحل بضم الحاء او ينزل بساحتكم تاجر وانتم تظلمون من دخل عليكم في حرمكم
حتى انتهى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم في اصحابه فقال له رسول الله صلى الله عليه
وسلم ومن ظلمك فذكر له انه قدم بثلاثة جمال من خيرة ابله اي احسنها فسامه بها ابو جهل
ثلث اثمانها ثم لم يسمه بها لاجله سايم قال فاكسد علي سلعتي فظلمني فقال له رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم واين جمالك قال هذه
هي بالحزورة فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم وقام اصحابه رضي الله عنهم فنظر
الى الجمال فراى جمالا حسانا فساوم صلى الله عليه وسلم ذلك الرجل حتى الحقه برضاه
واخذها رسول الله صلى الله عليه وسلم فباع جملين منها بالثمن وافضل بعيرا باعه
واعطى ارامل بني عبد المطلب ثمنه كل ذلك وابو جهل لعنه الله جالس في ناحية من السوق
ولا يتكلم ثم اقبل اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا ابو جهل لعنه اياك ان تعود لمثل

ماصنعت بهذا الرجل فنرى منك ما نكره فجعل يقول يا محمد فجعل لا يقول لا اعود يا محمد
لا اعود يا محمد وانصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن معه من القوم فقالوا له
ولك في يد محمد صلى الله عليه وسلم فاما ان تكون تريد ان تتبعه واما رعب دخلك
منه فقال لهم لا اتبعه ابدا انما الذي رايتم مني لما رأيته رايت معه رجالا عن يمينه
ورجالا عن شماله معهم رماح يشرعونها الي لو خالفته لكانت اياها اي لاتوا على نفسي
ونظير ذلك ان ابا جهل لعنه الله كان وصيا على يتيم فاكل ماله وطرده فاستغاث
اليتيم بالنبي صلى الله عليه وسلم على ابي جهل فمشى صلى الله عليه وسلم معه اليه
ورد عليه ماله فقيل له في ذلك فقال خفت من حربة عن يمينه وحربة عن شماله
لو امتنعت اذا اعطيه لطعنتني **واما حديث المستهزئين** فمما استهزئ به على رسول
الله صلى الله عليه وسلم ما حدث به بعضهم ان ابا جهل بن هشام ابتاع من شخص نياقا
له الاراشي بكسر الهمزة نسبة الى اراشة بطن من خثعم جمالا فمطله باثمانها فدلته قريش
على النبي صلى الله عليه وسلم ليصفه من ابي جهل لعنه الله استهزاءا برسول الله صلى
الله عليه وسلم لعلمهم بانه صلى الله عليه وسلم لا قدرة له على ابي جهل اي بعد ان وقف
على ناديهم فقال لهم يا معشر قريش من رجل يعينني على ابي الحكم بن هشام فاني غريب وابن
سبيل وقد غلبني على حقي فقالوا له اترى ذلك الرجل يعنون رسول الله صلى الله عليه
وسلم اذهب اليه فهو يقتصك عليه فجاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر له حاله
مع ابي جهل اي قال له يا ابا عبد الله ان ابا الحكم بن هشام قد غلبني على حق لي قبله وانا
رجل غريب وابن سبيل وقد سالت هؤلاء القوم على رجل ياخذ لي بحقي منه فاشاروا
اليك فخذ لي حقي منه يرحمك الله فخرج النبي صلى الله عليه وسلم مع الرجل الى ابي جهل وضرب عليه
بابه فقال من هذا قال محمد فخرج اليه وقد انتقع اي تغير وصار كلون النقع الذي هو
التراب وهو الصفرة مع كدرة كما تقدم فقال له صلى الله عليه وسلم اعط هذا حقه قال نعم
لا تبرح حتى اعطيه الذي له فدفعه اليه قال ثم ان الرجل اقبل حتى وقف على ذلك المجلس فقال
جزاه الله خيرا يعني النبي صلى الله عليه وسلم اخذ لي بحقي وقد كانوا ارسلوا رجلا ممن كان
معهم خلف النبي صلى الله عليه وسلم وقالوا له انظر ماذا يصنع فقالوا له اذكر الرجل ماذا
رأيت قال رايت عجبا من العجب والله ما هو الا ان ضرب عليه بابه فخرج اليه وما معه روحه
فقال اعط هذا حقه قال نعم لا تبرح حتى اخرج اليه حقه فدخل فخرج اليه بحقه فاعطاه
اليه فعند ذلك قالوا لابي جهل ما راينا مثل ما صنعت قال ويحكم ما هو الا ان ضرب على
بابي وسمعت صوته فملئت رعبا ثم خرجت اليه وان فوق راسي فحلا من الابل ما رايت مثله
قط لو ابيت او تاخرت لاكلني والى هذا اشار صاحب الهمزية بقوله ٭

٭ واقتضاه النبي دين الاراشي ٭ وقد ساءه به والشراء ٭
٭ ورأى المصطفى اتاه بما لم ٭ ينج منه دون الوفا النجاء ٭

٭ هو ما قد رآه من قبل لكن ٭ ما على مثله يعد الخطاء ٭

اي وطلب النبي صلى الله عليه وسلم من ابي جهل ان يؤدي دين الاراشي وقد ساءه
وشراءه مع ذلك الرجل اذ رأى المصطفى اتاه بفحل من الابل لم ينج منه دون الوفاء لذلك
الدين كثير النجا وذلك الذي اتاه به هو الفحل الذي قد رآه من قبل لما اراد عدو الله ان
يلقي عليه صلى الله عليه وسلم الحجر وهو ساجد كما تقدم لكن ما على مثله فضلا عنه
يعد الخطا لان خطاه لا ينحصر **اي ومن استهزائه** ابي جهل بالنبي صلى الله عليه وسلم
انه في بعض الاوقات سار خلف النبي صلى الله عليه وسلم يخلج بانفه وفمه يسخر به فاطلع
عليه صلى الله عليه وسلم فقال له كن كذلك فكان كذلك الى ان مات لعنه الله **قال
ابن عبد البر** رحمه الله كان من المستهزئين الذين قال الله فيهم انا كفيناك المستهزئين ابو جهل
وابو لهب وعقبة بن ابي معيط والحكم بن ابي العاص بن امية والد مروان بن الحكم عم عثمان رضي
الله عنه والعاص بن وائل فمن استهزاء ابي جهل لعنه الله ما تقدم **ومن استهزاء** ابي لهب
به صلى الله عليه وسلم انه كان يطرح القذر على باب رسول الله صلى الله عليه وسلم كما تقدم
وفي يوم من الايام رآه اخوه حمزة رضي الله عنه فعل ذلك فاخذه وطرحه على راسه فجعل
ابو لهب ينفض راسه ويقول صابي احمق **ومن استهزاء** عقبة بن ابي معيط به صلى الله
عليه وسلم انه كان يلقي القذر ايضا على بابه صلى الله عليه وسلم كما تقدم وقد قال
صلى الله عليه وسلم كنت بين شر جارين ابي لهب وعقبة بن ابي معيط ان كانا ليأتيان
بالفروث فيطرحاه على بابي ومن استهزائه به صلى الله عليه وسلم انه بصق في وجه النبي
صلى الله عليه وسلم فعاد بصاقه على وجهه وصار برصا اي فانه صلى الله عليه وسلم
كان يكثر مجالسة عقبة بن ابي معيط فقدم عقبة يوما من سفر فصنع طعاما ودعا الناس
من اشراف قريش ودعا النبي صلى الله عليه وسلم فلما قرب اليهم الطعام ابى رسول الله صلى
الله عليه وسلم ان ياكل فقال ما انا باكل طعامك حتى تشهد ان لا اله الا الله فقال عقبة
اشهد ان لا اله الا الله واشهد انك رسول الله فاكل صلى الله عليه وسلم من طعامه وانصرف
الناس وكان عقبة صديقا لابي بن خلف لعنه الله فاخبر الناس بمقالة عقبة فاتى اليه
وقال يا عقبة صبوت قال والله ما صبوت ولكن دخل منزلي رجل شريف فابى ان ياكل طعامي
الا ان اشهد له فاستحييت ان يخرج من بيتي ولم يطعم فشهدت له فطعم والشهادة ليست
في نفسي فقال له ابي بن خلف وجهي من وجهك حرام ان لقيت محمدا فلم تطأه وتبزق
في وجهه وتلطم عينه فقال عقبة لك ذلك ثم ان عقبة لقي النبي صلى الله عليه وسلم
ففعل به ذلك قال الضحاك لما بزق عقبة لم تصل البزقة الى وجه رسول الله صلى الله عليه
وسلم بل رجعت الى وجهه كشهاب نار فاحترق مكانها وكان اثر الحرق في وجهه لعنه الله
الى الموت ولا يكون المراد بقوله فيما تقدم فعاد بصاقه برصا اي صار كالبرص وانزل
الله تعالى في حقه ويوم يعض الظالم على يديه اي في النار ياكل احد يديه الى المرفق
ثم ياكل الاخرى فتنبت الاولى فياكلها وهكذا **ومن استهزا** الحكم بن ابي العاص انه

صلى الله عليه وسلم كان يمشي ذات يوم وهو خلفه يخلج بانفه وفمه يسخر بالنبي صلى
الله عليه وسلم فالتفت النبي صلى الله عليه وسلم فقال له كن كذلك فكان كذلك اي
كما تقدم نظير ذلك لابي جهل لعنه الله واستمر ذلك الحكم بن ابي العاص يخلج بانفه وفمه
بعد ان مكث شهرا مغشيا عليه حتى مات اسلم في يوم فتح مكة وكان في اسلامه شيء اطلع على
رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عند بعض نسائه بالمدينة فخرج اليه صلى الله عليه
وسلم بالعنزة وقيل بمدرى في يده والمدرى كالمسلة يفرق به بين شعر الراس وقال من
عذيري من هذا الوزغة لو ادركته لفقأت عينه ولعنه وما ولد وغربه صلى الله عليه وسلم
عن المدينة الى وج الطايف فلم يزل بها حتى ولي ابن اخيه عثمان رضي الله عنه الخلافة
فدخل المدينة بعد ان سأل عثمان ابابكر رضي الله عنه في ذلك فقال لا احل عقدة عقدها
رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم سأل عمر رضي الله عنه لما ولي الخلافة فقال له مثل ذلك
ولما ادخله عثمان رضي الله عنه نقم عليه الصحابة رضي الله عنهم بسبب ذلك فقال انا
كنت شفعت فيه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فوعدني برده اي اردده ولا ينافي
ذلك سؤال عثمان لابي بكر وعمر رضي الله عنهم في ذلك كما لا يخفى لانه يحتمل ان يرده عثمان
بنفسه او بسؤاله وسيأتي بسط ذلك في جملة امور انتقمها عليه الصحابة رضي الله عنهم
في الكلام على بناء مسجده الشريف وعن هند بنت خديجة ام المؤمنين رضي الله تعالى عنها
ان النبي صلى الله عليه وسلم مر بالحكم فجعل يغمز بالنبي صلى الله عليه وسلم فرآه فقال
صلى الله عليه وسلم اللهم اجعل به وزغا فرجف وارتعش مكانه والوزغ الارتعاش وفي
رواية فما قام حتى ارتعش وعن الواقدي رحمه الله تعالى استأذن الحكم بن ابي العاص
على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ايذنوا له لعنة الله ومن يخرج من صلبه الا
المؤمنين منهم وقليل ما هم ذو مكر وخديعة يعطون الدنيا وما لهم في الآخرة من خلاق
وكان لا يولد لاحد ولد بالمدينة الا اتي به النبي صلى الله عليه وسلم فاتي اليه بمروان لما
ولد فقال هو الوزغ ابن الوزغ الملعون بن الملعون وعلى هذا فهو صحابي ان ثبت ان النبي
صلى الله عليه وسلم رآه لانه يحتمل انه اتي به الى النبي صلى الله عليه وسلم فلم ياذن في
ادخاله ثم اذن له في وربما يدل لذلك قوله هو الوزغ بن الوزغ الخ وفي كلام بعضهم ان عليهم
مروان ولد بمكة وفي كلام بعض اقرانه ولد بالطايف بعد نفي ابوه الى الطايف اي ولم
يجتمع بالنبي صلى الله عليه وسلم فهو ليس بصحابي ومن ثم قال البخاري رحمه الله تعالى
مروان بن الحكم لم ير النبي صلى الله عليه وسلم وعن عايشة رضي الله عنها انها قالت
لمروان نزل في ابيك ولا تطع كل حلاف مهين هماز مشاء بنميم وقالت له سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول لابيك وجدك اي الذي هو العاص بن امية انهم الشجرة الملعونة
في القرآن ولي مروان الخلافة تسعة اشهر وعن عايشة رضي الله عنها انها قالت لمروان
بن الحكم حيث قال لاخيها عبد الرحمن بن ابي بكر رضي الله عنه لما بايع معاوية رضي الله
عنه لولده يزيد قال مروان سنة ابي بكر وعمر رضي الله عنهما فقال عبد الرحمن بل هي

سنة

سنة هرقل وقيصر وامتنع من البيعة ليزيد بن معاوية فقال له مروان انت الذي انزل فيك
القرآن والذي قال لوالديه اف لكما فبلغ ذلك عايشة رضي الله تعالى عنها فقالت كذب والله
ما هو به ثم قالت له اما انت يا مروان فاشهد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لعن اباك
وانت في صلبه وعن جبير بن مطعم رضي الله تعالى عنه قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
فمر الحكم بن ابي العاص فقال النبي صلى الله عليه وسلم ويل لامتي مما في صلب هذا قال بعضهم
وكون النبي صلى الله عليه وسلم مع ما هو عليه من الحلم والاغضاء على ما يكره فعل بالحكم
ذلك يدل ذلك على امر عظيم ظهر له في الحكم واولاده وعن حمران بن جابر الحنفي رضي الله عنه
قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ويل لبني امية ثلاث مرات اي وقد ولي
الخلافة منهم اربعة عشر رجلا اولهم معاوية بن ابي سفيان رضي الله عنهما واخرهم مروان
بن محمد وكانت مدة ولايتهم سنتين وثمانين سنة وهي الف شهر قال بعضهم لا تزيد ذلك
يوما ولا تنقص يوما ولله قال ابن كثير وهذا غريب جدا وفيه نظر لان معاوية رضي
الله تعالى عنه حين تسلم الخلافة من الحسن رضي الله تعالى عنه كان ذلك سنة اربعين
او احد واربعين واستمر الامر في بني امية الى ان انتقل الى بني العباس سنة اثنين وثلاثين
ومائة ومجموع ذلك سنتان وتسعون سنة والف شهر ثلاثة وثمانين سنة واربعة
اشهر هذا كلامه ومن استهزاء العاص بن وايل انه كان يقول غر محمد نفسه واصحابه ان
وعدهم ان يحيوا بعد الموت والله ما يهلكنا الا الدهر ومرور الايام والاحداث اي ومن استهزائه
ايضا ان خباب بن الارت رضي الله تعالى عنه كان قينا بمكة اي حدادا يعمل السيوف
وقد كان باع للعاص سيوفا فتقاضى ثمنها فقال له يا خباب اليس يزعم محمد هذا الذي انت على
دينه ان في الجنة ما ابتغى اهلها من ذهب وفضة وثياب وخدم وولد قال خباب بلى قال
فانظرني الى يوم القيامة يا خباب فارجع الى تلك الدار فاقضيك هناك حقك والله لا تكون
انت وصاحبك ابر عند الله مني ولا اعظم حظا في ذلك وفي لفظ ان العاص قال له لا اعطيك
حتى تكفر بمحمد يميتك الله ثم يبعثك قال فذرني حتى اموت ثم ابعث فاوتى مالا وولدا فاقضيك
فانزل الله تعالى افرأيت الذي كفر وقال لاوتين مالا وولدا اطلع الغيب ام اتخذ عند الرحمن
عهدا كلا سنكتب ما يقول ونمد له من العذاب مدا ونرثه ما يقول ويأتينا فردا وفي كلام
ابن حجر الهيتمي رحمه الله تعالى وفي البخاري من عدة طرق ان خبابا رضي الله تعالى عنه طلب من
العاص بن وايل السهمي دينا له عليه فقال لا اعطيك حتى تكفر بمحمد قال لا اكفر بمحمد حتى يميتك
الله ثم يبعثك وفيه ان هذا تعليق الكفر بممكن اي وتعليق الكفر ولو بمحال عادي وكذا شرعي
او عقلي على احتمال كفر لانه ينافي عقد التصميم الذي هو شرط في الاسلام او عقلي على احتمال
كفر لانه ينافي عقد التصميم الذي هو شرط في الاسلام واجيب بانه لم يقصد التعليق قطعا
وانما اراد رضي الله عنه تكذيب ذلك اللعين في انكار البعث ولا ينافي قوله حتى لانها تأتي
الا المنقطعة فتكون بمعنى لكن التي صرحوا بان ما بعدها كلام مستانف وعليه جرى ابن

قال لا اكفر بمحمد حتى صح

هشام الخضراوي حديث كل مولود يولد على الفطرة حتى يكون ابواه يهودانه وينصرانه
اي لكن ابواه **وعد بعضهم** من المستهزئين الحارث بن غيطلة ويقال له ابن غيطل ينسب
الى امه وكان من استهزائه ما تقدم عن العاص بن وايل وابي جهل من الاختلاج خلف
رسول الله صلى الله عليه وسلم **وعد منهم** الاسود بن عبد يغوث وهو ابن خال النبي صلى
الله عليه وسلم كان اذا راي المسلمين قال لاصحابه استهزاء بالصحابة قد جاءكم ملوك الارض
الذين يرثون كسرى وقيصر اي لان الصحابة رضي الله تعالى عنهم كانوا متقشفين ثيابهم
رثة وعيشهم خشن ويقول للنبي صلى الله عليه وسلم أما كلمت اليوم من السما يا محمد وما
اشبه هذا القول **وعد منهم** الاسود بن المطلب ومن استهزائه انه كان هو واصحابه
يتغامزون بالنبي صلى الله عليه وسلم وباصحابه ويصفرون اذا راوهم **وعد منهم** النضر
بن الحارث فهلك غالبهم قبل الهجرة بضروب من البلا **اقول** والذي ينبغي ان يكون المراد
بالمستهزئين في الاية وهي انا كفيناك المستهزئين الوليد بن المغيرة والد خالد رضي الله تعالى
عنه وعم ابو جهل لعنه الله فانه كان من عظماء قريش وكان في سعة من العيش ومكنة من
السيادة وكان يطعم الناس ايام حجهم وينهى ان يوقد نار لاجل طعام غير ناره وينفق على
الحاج نفقة واسعة وكانت الاعراب تثني عليه وكانت له البساتين من مكة الى الطايف وكان
من جملتها بستان لا ينقطع نفعه شتا ولا صيفا وببركته صلى الله عليه وسلم اصابته الجوايح
والافات في امواله حتى ذهبت باسرها ولم يبق له في ايام الحج ذكر وكان المقدم في قريش فصاحة
وكان يقال له ريحانة قريش ويقال له الوحيد اي في الشرف والسودد والجاه والرياسة **وقال**
بعضهم بل هو وحيد في الكفر والخبث والعناد والعاص بن وايل والد عمرو بن العاص رضي الله
تعالى عنه والاسود بن المطلب والاسود بن عبد يغوث والحارث بن غيطلة وفي السقط ابن
الطلاطلة والطلاطلة في اللغة الداهية قال بعضهم وهو اشتباه لان ابن الطلاطلة هو مالك لا
حارث والحارث بن غيطلة كان احد اشراف قريش في الجاهلية واليه كانت الحكومة والاموال التي
تجعل للالهة وذكره ابن عبد البر في الصحابة **وقال** في اسد الغابة لم ار احدا ذكره في الصحابة
الا ابا عمر يعني ابن عبد البر والصحيح انه كان من المستهزئين وهولا الخمسة هم الذين اقتصر
عليهم القاضي البيضاوي لما روى ان جبريل عليه السلام اتى النبي صلى الله عليه وسلم وهو في
المسجد اي يطوف وقال له امرت ان اكفيكهم فلما مر الوليد بن المغيرة قال جبريل عليه السلام
يا محمد كيف تجد هذا قال بئس عبد الله فاومى الى ساق الوليد ومر العاص بن وايل فقال
كيف تجد هذا يا محمد قال عبد سوء فاشار الى اخمصه وقال كفيته ثم مر الاسود بن المطلب
فقال كيف تجد هذا يا محمد قال عبد سوء فاومى الى عينيه وقال كفيته ثم مر الاسود بن عبد
يغوث فقال له كيف تجد هذا يا محمد فقال عبد سوء فاومى الى راسه وقال كفيته ثم مر الحارث
بن غيطلة فقال له كيف تجد هذا يا محمد قال عبد سوء فاومى الى بطنه وقال كفيته ومح يكون
مضي لغاية هذا له صلى الله عليه وسلم انه لم يسمع ولم يتكلف في تحصيل ذلك والى هذا اشار

وقال كفيته صح

الامام السبكي

الامام السبكي رحمه الله تعالى في تائيته بقوله ،،
،، وجبريل لما استهزأت فرقة الردى ،، اشار الى كل باقبح ميتة ،،
والله اعلم **قال** وروي الزهري عن ان الاسود بن عبد يغوث خرج من عند اهله
فاصابته السموم فاسود وجهه فاتى اهله فلم يعرفوه واقفلوا دونه الباب وسلط عليه
العطش فلا زال يشرب الما حتى انشق بطنه وهذا يناسب ما سياتي عن شرح الهمزية ولا يناسب
ان جبريل عليه السلام اخذ بعنق الاسود بن عبد يغوث فحنى ظهره حتى احقوقف فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم خالي خالي اي لانه كما تقدم ابن خاله فهو على حذف المضاف
او لاجل مراعاة ابيه اي يراعى لاجل لاجل ابيه الذي هو خالي فقال جبريل عليه السلام
يا محمد دعه وفي رواية قال له جبريل عليه الصلاة والسلام خل عنك ثم حناه حتى قتله وهذا
لا يناسب كون جبريل اشار الى راسه والمناسب لذلك ما ذكره بعضهم انه امتخض راسه قيحا
ثم لم يزل يضرب راسه في اصل شجرة حتى مات واما الحارث بن غيطلة اي وفي كلام القاضي
البيضاوي ان جبريل اشار الى انفه فامتخض قيحا وفي كلام الجلال السيوطي عن عدي بن
قيس فقد اكل حوتا مملحا فلم يزل على شرب عليه الما حتى انفد بطنه وهذا هو المناسب هنا
لما ذكر ان جبريل اشار الى بطنه لكن لا يناسب ما قاله القاضي البيضاوي انه اشار الى انفه
فامتخض قيحا واما الاسود بن المطلب فقد عمي بصره فقد ذكر انه خرج ليستقبل ولده وقد
قدم من الشام فلما كان ببعض الطريق جلس في ظل شجرة فجعل جبريل عليه السلام يضرب وجهه
وعينيه بورقة من ورقها حتى عمي فجعل يستغيث بغلامه فقال له غلامه لا احد يصنع بك شيئا
وقيل ضربه بغصن فيه شوك فسالت حدقتاه وصار يقول هاهو ذا طعن بالشوك في عيني فيقال
له ما نرى شيئا وقيل اتى الى شجرة فجعل ينطح راسه بها حتى خرجت عيناه اي وفعل ذلك لا ينافي ما ورد
فاشار اي جبريل عليه السلام الى وجهه فعمي بصره في الحال لجواز ان يراد بالحال الزمن القريب
وفي رواية انه كان يقول دعا علي محمد بالعمى فاستجيب له ودعوت عليه بان يكون طريدا فاستجيب
لي وسياتي عن بعضهم وفقد اولاده فعجل له العمى وفقد اولاده بعد واما الوليد بن المغيرة
فمر بشخص يعمل النبل فتعلق بثوبه سهم فلم يلتفت لتنحيته تعاظما فقصد فاصاب السهم عرقا
في ساقه فقطعه فمات واما العاص بن وايل فدخلت شوكة فانتفخت رجله حتى صارت كالرحى و
والى الخمسة الذي ذكرناهم المرادون بقوله تبارك وتعالى انا كفيناك المستهزئين اشار صاحب الهمزية
رحمه الله تعالى بقوله ،، فكفاه المستهزئين وكم سا ،، نبيا من قومه استهزاء ،،
،، ورماهم بدعوة من فناء ،، البيت فيها للظالمين فناء ،،
،، خمسة كلهم اصيبوا بداء ،، والردى من جنوده الادواء ،،
،، فدهى الاسود بن مطلب اي ،، عمى ميت به الاحياء ،،
،، ودهى الاسود بن عبد يغوث ،، ان سقاه كاس الردى استسقاء ،،
،، واصاب الوليد خدشة سهم ،، قصرت عنها الحية الرقطاء ،,

وقضت شوكة على مهجة العاصي ۞ فلله النقعة الشوكاء ۞
وعلا الحارث القيوح وقد سال ۞ بها راسه وشا الوعاء ۞
خمسة طهرت بقطعهم الارض ۞ فكف الاذى بهم شلاء ۞

اي وكفا الله المستهزئين به ومرات كثيرة احزن نبينا صلى الله عليه وسلم لغيره من الانسا
استهزا قومهم به وهولا المستهزؤن به صلى الله عليه وسلم خمسة كلهم اصيبوا بداء عظيم
والهلاك من جملة ضرره الامراض فاهلك الاسود بن مطلب بعظيم الاحيابه اموات سببه
وهو المناسب لكون جبريل عليه السلام اشار الى عينيه ودفع الاسود بن عبد يغوث
استسقاه كاس الطوفات وهذا لا يناسب كون جبريل عليه السلام اشار الى راسه واصاب
الوليد اثر سهم في ساقه فضربت عنه الحية الرقطا اي سمها وقضت شوكة على مهجة العاص
دخلت في رجله فلله النقعة الشوكا اي الخشنة اللمس وعلت على الحارث القيوح والحال
انه قد سال راسه وفسد ذلك الوعا لتلك القيوح وهذا هو المناسب لكون جبريل اشار الى
انفه لا القول بعضهم انه اشار الى بطنه خمسة طهرت بهلكهم الارض فكف الاذى بهم شلا
ناقدة الحركة فقد جا عن ابن عباس رضي الله تعالى عنه ان هولا الخمسة هلكوا في ليلة
واحدة فعلم ان هولاهم المرادون بقوله تعالى انا كفيناك المستهزئين كما ذكرنا وان كان
المستهزؤن غير منحصرين فيهم فلا ينافي عد منبه ونبيه ابني الحجاج منهم فقد قيل انهما
كانا يوذيان رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانا يلتقيانه فيقولان له اما وجد الله من
يبعثه غيرك ان هاهنا من هو اسن وايسر فان كنت صادقا فاتنا بملك يشهد لك ويكون
معك واذا ذكر لهما رسول الله صلى الله عليه وسلم قالا معلم مجنون يعلمه اهل الكتاب
ما ترى به ولا ينافي عد ابي جهل منهم وغيره كما تقدم وفي سيرة ابن المحدث قال عليه الصلاة
والسلام من قرا سورة الهمزة اعطاه الله تعالى حسنات بعدد من استهزا بالنبي صلى الله عليه
واصحابه ومن استهزا ابي جهل لعنه الله انه قال يوما لقريش يا معشر قريش يزعم محمد ان
ان جنود الله الذين يعذبونكم في النار ويحبسونكم فيها تسعة عشر وانتم اكثر الناس عددا
فيعجز كل مائة رجل منكم على واحد منهم اي وفي رواية ان بعض قريش وكان شديدا
قوي الباس بلغ من شدته انه كان يقف على جلد ويجاذبه عشرة لينزعوه من تحت قدميه
فيتمزق الجلد ولا يتزحزح عنه قال له انا اكفيكم سبعة عشر واكفوني انتم اثنين ويقال انه دعا
النبي صلى الله عليه وسلم الى المصارعة وقال له يا محمد ان صرعتني امنت بك فصرعه صلى الله
عليه وسلم مرارا فلم يؤمن وفي رواية ان ابا جهل لعنه الله قال لهم اني اكفيكم عشرة
فاكفوني تسعة فانزل الله تعالى وما جعلنا اصحاب النار الا ملائكة وما جعلنا عدتهم الا
فتنة اي ضلالا للذين كفروا الاية اي بان يقولوا ما ذكر ما كانوا وماذا اراد الله بهذا
العدد اي وذلك العدد لحكمة استاثر الله بعلمها وقرا بدي بعض
المفسرين حكما يراجع وقد جا في وصف الملائكة اعينهم كالبرق الخاطف وانيابهم

رسوله صلى الله عليه وسلم

البقرة

كالصياصي اي القرون وما بين منكبي احدهم مسيرة سنة وفي رواية ما بين منكبي احدهم كما
بين المشرق والمغرب لاحدهم قوة مثل قوة الثقلين نزعت الرحمة منهم واخرج العيني في عيون
الاخبار عن طاوس ان الله تعالى خلق مالكا عليه السلام وخلق له اصابع على عدد
اهل النار فما من اهل النار معذب الا ومالك عليه السلام يعذبه باصبع من اصابعه فوالله
لو وضع مالك اصبعا من اصابعه على السما لاذابها وهولا التسعة عشر الرؤسا ولكل واحد
اتباع لا يعلم عدتهم الا الله تعالى قال الله تعالى وما يعلم جنود ربك الا هو اي وهولا
الاتباع منهم واخرج هنا عن كعب رضي الله عنه قال يؤمر بالرجل الى النار فيبتدره مائة
الف ملك اي والمبادر ان هولا من خزنتها وفي كلام بعضهم لم يثبت لملائكة النار عدد
معين سوى ما في قوله تعالى عليها تسعة عشر وانما ذلك سقر التي هي احد دركات
النار لقوله تعالى قبل ذلك ساصليه سقر وقد يكون على كل واحدة منها مثل هذا العدد
واكثر قيل وبسم الله الرحمن الرحيم عدد حروفها تسعة عشر على عدد الزبانية التسعة
عشر فمن قراها وهو مؤمن دفع الله تعالى عنه بكل حرف منها واحدا منهم اقول
ومن استهزا ابي جهل ايضا به صلى الله عليه وسلم انه قال يوما لقريش وهو يستهزئ
برسول الله صلى الله عليه وسلم وبما جاء به من الحق يا معشر قريش يخوفنا محمد بشجرة الزقوم
يزعم انها شجرة في النار يقال لها شجرة الزقوم وتاكل الشجر انما الزقوم التمر والزبد
في لفظ العجوة تشرب بالزبد هاتوا تمرا وزبدا وتزقموا فانزل الله تبارك وتعالى انها شجرة
تخرج في اصل الجحيم اي منبتها في اصل جهنم ولا تسلط لجهنم عليها اما علموا ان من قدر
على خلق خلق يعيش في النار ويلتذ بها اقدر على خلق الشجر في النار وحفظه من الاحراق
بها وقد قال ابن سلام رضي الله تعالى عنه انها تحيى باللهب كما يحيى شجر الدنيا بالمطر
وثمر تلك الشجرة مر له زفرة واخرج الترمذي وصححه النسائي والبيهقي وابن حبان والحاكم
عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لو ان قطرة من
الزقوم قطرت في بحار الدنيا لافسدت على اهل الدنيا اي الارض معايشهم فكيف بمن يكون
طعامهم اي وقال يا محمد لتتركن سب الهتنا او لنسبن الهك الذي تعبده فانزل الله تبارك
وتعالى ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدوا بغير علم فكف صلى الله عليه
وسلم عن سب الهتهم وجعل يدعوهم الى الله عز وجل ثم رايت في الدر المنثور في تفسير
قوله تعالى انا كفيناك المستهزئين قيل نزلت في جماعة مر بهم النبي صلى الله عليه وسلم بهم
فجعلوا يغمزون في قفاه ويقولون هذا الذي يزعم انه نبي وكان معه عليه الصلاة
والسلام جبريل فغمز جبريل عليه السلام عليهم باصبعه في اجسادهم فصارت قروحا
وانتنت فلم يستطع احد منهم ان يدنوا منهم حتى ماتوا فلينظر الجمع على تقدير الصحة وقد
يدعي انهم طائفة اخرون غير من ذكر لانهم المستهزؤن ذلك الوقت فقد تكرر نزول
الاية والله تعالى اعلم قال ومن استهزا النضر بن الحارث انه كان اذا جلس

هؤلاء

قوم

رسول الله صلى الله عليه وسلم مجلساً يحدث فيه قومه ويحذرهم ما اصاب من قبلهم من الامم
نقمة الله تعالى خلفه في مجلسه ويقول لقريش هلموا فاني والله يا معشر قريش احسن حديثا
منه يعني النبي صلى الله عليه وسلم ثم يحدثهم عن ملوك فارس لانه كان يعلم احاديثهم ويقول
ما حديث محمد الا اساطير الاولين ويقال انه الذي قال سانزل مثل ما انزل الله انتهى اي
لانه ذهب الى الحيرة واشترى منها احاديث الاعاجم ثم قدم بها الى مكة فكان يحدث بها ويقول
هذه كاحاديث محمد عن عاد وثمود وغيرهم ويقال ان ذلك كان سببا لنزول قوله تعالى ومن
الناس من يشتري لهو الحديث ليضل عن سبيل الله قال في الينبوع والمشهور انها نزلت
في شرا المغنيات قال ولا يبعد ان تكون الاية نزلت فيهما معا لتحقق العطف في قوله تعالى واذا
تتلى عليه اياتنا ولى مستكبرا اي فان هذا الوصف الثاني انما يناسب النضر لعنه الله فليتامل
ولما تلى صلى الله عليه وسلم عليهم نبا الاولين قال النضر بن الحارث لو نشا لقلنا مثل هذا
ان هذا الا اساطير الاولين فانزل الله تعالى تكذيبا له قل لئن اجتمعت الانس والجن على ان
ياتوا بمثل هذا القران لا ياتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا اي معينا له وجا
جماعة من بني مخزوم منهم ابو جهل والوليد بن المغيرة تواطؤا على قتله صلى الله عليه
وسلم فبينما النبي صلى الله عليه وسلم قايم يصلي سمعوا قراته فارسلوا الوليد ليقتله
فانطلق حتى اتى المكان الذي يصلي فيه فجعل يسمع قراته صلى الله عليه وسلم ولا يراه فانصرف
اليهم واعلمهم بذلك فاتوا فلما سمعوا قراته صلى الله عليه وسلم قصدوا الصوت فاذا
الصوت من خلفهم فذهبوا اليه فسمعوه من خلفهم ولا زالوا كذلك فانصرفوا خايبين فانزل
الله تعالى وجعلنا من بين ايديهم سدا ومن خلفهم سدا فاغشيناهم فهم لا يبصرون
وتقدم في سبب نزولها غير ذلك ويمكن ان يدعي انها نزلت لوجود الامرين فليتامل وجا
ان النضر بن الحارث راى النبي صلى الله عليه وسلم منفردا اسفل ثنية الحجون فقال لا اجده
ابدا اخلى منه الساعة فاغتاله فدنى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليقتله فراى
اسود تضرب بانيابها على راسه فاتحة افواهها فرجع على عقبه مرعوبا فلقي ابو جهل
فقال من اين فاخبره النضر الخبر فقال ابو جهل لعنه الله هذا بعض سحره ومما نعتوا به لما
نزل قوله تعالى انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم اي وقودها بالزنجية حطب اي
حطب جهنم وقد قراتها عايشة رضي الله عنها كذلك انتم لها واردون لو كان هؤلاء الهة
ما وردوها وكل فيها خالدون شق على كفار قريش وقالوا لعبد الله بن الزبعري قد زعم
محمد انا وما نعبد من الهتنا حصب جهنم فقال ابن الزبعري انا اخصم لكم محمدا ادعوه لي فدعي
له فقال يا محمد هذا شيء لالهتنا خاصة ام لكل من عبد من دون الله فقال بل لكل من
عبد من دون الله فقال ابن الزبعري اخصمت ورب هذه البنية يعني الكعبة الست
تزعم يا محمد ان عيسى عبد من دون الله وكذا عزير والملائكة عبدت النصارى عيسى
واليهود عزير وبنو امليح الملائكة فضحك الكفار وفرحوا فانزل الله تعالى ان الذين

سبقت

سبقت لهم منا الحسنى اولئك عنها مبعدون يعني عيسى وعزير والملائكة والله تعالى اعلم

باب الهجرة الاولى الى الحبشة وسبب رجوع من هاجر من المسلمين الى مكة واسلام عمر ابن الخطاب رضي الله تعالى عنه

لما راى رسول الله
صلى الله عليه وسلم ما نزل بالمسلمين من توالي الاذى عليهم من كفار قريش مع عدم
قدرته على انقاذهم مما هم فيه قال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم تفرقوا في الارض فان
الله سيجمعكم قالوا الى اين نذهب قال ههنا واشار بيده الى جهة الحبشة قال وفي رواية
اذن لهم قال لهم اخرجوا الى ارض الحبشة فان بها ملكا لا يظلم عنده احد وهي ارض صدق
حتى يجعل الله لكم فرجا مما انتم فيه انتهى اي ويجوز ان يكون قال ذلك عند استفساره
صلى الله عليه وسلم عن محل اشارته وقد جاء في الحديث من فر بدينه من ارض الى ارض وان
كان شبرا من الارض استوجب له الجنة وكان رفيق ابيه خليل الله ابراهيم ونبيه محمد صلى
الله عليه وسلم فهاجر اليها ناس ذو عدد مخافة الفتنة وفرارا الى الله تعالى بدينهم
منهم من هاجر باهله ومنهم من هاجر بنفسه فممن هاجر باهله عثمان بن عفان رضي الله
تعالى عنه هاجر ومعه زوجته رقية بنت النبي صلى الله عليه وسلم وكان اول من هاجر
وقيل اول من هاجر الى الحبشة حاطب بن عمرو وقيل سليط بن عمرو ولا ينافيها قوله
صلى الله عليه وسلم ان عثمان لاول من هاجر باهله بعد لوط اي حيث قال اني مهاجر
الى ربي فهاجر الى عمه ابراهيم الخليل ثم هاجرا عليهما الصلاة والسلام حتى اتيا حران
ثم هاجرا الى ان نزل ابراهيم عليه السلام فلسطين ونزل لوط عليه السلام المؤتفكة ووجه عدم
المنافاة ان كلا من حاطب وسليط رضي الله تعالى عنهما يجوز ان يكون هاجر بغير اهله
وكان مع رقية رضي الله تعالى عنها ام ايمن حاضنته صلى الله عليه وسلم وكانت رقية ذات
جمال بارع وكذا كان عثمان رضي الله عنهما ومن ثم كان النسا يغنينهما بقولهن

احسن شي يرى انسان ٭ رقية وزوجها عثمان ٭

ومن ثم ذكر انه صلى الله عليه وسلم بعث رجلا الى عثمان رضي الله عنه ورقية رضي
الله عنها فاحتبس عليه الرسول فلما جا اليه قال صلى الله عليه وسلم ان شيت اخبرتك
ما حبسك قال قل قال وقفت تنظر الى عثمان ورقية متعجبا من حسنهما اي ومعلوم ان
ذلك كان قبل اية الحجاب ويذكر ان نفرا من الحبشة كانوا ينظرون اليها فتاذت رضي
الله تعالى عنها من ذلك فدعت عليهم فقتلوا جميعا وقد جا في وصف حسن رضي الله
عنه قوله صلى الله عليه وسلم قال لي جبريل عليه السلام ان اردت ان تنظر من
اهل الارض شبيه يوسف فانظر الى عثمان بن عفان وسياتي ذلك مع زيادة وابو سلمة
رضي الله تعالى عنه هاجر ومعه زوجته ام سلمة رضي الله تعالى عنها اي وقيل
هو اول من هاجر باهله ويمكن ان تكون الاولية فيها اضافية فلا ينافي ما سبق عن
عثمان وعامر بن ربيعة هاجر ومعه امراته ليلى فعنها رضي الله عنها قالت كان

عمر بن الخطاب رضي الله عنه من اشد الناس علينا في اسلامنا فلما ركبت بعيري
اريد انوجه الى ارض الحبشة اذا انا بعمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال لي الى اين
يا ام عبد الله فقلت قد اذيتمونا في ديننا نذهب في ارض الله حيث لا نوذي فقال
صحبكم الله ثم ذهب فجاء زوجي عامر فاخبرته بما رايت من رقة عمر فقال ترجين ان يسلم
عمر والله لا يسلم حتى يسلم حمار الخطاب اي استبعادا لما كان يرى من قسوته وشدته
على اهل الاسلام وهذا دليل على ان اسلام عمر كان بعد الهجرة الاولى للحبشة وهو كذلك
خلاف لمن قال انه كان تمام الاربعين من المسلمين اي ممن اسلم وفيه ان المهاجرين
الي ارض الحبشة كانوا فوق ثمانين كما قال بعضهم قال اللهم الا ان يقال انه كان تمام
الاربعين بعد خروج المهاجرين الي ارض الحبشة وربما يدل لذلك قول عايشة رضي
الله تعالى عنها في قصة الصديق وفي ضرب قريش له رضي الله عنه لما قام خطيبا في
المسجد الحرام وقد تقدمت حيث قالت وكان المسلمون تسعة وثلاثين رجلا لكن في الرواية
انهم لما كانوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في الدار شهرا وهم تسعة وثلاثون رجلا وقد
كان حمزة بن عبد المطلب رضوان الله تعالى عليه اسلم يوم ضرب ابي بكر رضي الله تعالى عنه
فليتامل **وفي رواية** عن ام عبد الله زوج عامر قالت انا لنرحل الي ارض الحبشة وقد
ذهب عامر في بعض حاجته اذ اقبل عمر بن الخطاب رضي الله عنه حتى
وقف علي وكنا نلقى منه الاذية والبلا والشدة علينا فقال انه لخروج يا ام عبد الله
فقالت والله لنخرجن الي ارض الله فقد اذيتمونا وقهرتمونا حتى يجعل الله لنا فرجا
ومخرجا فقال صحبكم الله ورايت منه رقة لم اكن اراها ثم انصرف وتفرست فيه حزنا
لخروجنا وقلت لعامر يا ابا عبد الله لو رايت ما وقع من عمر وذكرت ما تقدم وممن هاجر
ابو سبرة رضي الله تعالى عنه وهو اخو ابي سلمة لامه امهما برة بنت عبد المطلب عمة
رسول الله صلى الله عليه وسلم هاجر ومعه امراته ام كلثوم وممن هاجر بنفسه عبد الرحمن
بن عوف رضي الله تعالى عنه و**عثمان بن مظعون** اي كان رضي الله تعالى عنه امير العشرة
كما قيل وجزم به ابن المحدث في سيرته وقال الزهري رحمه الله لم يكن لهم امير وسهيل بن
البيضا اي والزبير بن العوام رضي الله عنه وعبد الله بن مسعود رضي الله عنه وقيل انما
كان عبد الله بن مسعود في الهجرة الثانية فخرجوا سرا اي متسللين منهم الراكب ومنهم
الماشي حتى انتهوا الى البحر فوفق الله لهم سفينتين للتجار حملوا فيها بنصف دينار اي
وفي المواهب وخرجوا مشاة الى البحر فاستاجروا سفينة بنصف دينار وهذا كلامه فليتامل
وكان مخرجهم في رجب من السنة الخامسة من النبوة فخرجت قريش في اثارهم حتى جاوا الى
البحر فلم يجدوا احدا منهم ولعل خروجهم سرا لا ينافيه ما تقدم عن ليلى امراة عامر بن
ربيعة وسؤال عمر رضي الله عنه لها واخبارها بانها تريد ارض الحبشة فلما وصلوا الى
ارض الحبشة نزلوا بخير دار عند خير جار فمكثوا في ارض الحبشة بقية رجب وشعبان

الي رمضان **فلما كان شهر رمضان** قرا رسول الله صلى الله عليه وسلم على المشركين سورة
والنجم اذا هوى وقد انزلت عليه في ذلك الوقت ففي كلام بعضهم جلس صلى الله عليه وسلم
يوما مع المشركين وانزل الله تعالى سورة والنجم اذا هوى فقراها عليهم حتى اذا بلغ افرايتم
اللات والعزى ومناة الثالثة الاخرى وسوس اليه الشيطان بكلمتين فتكلم بهما ظانا انهما
من جملة ما اوحي اليه اي وهما تلك الغرانيق العلى اي الاصنام وان شفاعتهن لترتجى
اي وفي لفظ لهي التي ترتجى شبهت الاصنام بالغرانيق التي هي طيور الماء جمع غرنوق بكسر
الغين المعجمة واسكان الراء ثم نون مفتوحة او غرنوق بضم الغين والنون ايضا او غرنيق
بضم الغين وفتح النون وهو طاير طويل العنق وهو الكركي او شبيهه ووجه الشبه بين الالهة
وتلك الطيور ان تلك الطيور تعلوا وترتفع في السما فالاصنام مشبهة بها في علو القدر صنام
وارتفاعه ثم مضى صلى الله عليه يقرا السورة حتى بلغ السجدة سجد القوم جميعا اي المسلمون
والمشركون **اقول** قال بعضهم ولم يكن المسلمون سمعوا الذي القى الشيطان واسمع
ذلك المشركون فسجدوا لتعظيم الهتهم ومن ثم عجب المسلمون من سجود المشركين معهم من
غير ايمان قال بعضهم والنجم هي اول سورة نزلت فيها سجدة اي اول سورة نزلت جملة
كاملة فيها سجود فلا ينافي ان اقرا باسم ربك اول سورة نزلت فيها سجدة لان النازل
منها اوليها كما علمت وقد جا انه صلى الله عليه وسلم قرا يوما اقرا باسم ربك فسجد في
اخرها وسجد معه المومنون وقام المشركون على روسهم يصفقون **وقد روى** ابو هريرة
رضي الله عنه انه صلى الله عليه وسلم سجد في النجم اي سجدة المتقدمة التي سجد معه
فيها المشركون ومجموع ذلك يرد حديث ابن عباس رضي الله عنه انه صلى الله عليه وسلم
لم يسجد في شي من المفصل قبل ان يتحول صلى الله عليه وسلم الى المدينة لان سورة النجم
من المفصل لان عند ايمتنا ان اول المفصل الحجرات على الراجح من اقوال عشرة الا ان يقال
لعل ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ممن يرى ان النجم ليست من المفصل لانا نقول اقرا
باسم ربك من المفصل اتفاقا وعلى ما قاله ايمتنا يكون في المفصل ثلاث سجدات في النجم
والانشقاق واقرا باسم ربك وهي اي النجم اول سورة اعلنها رسول الله صلى الله عليه
وسلم بمكة **وذكر الحافظ الدمياطي** ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان راى في قومه كفا
عنه اي تركا وعدم تعرض له فجلس خاليا فتمنى فقال ليته لم ينزل علي شي ينفرهم عني
وفي رواية تمنى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ينزل عليه ما يقارب بينه حرصا على
اسلامهم وقارب رسول الله صلى الله عليه وسلم قومه ودنا منهم ودنوا منه فجلس
يوما مجلسا في ناد من تلك الاندية حول الكعبة فقرا عليهم والنجم اذا هوى الى اخر
ما تقدم والله تعالى اعلم ومن جملة من كان من المشركين ح الوليد بن المغيرة لكنه
رفع ترابا الي جبهته فسجد عليه لانه كان شيخا كبيرا لا يقدر على السجود وقيل الذي
فعل ذلك سعيد بن العاص ويقال كلاهما فعل ذلك وقيل الفاعل لذلك امية بن خلف

وصح وقيل عتبة بن ربيعة وقيل ابو لهب وقيل الاسود بن المطلب وقد يقال لا مانع ان
يكون فعلوا ذلك جميعا لبعضهم فعل ذلك تكبرا وبعضهم فعل ذلك عجزا وممن فعل تكبرا ابو لهب
فقد جاء وفيها سجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وسجد معه المومنون والمشركون والجن
والانس غير ابو لهب فانه دفع حفنة من تراب الى جبهته وقال يكفي هذا ولا يخالف ذلك ما
نقل عن ابن مسعود رضي الله عنه ولقد رايت الرجل اي الفاعل لذلك قتل كافرا لانه يجوز
ان يكون المراد بقتل مات فعند ذلك قال المشركون له صلى الله عليه وسلم قد عرفنا ان
الله تعالى يحيي ويميت ويخلق ويرزق ولكن الهتنا هذه تشفع لنا عنده فاذا اذ جعلت لنا
نصيبا فنحن معك فكبر ذلك على رسول الله صلى الله عليه وسلم وجلس في البيت وفيه
انه كيف يكبر ذلك على رسول الله صلى الله عليه وسلم مع انه موافقة لما تمناه من الله
لينزل عليه ما يقارب بينه وبين المشركين حرصا على اسلامهم المتقدم ذلك عن سيرة
الدمياطي الا ان يقال ان هذا كان بعد ما عرض صلى الله عليه وسلم السورة على جبريل عليه
السلام وقال له ما جئتك بهاتين الكلمتين المذكورتين وذلك في قولنا قال فلما امسى
اتاه جبريل عليه السلام فعرض عليه السورة وذكر الكلمتين فيها فقال له جبريل عليه السلام
ما جئتك بهاتين الكلمتين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قلت على الله ما لم يقل اي فكبر
ذلك عليه فاوحى الله تعالى اليه ما في سورة الاسرا وان كادوا اي قاربوا ليفتنونك عن
الذي اوحينا اليك لتفتري علينا غيره بموافقتك لهم على مدح الهتهم بما لم يرسل به اليك
واذا لو فعلت ذلك لاتخذوك خليلا الى قوله ثم لا تجد لك علينا نصيرا اي
مانع يمنع العذاب عنك وهذا يدل لما تقدم انه تكلم بذلك ظانا انه من جملة ما اوحي
اليه وقيل نزلت لما قالت اليهود حسدا له صلى الله عليه وسلم على اقامته بالمدينة لئن كنت
نبيا فالحق بالشام لانها ارض الانبيا عليهم الصلاة والسلام حتى نومن بك فوقع ذلك في
قلبه صلى الله عليه وسلم فخرج بمرحلة فنزلت فرجع اي بدليل ما بعدها وقيل ان الى بعدها
نزلت في اهل مكة وقيل ان اية وان كادوا ليفتنونك عن الذي اوحينا اليك نزلت في ثقيف
قالوا لا ندخل في امرك حتى تعطينا خصالا نفتخر بها على العرب لا نعسر ولا نحسر ولا نجبي
في صلاتنا وكل ربا لنا فهو لنا وكل ربا علينا فهو موضوع عنا وان تمتعنا باللات سنة وان تحرم
وادينا كما حرمت مكة فان قالت العرب لم فعلت ذلك فقل ان الله امرني وقيل نزلت في
قريش قالوا لا نمكنك من استلام الحجر حتى تلم بالهتنا وتمسها بيدك وقد يدعي ان هذا
مما تعددت اسباب نزوله والقاضي البيضاوي اقتصر على ما عدا الاول قال وقيل
ان هاتين الكلمتين لم يتكلم بهما رسول الله صلى الله عليه وسلم وانما ارتصد الشيطان سكتة
عند قوله الاخرى فقالهما محاكيا نغمته صلى الله عليه وسلم فظنهما النبي صلى الله عليه وسلم
كما في شرح المواقف ومن سمعه انهما من قوله صلى الله عليه وسلم اي قال قلت على الله ما لم
يقل وتباشر بذلك المشركون وقالوا ان محمدا قد رجع الى ديننا اي دين قومه حتى ذكر

ان الهتنا تشفع لنا وعند ذلك انزل الله تعالى وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبي
الا اذا تمنى قرا القى الشيطان في امنيته اي قراءته ما ليس من القران اي مما يرضاه المرسل
اليهم وسماه البخاري اذا حدث القى الشيطان في حديثه فينسخ الله ما يلقي الشيطان ثم
يحكم الله اياته اي يثبتها والله عليم بالقا الشيطان ما ذكر حكيم في تمكينه منه ذلك يفعل
ما يشا ليميز الثابت على الايمان عن المتزلزل فيه ولم اقف على بيان ان احدا من الانبيا
والمرسلين وقع له مثل ذلك وفيه كيف يجترئ الشيطان على التكلم بشي من الوحي ومن ثم
قيل هذه القصة طعن في صحتها جمع وقالوا انها باطلة وضعها الزنادقة ومن ثم اسقطها القاضي
البيضاوي ومن جملة المنكرين لها القاضي عياض رحمه الله فقد قال هذا الحديث لم يخرجه
احد من اهل الصحة ولا رواه ثقة بسند سليم متصل وانما اولع به المفسرون والمورخون
المولعون بكل غريب اي وقال البيهقي رحمه الله رواة هذه القصة كلهم مطعون فيهم وقال
الامام النووي نقلا عنه واما ما يرويه الاخباريون والمفسرون ان سبب سجود المشركين
مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ما جرى على لسانه صلى الله عليه وسلم من الثنا على الهتهم
فشي باطل لا يصح منه شي لا من جهة النقل ولا من جهة العقل لان مدح اله غير الله
كفر ولا يصح نسبة ذلك الى لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا ان يقوله الشيطان
على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا يصح تسليط الشيطان على ذلك والا يلزم عدم
الوثوق بالوحي وقال الفخر الرازي هذه القصة موضوعة باطلة لا يجوز القول بها
قال الله تعالى وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى اي والشيطان لا يجترئ ان ينطق
بشي من الوحي وقال بصحتها جمع منهم خاتمة الحفاظ الشهاب ابن حجر وقال رد عياض
لا فايدة له ولا يعول عليه هذا كلامه وفشا امر تلك السجدة في الناس حتى بلغ ارض الحبشة
ان اهل مكة اي عظماؤهم قد سجدوا واسلموا حتى الوليد بن المغيرة وسعيد بن العاص وفي
كلام بعضهم والناقل لاسلامهم انه لما راى المشركين قد سجدوا وامنا بعد لرسول الله صلى
الله عليه وسلم اعتقدوا انهم اسلموا واصطلحوا معه ولم يبق نزاع معهم فشاع الخبر بذلك
واشتهر حتى بلغ مهاجرة الحبشة وظنوا صحة ذلك فقال المهاجرون ممن بقي بمكة اذا اسلم
هولا عشايرنا احب الينا فخرجوا اي خرج جماعة منهم من ارض الحبشة راجعين الى مكة
اي وكانوا ثلاثة وثلاثون منهم عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنه وعثمان بن مظعون
والزبير بن العوام رضي الله تعالى عنهما وذلك في شوال حتى اذا كانوا دون مكة بساعة
نهار لقوا ركبا فسالوهم عن قريش فقال الركب ذكر محمد الهتهم بخير فتابعه الملا ثم عاد
لشتم الهتهم وعادوا له بالشر وتركناهم على ذلك فائتمر القوم في الرجوع الى ارض الحبشة
ثم قالوا بلغنا مكة فندخل ننظر ما فيه قريش ويحدث عهدا من اراد باهله ثم نرجع
فدخلوا مكة اي بعضهم بجوار وبعضهم مستخفيا قال في الامتاع ويقال ان رجوعهم
كان مهاجرا بالحبشة الى مكة كان بعد الخروج من الشعب هذا كلامه وفيه نظر ظاهر

ويرشد اليه التنري لانهم مكثوا في الشعب ثلاث سنين او سنتين ومكث هو لا عند النجاشي
كان دون ثلاثة اشهر كما علمت وايضا الهجرة الثانية للحبشة انما كانت بعد دخول الشعب
كما سياتي قال في الاصل ولم يدخل منهم احد الا بجوار الا ابن مسعود رضي الله تعالى عنه
فانه مكث يسيرا ثم رجع الى ارض الحبشة وهذا من صاحب الاصل تصريح بان ابن مسعود رضي
الله تعالى عنه كان في الهجرة الاولى وهو موافق في ذلك شيخه الحافظ الدمياطي رحمه الله
لكن الحافظ الدمياطي جزم بان ابن مسعود رضي الله تعالى عنه كان في الهجرة الاولى ولم
يحك خلافا وصاحب الاصل حكى خلافا فانه لم يكن فيها وبه جزم ابن اسحاق رحمه الله حيث
قال ابن مسعود رضي الله تعالى عنه انما كان في الهجرة الثانية فكان ينبغي للاصل ان يقول
على ما تقدم وفي كلام بعضهم فلم يدخل احد منهم الا مستخفيا وكلهم دخلوا مكة الا
عبد الله ابن مسعود رضي الله تعالى عنه فانه رجع الى ارض الحبشة وقد يقال لما لم يطل
مكث ابن مسعود رضي الله تعالى عنه بمكة ظن به انه لم يدخلها فلا ينافي ما سبق ويجوز
ان يكون اكثرهم دخل مكة بلا جوار فاطلق على الكل انهم دخلوا مكة مستخفين فلا يخالف
ما سبق ايضا ولما رجعوا رضي الله تعالى عنهم لقوا المشركين اشد مما عهدوا قال
وممن دخل بجوار عثمان بن مظعون رضي الله تعالى عنه دخل في جوار الوليد بن المغيرة
ولما راى ما يفعل بالمسلمين من الاذى قال والله ان غدوي ورواحي امنا بجوار رجل من
اهل الشرك واصحابي واهل ديني يلقون من البلا والاذى في الله ما لا يصيبني لنقص كبير
فمشى الى الوليد فقال يا ابا عبد شمس وفت ذمتك وقد رددت اليك جوارك قال له يا ابن
اخي لعله اذاك احد من قومي وانت في ذمتي فاكفيك ذلك قال لا والله ما اعترض لي احد
ولا اذاني ولكني ارضى بجوار الله عز وجل واريد ان لا استجير بغيره قال انطلق الى المسجد
فاردد الي جواري علانية كما اجرتك علانية فانطلقا حتى اتيا المسجد فقال الوليد هذا
عثمان قد جاء يرد علي جواري فقال عثمان رضي الله تعالى عنه صدق قد وجدته وفيا
كريم الجوار لكني لا استجير بغير الله عز وجل وقد رددت عليه جواره فقال الوليد اشهدكم
اني بريء من جواره الا ان يشاء ثم انصرف عثمان رضي الله تعالى عنه ولبيد بن ربيعة بن
مالك في مجلس من مجالس قريش ينشدهم قبل اسلامه فجلس عثمان رضي الله تعالى عنه
معهم فقال لبيد رضي الله عنه • الا كل شيء ما خلا الله باطل • فقال عثمان صدقت فقال
لبيد • وكل نعيم لا محالة زائل • فقال عثمان كذبت نعيم الجنة لا يزول فقال لبيد يا معشر
قريش ما كان يؤذى جليسكم فمتى حدث هذا فيكم فقال رجل من القوم ان هذا سفيه من
سفهائنا قد فارق ديننا فلا تجدن في نفسك من قوله فرد عليه عثمان رضي الله عنه فقام
ذلك الرجل فلطم عينه والوليد بن المغيرة قريب يرى ما بلغ من عثمان فقال اما والله يا ابن
اخي كانت عينك عما اصابها لغنية ولقد كنت في ذمة منيعة فخرجت عنها وكنت عن الذي
لقيت غنيا فقال عثمان بل كنت الى الذي لقيت فقيرا والله ان عيني الصحيحة التي

لم

لم تلطم لفقيرة الى مثل ما اصاب اختها في الله عز وجل واني لفي جوار
من هو اعز منك انتهى ففهم عثمان رضي الله عنه منه ان لبيدا اراد بالنعيم ما هو شامل النعيم
الاخرة ومن ثم قال له نعيم الجنة لا يزول الا انه يقال لولا ان لبيد يريد مطلق النعيم الشامل
لنعيم الاخرة لما تشوش من الرد عليه لانا نقول يجوز ان يكون تشوشه من مشافهة عثمان
له بقوله كذبت على ان هذا السياق دال على ان لبيدا قال هذا الشعر قبل اسلامه ويوافق
ما قيل اكثر اهل الاخبار على ان لبيدا رضي الله عنه لم يقل شعرا منذ اسلم وبه رد
ما في الاستيعاب ان هذا اي قوله •

• وكل امرئ يوما سيعلم سعيه • اذا كشفت عند الاله المحاصل •

وقد يقال لا يلزم من قوله المذكور الذي لا يصدر غالبا الا من مسلم ان يكون قاله في
حال اسلامه كما وقع لامية ابن ابي الصلت حيث يقول في شعره ما لا يقوله الا مسلم مع
كفره ومن ثم قال صلى الله عليه وسلم فيه انه امن شعره وكفر قلبه وفي رواية كاد يسلم
وذكر الشيخ محيي الدين ابن العربي في قوله صلى الله عليه وسلم اصدق بيت قالته العرب وفي
رواية اصدق كلمة تكلمت بها العرب كلمة لبيد الا كل شيء ما خلا الله باطل اعلم ان الموجودات
كلها وان وصفت بالباطل فهي حق من حيث الوجود ولكن سلطان المقام اذا غلب على
صاحبه يرى ما سوى الله تعالى باطلا من حيث انه ليس له وجود من ذاته فحكم حكمة القدم
وهذا معنى قول بعضهم قوله باطل اي كالباطل لان العالم قائم بالله لا بنفسه فهو من هذا
الوجه باطل والعارف اذا وصل الى مقامات القرب في بداية عرفانه ربما تلاشت عنده
الكائنات وحجبت عن شهودها بشهود الحق لانها زالت من الوجود بالكلية ثم اذا كمل
عرفانه شهد الحق سبحانه والخلق معا في ان واحد وما كل احد يصل الى هذا المقام فان
غالب الناس ان شهد الحق لم يشهد الخلق وان شهد الخلق لم يشهد الحق كما تقدم عند
الكلام على الوجود انه لا يدركها الا من ادرك اجتماع الضدين ولعل من المشهد الاول
قول الاستاذ الشيخ ابو الحسن البكري رضي الله عنه استغفر الله مما سوى الله لان الباطل
يستغفر اثبات وجوده لذاته ويوافق قول اكثر اهل الاخبار قول السهيلي واسلم لبيد
وحسن اسلامه وعاش في الاسلام ستين سنة لم يقل فيها بيت شعر فسأله عمر رضي الله
عنه اي في خلافته عن ترك الشعر فقال ما كنت لاقول شعرا بعد ان علمني الله تعالى البقرة
وال عمران فزاده عمر رضي الله عنه في عطائه خمسمائة من اجل هذا القول فكان عطاؤه
الفين وخمسمائة وقيل انه قال بيتا واحدا في الاسلام وهو قوله •

• الحمد لله الذي لم ياتني اجلي • حتى كسيت من الاسلام سربالا •

قال وممن دخل بجوار ابو سلمة بن عبد الاسد ابن عمته صلى الله عليه وسلم فانه
دخل في جوار خاله ابي طالب ولما اجاره مشى اليه رجال من بني مخزوم فقالوا يا ابا طالب
منعت منا ابن اخيك فما لك ولصاحبنا تمنعه منا فقال انه استجار بي وهو ابن اختي وانا

ان لم امنع ابن اخي لم امنع ابن اخي فقام ابو لهب على اوليك الرجال وقال لهم يا معشر قريش
لا تزالون تعارضون هذا الشيخ في جواره من قومه والله لتنتهن عنه او لا نقومن معه
في كل مقام يقوم فيه حتى يبلغ ما اراد قالوا بل ننصرف عما تكره يا ابا عتبة اي لانه كان
لهم وليا وناصرا على رسول الله صلى الله عليه وسلم انتهى اي وطمع ابو طالب في ابي لهب
حيث سمعه يقول ما ذكر ورجى ان يقوم معه في شانه صلى الله عليه وسلم وانشد ابياتا
يحرضه فيها على نصرته صلى الله عليه وسلم ومن اعز ودي في الله بعد اسلامه ووقع
له ما وقع لعثمان بن مظعون رضي الله عنه عمر ابن الخطاب رضي الله تعالى عنه وسبب
اسلامه رضي الله عنه على ما حدث به بعضهم قال قال لنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه
اتحبون ان اعلمكم كيف كان بدء اسلامي اي ابتداؤه والسبب فيه قلنا نعم قال كنت من
اشد الناس على رسول الله صلى الله عليه وسلم بينا انا في يوم حار شديد الحر بالهاجرة
في بعض طرق مكة اذ لقيني رجل من قريش اي وهو نعيم بن عبد الله النحام بالحاء المهملة
قيل له ذلك لانه صلى الله عليه وسلم قال فيه رضي الله عنه لقد سمعت نحنحته في الجنة اي صوته
وحسه وكان يخفي اسلامه خوفا من قومه واخبرني ان اختي يعني ام جميل واسمها فاطمة كما
تقدم وقيل زينب وقيل امنة قد صبات اي اسلمت وكذا زوجها اي سعيد بن زيد بن عمرو
بن نفيل احد العشرة المشهود لهم بالجنة وهو ابن عم عمر رضي الله عنهما وكانت اخت سعيد
عاتكة تحت عمر فرجعت مغضبا وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يجمع الرجل والرجلين
اذا اسلما عند الرجل الذي به قوة يكونان معه يصيبان من طعامه وقد ضم الى زوج اختي
رجلين ممن اسلم احدهما خباب ابن الارت بالمثناة فوق والاخر لم اقف على اسمه وفي
السيرة الهشامية الاقتصار على خباب وانه كان يختلف اليهما يعلمهما القرآن فجئت حتى
قرعت الباب فقيل من بالباب قلت ابن الخطاب وكان القوم جلوسا يقرؤون صحيفة
معهم فلما سمعوا صوتي تبادروا اي استخفوا ونسوا الصحيفة فقامت المراة يعني اختي
رضي الله عنها ففتحت لي الباب فقلت لها يا عدوة نفسها قد بلغني انك قد صبوت وضربتها
كان في يدي فسال الدم فلما رات الدم بكت وقالت يا ابن الخطاب ما كنت فاعلا فافعل
فقد اسلمت فدخلت وجلست على السرير فنظرت فاذا بالصحيفة في ناحية البيت فقلت ما
هذا الكتاب اعطينيه اي فان عمر رضي الله عنه كان كاتبا فقالت لي لا اعطيكه لست من اهله
انت لا تغتسل من الجنابة ولا تتطهر وهذا لا يمسه الا المطهرون فلم ازل بها حتى اعطتنيه
اي بعد ان اغتسلت كما في بعض الروايات وفي بعض الروايات قالت له يا اخي انك نجس
على شركك وانه لا يمسه الا المطهرون وقولها رضي الله عنها لا تغتسل من الجنابة ربما
يخالف قول بعضهم ان اهل الجاهلية كانوا يغتسلون من الجنابة وكون عمر رضي الله عنه
يخالفهم في ذلك من ابعد البعيد وكون هذا منها يحمل على انه لم يغتسل غسلا يعتد به
يخالفه ما تقدم عن بعض الروايات انه لما اغتسل دفعت له تلك الرقعة وفي رواية قالت له

انا نخشاك عليها قال لا تخافي وحلف لها بالهته ليردنها اذا قراها وقد طمعت في
اسلامه فاذا فيها بسم الله الرحمن الرحيم قال فلما مررت على بسم الله الرحمن الرحيم
ذعرت اي فزعت ورميت بالصحيفة من يدي ثم رجعت الى نفسي فاخذتها فاذا فيها سبح
لله ما في السموات والارض وهو العزيز الحكيم فكلما مررت باسم من اسمائه عز وجل ذعرت
اي فالقيها ثم ترجع الي نفسي فاخذها حتى بلغت امنوا بالله ورسوله الى ان كنتم مومنين
فقلت اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله فخرج القوم يتبادرون بالتكبير
استبشارا بما سمعوا مني وحمدوا الله عز وجل ثم قالوا يا ابن الخطاب ابشر فان رسول
الله صلى الله عليه وسلم دعا فقال اللهم اعز الاسلام وفي لفظ ايد الاسلام باحد الرجلين
اما بابي جهل بن هشام او بعمر بن الخطاب اي وفي لفظ باحب هذين الرجلين اليك ابي الحكم
عمرو بن هشام يعني ابا جهل وعمر بن الخطاب اي وفي غير ما روي بعمر بن الخطاب من
غير ذكر ابي جهل وعن عايشة رضي الله عنها انها قالت انما قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم اللهم اعز عمر بالاسلام لان الاسلام يعز ولا يعز اي ولعل قول عايشة رضي
الله تعالى عنها ما ذكر نشا عن اجتهاد ومنها بدليل تعليلها واستبعادها ان يعز الاسلام
بعمر فليتامل وكان دعاؤه صلى الله عليه وسلم بذلك يوم الاربعا واسلم عمر رضي الله تعالى
عنه يوم الخميس قال عمر رضي الله عنه فلما عرفوا مني الصدق قلت لهم اخبروني بمكان
رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا في بيت باسفل الصفا وصفوه اي دار الارقم وفي
رواية ان عمر رضي الله عنه قال يا خباب انطلق بنا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقام خباب وابن عمه سعيد معه قال عمر رضي الله عنه فلما قرعت الباب قيل من هذا
قلت ابن الخطاب فما اجترا احد ان يفتح لي الباب لما عرفوه من شدتي على رسول الله صلى
الله عليه وسلم ولم يعلموا باسلامي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم افتحوا له فان
يرد الله به خيرا يهديه وفي لفظ يهديه باثبات اليا وهو لغة ففتحوا لي اي وقيل الذي
اذن في دخوله حمزة رضي الله عنه بن عبد المطلب فان اسلام عمر رضي الله عنه كان
بعد اسلام حمزة بثلاثة ايام وقيل بثلاثة اشهر وكان اسلام عمر رضي الله عنه وهو
ابن ست وعشرين سنة قال رضي الله عنه واخذ رجلان بعضدي حتى دنوت من النبي صلى الله
عليه وسلم فقال ارسلوه فارسلوني فجلست بين يديه صلى الله عليه وسلم فاخذ بمجامع
قميصي فجذبني اليه ثم قال صلى الله عليه وسلم ما جاء بك يا ابن الخطاب اللهم اهده فقلت اشهد ان
لا اله الا الله واشهد ان محمدا رسول الله فكبر المسلمون تكبيرة سمعت بطرق مكة اي
وفي الاوسط للطبراني ورواه الحاكم باسناد حسن عن ابن عمر رضي الله عنهما ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم ضرب بصدر عمر بيده حين اسلم ثلاث مرات وهو يقول اللهم
اخرج ما في صدر عمر من غل وابدله ايمانا ولعل خبابا وسعيدا لم يدخلا معه والا لبشرا
باسلام عمر رضي الله عنه وفي رواية ان خبابا لما قال لعمر فالله الله يا عمر قال له عمر

عند ذلك يا خباب دلني على محمد حتى آتيه فاسلم فقال خباب هو في بيت عند الصفا معه
نفر من اصحابه فاخذ عمر سيفه فتوشحه ثم عمد الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
واصحابه فضرب عليهم الباب وفي رواية وفي رواية لما ضرب الباب وسمعوا صوته قام
رجل منهم فنظر من خلال الباب فرآه متوشحا سيفه اي ولم ير معه خبابا وسعيدا
فرجع الى النبي صلى الله عليه وسلم وهو فزع فقال يا رسول الله هذا عمر بن الخطاب
متوشحا سيفه نعوذ بالله من شره فقال حمزة بن عبد المطلب فايذن له فان كان جا
يريد خيرا بذلناه له وان كان جا يريد شرا قتلناه بسيفه وفي لفظ انه صلى الله عليه وسلم
قال ان جا بخير قبلناه وان جا بشر قتلناه وفي لفظ ان يرد خيرا اسلم وان يرد غير
ذلك يكن قتله علينا هينا ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ايذن له فاذن له الرجل
ونهض اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى لقيه في صحن الدار فاخذ بحجزته وجذبه
جذبة شديدة وقال ما جا بك يا ابن الخطاب فوالله ما ادري ان تنتهي حتى ينزل الله بك
قارعة وفي لفظ اخذ بمجامع ثوبه وحمايل سيفه وقال ما انت منته يا عمر حتى ينزل الله
بك من الخزي والنكال ما انزل بالوليد بن المغيرة اي احد المستهزئين به صلى الله عليه وسلم
ثم تقدم فقال عمر يا رسول الله جئتك لاومن بالله وبرسوله اشهد انك رسول الله وفي رواية
اشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له واشهد ان محمدا عبده ورسوله فكبر رسول
الله صلى الله عليه وسلم تكبيرة عرفت وفي رواية عرفت وسمعها اهل المسجد وفي رواية انهم
لما اخبروا النبي صلى الله عليه وسلم قال ايذنوا له فان يرد الله به خيرا يهده والا كفيتموه
باذن الله قال محمد يعني ابن عايذ وهذا وهم وانما الذي قال فان يرد الله
به خيرا يهده والا فقد كفيتموه حمزة انتهى ويمكن ان يقال ان الوهم انما هو في نسبة قوله
والا كفيتموه للنبي صلى الله عليه وسلم فلا ينافي ما في الشمس الشامي من قوله عنه صلى
الله عليه وسلم فان يرد الله به خيرا يهده انتهى وفي رواية لما جاء دق الباب فوجد بلالا
وراء الباب فقال بلال من هذا فقال عمر بن الخطاب فقال حتى استاذن لك على رسول
الله صلى الله عليه وسلم فقال بلال يا رسول الله عمر بالباب فقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم ان يرد الله به خيرا ادخله في الدين فقال افتح واخذ رسول الله صلى الله
عليه وسلم بضبعيه فهزه وفي رواية اخذ بساعده وانتهره فارتعد عمر هيبة لرسول الله
صلى الله عليه وسلم وجلس وفي لفظ اخذ بمجامع ثيابه ثم نتره نترة فما تمالك عمر رضي
الله عنه ان وقع على ركبته فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم اهد عمر بن الخطاب
اللهم اعز الاسلام بعمر بن الخطاب ما الذي تريد وما الذي جئت له فقال له عمر اعرض
على الذي تدعو اليه فقال تشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له وان محمدا عبده
ورسوله فاسلم عمر رضي الله عنه مكانه اقول ولا ينافي هذا ما تقدم من اسلام
عمر رضي الله عنه واتيانه بالشهادتين في بيت اخته رضي الله عنها قبل خروجه الى النبي

الله عليه وسلم وقوله ولم يعلموا باسلامي لانه يجوز ان يكون مراده بقوله رضي الله
عنه جئت لاومن جئت لاظهر ايماني عندك وعند اصحابك اي وعند ذلك قال له رسول
الله صلى الله عليه وسلم يا ابن الخطاب الخ وقوله للنبي صلى الله عليه وسلم اعرض على
ما تدعو اليه ويجوز ان يكون عمر رضي الله عنه جوز ان الذي يدعو اليه ويصير به المسلم
مسلما اخص مما نطق به من الشهادتين والله اعلم قال عمر رضي الله تعالى عنه واحببت ان
يظهر اسلامي وان يصيبني ما اصاب من اسلم من الضرب والاهانة فذهبت الى خالي وكان
شريفا في قريش واعلمته اني صبوت اي وهو ابو جهل وقد جاء في بعض الروايات قال
عمر رضي الله عنه لما اسلمت تذكرت اي اهل مكة اشد لرسول الله صلى الله عليه وسلم
عداوة حتى آتيه فاخبره اني قد اسلمت فذكرت ابا جهل فجئت له فدققت عليه الباب
فقال من بالباب قلت عمر بن الخطاب فخرج الي فقال مرحبا واهلا وسهلا يا ابن
اختي ما جا بك قلت جئت لاخبرك وفي لفظ لابشرك ببشارة فقال ابو جهل وما هي يا ابن
اختي فقلت آمنت بالله ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم وصدقت ما جا به فضرب
الباب في وجهي اي اغلقه وهو بمعنى اجاف الباب كما في بعض الروايات وقال قبحك
الله وقبح ما جئت به اي وانما كان ابو جهل خال عمر قيل لان ام عمر اخت ابي جهل
وقيل ان ام عمر بنت عم ابي جهل وصححه ابن عبد البر وعصبة الام اخوال الابن قال
عمر رضي الله تعالى عنه وجئت رجلا اخر من عظما قريش واعلمته اني صبوت فلم
يصبني منهما شي فقال لي رجل تحب ان يعلم اسلامك قلت نعم قال اذا جلس الناس
يعني قريش في الحجر واجتمعوا فات فلانا لشخص كان لا يكتم السر اي وهو جميل بن
معمر رضي الله عنه اسلم يوم الفتح وشهد مع النبي صلى الله عليه وسلم حنينا
وكان يسمى ذا القلبين وفيه نزلت ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه ومات في خلافة
عمر رضي الله عنه وحزن عليه عمر رضي الله عنه حزنا شديدا فقل له فيما بينك وبينه
اني قد صبوت قال رضي الله عنه فلما اجتمع الناس في الحجر جئت للرجل فدنوت منه
واخبرته فرفع صوته باعلاه فقال الا ان عمر قد صبا فما زال الناس يضربونني
واضربهم فقام خالي يعني ابا جهل على الحجر فاشار بكمه وقال الا اني اجرت ابن اختي
فانكشف الناس عني فصرت اي بعد ذلك ارى الواحد من المسلمين يضرب وانا لا اضرب
فقلت ما هذا بشي حتى يصيبني ما يصيب المسلمين فامهلت حتى جلس الناس في الحجر
وجئت الى خالي وقلت له جوارك عليك مردود فقال لا تفعل يا ابن اختي فقلت له
بل هو ذاك فما زلت اضرب واضرب حتى اعز الله الاسلام اي وفي السيرة الهشامية
بينما القوم يقاتلونه ويقاتلهم اذ اقبل شيخ من قريش عليه حلة حبرة وقميص موشى
حتى وقف عليهم اي وهو العاص بن وايل فقال ما شانكم قالوا صبا عمر قال فمه
رجل اختار لنفسه امرا فماذا تريدون اترون بني عدي بن كعب مسلمين لكم صاحبهم

هكذا خلوا عن الرجل فانفرجوا عنه كانهم ثوب كشط عنه اي وفي البخاري لما اسلم
عمر رضي الله عنه اجتمع الناس عند داره وقالوا صبا عمر فبينا عمر في داره خايفا اذ
جاءه العاص بن وايل فقال له مالك قال زعم قومك انهم سيقتلونني اني اسلمت اي اذا
اسلمت قال أمنت لا سبيل اليك فخرج فلقي الناس قد سال بهم الوادي فقال اين
تريدون قالوا نريد هذا عمر بن الخطاب الذي صبا قال لا سبيل اليه فانا له جار
فكر الناس وتصدعوا عنه اي ويذكر ان عتبة بن ربيعة وثب عليه فالقى
عمر الى الارض وبرك عليه وجعل يضربه وادخل اصبعيه في عينيه فجعل عتبة يصيح
وصار لا يدنوا منه احد الا اخذ بشرا سيفه وهي اطراف اضلاعه وعن عمر رضي الله
تعالى عنه في سبب اسلامه قال خرجت اتعرض لرسول الله صلى الله عليه وسلم
قبل ان اسلم فوجدته قد سبقني الى المسجد فقمت خلفه فاستفتح سورة الحاقة فجعلت
اتعجب من تاليف القران فقلت والله ما هو بشاعر كما قالت قريش فقرا انه لقول
رسول كريم وما هو بقول شاعر قليلا ما تومنون قال قلت كاهن علم ما في نفسي
فقرا ولا بقول كاهن قليلا ما تذكرون الى اخر السورة فوقع الاسلام في قلبي
كل موقع ومن ذلك ما في السيرة الهشامية عن عمر رضي الله عنه قال جيت المسجد
اريد اطوف بالكعبة فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم قايم يصلي وكان اذا صلى
استقبل الشام اي صخرة بيت المقدس وجعل الكعبة بينه وبين الشام فكان مصلاه
بين الركن اليماني والركن الاسود اي لا يكون مستقبلا لبيت المقدس الا جنبه كما
تقدم قال فقلت حين رايته لو اني استمعت لمحمد الليلة حتى اسمع ما يقول قال فقلت اني
ان دنوت اسمع لاروعنه فجيت من قبل الحجر فدخلت تحت ثيابها يعني الكعبة فجعلت امشي
رويدا ورسول الله صلى الله عليه وسلم قايم يصلي فقرا الرحمن حتى قمت في قبلته
مستقبله ما بيني وبينه الا ثياب الكعبة فلما سمعت القران رق له قلبي فبكيت ودخلني
الاسلام فلم ازل قايما في مكاني ذلك حتى قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاته ثم
انصرف فتبعته فلما سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم حسي عرفني فظن انما تبعته
لاوذيه فنهمني اي زجرني ثم قال ما جا بك يا ابن الخطاب هذه الساعة قلت جيت لاومن
بالله وبرسول الله وبما جا به من عند الله وفي رواية ضرب صاحبتي المخاض ليلا فخرجت
من البيت فدخلت في استار الكعبة فجا النبي صلى الله عليه وسلم فدخل المسجد عند الحجر
الاسود فصلى فيه ما شا ثم انصرف فسمعت شيا لم اسمع مثله فخرج فاتبعته فقال من
هذا قلت عمر قال يا عمر ما تدعني لا ليلا ولا نهارا فخشيت ان يدعو علي فقلت اشهد
ان لا اله الا الله وانك رسول الله فقال يا عمر اسره قلت لا والذي بعثك بالحق
لاعلننه كما اعلنت الشرك فحمد الله ثم قال هداك الله يا عمر ثم مسح صدري ودعا لي
بالثبات ثم انصرفت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ودخل بيته اي ويحتاج للجمع بين

هذه

هذه الروايات على صحتها ثم رايت العلامة ابن حجر الهيتمي قال يمكن الجمع بتعدد الواقعة
قبل اسلامه هذا كلامه فليتامل قال ومن ذلك اي مما كان سببا لاسلام عمر رضي
الله عنه ان ابا جهل بن هشام لعنه الله قال يا معشر قريش ان محمدا شتم الهتكم وسفه
احلامكم وزعم ان من مضى من اسلافكم يتهافتون في النار الا ومن قتل محمدا فله
علي مائة ناقة حمرا وسودا والف اوقية من فضة اي وفي لفظ جعلوا لمن يقتله
صلى الله عليه وسلم كذا وكذا اوقية من الذهب وكذا وكذا اوقية من الفضة وكذا
وكذا نافجة من المسك وكذا وكذا ثوب وغير ذلك فقال عمر انا لها فقالوا انت
لها يا عمر وتعاهد معهم على ذلك قال عمر رضي الله عنه فخرجت متقلدا سيفي متنكبا
كنانتي اي جعلتها في منكبي اريد رسول الله صلى الله عليه وسلم فمررت على عجل ذبح فسمعت
من جوفه صوتا يقول يا ال ذريح صايح يصيح بلسان فصيح يدعو الى شهادة ان لا اله الا
الله وان محمدا رسول الله فقلت في نفسي ان هذا الامر لا يراد به الا انت وذريح اسم
للعجل المذبوح وقيل له ذلك من اجل الذم لان الذريحة شديد الحمرة يقال احمر ذريحي
اي شديد الحمرة ثم مررت برجل اسلم وكان يكتم اسلامه خوفا من قومه يقال له نعيم
اي ابن عبد الله النحام كما تقدم له اين تذهب يا ابن الخطاب فقال له اريد هذا الصابي
الذي فرق امر قريش وسفه احلامها وسب الهتها فاقتله فقال له نعيم والله لقد
غرتك نفسك اترى بني عبد مناف تاركيك تمشي على وجه الارض وقد قتلت محمدا افلا
ترجع الى اهل بيتك فتقيم امرهم قال واي اهل بيتي قال ختنك اي زوج اختك وابن عمك
سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل واختك قد اسلما فعليك بهم وانما فعل ذلك نعيم
ليصرفه عن اذية رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل الذي لقيه سعد بن ابي وقاص
رضي الله عنه فقال له اين تريد يا عمر فقال اريد ان اقتل محمدا قال انت اصغر
واحقر من ذلك تريد ان تقتل محمدا وتدعك بنو عبد مناف ان تمشي على وجه الارض
فقال له عمر ما اراك الا قد صبات فابدا بك فاقتلك فقال سعد اشهد ان لا اله الا
الله وان محمدا رسول الله فسل عمر سيفه وسل سعد سيفه وشد كل منهما على الاخر
حتى كادا ان يختلطا ثم قال لعمر مالك لا تفعل هذا بختنك واختك فقال صبيا قال نعم
فتركه عمر رضي الله عنه وسار الى منزل اخته اي ولا مانع ان يكون لقي كلا من نعيم
وسعد بن ابي وقاص رضي الله عنهما وقال له كل واحد منهما ما ذكر وفي هذه الرواية
انه وجد عندهم خباب بن الارث معه صحيفة فيها سورة طه يقروها عليهم وانه
دق عليهم الباب فلما سمعوا احس عمر تغيب خباب اي وترك الصحيفة فلما دخل عمر
رضي الله عنه قال لاخته ما هذه الهينمة التي سمعت قالت له ما سمعت غير حديث
تحدثنا به بيننا قال بلى والله لقد اخبرت انكما تابعتما
محمدا على دينه وبطش بزوج اخته فالقاه على الى الارض وجلس على صدره واخذ

بلحيته فقامت اليه اخته لتفكه عن زوجها فضربها فشجها اي فلما رات الدم قالت
له يا عدو الله اتضربني على ان اوحد الله لقد اسلمت على رغم انفك فاصنع ما استطعت
فلما رأى ما باخته وما صنعه بزوجها ندم وقال لاخته اعطيني هذه الصحيفة انظر
ما هذا الذي جاء به محمد صلى الله عليه وسلم وكان عمر رضي الله عنه كاتبا قالت له اختها
علمها فحلف ليردنها اذا قراها اليها فقالت له يا اخي انت نجس ولا يمسه الا الطاهر
فقام واغتسل اي وفي لفظ فذهب يغتسل فخرج اليها خباب رضي الله عنه وقال
اتدفع كتاب الله الى عمر وهو كافر قالت نعم اني ارجو ان يهدي الله اخي ورجع خباب
الى موضعه ودخل عمر رضي الله عنه فاعطته تلك الصحيفة فلما قراها عمر وبلغ فلا
يصدنك عنها من لا يؤمن بها واتبع هواه فتردى قال اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا
رسول الله انتهى اي وفي رواية انه رضي الله عنه لما قرا الصحيفة قال ما احسن
هذا الكلام واكرمه اي وقيل انه لما انتهى الى قوله تعالى انني انا الله لا اله الا انا
فاعبدني واقم الصلاة لذكري قال ينبغي لمن يقول هذا ان لا يعبد معه غيره فلما
سمع ذلك خباب رضي الله عنه خرج اليه فقال يا عمر اني لارجو ان يكون الله قد
خصك بدعوة نبيه صلى الله عليه وسلم فاني سمعته امس وهو يقول اللهم ايد الاسلام
بابي الحكم بن هشام وبعمر بن الخطاب فالله الله يا عمر فقال له عند ذلك دلني يا خباب
على محمد حتى اتيه فاسلم اي عنده صلى الله عليه وسلم وعند اصحابه رضي الله عنهم
فلا ينافي ما في الرواية الاولى انه اسلم في بيت اخته فقال خباب رضي الله عنه
هو في بيت عند الصفا معه نفر من اصحابه فجاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
الحديث أقول ويمكن الجمع بين هاتين الروايتين حيث كانت القصة واحدة
ولم تتعدد بانه يجوز ان يكون زوج اخته استخفى اولا مع خباب ورفعه ثم ظهر
فاوقع به عمر وباخته ما ذكر وانه في الرواية الاولى التي فيها سبح لله اقتصر
على ذكر اخته والصحيفة تعددت واحدة فيها سبح لله وفي الرواية الثانية على الاخرى
وهي التي فيها طه وانه في الرواية الاولى اسلم وفي الرواية الثانية سكت عن ذلك
والله اعلم وعن ابن عباس رضي الله عنهما لما اسلم عمر رضي الله عنه قال المشركون
لقد انتصف القوم منا وعن ابن عباس رضي الله عنهما لما اسلم عمر رضي الله عنه
نزل جبريل عليه السلام على النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد لقد استبشر
اهل السما باسلام عمر رضي الله عنه قال وروى البخاري عن ابن عباس
رضي الله عنهما ما زلنا اعزة منذ اسلم عمر رضي الله عنه انتهى زاد بعضهم عن ابن
مسعود رضي الله عنه ووالله لقد رايتنا وما نستطيع نصلي بالكعبة اي عندها ظاهرين
امنين حتى اسلم عمر رضي الله عنه فقاتلهم حتى تركونا فصلينا اي وجهروا بالقراءة
وكانوا قبل ذلك لا يقرؤون الا سرا كما تقدم وعن صهيب رضي الله عنه لما اسلم

عمر

عمر رضي الله عنه جلسنا حول البيت حلقا وفي كلام ابن الاثير رحمه الله مكث صلى الله
عليه وسلم مستخفيا في دار الارقم ومن معه من المسلمين الى ان كملوا اربعين بعمر
بن الخطاب رضي الله عنه وعند ذلك خرجوا وتقدم ما في ذلك ومما يؤثر عن عمر
رضي الله عنه من اتقى الله وقاه ومن توكل عليه كفاه السيد هو الجواد حين يسال
الحكيم حين يستجهل اشقى الولاة من شقيت به رعيته اعقل الناس اعذرهم للناس
وفي مختصر تاريخ الخلفا لابن حجر الهيتمي رحمه الله ان عمر رضي الله عنه اول من
قال اطال الله بقاك وايدك الله قال ذلك لعلي كرم الله وجهه وهو اول من
استقضى القضاة في الامصار ويروى ان الارقم هذا لما كان بالمدينة بعد الهجرة
تجهز ليذهب فيصلي في بيت المقدس فلما فرغ من جهازه جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم
ليودعه فقال صلى الله عليه وسلم ما يخرجك اي من المدينة حاجة ام تجارة قال لا
يا رسول الله بابي انت وامي ولكن اريد الصلاة في بيت المقدس فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم صلاة ها هنا في مسجدي هذا خير من الف صلاة فيما سواه من المساجد
الا المسجد الحرام فجلس الارقم ولم يذهب المقدس ولما حضرته الوفاة اوصى رضي الله
عنه ان يصلي عليه سعد ابن وقاص رضي الله عنه فلما مات كان سعد بالعقيق فقال
مروان يحبس صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم لرجل غايب واراد الصلاة عليه
فابى ولده ذلك على مروان ووقع بينهم كلام ثم جاء سعد رضي الله عنه وصلى على الارقم
رضي الله عنه اي وقيل لعمر رضي الله عنه ما سبب تسمية النبي صلى الله عليه وسلم
لك بالفاروق قال لما اسلمت والنبي صلى الله عليه وسلم واصحابه رضي الله عنهم مختفون
قلت يا رسول الله السنا على الحق ان متنا وان حيينا قال بلى والذي نفسي بيده انكم على
الحق ان متم وان حييتم فقلت ففيم الاختفا والذي بعثك بالحق ما بقي مجلس كنت اجلس
فيه بالكفر الا اظهرت فيه الاسلام غير هايب والذي بعثك بالحق لتخرجن وخرجنا
في صفين حمزة رضي الله عنه في احدهما وانا في الاخر له اي لذلك الجمع كديد ككديد
الطحين له اي لذلك الجمع غبار ثاير من الارض لشدة وطي الاقدام لان كديد التراب
الناعم اذا وطي ثار غباره قال حتى دخلنا المسجد فنظرت قريش الي والى حمزة رضي
الله عنه فاصابتهم كآبة لم يصبهم مثلها اي فطاف رسول الله صلى الله عليه وسلم
بالبيت وصلى الظهر معلنا ثم رجع صلى الله عليه وسلم ومن معه الى دار الارقم فسماني
رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ الفاروق فرق الله بي بين الحق والباطل اي
وفي رواية انه صلى الله عليه وسلم خرج في صفين حمزة في احدهما وعمر في الاخر لهم
كديد ككديد الطحين وفي رواية ان عمر رضي الله عنه قال لرسول الله صلى الله عليه
وسلم لا ينبغي ان تكتم هذا الدين اظهر دينك وفي رواية والله لا يعبد الله سرا
بعد اليوم فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه المسلمون وعمر رضي الله عنه

امامهم معه سيف ينادي لا اله الا الله محمد رسول الله حتى دخل المسجد ثم صاح مسمعا
لقريش كل من تحرك منكم لامكنن سيفي منه ثم تقدم امام رسول الله صلى الله عليه وسلم
وهو يطوف والمسلمون صلوا حول الكعبة وقرأوا القرآن جهرا وكانوا كما تقدم لا يقدرون
على الصلاة عند الكعبة ولا يجهرون بالقرآن وفي المنتقى على ما ذكره بعضهم فخرج رسول
الله صلى الله عليه وسلم وعمر امامه وحمزة بن عبد المطلب رضي الله عنهما حتى طاف بالبيت وصلى
الظهر معلنا ثم انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم الى دار الارقم وفيه ان صلاة الظهر
لم تكن فرضت الان يقال المراد بصلاة الظهر الصلاة التي وقعت في ذلك الوقت اي
ولعل المراد بها صلاة الركعتين اللتين كان صلى الله عليه وسلم يصليهما بالغداة صلاهما
في وقت الظهر وعن عمر رضي الله عنه قال وافقت ربي في ثلاث قلت يا رسول الله لو اتخذنا
من مقام ابراهيم مصلى فنزلت واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى وقلت يا رسول الله ان
نساءك يدخل عليهن البر والفاجر فلو امرتهن ان يحتجبن فنزلت آية الحجاب واجتمع على رسول
الله صلى الله عليه وسلم نساؤه في الغيرة فقلت لهن عسى ربه ان طلقكن ان يبدله ازواجا
خيرا منكن اي وقال بعض نسائه صلى الله عليه وسلم يا عمر اما في رسول الله صلى الله عليه وسلم
ما يعظ نساءه حتى تعظهن انت ومنع رضي الله عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يصلي
على عبد الله بن ابي بن سلول في البخاري لما توفي عبد الله بن ابي جاء ولده رضي الله عنه
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسال ان يعطيه قميصه الشريف يكفن فيه اباه فاعطاه
وهذا لا يخالف ما في تفسير القاضي البيضاوي من ان ابن ابي دعا رسول الله صلى الله عليه
وسلم في مرضه فلما دخل عليه سال ان يستغفر له ويكفنه في شعاره الذي يلي جسده
الشريف ويصلي عليه فلما مات ارسل رسول الله صلى الله عليه وسلم قميصه ليكفن فيه لانه
يجوز ان يكون ارسال القميص بسؤال ولده رضي الله عنه له صلى الله عليه وسلم بعد موت
ابيه قال في الكشاف فان قلت كيف جازت له صلى الله عليه وسلم تكرمة المنافق ودفنه
في قميصه قلت كان ذلك مكافاة له على صنيع سبق له وذلك ان العباس عم رسول الله صلى
الله عليه وسلم لما اخذ اسيرا ببدر لم يجدوا له قميصا وكان رجلا طويلا فكساه عبد الله
قميصه اي ولان الضنة بعد ارساله صلى الله عليه وسلم القميص سيما وقد سئل فيه يخل بالكرم
وقد قال له المشركون يوم الحديبية انا لا ناذن لمحمد ولكن ناذن لك فقال لا ان لي في رسول
الله اسوة حسنة فشكر رسول الله صلى الله عليه وسلم له ذلك واكراما لابنه رضي الله عنه
وفي هذا تصريح بان ابن ابي كان مع المسلمين في بدر وفي الحديبية ثم سال ابنه رضي الله
عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يصلي عليه اي فقال له اسالك يا رسول الله ان تقوم
على قبره ولا تشمت به الاعداء اي وذلك بعد سؤال والده له صلى الله عليه وسلم في ذلك
كما تقدم عن القاضي البيضاوي فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم ليصلي عليه فقام عمر
رضي الله عنه فاخذ بثوب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال يا رسول الله اتصلي عليه

وقد نهاك ربك ان تصلي عليه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انما خيرت فقال
استغفر لهم او لا تستغفر لهم ان تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم وسازيد
على السبعين وفي رواية اتصلي على ابن ابي وقد قال كذا في يوم كذا وكذا اعدد عليه قوله
فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال اخر عني يا عمر فلما اكثرت عليه صلى الله عليه
وسلم قال اني خيرت لو اعلم اني ان زدت على السبعين يغفر له لزدت عليها
فصلى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله تعالى ولا تصل على احد منهم مات
ابدا ولا تقم على قبره الى قوله تعالى وهم فاسقون ولينظر ما معنى التخيير في الاية واما
الجمع بين قوله سازيد على السبعين وبين قوله لو اعلم اني ان زدت على السبعين يغفر
له لزدت عليها ثم رايت القاضي البيضاوي قال في وجه التخيير وقوله سازيد على
السبعين انه صلى الله عليه وسلم فهم من العدد المخصوص لانه الاصل فجوز ان يكون ذلك
حدا يخالفه حكم ما وراءه فبين له اي الحق سبحانه ان المراد به التكثير بقوله في
الاية الاخرى سواء عليهم استغفرت لهم ام لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم هذا كلامه وح
يشكل قوله لو اعلم اني ان زدت على السبعين يغفر له لزدت عليها فان هذا مقتض لعدم
الصلاة عليه لا للصلاة عليه فليتامل وقد قال علي كرم الله وجهه ان في القرآن لـ
راي عمر وقد جاء ما قال الناس في شيء وقال فيه عمر الا جاء القرآن بنحو ما قال اي يقول
عمر وقد اوصل بعضهم موافقاته رضي الله عنه اي نزول فيها القرآن على وفق ما
قال وما اراد الى اكثر من عشرين اي وقد افردها بعضهم بالتاليف وقد سئل عنها
الجلال السيوطي رحمه الله فاجاب عنها نظما قال عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ما نزل
بالناس امر قط قال الناس وقال عمر الا نزل القرآن على نحو ما قال وعن مجاهد رحمه الله
تعالى كان عمر رضي الله عنه يرى الراي فينزل به القرآن وقد قال صلى الله عليه
وسلم ان الله جعل الحق على لسان عمر وقلبه ومن موافقاته رضي الله عنه ما سيأتي
في اسارى بدر ومنها انه لما سمع قوله تعالى ولقد خلقنا الانسان من سلالة من
طين الاية قال فتبارك الله احسن الخالقين فنزلت كذلك ومنها ان بعض اليهود
قال له جبريل الذي يذكره صاحبكم عدو لنا فقال من كان عدوا لله وملائكته
ورسله وجبريل وميكال فان الله عدو للكافرين فنزلت كذلك واستاذن رضي الله
عنه النبي صلى الله عليه وسلم في العمرة فاذن له وقال يا اخي لا تنسانا من دعائك
وفي رواية يا اخي اشركنا في صالح دعائك ولا تنسانا قال عمر رضي الله عنه ما احب
ان لي بقوله يا اخي ما طلعت عليه الشمس وجاء لو كان بعدي نبي لكان عمر بن الخطاب
وجاء اول من يصافحه الحق جل وعز عمر بن الخطاب واول من يسلم عليه وجاء ان
الله وضع الحق على لسان عمر يقول به وقد نزل القرآن ما قال مصعب بن عمير رضي
الله عنه كان اللواء بيده يوم احد وسمع الصوت ان محمدا قد قتل صار يقول

وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل والله تعالى اعلم

باب اجتماع المشركين على منابذة بني هاشم وبني المطلب بني عبد مناف وكتابة الصحيفة

ولما اجتمع كفار قريش على قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا قد افسد ابناءنا ونساءنا وقالوا لقومه خذوا منا دية مضاعفة ويقتله رجل من غير قريش وتريحونا وتريحوا انفسكم فابى قومه فعند ذلك اجتمع رايهم على منابذة بني هاشم وبني المطلب واخراجهم من مكة الى شعب ابي طالب فيه تصريح بان شعب ابي طالب كان خارج عن مكة والتضييق عليهم بمنع حضور الاسواق وان لا يناكحوهم وان لا يقبلوا لهم صلحا ابدا ولا تاخذهم بهم رافة حتى يسلموا رسول الله صلى الله عليه وسلم للقتل اي وفي لفظ لا تنكحوهم ولا تنكحوا اليهم ولا تبيعوهم شيئا ولا تقبلوا منهم صلحا الحديث وكتبوا بذلك صحيفة وعلقوها في الكعبة اي توكيدا على انفسهم وقيل كانت عند خالة ابي جهل وقد يجمع بانه يجوز ان تكون كانت عندها قبل ان تعلق في الكعبة على انه سياتي انه يجوز ان الصحيفة تعددت وكان اجتماعهم وتحالفهم في خيف بني كنانة بالابطح وسمي محصبا وهو باعلى مكة عند المقابر فدخل بنو هاشم وبنو المطلب مومنهم وكافرهم الشعب الا ابا لهب فانه ظاهر عليهم قريشا وكان سنه صلى الله عليه وسلم حين دخل معهم الشعب ستة واربعين سنة في الصحيح واتهم جهد واتى الشعب حتى كادوا يا كلون الخبط وورق الشجر **وفي كلام السهيلي** رحمه الله كانوا اذا قدمت العير مكة ياتي احدهم السوق ليشتري شيئا من الطعام يقتاته فيقوم ابو لهب فيقول يا معشر قريش التجار غلوا على اصحاب محمد حتى لا يدركوا شيئا معكم فقد علمتم مالي ووفاء ذمتي فيزيدون عليهم في السلعة قيمتها اضعافا حتى يرجع الى اطفاله وهم يتضاغون من الجوع وليس في يده شي يعللهم به فيغدوا التجار على ابي لهب فيربحهم هذا كلامه ولعله لا منافاة بين خروج احدهم للسوق اذا جاءت العير بالميرة الى مكة وكونهم منعوا من الاسواق والمبالغة لهم كما لا يخفى **وكان** دخولهم الشعب هلال المحرم سنة سبع من النبوة وح امر رسول الله صلى الله عليه وسلم من كان بمكة من المسلمين ان يخرجوا الى ارض الحبشة **اقول** وفي رواية ان خروج بني هاشم وبني المطلب الى الشعب لم يكن باخراج قريش لهم وانما خرجوا اليه لان قريشا لما قدم عليهم عمرو بن العاص من عند النجاشي خايبا وردت معه هديتهم وقد صاحبه الذي هو عمارة بن الوليد وبلغهم اكرام النجاشي لجعفر ومن معه من المسلمين رضي الله عنهم اي كما سياتي وظهور الاسلام في القبايل كبر ذلك عليهم واشتد اذاهم على المسلمين واجمع رايهم على ان يقتلوا النبي صلى الله عليه وسلم فلما بلغ ذلك ابو طالب جمع بني هاشم والمطلب مومنهم وكافرهم وامرهم ان يدخلوا برسول الله صلى الله عليه وسلم الشعب ويمنعوه ففعلوا فبنو هاشم وبنو المطلب كانوا شيئا واحدا لم يفترقوا حتى دخلوا معهم في الشعب وانخزل بنو عمهم بنو عبد شمس وبنو نوفل ولهذا يقول ابو طالب في قصيدة بقوله

جزي

جزى الله عنا عبد شمس ونوفلا ۞ عقوبة شر عاجلا غير آجل ۞

وقال في قصيدة اخرى ۞

جزى الله عنا عبد شمس ونوفلا ۞ وتيما ومخزوما عقوقا وماثما ۞

فلما علمت قريش ذلك اجمع رايهم على ان يكتبوا عهودا ومواثيق على ان لا يجالسوهم الحديث وفيه انه سياتي ان خروج عمرو بن العاص الى الحبشة انما كان بعد الهجرة الثانية وهي بعد دخول بني هاشم والمطلب الشعب والله اعلم

باب الهجرة الثانية الى ارض الحبشة

لا يخفى انه لما وقع ما ذكر انطلق الى الحبشة عامة من امن بالله ورسوله صلى الله عليه وسلم اي غالبهم فكانوا عند النجاشي ثلاثة وثمانين رجلا وثمان عشرة امراة وهذا بناء على ان عمار بن ياسر رضي الله عنه كان منهم وقد اختلف في ذلك وكلام الاصل يميل اليه وكان من الرجال جعفر بن ابي طالب ومعه اسماء بنت عميس والمقداد بن الاسود وعبد الله بن مسعود وعبيد الله بالتصغير بن جحش ومعه امراته ام حبيبة رضي الله عنها بنت ابي سفيان فتنصر هناك ثم مات على النصرانية اي وبقيت ام حبيبة رضي الله عنها على اسلامها قالت رايت في المنام كان زوجي عبيد الله بن جحش باسوا حال وتغيرت صورته فاذا هو يقول حين اصبح يا ام حبيبة اني نظرت في الدين فلم ار دينا خيرا من النصرانية وقد كنت دنت بها ثم دخلت في دين محمد ثم خرجت الى دين النصرانية قالت فقلت له والله ما خير لك واخبرته بما رايت له فلم يحفل ذلك واكب على الخمر يشربه حتى مات فرايت في المنام كان اتيا يقول لي يا ام المومنين ففزعت فاولتها بان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتزوجني فكان كذلك **اي وذكر ابن اسحاق** رحمه الله ان ابا موسى الاشعري رضي الله عنه هاجر الى الحبشة ومراده انه هاجر اليها من اليمن لا من مكة كما فهم الواقدي فاعترض عليه بذلك ففي ابي موسى رضي الله عنه انه بلغه مخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو باليمن فخرج هو ونحو خمسين رجلا في سفينة مهاجرين اليه صلى الله عليه وسلم فالقتهم السفينة الى النجاشي بالحبشة فوجدوا جعفر واصحابه رضي الله عنهم وقدم هو وجعفر عند فتح خيبر كما سياتي وبهذا يندفع تول بعضهم ما ذكره بعضهم ابن اسحاق من ان ابا موسى الاشعري هاجر من مكة الى ارض الحبشة من الغريب جدا ولعله مدرج من بعض الروايات **فاقاموا** بخير دار عند خير جار **فبعثت قريش** خلفهم عمرو بن العاص ومعه عمارة بن الوليد بن المغيرة التي ارادت قريش لابي طالب ليكون بدلا عن النبي صلى الله عليه وسلم اذا قتلوه بهدية الى النجاشي والهدية ادما وجبة ديباج اي واهدوا لعظما الحبشة ليردوا من جا اليهم من المسلمين فلما دخلا عليه سجدا له وقعد واحد عن يمينه والاخر عن شماله وفي كلام بعضهم فاجلس عمرو بن العاص على سريره وقبل هديتهما فقالا ان نفرا من بني عمنا نزلوا ارضك فرغبوا عنا وعن الهتنا اي ولم يدخلوا في دينكم بل جاوا بدين مبتدع

مطلب في ارسال قريش لرد من هاجر الى الحبشة

لا نعرفه نحن ولا انتم وقد بعثنا الى الملك فيهم اشراف قريش لتردهم اليهم قال واين هم
قالوا بارضك فارسل في طلبهم اي وقالوا له عظما الحبشة ادفعهم اليهما فهما اعرف بهم فقال
لا والله حتى اعرف على اي شي هم فقال عمرو هم لا يسجدون للملك وفي لفظ لا يحيون لك
ولا يحيونك كما يحييك الناس اذا دخلوا اليك رغبة عن سنتكم ودينكم فلما جاوا قال
لهم جعفر رضي الله عنه انا خطيبكم اليوم اي فانه لما جاهم رسول النجاشي يطلبهم اجتمعوا
ثم قال بعضهم لبعض ما تقولون للرجل اذا جئتموه قال جعفر ما ذكر وقال وانما نقول ما علمنا
وما امرنا به رسول الله صلى الله عليه وسلم ودع يكون ما يكون وقد كان النجاشي دعا
اساقفته وامرهم بنشر مصاحفهم حوله فلما جا جعفر واصحابه صاح جعفر وقال جعفر بالباب
يستاذن ومعه حزب الله فقال النجاشي نعم يدخل بامان الله وذمته فدخل عليه ومن معه
ودخلوا خلفه فسلم فقال له الملك ما لك لا تسجد وفي لفظ ان عمرو قال لعمارة الا
ترى كيف يكنون بحزب الله وما اجابهم به وان عمرو قال للنجاشي الا ترى ايها الملك انهم
مستكبرون لم يحيوك بتحيتك فقال لهم النجاشي ما منعكم ان تسجدوا لي وتحيوني بتحيتي التي
احيا بها فقال جعفر رضي الله عنه انا لا نسجد الا لله عز وجل قال ولم ذاك قال لان الله
ارسل فينا رسوله وامرنا ان لا نسجد الا لله عز وجل واخبرنا ان تحية اهل الجنة السلام
فحييناك بالذي نحيي به بعضنا بعضا وعرف النجاشي ذلك لانه كذلك في الانجيل كما قيل اي
وامرنا بالصلاة اي غير الخمس لانها لم تكن فرضت بل التي هي ركعتان بالغداة وركعتان
بالعشي اي ركعتان قبل طلوع الشمس وركعتان قبل غروبها على ما تقدم والزكاة اي مطلق
الصدقة لا زكاة المال لانها انما فرضت بالمدينة اي في السنة الثانية او مراده بالزكاة الطهارة
قال عمرو بن العاص للنجاشي فانهم يخالفونك في ابن مريم ولا يقولون انه ابن الله قال فما
تقولون في ابن مريم وامه قال نقول كما قال الله عز وجل روح الله وكلمته القاها الى
مريم العذرا اي البكر البتول اي المنقطعة عن الازواج التي لم يمسها بشر ولم يفتضها اي
يشقها وما بنح منها ولدا اي غير عيسى صلى الله عليه وسلم فقال النجاشي يا معشر الحبشة
والقسيسين والرهبان ما يزيدون على ما تقولون اشهد انه رسول الله وانه الذي بشر
به عيسى عليه السلام في الانجيل اي ومعنى كونه روح الله انه حاصل من نفخة القدس الذي
هو جبريل عليه السلام ومعنى كونه كلمة الله تعالى انه قال له كن فيكون اي حصل في حال
القول وفي لفظ ان النجاشي قال لمن عنده من القسيسين والرهبان انشدكم بالله الذي انزل
الانجيل على عيسى عليه السلام هل تجدون بين عيسى عليه السلام وبين يوم القيامة نبيا
مرسلا اي على صفة ما ذكر هولا فقالوا اللهم نعم قد بشرنا به عيسى عليه السلام فقال
من امن به فقد امن بي ومن كفر به كفر بي فعند ذلك قال النجاشي والله لولا ما انا فيه من
الملك لاتيته فاكون انا الذي احمل نعله واوضيه اي اغسل يديه وقال للمسلمين انزلوا
حيث شئتم سيوم بارضي اي امنون بها وامر لهم بما يصلحهم من الرزق وقال من نظر الى

هولا

١

هولا الرهط نظرة توذيهم فقد عصاني وفي لفظ ثم قال اذهبوا فانتم امنون من سبكم
غرم قالها ثلاثا اي اربع دراهم وضعفها كما جا في بعض الروايات وامر بهدية عمرو
ورفيقه فردت عليهما وفي لفظ ان النجاشي قال ما احب ان يكون لي دبر من ذهب اي
جبلا واني اوذي رجلا منكم ردوا عليهم هداياهم فلا حاجة لي بها فوالله ما اخذ الله مني
الرشوة حين رد علي ملكي فاخذ الرشوة وما اطاع في فاطيعهم فيه وكان النجاشي
اعلم النصارى بما انزل على عيسى عليه السلام وكان قيصر يرسل اليه علما النصارى
لتاخذ عنه العلم اي وقد بينت عائشة رضي الله عنها السبب في قول النجاشي ما اخذ
الله تعالى مني الرشوة حين رد علي ملكي وهو ان والد النجاشي كان ملكا للحبشة فقتلوه
وولوا اخاه الذي هو عم النجاشي فنشا النجاشي في حجر عمه وكان لعمه اثنا عشر ولدا لا
يصلح واحد منهم للملك فلما رات الحبشة نجابة النجاشي خافوا ان يتولى عليهم فيقتلهم
بقتلهم لابيه فمشوا الى عمه في قتله فابى فاخرجوه وباعوه ثم لما كان عشا تلك الليلة مرت
على عمه صاعقة فمات فلما رات الحبشة ان لا يصلح امرها الا النجاشي ذهبوا اليه وجاوا
به من عند الذي اشتراه وعقدوا له التاج وملكوه عليهم فسار فيهم سيرة حسنة
وفي رواية ما يقتضي ان الذي اشتراه رجل من العرب وانه ذهب به الى بلاده ومكث
عنده مدة ثم لما مرج امر الحبشة وضاق عليهم ما هم فيه خرجوا في طلبه واتوا به من
عند سيده ويدل لذلك ما سياتي عنه ان عنده وقعة بدر ارسل خلف من عنده من المسلمين
فدخلوا عليه فاذا هو قد لبس مسحا وقعد على التراب والرماد فقالوا له ما هذا ايها
الملك فقال انا نجد في الانجيل ان الله سبحانه اذا احدث لعبده نعمة وجب على العبد ان
يحدث تواضعا وان الله تعالى قد احدث الينا واليكم نعمة عظيمة وهي ان محمدا صلى الله
عليه وسلم النبي هو واصحابه واعداءه بواد يقال له بدر كثير الاراك كنت ارعى فيه الغنم
لسيدي وهو من بني ضمرة وان الله تعالى قد هزم اعداءه فيه ونصر دينه وذكر السهيلي
رحمه الله ان بكاءه عندما تليت سورة مريم اي كما سياتي حين حضر الحبشة يدل على طول
مكثه ببلاد العرب حتى تعلم من لسان العرب ما فهم به تلك السورة قال جعفر بن ابي طالب
رضي الله عنه لما نزلنا ارض الحبشة جاورنا خير جار امنا على ديننا وعبدنا الله تعالى لا
نوذى ولا نسمع شيئا نكرهه فلما بلغ ذلك قريشا ايتمروا ان يبعثوا رجلين جلدين وان يهدوا
للنجاشي هدايا مما يستطرف من متاع مكة وكان اعجب ما ياتيه منها الادم فجمعوا له ادما
كثيرا ولم يتركوا من بطارقته بطريقا الا واهدوا له هدية اي هيؤوا له هدية ولا يخالف
ذلك ما ان الهدية كانت فرسا وجبة ديباج لانه يجوز ان يكون بعض الادم ضم الى
تلك الفرس والجبة للملك وبقية الادم فرقا على اتباعه ليما ونوهما على ما جاوا بصدده
والاقتصار على الفرس والجبة في الرواية السابقة لان ذلك خاص بالملك ثم بعثوا عمارة
بن الوليد وعمرو بن العاص فطلبان من النجاشي ان يسلمنا لهما اي قبل ان يكلمنا وحسن له

بطارقته لانهما وصلاهم ايا هم اليهم وقالوا لهم اذا نحن كلمنا الملك فيهم فاشيروا عليه بان يسلمهم الينا قبل ان يكلمهم اي موافقة لما اتفقت عليه قريش فقد ذكرا ثم قالوا لهما ادفعوا لكل بطريق هديته قبل ان تكلما النجاشي فيهم ثم قدما الي النجاشي هداياه ثم اسالاه ان يسلمهم اليكما قبل ان يكلمهم فلما جاءا الي الملك وقالا له ايها الملك انه قد صبا الي بلدكم منا غلمان سفهاء فارقوا دين قومهم ولم يدخلوا في دينك وجاءوا بدين مبتدع لا نعرفه نحن ولا انت اي جاءهم به رجل كذاب خرج فينا يزعم انه رسول الله ولم يتبعه منا الا السفهاء وقد بعثنا اليك فيهم اشراف قومهم من ابائهم واعمامهم وعشائرهم لتردهم اليهم فهم اعلم بما عابوا عليهم فقال فقال بطارقته صدقا ايها الملك قومهم اعلم بهم فاسلمهم اليهما ليرداهم الي بلادهم ۞ وقومهم فغضب النجاشي فقال لاها الله اي لا والله لا اسلمهم ولا يكاد قوم جاوروني ونزلوا بلادي واختاروني علي من سواي حتي ادعوهم فاسالهم عما يقول هذان من امرهم فان كان كما يقولان سلمتهم اليهما والا منعتهما منهم واحسنت جوارهم ما جاوروني ثم ارسل الينا ودعانا فلما دخلنا سلمنا فقال من حضره ما لكم لا تسجدون للملك قلنا لا نسجد الا لله عز وجل فقال لنا النجاشي ما هذا الدين الذي فارقتم فيه قومكم ولم تدخلوا في ديني ولا في دين احد من الملوك فقلنا ايها الملك كنا قوما اهل جاهلية نعبد الاصنام ونأكل الميتة ۞ ونأتي الفواحش ونقطع الارحام ونسيء الجوار ويأكل القوي الضعيف فكنا علي ذلك حتي بعث الله لنا رسولا كما بعث الرسل الي من قبلنا وذلك الرسول منا نعرف نسبه وصدقه وامانته وعفافه فدعانا الي الله عز وجل تعالي لنوحده ونعبده ونخلع اي نترك ما كان يعبد اباؤنا الحجارة والاوثان وامرنا ان نعبد الله تعالي وحده وامرنا بالصلاة اي ركعتين بالغداة ۞ وركعتين بالعشي والزكاة اي مطلق الصدقة والصيام اي ثلاثة ايام من كل شهر وهي البيض اي او ثلاثة علي الخلاف في ذلك وامرنا بصدق الحديث واداء الامانة وصلة الارحام وحسن الجوار والكف عن المحارم والدماء ونهانا عن الفواحش وقول الزور واكل مال اليتيم وقذف المحصنة فصدقناه وامنا به واتبعناه علي ما جاء به فعدا علينا قومنا ليردونا الي عبادة ۞ الاصنام واستحلال الخبائث فلما قهرونا وظلمونا وضيقوا علينا وحالوا بيننا وبين ديننا خرجنا الي بلادك واخترناك علي من سواك ورجونا ان لا نظلم عندك ايها الملك فقال النجاشي لجعفر هل عندكم مما جاء به شيء قال نعم قال فاقراه علي فقرات عليه صدرا من كهيعص فبكي النجاشي حتي اخضل اي بل لحيته وبكت اساقفته وفي لفظ هل عندك مما جاء به عن الله شيء فقال جعفر نعم قال فاقراه علي قرائته قال البغوي فقرا عليه سورة العنكبوت والروم ففاضت عيناه واعين اصحابه بالدمع وقالوا زدنا يا جعفر من هذا الحديث الطيب فقرا عليهم ۞ الكهف فقال النجاشي هذا والله الذي جاء به موسي وفي رواية ان هذا والذي جاء به موسي ليخرج من مشكاة واحدة اي وهذا كما قيل يدل علي ان عيسي كان مقررا لما جاء به موسي وفي رواية بدل موسي عيسي ويؤيده ما في لفظ انه قال ما زاد هذا علي ما في

الانجيل الا هذا العود لعود كان في يده اخذه من الارض وفي لفظ ان جعفرا قال للنجاشي سلهما اعبيد نحن ام احرار فان كنا عبيدا ابقنا من اربابنا فارددنا اليهم فقال عمرو بل احرار فقال جعفر سلهما هل اهرقنا دما بغير حق فيقتص منا هل اخذنا اموال الناس بغير حق فعلينا قضاؤه فقال عمرو لا فقال النجاشي لعمرو وعمارة هل لكما عليهم دين قالا لا قال انطلقا فوالله لا اسلمهم اليكما ابدا زاد في رواية ولو اعطيتموني دبرا من ذهب اي جبلا من ذهب ثم غدا عمرو الي النجاشي اي اتي اليه في غد ذلك اليوم ۞ وقال له انهم يقولون في عيسي عليه السلام قولا عظيما اي يقولون انه عبد اي وانه ليس ابن الله وفي لفظ ان عمرا قال للنجاشي ايها الملك انهم ليشتمون عيسي وامه في كتابهم فاسالهم فذكر له جعفر رضي الله عنه ما تقدم في الرواية الاولي هذا وعن عروة بن الزبير رضي الله عنهما انما كان يكلم النجاشي عثمان بن عفان وهو حصر عجيب فليتامل وروي الطبراني عن ابي موسي الاشعري بسند فيه رجال الصحيح ان عمرو بن العاص مكر بعمارة بن الوليد اي للعداوة التي وقعت بينه وبينه في سفرهما اي من عمرو بن العاص كان معه زوجته وكان قصيرا دميما وكان عمارة رجلا جميلا ففتنت به امراة عمرو وهويته فتر هو واياه في السفينة فقال له عمارة مر امراتك فلتقبلني فقال له عمرو الا تستحي فاخذ عمارة عمرا ورمي به في البحر فجعل عمرو يسبح وينادي اصحاب السفينة ويناشد عمارة حتي ادخله السفينة واضمرها عمرو في نفسه ولم يبدها لعمارة بل قال لامراته قبلي ابن عمك عمارة لتطيب بذلك نفسه فلما اتيا ارض الحبشة مكر به عمرو فقال له انت رجل جميل والنساء يحببن الجمال فتعرض لزوجة النجاشي لعلها ان تشفع لنا عنده ففعل عمارة ذلك وتكرر ترداده عليها حتي اهدت اليه من عطرها اي ودخل عندها يوما فلما راي ذلك عمرو اتي الي النجاشي واخبره بذلك اي فقال له ان صاحبي هذا صاحب نساء وانه يريد اهلك وهو عندها الان فاعلم علم ذلك فبعث النجاشي فاذا عمارة عند امراته فقال لولا انه جاري لقتلته ولكن سافعل به ما هو شر من القتل فدعا بساحر فنفخ في احليله نفخة صار منها هائما علي وجهه مسلوب العقل حتي لحق بالوحوش في الجبال الي ان مات علي تلك الحال اي

ومن شعر عمرو بن العاص يخاطب به عمارة بن الوليد ۞

۞ اذا المرء لم يترك طعاما يحبه ۞ ولم ينه قلبا غاويا حيث يمما ۞
۞ قضي وطرا منها وغادر سبة ۞ اذا ذكرت امثالها تملا الفما ۞

اي ولا زال عمارة مع الوحوش الي ان كان موته في خلافة عمر بن الخطاب وان بعض الصحابة وهو ابن عمه عبد الله بن ابي ربيعة في زمن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قد استاذنه في المسير اليه لعله يجده فاذن له عمر رضي الله عنه فسار عبد الله الي ارض الحبشة واكثر النشدة عنه والفحص عن امره حتي اخبر انه في جبل مع الوحوش اذا وردت ويصدر معها اذا صدرت فجاء اليه وامسكه فجعل يقول ارسلني والا اموت فلم يرسله فمات

من ساعته وسيأتي بعد غزوة بدر انهم ارسلوا للنجاشي عمرو بن العاص ايضا وعبد الله
بن ابي ربيعة هذا وكان اسمه قبل ان يسلم بحيرا فلما اسلم سماه رسول الله صلى الله عليه وسلم
عبد الله وابو ربيعة الذي هو ابو عبد الله كان يقال له ذو الرمحين وام عبد الله هي
ام ابي جهل بن هشام فهو اخو ابي جهل لامه وارسلوهما اليه ليدفع اليهما من عنده
من المسلمين ليقتلوهم بمن قتل ببدر ومن العجب ان صاحب المواهب ذكر ارسال قريش
لعمرو بن العاص وعبد الله بن ابي ربيعة ومعهما عمارة بن الوليد في الهجرة الاولى
للحبشة وانما كان عمرو وعمارة في الهجرة الثانية وابن ابي ربيعة انما كان مع عمرو
بعد بدر كما علمت وان كان يمكن ان يكون عبد الله بن ابي ربيعة ارسلته قريش مرتين
الا انه يبعد ويرده قول بعضهم ان قريشا ارسلت في امر من هاجر الى الحبشة مرتين
الاولى ارسلت عمرو بن العاص وعمارة والثانية ارسلت عمرو بن العاص وعبد الله بن
ابي ربيعة فليتأمل ومكث بنو هاشم وبنو المطلب في الشعب ثلاث سنين وقيل سنتين
في اشد ما يكون من البلا وضيق العيش وولد عبد الله بن عباس في الشعب فمن قريش من
سره ذلك ومنهم من ساءه ذلك وقال انظر واما اصاب كاتب الصحيفة من شلل يده كما
سيأتي وصاروا لا يتركون احدا ان يوصل اليهم طعاما ولا اداما حتى ان ابا جهل لعنه الله لقي
حكيم بن حزام ومعه غلام يحمل قمحا يريد عمته خديجة زوج النبي صلى الله عليه وسلم وهي
معه في الشعب فتعلق به فقال اتذهب بالطعام الى بني هاشم والله لا تذهب
انت وطعامك بمكة فقال له ابو البختري بن هشام مالك وماله فقال له ابو جهل لعنه الله
انه يحمل الطعام لبني هاشم فقال ابو البختري طعام كان لعمته عنده افتمنعه ان يأتيها
خل سبيل الرجل فابى ابو جهل حتى نال احدهما من صاحبه فاخذ ابو البختري لحي بعير
اي العظم الذي تنبت عليه الاسنان فضربه فشجه ووطئه وطئا شديدا وابو
البختري بالحا المهملة وفي مختصر اسد الغابة بالخا المعجمة ممن قتل ببدر كافرا وجاء ان عمر
بن الحارث العامري رضي الله عنه فانه اسلم بعد ذلك ادخل عليهم في ليلة ثلاثة احمال
طعاما فعلمت بذلك قريش فمشوا اليه حين اصبح وكلموه في ذلك فقال اني غير عائد لشيء
خالفكم ثم ادخل عليهم ثانيا جملا وقيل جملين فعلمت به قريش فغالظته اي اغلظت
له وهمت به فقال ابو سفيان بن حرب رضي الله عنه دعوه رجل وصل رحمه اما اني احلف بالله
لو فعلنا مثل ما فعل كان احسن بنا وكان ابو طالب في كل ليلة يأمر رسول الله صلى الله
عليه وسلم ان يأتي فراشه ويضطجع به فاذا نام الناس اقام صلى الله عليه وسلم وامر
احد بنيه او غيرهم من اخوته او بني عمه ان يضطجع مكانه خوفا عليه صلى الله عليه وسلم
ان يغتاله احد ممن يريد به السوء اي وفي الشعب ولد عبد الله بن عباس رضي الله عنهما
كما تقدم ثم اطلع الله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم على الارضة وهي السوسة
التي تاكل الخشب اذا مضى لها سنة نبت لها جناحان تطير بهما وهي التي دلت الجن على

موت سا

موت سليمان على نبينا وعليه افضل الصلاة والسلام الا ما في الصحيفة من ميثاق
وعهد اي الالفاظ المتضمنة للظلم وقطيعة الرحم ولم تدع فيها اسما لله تعالى الا اثبتته
فيها وفي رواية لم تترك الارضة في الصحيفة اسما لله عز وجل الا لحسته وبقي ما فيها
من شرك وظلم وقطيعة رحم اي والرواية الاولى اثبت من الثانية قال وجمع بين ه
الروايتين بانهم كتبوا نسخا فاكلت الارضة من بعض النسخ اسم الله تعالى واكلت من بعض
النسخ ما عدا اسم الله تعالى كما يدل عليه ما يأتي فذكر ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم
لعمه ابي طالب فقال له صلى الله عليه وسلم عمه والثواقب اي النجوم لانها تثقب الشياطين
وقيل التي تضيء فتثقب الظلام بضوئها وقيل الثريا خاصة لانها اشد النجوم ضوءا ما
كذبتني يا ابن اخي قط اي ما حدثتني حديثا كذبا وفي رواية انه قال له صلى الله عليه وسلم
اربك اخبرك بهذا الخبر قال نعم فانطلق في عصابته من اي جماعة من قومه اي من بني
هاشم وبني المطلب اي وفي رواية ان ابا طالب لما ذكر ذلك لاهله قالوا فما ترى قال
اري ان تلبسوا احسن ثيابكم وتخرجوا الى قريش فتذكروا ذلك لهم قبل ان يبلغهم الخبر
فخرجوا حتى اتوا المسجد على خوف من قريش فلما رأتهم قريش ظنوا انما خرجوا من شدة
البلا ليسلموا رسول الله صلى الله عليه وسلم للقتل فتكلم معهم ابو طالب قال قد جرت
امور بيننا وبينكم فأتوا بصحيفتكم التي فيها مواثيقكم فلعله ان يكون بيننا صلح اي مخرج
وانما قال ابو طالب ذلك خشية ان ينظروا في الصحيفة قبل ان يأتوا بها اي فلا يأتون
بها فاتوا بصحيفتهم لا يشكون ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدفع اليهم اي لانهم
الذي وقعت عليه العهود والمواثيق فوضعوها بينهم وقالوا لابي طالب اي توبيخا له
ولمن معه قد ان لكم ان ترجعوا عما احدثتم علينا وانفسكم فقال ابو طالب انما اتيتكم
في امر نصف بيننا وبينكم اي امر وسط فيه علينا وعليكم ان ابن اخي اخبرني ان هذه
الصحيفة التي بيننا وبينكم قد بعث الله عليها دابة لم تترك اسما من اسماء الله تعالى الا
لحسته وتركت فيها غدركم وتظاهركم علينا بالظلم اقول هذا على الرواية الثانية واما
على الرواية الاولى التي هي اثبت فيكون قوله لم تترك اسما له الا اثبتته ولحست
مواثيقكم وعهدكم ثم رايت ابن الجوزي رحمه الله تعالى ذكر ذلك فقال ان ابا طالب قال
ان ابن اخي قد اخبرني ولم يكذبني قط ان الله تعالى قد سلط على صحيفتكم التي كتبتم الارضة
فلحست كلما كان فيها من جور وظلم وقطيعة رحم وبقي فيها كلما ذكر الله تعالى في [illegible]
ان ابا طالب قال لما حضرت الصحيفة ان صحيفتكم هذه صحيفة اثم وقطيعة رحم وان
ابن اخي اخبرني ان سلط عليها الارضة فلم تدع مما كتبتم الا باسمك اللهم والله تعالى اعلم
قال ابو طالب فان كان الحديث كما يقول فافيقوا اي وفي رواية فانزعوا اي ارجعوا عن
سوء رايكم اي وان لم ترجعوا فوالله لا نسلمكم حتى نموت من عند اخرنا وان كان الذي
يقول باطلا دفعنا اليكم صاحبنا فقتلتم او استحييتم فقالوا قد رضينا بالذي تقول

اي وفي رواية انصمتنا فضحوا الصحيفة فوجدوا الامر كذلك كما اخبر به الصادق المصدوق
صلى الله عليه وسلم فلما رات قريش صدق ما جا به ابو طالب قال لوا اي قال اكثرهم هذا
سحر ابن اخيك وزادهم ذلك بغيا وعدوانا وبعضهم ندم وقال هذا بغي منا على اخواننا
وظلم لهم **وقد جاء** ان ابا طالب قال لهم اي بعد ان وجدوا الامر كما اخبر به صلى الله عليه
وسلم يا معشر قريش فعلام نحصر ونحبس وقد بان الامر وتبين انكم اولى بالظلم والقطيعة
والاساءة فدخلوا بين استار الكعبة وقالوا اللهم انصرنا على من ظلمنا وقطع ارحامنا
واستحل ما يحرم عليه منا ثم انصرفوا الى الشعب **وعند ذلك** مشى طايفة منهم وهم
خمسة في نقض الصحيفة اي ما تضمنته وهم هشام بن الحارث عمرو بن الحارث العامري وزهير
بن ابي امية بن المغيرة المخزومي بن عمته صلى الله عليه وسلم عاتكة بنت عبد المطلب وقد اسلم
بعد ذلك كالذي قبله كما تقدم وابو البختري بن هشام قتل ببدر كافرا كما تقدم وزمعة بن
الاسود بن المطلب قتل ببدر كافرا والمطعم بن عدي **واختلف** في كاتب الصحيفة فعند ابن سعد
رضي الله عنه انه بغيض بن عامر فشلت يده ولا يعرف له اسلام وعند ابن اسحاق رحمه الله ان
الكاتب لها هشام بن عمرو المتقدم ذكره **قال** وقيل ان الكاتب لها منصور بن عكرمة اي
فشلت يده كما يزعمون كذا في النور نقلا عن سيرة ابن هشام وقيل النضر بن الحارث فدعا عليه
رسول الله صلى الله عليه وسلم فشلت بعض اصابعه اي وهو ممن قتل على كفره منصرفه صلى
الله عليه وسلم من بدر وقيل الكاتب لها طلحة ابن ابي طلحة العبدري وقال ابن كثير المشهور
انه منصور ويجمع بين هذه الاقوال باحتمال ان يكون كتب بها نسخ اي فكل واحد كتب نسخة
انتهى اي ويتجه ان يكون الذي شلت يده كاتب الصحيفة التي علقت في الكعبة ولعلها هي
التي كتبت اولا والى اكل الارضة الصحيفة والى الخمسة الذين سعوا في نقضها اشار صاحب
الهمزية رحمه الله تعالى بقوله

فديت خمسة الصحيفة بالخمسة	ان كان للكرام فداء
فتية بيتوا على فعل خير	حمد الصبح فعلهم والمساء
يا لامر اتاه بعد هشام	زمعة انه الفتى الاتاء
وزهير والمطعم بن عدي	وابو البختري من حيث شاؤوا
نقضوا مبرم الصحيفة اذ شدت	عليه من العدا الانداء
اذكرتنا باكلها اكل منساة	سليمان الارضة الخرساء
وبها اخبر النبي وكم اخرج	خبأ له الغيوب خباء

اي فديت خمسة الصحيفة اي الناقضين لها بالخمسة المستهزئين السابق ذكرهم فتية بيتوا
اي تراودوا وتشاوروا بالحجون ليلا على فعل خير وهو نقض الصحيفة اتاه بعد هشام
زمعة بن الاسود وانه الكريم في قومه الاتاء اي المبالغ في اتيان الخير واتاه زهير واتاه
المطعم بن عدي واتاه ابا البختري من حيث المكان الذي قصدوه فنقضوا مبرم الصحيفة

اي الامر الذي ابرمته قريش اذكرتنا الارضة الخرساء باكلها تلك الصحيفة منساة سليمان
اي عصاه عليه السلام وباكلها للصحيفة اخبر النبي صلى الله عليه وسلم ومرات كثيرة
اخرج صلى الله عليه وسلم شيئا مخبأ الغيوب له ساترة والمراد ان كل واحد من هولاء
الخمسة الذين نقضوا الصحيفة فدي بواحد من الخمسة المستهزئين من الاذى الذي اصابهم
المتقدم ذكره فلا ينافي ان بعض هولاء الذين نقضوا الصحيفة مات كافرا **قال**
جا ان هشام بن عمرو بن الحارث رضي الله عنه اسلم بعد ذلك كما تقدم مشى الى زهير
بن ابي امية بن عاتكة بنت عبد المطلب رضي الله عنه فانه اسلم بعد ذلك ايضا كما تقدم
فقال له يا زهير ارضيت ان تاكل الطعام وتلبس الثياب وتنكح النسا واخوالك حيث قد
علمت لا يباعون ولا يبتاعون ولا ينكحون ولا ينكح اليهم فقال ويحك يا هشام فماذا اصنع
انما انا رجل واحد والله لو كان معي رجل اخر لقمت في نقضها حتى انقضها يعني الصحيفة
قال قد وجدت رجلا قال من هو قال انا فقال زهير ابغنا رجلا ثالثا فذهب الى المطعم
بن عدي فقال له يا مطعم ارضيت ان يهلك بطنان من بني عبد مناف يعني بني هاشم وبني
المطلب وانت شاهد على ذلك موافق لقريش فيه فقال ويحك ماذا اصنع انما انا رجل
واحد قال قد وجدت ثانيا قال من هو قال انا قال ابغنا ثالثا قال قد فعلت قال من
هو قال زهير ابن ابي امية قال ابغنا رابعا فذهب الى ابي البختري بن هشام فقال له
نحوا مما قال للمطعم فقال وهل من احد يعين على هذا الامر قال نعم قال من هو قال
زهير بن ابي امية والمطعم بن عدي وانا معك قال ابغنا خامسا فذهب الى زمعة بن
الاسود فكلمه وذكر له قرابتهم وحقهم فقال وهل من احد يعين على ذلك فسمى له القوم
ثم ان هولاء اتعدوا ليلا عند الحجون واجمعوا امرهم وتعاهدوا على القيام في نقض الصحيفة
حتى ينقضوها وقال زهير انا ابداكم فاكون اول من يتكلم فلما اصبحوا غدوا الى انديتهم
وغدا زهير وعليه حلة فطاف بالبيت ثم اقبل على الناس فقال يا اهل مكة انا ناكل الطعام
ونلبس الثياب وبنو هاشم اي والمطلب هلكى لا يباعون ولا يبتاع منهم والله لا اقعد حتى
تشق هذه الصحيفة القاطعة الظالمة فقال ابو جهل لعنه الله كذبت والله لا تشق قال
زمعة بن الاسود انت والله اكذب ما رضينا كتابتها حين كتبت قال ابو البختري صدق زمعة
لا نرضى ما كتب فيها ولا نقر به قال المطعم صدقتما وكذب من قال غير ذلك نبرا الى الله
تعالى منها ومما كتب فيها وقال هشام بن عمرو نحوا من ذلك فقال ابو جهل لعنه الله هذا
امر قضي بليل تشوور فيه بغير هذا المكان وابو طالب جالس في ناحية المسجد فقام المطعم
بن عدي الى الصحيفة فشقها اي وهذا يدل للرواية الدالة على ان الارضة لحست اسم
الله تعالى وابقت ما فيها من العهود والمواثيق والاقبح انما ذكر ليعني لشقها وفي
كلام بعضهم يحتمل ان ابا طالب انما اخبرهم بعد سعيهم في نقضها قال ابن حجر الهيتمي رحمه
الله ويجمع ان الاخبار بذلك ليس له كبير جدوى وقام هولاء الخمسة ومعهم جماعة وليسوا

السلام ثم خرجوا الى بني هاشم وبني المطلب فامروهم بالخروج الى مساكنهم ففعلوا

باب ذكر وفد نجران

ثم قدم عليه صلى الله عليه وسلم قوم من النصارى ونجران بلدة بين مكة
واليمن على نحو من سبع مراحل من مكة كانت منزلا للنصارى فكانوا نحو عشرين رجلا
حين بلغهم خبره صلى الله عليه وسلم ممن هاجر من المسلمين الى الحبشة فوجدوه صلى الله
عليه وسلم في المسجد فجلسوا اليه وسالوه وكلموه ورجال قريش في انديتهم حول الكعبة
ينظرون اليهم فلما فرغوا من مسالة رسول الله صلى الله عليه وسلم دعاهم الى الله تعالى وتلا
عليهم القرآن فلما سمعوه فاضت اعينهم من الدمع ثم استجابوا له صلى الله عليه وسلم وامنوا
به وعرفوا منه ما هو موصوف به صلى الله عليه وسلم في كتابهم فلما قاموا عنه اعترضهم
ابو جهل لعنه الله في نفر من قريش فقالوا خيبكم الله من ركب بعثكم من وراءكم من اهل
دينكم ترتادون اي تنظرون الاخبار لتاتوهم بخبر الرجل فلم تطمئن مجالسكم عنده حتى
فارقتم دينكم فصدقتموه بما قال لا نعلم ركبا احمق اي اقل عقلا منكم فقالوا لهم سلام
عليكم لا نجاهلكم لنا ما نحن عليه ولكم ما انتم عليه **ويقال** نزل فيهم قوله تعالى
الذين اتيناهم الى قوله لا نبتغي الجاهلين ونزل قوله تعالى واذا سمعوا ما انزل الى
الرسول ترى اعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق **وذكر في الوفا** وفود ضماد
الازدي عليه صلى الله عليه وسلم فقال عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ان ضمادا
قدم مكة وكان من ازد شنوءة وكان يرقي من الريح ولعل المراد به اللمم من الجن فسمع
سفهاء من اهل مكة يقولون ان محمدا مجنون فقال لو اني رايت هذا الرجل لعل الله
يشفيه على يدي قال فاتيته فقلت يا محمد انا ارقي من الريح فان الله يشفي على يدي من شاء
فهل لك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الحمد لله نحمده ونستعينه من يهدي الله
فلا مضل له ومن يضلل الله فلا هادي له واشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له وان
محمدا عبده ورسوله فقال له ضماد اعد علي كلماتك هؤلاء فاعادهن عليه رسول الله صلى
الله عليه وسلم ثلاث مرات فقال لقد سمعت قول الكهنة وقول الشعر فما سمعت مثل
كلماتك هؤلاء هات يدك ابايعك على الاسلام فبايعه وقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم
وعلى قومك قال وعلى قومي

باب ذكر وفاة عمه ابي طالب وزوجته صلى الله عليه وسلم خديجة رضي الله تعالى عنها

لنعلم انهما ماتا في عام واحد اي بعد خروج بني هاشم والمطلب من الشعب بثمانية وعشرين
يوما والى موتهما في عام واحد اشار صاحب الهمزية رحمه الله تعالى بقوله

وقضى عمه ابو طالب والدهر فيه السراء والضراء
ثم ماتت خديجة ذلك العام ونالت من احمد المناء

قد قرات عدة نسخ من الهمزية فلم اجد فيها هذين البيتين

وذلك قبل الهجرة الى المدينة الشريفة بثلاث سنين وبعد مضي عشر سنين من بعثته

صلى الله عليه وسلم اي بعد مجيء جبريل عليه السلام بالوحي وهو يرد قول ابن اسحاق
ومن تبعه ان خديجة ماتت بعد الاسرا وافاد كلام صاحب الهمزية رحمه الله ان موت خديجة
كان بعد موت ابي طالب بخمس وثلاثين ليلة ويؤيد ما في الهمزية قول الحافظ عماد
الدين بن كثير رحمه الله المشهور انه مات قبل خديجة رضي الله تعالى عنها اي بثلاثة
ايام وقوله بالحجون ودفنت بالحجون ونزل صلى الله عليه وسلم في حفرتها ولها من العمر خمس
وستون سنة ولم تكن الصلاة على الجنازة شرعت وذيل الفاكهاني في شرح الرسالة ان صلاة
الجنازة من خصايص هذه الامة لكنه ذكر ما يخالفه في الشرح المذكور حيث قال وروي ان
ادم عليه السلام لما توفي اتي بحنوط وكفن من الجنة ونزلت الملايكة عليهم السلام
فغسلته وكفنته في وتر من الثياب وحنطوه وتقدم ملك منهم فصلى عليه وصلت الملايكة
خلفه ثم قبروه والحدوه ونصبوا اللبن عليه وابنه شيث الزكي هو وصيه معهم فلما
فرغوا قالوا له هكذا فاصنع بولدك واخوتك فانها سنتكم هذا كلامه اي ويمكن انه لم
يفصل ذلك بعد القول المذكور له ويحمل ان المراد بالصلاة مجرد الدعا لان هذه الصلاة
المعروفة المشتملة على التكبير لكن يبعده ما في العرايس عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ان
ادم عليه السلام لما مات قال ولده شيث لجبريل عليه السلام صل عليه فقال له جبريل
بل انت تقدم فصل على ابيك فصلى عليه عليه السلام وكبر ثلاثين تكبيرة **وقد اخرج**
الحاكم نحوه مرفوعا وقال صحيح الاسناد ومنه نعلم ان الغسل والتكفين والصلاة والدفن
واللحد من الشرايع القديمة بناء على ان المراد بالصلاة الصلاة المشتملة على التكبير لا مجرد
الدعا ومن لا يحسن القول بان صلاة الجنازة من خصايص هذه الامة الا ان يقال لا يلزم من
كونها من الشرايع القديمة ان تكون معروفة لقريش اذ لو كانت كذلك لفعلوا ذلك وياتي
عنهم انهم لم يفعلوا ذلك وايضا لو كانت معروفة لهم لصلى صلى الله عليه وسلم على خديجة
رضي الله تعالى عنها ومن مات قبلها من المسلمين كالسكران بن عمرو زوج سودة بنت
زمعة ام المؤمنين الذي هو زوجها وسياتي انه صلى الله عليه وسلم لما قدم المدينة وجد
البراء بن معرور رضي الله تعالى عنه قد مات فذهب صلى الله عليه وسلم رضي الله عنهم وصلى
على قبره وانها اول صلاة صليت على ميت في الاسلام ومعلوم ان في الاصل مقصود لا يقال
يجوز ان يكون المراد بتلك الصلاة مجرد الدعا لانا نقول قد جاء انه صلى الله عليه وسلم كبر
في صلاته اربعا وقد روى هذه الصلاة تسعة من الصحابة ذكرهم السهيلي رحمه الله تعالى
وسياتي عن الامتاع لم اجد في شيء من السير متى فرضت صلاة الجنازة ولم ينقل انه صلى
الله عليه وسلم صلى على اسعد بن زرارة وقد مات في السنة الثانية **وفي كلام
بعضهم** صلاة الجنازة فرضت في السنة الاولى من الهجرة واول من صلى عليه رسول
الله صلى الله عليه وسلم اسعد بن زرارة رضي الله عنه فليتامل وفي كلام
بعضهم كانوا في الجاهلية يغسلون موتاهم وكانوا يكفنونهم ويصلون عليهم وهو ان

وهو ان تقوم ولي الميت بعد ان توضع على سريره وتكفن بمحاسنه كلها وتثني عليه
ثم تقول عليك رحمة الله ثم يدفن اي وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم سمى ذلك العام
عام الحزن ولزم بيته واقل الخروج وكانت مدة اقامتها رضي الله تعالى عنها معه صلى
الله عليه وسلم خمسة وعشرين سنة على الصحيح **ويذكر** انه صلى الله عليه وسلم دخل
على خديجة رضي الله تعالى عنها وهي مريضة فقال لها يا خديجة اتكرهين ما ارى منك وقد
يجعل الله في الكره خيرا اشعرت ان الله قد اعلمني انه سيزوجني وفي رواية اما علمت ان
الله قد زوجني معك في الجنة مريم ابنة عمران وكلثم اخت موسى اخت موسى عليه السلام
وفي الجنة ابن عمها قارون الكبيا واسية امراة فرعون فقالت اعلمك الله بهذا يا رسول
الله وفي رواية ان الله فعل ذلك يا رسول الله قال نعم قالت بالرفا والبنين وفي رواية
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اطعم خديجة رضي الله عنها من عنب الجنة وقولها بالرفا
والبنين هو دعا كان يدعى به في الجاهلية عند التزويج والمراد به الموافقة والملايمة هو
ماخوذ من قولهم رفات الثوب ضممت بعضه الى بعض ولعل كان سبب ورود النهي **وفي**
الامتاع ان سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه لما تزوج ام كلثوم بنت علي ابن ابي
طالب كرم الله تعالى وجهه جا الى مجلس المهاجرين الاولين في الروضة فقال رفيوني فقالوا
وماذا يا امير المومنين قال تزوجت ام كلثوم بنت علي كرم الله وجهه هذا كلامه ولعل النهي
لم يبلغ هولا الصحابة رضي الله تعالى عنهم حيث لم ينكروا قوله لما لم يبلغ سيدنا عمر رضي
الله تعالى عنه **وفي الشهر** الذي ماتت فيه خديجة رضي الله تعالى عنها وهو شهر
رمضان بعد موتها بايام تزوج صلى الله عليه وسلم سودة بنت زمعة رضي الله تعالى عنها
وكانت قبله صلى الله عليه وسلم عند السكران بن عمرو العامري ابن عمها وهاجر بها الى
ارض الحبشة الهجرة الثانية ثم رجع بها الى مكة فمات عنها فلما انقضت عدتها تزوجها
رسول الله صلى الله عليه وسلم واصدقها اربعمائة درهم **وقد كانت** رات في نومها ان النبي
صلى الله عليه وسلم وطى عنقها فاخبرت زوجها فقال لئن صدقت رؤياك اموت انا ويتزوجك
رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم رات في ليلة اخرى ان قمرا انقض عليها من السما وهي
مضطجعة فاخبرت زوجها فقال لا البث حتى اموت فمات من يومه ذلك وعقد صلى الله عليه
وسلم على عايشة رضي الله تعالى عنها وهي بنت ست او سبع سنين في شوال **فعن** خولة
بنت حكيم امراة عثمان بن مظعون رضي الله تعالى عنها قالت قلت لما ماتت خديجة يا رسول
الله الا تتزوج قال من قلت ان شيت بكرا وان شيت ثيبا قال فمن البكر قلت احب خلق الله اليك عايشة
بنت ابي بكر رضي الله تعالى عنهما قال ومن الثيب قلت سودة بنت زمعة قد امنت بك
واتبعتك على ما تقول قال صلى الله عليه وسلم فاذهبي فاذكريهما علي قالت فدخلت على سودة
بنت زمعة رضي الله تعالى عنها فقالت لها ماذا ادخل الله عليك من الخير والبركة قالت
وما ذاك قلت ارسلني رسول الله صلى الله عليه وسلم اخطبك عليه قالت وددت ادخلي علي

ابي فاذكري ذلك له وكان شيخا كبيرا قد دخلت عليه وحييته بتحية الجاهلية فقال من هذه
فقلت خولة بنت حكيم قال فما شانك قلت ارسلني محمد بن عبد الله ان اخطب عليه سودة
قال كفو كريم ثم قال ما تقول صاحبتك قلت تحب ذلك قال ادعيها الي فدعوتها قال اي
بنية ان هذه تزعم ان محمدا ابن عبد الله بن عبد المطلب قد ارسل يخطبك وهو كفو كريم اتحبين
ان ازوجك منه قالت نعم قال ادعيه لي فجا رسول الله صلى الله عليه وسلم فزوجها اياها ولما
قدم اخوها عبد بن زمعة وقد بلغه ذلك صار يحثو التراب على راسه ولما اسلم قال
لعمرك اني لسفيه يوم احثو على راسي التراب ان تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم سودة
يعني اخته **وذهبت** خولة رضي الله عنها الى ام رومان ام عايشة رضي الله تعالى عنهما
فقالت ماذا ادخل الله عليكم من البركة والخير قد ارسلني رسول الله صلى الله عليه وسلم
اخطب عليه عايشة قالت انتظري ابا بكر حتى ياتي فجا ابو بكر رضي الله تعالى عنه فقلت
يا ابا بكر ماذا ادخل الله عليكم من الخير والبركة قال وما ذاك قلت ارسلني رسول الله
صلى الله عليه وسلم اخطب عليه عايشة قال وهل تصلح اي تحل اذ انما هي بنت اخيه فرجعت
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكرت له ذلك فقال ارجعي اليه فقولي له انا اخوك
في الاسلام وانت اخي في الاسلام وابنتك تصلح لي اي تحل فرجعت فذكرت ذلك له قالت
ام رومان رضي الله عنها ان مطعم بن عدي قد كان ذكرها على ابنه جبير ووعده والله
ما وعد احدا قط فاخلفه تعني ابا بكر رضي الله عنه فدخل ابو بكر على مطعم وعنده امراته
ام ابنه المذكور فكلمت ابا بكر رضي الله تعالى عنه بما اوجب ذهاب ما كان في نفسه من
عدته للمطعم اي فان المطعم لما قال له ابو بكر ما تقول في امر هذه الجارية اقبل المطعم
على امراته وقال لها ما تقولين يا هذه فاقبلت على ابي بكر وقالت لعلنا ان نكحنا هذا
الفتى اليكم تصبيه وتدخله في دينك الذي انت عليه فاقبل ابو بكر رضي الله تعالى عنه
على المطعم وقال له ماذا تقول انت قال انها لتقول ما تسمع فقام ابو بكر وليس في نفسه
من وعده شي فرجع فقال لخولة ادعي لي رسول الله صلى الله عليه وسلم فدعته فزوجها اياها
وعايشة رضي الله عنها بنت ست سنين وقيل سبع وهو الاقرب فعلم ان العقد على سودة رضي الله
تعالى عنها لان العقد على سودة كان في رمضان الشهر الذي ماتت فيه خديجة
رضي الله تعالى عنها وعلى عايشة رضي الله تعالى عنها كان في شوال ومعلوم ان الدخول
بسودة كان بمكة وعلى عايشة كان في المدينة **ثم رايت بعضهم** ذكر ان خولة رضي الله
تعالى عنها ذهبت الى طلب عايشة وان النبي صلى الله عليه وسلم عقد عليها قبل
ذهابها لسودة وعقده عليها ولا يخفى المخالفة الا ان يراد بالعقد على سودة الدخول
بها وفيه انه لا يحسن ذلك مع قوله قبل ذهابها لسودة ولما اشتكى ابو طالب اي مرض
وبلغ قريشا ثقله اي اشتداد المرض به قال بعضهم لبعض ان حمزة وعمر رضي
الله تعالى عنهما قد اسلما وقد فشا امر محمد صلى الله عليه وسلم في قريش كلها فانطلقوا

بنا الى ابي طالب فلياخذ لنا على ابن اخيه وليعط منا فانا والله ما نامن ان يبزونا
امرنا اي يسلبونه ومنه قولهم من عز بز اي من غلب اخذ السلب اي وهو الثياب التي هي
البز وفي لفظ انما نخاف ان يموت هذا الشيخ فيكون منا شيء اي قتل محمد صلى الله عليه
وسلم كما في بعض الروايات فتعيرنا العرب فيقولون لم تركوه حتى مات عمه تناولوه
فمشى اليه اشرافهم منهم عتبة وشيبة ابنا ربيعة وابو جهل بن هشام وامية بن خلف
وابو سفيان بن حرب رضي الله عنه فانه اسلم ليلة الفتح كما سياتي وارسلوا رجلا يدعى
المطلب فاستاذن لهم على ابي طالب فقال هؤلاء شيخة قومك وسراتهم يستاذنون عليك
قال ادخلهم فدخلوا عليه فقالوا يا ابا طالب انت منا حيث قد علمت وفي لفظ قالوا يا ابا
طالب انت كبيرنا وسيدنا وقد حضرك ما ترى وتخوفنا عليك وقد علمت الذي بيننا وبين
ابن اخيك فادعه وخذ له منا وخذ لنا منه ليكف عنا ونكف عنه وليدعنا وديننا فبعث
اليه صلى الله عليه وسلم ابو طالب فجاءه قال ولما دخل النبي صلى الله عليه وسلم على ابي طالب
وكان بين ابي طالب وبين القوم فرجة تسع الجالس فخشي ابو جهل ان يجلس النبي صلى الله
عليه وسلم في تلك الفرجة فيكون ارق منه فوثب ابو جهل لعنه الله فجلس فيها فلم يجد صلى
الله عليه وسلم مجلسا قرب ابي طالب فجلس عند الباب انتهى وفي الوفا انه صلى الله عليه
عليه وسلم قال خلوا بيني وبين عمي فقالوا ما نحن بفاعلين وما انت باحق به منا فان لنا
قرابة مثل قرابتك فقال لرسول الله صلى الله عليه وسلم يا ابن اخي هؤلاء اشراف قومك
وفي لفظ هؤلاء شيخة قومك وسراتهم وقد اجتمعوا ليعطوك وليأخذوا منك وفي لفظ
سالوك النصف وفي لفظ اعطاك سادات قومك ما سالوك فقد انصفوك ان تكف عن شتم
الهتهم ويدعوك والهك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ارايتم ان اعطيتكم ما سالتم
هل تعطوني كلمة واحدة تملكون بها العرب وتدين لكم بها العجم اي تطيع وتخضع فقال
ابو جهل نعم وابيك نعم وعشر كلمات وفي لفظ لنعطيكها وعشر معها فما هي قال
تقولون لا اله الا الله وتخلعون ما تعبدون من دونه فصفقوا بايديهم ثم قالوا يا
محمد تريد ان تجعل الالهة الها واحدا ان امرك لعجب فانزل الله سبحانه وتعالى ص
والقرآن ذي الذكر الى اخر الايات وفي لفظ قالوا ايسع لحاجاتنا اله واحد وفي لفظ
قالوا سلنا غير هذه الكلمة وفي لفظ ان ابا طالب قال يا ابن اخي هل كلمة غيرها
فان قومك قد كرهوها قال يا عماه ما انا بالذي يقول غيرها ثم قال صلى الله عليه وسلم
لو جئتموني بالشمس حتى تضعوها في يدي ما سالتكم غيرها ثم قال بعضهم لبعض والله
ما هذا الرجل بمعطيكم شيئا فانطلقوا وامضوا على دين ابائكم حتى يحكم الله بينكم وبينه
ثم تفرقوا وفي لفظ قالوا عند قيامهم والله لنشتمنك والهك الذي يامرك بهذا اي وفي
لفظ لتكفن عن سب الهتنا او لنسبن الذي امرك بهذا قال في الينبوع وهذه احسن
من الاولى لانهم كانوا يعرفون انه يعبد الله وما كانوا يسبون الله عالمين لكنهم ما

لعنه الله

كانوا

كانوا يعرفون الله امح بذلك وذكر ان سبب نزول قوله سبحانه وتعالى ولا تسبوا
الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدوا بغير علم هذا وفي النهر ان سبب نزول
هذه الاية ان كفار قريش قالوا لابي طالب اما تنهى محمدا عن سب الهتنا والنقص منها
واما ان نسب الهه ونهجوه قال فيه وحكم هذه الاية باق في هذه الامة فاذا كان
الكافر في منعه وخيف ان يسب الاسلام او الرسول صلى الله عليه وسلم فلا يحل لمسلم
ذم دين الكافر ولا يتعرض لما يؤدي الى ذلك لان الطاعة اذا كانت تؤدي الى مفسدة
خرجت عن ان تكون طاعة فيجب النهي عنها كما ينهى عن المعصية هذا كلامه وعند
ذلك قال ابو طالب لرسول الله صلى الله عليه وسلم والله يا ابن اخي ما رايتك سالتهم شططا
اي بالحاء والطاء المهملتين امرا بعيدا فلما قال ذلك طمع رسول الله صلى الله عليه وسلم
فيه فجعل يقول اي عم فانت فقلها استحل لك بها الشفاعة يوم القيامة اي لو ارتكبت
ذنبا بعد قولها ولان الاسلام يجب ما قبله فلما راى حرص رسول الله صلى الله عليه
وسلم فقال له والله يا ابن اخي لولا مخافة السبة عليك وعلى بني ابيك من بعدي وان
تظن قريش اني انما قلتها جزعا اي بالجيم والزاي خوفا من الموت وهذا هو المشهور
وقيل بالخاء المعجمة والراء اي ضعفا لقلتها وفي رواية لاقررت بها عينك لما ارى من شدة
وجدك لكني اموت على ملة الاشياخ عبد المطلب وهاشم وعبد مناف فانزل الله تعالى
انك لا تهدي من احببت الاية اي وعن مقاتل رحمه الله تعالى ان ابا طالب قال عند
موته يا معشر بني هاشم اطيعوا محمدا وصدقوه تفلحوا وترشدوا فقال النبي صلى الله
عليه وسلم يا عم تامرهم بالنصيحة لانفسهم ولا تدعها لنفسك قال فما تريد يا ابن اخي
قال اريد ان تقول لا اله الا الله اشهد لك بها عند الله فقال يا ابن اخي قد علمت انك
صادق لكني اكره ان يقال الحديث قال وكان من حكمة احكم الحاكمين بقائه على دين
قومه لما في ذلك من المصالح التي تبدو لمن تاملها اي وكذا اقرباؤه وبنو عمه تاخر اسلام
من اسلم منهم ولو اسلم ابو طالب وبادر اقرباؤه وبنو عمه الى الايمان به صلى الله عليه
وسلم لقيل قوم ارادوا الفخر برجل منهم وتعصبوا له فلما بادر اليه الاباعد وقاتلوا على
حبه صلى الله عليه وسلم من كان منهم حتى ان الشخص يقتل اباه واخاه علم ان ذلك انما هو
عن بصيرة صادقة ويقين ثابت وذكر انه لما تقارب من ابي طالب الموت نظر العباس رضي
الله تعالى عنه اليه يحرك شفتيه فاصغى اليه باذنه فقال يا ابن اخي قد قالها والله لقد قال
اخي الكلمة التي امرته بها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لم اسمع وفيه انه لم يثبت
ان العباس رضي الله تعالى عنه ذكر ذلك بعد الاسلام وايضا نزول الاية حينئذ يثبت
ان نزولها في حق ابي طالب يرد ذلك ويرده ايضا ما في الصحيحين عن العباس رضي الله تعالى
عنه انه قال قلت يا رسول الله ان ابا طالب كان يحفظك وينصرك فهل ينفعه ذلك
قال نعم وجدته اي كشف لي عن حاله وما يصير اليه يوم القيامة فوجدته في غمرات

من النار فاخرجته الى ضحضاح اي وفي لفظ اخرقال نعم هو يوم القيامة في ضحضاح
من النار لولا انا لكان في الدرك الاسفل من النار ولو كانت الشهادة المذكورة عند
العباس ماسال هذا السؤال ولاداها بعد الاسلام اذ لو اداها لنقلت وقد يقال
انما سال ولم يعد الشهادة بعد الاسلام لانه لما قال له صلى الله عليه وسلم اولم اسمع
فهم فهم انه حيث لم يسمعها صلى الله عليه وسلم لايعتد بها سال هذا السؤال وفهم ان
اعادة الشهادة بعد اسلامه لايفيد شيا ومما يرده ايضا ماجاء في رواية انه صلى
الله عليه وسلم لما كرر على ابي طالب ان يقول كلمة الشهادة وهو يابى الى ان قال هو
على دين عبد المطلب قال صلى الله عليه وسلم اما والله لاستغفرن لك فانزل الله عز وجل
ما كان للنبي والذين امنوا معه ان يستغفروا للمشركين ولو كانوا اولي قربى من بعد
ما تبين لهم انهم اصحاب الجحيم اي وتقدم ان سبب نزول هذه الاية طلب استغفاره
صلى الله عليه وسلم لامه عند زيارة قبرها الا ان يقال لامانع من تكرر سبب النزول والجواز
انه صلى الله عليه وسلم جوز الفرق بين امه وعمه لان امه لم تدع للاسلام بخلاف عمه وفي
منع استغفاره لامه ما تقدم ولا يشكل على ذلك قوله صلى الله عليه وسلم اغفر لقومي لان
ذلك اي غفران الذنوب مشروط بالتوبة اي الاسلام فكانه صلى الله عليه وسلم دعا لهم
بالتوبة التي هي الاسلام ويؤيده رواية اللهم اهد قومي اي للاسلام قال
وايضا لما جاء في صحيح ابن حبان عن علي كرم الله تعالى وجهه قال لما مات ابو طالب اتيت
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله ان عمك الشيخ الضال قد مات قال
اذهب فواره قال علي كرم الله وجهه فلما واريته جئت اليه صلى الله عليه وسلم فقال
لي اغتسل أقول اي لانه غسله وبه وبقوله صلى الله عليه وسلم من غسل ميتا
فليغتسل استدل ايمتنا على ان من غسل ميتا مسلما او كافرا استحب له ان يغتسل
وروي البيهقي رحمه الله تعالى خبر ان عليا كرم الله تعالى وجهه غسله بامر النبي صلى
الله عليه وسلم له بذلك لكن ضعفه وفي رواية عن علي كرم الله وجهه لما اخبرت النبي
صلى الله عليه وسلم بموت ابي طالب بكى وقال اذهب فغسله وكفنه وواره التراب غفر
الله له ورحمه واما ماروي انه صلى الله عليه وسلم عارض جنازة عمه ابي طالب فقال وصلتك
رحمك وجزيت خيرا ياعم فقال الذهبي انه خبر منكر والله تعالى اعلم وجاء ايضا انه
ذكر عنده صلى الله عليه وسلم عمه ابو طالب فقال انه ستنفعه شفاعتي وفي رواية لعله
تنفعه شفاعتي يوم القيامة فيجعل في ضحضاح من النار مقدار مايغطي قدميه وفي رواية
في ضحضاح من النار يبلغ كعبيه يغلي منها دماغه وفي لفظ عن ابن عمر رضي الله تعالى
عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا كان يوم القيامة شفعت لابي وامي
وعمي ابي طالب واخ لي كان في الجاهلية يعني اخاه من الرضاعة من حليمة كما في رواية
تاتي اقول يجوز ان يكون ذكر شفاعته صلى الله عليه وسلم كان قبل احياهما وايمانهما

به كما قدمناه جواب عن نهيه عن الاستغفار لهما والله اعلم وفي لفظ اخر شفعت
في امي وعمي ابي طالب واخي من الرضاعة يعني من حليمة ليكونوا من بعد البعث هباء
ومما يستانس به لايمان ابيه صلى الله عليه وسلم قال لابنته فاطمة رضي الله تعالى عنها
وقد عزت قوما من الانصار في ميتهم لعلك بلغت معهم الكدى بالدال المهملة او الكرى
بالرا يعني القبور قالت لا فقال لو كنت بلغت معهم الكدى مارايت الجنة حتى يراها
جد ابيك يعني عبد المطلب ولم يقل جدك يعني اباه الذي هو عبد الله وتقدم القول
بان حليمة واولادها اسلموا وعليه فيجوز ان يكون هذا منه صلى الله عليه وسلم
قبل ان يسلم اخوه من الرضاعة كما تقدم مثل ذلك في ابيه وامه وفي رواية هذا
الحديث الاول من منكر الحديث وفي الثانية ممن هو ضعيف وقال فيه ابن الجوزي
انه موضوع بلا شك اي وهذا اي قبول شفاعته صلى الله عليه وسلم في عمه ابي طالب
عد من خصائصه فلا يشكل بقوله تعالى فما تنفعهم شفاعة الشافعين اي لاتنفعهم
شفاعة الشافعين في الاخراج من النار بالكلية اي وفي هذا الثاني انه لايناسب
ان شفاعته صلى الله عليه وسلم لهم ان يكونوا من بعد البعث هباء الا ان يقال
انه لم يستجب له صلى الله عليه وسلم في ذلك اي في صيرورتهم هباء قال
وجاء ايضا عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان
اهون اهل النار اي وهم الكفار عذابا ابو طالب وهو منتعل بنعلين يغلي منهما
اي وفي رواية كما يغلي المرجل اي القدر من النحاس حتى يسيل دماغه على قدميه
وفي رواية كما يغلي المرجل بالقمقم قيل والقمقم هو بكسر القافين البسر الاخضر يطبخ في المرجل
استعجالا لطبخه يفعل ذلك اهل الحاجة وذكر السهيلي رحمه الله في اختصاص قدميهم
بالعذاب وزعم بعض غلاة الرافضة ان ابا طالب اسلم واستدل له باخبار واهية ردها
الحافظ ابن حجر في الاصابة اي وقال وقفت على جزء جمعه بعض اهل الرفضة اكثر فيه
من الاحاديث الواهية الدالة على اسلام ابي طالب ولم يثبت من ذلك شيء وروى ابو طالب
عن النبي صلى الله عليه وسلم قال حدثني محمد ان الله امره بصلة الارحام وان يعبد الله
وحده لاشريك له ولا يعبد معه غيره وقال سمعت ابن اخي الامين يقول اشكر ترزق ولا تكفر
تعذب انتهى وفي المواهب عن شرح التنقيح للقرافي ان ابا طالب ممن امن بظاهره وباطنه
وكفر بعدم الاذعان للفروع لانه كان يقول اني لاعلم ان مايقوله ابن اخي الحق ولولا
اني اخاف ان تعيرني نساء قريش لاتبعته فهذا تصريح باللسان واعتقاد بالجنان غير انه
لم يذعن للاحكام هذا كلامه وفيه ان الايمان باللسان الاتيان بلا اله الا الله ولم
يوجد ذلك منه كما علمت وتقدم ان الايمان النافع عند الله الذي يصير به الشخص
مستحقا لدخول الجنة ناجيا من الخلود في النار التصديق بالقلب بما علم بالضرورة
انه من دين محمد صلى الله عليه وسلم وان لم يقر بالشهادتين مع التمكن من ذلك حيث

جل

لم يطلع منه ذلك وامتنع **وقد روي** الطبراني عن ام سلمة رضي الله تعالى عنها ان
الحارث بن هشام رضي الله تعالى عنه اي اخا ابي جهل بن هشام اتى النبي صلى الله
عليه وسلم يوم حجة الوداع فقال يا رسول الله انك تحث على صلة الرحم والاحسان الى
الى الجار وايوا اليتيم واقرا الضيف واطعام المسكين وكل هذا مما يفعله هشام يعني
والده فما ظنك به يا رسول الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كل قبر لا يشهد
صاحبه ان لا اله الا الله فهو جذوة من النار وقد وجدت عمي ابا طالب في غمرات من
النار فاخرجه الله لمكانه مني واحسانه الي فجعله في ضحضاح من النار **وذكر**
ان ابا طالب لما حضرته الوفاة جمع اليه وجها قريش فاوصاهم وكان من وصيته ان
قال يا معشر قريش انتم صفوة الله من خلقه وقلب العرب فيكم السيد المطاع والمقدم
الشجاع والواسع الباع لم تتركوا للعرب في المآثر نصيبا الا احرزتموه
ولا شرفا الا ادركتموه فلكم بذلك على الناس الفضيلة ولهم به اليكم الوسيلة والناس
لكم حرب وعلى حربكم البا واوصيكم بتعظيم هذه البنية اي الكعبة فان فيها مرضاة الرب
وقواما للمعاش وثباتا للوطأة صلوا ارحامكم ولا تقطعوها فان في صلة الرحم منسأة
اي فسحة في الاجل وزيادة في العدد واتركوا البغي والعقوق ففيهما هلكت القرون من
قبلكم اجيبوا الداعي واعطوا السائل فان فيهما شرف الحياة والممات وعليكم بصدق الحديث
واداء الامانة فان فيهما محبة في الخاص ومكرمة في العام واني اوصيكم بمحمد خيرا فانه
الامين في قريش اي والصديق في العرب وهو الجامع لكل ما اوصيكم به وقد جاءنا بامر
قبله الجنان وانكره اللسان مخافة الشنان اي البغض وهو لغة الشنآن وايم الله كاني
انظر الى صعاليك العرب واهل البر في الاطراف والمستضعفين من الناس قد اجابوا
دعوته وصدقوا كلمته وعظموا امره فخاض بهم غمرات الموت فصارت رؤسا قريش
وصناديدها اذنابا ودورها خرابا وضعفاؤها اربابا واذا اعظمهم عليه احوجهم اليه
وابعدهم منه احظاهم عنده قد محضته العرب ودادها واعطته قيادها دونكم يا معشر
قريش ابن ابيكم كونوا له ولاة ولحزبه حماة والله لا يسلك احد سبيله الا رشد ولا ياخذ
احد بهديه الا سعد ولو كان لنفسي مدة ولاجلي تاخير لكفيته عنه الهزاهز ولدافعت عنه
الدواهي ثم توفي **وفي لفظ** اخر انه لما حضرته الوفاة دعا بني عبد المطلب فقال لن تزالوا
بخير ما سمعتم من محمد وما اتبعتم امره فاطيعوه ترشدوا **ولما مات** ابو طالب نالت قريش
من النبي صلى الله عليه وسلم من الاذى ما لم تكن تطمع فيه في حياة ابي طالب حتى ان
بعض سفهاء قريش نثر على راس النبي صلى الله عليه وسلم التراب فدخل رسول الله
صلى الله عليه وسلم بيته والتراب على راسه فقامت بعض بناته وجعلت تزيله عن راسه
وتبكي ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لها لا تبكي يا بنية فان الله مانع اباك
وكان صلى الله عليه وسلم يقول ما نالت قريش مني شيئا اكرهه اي اشد الكراهة

حتى مات ابو طالب وتقدم وسياتي بعض ما اوذي به صلى الله عليه وسلم **قال**
ولما راى صلى الله عليه وسلم قريشا تهجموا عليه قال يا عم ما اسرع ما وجدت فقدك
ولما بلغ ابو لهب ذلك قام ابو لهب بنصره ايام وقال له يا محمد امض لما اردت وما
كنت صانعا اذ كان ابو طالب حيا فاصنعه لا واللات لا يتوصل اليك حتى اموت واتفق
ان ابن الغيطلة وهو احد المستهزئين المتقدم ذكرهم سب النبي صلى الله عليه وسلم فاقبل
عليه ابو لهب ونال منه فولى وهو يصيح يا معشر قريش صبا ابو عتبة يعني ابا لهب
فاقبلت قريش على ابي لهب وقالوا له فارقت دين عبد المطلب فقال ما فارقت وفي لفظ
قالوا له اصبوت قال ما فارقت دين عبد المطلب ولكن امنع ابن اخي ان يضام حتى يمضي
لما يريد قالوا قد احسنت واجملت ووصلت الرحم فمكث رسول الله صلى الله عليه وسلم على ذلك
اياما لا يتعرض له احد من قريش وهابوا ابا لهب الى ان جاء ابو جهل وعقبة بن ابي معيط
الى ابي لهب فقالا له اخبرك ابن اخيك اين مدخل ابيك اي المحل الذي يكون فيه يزعم انه في النار
فقال له ابو لهب يا محمد اين مدخل عبد المطلب النار فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم
ومن مات معه على مثل ما مات عليه عبد المطلب دخل النار فقال ابو لهب لا برحت لك
عدوا وانت تزعم ان عبد المطلب في النار فاشتد عليه هو وسائر قريش انتهى **وفي لفظ**
قال له يا محمد اين مدخل عبد المطلب قال مع قومه فخرج ابو لهب الى ابي جهل وعقبة
فقال قد سالته فقال مع قومه فقالا يزعم انه في النار فقال يا محمد يدخل عبد المطلب
النار فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم الحديث ولا يخفى ان عبد المطلب من اهل
الفترة وتقدم الكلام عليهم

باب خروج النبي صلى الله عليه وسلم الى الطائف

سميت بذلك لان رجلا من حضرموت نزلها فقال لاهلها الا ابني لكم حائطا يطيف بكم
قالوا نعم فبناه فسمي الطائف وقيل غير ذلك لما مات ابو طالب ونالت قريش من رسول
الله صلى الله عليه وسلم ما لم تكن نالته منه في حياته كما تقدم خرج الى الطائف اي
وهو مكروب مشوش الخاطر مما لقي من قريش من قرابته وعترته خصوصا من عمه ابي لهب
وزوجته ام جميل حمالة الحطب من الهجو والسب والتكذيب **وعن** علي كرم الله وجهه انه
قال بعد موت ابي طالب لقد رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم اخذته قريش تتجاذبه
وهم يقولون له انت جعلت الالهة الها واحدا قال فوالله ما دنا منه احد الا ابو بكر
رضي الله تعالى عنه فصار يضرب هذا ويدفع هذا وهو يقول اتقتلون رجلا ان يقول
ربي الله **وخروجه** صلى الله عليه وسلم الى الطائف كان في شوال سنة عشر من
النبوة وحده وقيل معه مولاه زيد بن حارثة رضي الله تعالى عنه يلتمس من ثقيف
الاسلام رجاء ان يسلموا ويناصروه على الاسلام والقيام معه على من خالفه من قومه
قال في الامتاع لانهم كانوا اخوال لاه صلى الله عليه وسلم قال بعضهم ومن ثم اي

اي من انه صلى الله عليه وسلم خرج الى الطايف عند ضيق صدره وتعب خاطره من اهل
مكة جعل الله الطايف مستانسا لاهل الاسلام لكل من ضاق صدره وتعب خاطره من
اهل مكة كذا قال وفي كلام غيره لاجرم جعل الله تعالى الطايف مستانسا لاهل الاسلام ممن
بمكة الى يوم القيامة فهي راحة الامة وتنفس كل ذي ضيق وغمه سنة الله في الذين خلوا
من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا فليتامل فلما انتهى صلى الله عليه وسلم الى الطايف عمد
الى سادات ثقيف واشرافهم وكانوا اخوة ثلاثة احدهم عبد ياليل واسمه كنانة لم يعرف
له اسلام وحبيب ايضا قاله الذهبي واخوه مسعود اي وهو عبد كلال بضم الكاف وتخفيف
اللام لم يعرف له اسلام ايضا وحبيب قال الذهبي في صحبته نظر اي وهم اولاد عمرو بن
عمير بن عوف الثقفي وجلس صلى الله عليه وسلم اليهم وكلمهم فيما جاءهم به اي من نصرته
على الاسلام والقيام معه على من خالفه من قومه فقال احدهم هو يمرط ثياب الكعبة
اي يشقها ويقطعها اي وقيل يسرقها ان كان الله ارسلك وقال اخر اما وجد الله احدا يرسله
غيرك وقال الثالث والله لا اكلمك ابدا لئن كنت رسولا من عند الله كما تقول لانت اعظم
خطرا اي قدرا من ان اكلمك رد عليك الكلام ولئن كنت تكذب على الله ما ينبغي لي ان اكلمك
فقام صلى الله عليه وسلم من عندهم وقد ايس من خير ثقيف وقال لهم اكتموا علي وكره
صلى الله عليه وسلم ان يبلغ قومه ذلك فيشتد امرهم عليه وقالوا له صلى الله عليه وسلم
اخرج من بلدنا والحق بمنجاتك من الارض واغروا به اي سلطوا عليه سفهاءهم وعبيدهم
يسبونه صلى الله عليه وسلم ويصيحون به حتى اجتمع عليه الناس وقعدوا له صفين على
طريقه فلما مر صلى الله عليه وسلم بين الصفين جعل لا يرفع رجليه ولا يضعهما الا
رضخوهما اي دقوهما بالحجارة حتى ادموا رجليه وفي لفظ حتى اختضبت نعلاه بالدماء
وكان صلى الله عليه وسلم اذا اذلقته الحجارة اي وجد المها قعد الى الارض فياخذون
بعضديه ويقيمونه فاذا مشى صلى الله عليه وسلم رجموه وهم يضحكون كل ذلك وزيد بن
حارثة رضي الله عنهما اي بناء على انه كان معه صلى الله عليه وسلم يقيه بنفسه حتى
لقد شج راسه شجاجا فلما خلص صلى الله عليه وسلم منهم ورجلاه يسيلان دما عمد الى
حايط من حوايطهم اي بساتينهم فاستظل في حبلة اي بفتح البا الموحدة وتسكينها غير
معروف شجرة كرم وقيل لها حبلة لانها تحمل بالعنب وقد فسر نهيه صلى الله عليه وسلم
عن بيع حبل الحبلة ببيع العنب قبل ان يطيب قال السهيلي وهو غريب لم يذهب اليه احد
في تاويل الحديث لحاجة صلى الله عليه وسلم الى ذلك المحل وهو مكروب موجع اي وقد جا
النهي عن ان يقال لشجر العنب الكرم في قوله صلى الله عليه وسلم لا تقولن احدكم الكرم
فان الكرم قلب المومن ولكن قولوا حدايق العنب قيل وسبب النهي عن تسميتها كرما
لان الخمر تتخذ من ثمرها وتحمل على الكرم فاشتقوا لها اسما من الكرم وفي لفظ ان
هولاء الثلاثة اي عبد ياليل واخويه اغروا به صلى الله عليه وسلم سفهاءهم وعبيدهم فصاروا

يسبونه

يسبونه صلى الله عليه وسلم ويصيحون به حتى اجتمع عليه الناس والجاوه الى حايط لعتبة
وشيبة ابني ربيعة فلما دخل صلى الله عليه وسلم الحايط رجعوا عنه قيل وذكر
انه صلى الله عليه وسلم دعا بدعا منه اللهم اني اشكو اليك ضعف قوتي وقلة حيلتي وهواني
على الناس يا ارحم الراحمين انت رب المستضعفين وانت ربي الى من تكلني ان لم يكن بك غضب
علي فلا ابالي انتهى واذا في الحايط اي البستان عتبة وشيبة ابنا ربيعة اي وقد راءا ما لقي
النبي صلى الله عليه وسلم من سفهاء اهل الطايف فلما راهما صلى الله عليه وسلم كره مكانهما لما
يعلم من عداوتهما لله ورسوله فلما راياه وما لقي تحركت له رحمهما فدعوا غلاما لهما نصرانيا
يقال له عداس معدود في الصحابة مات قبل الخروج الى بدر فقالا له خذ قطفا من هذا
العنب فضعه في هذا الطبق ثم اذهب به الى ذلك الرجل فقل له يا كل منه اي وهذا لا
ينافي ان زيد بن حارثة رضي الله عنه كان معه كما لا يخفى ففعل عداس ما امراه به ثم اقبل
به حتى وضعه بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال له كل فلما وضع رسول الله
صلى الله عليه وسلم فيه يده قال بسم الله ثم اكل اي لانه صلى الله عليه وسلم كان اذا
وضع يده في الطعام قال بسم الله ويامر الاكل بالتسمية وامر من نسي التسمية اوله ان
يقول بسم الله اوله واخره فنظر عداس في وجهه وقال والله ان هذا الكلام ما يقوله
اهل هذه البلاد فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم من اي البلاد انت وما دينك
يا عداس قال نصراني من اهل نينوى بكسر النون الاولى وفتح الثانية وقيل بضمها
قرية بشاطي دجلة من ارض الموصل فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم من اهل قرية
اي وفي رواية من مدينة الرجل الصالح يونس بن متى اسم ابيه اي كما جاء في حديث ابن
عباس رضي الله تعالى عنهما وفي تاريخ حماه انه اسم امه قال ولم يشتهر باسم امه غير
عيسى ويونس عليهما الصلاة والسلام اي وفيه من بل الخفا فان قيل قد ورد في الصحيح لا
تفضلوني على يونس بن متى ونسبه الى ابيه يقتضي ان متى ابوه لا امه اجيب بان متى
مدرج في الحديث من كلام الصحابي لبيان يونس عليه السلام بما اشتهر به لا من كلام النبي
صلى الله عليه وسلم ولما كان ذلك موهما ان الصحابي سمع هذه النسبة من النبي صلى الله عليه
وسلم دفع الصحابي ذلك بقوله ونسبه الى ابيه لا انه امه هذا كلامه وعند ذلك قال له
عداس له صلى الله عليه وسلم وما يدريك ما يونس بن متى فاني والله لقد خرجت منها وما
يعني نينوى وما فيها عشرة يعرفون ما متى فمن اين عرفت يونس بن متى وانت امي وفي
امة امية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ذاك اخي كان نبيا وانا نبي امي وفي رواية
انا رسول الله والله اخبرني خبره وما وقع له مع قومه اي وعدهم بالعذاب بعد اربعين
ليلة لما دعاهم فابوا ان يجيبوه وخرج عنهم وكانت عادة الانبياء عليهم الصلاة
والسلام اذا اوعدت قومها العذاب خرجت عنهم فلما فقدوه قذف الله في قلوبهم التوبة
اي الايمان بما دعاهم اليه يونس عليه الصلاة والسلام وقيل كما في الكشاف انه قال

لهم يونس عليه الصلاة والسلام انا أؤجلكم اربعين ليلة فقالوا ان راينا اسباب الهلاك
امنا بك فلما مضت خمس وثلاثون ليلة اطبقت السما بدخان اسود يدخن دخانا شديدا
ثم يهبط حتى يغشى مدينتهم فعند ذلك لبسوا المسوح واخرجوا المواشي وفرقوا بين النسا
واولادها وبين كل بهيمة وولدها فلما اقبل عليهم العذاب عجوا الى الله تعالى وبكى الناس
والولدان ورغت الابل وفصلانها وخارت البقر وعجاجيلها وثغت الغنم وسخالها
وقالوا يا حي حين لا حي ويا حي يحيي الموتى ويا حي لا اله الا انت وعن الفضيل انهم قالوا
اللهم ان ذنوبنا قد عظمت وجلت وانت اعظم منها واجل فافعل بنا ما انت اهله ولا
تفعل بنا ما نحن اهله وفي الكشاف انهم عجوا اربعين ليلة وعلم الله تعالى منهم الصدق
فتاب عليهم وصرف عنهم العذاب بعد ان صار بينهم وبينه قدر ميل فمر رجل على يونس فقال
له ما فعل قوم يونس فحدثه بما صنعوا فقال لا ارجع الى قوم قد كذبتهم قيل وكان في
شرعهم ان من كذب قتل فانطلق مغاضبا لقومه وظن ان لن يقضي عليه بما قضى به عليه
اي من الغم وضيق الصدر قال الله تعالى وذا النون اذ ذهب مغاضبا فظن ان لن
نقدر عليه ان لا نضيق عليه وكانت التوبة عليهم يوم عاشورا وكان يوم الجمعة اي وفي
كلام بعضهم كشف العذاب عن قوم يونس يوم عاشورا واخرج فيه يونس من بطن الحوت
وهو يؤيد القول بانه نبذ من يومه وهو قول الشعبي التقمه ضحوة ونبذه عشية اي بعد
العصر وقد قاربت الشمس الغروب وذكر ان الحوت لم ياكل ولم يشرب مدة بقا يونس
عليه السلام في بطنه لئلا يضيق عليه وقال السدي مكث اربعين يوما وقال جعفر الصادق
سبعة ايام وقال قتادة ثلاثة ايام وذلك بعد ان ترك السفينة فلم تسر فقال لهم ان
معكم عبدا ابقا من ربه وانها لا تسير حتى تلقوه في البحر واشار الى نفسه فقالوا لا
نلقيك يا نبي الله ابدا قال فاقترعوا فخرجت القرعة عليه ثلاث مرات فالقوه فالتقمه
الحوت وقيل قايل ذلك بعض الملاحين حين خرجت القرعة عليه ثلاثا القا نفسه في البحر
وهذا السياق يدل على ان رسالته عليه الصلاة والسلام كانت قبل ان يلتقمه الحوت وقيل
انما ارسل بعد نبذ الحوت وفيه كيف يدعوهم ويعدهم العذاب وهو غير مرسل لهم
وعن وهب بن منبه رحمه الله وقد سئل عن يونس فقال كان عبدا صالحا وكان في خلقه
ضيق فلما حملت عليه اثقال النبوة تفسخ تحتها فالقاها وخرج هاربا اي فقد تقدم ان
ان للنبوة اثقالا لا يستطيع حملها الا اولوا العزم من الرسل وهم نوح وهود وابراهيم
ومحمد صلى الله عليه وسلم اما نوح عليه السلام فلقوله يا قوم ان كان كبر عليكم مقامي
وتذكيري بايات الله الاية واما هود عليه السلام فلقوله اني اشهد الله واشهدوا
اني بريء مما تشركون من دونه الاية واما ابراهيم عليه السلام فلقوله هو والذين امنوا
معه انا برآء منكم ومما تعبدون من دون الله الاية واما محمد صلى الله عليه وسلم فلقول
الله تعالى فاصبر كما صبر اولوا العزم من الرسل فصبر فعند ذلك اكب عداس على

رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبل راسه ويديه وقدميه اي فقال احدهما اي
عتبة وشيبة للاخر اما غلامك فقد افسده عليك فلما جاءهما عداس قال له احدهما
ويلك مالك تقبل راس هذا الرجل ويديه وقدميه قال يا سيدي ما في الارض خير من
هذا لقد اعلمني بامر لا يعلمه الا نبي قال ويحك يا عداس لا يصرفنك
عن دينك وفي رواية قال له ما شانك سجدت لمحمد وقبلت قدميه ولم نرك فعلته باحد
منا قال هذا رجل صالح اخبرني بشيء عرفته من شان رسول بعثه الله الينا يدعى يونس
بن متى فضحكا وقالا لا يفتننك عن نصرانيتك فانه رجل خداع ودينك خير من دينه وقد
تقدم في بعض الروايات ان خديجة رضي الله تعالى عنها قبل ان تذهب بالنبي صلى الله عليه
وسلم الى ورقة بن نوفل ذهبت به الى عداس وكان نصرانيا من اهل نينوى قرية سيدنا
يونس عليه الصلاة والسلام وتقدم انه غير هذا خلافا لمن اشتبه عليه به وفي كلام
الشيخ محي الدين بن عربي رحمه الله قد اجتمعت بجماعة من قوم يونس عليه السلام سنة
خمس وثمانين وخمسمائة بالاندلس حيث كنت فيه وقست اثر رجل واحد منهم في الارض
فرأيت طول قدمه ثلاثة اشبار وثلثي شبر والله اعلم وفي الصحيح عن عائشة رضي
الله تعالى عنها انها قالت للنبي صلى الله عليه وسلم هل اتى عليك يوم اشد من يوم احد
قال لقد لقيت من قومك وكان اشد ما لقيت يوم العقبة اذ عرضت نفسي على ابن
عبد ياليل بن كلال اي والمناسب لما سبق اسقاط لفظ ابن الاولى والاتيان بواو العطف
موضع ابن الثانية اي فيقال عبد ياليل وكلال اي وعبد كلال ويكون خصهما بالذكر
دون اخيهما حبيب لانهما كانا اشرف واعظم منه او لانهما كانا المجيبين له صلى الله عليه وسلم
بالقبيح دون حبيب الا ان يثبت ان في اباء هؤلاء الثلاثة شخصا يقال له عبد ياليل وعبد
كلال وح يكون المراد هؤلاء الثلاثة لان ابن مفرد مضاف ثم رايته في النور ذكر ما
يفيد ان لفظ ابن ثابت في الصحيح والذي في كلام ابن اسحاق وابي عبيدة وغيرهما
اسقاط ابن ثم رايت الشمس الشامي قال الذي ذكره اهل المغازي ان الذي كلمه رسول
الله صلى الله عليه وسلم عبد ياليل نفسه لا ابنه وعند اهل السير ان عبد كلال اخوه
لا ابوه اي ابواه كما لا يخفى فلم يجبني الى ما اردت فانطلقت وانا مهموم فلم استفق
الا وانا بقرن الثعالب اي ويقال له قرن المنازل وهو ميقات اهل نجد الحجاز ونجد اليمن
بينه وبين مكة يوم وليلة وفي لفظ وهو موضع على ليلة من مكة وادا قرن بسكون الرا
ووهم الجوهري في تحريكها وفي قوله ان اويسا القرني منسوب اليه وانما هو منسوب
الى قرن قبيلة من مراد كما ثبت في مسلم فرفعت راسي فاذا انا بسحابة قد اظلتني فنظرت
فاذا فيها جبريل عليه السلام فناداني فقال قد سمع قول قومك لك اهل ثقيف كما هو
المتبادر وما ردوا عليك به وقد بعث اليك ملك الجبال فتامره بما شئت فيهم فناداه
صلى الله عليه وسلم ملك الجبال وسلم عليه وقال له ان شئت ان اطبق عليهم الاخشبين

فعلة اي وهما جبلان يضافان تارة الى مكة وتارة الى مني فمن الاول قوله وهما ابو قبيس
وقعيقعان وقيل الجبل الاحمر الذي يقابل ابا قبيس المشرف على قعيقعان وفي الثاني
الجبلان اللذان تحت العقبة مبني فوق المسجد وفيه ان قعيقعا ليسوا بينهما بل الجبلان
خارجان عنهم فكيف يطبقهما عليهم وفي لفظ الناحية ثم رايت الحافظ ابن حجر رحمه قال
المراد بقوم عايشة في قوله صلى الله عليه وسلم لقد لقيت من قومك قريش لا اهل الطايف
الذي هم ثقيف لانهم كانوا هم السبب الحامل على ذهابه صلى الله عليه وسلم لثقيف ولان
ثقيف ليسوا قوم عايشة وعليه فلا اشكال ويوافقه قول الهدي فارسل ربه تبارك
وتعالى اليه ملك الجبال يستامره ان يطبق على اهل مكة الاخشبين وهما جبلاها التي هي
بينهما وعبارة الهدي في محل اخر وفي طريقه ارسل الله تعالى ملك الجبال فامر بطاعته
صلى الله عليه وسلم وان يطبق على قومه اخشبي مكة وهما جبلاها ان اراد هذا كلامه ولا
يخفى ان هذا خلاف السياق اذ قوله صلى الله عليه وسلم وكان اشد ما لقيت منهم يوم العقبة
اذ عرضت نفسي الخ وقول جبريل عليه السلام قد سمع قول قومك لك وما ردوا عليك
به ظاهر في ان المراد بهم ثقيف لا قريش ويوافق هذا الظاهر قول العلامة ابن الشحنة
في شرح منظومة جده بعد ان ساق دعاوه صلى الله عليه وسلم المتقدم بعضه فارسل الله
تعالى جبريل عليه السلام ومعه ملك الجبال فقال ان شيت طبقت عليهم الاخشبين وقد
يكون المراد اطباقهما عليهم بعد نقلهما من محلهما الى محل ثقيف الذي هو الطايف لان
القدرة صالحة وعند قول ملك الجبال له صلى الله عليه وسلم ما ذكر قال صلى الله عليه وسلم
ارجوان يخرج الله وفي رواية استاني بهم لعل الله ان يخرج منهم من اصلابهم من يعبد
الله تعالى لا يشرك به شيا وعند ذلك قال له صلى الله عليه وسلم ملك الجبال انت سماك
ربك رؤف رحيم قال ابن حجر رحمه الله تعالى لم اقف على اسم ملك الجبال والى حلمه واغضايه
صلى الله عليه وسلم اشار صاحب الهمزية رحمه الله تعالى بقوله

جهلت قومه عليه فاغضى ⁂ واخو الحلم دابه الاغضاء
وسع العالمين علما وحلما ⁂ فهو بحر لم تعيه الاعباء

اي جهلت قومه صلى الله عليه وسلم عليه فاذوه اذية لا تطاق فاغضا عنهم حلما
واخو الحلم اي وصاحب عدم الانتقام شانه التغافل فان علمه صلى الله عليه وسلم
وسع علوم العالمين ووسع حلمه حلمهم فهو واسع العلم والحلم لم تعيه الاثقال لكن تقيسه
السياب بقومه يدل على ان المراد ثقيف وقد علمت ما فيه فليتامل وعند منصرفه صلى
الله عليه وسلم المذكور من الطايف نزل نخلة وهي محل بين مكة والطايف فمر به نفر
سبعة وقيل تسعة من جن نصيبين اي وهي مدينة بالشام وقيل باليمن اثنى عليها صلى
الله عليه وسلم بقوله رفعت الي نصيبين حتى رايتها فدعوت الله تعالى ان يعذب نهرها
وينضر شجرها ويكثر مطرها وقد قام رسول الله صلى الله عليه وسلم من جوف الليل

اي وسط يصلي وفي رواية يصلي صلاة الفجر وفي رواية هبطوا على النبي صلى الله عليه
وسلم وهو يقرا في الصلاة والمراد بصلاة الفجر الركعتان اللتان كان يصليهما صلى
الله عليه وسلم قبل طلوع الشمس ولعله صلاهما عقب الفجر وذلك ملحق بالليل وفي قوله
جوف تجوز من الراوي او صلى الله عليه وسلم صلى صلاتين صلاة في جوف الليل وصلاة
بعد الفجر وقرا فيهما او جمع بين القراة والصلاة وان الجن استمعوا للقرانين واطلاق
صلاة الفجر على الركعتين المذكورتين سابق وبهذا يندفع قول بعضهم صلاة الفجر لم
تكن وجبت وكان صلى الله عليه وسلم يقرا سورة الجن وفيه ان في الصحيح ان سورة
الجن انما نزلت بعد استماعهم وقد تقدم وسياتي ما يعلم منه انه ليس المراد بالاستماع
الاستماع المذكور هنا بل استماع سابق على ذلك وهو المذكور في رواية رضي الله تعالى عنهما
الاتية ورواية صلاة الفجر هنا ذكرها الكشاف كالفخر الرازي والافالروايات التي وقفت
عليها فيها الاقتصار على صلاة الليل وصلاة الفجر كانت في ابتدا البعث في بطن نخلة عند
ذهابه صلى الله عليه وسلم هو واصحابه الى سوق عكاظ كما سياتي عن ابن عباس رضي الله تعالى
عنهما فامنوا به وكانوا يهود لقولهم انا سمعنا كتابا انزل من بعد موسى ولم يقولوا
من بعد عيسى الا ان يكون ذلك بناء على ان شريعة عيسى مقررة لشريعة موسى لا ناسخة
لها ولا يخفى انهم حملوا ما نزل من الكتاب على ما لم ينزل لانهم لم يسمعوا جميع الكتاب ولا كان
كله منزلا قال وانكر ابن عباس رضي الله تعالى عنهما اجتماع النبي صلى الله عليه وسلم
بالجن اي باحد منهم ففي الصحيحين عنه قال ما قرا رسول الله صلى الله عليه وسلم
على الجن ولا راهم انطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم في طايفة من اصحابه عامدين الى
سوق عكاظ اي وكان بين الطايف ونخلة كان لثقيف وقيس عيلان كما تقدم وقد حيل
بين الشياطين وبين خبر السما وارسلت عليهم الشهب ففزعت الشياطين الى قومهم
فقالوا ما لكم قالوا حيل بيننا وبين خبر السما وارسلت علينا الشهب قالوا ما ذاك الا
من شي حدث فاضربوا مشارق الارض ومغاربها فمر النفر جماعة اخذوا نحو تهامة فاذا هم
بالنبي صلى الله عليه وسلم وهو بنخلة عامدا الى سوق عكاظ يصلي باصحابه صلاة الفجر فلما
سمعوا القرآن استمعوا له وقالوا هذا الذي حال بيننا وبين خبر السما فرجعوا الى قومهم
فقالوا يا قومنا انا سمعنا قرانا عجبا يهدي الى الرشد فانزل الله تعالى على نبيه صلى
الله عليه وسلم قل اوحي الي انه استمع نفر من الجن اي اخبره الله تعالى بالوحي انه استمع
القران نفر من الجن اي جن نصيبين اقول تقدم ان اطلاق الفجر على الركعتين
اللتين كان يصليهما قبل طلوع الشمس سايغ فان ذلك باعتبار الزمان لا لكونهما احد
الخمس المفترضة ليلة الاسرى وقوله باصحابه يجوز ان تكون البا بمعنى مع ويجوز ان
يكون صلى الله عليه وسلم صلى بهم اماما لان الجماعة في ذلك جايزة ولا يخفى ان هذه الصلاة
التي تضمنتها رواية ابن عباس رضي الله تعالى عنه غير قصة انصرافه صلى الله عليه وسلم

من الطائف يدل لذلك قوله انطلق صلى الله عليه وسلم في طائفة من اصحابه عامدين الى سوق
عكاظ لانه في تلك القصة اي قصة الطائف كان وحده او معه مولاه زيد بن حارثة رضي
الله تعالى عنه على ما تقدم وكان مجيئه صلى الله عليه وسلم من الطائف قاصدا مكة وفي
هذه كان ذهابه صلى الله عليه وسلم من مكة قاصدا سوق عكاظ وانه قرا في تلك
اي مجيئه من الطائف سورة الجن وفي هذه قرا غيرها ثم نزلت تلك السورة وان هذه القصة
التي تضمنتها رواية ابن عباس سابقة على تلك لان قصة ابن عباس رضي الله تعالى عنه
كانت في ابتدا الوحي لان الحيلولة بين الجن وبين خبر السما بالشهب كانت في ذلك الوقت
وتلك كانت بعد ذلك بسنين عديدة وسياق كل من القصتين يدل على انه لم تجتمع الجن به
صلى الله عليه وسلم ولا قرا عليهم وانما استمعوا قراءته من غير ان يشعر بهم صلى الله عليه
وسلم وقد صرح ابن عباس رضي الله تعالى عنه في هذه وصرح به الحافظ الدمياطي في تلك
حيث قال في سيرته فلما انصرف صلى الله عليه وسلم من الطائف راجعا الى مكة ونزل
نخلة قام يصلي من الليل فصرف اليه نفر من الجن سبعة من اهل نصيبين فاستمعوا له وهو
يقرا سورة الجن ولم يشعر بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى نزل عليه واذ صرفنا
اليك نفرا من الجن يستمعون القران هذا كلامه ونزول ما ذكر كان بعد انصرافهم فقد قال
ابن اسحاق رحمه الله تعالى فلما فرغ صلى الله عليه وسلم من صلاته ولوا الى قومهم منذرين
وقد امنوا به واجابوا الى ما سمعوا فقص الله تعالى خبرهم على النبي صلى الله عليه وسلم ه
وبهذا يعلم ما في سفر السعادة فلما وافى صلى الله عليه وسلم في رجوعه الى نخلة جاءه الجن
وعرضوا اسلامهم عليه وكذا يعلم ما في المواهب من قوله ولما انصرف صلى الله عليه وسلم عن
اهل الطائف ونزل نخلة صرف اليه سبعة من جن نصيبين الى ان قال وفي الصحيح الذي
اذنه صلى الله عليه وسلم بالجن ليلة الجن شجرة وانهم سالوه صلى الله عليه وسلم الزاد فقال
كل عظم الخ لان سوالهم له صلى الله عليه وسلم الزاد فرع اجتماعهم به وقد ذكر انه لم يوذنه
صلى الله عليه وسلم بهم الا الشجرة هناك وعلى جواز ان شجرة اذنته صلى الله عليه وسلم بهم قبل
انصرافهم اي اعلمته بوجودهم وان ذلك كان سببا لاجتماعهم به وان دعوى ذلك لا ينافي
لا ينافي انه صلى الله عليه وسلم يشعر باستماعهم للقران الا بما نزل عليه من القران فسوالهم
صلى الله عليه وسلم الزاد كان في قصة اخرى غير هاتين القصتين كانت بمكة سياق الكلام
عليها ثم رايت عن ابن حجر الهيتمي انه يتبين من الاحاديث ان الجن سمعوا قراءة النبي صلى الله
عليه وسلم بنخلة واسلموا فارسلهم صلى الله عليه وسلم الى قومهم منذرين اذ لا حاجة
ان يكون ذلك في اول البعث لمخالفته لما تقدم عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما وح يويد
الاحتمال الثاني الذي ذكرناه من انه يجوز انهم اجتمعوا به صلى الله عليه وسلم بعد ان
اذنته بهم الشجرة وقوله فارسلهم الى قومهم منذرين ولم اقف فيما وقفت عليه من الروايات على
ما هو صريح في ذلك اي ان ارساله صلى الله عليه وسلم لهم كان بنخلة عند رجوعه صلى الله عليه

وسلم

وسلم من الطائف ولعل قايله فهم ذلك من قوله تعالى ولوا الى قومهم منذرين وغاية ما دلت
ان ابن جرير والطبراني رويا عن ابن عباس رضي الله تعالى عنه ان الجن الذين اجتمعوا به
صلى الله عليه وسلم ببطن نخلة وكانوا تسعة نفر من اهل نصيبين فجعلهم رسول الله صلى
الله عليه وسلم رسلا الى قومهم وهذا ليس صريحا في انه كان عند رجوعه من الطائف
لا يقال يعني ذلك انكار ابن عباس رضي الله تعالى عنهما اجتماعه صلى الله عليه وسلم كان
في بطن نخلة في مرة اخرى ثالثة ثم رايت في النور ما يخالف ما تقدم عن ابن عباس رضي
الله تعالى عنهما من قوله انه صلى الله عليه وسلم لم يجتمع بالجن حين خرج وجه الى سوق
عكاظ ومعه اصحابه حيث قال الذي في الصحيح وغيره انه صلى الله عليه وسلم اجتمع
بهم وهو خارج من مكة الى سوق عكاظ ومعه اصحابه فليتامل قال وذكر انه صلى
الله عليه وسلم اقام بنخلة اياما بعد ان اقام بالطائف عشرة ايام وشهرا لا يدع
احدا من اشرافهم اي زيادة على عبد ياليل واخويه الا جاء اليه وكلمه فلم يجبه احد فلما
اراد الدخول الى مكة قال زيد بن حارثة رضي الله تعالى عنه تدخل قريشا وهم قد
اخرجوك او كانوا الخ وجئت سببا وخرجت لتنتصر فلم تنصر فقال عليه افضل الصلاة
والسلام يا زيد ان الله جاعل لما ترى فرجا ومخرجا وان الله ناصر دينه ومظهر نبيه
فسار صلى الله عليه وسلم الى حرا ثم بعث الى الاخنس بن شريق اي رضي الله عنه فانه
اسلم بعد ذلك ليجيره اي ليدخل صلى الله عليه وسلم في جواره فقال انا حليف والحليف
لا يجير اي قاعدة العرب وطريقهم واصطلاحهم فبعث صلى الله عليه وسلم الى سهيل بن
عمرو رضي الله تعالى عنه فانه اسلم بعد ذلك ايضا فقال ان بني عامر لا تجير على بني
كعب وفيه انه لو كان لذلك لما سالهما صلى الله عليه وسلم لكن لم يكن يعرف صلى الله عليه وسلم
هذا الاصطلاح بعيد الا ان يقال جوز صلى الله عليه وسلم مخالفة هذه الطريقة فبعث
صلى الله عليه وسلم الى المطعم بن عدي اي وقد مات كافرا قبل بدر بنحو سبعة
اشهر يقول له اني داخل مكة في جوارك فاجابه الى ذلك وقال قل له فليات فرجع
اليه فاخبره فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة ثم تسلح المطعم بن عدي واهل
بيته وخرجوا حتى اتوا المسجد اي فقام المطعم بن عدي فنادى يا معشر قريش اني
قد اجرت محمدا فلا يوذه احد منكم ثم بعث الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ادخل
فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم المسجد وطاف بالبيت وصلى عنده ثم انصرف الى
منزله والمطعم بن عدي وولده مطيفون به صلى الله عليه وسلم قال وذكر ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم بات عنده تلك الليلة فلما اصبح خرج المطعم بن عدي
وقد لبس سلاحه هو وبنوه وكانوا ستة او سبعة وقالوا لرسول الله صلى الله عليه
طف واحتبوا بحمايل سيوفهم في المطاف مدة طوافه صلى الله عليه وسلم واقبل ابو سفيان
بن حرب رضي الله تعالى عنه على المطعم فقال امجير ام تابع فقال بل مجير فقال اذن

فقال اذن لا تخفر اي لا نزيل خفارتك اي جوارك قد اجرنا من اجرت فجلس معه حتى قضى
رسول الله صلى الله عليه وسلم طوافه انتهى اي ولا بدع في دخوله صلى الله عليه وسلم في امان
كافر لان حكمة الحكيم القادر قد تخفى وهذا السياق يدل على ان قريشا كانوا اجمعوا
على عدم دخوله صلى الله عليه وسلم الى الطائف ودعائه اي ولهذا المعروف الذي فعله
المطعم قال صلى الله عليه وسلم في اسارى بدر لو كان المطعم بن عدي حيا ثم كلمني في هولا
النتنى لتركتهم له ورايت في اسد الغابة ان جبيرا ولد المطعم رضي الله تعالى عنه فانه اسلم
بين الحديبية والفتح وقيل يوم الفتح جا الى النبي صلى الله عليه وسلم وهو كافر فسال في
اسارى بدر فقال صلى الله عليه وسلم لو كان الشيخ ابوك حيا فاتانا فيهم لشفعناه فيهم
كما سياتي كما سياتي اي لانه فعل معه صلى الله عليه وسلم هذا الجميل وكان من جملة من سعى
في نقض الصحيفة كما تقدم قال وعن كعب الاحبار رضي الله تعالى عنه لما انصرف
النفر السبعة من اهل نصيبين من بطن نخلة جاؤا الى قومهم منذرين ثم جاؤا وافدين مع قومهم
وافدين الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بمكة وهم ثلثمائة فانتهوا الى الحجون فجا
واحد من اولئك النفر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان قومنا قد حضروا
بالحجون يلقونك فوعدهم صلى الله عليه وسلم ساعة من الليل بالحجون انتهى وعن ابن مسعود
رضي الله تعالى عنه قال اتانا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اني امرت ان اقرا على
اخوانكم من الجن فليقم معي رجل منكم ولا يقم رجل في قلبه مثقال حبة خردل من كبر
فقمت معه اي بعد ان ذكر صلى الله عليه وسلم ذلك ثلاثا ولم يجبه احد منهم ولعلهم
فهموا ان من الكبر ما ليس منه وهو محبة الترفع في نحو الملبس الذي لا يكاد يخلو منه احد
وقد بين صلى الله عليه وسلم الكبر في الحديث ببطر الحق وغمط الناس اي استصغارهم
وعدم رؤيتهم شيئا بعد ان قالوا له يا رسول الله ان الرجل يحب ان يكون ثوبه حسنا
ونعله حسنا قال ان الله جميل يحب الجمال الكبر بطر الحق وغمط الناس بالطا المهملة
كما في رواية ابي داود وجا لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر ولا يدخل
النار احد في قلبه مثقال حبة خردل من ايمان قال الخطابي رحمه الله تعالى المراد بالكبر
هنا اي في هذه الرواية كبر الكفر لانه قابله بالايمان قال ابن مسعود رضي الله تعالى
عنه وذهب صلى الله عليه وسلم في بعض نواحي مكة اي باعلاها لم ترني ولم اراك الى
يوم القيامة وفي رواية لا تحدث شيئا حتى اتيك لا يروعنك اي لا يخوفنك ويفزعنك ولا
يهولنك اي لا يعظم عليك شيا تراه ثم جلس صلى الله عليه وسلم فاذا رجال سود كانهم رجال
الزط وهم طائفة من السودان الواحد منهم زطي وكانوا كما قال الله تعالى كادوا يكونون
عليه لبدا اي كاللبد في ركوب بعضهم بعضا حرصا على سماع القران منه صلى الله عليه
فمكثت ثم انهم تفرقوا عنه صلى الله عليه وسلم فسمعتهم يقولون يا رسول الله ان شقتنا
اي ارضنا التي نذهب اليها بعيدة ونحن منطلقون فزودنا اي لانفسنا وزادا لدوابنا ولعله

بالحجون خط فلما برز خط لي خطا اي برجله وقال لا تخرج خطك فان خرجت صح

كان نفد زادهم وزاد دوابهم فقال صلى الله عليه وسلم كل عظم ذكر اسم الله عليه يقع
في يد احدكم اوفر ما كان لحما رواه مسلم وفي رواية الا وجد عليه لحمه الذي كان
عليه يوم اكل وكل بعر علف دوابكم وعن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه انهم لما سالوه
صلى الله عليه وسلم الزاد قال لكم كل عظم عراق ولكم كل روثة خضرا والعراق بضم العين
وفتح الرا جمع عرق بفتح العين وسكون الرا العظم الذي اخذ عنه اللحم وقيل انه
الذي اخذ عنه معظم اللحم قلت يا رسول الله وما يغني عنهم اي عن انفسهم وعن دوابهم
بدليل قوله فقال صلى الله عليه وسلم انهم لا يجدوا عظما الا وجدوا عليه لحمه يوم اكل
ولا روثة الا وجدوا فيها حبها يوم اكلت وفي رواية وجدوه اي الروث والتمر شعيرا
وهذه الرواية تدل على ان الروثة مطعوم دوابهم ويوافقه ما جا ان الشعير يعود
خضرا لدوابهم ويحتاج للجمع بين كون الروث كالتمر يعود حبا يوم اكل وبين كونه
يعود شعيرا وبين كونه يعود خضرا هذا وفي رواية لابي نعيم ان الروث يعود لهم
تمرا وهي تدل على ان الروث من مطعومهم ويحتاج للجمع وجمع ابن حجر الهيتمي رحمه
الله تعالى بان الروث تارة يكون علفا لدوابهم وتارة طعاما لهم اي لانفسهم اي
وفي رواية وفي لفظ سالوني المتاع فمتعتهم كل عظم حائل وكل روثة وكل روثة وكل
بعرة والحائل البالي بمرور الزمن لانه لم يخرج بذلك عن كونه مطعوما ما لو صرف
وصار فحما ولعل الغرض من ذكر الحائل وقوله الا وجدوا عليه لحمه يوم اكل يدل على
ان المراد عظم الذكاة وبدليل ذكر اسم الله عليه فلا ياكلون ما لم يذكر اسم الله عليه
من عظم اي وكذا من طعام الانس سرقة كما جا في بعض الاخبار هذا ولكن في رواية
في ابي داود كل عظم لم يذكر اسم الله عليه قال السهيلي واكثر الاحاديث تدل على
معنى رواية ابي داود وقال بعض العلماء رواية ذكر اسم الله عليه في حق الجن المؤمنين
ورواية لم يذكر اسم الله عليه في حق الشياطين منهم وهذا قول صحيح تعضده الاحاديث
هذا كلامه اي والتي من تلك الاحاديث ان ابليس قال يا رب ليس احد من خلقك الا جعلت
له رزقا يعيشه فما رزقي قال كل ما لم يذكر عليه اسمي ومعلوم ان ابليس ابو الجن وان ما
لم يذكر اسم الله عليه يشمل عظم الميتة ومقابلة الشياطين بالمؤمنين تدل على ان المراد
الكفار منهم لا ان كون الكفار من الجن اجتمعوا به صلى الله عليه وسلم مع المؤمنين
وان كلا من الفريقين ساله الزاد وانه خاطب كلا بما يليق به لا سيما مع ما تقدم عن ابن
مسعود وما ياتي من قوله اخوانكم من الجن ومن ثم قال بعضهم ان السائلين له صلى
الله عليه وسلم الزاد كانوا مسلمين فيه بعد فليتامل ولما ذكر صلى الله عليه وسلم لهم العظم
والروث قالوا يا رسول الله ان الناس يقذرونهما علينا فنهى صلى الله عليه وسلم ان يستنجي
بالعظم او بروثة بقوله فلا يستنجين احدكم اذا خرج من الخلا بعظم ولا بعرة ولا روثة
لانه زاد اخوانكم من الجن وفي رواية قالوا له صلى الله عليه وسلم انه امتك عن

الاستنجا بهما فان الله جعل لنا فيهما رزقا فنهي رسول الله صلى الله عليه وسلم عن
الاستنجا بالعظم والبعر اي وحرمه نحو البول والتغوط عليهما فعلم من ذلك بالاولى
ومنه يعلم ان فيه اوهم بالتقدير التنجيس لا ما يشمل التقذير بالطاهر كالبصاق والمخاط
وعن جابر ابن عبد الله رضي الله تعالى عنه قال بينا انا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
امشي اذ جاءت حية فقامت الى جنبه وادنت فاها من اذنه صلى الله عليه وسلم وكانها
تناجيه فقال النبي صلى الله عليه وسلم نعم فانصرفت قال جابر رضي الله تعالى عنه فسالته
فاخبرني انه رجل من الجن وانه قال له مر امتك لا يستنجوا بالروث ولا بالرمة
اي العظم لان الله تعالى جعل لنا في ذلك رزقا ولعل هذا الرجل من الجن لم يبلغه
صلى الله عليه وسلم نهى عن ذلك ولا يخفى ان سوال الزاد يقتضي ان ذلك لم يكن زادهم
وزاد دوابهم قبل ذلك وسياتي ما كان زادهم قبل ذلك وقد يقال هو كل شي لم يذكر
اسم الله عليه من طعام الادميين وح يكون ما تقدم في خبر ابليس المراد بما لم يذكر
اسم الله عليه غير العظم فليتامل والنهي عن الاستنجا يدل على ان ذلك لا يختص بحال
السفر بل هو زادهم بعد ذلك دايما وابدا وقصة جابر هذه سياتي في غزاة تبوك
وهو ان حية عظيمة الخلقة عارضتهم في الطريق فانحاز الناس عنها فاقبلت حتى وقفت
على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على راحلته والناس ينظرون اليها ثم التوت حتى
اعتزلت الطريق فقامت قايمة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اتدرون من هذه قالوا
الله ورسوله اعلم قال هذا احد الرهط الثمانية من الجن الذين وفدوا الي يسمعون القران
قال في المواهب وفي هذا رد على من زعم ان الجن لا تاكل ولا تشرب وانما يتغذون
بالشم اقول ذكرت في كتابي عقد المرجان فيما يتعلق بالجان ان في اكل الجن ثلاثة
اقوال قول يا كلون بالمضغ والبلع ويشربون بالازدراد والثاني لا يا كلون ولا يشربون
بل يتغذون بالشم والثالث انهم صنفان صنف يا كل ويشرب وصنف لا يا كل ولا يشرب
وانما يتغذون بالشم وهم خلاصتهم والله تعالى اعلم قال ابن مسعود فلما ولوا قلت
من هولا قال هولا جن نصيبين وفي رواية فتوارى عني فلم اره فلما سطع الفجر اقبل
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لي اراك قايما فقلت ما قعدت فقال ما عليك لو فعلت
اي قعدت قلت خشيت ان اخرج منه فقال اما انك لو خرجت لم ترني ولم اراك الى يوم
القيامة اي وفي رواية لم امن عليك ان يخطفك وفيه ان الخروج لا ينشي عن القعود
حتى يخشى منه الخروج وفي رواية قال لي انمت فقلت لا والله يا رسول الله ولقد هممت
مرارا ان استغيث بالناس لما تراكموا عليك الى ان سمعتك تقرعهم بعصاك وتقول
اجلسوا وسالته عن سبب اللغط الشديد الذي كان منهم فقال ان الجن تداعت في
قتيل قتل بينهم فتحاكموا الي فحكمت بينهم بالحق وفي رواية عن سعيد ابن جبير رضي
الله تعالى عنه انه اي ابن مسعود قال له وليلة جن نصيبين وكانوا اثنا عشر

الفا والسورة التي قراها عليهم اقرا باسم ربك ولا ينافي ذلك ما جا عن ابن عباس مسعود
رضي الله تعالى عنه انه افتتح القران لان المراد بالقراة القران زاد ابن مسعود على
ما في بعض الروايات ثم شبك صلى الله عليه وسلم اصابعه في اصابعي وقال اني وعدت ان
تومن بي الجن والانس اما الانس فقد امنت واما الجن فقد رايت اقول
وفي هذا ان ابن مسعود رضي الله تعالى عنه لم يخرج من الدايرة التي اختطها له
صلى الله عليه وسلم وفي السيرة الهشامية ما يقتضي انه خرج منها حيث قال عن ابن
مسعود فجيتهم فرايت الرجال ينحدرون عليه من الجبال فازدحموا عليه الخ فليتامل فعلم
ان هذه القصة بعد كل من قصة ابن عباس رضي الله تعالى عنهما وقصة رجوعه من
الطايف فان قصة ابن عباس كانت في اول البعث وقصة رجوعه من الطايف بعدها
بمدة كما علمت وهذه القصة كانت بعدهما بمكة والله تعالى اعلم ثم قال صلى الله عليه وسلم
لابن مسعود هل معك وضو اي ما نتوضا به قال قلت فقال ما هذه الاداوة اي وهي انا
من جلد قلت فيها نبيذ قال تمرة طيبة وما طهور صب على فصببت عليه صلى الله عليه وسلم
فتوضا واقام الصلاة فصلى اقول وهو محمول عند ايمتنا معاشر الشافعية على ان
الما لم يتغير بالتمر تغيرا كثيرا يسلب اسم الما عنه ومن ثم قال صلى الله عليه وسلم ما طهور
وقول ابن مسعود رضي الله تعالى عنه فيها نبيذ اي منبوذ الذي هو التمر وسماه
نبيذا باعتبار الاول على حد قوله تعالى اني اراني اعصر خمرا وهذا بناء على فرض صحة الحديث
والا فقد قال بعضهم حديث النبيذ ضعيف باتفاق المحدثين وفي كلام الشيخ محي الدين
رحمه الله تعالى الذي اقول به منع التطهير بالنبيذ لعدم صحة الخبر المروي فيه ولو
ان الحديث صح لم يكن منافي الوضو به فانه صلى الله عليه وسلم قال تمرة طيبة وماء
طهور اي قليل الامتزاج والتغير عن وصف الما وذلك لان الله تعالى ما شرع الطهارة
عند فقد الما الا بالتيمم بالتراب خاصة قال ومن شرف الانسان ان الله تعالى جعل
له التطهر بالتراب وقد خلقه من تراب وامر بالتطهير ايضا به تشريفا له وعند
احمد ومسلم والترمذي عن علقمة قال قلت لابن مسعود رضي الله تعالى عنه هل
النبي صلى الله عليه وسلم ليلة الجن منكم احد فقال ما صحبه منا احد ولكن فقدناه ذات ليلة
فقلنا استطير او اغتيل فطلبناه فلم نجده فبتنا بشر ليلة فلما اصبحنا اذا هو صلى الله عليه وسلم
جا من قبل الحجون وفي لفظ من قبل حرا فقلنا يا رسول الله انا فقدناك فطلبناك فلم نجدك
فبتنا بشر ليلة فقال صلى الله عليه وسلم انه اتاني داعي الجن فذهبت معهم فقرات عليهم
القران فانطلق صلى الله عليه وسلم فارانا اثارهم واثار نيرانهم وهذه القصة يجوز ان
تكون المنقولة عن كعب الاحبار المتقدم ذكرها وهي سابقة على القصة التي كان فيها ابن
مسعود رضي الله تعالى عنه ويجوز ان تكون غيرها وهي المرادة بقول عكرمة رضي الله
تعالى عنه انهم كانوا اثني عشر الفا جاوا من جزيرة الموصل لان المتقدم في تلك عن كعب

الاخبار انهم كانوا ثلثمائة من جن نصيبين وح يحتمل ان ه تكون هذه القصة سابقة
على القصة التي كان بها ابن مسعود ويحتمل ان تكون هذه القصة متاخرة عنها
وعلى ذلك يكون اجتماع الجن به صلى الله عليه وسلم في مكة ثلاث مرات مرة كان معه
فيها ابن مسعود رضي الله تعالى عنه ومرتين لم يكن معه ابن مسعود فيهما والله تعالى
اعلم قال في الاصل ويكفي في امر الجن ما في سورة الرحمن وسورة قل اوحي الي
وسورة الاحقاف اقول فعلم ان الجن سمعوا قراءته صلى الله عليه وسلم ولم يجتمعوا به
ولا شعر بهم في المرة الاولى وهو ذاهب من مكة الى سوق عكاظ في ابتدا البعث
المتقدمة عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما على ما تقدم ولا في المرة الثانية عند
منصرفه من الطايف بنخلة على ما تقدم من انه فيه وعلم ان الروايات على اتفقت على استماعهم
لقراءته صلى الله عليه وسلم في المرتين ويعلم ما في المواهب عن الحافظ ابن كثير ان كون
الجن استمعوا اله في نخلة عند منصرفه من الطايف فيه نظر وانما استماعهم له في نخلة
عند منصرفه من الطايف كان في ابتدا البعث كما يدل عليه حديث ابن عباس رضي الله
تعالى عنه اي من ان ذلك كان عند ذهابه صلى الله عليه وسلم الى سوق عكاظ
وعلم انهم اجتمعوا به صلى الله عليه وسلم وقرا عليهم وامنوا به في مكة مرتين او ثلاثة
بعد ذلك والله اعلم وقد اخرج البيهقي في شعب الايمان عن قتادة انه قال لما اهبط
ابليس قال ادم اي رب قد لعنته فما علمه قال السحر قال فما قراءته قال الشعر قال فما
كتابته قال الوشم قال فما طعامه قال كل ميتة وما لم يذكر اسم الله عليه اي من طعام
الانسي ياخذه سرا قال فما شرابه قال كل مسكر قال فاين مسكنه قال الحمام والسوق قال
فما مصايده قال النسا فالحمام اكثر محل اقامته والسوق محل تردده في بعض الاوقات
والظاهر ان مثل ابليس فيما ذكر كل من لم يومن من الجن

باب ذكر خبر الطفيل بن عمرو الدوسي

واسلامه رضي الله تعالى عنه كان الطفيل بن عمرو الدوسي شريفا في قومه شاعرا
نبيلا قدم مكة فمشى اليه رجال من قريش فقالوا يا ابا الطفيل كنوه بذلك تعظيما له
انك قدمت بلادنا وهذا الرجل بين اظهرنا قد اعضل امره بنا اي اشتد وفرق جماعتنا
وشتت امرنا وانما قوله كالسحر يفرق به بين الرجل وابيه وبين الرجل واخيه اي وبين
الرجل وزوجته وانا نخشى عليك وعلى قومك ما دخل علينا فلا تكلمه ولا تسمع منه قال
الطفيل رضي الله تعالى عنه فوالله ما زالوا بي حتى اجمعت اي قصدت وعزمت على ان
لا اسمع منه شيا ولا اكلمه اي حتى حشوت في اذني حين غدوت الى المسجد كرسفا وهو
بضم الكاف وسكون الرا ثم سين مهملة مضمومة ثم فاء اي قطنا فرقا اي خوفا من
ان يبلغني شي من قوله صلى الله عليه وسلم فغدوت الى المسجد فاذا رسول الله صلى الله عليه
وسلم عند الكعبة فقمت عند الكعبة قريبا منه فابا الله الا ان اسمع بعض قوله صلى الله عليه

وسلم اي فسمعت كلاما حسنا فقلت في نفسي انا ما يخفى علي الحسن من القبيح فما يمنعني من ان
اسمع من هذا الرجل ما يقول فان كان الذي يه حسنا قبلته وان كان قبيحا تركته فمكثت
حتى انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم الى بيته فقلت يا محمد ان قومك قالوا كذا وكذا
حتى سددت اذني بكرسف حتى لا اسمع قولك فاعرض علي امرك فعرض علي الاسلام وتلى
علي القران اي قرا عليه صلى الله عليه وسلم قل هو الله احد الى اخرها وقل اعوذ برب
الفلق الى اخرها وقل اعوذ برب الناس الى اخرها وفيه انه سياتي ان نزول قل
اعوذ برب الفلق وقل اعوذ برب الناس كانتا بالمدينة عندما سحر النبي صلى الله عليه
وسلم الا ان يقال يجوز ان يكون ذلك مما تكرر نزوله فقال والله ما سمعت قط قولا
احسن من هذا ولا امرا اعدل منه فاسلمت فقلت يا نبي الله اني امرؤ مطاع في قومي
وانا راجع اليهم فادعوهم الى الاسلام فادع الله ان يكون لي عونا عليهم قال اللهم
اجعل له اية فخرجت حتى اذا كنت بثنية تطلعني على الحاضر اي وهم النازلون المقيمون
على الماء لا يرحلون عنه وكان ذلك في ليلة مظلمة وقع نور بين عيني مثل المصباح
فقلت اللهم في غير وجهي فاني اخشى ان يظنوا انه مثلة فتحول في راس سوطي
فجعل الحاضر يتراون ذلك النور كالقنديل المعلق اي ومن ثم عرف بذي النور
والى ذلك اشار الامام تقي الدين السبكي تغمده الله تعالى برحمته في تائيته ؛؛
؛؛ وفي جبهة الدوسي ثم بسوطه ؛؛ جعلت ضياء مثل شمس منيرة ؛؛
قال فاتى ابي فقلت له اليك عني يا ابت فلست مني ولست منك قال لم ذا يا بني
قلت قد اسلمت وتابعت دين محمد صلى الله عليه وسلم قال اي بني ديني دينك فاسلم
اي بعد ان قال له اغتسل وطهر ثيابك فغتسل ثم جا فعرض عليه الاسلام ثم اتتني
صاحبتي فذكرت لها مثل ذلك اي قلت لها اليك عني فلست منك ولست مني قد اسلمت
وتابعت دين محمد صلى الله عليه وسلم قالت فديني دينك فاسلمت ثم دعوت دوسا الى
الاسلام فابطاوا علي ثم جيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله قد
غلبني على دوس الزنا فادع الله عليهم فقال صلى الله عليه وسلم اللهم اهد دوسا قال زاد
في رواية وايت بهم قال الطفيل فرجعت فلم ازل بارض قومي ادعوهم الى الاسلام
حتى هاجر النبي صلى الله عليه وسلم الى المدينة ومضى بدر واحد والخندق انتهى فاسلموا
قال فقدمت بمن اسلم من قومي عليه صلى الله عليه وسلم وهو بخيبر بسبعين او ثمانين
بيتا من دوس اي ومنهم ابو هريرة رضي الله تعالى عنه فاسهم صلى الله عليه وسلم لنا مع
المسلمين اي مع عدم حضورهم القتال انتهى اقول قال في النور وفي الصحيح
ينفي هذا وهو انه صلى الله عليه وسلم لم يعط احدا لم يشهد القتال الا اهل السفينة
الجاية من ارض الحبشة جعفر ومن معه اي ومنهم الاشعريون ابو موسى الاشعري
الاشعري وقومه رضي الله تعالى عنهم فقد تقدم انهم هاجروا من اليمن الى الحبشة ثم

جا والى المدينة وفيه انه سياتي انه صلى الله عليه وسلم سال اصحابه رضي الله تعالى
عنهم ان يشركوهم معهم في الغنيمة ففعلوا وسياتي انه صلى الله عليه وسلم انما اعطى
اهل السفينة والدوسيين على ما علمت من الحصنين اللذين فتحا صلحا فقد اعطاهما صلى
الله عليه وسلم مما افا الله تعالى من الغنيمة وسوال اصحابه رضي الله تعالى عنهم فيما اعطاهم
من المشورة العامة الماموربها في قوله تعالى فشاورهم في الامر لا استنزالهم عن شي
من حقهم والله تعالى اعلم بالصواب واليه المرجع والماب

باب المعراج

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

باب ذكر الاسراء والمعراج وفرض الصلوات الخمس قال اعلم انه لا خلاف في الاسراء
به صلى الله عليه وسلم اذ هو نص القران على سبيل الاجمال وجات بتفصيله وشرح عجايبه
احاديث كثيرة عن جماعة من الصحابة من الرجال والنسا نحو الثلاثين ومن ثم ذهب الحافظ
الصوفي الى ان الاسراء وقع له صلى الله عليه وسلم ثلاثين مرة فجعل كل حديث اسراء واتفق العلماء
رحمهم الله على ان الاسرا كان بعد البعثة انتهى اي الاسرا الذي كان في اليقظة بجسده
فلا ينافي حديث البخاري عن انس ابن مالك رضي الله عنه ان الاسرا كان قبل ان يوحى اليه صلى الله
عليه وسلم لان ذلك كان في نومه بروحه الشريف فكان هذا الاسرا توطية له وتيسيرا
عليه كما كان بدو نبوته صلى الله عليه وسلم الرويا الصادقة وفي كلام الشيخ عبد الوهاب
الشعراني ان اسراه صلى الله عليه وسلم كانت اربعا وثلاثين واحد بجسمه والباقي بروحه
الشريف وتلك الليلة اي التي كانت بجسمه صلى الله عليه وسلم كانت ليلة سبع عشرة
وقيل سبع وعشرين خلت من شهر ربيع الاول وقيل ليلة سبع عشرة وقيل في رجب
واختار هذا الاخير الحافظ عبد الغني المقدسي وعليه عمل الناس وقيل في شوال
وقيل في ذي الحجة وفي كلام الشيخ عبد الوهاب ما يفيد ان اسراته صلى الله عليه
وسلم كلها كانت في تلك الليلة التي وقع فيها هذا الاختلاف فليتامل وذلك قبل
الهجرة قيل بسنة وبه جزم ابن حزم وادعى فيه الاجماع وقيل بسنتين وقيل بثلاث
سنين وكل من الاسرا والمعراج كان بعد خروجه صلى الله عليه وسلم للطايف كما دل عليه
السياق وعن ابن اسحق رحمه الله ان ذلك كان قبل خروجه صلى الله عليه وسلم الى
الطايف وفيه نظر ظاهر واختلف في اليوم الذي يسفر عن ليلتها فقيل الجمعة وقيل
السبت وقال ابن دحية رحمه الله يكون يوم الاثنين ان شا الله تعالى ليوافق المولد
والبعث والهجرة والوفاة الى لانه صلى الله عليه وسلم ولد يوم الاثنين وبعث
يوم الاثنين وخرج من مكة يوم الاثنين ودخل المدينة يوم الاثنين ومات يوم الاثنين
فليتامل عن ام هاني بنت ابي طالب رضي الله عنها اي واسمها على الاشهر فاختة
وسياتي في فتح مكة انها اسلمت يوم الفتح وهرب زوجها هبيرة الى نجران ومات
بها على كفره قال دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم بغلس اي في الظلام بعد

الفجر وانا على فراشي فقال اشعرت اي علمت اني نمت الليلة في المسجد الحرام اي عند البيت
او في الحجر وهو المراد بالحطيم الذي وقع في بعض الروايات وفي رواية فرج سقف بيتي قال
الحافظ ابن حجر يحتمل ان يكون السر في ذلك اي في المعراج السقف التمهيد لما يقع من شق صدره
الشريف فكان الملك اراه بانفراج السقف والتيامه في الحال كيفية ما سيصنع به لطفا به صلى الله
عليه وسلم نام في بيت ام هاني قالت ففقدته صلى الله عليه وسلم من الليل فامتنع مني النوم مخافة
ان يكون عرض له صلى الله عليه وسلم بعض قريش اي وحكى ابن سعد رحمه الله ان النبي صلى
الله عليه وسلم فقد تلك الليلة فتفرقت بنو عبد المطلب يلتمسونه صلى الله عليه وسلم ووصل
العباس رضي الله عنه الى ذي طوى وجعل يصرخ يا محمد فاجابه لبيك لبيك فقال يا ابن اخي عييت
قومك فاين كنت قال صلى الله عليه وسلم ذهبت الى بيت المقدس قال من ليلتك قال نعم
قال هل اصابك الا خير قال ما اصابني الا خير ولعله صلى الله عليه وسلم نزل عن البراق في ذلك
المحل وعن ام هاني رضي الله عنها انها قالت ما اسري برسول الله صلى الله عليه وسلم الا وهو في
بيتي نايم في تلك الليلة فصلى العشا الاخرة ثم نام ونمنا فلما كان قبيل الفجر اهبنا رسول
الله صلى الله عليه وسلم اي اقامنا من نومنا ومن ثم جا في رواية نبهنا رسول الله صلى الله عليه وسلم
فلما صلى الصبح وصلينا معه قال يا ام هاني لقد صليت معكم العشا الاخرة كما رايت بهذا الوادي
ثم جيت بيت المقدس فصليت فيه ثم صليت صلاة الغداة معكم الان كما ترين الحديث والمراد انه صلى الله
عليه وسلم صلى صلاته التي كان يصليها وهي الركعتان في الوقتين المذكورين والا فصلاة
العشا وصلاة الصبح التي هي صلاة الغداة لم يكونا فرضا وفي قولها وصلينا معه نظر لما تقدم
وياتي انها رضي الله عنها لم تسلم الا في يوم الفتح ثم رايت في مزيل الخفا واما قولها يعني
ام هاني رضي الله عنها وصلينا معه فاراءت به وهيات له صلى الله عليه وسلم ما يحتاج اليه
في الصلاة كذا اجاب واقرب منه انها تكلمت على لسان غيرها او انها لم تظهر اسلامها
الا يوم الفتح فليتامل فقال صلى الله عليه وسلم ان جبريل عليه السلام اتاني وفي رواية اسري من
شعب ابي طالب قال الحافظ ابن حجر والجمع بين هذه الروايات انه نام في بيت ام هاني رضي الله
عنها وبيتها عند شعب ابي طالب ففرج عن سقف بيته الذي هو بيت ام هاني لانه صلى الله
عليه وسلم كان نايما به فنزل الملك عليه السلام واخرجه الى المسجد وكان به اثر النعاس فاضطجع
فيه عند الحجر فيصح قوله صلى الله عليه وسلم نمت الليلة في المسجد الحرام الى اخره وفي رواية انه
صلى الله عليه وسلم اتاه جبريل وميكايل عليهما السلام ومعهما ملك اخر اي وهو مضطجع في المسجد
في الحجر بين عمه حمزة وابن عمه جعفر رضي الله عنهما فقال احدهم خذ واسيد القوم الاوسط بين
الرجلين فاحتملوه حتى جاوا به زمزم فاستلقوه على ظهره فتولاه منهم جبريل عليه السلام فشق من
ثغرة نحره وهو الموضع المنخفض بين الترقوتين الى اسفل بطنه اي وفي رواية الى مراق
بطنه وفي رواية الى شعرته اي فاشار الى ذلك فانشق فلم يكن الشق في المراق
كلها بالة ولم يسل منه دم ولم يجد صلى الله عليه وسلم لذلك الما كما تقدم التصريح به في بعض

الروايات لانه من خرق العادات وظهور المعجزات ثم قال جبريل لميكائيل عليهما السلام ايتني بطست
من ماء زمزم كيما اطهر قلبه واشرح صدره فاستخرج قلبه اي فشقه فغسله ثلاث مرات ونزع ما كان
فيه من اذى وهذا الاذى يحتمل ان يكون من بقايا تلك العلقة السودا التي نزعت منه صلى الله عليه وسلم
وهو مسترضع في بني سعد بناء على تجزيتها كما تقدم في المرة الثانية وهو ابن عشر سنين والثالثة عند
البعث فلا يخالف ان العلقة السودا انما نزعت منه صلى الله عليه وسلم في المرة الاولى وهو مسترضع في بني
سعد ويستحيل تكرار اخراجها والقايها والذي ينبغي ان يكون نزع تلك العلقة انما هو في المرة الاولى
والواقع في غيرها انما هو اخراج الاذى وانه غير تلك العلقة وان المراد به ما يكون في الجبلات
البشرية وتكرر اخراج ذلك الاذى استيصاله ومبالغة فيه وذكر العلقة في غير المرة الاولى وقول
الملك هذا حظ الشيطان منك وهم من بعض الرواة واختلف اليه ميكائيل عليه السلام بثلاث
طسات من ماء زمزم ثم اتي بطست من ذهب ممتلي ما هو سبب لحصول ذلك والمراد كما لهما
فلا ينافي ما تقدم في قصة الرضاع انه ملي حكمة وايمانا ووضعت فيه السكينة ثم اطبقه ثم ختم بين
كتفيه بخاتم النبوة وتقدم في قصة الرضاع اي في رواية ان الختم كان في قلبه وفي اخرى انه
كان في صدره وفي اخرى انه كان بين كتفيه وتقدم الكلام على ذلك اي وانكر القاضي عياض
رحمه الله تعالى شق صدره صلى الله عليه وسلم ليلة الاسرا وقال انما كان وهو صبي في بني سعد
وهو يتضمن انكار شقه عند المبعث ايضا اي والتي قبلها وعمره عشر سنين ورده الحافظ بن حجر
بان الروايات تواردت بشق صدره صلى الله عليه وسلم في تلك الليلة وعند البعثة اي زيادة
على الواقع له صلى الله عليه وسلم في بني سعد وابدى لكل من الثلاثة حكمة وتقدم انه صلى الله عليه وسلم
شق صدره وهو ابن عشر سنين وانه شق صدره وهو ابن عشرين سنة وتقدم ما فيه اقول ويمكن
ان يكون انكار القاضي عياض رحمه الله عنه لشق صدره صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج على الوجه
الذي جاء في بعض الروايات انه اخرج من قلبه الشريف علقة سودا وقال الملك هذا حظ
الشيطان منك لان هذا انما كان وهو مسترضع في بني سعد ويستحيل تكرر القاء تلك العلقة
وحمل ذلك على بعض بقايا تلك العلقة السودا كما قدمنا يأبى قول الملك هذا حظ الشيطان منك
الا ان يقال المراد انه من حظ الشيطان اي بعض حظ الشيطان فليتامل ذلك والاولى ما قدمناه
في ذلك ثم لا يخفى انه ورد غسل صدري وفي رواية قلبي وقد يقال الغسل وقع لهما معا كما وقع الشق
لهما معا فاخبر باحدهما مرة وبالاخرى اخرى اي وتقدم في مبحث الرضاع في رواية شق بطنه ثم
قلبه وفي اخرى شق صدره ثم قلبه وفي اخرى الاقتصار على شق بطنه وفي اخرى الاقتصار
على شق صدره وفي اخرى الاقتصار على شق قلبه وتقدم ان المراد بالبطن الصدر وليس المراد
باحدهما القلب وفي كلام غير واحد ما يقتضي ان المراد بالصدر القلب ومن ثم قيل هل شق صدره
وغسله مخصوص به صلى الله عليه وسلم او وقع لغيره من الانبياء عليهم الصلاة والسلام واجيب
بانه جاء في قصة تابوت بني اسرايل الذي انزله الله على آدم عليه الصلاة والسلام حين اهبطه
الى الارض فيه صور الانبيا من اولاده وفيه بيوت بعدد الرسل عليهم الصلاة والسلام واخر

البيوت

البيوت بيت محمد صلى الله عليه وسلم وهو من ياقوتة حمرا وانه ثلاثة اذرع في ذراعين وقيل كان من نوع
من الخشب يتخذ منه الامشاط مموها بالذهب فكان عند آدم عليه السلام الى ان مات ثم
عند شيث عليه الصلاة والسلام ثم توارثه اولاد آدم الى ان وصل الى سيدنا ابراهيم عليه الصلاة
والسلام ثم كان عند اسماعيل ثم عند ابنه قيدار فنازعه ولد اسحاق فامر من السما ان يدفعه
الى ابن عمه يعقوب اسرايل الله فحمله الى ان اوصله له ثم وصل الى موسى عليه الصلاة والسلام
فوضع فيه التورية وعصاه وعمامة هرون ورضاض الالواح التي تكسرت لما القاها وانه كان فيه الطست
من ذهب من الجنة الذي يغسل فيه قلوب الانبيا عليهم الصلاة والسلام وذلك مقتض لعدم الخصوصية
وكان هذا التابوت اذا اختلفوا في شي سمعوا منه ما يفصل بينهم وما قدموه امامهم في حرب الا نصروا
وكان كل من تقدم عليه من الجيش لا بد ان يقتل او ينهزم الجيش وفي الخصايص للسيوطي ومما اختص
به عليه الصلاة والسلام عن جميع الانبياء ولم يوتها نبي قبله شق صدره الشريف في احد القولين
وهو الاصح وجمع بعضهم بحمل الخصوصية على تكرر شق الصدر لان تكرر شق صدره الشريف ثبت
في الاحاديث وشق صدر غيره من الانبيا عليهم الصلاة والسلام انما اخذ من قصة التابوت وليس
فيها تعرض للتكرار ولو جمع بان شق الصدر مشترك وشق القلب واخراج العلقة السودا مختص
به ويكون المراد بالقلب في قصة التابوت الصدر وبالصدر في كلام الخصايص القلب لم يكن
بعيدا اذ ليس في قصة التابوت الصدر وبالصدر في كلام الخصايص القلب لم يكن بعيدا اذ ليس
في قصة التابوت ما يدل على ان تلك العلقة السودا اخرجت من غير قلب نبينا صلى الله عليه وسلم
ولم اقف على اثر يدل على ذلك وغسل قلب الانبيا ليس من لازمه الشق بل يجوز ان يكون غسله من خارج
وقد احلنا على هذا الجمع في مبحث الرضاع وبهذا يرد ما قدمناه من قول الشمس الشامي الواضح المشاركة
ولما لعدم الاشتراك ما يعتمد عليه بعد الفحص الشديد فليتامل ثم رايته ذكر انه جمع جزا سماه نور البدر
فيما جا في شق الصدر ولم اقف عليه والله اعلم قال فاتاني جبريل عليه السلام فذهب بي الى
باب المسجد اي وعن الحسن قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بينا انا نايم في الحجر جاني جبريل
عليه السلام فهمزني بقدمه فجلست فلم ار شيا فعدت لمضجعي فجاني الثانية فهمزني بقدمه فجلست
فلم ار شيا فعدت لمضجعي فجاني الثالثة فهمزني بقدمه فجلست فلم ار شيا فاخذ بعضدي فقمت
معه فخرج بي الى باب المسجد وفيه انه اذا المتهجد شيا من اخذ بعضده الا ان يقال ثم رداه
عند اخذه بعضده فاذا دابة ابيض اي ومن ثم قيل له البراق بضم الموحدة لشدة بريقه
وقيل قيل له ذلك لسرعته اي فهو كالبرق وقيل لانه كان ذا لونين ابيض واسود اي يقال
شاة برقا اذا كان خلال صوفها الابيض طاقات سود اي وهو العفر ومن ثم جاء في الحديث
ابرقوا فان دم عفرا عند الله ازكى من دم سودا وين اي ضحوا بالبرقا وهي العفرا لكن في الصحاح
الاعفر الابيض وليس بالشديد البياض وشاة عفرا يعلو بياضها حمرة ولعله بياض شعره على سواده
او حمرته قيل ابيض ولعل سواد شعره لم يكن خالصا بل كان قريبا من الحمرة فوصف بانه احمر و
هذا لا يتم الا لو كان البراق كذلك اي شعره ابيض داخله طاقات سود او حمر ولعله كان كذلك
ويدل له قول بعضهم انه ذو لونين اي بياض وسواد والسواد كما علمت اذا صفي شبه بالحمرة

وهذه الرواية طوي منها ذكر انه كان صلى الله عليه وسلم بين حمزة وجعفر رضي الله عنهما
وانه جاءه جبريل وميكائيل عليهما السلام ومعهما ملك اخر وانهم احتملوه صلى الله عليه وسلم
الى زمزم وشق جبريل عليه السلام صدره الى اخر ما تقدم وذلك البراق فوق الحمار ودون البغل
مضطرب الاذنين اي طويلهما اي وكان مسرجا ملجما كما في بعض الروايات فركبته يضع حافره
مد بصره اي حيث ينتهي بصره اي وفي رواية ينتهي خفها حيث ينتهي طرفها اذا اخذ في هبوط
طالت يداه وقصرت رجلاه واذا اخذ في صعود طالت رجلاه وقصرت يداه اي وقد ذكر
هذا الوصف في فرس فرعون موسى فقد قيل كان لفرعون اربع عجايب فذكر منها ان لحيته
كانت خضراء ثمانية اشبار وقامته سبعة اشبار فكانت لحيته اطول منه بشبر وكان له فرس
وقيل برذون اذا اصعد الجبل قصرت يداه وطالت رجلاه واذا انحدر يكون على ضد ذلك
وفي رواية ان البراق خطوه مد البصر قال ابن المنير رحمه الله فعلى هذا يكون قطع من
الارض الى السماء في خطوة واحدة لان بصر الذي في الارض يقع على السماء فبلغ اعلى
السماوات في سبع خطوات انتهى اي لان بصر من يكون في سماء الدنيا يقع على السماء فوقها وهكذا
وهذا بناء على انه عرج به صلى الله عليه وسلم على المعراج راكبا للبراق وسياتي ما فيه قال صلى الله
عليه وسلم فلما دنوت منه اشماز اي نفر وفي رواية فاستصعب ومنع ظهره ان يركب
فقال له جبريل عليه السلام اسكن فما ركبك احد اكرم على الله من محمد صلى الله عليه وسلم
وفي رواية تحفز بها اي تلك الدابة التي هي البراق جناحان تحفز بهما اي تدفع بهما رجليها
وفي اللغة الحفز والازعاج فلما دنوت لاركبها شمست اي نفرت ومنعت ظهرها وفي
رواية شمس وفي رواية صرت اذنيها اي جمعتهما وذلك شان الدابة اذا انفرت فوضع جبريل
عليه السلام يده على معرفتها ثم قال الا تستحيين يا براق فما تصنعين والله ما ركب عليك احد وفي رواية
عبد الله قبل محمد اكرم على الله منه فاستحيت حتى ارفضت عرقا اي كثر عرقها وسال ثم قرت
حتى ركبتها اي وفي رواية فقال جبريل عليه السلام مه يا براق فوالله ما ركبك مثله من الانبيا
اي لان الانبيا عليهم الصلاة والسلام كانت تركبها قبله ففي البيهقي وكانت الانبيا تركبها
قبلي وعند النسائي وكانت تسخر للانبيا قبلي وبعد عليها العهد من ركوبهم لانها لم تكن ركبت
في الفترة بين عيسى عليه السلام وبين محمد صلى الله عليه وسلم كما ذكره ابن بطال رحمه الله وهو
يقتضي انه لم يركبها احد ممن كان بين عيسى ومحمد من الانبيا عليهم الصلاة والسلام وجا التصريح
بذلك في بعض الروايات اي والمتبادر منها انها التي بينه وبين عيسى عليهما الصلاة والسلام
فيكون عيسى ممن ركبها دون من بعده من الانبيا عليهم الصلاة والسلام على تقدير ثبوت وجود
انبيا بعد عيسى وتقدم عن النهر انه كان بينهما الف نبي وقوله لان الانبيا ظاهره يدل على ان جميع
الانبيا اي عيسى ومن قبله ركبوه قال الامام النووي القول باشتراك جميع الانبيا في ركوبها يحتاج
الى نقل صحيح هذا كلامه ومما يدل على ان جميع الانبيا عليهم الصلاة والسلام كانت تركبها قبله
صلى الله عليه وسلم ما تقدم وظاهر ما سياتي في بعض الروايات فربطه بالحلقة التي توثق
بها الانبيا وانما قلنا ظاهر لانه لم يذكر الموثق بفتح المثلثة اذ يحتمل ان الانبيا عليهم الصلاة

والسلام

والسلام كانت تربط غير البراق التي كانت الانبيا تربطها فيه ومن ثم قال الشيخ عبد الوهاب
الشعراني رحمه الله ما من رسول الا وقد اسري به راكبا على ذلك البراق هذا كلامه وقد تقدم
ان ابراهيم صلوات الله وسلامه عليه حمل هو وهاجر وولدهما يعني اسماعيل على البراق الى مكة وفي
تاريخ الازرقي وكان ابراهيم عليه الصلاة والسلام يحج كل سنة على البراق فعن سعيد ابن المسيب
رحمه الله وغيره ان البراق هو دابة ابراهيم الذي كان يزور عليها البيت الحرام وعلى تسليم انه لم يركب
البراق احد قبله صلى الله عليه وسلم كما يقول ابن دحية رحمه الله ووافقه الامام النووي رحمه الله فقول
جبريل عليه السلام فما ركبك ونحوه لا ينافيه لان السالبة تصدق بنفي الموضوع ومن ثم قال في الخصايص
الصغرى وخص صلى الله عليه وسلم بركوب البراق في احد القولين اي وقيل ان الذي خص
صلى الله عليه وسلم ركوبه مسرجا ملجما وفي المنتقى ان البراق وان كان يركبه الانبيا قبله صلى الله
عليه وسلم الا انه لم يكن يضع حافره عند منتهى طرفه الا عند ركوب النبي صلى الله عليه وسلم
له وجا في غريب التفسير ان البراق لما شمس قال له جبريل عليه السلام لعلك يا محمد مسست الصفرا اليوم
وهو صنم كان بعضه من ذهب وبعضه من نحاس كسره صلى الله عليه وسلم يوم الفتح فقال له صلى الله عليه
وسلم ما مسسته الا اني مررت به وقلت تبا لمن يعبدك من دون الله فقال جبريل عليه السلام وما
شمس الا لذلك اي لمجرد مرورك عليه وهذا حديث موضوع كما نقل عن الامام احمد وقال الحافظ ابن
حجر انه من الاخبار الواهية وقال مغلطاي لا ينبغي ان يذكر ولا يعزى لرسول الله صلى الله عليه وسلم
ويقال فرس شموس اي صعب ولا يقال شموص وذكر لاستصعاب البراق بغير ذلك من الحكم لا نطيل
بذكره قال وعن الثعلبي رحمه الله بسند ضعيف في صفة البراق عن ابن عباس رضي الله عنهما له
خد كخد الانسان وعرف كعرف الفرس وقوايم كالابل واظلاف وذنب كالبقر اي وقد يكون اطلاق
الخف على ذلك في الرواية السابقة ينتهي خفها حيث ينتهي طرفها مجازا الا ان يكون لها قوايم
كقوايم الابل لا خف لها بل ظلف وهو الحافر وفي كلام بعضهم في صفة البراق وجهه كوجه الانسان
وجسده كجسد الفرس وقوايمه كقوايم الثور وذنبه كذنب الغزال لا ذكر ولا انثى انتهى ومن ثم
وصف بوصف المذكر تارة وبوصف المونث اخرى فهي حقيقة ثالثة ويكون خارجا من قوله تعالى
ومن كل شيء خلقنا زوجين اي كما خرجت الملايكة من ذلك فانهم ليسوا ذكورا ولا اناثا وذكر
بعضهم ان اذنيها كاذني الفيل وعنقها كعنق البعير وصدرها كصدر البغل كانه من ياقوت احمر
لها جناحان كجناح النسر فيهما من كل لون قوايمها كقوايم الفرس وذنبها كذنب البعير ويحتاج
للجمع بين هذه الروايات على تقدير الصحة قال صلى الله عليه وسلم ثم سرت وجبريل عليه السلام
لا يفارقني اي وفي رواية انه ركب معه صلى الله عليه وسلم وفي الشفا ما زايلا ظهر البراق
حتى رجعا وفي رواية ركبت البراق خلف جبريل عليه السلام اي وفي صحيح ابن حبان
وحمله جبريل عليه السلام على البراق رديفا له قال وفي الشرف فكان الاخذ بركابه جبريل
عليه السلام وبزمام البراق ميكائيل وفي رواية جبريل عن يمينه وميكائيل عن يساره انتهى اقول
ولا منافاة لجواز ان يكون جبريل عليه السلام ركب تارة اخذ بالزمام وتارة لم ياخذه وكانه جهة

يساره او كان اخذ بالزمام وتارة لم ياخذه وكان جهة يساره او كان اخذ بالزمام من جهة اليسار
ولا يخالف هذا الجمع قول الشفا ما زايلا ظهر البراق لامكان حمله على غالب المسافة هذا وفي حياة
الحيوان الطاهر عندي ان جبريل عليه السلام لم يركب مع النبي صلي الله عليه وسلم البراق ليلة الاسرى
لانه المخصوص بشرف الاسرا هذا كلامه فليتامل والله اعلم قال صلي الله عليه وسلم ثم انتهينا الي
بيت المقدس فاوثقته بالحلقة اي التي بالباب اي باب المسجد التي كانت الانبيا عليهم الصلاة
والسلام توثق اي تربط بها علي ما تقدم عن رواية البيهقي وفي رواية ان جبريل عليه السلام خرق
باصبعه الحجر اي الذي هو الصخرة وفي كلام بعضهم فادخل جبريل عليه السلام يده في الصخرة باصبعه
او فتحه لعروض انسداده وان هذا الخرق هو المراد بالحلقة التي في الباب لان الصخرة بالباب
وقيل لهذا الخرق حلقة لاستدارته وفي الامتاع وعادت صخرة بيت المقدس كهيئة العجين فربطه
دابته فيها والناس يلتمسون ذلك الموضع الي اليوم هذا كلامه وجمع بعضهم بانه صلي الله عليه وسلم
ربطه بالحلقة خارج باب المسجد الذي هو مكان الانبيا عليهم الصلاة والسلام تادبا فاخذه جبريل
عليه السلام فربطه في زاوية المسجد في الحجر الذي هو الصخرة التي خرقها باصبعه عليه السلام وجعله
داخلا عن باب المسجد فكانه يقول له صلي الله عليه وسلم انك لست ممن يكون مركوبه علي الباب
بل يكون داخلا وفي حديث ابي سفيان رضي الله عنه قبل اسلامه لقيصر انه قال لقيصر يحط من قدره
صلي الله عليه وسلم الا اخبرك ايها الملك عنه خبرا تعلم انه يكذب قال وما هو قال انه زعم انه خرج
من ارضنا ارض الحرم فجا مسجدكم هذا ورجع الينا في ليلة واحدة فقال بطريق انا اعرف تلك الليلة
فقال له قيصر ما علمك بها قال اني كنت لا ابيت ليلة حتى اغلق ابواب المسجد فلما كانت تلك الليلة
اغلقت الابواب كلها غير باب واحد اي وهو الباب اليماني غلبني فاستعنت عليه بعمالي ومن
يحضرني فلم يقدر فقالوا ان البنا نزل عليه فاتركوه الي غد حتي ياتي بعض النجارين فتركته مفتوحا
فلما اصبحت غدوت فاذا الحجر الذي من زاوية الباب مثقوب اي زيادة علي ما كان عليه علي ما
تقدم واذا فيه اثر ربط الدابة اي التي هي البراق اي ولم اجد بالباب ما يمنعه من الاغلاق
فعلمت انه انما امتنع لاجل ما كنت اجده في العلم القديم ان نبينا يصعد من بيت المقدس
الي السماء وعند ذلك قلت لاصحابي ما حبس هذا الباب الا لهذا الامر وسياتي ذلك عند الكلام
علي كتابه صلي الله عليه وسلم لقيصر ولا يخفي ان المراد بالصخرة الذي بالباب لا الصخرة المعروفة
كما هو المتبادر من بعض الروايات وهي فاتي جبريل عليه السلام الصخرة التي في
بيت المقدس فوضع اصبعه فيها فخرقها فشد بها البراق لان الذي في بابه يقال انها قبته
ولا يخفي ان عدم انغلاق الباب ان ما كان ليكون اية والا فجبريل عليه السلام لا يمنعه باب مغلق
ولا غيره وفي رواية عن شداد بن اوس رضي الله عنه انه صلي الله عليه وسلم قال ثم
انطلق بي اي جبريل عليه السلام حتي دخلنا المدينة يعني مدينة بيت المقدس من بابها
اليماني فاتي قبلة المسجد فربط فيها دابته وقد يقال لا مخالفة لانه يجوز ان يكون
ذلك الباب كان بجانب قبلة المسجد ولعل هذا الباب اليماني الذي فيه صورة الشمس

والقر

والقر اي مثالها فيه والله اعلم وانكر حذيفة رضي الله عنه رواية ربط البراق وقال لم يعجز
منه وقد سخره له عالم الغيب والشهادة ورد عليه بان الاخذ بالحزم لا ينافي صحة التوكل فعن وهب
بن منبه رضي الله عنه الايمان بالقدر لا يمنع الحازم عن توقي المهالك قال وهب وجدته في سبعين
من كتب الله عز وجل القديمة اي ومن ثم قال صلي الله عليه وسلم اعقلها وتوكل وقد كان صلي الله
عليه وسلم يتزود في اسفاره ويعد السلاح في حروبه حتي لقد ظاهر بين درعين في غزوة
احد قال وفي رواية فلما استوي النبي صلي الله عليه وسلم في صحن المسجد قال جبريل عليه السلام
يا محمد هل سالت ربك ان يريك الحور العين قال نعم قال جبريل عليه السلام فانطلق الي
اولئك النسوة فسلم عليهن فسلم صلي الله عليه وسلم عليهن فرددن عليه السلام فقال من انتن
قلن خيرات حسان نسا قوم ابرار نقوا فلم يدرنوا واقاموا فلم يظعنوا وخلدوا فلم يموتوا انتهي
اقول في كلام بعضهم انه لم يختلف احد انه عرج به صلي الله عليه وسلم من عند القبة التي يقال
لها قبة المعراج من عندي من الصخرة وقد جا صخرة بيت المقدس من صخور الجنة ولفظ
سيدة الصخور صخرة بيت المقدس وجا صخرة بيت المقدس علي نخلة والنخلة علي نهر من انهار
الجنة الي وتحت النخلة آسية امراة فرعون ومريم ابنة عمران ينظمان سموط اهل الجنة
الي يوم القيامة قال الذهبي اسناده مظلم وهو كذب ظاهر قال الامام ابو بكر ابن العربي في
شرح الموطا لمالك صخرة بيت المقدس من عجايب الله فانها صخرة قايمة في وسط المسجد
الاقصا قد انقطعت من كل جهة لا يمسكها الا الذي يمسك السما ان تقع علي الارض الا باذنه
في اعلاها من جهة الجنوب قدم النبي صلي الله عليه وسلم حين ركب البراق وقد مالت
من تلك الجهة لهيبته صلي الله عليه وسلم وفي الجهة الاخري اصابع الملايكة التي امسكتها لما
مالت ومن تحتها المغارة التي انفصلت من كل جهة اي فهي معلقة بين السما والارض
وامتنعت لهيبتها من ان ادخل تحتها لاني كنت اخاف ان تسقط علي بالذنوب
ثم بعد مدة دخلتها فرايت العجب العجاب تمشي في جوانبها من كل جهة فتراها منفصلة عن
الارض لا يتصل بها من الارض شي ولا بعض شي وبعض الجهات اشد انفصالا من
بعض هذا الذي ذكره ابن العربي رحمه الله ان قدمه صلي الله عليه وسلم اثر في صخرة
بيت المقدس حين ركب البراق وان الملايكة امسكتها لما مالت قال ابن الحافظ ناصر
الدين الدمشقي حيث قال في سراجه المسيح ثم توجها نحو صخرة بيت المقدس وعلاها فصعد
من جهة الشرق اعلاها فاضطربت تحت قدم نبينا صلي الله عليه وسلم ولانت فامسكتها الملايكة
لما تحركت ومالت وقول ابن العربي رحمه الله حين ركب البراق يقتضي انه عرج به صلي الله
عليه وسلم علي البراق وسياتي الكلام فيه وتقدم ان الجلال السيوطي رحمه الله سيل عن قدمه
صلي الله عليه وسلم في الحجر هل له اصل في كتب الحديث فاجاب بانه لم يقف لذلك علي
اصل ولا راي من خرجه في شي من كتب الحديث وتقدم ما فيه وفي العرايس قال ابي
بن كعب ما من ماء عذب الا وينبع من تحت صخرة بيت المقدس ثم يتفرق في الارض والله اعلم

قال صلى الله عليه وسلم فنشر لي بضم النون وكسر الشين المعجمة اي احيي لي بعد الموت رهط من الانبيا
صلوات الله وسلامه عليهم لان نشر الميت احياوه والرهط ما دون العشرة من الرجال فنهم ابراهيم وموسي
وعيسي عليهم الصلاة والسلام اي وحكمة تخصيص هولاء بالذكر لا تخفي فصليت بهم وكلمتهم اي فالمراد
نشروا عند دخوله المسجد وصلي بهم ركعتين ووصفهم بالنشور واضح في غير عيسي عليه السلام لانه لم يمت
ووصف الانبيا عليهم الصلاة والسلام بالاحيا بعد الموت سياتي في قصة بدر في الكلام على اصحاب القليب
ما يعلم منه ان المراد باحيا الانبيا بعد الموت شدة تعلق ارواحهم واجسادهم حتي انهم في البرزخ بسبب
ذلك احيا كحياتهم في الدنيا وقد ذكرنا هناك الكلام على صلاتهم في البرزخ وحجهم وغير ذلك وفي رواية
ثم صلي صلي الله عليه وسلم هو وجبريل عليه السلام كل واحد ركعتين فلم يلبث الا يسيرا حتي اجتمع
ناس كثير اي مع اوليك الرهط فلا مخالفة بين الروايتين فعرف صلي الله عليه وسلم النبيين
بين قايم وراكع وساجد ثم اذن موذن واقيمت الصلاة اقول ذكر ابن حبيب رحمه الله
ان اية واسيل من ارسلنا من قبلك من رسلنا نزلت ببيت المقدس ليلة الاسرا ويجوز ان يكون
قوله واقيمت الصلاة من عطف التفسير فالمراد بالاذان الاقامة وليس المراد بالاقامة الالفاظ المعروفة
الآن لما سيذكر في الكلام على مشروعية الاذان والاقامة بالمدينة وعلي انه من عطف المغاير ويدل له
ما في بعض الروايات فلما استوينا في المسجد اذن موذن ثم اقام الصلاة فليس من لازم ذلك ان
يكون كل من التاذين والاقامة باللفظين المعروفين الآن لانهما كما علمت لم يشرعا الا في المدينة
اي في السنة الاولى من الهجرة وقيل في الثانية كما سياتي وحديث لما اسري بالنبي صلي الله عليه وسلم
الي السما اوحي الله اليه بالاذان فنزل به فعلمه بلال قال الحافظ بن رجب رحمه الله موضوع و
حديث علم رسول الله صلي الله عليه وسلم الاذان ليلة اسري به في اسناده متهم وفي الخصايص الكبرى
انه صلي الله عليه وسلم علم الاقامة ليلة الاسرا فقد جا لما اراد الله ان يعلم رسول الله صلي الله عليه وسلم
الاذان اي الاقامة عرج به الي ان انتهي الي الحجاب الذي يلي الرحمن اي يلي عرشه خرج ملك من
الحجاب فقال الله اكبر الله اكبر فقيل من وراء الحجاب صدق عبدي انا اكبر انا اكبر ثم قال الملك اشهد
ان لا اله الا الله فقيل من وراء الحجاب صدق عبدي لا اله الا انا فقال الملك اشهد ان محمدا رسول الله
فقيل من وراء الحجاب صدق عبدي انا ارسلت محمدا فقال الملك حي علي الصلاة حي علي الفلاح
قد قامت الصلاة قد قامت الصلاة الله اكبر الله اكبر لا اله الا الله فاخذ الملك بيد محمد صلي الله عليه وسلم
فقدمه فام باهل السموات قال في الشفا والحجاب انما هو في حق المخلوق لا في حق الخالق فهم المحجوبون
قال فان صح القول بان محمدا صلي الله عليه وسلم راي ربه فيحتمل انه في غير هذا الموطن بعد رفع الحجاب
عن بصره الشريف حتي راه وجا انه صلي الله عليه وسلم سال جبريل عليه السلام عن ذلك الملك فقال
جبريل عليه السلام ان هذا الملك ما رايته قبل ساعتي هذه وفي لفظ والذي بعثك بالحق اني لاقرب
الخلق مكانا وان هذا الملك ما رايته منذ خلقت قبل ساعتي هذه وفيه ان هذا يقتضي ان جبريل
عليه السلام كان معه صلي الله عليه وسلم في هذا المكان وسياتي انه تخلف عنه عند سدرة المنتهي
فليتامل والله اعلم ولما اقيمت الصلاة ببيت المقدس قاموا صفوفا ينتظرون من يومهم فاخذ جبريل

عليه السلام بيده صلي الله عليه وسلم فقدمه فصلي بهم ركعتين اي واما حديث لما اسري بي اذن جبريل
عليه السلام فظنت الملايكة انه يصلي بهم فقدمني فصليت بالملايكة قال الذهبي رحمه الله منكر بل موضوع
والغرض من تلك الصلاة الاعلام بعلو مقامه صلي الله عليه وسلم وانه المقدم لا سيما في الامامة وفي رواية
ثم اقيمت الصلاة فتدافعوا اي دفعوا حتي قدموا محمدا صلي الله عليه وسلم اي ولا مخالفة لانه يجوز
ان يكون جبريل عليه السلام قدمه صلي الله عليه وسلم بعد دفعهم وتقديمهم له وفي رواية فاذن جبريل
عليه السلام اي اقام الصلاة ونزلت الملايكة من السما وحشر الله له صلي الله عليه وسلم المرسلين اي جميعهم
وقد نزلت الملايكة وحشر له الانبيا اي جميعهم عليهم الصلاة والسلام ويدل له ما في بعض الروايات
بعث الله له صلي الله عليه وسلم ادم فمن دونه فهو تعميم بعد تخصيص بنا على ان الرسول اخص من النبي
لا بمعناه وهذا هو المراد بقول الخصايص الصغرى ومن خصايصه صلي الله عليه وسلم احيا الانبيا صلي
الله عليه وسلم له وصلاته صلي الله عليه وسلم اماما بهم وبالملايكة لان الانبيا احيا وفيه انه اذا كانت
الانبيا عليهم الصلاة والسلام احيا فما معني احيايهم له ليصلي بهم وقد علمت معني احيايهم فلما انصرف
قال جبريل يا محمد اتدري من صلي خلفك قال لا قال كل نبي بعثه الله تعالى اي والنبي غير الرسول
بعثه الله الي نفسه اقول ولا يخالف ذلك ما سبق من انه صلي الله عليه وسلم عرف النبيين من بين قايم وراكع
وساجد لجواز ان يكون المراد عرف بعضهم او انه صلي الله عليه وسلم عرفهم بعد هذا القول وذكر
القرطبي رحمه الله تعالى في تفسيره عن ابن عباس رضي الله عنهما قال لما اسري برسول الله صلي الله
عليه وسلم الي بيت المقدس جمع الله له صلي الله عليه وسلم الانبيا عليهم الصلاة والسلام ادم عليه السلام
فمن دونه وكانوا سبع صفوف ثلاث صفوف من الانبيا المرسلين واربعة من ساير الانبيا عليهم
الصلاة والسلام وكان خلف ظهره صلي الله عليه وسلم ابراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام وعن يمينه صلي الله
عليه وسلم اسماعيل عليه الصلاة والسلام وعن يساره صلي الله عليه وسلم اسحق صلوات الله وسلامه عليهم
اجمعين والله اعلم وفي رواية ثم دخل صلي الله عليه وسلم اي مسجد بيت المقدس فصلي مع الملايكة فلما
قضيت الصلاة قالوا يا جبريل من هذا الذي معك قال هذا محمد رسول الله خاتم النبيين قالوا وقد
ارسل اليه اي للمعراج بنا على انه كان في ليلة الاسرا قال نعم قالوا حياه الله من اخ ومن خليفة
فنعم الاخ ونعم الخليفة وهذه الرواية قد يقال لا تخالف ما سبق من انه صلي الله عليه وسلم صلي بالملايكة
مع النبيين والمرسلين لانه يجوز ان يكون انما افردهم بالذكر لسوالهم وفيه ان سوالهم يدل انه نزولهم
من السما لبيت المقدس لم يكن لاجل الصلاة معه صلي الله عليه وسلم قال القاضي عياض
والاظهر ان صلاته صلي الله عليه وسلم بهم يعني بالانبيا ببيت المقدس كانت قبل العروج اي كما يدل
علي ذلك سياق القصة وقال الحافظ ابن كثير صلي بهم في بيت المقدس قبل العروج وبعده
فان في الحديث ما يدل علي ذلك ولا مانع منه قال ومن الناس من يزعم انه انما امهم في السماء اي لا في
بيت المقدس اي وهذا الزاعم هو حذيفة فانه انكر صلاته بالانبيا في بيت المقدس قال
بعضهم والذي تظافرت به الروايات صلاته صلي الله عليه وسلم بالانبيا عليهم الصلاة والسلام
ببيت المقدس والظاهر انه بعد رجوعه صلي الله عليه وسلم اليهم اي فلم يصل بهم في بيت المقدس الا

واحدة وانها بعد نزوله لانه لما مر بهم في منازلهم جعل يسال جبريل عليه السلام عنهم واحدا واحدا وهو يخبره بهم اي
ولو كان صلى بهم اولا لعرفهم بل تقدم انه عرف النبيين ما بين قائم وراكع وساجد وما بالعهد من قدم وهذا هو
اللائق لانه اولا كان مطلوبا الى الجناب العلوي اي بناء على ان العروج كان في ليلة الاسرا وحيث
كان مطلوبا بالذات اللائق الا يشتغل بشيء عنه فلما فرغ من ذلك اجتمع هو صلى الله عليه وسلم واخوته من النبيين
ثم اظهر شرفه عليهم فتقدم في الامامة هذا كلامه اقول بحث ان صلاته صلى الله عليه وسلم ببيت المقدس لم
تكن الا بعد رجوعه صلى الله عليه وسلم من العروج والاستدلال على ذلك بسؤاله صلى الله عليه وسلم عن
الانبيا عليهم الصلاة والسلام واحدا واحدا في السماوات ان ذلك هو اللائق فيه نظر ظاهر لانه لا يخفى مع وجود
النقل بخلافه ومجرد الاستحسان العقلي لا يرد النقل فقد تقدم عن الحافظ ابن كثير رحمه الله انه ثبت في
الحديث ما يدل على انه صلى الله عليه وسلم صلى بهم ببيت المقدس قبل العروج وبعده وكونه صلى الله عليه وسلم
سال عن الانبيا في السماء لا ينافي صلاته بهم اولا وانه عرفهم بناء على تسليم ان معرفته صلى الله عليه
وسلم لهم كانت عند صلاته بهم وانه عرفهم كلهم معظمهم على ما قدمناه لانه يجوز ان يكونوا في السما على
صور لم يكونوا عليها ببيت المقدس لان البرزخ عالم مثال كما تقدم وبهذا يعلم ما في قول بعضهم رؤيته صلى
الله عليه وسلم للانبيا في السماء محمولة على رؤية ارواحهم الا عيسى وادريس عليهما الصلاة والسلام ورؤيته
صلى الله عليه وسلم لهم في بيت المقدس يحتمل ان المراد رؤية ارواحهم ويحتمل اجسادهم ويدل للثاني
وبعث له صلى الله عليه وسلم آدم فمن دونه من الانبيا وفي رواية فنشر لي الانبيا عليهم الصلاة والسلام
من سمى الله تعالى ومن لم يسم فصليت بهم والاشتغال عن الجناب العلوي المدعو اليه بما فيه تانيس له
وهو اجتماعه صلى الله عليه وسلم بالانبياء وصلاته بهم مناسب لائق بالحال والله اعلم واختلف في
هذه الصلاة فقيل العشا اي الركعتان اللتان كان يصليهما بالعشي بناء على انه صلى الله عليه وسلم
صلى ذلك قبل العروج وفيه انه صلى الله عليه وسلم صلى تلك الليلة بمكة وعليه تكون معادة
وقيل الصبح اي الركعتان اللتان كان يصليهما بالغداة اي وهذا يدل على ان الفجر طالع وهو ببيت
المقدس بعد العروج وتقدم وسياتي انه صلى الله عليه وسلم صلى الغداة بمكة وعلى ذلك تكون معادة بمكة
قال والذي يظهر والله اعلم انها كانت من النفل المطلق انتهى اي ولا يضر وقوع الجماعة فيها وبقولنا
اي الركعتان الخ يسقط ما قيل القول بانها العشا او الصبح ليس بشيء لان اول صلاة صلاها من الخمس
مطلقا الظهر ومن حمل الاولية على مكة اي ويكون صلى الصبح ببيت المقدس فعليه الدليل اي دليل
يدل على ان تلك الصلاة احدى الصلوات الخمس وفي زين القصص كانت زمن ذهابه ومجيئه صلى
الله عليه وسلم ثلاث ساعات وقيل اربع ساعات اي بقيت من تلك الليلة لكن في كلام السبكي ان
ذلك كان في قدر لحظة حيث قال رحمه الله تعالى في تائيته وعدت وكل الامر في قدر لحظة اي
ولا بدع لان الله تعالى قد يطيل الزمن القصير لبعض اوليائه امتدادا يستغرق الازمنة الكثيرة وفي
ذلك حكايات شهيرة قال صلى الله عليه وسلم واتيت باناءين احمر وابيض فشربت الابيض فقال
لي جبريل عليه السلام شربت اللبن وتركت الخمر لو شربت الخمر لارتدت امتك اي غويت وانهمكت
في الشرب بدليل الرواية الاخرى وهي رواية البخاري اتي صلى الله عليه وسلم ليلة اسري به بايليا

بقدحين من خمر ولبن فنظر اليهما فاخذ اللبن فقال جبريل عليه السلام الحمد لله الذي هداك
للفطرة اي الاستقامة لو اخذت الخمر غوت امتك ولم يتبعك منهم الا القليل اي يكونوا على ما
انت عليه من ترك ذلك فالمراد بالارتداد الرجوع عما هو الصواب واتيانه بذلك وهو في المسجد
بيت المقدس وسياتي ما يدل على انه اتي له بذلك ايضا بعد خروجه صلى الله عليه وسلم منه قبل
العروج قال واستويت على ظهر البراق فكان باسرع من ان اشرفت على مكة ومعي جبريل
عليه السلام فصليت به الغداة ثم قال صلى الله عليه وسلم لام هانئ رضي الله عنها فتعلقت
بردائه وقلت انشدك الله اي بفتح الهمزة اسالك بالله ابن عم اي يا ابن عم ان تحدث اي
لا تحدث بهذا قريشا فيكذبك من صدقك وفي رواية انه اذكرك الله انك تاتي قوما
يكذبونك وينكرون مقالتك فاخاف ان يسطوا بك فضرب بيده على ردائه فانتزعه من يدي فارتفع
عن بطنه فنظرت الى عكنه اي طبقات بطنه من السمن فوق ردائه وكانه طي القراطيس
اي الورق واذا نور ساطع عند فؤاده كاد يخطف بفتح الطاء وربما كسرت بصري فخررت
ساجدة فلما رفعت راسي اذا هو صلى الله عليه وسلم قد خرج فقلت لجاريتي نبعة اي وكانت
حبشية معدودة في الصحابة اتبعيه وانظري ماذا يقول فلما رجعت اخبرتني ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم انتهى الى نفر من قريش في الحطيم هو ما بين باب الكعبة والحجر الاسود
وفي كلام بعضهم بين الركن والمقام سمي بذلك لان الناس يحطم بعضهم بعضا فيه من الازدحام
لانه من مواطن اجابة الدعا قيل ومن حلف فيه اثما عجلت عقوبته وربما اطلق على الحجر كما
تقدم بكسر الحاء واولئك النفر الذين انتهى اليهم فيهم المطعم بن عدي وابو جهل بن هشام
والوليد بن المغيرة فقال صلى الله عليه وسلم اني صليت العشا اي اوقعت صلاة في ذلك
الوقت في هذا المسجد وصليت به الغداة اي اوقعت صلاة في ذلك الوقت والا فصلاة
العشا لم تكن فرضت وكذا صلاة الغداة التي هي الصبح لم تكن فرضت كما تقدم
واتيت فيما بين ذلك بيت المقدس قال انه صلى الله عليه وسلم لما دخل المسجد قطع
وعرف ان الناس تكذبه اي وما احب ان يكتم ما هو دليل على قدرة الله تعالى
وما هو دليل على علو مقامه صلى الله عليه وسلم الباعث على اتباعه اي لا يقال
كان المناسب لذلك ان يقول واتيت في لحظة او ساعات وعلى ما تقدم فيما بين ذلك
بيت المقدس فلم يوسع لهم الزمن لانا نقول وسع لهم الزمن لان الطباع لا تنفر منه
نفرتها من ذلك فليتامل فقعد صلى الله عليه وسلم حزينا فمر به عدو الله ابو جهل
لعنه الله فجاء حتى جلس اليه صلى الله عليه وسلم فقال كالمستهزئ هل كان من شيء قال
نعم اسري بي الليلة قال الى اين قال الى بيت المقدس قال ثم اصبحت بين ظهرانينا
قال نعم قال فلم ير انه يكذبه مخافة ان يجحده الحديث ان دعا قومه اليه قال ارايت
ان دعوت قومك اتحدثهم ما حدثتني قال نعم قال يا معشر بني كعب بن لؤي فانتفضت
اليه المجالس وجاءوا حتى جلسوا اليهما فقال حدث قومك بما حدثتني فقال رسول الله صلى الله عليه

وسلم ليلة اسري بي قالوا الي اين قال الي بيت المقدس الحديث وانتهي فنشر لي رهط من الانبيا
منهم ابراهيم وموسي وعيسي عليهم الصلاة والسلام وصليت بهم وكلمتهم فقال ابو جهل لعنه الله كالمستهزي
صفهم لي فقال صلي الله عليه وسلم اما عيسي عليه السلام ففوق الربعة ودون الطويل اي لا طويل ولا
قصير عريض الصدر ظاهر الدم اي لونه احمر اي وفي رواية يعلوه حمرة كانما يتحادر من لحيته الجمان
وفي رواية كانه خرج من ديماس اي حمام واصله الكن الذي يخبو فيه الانسان وهو عربي واصله
الظلمة يقال ليل دامس والحمام لفظ عربي واول واضع له الجن وضعته لسيدنا سليمان عليه الصلاة
والسلام وقيل الواضع له بقراط وقيل شخص سابق علي بقراط استفاده من رجل كان به تعقد العصب
فوقع في ما حار في جب فسكن فصار يستعمله حتي بري وجا من طرق عديدة كلها ضعيفة لكن يقوي
بعضها بعضا ان سيدنا سليمان عليه وعلي نبينا افضل الصلاة والسلام لما دخله وجد حره وغمه قال
اواه من عذاب الله لان دخول الحمام يذكر النار لان الحمام اشبه شي بجهنم لان النار اسفله والسواد
والظلمة اعلاه وقد قيل خير الحمام ما قدم بناوه واتسع فناوه وعذب ماوه قال بعضهم ويصير
قديما بعد سبع سنين قال بعضهم ولم يعرف الحمام في بلاد قبيل البعثة وانما عرفه الصحابة رضي
الله عنهم بعد موته صلي الله عليه وسلم بعد ان فتحوا بلاد العجم وفيه ان في البخاري عن ابن عباس
رضي الله عنهما لما قال رسول الله صلي الله عليه وسلم اتدرون بيتا يقال له الحمام قالوا يا رسول الله
انه يذهب بالدرن وينفع قال فاستتروا وفي رواية انه صلي الله عليه وسلم لما قال اتقوا بيتا
يقال له الحمام فقالوا يا رسول الله انه يذهب الوسخ ويذكر النار قال ان كنتم لا بد فاعلين فمن دخله
فليستتر وهو صريح في ان الصحابة رضي الله عنهم عرفوه في زمنه صلي الله عليه وسلم الا ان يقال
جاز ان يكونوا عرفوه من غيرهم لهذا الوصف لهم والمنفي في كلام هذا البعض معرفتهم له
بالدخول فيه ويويده قوله صلي الله عليه وسلم بيتا يقال له الحمام وقوله ستفتح عليكم ارض العجم
وستجدون فيها بيوتا يقال لها الحمامات واما ما جا عن ابن عباس رضي الله عنهما انه صلي الله عليه
وسلم دخل حمام الجحفة فلا يرد لانه علي تقدير صحته فالمراد به انه محل للاغتسال فيه لا بالهيئة
المخصوصة كذا لا يرد ما في معجم الطبراني الكبير عن ابي رافع رضي الله عنه قال مر رسول الله صلي الله
عليه وسلم بموضع فقال نعم الحمام هذا فبني فيه حمام لجواز ان يكون بني فيه ذلك بعد موته صلي الله
عليه وسلم فهو من اعلام نبوته صلي الله عليه وسلم قال بعضهم ولعله صلي الله عليه وسلم قال ذلك
لقبح الموضع اي فقول بعضهم ويكفي ذلك في فضيلة الحمام ليس في محله وفيه ان هذا البعض لم
يعول في الفضيلة علي هذا فقط بل عليه وعلي ما في البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما الذي
فيه انه يذهب بالدرن وينفع المريض ولا يرد ايضا ما في مسند احمد عن ام الدردا رضي الله عنها
انها خرجت من الحمام فلقيها رسول الله صلي الله عليه وسلم فقال لها من اين يا ام الدردا فقالت من
الحمام لان سنده ضعيفا ومتروكا ولانه يجوز ان يكون المراد انه محل الاغتسال لا انه المبني
علي الهيئة المخصوصة كما تقدم وبه يجاب ايضا عما في مسند الفردوس انه صح عن ابن عمر رضي
الله عنهما ان النبي صلي الله عليه وسلم قال لابي بكر وعمر رضي الله عنهما وقد خرجا من الحمام طاب

حمامكما قال ابن القيم رحمه الله ولم يدخل المصطفي صلي الله عليه وسلم حماما قط ولعله ما راه بعينه
هذا كلامه وعن فرقد السبخي انه ما دخل الحمام نبي قط ويشكل عليه ما تقدم عن سليمان عليه السلام
واعترض بعضهم قول ابن القيم لعله صلي الله عليه وسلم ما راي الحمام بعينه بانه صلي الله عليه وسلم دخل
الشام وبها حمامات كثيرة فيبعد انه صلي الله عليه وسلم ما راها ثم لم ينقل انه صلي الله عليه وسلم
دخل شيا منها وفيه انه قد يقال هو صلي الله عليه وسلم لم يدخل من بلاد الشام الا بصري وجاز ان
لا يكون بها حمام حين دخوله صلي الله عليه وسلم لم يدخل من بلاد الشام الا بصري وجاز ان لا
يكون بها حمام حين دخوله صلي الله عليه وسلم اليها وفي الطبراني عن ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعا
شر البيوت الحمام تعلو فيه الاصوات وتكشف فيه العورات فمن دخله لا يدخل الا مستترا ورجاله
رجال الصحيح الا شخصا منهم فيه مقال وما احسن قول الامام الغزالي رحمه الله ونعم البيت الحمام
يطهر البدن ويذهب الدرن ويذكر النار وبيس البيت الحمام يبدي العورة ويذهب الحيا فهذا
تعرض لافته وذلك تعرض لفائدته ولا باس بطلب الفائدة مع التحرز عن الافة والحاصل
ان الحمام تعتريه الاحكام الخمسة فيكون واجبا وحراما ومندوبا ومكروها ومباحا والاصل فيه عندنا
معاشر الشافعية الاباحة للرجال مع ستر العورة مكروه للنساء مع ستر العورة حيث لا عذر وهو
محمل ما جا من كان يومن بالله واليوم الاخر من نسايكم فلا يدخل الحمامات ومع عدم ستر العورة حرام
وهو محمل ما جا الحمام حرام علي نسا امتي واول من اتخذ الحمام في القاهرة العزيز بن المعز العبيدي
احد الفواطم قال بعضهم لم يصح في شان الحمام شي مما يعول عليه الا قول المصطفي صلي الله عليه وسلم
في صفة عيسي صلي الله عليه وسلم كانما خرج من ديماس قال مخبره اصح حديث في هذا الباب
وحديث اتقوا بيتا يقال له الحمام فمن دخله فليستتر وقال ابن عمر رضي الله عنهما في وصف عيسي
عليه الصلاة والسلام انما هو ادم وحلف بالله ان رسول الله صلي الله عليه وسلم لم يقل في عيسي انه
احمر اي وانما قال ادم وانما اشتبه علي الراوي واجاب الامام النووي رحمه الله تعالي بان الراوي
لم يرد حقيقة الحمرة بل ما قاربها اي والحمرة المقاربة لها اي للادمة يقال لها ادمة اي كما يقال
لها حمرة فلا منافاة وقال صلي الله عليه وسلم جاعد الشعر اي في شعره تثني وتكسر اقول ينبغي
حمل جعد الذي جا في بعض الروايات واذا هو بعيسي جعد علي هذا ثم رايت النووي قال قال
العلما المراد بالجعد هنا جعودة الجسم وهو اجتماعه واكتنازه وليس المراد جعودة الشعر فليتامل
والله اعلم تعلوه صهبة اي يعلوه شعره شقرة كانه عروة ابن مسعود الثقفي رضي الله تعالي
عنه فانه بعد انصرافه صلي الله عليه وسلم عن الطايف لحق به عليه الصلاة والسلام قبل ان يدخل
المدينة واسلم ثم جا الي قومه ثقيف يدعوهم الي الاسلام فقتلوه وقال صلي الله عليه وسلم في
حقه ان مثله في قومه كصاحب يس كما سياتي ذلك واما موسي عليه السلام فضخم ادم اي سياتي بحر
اسمر من ثم كان خروج يده بيضا مخالفا للونها لساير لون جسده اية طويل كانه من رجال شنوءة
طايفة من اليمن اي ينسبون الي شنوءة وهو عبد الله بن كعب من اولاد الازد لقب بذلك
لشنان كان بينه وبين اهله وقيل لانه كان فيه شنوءة وهو التباعد من الادناس وفي رواية

كان من رجال ازدعمان هو ابو حي من اليمن وعمان هذه بضم العين المهملة وتخفيف الميم بلدة باليمن
سميت بذلك لانه نزلها عمان بن سفيان من ولد ابراهيم عليه الصلاة والسلام واما عمان بفتح العين وتشديد
الميم فبلدة بالشام سميت بذلك لان عمان بن لوط سكنها وكما يقال ازدعمان يقال ازدشنوءة ورجال الازد
معروفون بالطول قال صلى الله عليه وسلم كثير الشعر غاير العينين متراكم الاسنان مقلص الشفتين
خارج اللثة اي وهو اللحم الذي حول الاسنان عابس واما ابراهيم عليه الصلاة والسلام فوالله انني
لاشبه الناس به خلقا وخلقا وفي رواية لم ار رجلا اشبه بصاحبكم ولا صاحبكم اشبه به منه يعني
صلى الله عليه وسلم نفسه الشريفة فضجوا واعظموا ذلك اي وصار بعضهم يصفق وبعضهم يضع يده
على راسه تعجبا فقال المطعم بن عدي ان امرك قبل اليوم كان امما اي يسيرا غير قولك اليوم وانا
اشهد انك كاذب نحن نضرب اكباد الابل الى بيت المقدس مصعدا شهرا ومنحدرا شهرا اتزعم انك
اتيته في ليلة واحدة واللات والعزى لا اصدقك وما كان هذا الذي تقول قط وقال ابو
بكر رضي الله تعالى عنه يا مطعم بيس ما قلت لابن اخيك جبهته اي استقبلته بالمكروه وكذبته
انا اشهد انه صادق وفي رواية حين حدثهم بذلك ارتد اناس كانوا اسلموا اي وحينئذ فقول
المواهب فصدقه الصديق وكل من امن بالله فيه نظر الا ان يراد من ثبت على الايمان وفي رواية
سعى رجال من المشركين الى ابي بكر فقالوا هل لك الى صاحبك يزعم انه اسري به الليلة الى بيت المقدس
قال وقد قال ذلك قالوا نعم قال لئن قال ذلك لقد صدق قالوا اتصدقه انه ذهب الى بيت المقدس
وجا قبل ان يصبح قال نعم اني لاصدقه فيما هو ابعد من ذلك اصدقه في خبر السماء في غدوة اي
وهو ما بين صلاة الصبح وطلوع الشمس وروحة اي وهو اسم للوقت من الزوال الى الليل اي
وهذا تفسير لهما بحسب الاصل والا فالمراد انه يخبرني ان الخبر ليأتيه من السما الى الارض في ساعة
من ليل او نهار فاصدقه فهذا اي مجيء الخبر له من السما بواسطة الملك ابعد مما تعجبون منه اي
وحينئذ يجوز ان يكون قول ابي بكر للمطعم ما تقدم كان بعد هذا القول اي قاله بعد ان احتج به وقد
بلغته مقالته فلا مخالفة بين الروايتين والى اسرايه صلى الله عليه وسلم من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى
وتحديثه قريشا بذلك اشار صاحب الهمزية بقوله ❊

❊ خص بالمسجد الحرام بممشا ❊ ه ولم ينس حظه ايلياء ❊

❊ ثم وافى يحدث الناس شكرا ❊ اذ اتته من ربه النعماء ❊

اي خص حرم مكة حصل له الحظ الاوفر بممشاه صلى الله عليه وسلم فيه ففضل ساير البقاع ولم ينس حظه
من ممشاه صلى الله عليه وسلم بيت المقدس بل شرفه الله تعالى بمشيه فيه ايضا ففضل على ما عدا
المسجدين اي مسجد مكة ومسجد المدينة ثم وافى صلى الله عليه وسلم مكة يحدث الناس لاجل قيامه
بالشكر لله تعالى او حال كونه شاكرا لله تعالى وقت اولا جل ان اتته من ربه النعماء في تلك الليلة
ثم قال المطعم يا محمد صف لنا بيت المقدس واراد بذلك اظهار كذبه وقيل القايل له بذلك ابو بكر قال لم صفه
لي فاني قد جيته اراد بذلك اظهار صدقه لقومه فقال دخلته ليلا وخرجت منه ليلا فاتاه جبريل عليه
السلام فصوره في جناحه اي جاء بصورته ومثاله في جناحه فجعل يقول باب منه كذا في موضع كذا

وباب

وباب منه كذا في موضع كذا وابو بكر رضي الله عنه يقول صدقت اشهد انك رسول الله حتى اتى على
اوصافه اي ومعلوم ان من ذهب الى بيت المقدس من قريش يصدق على ذلك ايضا وفي رواية
لما كذبتني قريش اي وسالتني عن اشيا تتعلق ببيت المقدس لم اثبتها اي قالوا له كم للمسجد من باب
فكربت كربا شديدا لم اكرب مثله قط فقمت في الحجر فجلى الله لي بيت المقدس اي وجلى بتشديد
اللام وربما خففت كشفه لي اي بوجود صورته ومثاله في جناح جبريل وفي رواية فجي بالمسجد
اي بصورته وانا انظر اليه حتى وضع اي بموضع محله الذي هو جناح جبريل فلا مخالفة بين الروايات
وهذا من باب التمثيل ومنه رؤيته الجنة والنار في عرض الحايط من باب طي المسافة وزوي الارض
ورفع الحجب المانعة من الاستطراق الذي ادعى الجلال السيوطي انه احسن ما يحمل عليه حيث دفع
بيت المقدس حتى راه النبي صلى الله عليه وسلم بمكة محال وصفه اياه لقريش صبيحة الاسرا اذ ذاك
لا يجامع مجي صورته في جناح جبريل وانما قلنا ان ذلك من باب التمثيل لان من المعلوم ان اهل
بيت المقدس لم يفقدوه تلك الساعة من بلدهم فرفعه انما هو برفع محله الذي هو جناح جبريل
ثم رايت ابن حجر الهيتمي قال الاظهر انه رفع بنفسه كما جيء بعرش بلقيس الى سليمان في طرفة
عين وذلك ان فيه بان عرش بلقيس نقل بخلاف بيت المقدس وكان ذلك التمحلي عند دار
عقيل تقدم انها عند الصفا وانها استمرت في يد اولاد عقيل الى ان الت الى يوسف اخي
الحجاج وان زبيدة او الخيزران جعلها مسجدا كما تقدم وتقدم ما فيه قال صلى الله عليه
وسلم فطفقت اي جعلت اخبرهم عن اياته اي علاماته وانا انظر اليه اي وذلك قبل ان تحول
الابنية بين الحجر وتلك الدار اي لقوله صلى الله عليه وسلم فقمت في الحجر وهم يصدقونه صلى الله عليه
وسلم على ذلك ومن ثم قيل ان حكمة تخصيص الاسراء الى المسجد الاقصى لان قريشا تعرفه فيسالونه
فيخبرهم بما يعرفونه مع علمهم انه صلى الله عليه لم يدخل بيت المقدس قط فتقوم الحجة عليهم وكذلك وقع
واما قول المواهب ولهذا لم يسالوه صلى الله عليه وسلم عما راى في السماء لانه لا عهد لهم بذلك يقتضي
سياقه انه اخبرهم بالمعراج عند اخباره لهم بالاسرا وسياتي ما يخالفه على انه سياتي انه قيل ان
المعراج كان بعد الاسرا في ليلة اخرى وقيل في حكمة ذلك ايضا ان باب السماء الذي يقال له
مصعد الملايكة يقابل بيت المقدس فيحصل العروج مستويا من غير تعويج قال الحافظ ابن حجر
وفيه نظر لورود ان في كل سماء بيتا معمورا وان الذي في السماء الدنيا قبالة الكعبة فكان المناسب
ان يصعد من مكة ليصل الى البيت المعمور من غير تعويج هذا كلامه ويقال عليه وان سلم ذلك
لم يكن الباب في تلك الجهة فان ثبت ان في السماء بابا يقابل الكعبة اتجه سواله قالت نبعة
جارية ام هاني فسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يومئذ يا ابا بكر ان الله قد سماك الصديق
اي ومن ثم كان علي رضي الله عنه يحلف بالله ان الله تعالى انزل اسم ابي بكر من السما الصديق
واما ما رواه اسحق ابن بشر بسنده الى ابي ليلى الغفاري قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول سيكون بعدي فتنة فاذا كان ذلك فالزموا علي ابن ابي طالب فانه اول من امن بي واول
من يصافحني يوم القيامة وهو الصديق الاكبر وهو فاروق هذه الامة يفرق بين الحق والباطل وهو

بجسوب المومنين والمال يعسوب المنافقين قال في الاستيعاب اسحق بن بشر لا يحتج بنقله
اذا انفرد لضعفه ونكارة احاديثه هذا كلامه وفي مسند البزار بسند ضعيف انه صلى الله عليه وسلم
قال لعلي بن ابي طالب انت الصديق الاكبر وانت الفاروق الذي يفرق بين الحق والباطل وفي
رواية ان كفار قريش لما اخبرهم بالاسرا الي بيت المقدس ووصفه لهم قالوا له ما اية ذلك يا محمد
اي ما العلامة الدالة علي هذا الذي اخبرت به وانا لم نسمع بمثل هذا قط اي هل رايت في مسراك
وطريقك ما نستدل بوجوده علي صدقك اي لان وصفك لبيت المقدس يحتمل ان يكون حفظته
عمن ذهب اليه قال صلى الله عليه وسلم اية ذلك اني مررت بعير بني فلان بوادي كذا فانفرهم اي
نفر عيرهم حس الدابة يعني البراق فند لهم بعير اي شرد فدللتهم عليه وانا متوجه الي الشام ثم اقبلت حتي
اذا كنت بمحل كذا مررت بعير بني فلان فوجدت القوم نياما ولهم انا فيه ما قد غطوا عليه بشي فكشفت
غطاه وشربت ما فيه ثم غطيت عليه كما كان اي وفي بعضهم فعثرت الدابة يعني البراق فقلب بحافره
القدح الذي فيه الما الذي كان يتوضا به صاحبه في القافلة وشرب الما الذي للغير جايز لانه كان عند
العرب كاللبن تماما يباح لكل مجتاز من ابناء السبيل علي ان من خصايصه صلى الله عليه وسلم ان ياخذ
ما يحتاج اليه من مالكه المحتاج ويجب علي مالكه حينئذ بذله واما الجواب عن ذلك بانه مال حربي
غير صحيح لان هذا كان قبل مشروعية الجهاد ومع عدم مشروعية لا يحل مال اهل الحرب كما لا يحل قتالهم
لان الواجب حينئذ مسالمتهم ولا تتم الا بترك التعرض لاموالهم كنفوسهم قال ابن حجر في شرح
الهمزية لكن في قطعة التفسير للجلال المحلي في تفسير قوله تعالي فرددناه الي امه كي تقر عينها ان امه
ارضعته باجره وساغ لها اخذها لانها مال حربي اي من مال فرعون الا ان يقال ذلك اي اخذ
مال الكافر كان جايزا في شريعتهم قال واية ذلك اي علامته المصدقة لما اخبر به صلى الله عليه وسلم
ان عيرهم الان تصوب من الثنية يقدمها جمل اورق هو ما بياضه الي سواد وهو اطيب الابل
لحما عند العرب واخسها عملا اي ليس بمحمود عندهم في عمله وسيره عليه غرارتان احدها سودا والاخري ليس صح ٧
برقا اي فيها بياض وسواد كما تقدم فابتدر القوم الثنية فاول ما لقيهم الجمل الاورق عليه الغرارتان
فسالوهم عن الانا وعن نفار العير وعن ند البعير وعن الشخص الذي دلهم عليه فصدقوا قوله
اقول قد علم ان العير التي نفرت وند منها البعير ودلهم عليه مر عليها صلى الله عليه وسلم وهو ذاهب
الي الشام والعير التي كان بها الانا التي كان بها الما الذي شربه صلى الله عليه وسلم مر عليها وهو راجع
الي مكة وهي التي صوبت من الثنية وحينئذ لا يحسن سوال اهلها عما وقع لاهل تلك العير وتصديقهم
له صلى الله عليه وسلم فيما اخبر الا ان يكون هذه العير التي مر عليها صلى الله عليه وسلم في العود اجتمعت
في عودها بتلك العير الذاهبة الي الشام واخبروهم بما ذكر والله اعلم وفي رواية قالوا يا مطعم دعنا
نساله عما هو اغنا لنا من بيت المقدس اي فقولهم ذلك كان بعد ان اخبرهم ببيت المقدس
يا محمد اخبرنا عن عيراتنا الذاهبة والاتية هل لقيت منها شيا فقال نعم اتيت علي عير بني فلان
بالروحا اي وهو محل قريب من المدينة اي بينه وبين المدينة ليلتان قد اضلوا ناقة لهم
فانطلقوا في طلبها فانتهيت الي رحالهم ليس منهم احد واذا قدح ما فشربت منه فسالوهم عن ذلك

فقالوا

فقالوا هذه واللات والعزي اية علي علامة اقول وهذه العير هي التي مر صلى الله عليه وسلم عليها في
العود وهي قادمة الي مكة وفي هذه الرواية زيادة انهم اضلوا ناقة وتقدم في تلك الرواية انه صلى
الله عليه وسلم وجدهم قياما وفي هذه الرواية انه ليس بها منهم احد وقد يقال لا تخالف بين الروايتين
لانه يجوز ان يكون الراوي اسقط منها هذه الزيادة وهي اضلال الناقة فان قوله صلى الله عليه
وسلم ليس بها منهم احد اي مستيقظ بل بعضهم ذهب في طلب تلك الناقة وبعضهم كان نايما كما في
هذه الرواية انه صلى الله عليه وسلم مر عليها وهي بالروحا وهو لا يناسب قوله في تلك انها الان تصوب
من الثنية لان كونها تاتي من الروحا الي مكة في ليلة واحدة من ابعد البعيد الا ان يقال ان
الروحا مشترك بين المحل المعروف المتقدم ذكره ومحل اخر قريب من مكة ثم قال صلى الله عليه وسلم
فانتهيت الي عير بني فلان فنفرت منها اي من الدابة التي هي البراق الابل اي التي هي العير وبرك
منها جمل احمر عليه جوالق مخطط ببياض لا ادري اكسر البعير ام وهذه الرواية يحتمل انها ثالثة ويمكن
ان تكون هي الاولي اسقط منها قوله في هذه وبرك منها جمل الي اخره كما اسقط من هذه قوله في
تلك فند لهم بعير وفي رواية ثم انتهيت الي عير بني فلان بمكان كذا وكذا فيها جمل عليه غرارة
سودا وغرارة بيضا فلما حاذت العير نفرت وصرع ذلك البعير وانكسر اي واضلوا بعيرا
لهم قد جمعه فلان اي بدلا لي لهم عليه فسلمت عليهم فقال بعضهم هذا صوت محمد فسالهم
عن ذلك فعلم ان هذه الرواية والتي قبلها هي الاولي غاية الامر انه زيد في هذه قوله فسلمت عليهم
فقالوا هذه واللات والعزي انه قال ثم انتهيت الي عير بني فلان بالابوا اي وهو كما تقدم
غير مرة انه محل بين مكة والمدينة يقدمها جمل اورق اي بياضه الي سواد كما تقدم ها هي تطلع عليكم
من الثنية فانطلقوا لينظروا فوجدوا الامر كما قال فقالوا صدق الوليد فيما قال اي في
قوله انه ساحر وانزل الله تعالي وما جعلنا الرويا التي اريناك الا فتنة للناس وهذا يدل علي ان
المراد رويا الاسرا وانها رويا العين وانه يقال في مصدرها رويا بالالف كما يقال روية بالتا خلافا
لمن انكر ذلك اذ لو كان رويا الاسرا مناما لما انكر عليه في ذلك اي وقيل نزلت وقد راي العاص صح ٧
النبي صلى الله عليه وسلم ولد الحكم ابن ابي ابو مروان وهم بنو امية القردة علي منبره كانهم القردة
اي وقد ورد رايت بني مروان يتعاورون منبري وفي لفظ ينزون علي منبري نزو القردة
زاد في رواية فما استجمع صلى الله عليه وسلم ضاحكا حتي مات وانزل الله تعالي في ذلك وما جعلنا
الرويا التي اريناك الا فتنة للناس وفي رواية فنزل انا اعطيناك الكوثر وفي رواية فنزل
انا انزلناه في ليلة القدر وما ادراك ما ليلة القدر ليلة القدر خير من الف شهر قال
بعضهم اي خير من الف شهر يملكها بعدك بنو امية فان مدة ملك بني امية كانت اثنين وثمانين
سنة وهي الف شهر وكان جميع من ولي الخلافة منهم اربعة عشر رجلا اولهم معاوية واخرهم
مروان بن محمد وقد قيل لبعضهم ما سبب زوال ملك بني امية مع كثرة العدد والعدد والاموال
والموالي فقال ابعدوا الصديق فاهم ثقة لهم وقربوا اعداهم جهلا منهم فصار الصديق بالابعاد
عدوا ولم يصر العدو صديقا بالتقريب له وحديث رايت بني مروان قال الترمذي

سوحديث غريب وقال غيره منكر قال صلى الله عليه وسلم ورايت بني العباس يتعاورون منبري
فسري ذلك وقيل ان هذه الاية اي اية وما جعلنا الرويا التي اريناك الا فتنة للناس انما نزلت
في رويا الحديبية حيث راي النبي صلى الله عليه وسلم انه واصحابه يدخلون المسجد محلقين روسهم
ومقصرين ولم يوجد ذلك بل صدهم المشركون وقال بعض الصحابة له الم تقل انك تدخل مكة امنا
قال بلي فقلت لكم من عامي هذا قالوا لا قال فهو كما قال جبريل كما سياتي ذلك في قصة الحديبية
وقيل انما نزلت هذه الاية في رويا وقعت له حيث اراه جبريل مصارع القوم ببدر فاري النبي
صلى الله عليه وسلم الناس مصارعهم فتسامعت بذلك قريش فسخروا منه اي ولا مانع من تعدد
نزول الاية لهذه الامور فقد يتعدد نزول الاية لتعدد اسبابها قال ابن حجر الهيتمي على ان
اتحاد نزول لا ينافي تعدد اسبابه اي وذلك اذا تقدمت الاسباب ويروي انه عين لهم
اليوم الذي تقدم فيه العير اي وقالوا الذي يجي قال لهم ياتيكم يوم كذا وكذا يقدمهم جمل ادم
عليه مسح ادم وغرارتان فلما كان ذلك اليوم اشرفت قريش ينتظرون ذلك وقد ولي
النهار ولم يجي حتى كادت الشمس ان تغرب اي دنت للغروب فدعا الله تعالى فحبس الشمس
عن الغروب حتى قدم العير اي كما وصف صلى الله عليه وسلم اقول يجوز ان يكون هذا بالنسبة
لبعض العيرات التي مر عليها فلا يخالف ما تقدم انه صلى الله عليه وسلم قال في بعض العير
انها الان تصوب من الثنية والى حبس الشمس عن المغيب اشار الامام السبكي في تائيته
بقوله وشمس الضحى طاعتك وقت مغيبها فما غربت بل وافقتك بوقفة وجا في بعض الروايات
انها حبست له صلى الله عليه وسلم عن الطلوع ففي رواية ان بعضهم قال له اخبرنا عن عيرنا فقال
مررت بها بالتنعيم قالوا فما عدتها واحمالها ومن فيها فقال كنت في شغل عن ذلك ثم قيل له
ذلك فاخبر بعدتها وعدة احمالها وعدة من فيها وقال تطلع عليكم عند طلوع الشمس فحبس الله
الشمس عن الطلوع حتى قدمت تلك العير فلما خرجوا ينتظروا فاذا قائل يقول هذه الشمس
قد طلعت وقال اخر وهذه العير قد اقبلت فيها فلان وفلان كما اخبر محمد وعلى تقدير
صحة هذه الرواية يجاب عنها بمثل ما تقدم والله اعلم وحبس الشمس وقوفها عن السير اي عن الحركة
بالكلية وقيل بطو حركتها وقيل ردها الى ورائها قالوا ولم تحبس له صلى الله عليه وسلم الا في ذلك اليوم
وما قيل انها حبست له يوم الخندق عن الغروب ايضا حتى صلى العصر معارض بانه صلى الله عليه وسلم
صلى العصر بعد الغروب وقال شغلونا عن الصلاة الوسطى كما سياتي ثم رايت في كلام بعضهم
ما يوخذ منه الجواب وهو ان وقعة الخندق كانت اياما حبست الشمس في بعض تلك الايام
الى الاحمرار والاصفرار وصلى حينيذ وفي بعضها لم تحبس بل صلى بعد الغروب قال ذلك
البعض ويويده ان راوي التاخير الى الغروب غير راوي التاخير الى الحمرة او الصفرة
وجا في رواية ضعيفة ان الشمس حبست لداود وذكر البغوي انها حبست كذلك لسليمان
عليه السلام اي نقل عن علي ابن ابي طالب رضي الله تعالى عنه ان الله تعالى امر الملايكة
الموكلين بالشمس حتى ردوها على سليمان حتى صلى العصر في وقتها وهذا ردها لها لا حبس

عن

عن غروبها الذي الكلام فيه والذي في كلام بعضهم انما ضرب سيدنا سليمان سوق خيله واعناقها
حيث الهاه عرضها عليه عن صلاة العصر حتى كادت ان تغرب ولم يتصدق بها مبادرة لتعظيم
امر الله تعالى بالصلاة في وقتها لان التصدق يحتاج الى صرف زمن في دفعها واخذها
وحبست كذلك ليوشع بن اخت موسى عليهما السلام وهو ابن نون بن يوسف الصديق عليه
السلام اي وهو الذي قام بالامر بعد موسى لان موسى عليه السلام لما وعده الحق سبحانه
وتعالى ان يورثه وقومه بني اسرايل الارض المقدسة التي هي ارض الشام وكان سكنها الكنعانيون يون
الجبارون وامره بمقاتلة اوليك الجبارين وهم العمالقة سار بمن معه وهم ستماية الف مقاتل
حتى نزل قريبا من مدينتهم وهي اريحا فبعث اليهم اثني عشر رجلا من كل سبط واحد لياتوه بخبر
القوم فدخلوا المدينة فراوا امرا هايلا من عظم اجسامهم فقد ذكر بعضهم انه راى في فجاج
اي نقرة عين رجل منهم ضبعة رابضة اي جالسة هي واولادها حولها والفجاج في الاصل الطريق
الواسع واستظل سبعون رجلا من قوم موسى في قحف رجل اي في عظم اعلا راسه وفي العرايس
وكان لا يحمل عنقود عنبهم الا خمسة انفس منهم ويدخل في قشرة الرمانة اذا نزع حبها خمسة انفس او
اربعة وان رجلا من العمالقة اخذ الاثني عشر ووضعهم في كمه مع فاكهة كانت فيه وجاء بهم الى ملكهم فسالهم
فقالوا نحن عيون موسى فقال ارجعوا واخبروه وفي العرايس انه عوج بن عناق احد بني
بنات ادم من صلبه ويقال انها اول بغي في الارض وفي العرايس انه لما لقيهم كان على راسه
حزمة حطب واخذ الاثني عشر في حجره وانطلق بهم لامراته وقال انظري الى هولا القوم
الذين يزعمون انهم يريدون قتالنا وطرحهم بين يديها وقال لها الا اطحنهم برجلي فقالت
امراته لا ولكن خلي عنهم حتى يخبروا قومهم بما راوا ففعل ذلك فلما رجعوا اخبروا موسى فقال
اكتموا خوفا ان بني اسرايل يفشلوا ويرتدوا عن موسى فلم يفعلوا واخبر كل واحد سبطه
بشرة ما راه من امرهم الهايل ففشلوا وجبنوا عن القتال الا رجلان لم يخبرا سبطهما وهما
يوشع بن نون من سبط يوسف وكالب بن يوقنا من سبط بنيامين وقالوا لموسى اذهب انت
وربك فقاتلا انا ها هنا قاعدون فدعا عليهم وقال رب اني لا املك الا نفسي واخي
اي فانه لم يبق معه موافق يثق به غير اخيه هرون وكالب ويوشع وهما المذكوران بقوله تعالى
قال رجلان من الذين يخافون انعم الله عليهما ادخلوا عليهم الباب فاذا دخلتموه فانكم غالبون
لان الله منجز وعده وانا قد خبرناهم فوجدنا اجسامهم عظيمة وقلوبهم ضعيفة فلا تخشوهم
وعلى الله فتوكلوا ان كنتم مومنين وحينيذ يكون مراد موسى بقوله واخي من واخاه ووافقه
لا خصوص هارون ثم دعا بقوله فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين اي باعد بيننا وبينهم
فضرب عليهم التيه فتاهوا اي تحيروا في ستة فراسخ من الارض يمشون النهار كله ثم يمسون
حيث اصبحوا ويصبحون حيث امسوا وانزل الله المن والسلوى لانهم شغلوا عن المعاش وابقيت
عليهم ثيابهم لا تخلق ولا تتسخ وتطول مع الصغير اذا طال وظلل عليهم الغمام من الشمس ولما
راى موسى عليه السلام ما بهم من التعب ندم على دعايه عليهم وفي حيوة الحيوان لما عبد

بنوا اسرايل العجل اربعين يوما عقبوا بالتيه اربعين سنة لكل يوم سنة فاوحي الله تعالي اليه فلا
تاس اي تحزن علي القوم الفاسقين اي الذين فسقوا اي خرجوا عن امرك قال في انس الجليل
ومن عجيب الاتفاق ان اريحا هذه كانت في زمن بني اسرايل منزل الجبارين وفي زمن الاسلام
منزل حكام الشرطة فان الآن قرية من قري بيت المقدس ثم مات موسي وهارون عليهما السلام
بالتيه مات هرون اولا ثم موسي بعد سنتين وفي ذلك رد علي من قال ان قبر هرون اخي موسي
باحد كما سياتي وفيه رد ايضا علي من يقول موسي مات قبل هرون وانه دفنه وقيل ان هرون
راي سريرا في بعض الكهوف فقام عليه فمات وان بني اسرايل قالوا قتل موسي حسدا له علي
محبة بني اسرايل له فقال لهم موسي ويحكم كان اخي ووزيري افترون اني اقتله فلما اكثروا عليه قام
فصلي ركعتين ثم دعا فنزل السرير الذي مات عليه حتي نظروا اليه بين السما والارض فصدقوه
وعلي الاول ان موسي انطلق ببني اسرايل الي قبره ودعا الله ان يحييه فاحياه الله تعالي فاخبرهم
انه مات ولم يقتله موسي وعند ذلك قام بالامر يوشع بن نون المذكور اي فان موسي لما احتضر
اخبرهم بان يوشع بعده نبي وان الله امره بقتال الجبارين فسار بهم يوشع وقاتل الجبارين وكان
يوم الجمعة ولما كان ان يفتحها كادت الشمس ان تغرب فقال للشمس ايتها الشمس انك مامورة
وانا مامور بحرمتي عليك الا ركدت اي مكثت ساعة من النهار وفي رواية قال اللهم احبسها
علي فحبسها الله تعالي حتي افتتح المدينة اي قال ذلك خوفا من دخول السبت المحرم عليهم فيه المقاتلة
وقد عبر الامام السبكي عن حبسها ليوشع بردها في قوله

وردت عليك الشمس بعد مغيبها كما انها قدما ليوشع ردت

ولولا قوله بعد مغيبها لما اشكل وامكن ان يراد بالرد وقوفها وعدم غروبها ومن ثم ذكر ابن كثير في
تاريخه ان في حديث رواه الامام احمد وهو علي شرط البخاري ان الشمس لم تحبس لبشر الا ليوشع
ليالي سار الي بيت المقدس وفيه دلالة علي ان الذي فتح بيت المقدس هو يوشع بن نون لا موسي
وان حبس الشمس كان في فتح بيت المقدس لا في فتح اريحا هذا كلامه وهو خلاف السياق وفي العرايس
ان موسي عليه السلام لم يمت في التيه بل سار ببني اسرائل الي اريحا وعلي مقدمته يوشع فدخل يوشع
وقتل الجبارين ثم دخلها موسي ببني اسرايل فاقام فيها ما شا الله ثم قبض ولا يعلم موضع قبره من
الخلق احد قال وهذا اولي الاقاويل بالصدق واقربها الي الحق وذكر بعض ذلك ان موسي
لما حضرته الوفاة قال يا رب ادني من الارض المقدسة برمية حجر فقال رسول الله صلي الله عليه
وسلم لو اني عنده لاريتكم قبره الي جانب الطريق عند الكثيب الاحمر قال ابن كثير وقوله
صلي الله عليه وسلم لم تحبس لبشر يدل علي ان هذا من خصايص يوشع عليه السلام فيدل علي ضعف
الحديث الذي رويناه ان الشمس رجعت اي بعد مغيبها اي في خيبر كما سيذكره هنا حتي
صلي علي ابن ابي طالب العصر بعد ما فاتته بسبب نوم النبي صلي الله عليه وسلم علي ركبته وهو
حديث منكر ليس في شي من الصحاح ولا الحسان وهو مما تتوفر الدواعي علي نقله وتفردت بنقله
امراة من اهل البيت مجهولة لا يعرف حالها هذا كلامه وسياتي قريبا ما فيه علي ان قوله صلي الله

عليه

عليه وسلم لم تحبس الشمس لبشر اي غيره صلي الله عليه وسلم وقد علمت ان الحبس انما يكون منعا لها عن
مغيبها والرد لها يكون عند مغيبها فليتامل وفي كلام سبط ابن الجوزي ان قيل حبسها ورجوعها
مشكل لانها لو تخلفت الافلاك ولفسد النظام قلنا حبسها وردها من باب المعجزات ولا مجال
للقياس في خرق العادات وذكر انه وقع لبعض الوعاظ ببغداد قعد يعظ بعد العصر ثم اخذ
في ذكر فضايل اهل البيت فجات سحابة غطت الشمس فظن وظن الناس الحاضرون عنده ان الشمس
غابت فارادوا الانصراف فاشار اليهم ان لا تتحركوا ثم ادار وجهه الي ناحية المغرب وقال

لا تغربي يا شمس حتي ينتهي مدحي لال المصطفي ولنجله
ان كان للمولي وقوفك فليكن هذا الوقوف لولده ولنسله

فطلعت الشمس فلا يحصي ما رمي عليه من الحلي والثياب هذا كلامه ولما افتتحت المدينة التي هي
اريحا اصابوا بها اموالا عظيمة وكانوا اي الامم السابقة اذا اصابوا الغنايم قربوها فتجي النار
تاكلها اي اذا لم يكن فيها غلول كما تقدم فجي النار واكلها دليل علي قبولها ولم تحل الا لنبينا صلي
الله عليه وسلم كما سياتي فلما اصابوا تلك الغنايم قربوها فلم تجي اليها النار فقالوا له يا نبي الله
ما لها لا تاكل قربانا قال فيكم الغلول فدعا راس كل سبط وصافحه فلصق كف واحد
منهم في كف يوشع فقال الغلول في سبطك فقال كيف اعلم ذلك قال تصافح واحدا بعد واحد
فلصقت كفه بكف واحد منهم فسيل فقال نعم رايت راس بقرة من ذهب عيناها من ياقوت واسنانها
من لولو فاعجبتني فغللتها فجا بها ووضعها في الغنيمة فجات النار فاكلتها وذكر البغوي ان الشمس
حبست عن الطلوع لموسي عليه السلام كما حبست كذلك لنبينا صلي الله عليه وسلم كما تقدم وكذا القمر
حبس لموسي عليه السلام عن الطلوع لم فعن عروة ابن الزبير قال ان الله حين امر موسي عليه السلام
بالسير ببني اسرايل الي بيت المقدس امره ان يحمل معه عظام يوسف عليه السلام وان لا يخلفها
بارض مصر وان يسير بها حتي يضعها بالارض المقدسة اي وفاء بما اوصي به يوسف عليه الصلاة
والسلام فقد ذكر ان يوسف عليه السلام لما ادركته الوفاة اوصي ان يحمل الي مقابر ابايه فمنع اهل
مصر اولياه من ذلك فسال موسي عمن يعرف موضع قبر يوسف فما وجد احدا يعرفه الا عجوزا من
بني اسرايل فقالت له يا نبي الله انا اعرف مكانه وادلك عليه ان انت اخرجتني معك ولم تخلفني
بارض مصر قال افعل وفي لفظ انها قالت اكون معك في الجنة فكانه ثقل عليه ذلك فقيل
له اعطها طلبتها فاعطاها وقد كان موسي عليه السلام وعد بني اسرايل ان يسير بهم
اذا طلع القمر فدعا ربه ان يوخر طلوعه حتي يفرغ من امر يوسف عليه السلام ففعل فخرجت به
العجوز حتي ارته اياه في ناحية من النيل وفي لفظ في مستنقعة ماء اي وتلك المستنقعة
في ناحية من النيل فقالت لهم انضبوا عنها الماء اي ارفعوه عنها ففعلوا قالت احفروا فحفروا
واخرجوه وفي لفظ انها انتهت به الي عمود علي شاطي النيل اي في ناحية منه فلا يخالف
ما سبق في اصله سكة من حديد فيها سلسلة اي ويجوز ان يكون حفرهم الواقع في تلك
الرواية كان علي اظهار تلك السكة فلا مخالفة ووجدوه في صندوق من حديد في وسط

النيل في الماء فاستخرجه موسي عليه السلام وهو في صندوق من مرمر اي داخل ذلك الصندوق
الذي من الحديد فاحتمله وفي انس الجليل ان موسي عليه السلام جاءه شيخ له ثلثماية سنة فقال
له يا نبي الله ما يعرف قبر يوسف الا والدتي فقال له موسي قم معي الي والدتك فقام الرجل ودخل منزله
واتي بقفة فيها والدته فقال لها موسي الك علم بقبر يوسف فقالت نعم ولا ادلك علي قبره
الا ان دعوت الله تعالي ان يرد علي شبابي الي سبعة عشر سنة ويزيد في عمري مثل ما مضي فدعا
موسي لها وقال لها كم عمرك قالت له تسعماية سنة فعاشت الفا وثمانماية فارته قبر يوسف وكان
في وسط نيل مصر ليمر النيل عليه فيصل الي جميع مصر فيكونون شركا في بركته صلي الله عليه وعلي نبينا
وسلم واما عود الشمس بعد غروبها فقد وقع له صلي الله عليه وسلم في خيبر فعن اسما بنت عميس
انها قالت كان رسول الله صلي الله عليه وسلم يوحي اليه ورأسه الشريف في حجر علي ولم يسر
علي النبي صلي الله عليه وسلم حتي غربت الشمس وعلي لم يصل العصر اي فقال له صلي الله عليه وسلم
اصليت العصر قال لا فقال رسول الله صلي الله عليه وسلم اللهم انه كان في طاعتك وطاعة رسولك
فاردد عليه الشمس قالت اسما فرايتها طلعت بعد ما غربت قال بعضهم لا ينبغي لمن سبيله
العلم ان يتخلف عن حفظ هذا الحديث لانه من اجل اعلام النبوة وهو حديث متصل وقد
ذكر في الامتاع انه جا عن اسما من خمسة طرق وذكرها ويرد ما تقدم عن ابن كثير بانه تفردت
بنقله امراة من اهل البيت مجهولة لا يعرف حالها ويرد علي ابن الجوزي حيث قال فيه انه حديث
موضوع بلا شك لكن في الامتاع ذكر خامس الطرق ان عليا اشتغل مع رسول الله صلي الله عليه وسلم
في قسمة الغنايم يوم خيبر حتي غابت الشمس فقال رسول الله صلي الله عليه وسلم وجلس في المسجد فتكلم
بكلمتين او ثلاثة كانها من كلام الحبش فارتجعت الشمس كهيئتها في العصر فقام فتوضا وصلي العصر
ثم تكلم رسول الله صلي الله عليه وسلم بمثل ما تكلم به قبل ذلك فرجعت الي مغربها فسمعت لها صريرا
كالمنشار في الخشب وذلك مخالف لساير الطرق الان يدعي ان هذه الطريق فيها حذف والاصل
اشتغل مع النبي صلي الله عليه وسلم في قسمة غنايم خيبر ثم وضع راسه في حجر علي ونام فما استيقظ
حتي غابت الشمس فلا مخالفة قال وجا انه صلي الله عليه وسلم قبل وصوله الي بيت المقدس ساروا
حتي بلغوا ارضا ذات نخل فقال له جبريل انزل فصل هاهنا ففعل ثم ركب فقال اتدري اين صليت
قال لا قال صليت بطيبة واليها المهاجرة وسياتي ما فيه في الكلام علي الهجرة فانطلق البراق
يهوي يضع حافره اذ ادرك طرفه حتي بلغ ارضا فقال له جبريل انزل فصل ههنا ففعل ثم ركب
فقال له جبريل اتدري اين صليت قال لا قال صليت بمدين اي وهي قرية تلقا غزة عند
شجرة موسي سميت باسم مدين بن ابرهيم لما نزلها ثم ركب فانطلق البراق يهوي به ثم قال انزل
فصل ففعل ثم ركب فقال له اتدري اين صليت قال لا قال صليت ببيت لحم اي وهي قرية
تلقا بيت المقدس حيث ولد عيسي عليه السلام اي وفي الهدي وقيل انه نزل بيت لحم
وصلي فيه ولا يصح عنه ذلك البتة وبينما هو يسير علي البراق اذ راي عفريتا من الجن يطلبه
بشعلة من نار كلما التفت راه فقال له جبريل الا اعلمك كلمات تقولهن اذا قلتهن طفيت شعلته

وخر لفيه فقال له رسول الله صلي الله عليه وسلم بلي فقال قل اعوذ بوجه الله الكريم وبكلمات الله التامات
التي لا يجاوزهن بر ولا فاجر من شر ما ينزل من السماء ومن شر ما يعرج فيها ومن شر ما ذرا في الارض
ومن شر ما يخرج منها ومن فتن الليل والنهار ومن طوارق الليل والنهار الا طارقا يطرق بخير
يا رحمان اي فقال صلي الله عليه وسلم ذلك فانكب لفيه وطفيت شعلته وراي حال المجاهدين
في سبيل الله اي كشف له عن حالهم في دار الجزا بضرب مثال فراي قوما يزرعون في يوم اي في وقت
ويحصدونه في يوم اي في ذلك الوقت كما يرشد اليه الحال كلما حصدوا عاد كما كان فقال يا جبريل ما هذا
قال هولاء المجاهدون في سبيل الله تضاعف لهم الحسنة بسبعماية ضعف وما انفقوا من خير
فهو يخلفه وهذا الثاني هو المناسب لحالهم دون الاول فالاولي الاقتصار عليه لان يدعي انه صلي
الله عليه وسلم شاهد الحصاد والعود العدد المذكور الذي هو سبعماية مرة علي ان المضاعفة المذكورة لا
تختص بالمجاهدين فقد جا كل عمل ابن ادم يضاعف الحسنة بعشرة امثالها الي سبعماية ضعف الا ان
يقال المراد بتكرار الجزا العدد المذكور بالمجاهدين امر موكد لا يكاد يتخلف وفي غيرهم بخلافه ووجد صلي
الله عليه وسلم ريح ماشطة بنت فرعون ووجد داعي اليهود وداعي النصاري فاما الاول فقد راي
عن يمينه داعيا يقول يا محمد انظرني اسالك فلم يجبه فقال ما هذا يا جبريل فقال داعي اليهود اما انك
لو اجبته لتهودت امتك اي لتمسكوا بالتورية والمراد غالب الامة واما الثاني فقد راي عن يساره
داع يقول يا محمد انظرني اسالك فلم يجبه فقال ما هذا يا جبريل قال هذا داعي النصاري اما انك لو
اجبته لتنصرت امتك اي لتمسكت بالانجيل وحكمة ان داعي اليهود علي اليمين وداعي النصاري علي
اليسار لا تخفي وراي صلي الله عليه وسلم حال الدنيا اي كشف له عن حالتها بضرب مثال فراي امراة
حاسرة عن ذراعيها لان ذلك شان المقتص لغيره وعليها من كل زينة خلقها الله تعالي اي ومعلوم
ان النوع الواحد من الزينة يجلب القلوب اليه فكيف بوجود ساير انواع الزينة فقالت يا محمد انظرني
اسالك فلم يلتفت اليها فقال من هذه يا جبريل قال تلك الدنيا اما انك لو اجبتها لاختارت
امتك الدنيا علي الاخرة وراي عجوزا علي شاطي الطريق فقالت يا محمد انظرني اسالك فلم يلتفت
اليها فقال من هذه يا جبريل فقال انه لم يبق من عمر الدنيا الا ما بقي من عمر تلك العجوز اي فوتها
لا ينبغي الالتفات اليها لانها عجوز شوها لم يبق من عمرها الا القليل ولينظر لم لم يقل تلك الدنيا
ولم يبق من عمرها الي اخره وفي كلام بعضهم الدنيا قد يقال لها شابة وعجوز بمعني يتعلق بذاتها
وبمعني يتعلق بغيرها الاول وهو حقيقته انها من اول وجود هذا النوع الانساني الي ايام ابرهيم
صلوات الله وسلامه عليه وبعدها تسمي الدنيا شابة وفيما بعد ذلك الي بعثة نبينا صلي الله عليه وسلم
كهلة ومن بعد ذلك الي يوم القيامة تسمي عجوزا واعترض بان الايمة صرحوا بان الشباب
ومقابله انما يكون في الحيوان ويجاب بان الغرض من ذلك التمثيل وكشف له صلي الله عليه وسلم
عن حال من يقبل الامانة مع عجزه عن حفظها بضرب مثال فاتي علي رجل جمع حزمة حطب عظيمة
لا يستطيع حملها وهو يزيد عليها فقال ما هذا يا جبريل قال هذا الرجل من امتك تكون عنده
امانات الناس لا يقدر علي ادايها ويريد ان يتحمل عليها وكشف له صلي الله عليه وسلم عن حال

من ترك الصلاة المفروضة في دار الجزا فاتي علي قوم ترضخ رؤوسهم كلما رضخت عادت كما كانت ولا يفتر
عنهم من ذلك شي فقال يا جبريل ما هولاء قال هولاء الذين تتثاقل روسهم عن الصلاة المكتوبة اي
المفروضة عليهم وكشف له صلي الله عليه وسلم عن حال من يترك الزكاة الواجبة عليه ثم اتي علي قوم علي
اقبالهم رقاع وعلي ادبارهم رقاع يسرحون كما تسرح الابل والغنم وياكلون الضريع وهو اليابس من الشوك
والزقوم ثمر شجر مر له زفرة قيل انه لا يعرف لشجر الدنيا وانما هو لشجرة في النار وهي المذكورة في قوله
تعالي انها شجرة تخرج في اصل الجحيم اي منبتها في اصل الجحيم وتقدم الكلام عليها عند الكلام علي
المستهزيين وياكلون رضف جهنم اي حجارتها المحماة لان الرضف بالضاد المعجمة الحجارة المحماة التي
يكوى بها فقال من هولاء يا جبريل قال هولاء الذين لا يؤدون صدقات اموالهم المفروضة
عليهم وكشف له صلي الله عليه وسلم عن حال الزناة بضرب مثال ثم اتي علي قوم بين ايديهم لحم نضيج
في قدور ولحم نيء في قدور خبيث فجعلوا ياكلون من ذلك النيء الخبيث ويدعون النضيج الطيب
فقال ما هذا يا جبريل قال هذا الرجل من امتك تكون عنده المراة الحلال الطيب فياتي امراة
خبيثة فيبيت عندها حتي يصبح والمراة تقوم من عند زوجها حلالا طيبا فتاتي رجلا خبيثا فتبيت
عنده حتي تصبح وكشف له صلي الله عليه وسلم عن حال من يقطع الطريق بضرب مثال ثم اتي علي
خشبة لا يمر بها ثوب ولا شي الا خرقته فقال ما هذه يا جبريل قال هذا مثل اقوام من امتك
يقعدون علي الطريق فيقطعونه وتلي ولا تقعدوا بكل صراط توعدون وكشف له صلي
الله عليه وسلم عن حال من ياكل الربا اي حالته التي يكون عليها في دار الجزا فراي رجلا يسبح في
نهر من دم يلقم الحجارة فقال له من هذا قال اكل الربا وقد شبهه الله تعالي في القران بقوله
الذين ياكلون الربا لا يقومون الا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس اي اذا بعث الناس
يوم القيامة خرجوا مسرعين من قبورهم الا اكلة الربا فانهم لا يقومون من قبورهم الا مثل قيام الذي
يصرعه الشيطان فكلما قاموا سقطوا علي وجوههم وجنوبهم وظهورهم كما ان المصروع حاله ذلك
اي فهذه حاله في الذهاب الي المحشر زيادة علي حالته المتقدمة التي تكون في دار الجزا وكشف
له صلي الله عليه وسلم عن حال من يعظ ولا يتعظ ثم اتي علي قوم تقرض السنتهم وشفاههم بمقاريض
من حديد كلما قرضت عادت لا يفتر عنهم من ذلك بشي فقال من هولاء يا جبريل فقال هولاء خطبا
الفتنة خطبا امتك يقولون ما لا يفعلون وكشف له صلي الله عليه وسلم عن حال المغتابين للناس
ثم علي قوم لهم اظفار من نحاس يخمشون وجوههم وصدورهم فقال من هولاء يا جبريل فقال
هولاء الذين ياكلون لحوم الناس ويقعون في اعراضهم وكشف له صلي الله عليه وسلم عن حال من
يتكلم بالفحش بضرب مثال فاتي علي جحر صغير يخرج منه ثور عظيم فجعل الثور يريد ان
يرجع من حيث خرج فلا يستطيع ان يردها وكشف له صلي الله عليه وسلم عن حال من احوال الجنة
فاتي علي واد فوجد ريحا طيبة باردة وريح المسك وسمع صوتا فقال يا جبريل ما هذا قال
هذا صوت الجنة تقول يا رب ائتني بما وعدتني اي لانه يجوز ان يكون محل الجنة من السماء
السابعة مقابلا لذلك الوادي وكشف له صلي الله عليه وسلم عن حال من احوال النار فاتي علي

واد فسمع صوتا منكرا ووجد ريحا خبيثة فقال ما هذا يا جبريل قال هذا صوت جهنم تقول يا رب
ائتني بما وعدتني اي وليست جهنم بذلك الوادي كما سياتي ان الوادي التي هي به هو الذي ببيت المقدس
ولعل هذا الوادي مقابل لذلك الوادي وينبغي ان لا يكون هذا هو المراد بما في الخصايص الصغرى
للسيوطي وخص صلي الله عليه وسلم باطلاعه علي الجنة والنار بل المراد بذلك رويته ذلك في المعراج بعد
وصوله صلي الله عليه وسلم الي الوادي الذي ببيت المقدس بالنسبة للنار وراي صلي الله عليه وسلم الرجال
شبيه بعبد العزي بن قطن اي وهو من هلك في الجاهلية اي قبل البعثة ومر صلي الله عليه
وسلم علي شخص متنحيا عن الطريق يقول هلم يا محمد قال جبريل سر يا محمد قال من هذا قال
عدو الله ابليس اراد ان تميل اليه انتهي وفي رواية لما وصلت بيت المقدس وصليت فيه ركعتين
اي اماما بالانبيا والملايكة اخذني العطش اشد ما اخذني فاتيت باناءين في احدهما لبن
وفي الاخر عسل فهداني الله تعالي فاخذت اللبن فشربت وبين يدي شيخ متكي علي منبر له
فقال اي مخاطبا لجبريل اخذ صاحبك الفطرة انه لمهدي فلما خرجت منه جاءني جبريل عليه
السلام باناء من خمر واناء من لبن فاخترت اللبن فقال جبريل اخترت الفطرة اي الاستقامة
التي سببها الاسلام ومنه كل مولود يولد علي الفطرة اي علي الاسلام وفي رواية اخري فاتي
بانية ثلاثة مغطاة افواهها فاتي باناء منها فيه ما فشرب منه قليلا وفي رواية انه لم
يشرب منه شيا وانه قيل له لو شربت الما اي جميعه او بعضه لغرقت امتك اي وفي رواية
انه سمع قايلا يقول ان اخذ الماء غرق وغرقت امته ثم رفع اليه اناء اخر فيه لبن فشرب
منه حتي روي اي وفي رواية انه سمع قايلا يقول ان اخذ اللبن هدي وهديت امته ثم رفع
اليه اناء فيه خمر فقيل له اشرب فقال لا اريده قد رويت فقال جبريل انها ستحرم علي امتك اي بعد
اباحتها لهم وفي رواية انه قيل له لو شربت الخمر لغويت امتك ولم يتبعك اي لا يكون علي طريقتك
منهم الا القليل اي وفي رواية انه سمع قايلا يقول ان اخذ الخمر غوي وغويت امته اقول
وهذه الرواية تحتمل لان تكون وهو في بيت المقدس ولان تكون وهو خارج عنه ومن هذا كله
يعلم انه تكرر عليه عرض اللبن والخمر داخل بيت المقدس وخارجه ولا مانع من تكرر عرض
اناءي الخمر واللبن قبل خروجه من بيت المقدس وبعد خروجه منه قبل العروج ولا تعارض
بين الاخبار بان احدها كان فيه عسل مع اللبن وبين الاخبار بان احدها كان فيه خمر مع اللبن
ولا بين الاخبار باناءين والاخبار باناء والي ثلاثة لانه يجوز ان يكون بعض الرواة اقتصر علي
اناءين ولا بين كون الاناء الثالث كان فيه عسل او ماء لانه يجوز ان يكون احد الاواني
الثلاثة كان فيها عسل ثم جعل فيها الما فيه العسل او مزج العسل به وغلب الما علي العسل
او تكون الاواني اربعة وبعض الرواة اقتصر وقد قال ابن كثير يحتمل ان الاواني اربعة فيها اربعة
اشيا من الانهار الاربعة التي تخرج من اصل سدرة المنتهي ولكن لم يسقط اللبن في رواية
بخلاف غيره فانه تارة ذكر معه الخمر فقط وتارة ذكر معه العسل فقط وتارة ذكر معه الما
والخمر وعلي الاحتمال الاول سيل عن سر عدم ذكر جبريل عليه السلام حكمة عدم الشرب من

المسبل والله تعالى اعلم قال ومر على موسى عليه الصلاة والسلام وهو يصلي في قبره عند الكثيب الاحمر
وهو يقول يرفع صوته اكرمته فضلته انتهى وفي رواية سمعت صوتا وتذمرا هو بالذال المعجمة الحدة فسلم
عليه فرد عليه السلام فقال يا جبريل من هذا قال هذا موسى بن عمران قال ومن يعاتب قال يعاتب
ربه فيك قال اويرفع صوته على ربه والعتاب مخاطبة فيها ادلال وهذا يدلك على ان الصوت الذي
سمعه كان مشتملا على عتاب وتذمر دفعه وفي رواية على من كانت تذمره اي حدته قال على ربه
قلت اعلى ربه قال جبريل ان الله عز وجل قد عرف له حدته وهذا كما علمت كان كالذي بعده
قبل وصوله الى مسجد بيت المقدس والله اعلم وحالية اسري بي مر بي جبريل عليه السلام فقال
انزل فصل ههنا ركعتين قال ومر على شجرة تحتها شيخ وعياله فقال من هذا يا جبريل فقال
هذا ابوك ابراهيم عليه الصلاة والسلام فسلم عليه فرد عليه السلام فقال من هذا الذي معك
يا جبريل فقال هذا ابنك احمد فقال مرحبا بالنبي العربي الامي ودعا له بالبركة اي تمييزه عنه
فلم يسال عنه وابراهيم لم يعرفه فسال عنه لكن في السيرة الهشامية موسى سال عنه ايضا فقال
من هذا يا جبريل فقال هذا احمد فقال مرحبا بالنبي العربي الذي نصح امته ودعا له بالبركة وقال اسل
لامتك اليسر الظاهر ان قبر ابراهيم صلى الله عليه كان تحت تلك الشجرة او قريبا منها فلا مخالفة
بين الروايتين واسارحتى اتى الوادي الذي في بيت المقدس فاذا جهنم تنكشف عن مثل الزرابي
اي وهي النمارق اي الوسائد فقيل يا رسول الله كيف وجدتها قال مثل الحمة اي الفحمة انتهى قال
صلى الله عليه وسلم ثم عرج بنا الى السما اي من الصخرة كما تقدم اي على المعراج بكسر الميم وفتحها
الذي تعرج ارواح بني ادم وهو كما في بعض الروايات سلم له مرقاة من فضة ومرقاة من
ذهب اي عشر من الجنة وهو المراد بقول بعضهم كانت المعاريج ليلة الاسرا عشرة سبع الى السموات
والثامن الى سدرة المنتهى والتاسع الى المستوى والعاشر الى العرش والرفرف اي فاطلع على
كل مرقاة سراجا وهذا المعراج لم ير الخلايق احسن منه اما رايت الميت حين يشق بصره طامحا الى
السما اي بعد خروج روحه فان ذلك عجبه بالمعراج الذي نصب له روحه لتعرج عليه وذلك شامل
للمومن والكافر الا ان المومن يفتح لروحه باب السما دون الكافر فترد بعد عروجها تحسيرا وندامة
وتبكيتا له وذلك المعراج اتي به من جنة الفردوس وانه منضد باللولو اي جعل فيها اللولو بعضه
على بعض عن يمينه ملايكة وعن يساره ملايكة تنصعد صلى الله عليه وسلم هو وجبريل عليه السلام
قال الحافظ ابن كثير ولم يكن صعوده صلى الله عليه وسلم على البراق كما توهمه بعض الناس اي
ومنهم صاحب الهمزية رحمه الله كما سياتي عنه حتى انتهى الى باب من ابواب سما الدنيا اي ويقال
له باب الحفظة عليه ملك يقال له اسماعيل عليه السلام اي وهذا يسكن الهوا لم يصعد الى السما
قط ولم يهبط الى الارض قط الا مع ملك الموت لما نزل لقبض روحه الشريف صلى الله عليه وسلم وتحت
يده اثني عشر الف ملك اي وفي رواية ان تحت يده سبعين الف ملك تحت يد كل ملك سبعون الف ملك
فاستفتح جبريل عليه السلام فقيل من انت وفي رواية فضرب بابا من ابوابها فناداه اهل سما الدنيا
اي حفظتها من هذا قال جبريل فقيل ومن معك اي فانهم راوها ولم يعرفوها ولعل جبريل عليه السلام

م

لم يكن حينئذ على الصورة التي يعرفونها بها قال محمد وفي رواية قال معك احد يجوز ان يكون هذا القايل
لم يرهما ويكون الراي له معظم الحفظة قال محمد قيل وقد بعث اليه اي للاسرا والمعراج اي لانه كان
عندهم علم بانه سيعرج به صلى الله عليه وسلم الى السموات بعد الاسرا الى بيت المقدس والا فبعثته
صلى الله عليه وسلم ورسالته الى الخلق يبعد ان تخفى على اولئك الملايكة عليهم الصلاة والسلام الى هذه
المدة ايضا لو كان هذا مرادهم لقالوا او قد بعث ولم يقولوا بعث اليه فان قيل قد جاء في حديث
انس رضي الله عنه ان ملايكة السما الدنيا قالت لجبريل عليه السلام او قد بعث اليه قلنا تقدم ان
حديث انس رضي الله عنه كان قبل ان يوحى اليه صلى الله عليه وسلم وانه كان مناما لا يقظة قال
السهيلي رحمه الله ولم نجد في رواية من الروايات ان الملايكة عليهم السلام قالوا وقد بعث
اليه ففتح لنا قال صلى الله عليه وسلم فاذا انا بادم عليه الصلاة والسلام فرحب بي ودعا لي بخير واختلف
في لفظ ادم فقيل اعجمي ومن ثم منع الصرف وقيل عربي لانه مشتق من الادمة التي هي السمرة
والمراد بها هنا لون بين البياض والحمرة حتى لا ينافي كونه احسن الناس او هو مشتق من اديم
الارض اي وجهها لانه مخلوق منه وعلى انه عربي يكون منع صرفه للعلمية ووزن الفعل وفي رواية
تعرض عليه ارواح بنيه فيسر بمومنها اي عند رويته ويعبس بوجهه عند روية كافرها قال وفي رواية
فاذا فيها ادم كيوم خلقه الله تعالى على صورته اي على غاية من الحسن والجمال فاذا هو تعرض عليه
ارواح ذريته المومنين فيقول روح طيبة ونفس طيبة خرجت من جسد طيب اجعلوها في عليين
وتعرض عليه ارواح ذريته الكفار فيقول روح خبيثة ونفس خبيثة خرجت من جسد خبيث
اجعلوها في سجين اقول وهذا وان اقتضى كون ارواح العصاة من المومنين في عليين كارواح الطايعين
منهم لكن لا يقتضي مساواتها في الدرجة كما لا يخفى وفي رواية تعرض عليه اعمال ذريته وهو اما على حذف
مضاف اي صحف اعمالهم التي وقعت منهم وهي التي في صحف الحفظة او والتي ستقع منهم وهي التي في
صحف الملايكة غير الحفظة او تعرض نفس اعمال تجسمت لما سياتي ان المعاني تجسم في كثير من الروايات
اقتصاد والله اعلم وفي رواية سندها ضعيف كما قاله الحافظ ابن حجر رحمه الله وعن يمينه اسودة
وباب يخرج منه ريح طيبة وعن شماله اسودة وباب يخرج منه ريح خبيثة فاذا انظر عن يمينه
اي الى تلك الاسودة ضحك واستبشر واذا نظر عن شماله اي الى تلك الاسودة حزن وبكى
فسلم عليه صلى الله عليه وسلم فقال مرحبا بالابن الصالح والنبي الصالح فقال النبي صلى الله عليه وسلم
من هذا فقال هذا ابوك ادم اي وزاد في الجواب قوله وهذه الاسودة نسم اي ارواح بنيه
فاهل اليمين اهل الجنة واهل الشمال اهل النار فاذا انظر عن يمينه ضحك واستبشر واذا انظر
عن شماله حزن وبكى وزاد في الجواب ايضا قوله وهذا الباب الذي عن يمينه باب الجنة
اذا انظر من يدخله من ذريته ضحك واستبشر والباب الذي عن شماله باب جهنم
اذا انظر من يدخله من ذريته بكى وحزن انتهى اي اذا انظر الى ارواح من يدخلهما
وفيه ان الجنة فوق السماء السابعة والنار في الارض السابعة وهي محيطة بالدنيا فكيف
يكون بابهما في السما الدنيا وان ارواح الكفار لا تفتح لها ابواب السماء كما تقدم واجيب عن

الثاني بان عرضها اي ارواح ذرية الكفار عليه نظره اليها وهي دون السما اي لانها شفافة او
من ذلك الباب اي وكونها عن يساره الذي اخبر به صلي الله عليه وسلم اي في جهة يساره وبجاب
عن الاول بان الباب الذي علي يمينه يجوز ان يكون محاذيا بالموضع الجنة من السماء السابعة
وقبله باب الجنة وكذا يقال في باب جهنم لان الاضافة تاتي لادني ملابسة وبما اجبناه عن كون
ارواح ذرية الكفار عن جهة يساره يعلم انه لا حاجة في الجواب عن ذلك الي قول الحافظ ابن حجر
ويحتمل ان يقال ان النسم المرئية هي الارواح التي لم تدخل الاجساد بعد اي الآن ومستقرها عن
يمين ادم وشماله وقد اعلم بما سيصيرون اليه بناء علي ان الارواح مخلوقة قبل الاجساد ها علي
انه لا يناسب قوله روح طيبة ونفس طيبة خرجت من جسد طيب الي اخره ولا حاجة لما نقل
عن القرطبي رحمه الله في الجواب عن ذلك من ان الكفار التي لا تفتح لها ابواب السماء المشركون
دون الكفار ومن اهل الكتاب فيجوز ان تكون تلك الاسودة ارواح كفار اهل الكتاب اذ هو يقتضي
ان المراد بارواح بنيه في الروايتين السابقتين الارواح التي خرجت من اجسادها قال صلي الله
عليه وسلم ورايت رجالا لهم مشافر كمشافر الابل اي كشفاه الابل اي وفي ايديهم قطع من نار كالافهار
اي الحجارة التي كل واحد منها ملء الكف يقذفونها في افواههم تخرج من ادبارهم قلت من هولاء
يا جبريل قال هولاء اكلة اموال اليتامي ظلما وهولاء لم يتقدم رويته صلي الله عليه وسلم لهم في الارض
اي ولعل المراد بالرجال الاشخاص او خصوا بذلك لانهم اولياء الايتام غالبا قال صلي الله عليه وسلم ثم
رايت رجالا لهم بطون لم ار مثلها قط وفي رواية امثال البيوت زاد في رواية فيها حيات تري من
خارج البطون بسبيل اي طريق ال فرعون يمرون عليهم كالابل المهيومة حين يعرضون علي النار
لا يقدرون ان يتحولوا من مكانهم لشدة وطيهم لهم والمهيومة التي اصابها الهيام وهو داء يا خذ الابل
فتهيم في الارض ولا ترعي وفي كلام السهيلي رحمه الله الابل المهيومة العطاش والهيام شدة
العطش اي وفي رواية كلما نهض احدهم خر اي سقط قال قلت من هولاء يا جبريل قال
هولاء اكلة الربا وتقدمت رويته صلي الله عليه وسلم لهم في الارض لا بهذا الوصف بل ان الواحد
منهم يسبح في نهر من دم يلقم الحجارة اي ولا مانع من اجتماع الوصفين لهم اي فيخرجون من ذلك النهر
ويلقون في طريق من ذكر وهذا عذابهم دايما قال صلي الله عليه وسلم ثم رايت رجالا بين ايديهم
لحم سمين طيب والي جنبه لحم خبيث منتن ياكلون من الغث اي الخبيث المنتن ويتركون السمين
السمين قال قلت من هولاء يا جبريل قال هولاء الذين يتركون ما احل الله لهم من النساء ويذهبون
الي ما حرم الله عليهم منهن اي وتقدمت رويته صلي الله عليه وسلم اي الرجال والنسا في الارض بنحو
هذا الوصف وفي رواية راي صلي الله عليه وسلم اخونة عليها لحم طيب ليس عليها احد واخري عليها
لحم منتن عليها ناس ياكلون قال يا جبريل من هولاء قال هولاء الذين يتركون الحلال وياكلون
الحرام اي من الاموال الاعم مما قبله اي وهولاء لم تتقدم رويته صلي الله عليه وسلم لهم في الارض
قال صلي الله عليه وسلم ثم رايت نساء متعلقات بثديهن فقلت من هولاء يا جبريل قال
هولاء اللاتي ادخلن علي الرجال ما ليس من اولادهم اي بسبب زناهن اي وهولاء لم تتقدم رويته

لهن

لهن في الارض والذي تقدم رويته لهن الزانيات لا بهذا القيد وهولاء خالهن علي ازواجهن ما ليس
من اولادهم وعلي انه يجوز ان يكون المراد مطلق الزانيات لان الزنا سبب في حصول ما ذكر
غالبا ولا مانع من اجتماع الوصفين لهن قال ثم مضي صلي الله عليه وسلم هنيهة فاذا هو باقوام
تقطع اللحم من جنوبهم فيلقمونه فيقال لهم اي لكل واحد منهم كل كما كنت تاكل لحم اخيك قال صلي
الله عليه وسلم يا جبريل من هولاء قال هولاء الهمازون من امتك اللمازون اي المغتابون
للناس النمامون لهم انتهي اي وتقدمت رويته صلي الله عليه وسلم راي في هذه النيل والفرات
يطردان اي يجريان اي وعنصرهما اي اصلهما وهو يخالف ما ياتي انه صلي الله عليه وسلم راي في اصل
سدرة المنتهي اربعة انهار نهران باطنان ونهران ظاهران وان الظاهرين النيل والفرات
واجيب بانه يجوز ان يكون منبعهما من تحت سدرة المنتهي ومقرهما وهو المراد بعنصرهما الذي
هو اصلهما في السما الدنيا اي بعد مرورهما في الجنة ومن سما الدنيا ينزلان الي الارض فقد جاء
في تفسير قوله تعالي وانزلنا من السماء ماء بقدر فاسكناه في الارض انهما النيل والفرات انزلا
من الجنة من اسفل درجة منها علي جناح جبريل عليه السلام فاودعهما بطون الجبال ثم ان
الله تعالي سيرفعهما ويذهب بهما عند رفع القرآن وذهاب الايمان وذلك قوله تعالي وانا علي
ذهاب به لقادرون ذكره السهيلي وفي زيادة الجامع الصغير ان النيل يخرج من الجنة ولو التمس
فيه حين يسيح لوجد فيه من ورقها قال صلي الله عليه وسلم ثم عرج بنا الي السماء الثانية فاستفتح جبريل
عليه السلام فقيل من انت قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد بعث اليه قال نعم
بعث اليه ففتح لنا فاذا انا بابني الخالة عيسي ابن مريم ويحيي بن زكريا عليهم الصلاة والسلام
اي شبيه احدهما بصاحبه ثيابهما وشعرهما ومعهما نفر من قومهما فرحبا بي ودعوا لي بخير
وفي بعض الروايات التي حكم عليها بالشذوذ انها في السماء الثالثة وقد ذكرها الجلال السيوطي
في اوائل الجامع الصغير وذكر بعضهم انها رواية الشيخين عن انس رضي الله عنه والشذوذ لا
ينافي الصحة المطلقة فقد قال شيخ الاسلام في شرح الفية العراقي عند قوله من غير ما شذوذ
خرج الشاذ وهو ما خالف فيه الراوي من هو ارجح منه ولا يرد عليه الشاذ الصحيح عند بعضهم
لان التعريف للصحيح المجمع علي صحته لا مطلقا هذا كلامه وفي كلام السخاوي نقلا عن شيخه
الحافظ ابن حجر رحمه الله ان من تامل الصحيحين وجد فيهما امثلة من ذلك اي من الصحيح الموصوف
بالشذوذ اقول وكونهما صلي الله عليه وسلم ابنا الخالة اي ان ام كل خالة الاخر هو المشهور وعليه
قال ابن السكيت يقال ابنا خالة ولا يقال ابنا عمة ويقال ابنا عم ولا يقال ابنا خال لكن
في عيون المعارف للقضاعي رحمه الله ان يحيي عليه الصلاة والسلام انما هو ابن خالة مريم
ام عيسي لا ابن خالة عيسي عليه الصلاة والسلام لان ام يحيي اخت ام مريم لا اخت
مريم وكذا في كلام ابن اسحق ان عمران وزكريا كلاهما من ذرية سليمان عليه السلام وانهما
تزوجا اختين فزوجة زكريا ولدت يحيي قبل عيسي بستة اشهر ثم ولدت مريم عيسي وزوجة
عمران ولدت مريم فام يحيي اخت ام مريم فعيسي بن بنت خالة يحيي وحينئذ يكون قوله

صلي الله عليه وسلم فاذا انا بابني الخالة علي التجوز وكذا قول عيسي ليحيي يا ابن خالة كما في تفسير
التتري علي التجوز ففيه حكي عن يحيي وعيسي عليهما الصلاة والسلام انهما خرجا يمشيان فصدم
يحيي امراة فقال له عيسي يا ابن خالة لقد اخطات اليوم خطية ما اري الله يغفرها لك قال وما
هي قال صدمت امراة قال والله ما شعرت بها قال عيسي سبحان الله بدنك معي فاين قلبك
قال معلق بالعرش ولو ان قلبي اطمان الي جبريل صلوات الله وسلامه عليه طرفة عين لظننت
اني ما عرفت الله عز وجل ووجه التجوز انه اطلق علي بنت الاخت لفظ الاخت قال بعضهم
وهو كثير شايع في كلامهم ثم رايت المولي ابا السعود رحمه الله ذكر ما يجمع به بين القولين وهو انه قيل
ان ام يحيي اخت ام مريم من الام واخت مريم من الاب فليتامل علي تصويره بناء علي تحريم نكاح
المحارم لان ام مريم حينئذ بنت موطوءة ابيها الا انها ربيبة الا ان يكون في شريعتهم جواز ذلك
ثم رايت بعضهم ذكر ذلك حيث قال لا يبعد ان عمران تزوج اولا ام حنة فولدت اشاع اي التي
هي ام يحيي عليه السلام ثم تزوج حنة بعد ذلك التي هي ربيبته بنت موطوءته لجانها بمن يسمي
بناء علي جواز ذلك في شريعتهم وفيه انه تقدم ان نوحا عليه الصلاة والسلام بعث بتحريم
نكاح المحارم الا ان يقال المراد نكاح محارم النسب دون المصاهرة ولم يسم احد بيحيي قبل يحيي هذا
الا يحيي بن خلاد الانصاري جيء به للنبي صلي الله عليه وسلم يوم ولد فحنكه صلي الله عليه وسلم بتمرة وقال
لاسمينه باسم من لم يسم به بعد يحيي بن زكريا عليهما الصلاة والسلام فسماه يحيي ومما يدل علي
شرف سيدنا يحيي بن زكريا ما في الكشاف عن ابن عباس رضي الله عنهما كنا في المسجد نتذاكر
فضل الانبيا صلوات الله وسلامه عليهم فذكرنا نوحا عليه الصلاة والسلام بطول عبادته وابراهيم
عليه الصلاة والسلام بخلته وموسي عليه الصلاة والسلام بتكليم الله اياه وعيسي عليه الصلاة والسلام
برفعه الي السماء وقلنا رسول الله صلي الله عليه وسلم افضل منهم بعث الي الناس كافة وغفر له ما تقدم
من ذنبه وما تاخر وهو خاتم الانبيا اي فدخل رسول الله صلي الله عليه وسلم فقال فيم انتم فذكرنا له فقال
لا ينبغي لاحد ان يكون خيرا من يحيي بن زكريا عليهما الصلاة والسلام فذكر انه لم يعمل سيئة قط ولا
هم بها اي في الحديث ما من احد الا ويلقي الله وقد هم بمعصية او عملها الا يحيي بن زكريا عليهما الصلاة
والسلام فانه لم يهم بها ولم يعملها فليتامل ما في ذلك وقد ذكر ان والده زكريا لامه علي كثرة العبادة
والبكا فقال له انت امرتني بذلك يا ابت الست انت القايل ان بين الجنة والنار عقبة لا يجوزها
الا البكاوون من خشية الله تعالي فقال بلي فجد واجتهد وجا في الحديث ان يحيي هو الذي يذبح الموت
يوم القيامة يضجعه ويذبحه بشفرة تكون في يده والناس ينظرون اليه اي فان الموت يكون
في صورة كبش املح فيوقف بين الجنة والنار ويقال لاهلها اتعرفون هذا فيقولون نعم هو الموت
اي يلقي الله تعالي معرفته في قلوبهم وتجسم المعاني جا به الحديث الصحيح علي انه جا في تفسير قوله
تعالي خلق الموت والحياة ان الموت في صورة كبش لا يمر علي احد الا مات وخلق الحياة في صورة
فرس لا تمر علي شي الا حيي وهو يدل علي ان الموت جسم وان الميت يشاهد حلول الموت به وقيل
الذي يذبح الموت جبريل عليه السلام وقيل ان في هذه السما الثانية ادريس وهو قول شاذ

وقيل يوسف جاءت به رواية ذكرها الجلال السيوطي في اوايل الجامع الصغير وذكر فيها ان ابني
الخالة في السماء الثالثة كما تقدم وتقدم ان بعضهم ذكر انها رواية الشيخين عن انس رضي الله عنه
قال ابو حيان وعيسي لفظ اعجمي والظاهر ان مثل يحيي هذا كذلك وفي كلام غيره ان يحيي عربي
ومنع صرفه للعلمية ووزن الفعل وقيل في عيسي انه عربي مشتق من العيس وهو بياض يخالطه
صفرة وعلي انه اعجمي قيل عبراني وقيل سرياني ثم عرج بنا الي السماء الثالثة فاستفتح جبريل فقيل
من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد بعث اليه قال بعث اليه ففتح لنا فاذا ا
انا بيوسف صلي الله عليه وسلم اي ومعه نفر من قومه واذا هو اعطي شطر الحسن اي وفي رواية
صورته صورة القمر ليلة البدر والمراد بشطر الحسن نصف الحسن الذي اعطيه الناس وفي الحديث
اعطي يوسف عليه السلام وامه ثلث حسن الدنيا واعطي الناس الثلثين ويحتاج للجمع بينهما وبين
ما جا في رواية قسم الله ليوسف من الحسن والجمال ثلثي حسن الخلايق وقسم بين ساير الخلق الثلث
وعن وهب بن منبه الحسن عشرة اجزا تسعة منها ليوسف وواحد منها بين الناس وفي كلام
بعضهم كان فضل يوسف في الحسن علي الناس كفضل القمر ليلة البدر علي نجوم السما وكان عليه
الصلاة والسلام اذا سار في ازقة مصر يري تلالؤ وجهه علي الجدران اي كما يري تلالؤ نور الشمس وضوء
القمر علي الجدران والمراد بالناس غير نبينا صلي الله عليه وسلم لان حسن نبينا لم يشاركه في شي
منه كما اشار الي ذلك صاحب البردة رحمه الله تعالي بقوله فجوهر الحسن فيه غير منقسم خلافا لابن
المنير رحمه الله حيث ادعي ان يوسف عليه الصلاة والسلام اعطي شطر الحسن الذي اوتيه نبينا
صلي الله عليه وسلم وتبعه علي ذلك شارح تاية الامام السبكي وعبارته فاذا هو اي يوسف
اعطي شطر الحسن الذي اعطيه كله النبي صلي الله عليه وسلم هذا وقد قيل ان يوسف عليه الصلاة
والسلام ورث الحسن من اسحق الذي هو جده واسحاق ورث الحسن من سارة التي هي امه وسارة
اعطيت سدسي الحسن وورثت ذلك من حوي اي وفي رواية في وصف يوسف عليه الصلاة
والسلام وانه احسن ما خلق الله تعالي قد فضل الناس بالحسن كالقمر ليلة البدر علي ساير الكواكب
اي كفضل القمر ليلة البدر علي بقية الكواكب الليلية والمراد بخلق الله وبالناس غير نبينا صلي الله
عليه وسلم لما علمت انه عليه الصلاة والسلام اعطي شطر الحسن الذي لغير نبينا صلي الله عليه وسلم
ولان المتكلم لا يدخل في عموم خطابه علي ما فيه وقد جا ان يوسف عليه السلام اعطي نصف حسن ادم
وفي رواية ثلث حسن ادم وقد جا كان يوسف عليه الصلاة والسلام يشبه ادم يوم خلقه ربه
وفي الخصايص الصغري للسيوطي وخص صلي الله عليه وسلم بانه اعطي كل الحسن ولم يعط يوسف
الا شطره فلينظر الجمع بين هذه الروايات علي تقدير صحتها وقد جا ما بعث الله نبيا
الا حسن الوجه حسن الصوت وكان نبيكم احسنهم وجها واحسنهم صوتا قال صلي الله عليه وسلم فرحب
بي ودعا لي بخير وفي بعض الروايات ان في هذه السما الثالثة ابني الخالة عيسي ويحيي
عليهما الصلاة والسلام كما مر ثم عرج بنا الي السما الرابعة فاستفتح جبريل عليه السلام قيل من
هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد بعث اليه ففتح لنا فاذا انا بادريس

فرحب بي ودعالي بخير وفي رواية قال مرحبا بالاخ الصالح والنبي الصالح وفي رواية فنادي
مرحبا بالابن الصالح قال بعضهم وهو القياس لانه جده الاعلي لانه من ولد شيث بينه وبين
شيث اربعة ابا ارسل بعد موت ادم بماي سنة وهو اول من اعطي الرسالة من ولد ادم عليه
السلام وهو يقتضي ان شيث لم يكن رسولا ونوح عليه السلام من ولده بينه وبينه اثنان فادريس
في عمود نسبه صلي الله عليه وسلم وحينيذ يكون قوله عليه السلام بالاخ الصالح في تلك الرواية
محمول علي التواضع منه فلا تمسك بذلك علي ان ادريس عليه الصلاة والسلام ليس جدا لنوح
عليه الصلاة والسلام وله هو من ابا النبي صلي الله عليه وسلم قال الله عز وجل ورفعناه مكانا عليا
اي حال حياته لانه عليه الصلاة والسلام رفع الي السماء قيل من مصر بعد ان خرج منها ودار
الارض كلها وعاد اليها ودعي الخلايق الي الله تعالي باثنين وسبعين لغة خاطب كل قوم بلغتهم وعلم
العلوم وهو اول من استخرج علم النجوم اي علم الحوادث التي تكون في الارض باقتران الكواكب
قال الشيخ محي الدين بن العربي رحمه الله وهو علم صحيح لا يخطي في نفسه وانما الناظر هو الذي
يخطي لعدم استيفايه بالنظر ودعوي ادريس الخلايق يدل علي انه صلي الله عليه وسلم كان رسولا
وفي كلام الشيخ محي الدين ابن العربي لم يجي نص في القران برسالة ادريس عليه الصلاة والسلام
بل قيل فيه صديقا نبيا واول شخص افتتح به الرسالة نوح عليه الصلاة والسلام ومن كان
قبله انما كانوا انبيا كل واحد علي شريعة من ربه فمن شا دخل معه في شرعه ومن شا لم
يدخل فمن دخل ثم رجع كان كافرا ومما يوثر عنه صلي الله عليه وسلم حب الدنيا والاخرة
لا يجتمعان في قلب ابن الناس اثنان طالب لا يجد وواجد لا يكتفي من ذكر عار الفضيحة
هان عليه لذتها خير الاخوان من نسي ذنبك ومعروفه عندك وقد قبضت روحه عليه
الصلاة والسلام في هذه السما الرابعة وصلت عليه الملايكة ودفنته بها تصلي عليه الملايكة
كلما هبطت وحينيذ لا يقال من كان في السما الخامسة والسادسة والسابعة ارفع
منه علي انه قيل انه عليه الصلاة والسلام لما مات احياه الله تعالي وادخله الجنة وهو
فيها الان اي غالب احواله في الجنة فلا ينافي وجوده في السماء المذكورة في تلك الليلة
لان الجنة ارفع من السموات لانها فوق السما السابعة ولما جا في الحديث انه في السما
حي كعيسي عليهما الصلاة والسلام وفي بعض الروايات ان في هذه السماء الرابعة هرون
ثم عرج بنا الي السماء الخامسة فاستفتح جبريل عليه السلام قيل من هذا قال جبريل قيل
ومن معك قال محمد قيل وقد بعث اليه قال قد بعث اليه فاذا انا بهرون عليه الصلاة
والسلام اي ونصف لحيته بيضا ونصف لحيته سودا تكاد تضرب الي سرته من طولها
وحوله قوم من بني اسرايل وهو يقص عليهم فرحب بي ودعالي بخير اي وفي رواية
فقال صلي الله عليه وسلم يا جبريل من هذا قال هذا الرجل المحبب في قومه هارون ابن
عمران اي لانه كان الين لهم من موسي عليهما الصلاة والسلام لان موسي كان فيه بعض
الشدة عليهم ومن ثم كان لهم منهم بعض الايذا ثم عرج بنا الي السماء السادسة فاستفتح

جبريل عليه السلام قيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد بعث اليه قال بعث
اليه ففتح لنا فاذا انا بموسي عليه الصلاة والسلام فرحب بي ودعالي بخير اي وفي رواية
جعل يمر بالنبي والنبيين معهم القوم والنبي والنبيين ليس معهم احد ثم مر بسواد عظيم فقال من
هذا قيل موسي وقومه المناسب هذا قوم موسي لما لا يخفي ولكن ارفع راسك فاذا هو بسواد
عظيم قد سد الافق من ذا الجانب ومن ذا الجانب فقيل هولاء امتك وهولاء سبعون الفا يدخلون
الجنة بغير حساب اي منهم بدليل ما في رواية فقيل لي هذه امتك ومعهم سبعون الفا يدخلون
الجنة بغير حساب ولا عذاب وهم الذين لا يكتوون ولا يسترقون ولا يتطيرون وعلي ربهم
يتوكلون فقال عكاشة بن محصن رضي الله عنه انا منهم قال نعم ثم قال رجل اخر فقال
انا منهم قال صلي الله عليه وسلم سبقك عكاشة لان هذا الرجل كان منافقا فلم يقل له
صلي الله عليه وسلم لست منهم لانك منافق بل اجابه صلي الله عليه وسلم بما فيه ستر عليه والقول
بان ذلك الرجل هو سعد بن عبادة مردود وهذا تمثيل اي مثل له صلي الله عليه وسلم امته
اي وامة موسي ايضا اذ يبعد وجودها حقيقة في السما السادسة وهذا السياق
يدل علي ان الذين مر بهم من النبي والنبيين في السماء السادسة فلما خلصا اي جاوزا
ما ذكر من النبي والنبيين والسواد العظيم فاذا موسي ابن عمران رجل ادم طوال كانه من
رجال شنوه كثير الشعر اي مع صلابته لو كان عليه قميصان لنفذ الشعر منهما اي وكان صلي
الله عليه وسلم اذا غضب يخرج شعر راسه من قلنسوته وربما اشتعلت قلنسوته نارا
لشدة غضبه وفي كلام بعضهم كان اذا غضب خرج شعره من مدرعته كسل النخل ولشدة
غضبه لما فر الحجر بثوبه صار يضربه حتي ضربه ست ضربات او سبعا مع انه لا ادراك له ووجه
بانه لما فر صار كالدابة والدابة اذا جمحت بصاحبها يودبها بالضرب فسلم عليه النبي صلي
الله عليه وسلم فرد عليه السلام ثم قال مرحبا بالاخ الصالح والنبي الصالح ثم دعا له صلي
الله عليه وسلم وله منه بخير وقال يزعم الناس اني اكرم علي الله من هذا بل هذا اكرم علي
الله مني فلما جاوزه بكي فقيل له ما يبكيك فقال ابكي لان غلاما بعث بعدي يدخل
الجنة من امته اكثر ممن يدخل الجنة من امتي اي بل ومن ساير الامم فقد قال الجلال السيوطي
رحمه الله في الخصايص الصغري ان مما اختص به النبي صلي الله عليه وسلم في امته في
الاخرة ان اهل الجنة اي من الامم مايه وعشرون صفا هذه الامة منها ثمانون صفا وساير
الامم اربعون وجا في المرفوع كل امة بعضها في الجنة وبعضها في النار الا هذه الامة فانها
كلها في الجنة وفي العرايس عن ابي هريرة رضي الله عنه لما كلم الله تعالي موسي عليه الصلاة
والسلام كان بعد ذلك يسمع دبيب النملة السودا في الليلة الظلما علي الصفا من
مسيرة عشرة فراسخ وفي الحديث ليس احد يدخل الجنة الا جرد مرد الا موسي بن عمران عليهما
الصلاة والسلام فان لحيته الي سرته ثم عرج بنا الي السما السابعة واسمها عريبا
واسم الارض السابعة جريبا روي الخطيب باسناد صحيح الي وهب بن منبه قال من قرا

البقرة وال عمران يوم الجمعة كان له ثواب يملا ما بين عربيا وجربيا فاستفتح جبريل عليه السلام
قيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد صلى الله عليه وسلم قيل وقد بعث اليه
قال نعم قد بعث اليه ففتح لنا فاذا ابراهيم عليه الصلاة والسلام اي رجل اشمط وفي لفظ
كهل ولا ينافي ذلك ما تقدم من قوله صلى الله عليه وسلم في وصفه انه اشبه بصاحبكم يعني
نفسه صلى الله عليه وسلم خلقا وخلقا جالس عند باب الجنة اي في جهتها كما تقدم والا
فالجنة فوق السماء السابعة على كرسي مسند ظهره الى بيت المعمور اي وهو من عقيق
ويقال له الضراح بضم الضاد المعجمة وتخفيف الراء في اخره حاء مهملة من ضرح اذا ابعد
ومنه الضريح اي وفي كلام الحافظ بن حجر يقال له الضراح والضريح وجاء انه مسجد بحذاء الكعبة
لو خر لخر عليها اي فهو في تلك السماء في محل حذاء الكعبة اي وقيل في السماء الرابعة
وبه جزم في القاموس وقيل في السادسة وقيل في الاولى وتقدم ان في كل سماء بيتا معمورا
وان كل بيت منها بحيال الكعبة واذا هو يدخله كل يوم الف ملك لا يعودون اليه اقول عن بعضهم
ان البيت المعمور يدخله كل يوم سبعون الف ملك وفي رواية سبعون وجها مع كل وجه سبعون الف
ملك والوجه الرئيس لعله صلى الله عليه وسلم علم ذلك باعلام جبريل عليه السلام له والا فرؤيته
له صلى الله عليه وسلم في تلك الليلة لا يقتضي ذلك ثم رايت الشيخ عبد الوهاب الشعراني
اشار الى ذلك حيث قال وسماه البيت المعمور فنظر اليه وركع فيه ركعتين وعرفه اي جبريل
عليه السلام انه يدخله كل يوم سبعون الف ملك من الباب الواحد ويخرجون من الباب الاخر
فالدخول من باب مطالع الكواكب والخروج من باب مغاربها والظاهر ان دخول هولاء
الملايكة خاص بالذي في السماء السابعة قال السهيلي رحمه الله وقد ثبت في الصحيح
ان اطفال المومنين والكافرين في كفالة سيدنا ابراهيم عليه الصلاة والسلام وان رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال لجبريل عليه السلام حين راهم مع ابراهيم عليه الصلاة والسلام
من هولاء يا جبريل قال هولاء اولاد المومنين الذين يموتون صغارا قال له واولاد
الكافرين قال واولاد الكافرين خرجه البخاري في الحديث الطويل في كتاب الجنائز
وخرجه في موضع اخر فقال له فيه اولاد الناس وقد روي في اطفال الكافرين ايضا انهم
خدم لاهل الجنة هذا كلامه وجا في حديث مرفوع لكن سنده ضعيف ان في السما
الرابعة نهرا يقال له الحيوان يدخله جبريل عليه السلام كل يوم اي سحرا كما في بعض
الروايات فينغمس ثم يخرج فينتفض فيخرج عنه سبعون الف قطرة يخلق الله تعالى من
كل قطرة ملكا وفي لفظ يخلق الله من كل قطرة كذا وكذا الف ملك يومرون ان ياتوا
البيت المعمور يصلون فيه فهم الذين يصلون في البيت المعمور ثم لا يعودون اليه ابدا يولى
عليهم احدهم يومر ان يقف بهم من السماء موقفا يسبحون الله تعالى الى ان تقوم الساعة
وذكر الشيخ عبد الوهاب الشعراني ان جبريل عليه السلام اخبره صلى الله عليه وسلم بذلك
في تلك الليلة والله اعلم وفي رواية واذا انا بامتي شطرين شطر عليهم ثياب بيض

كانها

كانها القراطيس وشطر عليهم ثياب رمدة فدخلت البيت المعمور ودخل معي الذين عليهم الثياب البيض
وحجب الاخرون الذين عليهم الثياب الرمدة فصليت انا ومن معي في البيت المعمور اي والظاهر
انه ليس المراد بالشطر النصف حتى تكون العصاة من امته صلى الله عليه وسلم بقدر الطايعين مع
ان الصلاة محتملة للدعا ولذات الركوع والسجود ويناسبه ما تقدم من قوله ركعتين وان
ابراهيم عليه الصلاة والسلام قال له يا بني الله انك لاق ربك الليلة وان امتك اخر الامم
واضعفها فان استطعت ان تكون حاجتك في امتك فافعل وفي السيرة الهشامية ان
سيدنا ابراهيم عليه الصلاة والسلام قال له صلى الله عليه وسلم ذلك في الارض قبل وصوله
بيت المقدس وقال له هنا مر امتك فليكثروا من غراس الجنة فان تربتها طيبة وارضها واسعة
فقال له وما غراس الجنة قال لا حول ولا قوة الا بالله وفي رواية اخرى اقري امتك مني السلام
واخبرهم ان الجنة طيبة التربة عذبة الما وان غراسها سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر
وقد يقال لا مخالفة بين الروايتين لانه يجوز ان يكون غراس الجنة مجموع ما ذكر وان بعض الرواة
اقتصر قال صلى الله عليه وسلم واستقبلتني جارية لعسا وقد اعجبتني فقلت لها يا جارية انت
لمن قالت لزيد ابن حارثة اي ولعل تلك الجارية خرجت من الجنة فيكون استقبالها له صلى الله
عليه وسلم بعد مجاوزة السماء السابعة لكن في رواية فرايت فيها اي في الجنة جارية الحديث
وقد يقال يجوز ان يكون صلى الله عليه وسلم راها مرتين خارج الجنة وداخلها ويكون سوالها
في المرة الاولى واللعس لون الشفة اذا كانت تضرب الى السواد قليلا وذلك مستملح قاله
في الصحاح وفي رواية فلما انتهى صلى الله عليه وسلم الى السما السابعة راى فوقه رعدا وبرقا
وصواعق اي وهذه الرواية ظاهرة في انه صلى الله عليه وسلم راى ذلك في السماء السابعة
محتملة لان يكون راه قبل دخوله فيها وحينئذ يكون قوله ثم اتي باناء من خمر واناء من لبن واناء
من عسل على الاحتمالين المذكورين وعند عرض تلك الاواني عليه اخذ اللبن فقال له جبريل عليه
السلام اصبت الفطرة اي باخذك اللبن الذي هو الفطرة اصاب الله بك امتك على الفطرة
اي وجدهم على الفطرة ببركتك وفي رواية هذه الفطرة التي انت عليها وامتك اي وتقدم ان
المراد بها الاسلام وورد ان ابراهيم عليه السلام في السماء السادسة وموسى عليه الصلاة والسلام
في السماء السابعة وهذه الرواية في البخاري عن انس رضي الله عنه وتقدم ان ذلك كان في
الاسرا بروحه لا بجسده الشريف وقد ان رويا الانبيا عليهم الصلاة والسلام حق فالاولى الجمع بين
الروايات بالانتقال وان بعض الانبيا نزل من محله الى ما تحته لملاقاته صلى الله عليه وسلم عند
صعوده وبعضهم خرج عن محله وصعد الى ما فوقه لملاقاته صلى الله عليه وسلم عند هبوطه فاخبر
صلى الله عليه وسلم عنه تارة بانه في سماء كذا وتارة بانه في سماء كذا قال الحافظ ابن حجر رحمه الله لا يرى
الجمع بل يحكم على ما خالف اصح الروايات بانه لا يعمل به قال والجمع انما هو مجرد استرواح لا ينبغي
المصير اليه هذا كلامه وعندي فيه نظر ظاهر والجمع اولى من اثبات المعارضة لا سيما بين
الاصح والصحيح وان كان شاذا الا انا لا نقدم الاصح او الصحيح على غيره الا حيث تعذر الجمع فليتامل

وعلي المشهور من الروايات الذي صدرنا به ابن بعضهم لاختصاص هولاء الانبيا بملاقاته واختصاص
كل واحد منهم بالسماء الذي لقيه فيها حكمة يطول ذكرها قال صلى الله عليه وسلم ثم ذهب بي اي
جبريل عليه السلام الي سدرة المنتهى واذا اوراقها كاذان الفيلة اي وفي رواية تكاد
الورقة تغطي هذه الامة وفي رواية لوان الورقة الواحدة ظهرت لغطت هذه الدنيا وحينئذ
يكون المراد بكونها كاذان الفيلة في الشكل وهو الاستدارة لا في السعة واذا ثمرها كالقلال
وفي رواية القلال هجر قرية بقرب المدينة والواحدة من قلالها تسع قربتين ونصف من قرب
الحجاز والقربة تسع من الماء مائة رطل بغدادي فلما غشيها من امر الله ما غشي تغيرت اي صار
لها حال لذة من الحسن غير تلك الحالة التي كانت عليها فما احد من خلق الله يستطيع ان ينعتها من
حسنها اي لان رؤية الحسن تدهش الراي وهذا السياق يدل على ان سدرة المنتهى فوق السماء
السابعة اي وهو قول الاكثر وفي بعض الروايات ان اغصانها تحت الكرسي وعن وهب ان
العرش والكرسي فوق السماء السابعة قال وسيل هل ثمر سدرة المنتهى كالثمار الماكول في
الدنيا يزول ويعقبه غيره وهذا الذابل يوكل او يسقط فلا يوكل انتهى قال صلى الله عليه وسلم
ثم ادخلت الجنة فاذا فيها جنابذ اي بالمعجمة قباب الدر وفي لفظ حبايل اللولؤ اي المعقود والقلايد
واذا ترابها المسك وريانها كالدلا وطيرها كالبخت فدخوله صلى الله عليه وسلم الجنة كان قبل ان
يعرج الي السماء وفي الحديث ما في الدنيا ثمرة حلوة ولا مرة الا وهي في الجنة حتى الحنظل والذي
نفس محمد بيده لا يقطف رجل ثمرة من الجنة فتصل الي فيه حتى يبدل الله مكانها خيرا منها وهذا
القسم يرشد الي ان ثمرة الجنة كلها حلوة توكل وانها تكون علي صورة ثمرة الدنيا المرة وفي كلام
الشيخ محي الدين بن العربي رحمه الله فاكهة الجنة لا مقطوعة ولا ممنوعة اي توكل من غير قطع
اي يوكل منها فالاكل موجود والعين باقية في غصن الشجرة وليس المراد ان الفاكهة غير مقطوعة
في شتا ولا صيف او يخلق مكان قطعها آخري علي الفور كما فهمه بعضهم فعين ما ياكل العبد هو
عين ما يشهد واطال في ذلك وكانه لم يقف علي هذا الحديث او لم يثبت عنده فليتامل
قال ويخرج من اصل تلك الشجرة اربعة انهار نهران باطنان اي يبطنان ويغيبان في الجنة
بعد خروجهما من اصل تلك الشجرة ونهران ظاهران اي يستمران ظاهرين بعد خروجهما من اصل
تلك الشجرة فيجاوز الجنة فقال صلى الله عليه وسلم ما هذه اي الانهار يا جبريل قال اما الباطنان
ففي الجنة اي يبطنان ويغيبان في الجنة واما الظاهران فالنيل والفرات انتهى اقول
قول جبريل عليه السلام اما الباطنان ففي الجنة لا يحسن ان يكون جوابا عن هذا السوال
اي الذي هو سوال عن بيان الحقيقة ويحصل بذكر اسمها فكان المناسب بحسب الظاهر ان
يقول واما الباطنان فنهر كذا ونهر كذا وهذا السياق يدل على ان النيل والفرات يمران في
الجنة ويجاوزانها وان ما عداهما كسيحان وجيحان بنا علي انهما ينبعان من اصل شجرة المنتهى
يغيبان فيها ولا يجاوزانها والنيل نهر مصر والفرات نهر الكوفة ويحتمل ان النهرين اللذين هما
ما عدا النيل والفرات بنا علي انهما سيحان وجيحان يبطنان في الجنة وله يظهران لهما بعد

بعد ثمرة صح

خروجهما منها لوجودهما في الخارج بخلاف النيل والفرات فانهما يستمران ظاهرين فيها الي ان يخرجا
منها وقد جا في حديث ما من يوم الا وينزل ما من فضل الجنة في الفرات قال بعضهم ومصداقه ان
الفرات مد في بعض السنين فوجد فيها رمان كل واحدة مثل البعير فيقال انه رمان الجنة وهذا
الحديث ذكره ابن الجوزي في الاحاديث الواهيات وفي حديث موقوف عن ابن عباس رضي
الله عنهما اذا كان خروج ياجوج وماجوج ارسل الله تعالى جبريل عليه السلام فيرفع من الارض
هذه الانهار والقران والعلم والحجر والمقام وتابوت موسى بما فيه الى السماء هذا وفي
بعض الروايات ما يدل ان على ان سيحان وجيحان لا ينبعان من اصل شجرة المنتهى فليسا هما
المراد بالباطنين وعن مقاتل الباطنان السلسبيل والكوثر اي ومعنى كونهما باطنين انهما لم
يخرجا من الجنة اصلا ومعنى كون النيل والفرات ظاهرين انهما يخرجان منها وفي السيرة الشامية
لم يثبت في سيحان وجيحان انهما ينبعان من اصل شجرة المنتهى فيمتاز النيل والفرات عليهما
بذلك واما الباطنات المذكوران اي في الحديث فهما غير سيحان وجيحان قال القرطبي ولعل
ترك ذكرهما اي سيحان وجيحان في حديث الاسراء لكونهما ليسا اصلا براسهما وانما يحتمل ان
يتفرعا عن النيل والفرات هذا كلامه ولعل المراد انهما يتفرعان عنهما بعد خروجهما من
الجنة فهما لم يخرجا من اصلهما ايضا يقال لها السلسبيل فينشق منها نهران احدهما الكوثر
والاخر يقال له نهر الرحمة فاغتسلت منه فغفر لي ما تقدم من ذنبي وما تاخر انتهى اي
فهما يخرجان من اصل سدرة المنتهى لكن لا من المحل الذي يخرج منه النيل والفرات وحينئذ
يحسن القول بانه يخرج من اصل تلك الشجرة اربعة انهار نهران ظاهران ونهران
باطنان وفي جعل الكوثر قسما من السلسبيل مخالفة جعله قسيما له كما تقدم عن مقاتل
فالباطنان الكوثر ونهر الرحمة فالانهار التي تخرج من اصل سدرة المنتهى اربعة بناء
علي انهما يخرجان منها وعلي الاول لا ينافي قول القرطبي ما في الجنة نهر الا ويخرج من
اصل سدرة المنتهى لان المراد اما خروجه بنفسه او اصله الذي يتفرع منه بناء
علي ما تقدم من ان سيحان وجيحان يتفرعان عن النيل والفرات لا ينافي ما في مسلم
يخرج من اصلها يعني سدرة المنتهى اربعة انهار من الجنة وهي النيل والفرات وسيحان
وجيحان ولا ما جا عن الطبراني سدرة المنتهى يخرج من اصلها اربعة انهار من الجنة وهي
النيل والفرات وسيحان وجيحان ولا ما جا عن الطبراني سدرة المنتهى يخرج من اصلها
اربعة انهار من ماء غير اسن ومن لبن لم يتغير طعمه ومن خمر لذة للشاربين ومن عسل
مصفى وعن كعب الاحبار ان نهر العسل نهر النيل اي ويدل لذلك قول بعضهم لولا دخول
بحر النيل في البحر المالح الذي يقال له البحر الاخضر قبل ان يصل الي بحيرة الزنج ويختلط
بملوحته لما قدر احد على شربه لشدة حلاوته ونهر اللبن نهر جيحان ونهر الخمر نهر الفرات
ونهر الماء نهر سيحان لان غاية ذلك سكوتهما عن النهرين الاخرين وهما الكوثر ونهر الرحمة
ومعنى كونها تخرج من اصل سدرة المنتهى من الجنة انه يحتمل ان تكون سدرة المنتهى مغروسة

في الجنة والانهار تخرج من اصلها فصح انها من الجنة هكذا ذكر العارف بالله تعالي ابن ابي جمرة
ولم اقف علي ثبوت مايدل علي هذا الاحتمال اي ان سدرة المنتهي مغروسة في الجنة وله حاجة
لهذا الاحتمال في تصحيح هذه الرواية لان المعنى ان تلك الانهار تخرج من اصل تلك الشجرة ثم تكون
خارجة من الجنة ثم لايخفي ان في كلام القاضي عياض رحمه الله ان سيحان وجيحان يقال فيه سيحون
وجيحون ويخالفه قول صاحب النهاية اتفقوا كلهم علي ان جيحون غير جيحان وسيحون غير سيحان
ومن ثم انكر الامام النووي رحمه الله علي القاضي عياض حيث قال الخالي اي من وجوه
الانكار علي القاضي قوله سيحان وجيحان ويقال سيحون وجيحون هذا كلامه وذكر صاحب النهاية
رحمه الله ان جيحون نهر وراء خراسان عند بلخ وسكت عن بيان سيحون فليتامل قال والذي
غشي الشجرة فراش من ذهب والفراش هو الحيوان الذي يلقي نفسه في السراج ليحترق وملايكة
علي كل ورقة ملك يسبح الله تعالي وملايكة اي اخرون يغشونها كانهم الغربان ياوون اليها متشوقين
اليها متبركين بها زايرين لها كما يزور الناس الكعبة انتهي راي صلي الله عليه وسلم جبريل عند تلك
السدرة علي الصورة التي خلقه الله عليها له ستماية جناح كل جناح منها قد سد الافق تتناثر
من اجنحته التهاويل الدر والياقوت مما لا يعلمه الا الله تعالي وغشيت تلك السدرة سحابة
فتاخر جبريل ثم عرج به صلي الله عليه وسلم اي في تلك السحابة حتي ظهر لمستوي سمع فيه صريف الاقلام
و في رواية صريف الاقلام اي صوت حركتها حال الكتابة اي ماتكتبه الملايكة من الاقضية و
هذا السياق يدل علي ان جبريل عليه السلام لم يتعد سدرة المنتهي ويدل علي ما تقدم من ان
سدرة المنتهي فوق السماء السابعة الي اخر ما تقدم وهو الموافق لقول بعضهم انها علي يمين العرش
وفي رواية ثم انطلق بي جبريل الى ظهر السما السابعة حتي انتهي الي نهر عليه خيام اللولو والياقوت
والزبرجد وعليه طير خضر نعم الطير رايت قال جبريل هذا الكوثر الذي اعطاك الله فاذا
فيه انية الذهب والفضة تجري علي رضراض من الياقوت واغترفت من ذلك فشربت فاذا هو
احلا من العسل واشد رايحة من المسك اقول قد تقدم ان هذا النهر من العين التي تخرج من
سدرة المنتهي التي يقال لها السلسبيل اي فهو يخرج من تلك الشجرة ويمر علي ما ذكر ثم يدخل
الجنة ويستقر بها فلا ينافي كون الكوثر نهرا في الجنة وان السلسبيل عين في الجنة لان السلسبيل
علي ما تقدم اصل الكوثر والله اعلم وفي رواية انها اي سدرة المنتهي في السما السادسة واليها
ينتهي ما يعرج من الارض فيقتبض منها واليها ينتهي ما يهبط من فوقها فيقبض منها وعندها
تقف الحفظة وغيرهم فلا يبعد ونها ومن ثم سميت سدرة المنتهي وعن تفسير ابن سلام عن
بعض السلف قال انما سميت سدرة المنتهي لان روح المومن ينتهي بها اليها فيصلي عليه هناك
الملايكة المقربون جمع الحافظ ابن حجر بين كون سدرة المنتهي في السادسة وكونها في السابعة
بان اصلها في السادسة واغصانها في السابعة اي فوق السابعة اي جاوزت السابعة
فلا ينافي القول بانها فوق السابعة علي ما تقدم وهذا الجمع للمقتضي لكون اصلها في السادسة
لا يناسب كون الانهار تخرج من اصلها الي اخر ما تقدم ويروي ان جبريل عليه السلام لما وصل الي مقامه

اي وهو سدرة المنتهي فوق السماء السابعة قال له ها انت وربك هذا مقامي لا اتعداه
فزج بي في النور اي لما غشيته تلك السحابة ويعبر عن تلك السحابة بالرفرف قال الشيخ عبد
الوهاب الشعراني وهو نظير المحفة عندنا وفي تاريخ الشيخ العيني شارح البخاري عن مقاتل
بن حيان قال صلي الله عليه وسلم انطلق بي جبريل حتي انتهي الي الحجاب الاكبر عند سدرة المنتهي
فقال جبريل عليه السلام تقدم يا محمد قال صلي الله عليه وسلم فتقدمت حتي انتهيت الي سرير
من ذهب عليه فراش من حرير الجنة فنادى جبريل عليه السلام من خلفي يا محمد ان الله يثني عليك
فاسمع واطع ولا يهولنك كلامه فبدات بالثنا علي الله تعالي الحديث اي وفي ذلك النور المستوي
الذي يسمع فيه صريف الاقلام ثم العرش والرفرف والروية وسماع الخطاب وفي رواية انه لما
وقف جبريل عليه السلام قال له صلي الله عليه وسلم في مثل هذا المقام يترك الخليل خليله قال
ان تجاوزت احترقت بالنار فقال النبي صلي الله عليه وسلم يا جبريل هل لك من حاجة
الي ربك قال يا محمد سل الله لي ان ابسط جناحي علي الصراط لامتك حتي يجوزوا عليه قال
صلي الله عليه وسلم ثم زج بي في النور فخرق بي الي سبعين الف حجاب ليس فيها حجاب يشبه
حجابا غلظ كل حجاب خمسماية عام وانقطع عني حس كل ملك فلحقني عند ذلك استيحاش
فعند ذلك نادي مناد بلغة ابي بكر قف ان ربك يصلي فبينا انا اتفكر في ذلك اي
في وجود ابي بكر في هذا المحل وفي صلاة ربي فاقول هل سبقني ابو بكر وكيف يصلي
ربي وهو غني عن ان يصلي كما يدل علي ذلك ما ياتي فاذا النداء من العلي الاعلي اني يا خير البرية
ادن يا احمد ادن يا محمد فادناني ربي حتي كنت كما قال تعالي ثم دنى فتدلى فكان قاب
قوسين او ادني وفي الخصايص الصغري وخص صلي الله عليه وسلم بالاسرا وما تضمنه من
اختراق السموات السبع والعلو الي قاب قوسين ووطيه مكانا ما وطيه نبي مرسل
ولا ملك مقرب وهذه الرواية كلام الخصايص تدل علي ان فاعل دني وتدلي واحد
وكان هو صلي الله عليه وسلم وحينيذ يكون معني تدلي زاد في القرب وجعل بعض العلما
من جملة ما خالف شريك فيه المشهور من الروايات انه جعل فاعل دنى فتدلى الحق
سبحانه وتعالي اي دنا الجبار رب العزة فتدلي حتي كان من محمد صلي الله عليه وسلم قاب
قوسين او ادني ثم رايت الحافظ ابن حجر رحمه الله ذكر عن البيهقي رحمه الله انه روي بسند
حسن ما يوافق ما ذكر شريك ومعلوم ان معني الدنو والتدلي الواقعين من الله تعالي
كمعني النزول منه في ينزل ربنا تبارك وتعالي الي السماء الدنيا كل ليلة حتي يبقي ثلث
الليل الاخير وهو ان ذلك عند اهل الحقايق من مقام التنزل بمعني انه تعالي يتلطف
بعباده ويتنزل في خطابهم فيطلق علي نفسه ما يطلقونه علي انفسهم فهو في حقهم حقيقة
وفي حقه مجاز و رايت بعضهم ذكر ان فاعل دني جبريل عليه السلام وفاعل تدلي محمد
صلي الله عليه وسلم اي سجد لربه سبحانه وتعالي شكرا علي ما اعطاه من الزلفي و رايت
بعضا اخر ذكر ان فاعل تدلي الرفرف وفاعل دنا محمد صلي الله عليه وسلم اي تدلي الرفرف

لمحمد صلى الله عليه وسلم حتى جلس عليه ثم دنا محمد صلى الله عليه وسلم من ربه سبحانه اي قرب منه قرب
منزلة وتشريف لا قرب مكان تعالى الله عن ذلك قال صلى الله عليه وسلم وسالني ربي فلم استطع
ان اجيبه فوضع يده بين كتفي بلا تكييف ولا تحديد اي يد قدرته لانه سبحانه منزه عن الجارحة
فوجدت بردها فاورثني علم الاولين والاخرين وعلمني علوما شتى فعلم اخذ علي كتمانه اذ علم
انه لا يقدر على حمله غيري وعلم خيرني فيه وعلم امرني بتبليغه الى العام والخاص من امتي وهو
الانس والجن اي وكذلك الملك على ما تقدم اقول هذا التفصيل يدل على ان العلوم التي هي
هذه العلوم الثلاثة الا ان يقال كل علم من هذه الثلاثة يشتمل على انواع من العلوم والله
اعلم قال صلى الله عليه وسلم ثم قلت اللهم انه لما لحقني استيحاش سمعت مناديا ينادي بلغة تشبه
لغة ابي بكر فقال لي قف فان ربك يصلي فعجبت من هاتين هل سبقني ابو بكر الى هذا المقام
وان ربي لغني عن ان يصلي فقال تعالى انا الغني عن ان اصلي لاحد وانما اقول سبحاني سبحاني
سبقت رحمتي غضبي اقرا يا محمد هو الذي يصلي عليكم وملائكته ليخرجكم من الظلمات الى النور
وكان بالمؤمنين رحيما فصلاتي رحمة لك ولامتك واما امر صاحبك يا محمد فان اخاك موسى
كان انسه بالعصا فلما اردنا كلامه قلنا وما تلك بيمينك يا موسى قال هي عصاي وشغل بذكر
العصا عن عظيم الهيبة وكذلك انت يا محمد لما كان انسك بصاحبك ابي بكر خلقنا ملكا على صورته
ينادي بلغته ليزول عنك الاستيحاش لما يلحقك من عظم الهيبة اقول لعل المراد خلقنا صورة
على صورة صوته لانه ليس في الرواية انه صلى الله عليه وسلم راى ذلك الملك على صورة ابي بكر
وانما سمع صوته والله اعلم ثم قال الله تعالى يا محمد واين حاجة جبريل فقلت اللهم انك اعلم
فقال يا محمد قد اجبته فيما سال ولكن فيمن احبك وصحبك اقول لعل المراد بمن صحبك من كان
تابعا لك في دينك عاملا بسنتك اي وهو مراد جبريل عليه السلام بامته صلى الله عليه وسلم في قوله
ان ابسط جناحي لامتك على الصراط والله اعلم وروي انه صلى الله عليه وسلم لما راى الحق سبحانه
وتعالى خر ساجدا قال صلى الله عليه وسلم فاوحى الله الي ما اوحى وقد ذكر الثعلبي والقشيري
في تفسير قوله تعالى فاوحى الى عبده ما اوحى ان من جملة ما اوحى اليه صلى الله عليه وسلم ان الجنة
حرام على الانبياء عليهم الصلاة والسلام حتى تدخلها يا محمد وعلى الامم حتى تدخلها امتك قال
القشيري واوحى اليه خصصتك بحوض الكوثر فكل اهل الجنة اضيافك بالماء ولهم الخمر واللبن والعسل
نفرض على خمسين صلاة في كل يوم وليلة اقول تقدم ان من جملة ما اوحي اليه في هذا الموطن
من القران خواتيم سورة البقرة وبعض سورة الضحى وبعض الم نشرح وقد تقدم ذلك عند
الكلام على انواع الوحي وقدمنا انه ينضم لذلك هو الذي يصلي عليكم وملائكته الاية على
ما تقدم هذا وفي حديث رواه ثقات لما وصلت الى السماء السابعة قال لي جبريل
عليه السلام رويدا اي قف قليلا فان ربك يصلي قلت اهو يصلي وفي لفظ كيف يصلي
في لفظ اخر قلت يا جبريل ايصلي ربك قال نعم قلت وما يقول قال يقول سبوح قدوس رب
الملائكة والروح سبقت رحمتي غضبي ولا مانع من تكرر وقوع ذلك له صلى الله عليه وسلم من

جبريل عليه السلام ومن غيره في السماء السابعة وفيما فوقها لكن يبعد تعجبه صلى الله عليه وسلم من كونه
تعالى يصلي في المرة الثانية وما بعدها وورد ان بني اسرائيل سالوا موسى عليه الصلاة والسلام
هل يصلي ربك فبكى موسى لذلك فقال الله تعالى لموسى يا موسى ما قالوا لك فقال قالوا
الذي سمعت قال اخبرهم اني اصلي وان صلاتي تطفي غضبي والله اعلم قال صلى الله عليه وسلم
فتدلت الي حتى اي وفي رواية ثم انجلت تلك السحابة اي عند وصوله صلى الله عليه وسلم
الى سدرة المنتهى الذي هو المحل الذي وقف فيه جبريل عليه السلام فاخذ بيده جبريل
عليه السلام فانصرف سريعا فاتى على ابراهيم عليه الصلاة والسلام فلم يقل شيا ثم اتى على
موسى وهذا يدل على ما هو المشهور في الروايات ان ابراهيم عليه السلام كان في السابعة
وموسى عليه السلام كان في السادسة لا على غير المشهور ان ابراهيم كان في السادسة
وموسى كان في السابعة كما تقدم ولما اتى الى موسى عليه السلام قال له ما فرض ربك عليك
اي وفي لفظ بما امرت قال خمسين صلاة قال ارجع الى ربك فاسله التخفيف فان
امتك لا تطيق ذلك فاني بلوت بني اسرائيل وخبرتهم اي وفي البخاري ان امتك لا تستطيع
خمسين صلاة كل يوم وليلة واني والله قد جربت الناس قبلك وعالجت بني اسرائيل اشد المعالجة
اي فانه فرض عليهم صلاتان فما قاموا بهما اي ركعتان بالغداة وركعتان بالعشي وقيل فرض
عليهم ركعتان عند الزوال اي فما قاموا بذلك وفي تفسير البيضاوي ان الذي فرض على بني
اسرائيل خمسون صلاة في اليوم والليلة وسياق ذكره له في بعض الروايات يرده قوله ان
سبب طلب التخفيف انه عليه الصلاة والسلام استكثر حينئذ الخمس التي هي المرة الاخيرة فهو انما
يناسب ما تقدم ثم رايت القاضي البيضاوي قال في تفسير قوله تعالى ربنا ولا تحمل علينا اصرا
كما حملته على الذين من قبلنا ان من ذلك الاصر الذي كلفت به بنو اسرائيل خمسون صلاة في
اليوم والليلة وكتب عليه الجلال السيوطي في الحاشية ان كون بني اسرائيل كلفوا بخمسين صلاة
في اليوم والليلة باطل وبسط الكلام على ذلك ثم قال موسى عليه الصلاة والسلام فارجع
الى ربك فاسله التخفيف لامتك اي وانما كانت امته صلى الله عليه وسلم مامورة بما امر به
ومفروض عليها ما فرض عليه لان الفرض عليه صلى الله عليه وسلم فرض على امته والامر له
صلى الله عليه وسلم امر لها لان الاصل ان ما ثبت في حق كل نبي يثبت في حق امته الا ان يقوم
الدليل على الخصوصية قال صلى الله عليه وسلم فرجعت الى ربي اي انتهيت الى الشجرة فغشيته
السحابة وخر ساجدا فقلت يا رب خفف عن امتي فحط عني خمسا فرجعت الى موسى
فقلت حط عني خمسا قال ان امتك لا تطيق ذلك فارجع الى ربك فاسله التخفيف قال
صلى الله عليه وسلم فلم ازل ارجع بين ربي تبارك وتعالى وبين موسى عليه الصلاة والسلام
حتى قال الله تعالى يا محمد انهن خمس صلوات في كل يوم وليلة لكل صلاة عشرة فذلك خمسون
صلاة ومن هم بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة فان عملها كتبت له عشرا ومن هم بسيئة فلم
يعملها كتبت له حسنة فان عملها كتبت له سيئة واحدة قال صلى الله عليه وسلم فنزلت حتى

انتهيت الي موسي عليه الصلاة والسلام فاخبرته فقال ارجع الي ربك فاسئله التخفيف فقلت قد راجعت ربي حتي استحييت منه اي وفي رواية انه وضع عنه صلي الله عليه وسلم عشر صلوات الي ان امر بخمس صلوات وجا في الحديث اكثروا من الصلاة علي موسي فما رايت احدا من الانبيا احوط علي امتي منه اقول في الوفا ان رواية وضعت خمس صلوات من افراد مسلم ورواية وضع عشر صلوات اصح لانه قد اتفق البخاري ومسلم عليها والرواية التي فيها انه حط خمسا خمسا غلط من الرواة هذا كلامه فليتامل والمتبادر من قوله الي ان امر بخمس صلوات انه رفع التعلق بجميع الخمسين واثبت تعلقا جديدا بخمس ليست من الخمسين فالمنسوخ جميع الخمسين ويحتمل انه رفع التعلق بجملة الخمسين مع اثبات التعلق بخمسة منها التي هي بعضها فيكون المنسوخ ما عدا الخمس من الخمسين قيل وفي هذا نوع النسخ قبل البلاغ وقد اتفق اهل السنة والمعتزلة علي منعه ورد بان هذا وقع بعد البلاغ بالنسبة للنبي صلي الله عليه وسلم لانه كلف بذلك ثم نسخ فقد قال شيخ الاسلام زكريا الانصاري رحمه الله وما قيل ان الخمس ليلة الاسرا ناسخة للخمسين انما هو في حقه صلي الله عليه وسلم لتبلغه له لا في حق الامة اي لعدم بلوغه لهم هذا كلامه واذا نسخ في حقه صلي الله عليه وسلم نسخ في حق امته كما هو الاصل الا ان تثبت الخصوصية بدليل صحيح وهذا يرد ما في الخصايص الصغري للسيوطي رحمه الله من ان وجوب الخمسين لم ينسخ في حقه صلي الله عليه وسلم واما نسخ في حق امته ولعل مستنده في ذلك رواية فرض الله علي امتي ليلة الاسرى خمسين صلاة فلم ازل اراجعه واساله التخفيف حتي جعلها خمسا في كل يوم وليلة اي علي الامة كما هو المتبادر وقول موسي عليه الصلاة والسلام له صلي الله عليه وسلم ان امتك لا تطيق ذلك وربما يوافق ذلك الامام السبكي رحمه الله تعالي في تائيته • وقد كان رب العالمين طالبا بخمسين فرضا كل يوم وليلة • فابقيت اجر الكل ثم اخترت رفقة • وخففت الخمسون عنا لخمسة • وفيه النسخ قبل التمكن من الفعل ودخول وقته والظاهر ان الخمسين التي فرضت اولا ان كل صلاة من الخمس تكرر عشر مرات فازاده عن الخمس ساقط لها ويحتمل ان تكون صلوات اخر مغايرة لتلك الخمس ولم اقف علي بيان تلك الصلوات وعلي ان الخمسين لم تنسخ في حقه صلي الله عليه وسلم لم اقف علي ما يدل علي انه صلي الله عليه وسلم صلاها ولا علي كيفية صلاته لها والي عروجه صلي الله عليه وسلم ورجوعه اشار صاحب الهمزية رحمه الله تعالي بقوله ٥

وطوي الارض سايرا والسموا • ت العلي فوقها له اسراء •
وصف الليلة التي كان للمختا • ر فيها علي البراق استواء •
وترقي به الي قاب قوسيـ • ـن وتلك السيادة القعساء •
رتب تسقط الاماني حسري • دونها ما وراءهن وراء •
وتلقي من ربه كلمات • كل علم في شمسهن هباء •
زاخرات البحار يغرف في • قطرتها العالمون والحكماء •

اي وطوي صلي الله عليه وسلم الارض حال كونه سايرا عليها الي المدينة عند الهجرة كما طويت له قبل ذلك السموات العلي لما كان له فوقها اسرا اي ليلة الاسرا اي انه جاوزها صلي الله عليه وسلم جميعها في اسرع وقت نصف تلك الليلة التي كان للمختار فيها علي البراق استوا واستقرار وصعد به ذلك البراق الي مقدار قاب قوسين وتلك الرتبة التي وصل اليها هي السما الثابتة التي لا يعتريها نقص ولا زوال وهذه رتب تسقط دونها الاماني حسيرة ذات اعيا وتعب ما قدامهن قدام اي ليس بعدها من رتبة ينالها احد غيره وتلقي صلي الله عليه وسلم من عداها بالنسبة اليها كالهبا وهو ما يري في ضوء الشمس وبث سبحانه وتعالي اليه صلي الله عليه وسلم علوما لا يدرك العلما والحكما شذرة منها وكونه صلي الله عليه وسلم صعد السموات علي البراق يوافقه ما في حياة الحيوان ان قيل لم عرج بالنبي صلي الله عليه وسلم الي السما علي البراق ولم ينزل عند منصرفه عليه الجواب انه عرج به صلي الله عليه وسلم الي دار الكرامة ولم ينزل به عليه اظهارا للقدرة لله تعالي هذا كلامه فليتامل وتقدم عن الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالي انكار صعوده صلي الله عليه وسلم علي البراق وقد جا كان موسي عليه الصلاة والسلام اشدهم علي حين مررت به وخيرهم لي حين رجعت ونعم الصاحب كان لكم اي فانه كما تقدم لما جاوزه النبي صلي الله عليه وسلم عند الصعود بكي فنودي ما يبكيك قال رب هذا غلام اي لانه صلي الله عليه وسلم كان حديث السن بالنسبة الي موسي عليه الصلاة والسلام بهذا هو المناسب للمقام بعثته بعدي يدخل الجنة من امته اكثر مما يدخل من امتي وفي رواية تزعم بنو اسرايل اي وهو يعقوب ابن اسحق عليهما الصلاة والسلام ومعني اسرايل عبد الله وقيل صفوة الله وفي لفظ تزعم الناس اني اكرم علي الله مني ولو كان هذا وحده هان ولكن معه امته وهم افضل الامم عند الله تعالي اي انضم الي شرفه شرف امته علي ساير الامم اقول والغرض من هذا وما تقدم عنه عند مروره صلي الله عليه وسلم علي قبره عليه الصلاة والسلام عند الكثيب الاحمر اظهار فضيلة نبينا صلي الله عليه وسلم وفضيلة امته بانه افضل الانبيا وامته افضل الامم وفي رواية عن ابن عمر رضي الله عنهما كانت الصلاة خمسين والغسل من الجنابة سبع مرات وغسل البول من الثوب سبع مرات ولم يزل صلي الله عليه وسلم يسال حتي جعلت الصلاة خمسا وغسل الجنابة مرة وغسل الثوب من البول مرة قال وعن انس رضي الله عنه قال قال رسول الله صلي الله عليه وسلم رايت ليلة اسري بي مكتوبا علي باب الجنة الصدقة بعشر امثالها والقرض بثمانية عشر فقلت لجبريل ما بال القرض افضل من الصدقة قال لان السايل يسال وعنده والمستقرض لا يستقرض الا من حاجة انتهي هذا والواضح عند ايمتنا ان درهم الصدقة افضل من درهم القرض وبيان كون درهم القرض بثمانية عشر درهما ان درهم القرض بدرهمين من دراهم الصدقة كما جا في بعض الروايات ودرهم الصدقة بعشرة تصير الجملة عشرين ودرهم القرض يرجع للمقرض بدله وهو بدرهمين من عشرين تتخلف ثمانية عشر وعرضت عليه صلي الله عليه وسلم النار فاذا فيها غضب الله اي نقمته لو طرحت فيها الحجارة والحديد لاكلتها وفي هذه الرواية زيادة علي ما تقدم وهي فاذا قوم ياكلون الجيف فقال من هولا يا جبريل فقال هولا الذين ياكلون لحوم الناس اي وتقدم انه صلي الله عليه وسلم راي هولا في الارض وان لهم

المغارا من حديد يخمشون بها وجوههم وصدورهم اوراهم في السماء الدنيا وانهم يقطعون اللحم
من جنوبهم فيلقمونه وليُنظر ما الحكمة في تكرر رؤيا هؤلاء دون غيرهم من بقية اهل الكباير الذين
راهم في الارض وفي السماء الدنيا ولعل الحكمة في ذلك المبالغة في الزجر عن الغيبة لكثرة
وقوعها وراي صلى الله عليه وسلم فيها رجلا احمر ازرق فقال من هذا يا جبريل فقال هذا عاقر
الناقة اي ولعل دخول الجنة وعرض النار عليه صلى الله عليه وسلم كان قبل ان تغشاه السحابة
ويزج به في النور و لا مانع من ان تعرض عليه النار وهو فوق السما السابعة وهي في الارض السابعة
اقول ونقل القرطبي في تفسيره عن الثعلبي عن انس ابن مالك رضي الله عنه انه قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم رايت ليلة اسري بي الى السماء تحت العرش سبعين مدينة مثل دنياكم
هذه سبعين مرة مملوة من الملايكة يسبحون الله عز وجل ويقدسونه ويقولون في تسبيحهم
اللهم اغفر لمن شهد الجمعة اي صلاتها اللهم اغفر لمن اغتسل يوم الجمعة اي لصلاتها وهذا يفيد
ان هذه التسمية اي تسميته ذلك اليوم بيوم الجمعة معروفة عند الملايكة وعنده صلى الله عليه
وسلم وهو يوافق ما قيل ان المسمي لها بذلك كعب بن لوي كما تقدم ويخالف ما سياتي من
ان تسمية ذلك اليوم بيوم الجمعة هداية من الله للمسلمين بالمدينة وانه لما ارسل اليهم رسول الله
صلى الله عليه وسلم ان يصلوها في ذلك اليوم لم يسمه بيوم الجمعة بل اقتصر على قوله اليوم
الذي يليه اليوم الذي يجهر فيه اليهود الزبور لسبتهم اي في اكثر الروايات والا فقد رايت
السهيلي رحمه الله ذكر حديثا عن ابن عباس رضي الله عنهما انه سمي ذلك اليوم بيوم الجمعة
ونصه كتب صلى الله عليه وسلم الى مصعب بن عمير رضي الله عنه اما بعد فانظر اليوم الذي يليه
اليوم الذي يجهر فيه اليهود بالزبور لسبتهم فاجمعوا نساكم وابناكم فاذا مال النهار عن شطره
عند الزوال من يوم الجمعة فتقربوا الى الله فيه بركعتين فعلى اكثر الروايات يحمل ان يكون
اخباره صلى الله عليه وسلم بذلك هنا اي في قصة المعراج كان بعد التسمية وصلاة الجمعة وعبر
صلى الله عليه وسلم بهذه العبارة لكونها عرفت له فيكون الذي سمعه صلى الله عليه وسلم من الملايكة
يوم الرؤية مثلا والله اعلم قال وراي صلى الله عليه وسلم مالكا خازن النار فاذا هو رجل عابس
يعرف الغضب في وجهه فبدا النبي صلى الله عليه وسلم اي بالسلام ثم اغلقت دونه انتهى وفي
الاصل وفي حديث ابي هريرة رضي الله عنه وقد رايتني اي يخبر صلى الله عليه وسلم انه راى نفسه
في جماعة من الانبيا عليهم الصلاة والسلام فحانت الصلاة اي حضرت ارادة الصلاة فامتهم
اي صليت بهم اماما قال قائل يا محمد هذا مالك خازن النار فسلم عليه فبدا ني بالسلام قال
وجاء انه صلى الله عليه وسلم قال لجبريل مالي لم ات لاهل سماء الا رحبوا بي وضحكوا غير واحد سلمت
عليه فرد علي السلام ورحب بي ودعا لي ولم يضحك الي قال ذلك مالك خازن النار لم يضحك
منذ خلق ولو ضحك لاحد لضحك اليك انتهى اقول وهذا السياق يدل على ان ضحك من لقيه
من الانبيا والملايكة عليهم الصلاة والسلام في السموات له صلى الله عليه وسلم سقط من جميع
روايات المعراج اذ لم يذكر في شي منها على ما علمت ويدل على ان مالكا خازن النار وحده

في السماء السابعة وانه مرة بدأ النبي صلى الله عليه وسلم بالسلام ومرة بداه النبي صلى الله عليه وسلم بالسلام
والمناسب ان يكون في المرة الاولى هو الذي بدا النبي صلى الله عليه وسلم بالسلام وهو عند الباب ثم
رايت الطيبي رحمه الله صرح بذلك حيث قال انما بدا خازن النار بالسلام عليه صلى الله عليه وسلم ليزيل ما
استشعر من الخوف منه لما ذكر من انه راى رجلا عابسا يعرف الغضب في وجهه فلا ينافي ما ذكره
السهيلي من انه لم يره على الصورة التي يراه المعذبون في الاخرة ولو راه عليها لم يستطع ان ينظر
اليه وقوله صلى الله عليه وسلم لم ات اهل سماء الى اخره قد يعارضه ما جاء انه صلى الله عليه وسلم قال
لجبريل عليه السلام مالي لم ار ميكاييل عليه السلام ضاحكا قال منذ خلقت النار وفيه ان هذا يفيد
ان ميكاييل عليه السلام كان موجودا قبل خلق النار وفيه ان هذا يفيد ان ميكاييل عليه السلام ضحك
بعد ذلك فقد جا انه صلى الله عليه وسلم تبسم في الصلاة فسئل عن ذلك فقال رايت ميكاييل عليه
السلام راجعا من طلب القوم اي يوم بدر وعلى جناحه الغبار فضحك الي فتبسمت اليه ولعل
هذا كان بعد ما اخرجه احمد في مسنده عن انس بن مالك رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم انه قال لجبريل عليه السلام الي لم ار ميكاييل عليه السلام ضاحكا قط قال ما ضحك ميكاييل
منذ خلقت النار ومما يدل على ان جبريل عليه السلام خلق قبل النار ايضا ما في مسند
احمد عن انس بن مالك قال قال صلى الله عليه وسلم لجبريل عليه السلام لم تاتني الا وانت صارا
بين عينيك قال اني لم اضحك منذ خلقت النار وهذا مع ما تقدم من رؤية الجنة والنار
يرد على الجهمية وبعض المعتزلة كعبد الجبار وابي هاشم حيث زعموا ان الله تعالى لم يخلق الجنة
والنار وانهما ليستا موجودتين الان وانما يخلقهما الله يوم الجزا مستدلين بانه لا يحسن من الحكيم
ان يخلق الجنة دار النعمة والنار دار النقمة قبل خلق اهلهما وبانهما لو كانتا مخلوقتين في السما
والارض لفنيا بفنايهما واجيب عن الاول بانه يحسن من الحكيم خلقهما قبل يوم الجزا لان الانسان
اذا علم ثوابا عظيما اجتهد في العبادة لتحصيل ذلك الثواب واذا علم عقابا للمخلوق اجتهد
في اجتناب المعاصي لئلا يصيبه ذلك العقاب فليتامل واجيب عن الثاني بان الله تعالى
استثناهما من قوله تعالى فصعق من في السموات ومن في الارض الا من شا الله وفيه ان هذه
صعقة الموت وله ينصعق بالموت غير ذي الروح ولان الجنة ليست كما قيل في السما السابعة بل
فوقها والنار ليست في الارض السابعة بل تحتها وحينيذ يكون القول بان الجنة في السماء السابعة
والنار في الارض السابعة فيه تجوز والله اعلم قال واختلف في رؤيته صلى الله عليه وسلم ربه
بعيني راسه واستدل له بحديث رايت ربي في احسن صورة ورد بان هذا الحديث مضطرب
الاسناد والمتن وقد قال بعض العارفين شاهد الحق سبحانه وتعالى القلوب فلم ير قلبا اشوق
اليه من قلب محمد صلى الله عليه وسلم فاكرمه بالمعراج تعجيلا للرؤية والمكالمة وانكرتها عايشة
رضي الله عنها وقالت من زعم ان محمدا صلى الله عليه وسلم راى ربه بعيني راسه فقد اعظم الفرية على الله او
اتى باعظم الافترا والكذب على الله تعالى ووافقها على ذلك جمع من الصحابة كابن مسعود وابي هريرة
رضي الله عنهما وجمع من العلما ونقل عن الدارمي الحافظ رحمه الله انه نقل اجماع الصحابة رضي الله عنهم

ما ضحك ميكاييل

لعله ربه

علي ذلك ونظر فيه ذهب الي الروية اي المذكورة اكثر الصحابة وكثير من المحدثين و المتكلمين بل دحكي بعض
الحفاظ علي وقوع الروية له صلي الله عليه وسلم بعيني راسه الاجماع والي ذلك يشير صاحب الاصل بقوله
الله تعالي بقوله   وراه وما راه سواه   روية الصحيح يقظة الا المراي
واحتجت عايشة رضي الله عنها علي منع الروية بقوله تعالي لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار
قال وروي ان مسروقا قال لها رضي الله عنها الم يقل الله تعالي ولقد راه نزلة اخري اي مرة اخري
اي بنا علي ان الضمير المستتر له صلي الله عليه وسلم والبارز له سبحانه وتعالي فقالت انا اول هذه الامة
سال رسول الله صلي الله عليه وسلم هل رايت ربك فقال انما رايت جبريل عليه السلام منهبطا اي
فالضمير البارز انما هو لجبريل عليه السلام وفي رواية قال لها ذاك جبريل عليه السلام لم اره في صورته
التي خلق عليها الا مرتين مرة في الارض ومرة في السما في هذه الليلة كما تقدم وعلي ظاهر الاية اي
من جعل الضمير المستتر له صلي الله عليه وسلم والبارز له سبحانه وتعالي وقطع النظر عن هذه الرواية التي
جات عن عايشة يلزم ان يكون صلي الله عليه وسلم راي الحق سبحانه وتعالي ليلة المعراج مرتين مرة في
قاب قوسين ومرة عند سدرة المنتهي ولا مانع من ذلك ولعل ذلك هو المعني بقول الخصايص الصغري
وخص صلي الله عليه وسلم برويته للباري تعالي مرتين ومنها وجمع له صلي الله عليه وسلم بين الكلام والروية
وكلمه عند سدرة المنتهي وكلم موسي بالجبل قال بعضهم يجوز انه صلي الله عليه وسلم خاطب عايشة رضي
الله عنها بما ذكر اي بقوله انما رايت جبريل الي اخره علي قدر عقلها اي في ذلك الوقت انتهي وابدي
قولها بما روي عن ابي ذر رضي الله عنه قلت يا رسول الله هل رايت ربك قال رايت نورا اي حجبني
ومنعني عن رويته تعالي ومن ثم جا في رواية نوراني اراه اي كيف اراه مع وجود النور لان النور
اذا اغشي البصر حجبه عن روية ما وراه اي وليس المراد انه سبحانه وتعالي هو النور المرئي له خلافا لمن
فهم ذلك وايده بما روي نوراني اي لان هذه الرواية كما قيل تصحيف ومن ثم قال التاج عياض
لم اره في اصل من الاصول ومحال ان تكون ذاته تعالي نورا لان النور من جملة الاعراض اي لانه كيفية
تدركها الباصرة اولا وبواسطة تلك الكيفية تدرك ساير المبصرات كالكيفية الفايضة من النيرين
علي الاجرام الكثيفة المحاذية لهما والله تعالي يتعالي عن ذلك اي فحجابه تعالي النور كما رواه مسلم اي ومعا
ثم قيل في قوله تعالي الله نور السموات والارض اي ذو نورها وهو علي المبالغة اي وجا رايت ربي في
صورة شاب امرد عليه حلة خضرا دونه ستر من لولو وجا رايت ربي في احسن صورة قال الكمال
ابن الهمام ان كان المراد به روية اليقظة فهو حجاب الصورة قال وقيل راه صلي الله عليه وسلم
بفواده مرتين لا بعيني راسه فعن بعض الصحابة قلنا يا رسول الله هل رايت ربك قال لم اره
بعيني رايته بفوادي مرتين ثم تلا ثم دني فتدلي الاية وهذا السياق يدل علي ان فاعل دني فتدلي
الحق سبحانه وتعالي والمراد بالفواد القلب اي خلق الروية في القلب او خلق الله للفواد بصرا
راي به انتهي اقول وكون الفواد له بصر واضح لقوله تعالي ما زاغ البصر وما طغي واجيب عما احتجت
به عايشة رضي الله عنها بقوله تعالي لا تدركه الابصار بانه لا يلزم من الروية الادراك الذي
هو الاحاطة فالنور انما منع من الاحاطة به لا من اصل الروية وقد قال بعضهم للامام احمد رضي الله

عنه باي معني تدفع قول عايشة رضي الله عنها من زعم ان محمدا صلي الله عليه وسلم راي ربه فقد اعظم
علي الله الفرية فقال تدفع بقول النبي صلي الله عليه وسلم رايت ربي وقول النبي صلي الله عليه وسلم اكبر من قولها
هذا وقد قال ابو العباس ابن تيمية الامام احمد انما يعني روية المنام فانه لما سيل عن ذلك قال نعم
راه فان رويا الانبيا عليهم الصلاة والسلام حق ولم يقل انه راه بعيني راسه يقظة ومن حكي عنه
ذلك فقد وهم وهذه نصوصه موجودة ليس فيها ذلك اقول وفيه انه يبعد ان يكون الامام احمد
فهم من قول عايشة رضي الله عنها انها تنكر روية المنام حتي يرد عليها وقد ضعف حديث ابي ذر رضي
الله عنه المتقدم وهو قلت يا رسول الله رايت ربك فقال نورا اني اراه وهو من جملة الاحاديث التي
في مسلم التي نظر فيها والله اعلم قال ابو العباس ابن تيمية واهل السنة متفقون علي ان الله تعالي لا
يراه احد بعينيه في الدنيا لا نبي ولا غير نبي ولم يقع النزاع الا في نبينا صلي الله عليه وسلم راه وانما
روي ذلك باسناد موضوع باتفاق اهل الحديث وفي صحيح مسلم وغيره عن النبي صلي الله عليه وسلم
انه قال واعلموا ان احدا منكم لن يري ربه حتي يموت وقد سال موسي عليه السلام الروية فمنعها
وقد نقل القرطبي رحمه الله عن جماعة من المحققين القول بالوقف في هذه المسالة لانه لا دليل قاطع
وغاية ما استدل به الفريقان ظواهر متعارضة قابلة للتاويل وهي من المتعلقات فلا بد
فيها من الدليل القطعي هذا كلامه ونازع فيه السبكي رحمه الله بانه ليس من المعتقدات التي يشترط فيها
الدليل القطعي وهي التي تكلف باعتقادها كالحشر والنشر بل من المعتقدات التي يكتفي فيها بخبر
الاحاد الصحيح وهي التي لم نكلف باعتقادها نحن فيه وفي الخصايص الصغري وخص صلي الله عليه وسلم
برويته من ايات ربه الكبري وحفظه حتي ما زاغ البصر وما طغي وبرويته للباري تعالي مرتين وفي
كلام بعضهم قال بعض العلما في قوله تعالي لقد راي من ايات ربه الكبري راي صورة ذاته المباركة
في الملكوت فاذا هو عروس المملكة وفي كلام ابن دحية رحمه الله خص صلي الله عليه وسلم بالف خصلة فيها
الروية والقرب والدنو قال بعضهم قد صحت الاحاديث عن ابن عباس رضي الله عنهما في اثبات الروية
وحينيذ يجب المصير الي اثباتها ولا ينبغي لاحد ان يظن في ابن عباس رضي الله عنهما انه يتكلم في هذه
المسالة بالظن والاجتهاد قال الامام النووي رحمه الله والراجح عند اكثر العلما ان رسول الله صلي الله
عليه وسلم راي ربه بعيني راسه اي واما رويته تعالي يوم القيامة فعامة لكل احد من الخلق الانس والجن
من الرجال والنسا المومنين والملايكة جبريل وغيره واما رويته تبارك وتعالي في الجنة
فقيل لا تراه الملايكة وقيل يراه منهم جبريل عليه السلام خاصة مرة واحدة قال بعضهم وقياس عدم روية
الملايكة عدم روية الجن له تعالي ورد ذلك واختلف في روية النسا من هذه الامة له تعالي في الجنة
فقيل لا يرونه لانهن مقصورات اي محبوسات في الخيام وقيل يرونه كالرجال وقيل يرونه
كالرجال وقيل يرونه تعالي في ايام الاعياد دون ايام الجمع بخلاف الرجال فانهم يرونه تعالي في كل
جمعة فقد جا انه تعالي يتجلي في مثل عيد الفطر ويوم النحر لاهل الجنة تجليا عاما ومن اهل الجنة
مومنو الجن علي الراجح وجا ان كل يوم كان للمسلمين عيدا في الدنيا فانه عيد لهم في الجنة يجتمعون
فيه علي زيارة ربهم ويتجلي لهم فيه ويدعي يوم الجمعة في الجنة بيوم المزيد قال بعضهم هذا العموم

اهل الجنة واما خواصهم فكل يوم لهم عيد يرون ربهم فيه بكرة وعشيا واما رؤية الله تعالى في النوم ففي الخصائص
الصغرى ومن خصائصه صلى الله عليه وسلم انه يجوز له رؤية الله تعالى في المنام ولا يجوز ذلك لغيره في احد
القولين وهو اختياري وعليه ابو منصور الماتريدي وفي كلام الامام النووي قال القاضي عياض رحمه
الله اتفق العلماء على جواز رؤية الله تعالى في المنام وصحتها اي وقوعها قال وان راه حينئذ انسان على
صفة لا تليق بجلاله تعالى من صفة الاجسام كان ذلك المرئي غير ذات الله تعالى والله تعالى اعلم
ثم الجمهور ان اكثر العلماء على ان اسري الى بيت المقدس ثم المعراج الى السماء كانا في ليلة واحدة اي
وقيل كان الاسرا وحده في ليلة ثم كان هو والمعراج في ليلة اخرى قال وقد جا انه صلى الله عليه
وسلم لما نزل الى سماء الدنيا نظر الى اسفل منه فاذا هو برهج ودخان واصوات فقال ما هذا يا جبريل قال
هولاء الشياطين يحومون على اعين بني ادم لا يتفكرون اي وذلك مانع لهم من التفكر في ملكوت السموات
والارض اي لعدم نظرهم للعلامات الموصلة لذلك ولولا ذلك لراوا العجائب اي ادركوها ثم ركب صلى الله
عليه وسلم البراق منصرفا اي بناء على انه صلى الله عليه وسلم لم يعرج على البراق لمن يعني لقريش الى اخر
ما تقدم اقول ذكر بعضهم ان مما انزل عليه صلى الله عليه وسلم في السماء وله روح اي عند نزوله صلى الله
عليه وسلم من السما قوله تعالى وما منا الا له مقام معلوم الايات الثلاث قوله تعالى واسئل من ارسلنا
من قبلك من رسلنا الاية والايتان من اخر سورة البقرة وهما امن الرسول الى اخر السورة وتقدم انهما
نزلتا بقاب قوسين والله اعلم واستدل على ان كلا من الاسرا والمعراج كان يقظة بجسده صلى
الله عليه وسلم وروحه الشريفة بقوله تعالى سبحان الذي اسرى بعبده ليلا لان العبد حقيقة هو الروح
والجسد قال ارايت الذي ينهى عبدا اذا صلى وقوله تعالى وانه لما قام عبد الله يدعوه ولو كان الاسرا
مناما لقال تعالى بروح عبده ولان الدواب التي منها البراق لا تحمل الارواح انما تحمل الاجساد واستدل
على ان الروية كانت بعيني بصره صلى الله عليه وسلم يقظة بقوله تعالى ما زاغ البصر وما طغى لان وصف
البصر بعدم الزيغ يقتضي ان ذلك يقظة ولو كانت الروية قلبية لقال ما زاغ قلبه اقول فيه ان
لقائل ان يقول يجوز ان يكون المراد بالبصر بصر قلبه لما تقدم ان الله تعالى خلق بقلبه بصرا والله اعلم
وقيل كان الاسرا بجسده والمعراج بروحه الشريف اي بذاتها على الحقيقة من غير اماتة للجسد
وكان حالها في ذلك ادقامه كحالها بعد مفارقتها الجسد بموته صلى الله عليه وسلم في صعودها في السموات
حتى تقف بين يدي الله تعالى وهذا امر فوق ما يراه النائم وغيره صلى الله عليه وسلم لا تنال ذات روحه
الصعود الا بعد الموت لجسدها قيل ومن ثم لم يشنع كفار قريش الا امر الاسرا دون المعراج اقول
الظاهر ان اخباره صلى الله عليه وسلم بالمعراج لم يكن عند اخباره بالاسرا بل تاخر عن اخباره بالاسرا بنا
على انهما كانا في ليلة واحدة والا فقد ذكر بعضهم ان المعراج لم يكن في ليلة الاسرا الذي اخبر به كفار
قريش قال اذ لو كان اي في تلك الليلة لاخبر به حين اخبرهم بالاسرا اي ولم يخبرهم به حينئذ
اذ لو اخبر به حينئذ لنقل ولذكره سبحانه وتعالى اي مع الاسرا لان المعراج ابلغ في المدح والكرامة وخرق
العادة من الاسرا الى المسجد الاقصا واجيب عنه بانه على تسليم انه كان في ليلة الاسرا الذي اخبر
به قريشا هو صلى الله عليه وسلم استدرجهم الى الايمان بذكر الاسرا اولا فلما ظهرت لهم امارات

صدقه صلى الله عليه وسلم على تلك الاية الخارقة التي هي الاسرا اخبرهم بما هو اعظم منها وهو المعراج
بعد ذلك اي وحيث اخبرهم بذلك لم ينكروه لذلك اي لثبوت صدقه صلى الله عليه وسلم في ما ادعاه
من الاسرا وتقدم عن المواهب انهم لم يسالوه صلى الله عليه وسلم عن علامة تدل على صدقه صلى الله
عليه وسلم في ذلك لعدم علمهم ومعرفتهم بشي في السماء والحق سبحانه وتعالى ارشده الى ذلك اي الى
ان يخبرهم بالاسرا اولا ثم بالمعراج ثانيا حيث لم ينزل قصة المعراج في سورة الاسرا بل انزل ذلك
في سورة النجم ومما يوذن بانهما كانا في ليلة واحدة قول الامام البخاري في صحيحه باب كيف فرضت
الصلاة ليلة الاسراء لان المعلوم ان فرض الصلاة اي الصلوات الخمس انما هو في المعراج واما افراده
كلا من الاسرا والمعراج بترجمة فلا يخالف ذلك لانه انما افرد كلا منهما بترجمة لان كلا منهما يشتمل على
قصة منفردة وان كانا وقعا معا وقد خالف في ذلك الحافظ الدمياطي في سيرته فذكر ان المعراج
كان في رمضان والاسرا كان في ربيع الاول والله اعلم وقيل الاسرا وقع له صلى الله عليه وسلم اي بعد
البعثة مرتين مناما اولا ويقظة ثانيا اي فكانت مرة المنام توطية وتيسيرا لوقوعه يقظة ثم لكن يجمع
بين الاختلاف الواقع في الاحاديث اي فبعض الرواة خلط الواقع له مناما بالواقع له يقظة وعلى
هذا لا يشكل قول شريك فلما استيقظت لكنه قال ان مرة المنام كانت قبل البعثة له صلى الله عليه وسلم
في رواية وذلك قبل ان يوحى اليه وقد انكر الخطابي عليه ذلك وعده من جملة اوهامه الواقعة في
احاديث الاسرا والمعراج ورد على الخطابي الحافظ ابن حجر رحمه الله في ذلك بما ينبغي الوقوف عليه
وقيل كان المعراج يقظة ولم يكن ليلا ولم يكن من بيت المقدس بل كان من مكة وكان نهارا فقد جا
انه صلى الله عليه وسلم كان سال ربه ان يريه الجنة والنار فلما كان نهارا ظهرا اتاه جبريل عليه السلام
وميكائيل عليه السلام فقالا له انطلق الى ما سالت الله تعالى فانطلقا به ما بين المقام وزمزم فاتي بالمعراج
فاذا هو احسن شي منظرا فعرجا به الى السماوات ساق الحديث ولا يخفى ان سياق هذا الحديث يدل على
ان ذلك كان مناما فلا يحسن ان يكون قيده ليلا على قوله يقظة وقد جا عن ابي ذر رضي الله عنه انه قال
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فرج سقف بيتي وانا بمكة فنزل جبريل عليه السلام ففرج صدري
ثم غسله من ماء زمزم ثم جا بطست من ذهب ممتلي حكمة وايمانا فافرغها في صدري ثم اخذ
بيدي فعرج بي الى السما الحديث وقد يدعى ان في رواية ابي ذر رضي الله عنه اختصارا وليس
فيها ان ذلك كان مناما او يقظة واما ما ادعاه بعضهم ان المعراج تكرر يقظة فغريب اذ كيف
يتكرر يقظة سوال اهل كل باب من ابواب السما هل بعث اليه وكيف يتكرر سواله صلى الله عليه
وسلم عن كل نبي وكيف يتكرر فرض الصلوات الخمس والمراجعة واما مناما فلا يبعد في تكرره لكن
توطية لوقوعه يقظة اي وهذا منشا اختلاف الروايات ادخل بعض الرواة ما وقع في
المنام ما وقع في اليقظة كما تقدم نظيره في الاسرا وتعدد روايات الاسرا لا يقتضي تعدده في
اليقظة خلافا لمن زعمه ومن ثم قال الحافظ ابن كثير رحمه الله من جعل كل رواية خالفت الاخرى
مرة على حدة فاثبت اسراآت متعددة فقد ابعد واغرب اي فالحق اسرا واحد بروحه وجسده
الشريفين يقظة وذلك من خصائصه صلى الله عليه وسلم وذكر بعضهم انه صلى الله عليه وسلم كان له اسراآت

اربعة وعشرين مرة وقيل ثلاثين مرة منها مرة واحدة بروحه وجسده يقظة والباقي بروحه
رؤيا راها اي ومن ذلك ما وقع له صلى الله عليه وسلم في المدينة بعد الهجرة وهو محمل قول عائشة رضي الله
عنها ما فقد جسده الشريف صلى الله عليه وسلم وفي صبيحة ليلة المعراج اي حين زالت الشمس من اليوم الذي
يلي الليلة التي فرضت فيها الصلوات الخمس كان نزول جبريل عليه الصلاة والسلام وامامته بالنبي صلى الله
عليه وسلم ليعلمه اوقات الصلوات اي وكيفيتها اي لانه لا يلزم من علمه صلى الله عليه وسلم بكيفية
صلاة الركعتين وصلاة قيام الليل علمه بكيفية الصلوات الخمس وان قلنا بان الرباعية منها فرضت
ركعتين ركعتين فامر صلى الله عليه وسلم فصيح باصحابه الصلاة جامعة فاجتمعوا فصلى به صلى الله عليه
وسلم جبريل عليه السلام وصلى النبي صلى الله عليه وسلم بالناس فسميت تلك الصلاة صلاة الظهر لانها
فعلت عند قيام الظهيرة اي شدة الحر وعند نهاية ارتفاع الشمس وهذا الحديث ظاهر بان
صلاته صلى الله عليه وسلم بالناس بعد صلاته صلى الله عليه وسلم مع جبريل ويحتمل لان يكون صلى الله عليه
وسلم صلى بصلاة جبريل عليه السلام والناس صلوا بصلاته صلى الله عليه وسلم ففي بعض الروايات
انه لما نودي بالصلاة جامعة فزعوا لذلك واجتمعوا فصلى بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم الظهر
اربع ركعات لا يقرا فيهن علانية ورسول الله بين يدي الناس وجبريل عليه السلام بين يدي رسول
الله صلى الله عليه وسلم يقتدي الناس برسول الله صلى الله عليه وسلم ويقتدي رسول الله صلى الله عليه
وسلم بجبريل عليه السلام ثم صلى كذلك في العصر ولما غابت الشمس صلى بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم
المغرب ثلاث ركعات يقرا في كل ركعتين علانية وركعة لا يقرا فيها علانية رسول الله صلى الله عليه
وسلم بين يدي الناس وجبريل عليه السلام بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم يقتدي رسول
الله صلى الله عليه وسلم بجبريل وفي كلام الامام النووي رحمه الله تعالى قوله ان جبريل عليه السلام
نزل فصلى امام رسول الله صلى الله عليه وسلم هو بكسر الهمزة وبفتحها قوله في الحديث نزل جبريل
عليه السلام فامني واستدل بذلك بعضهم على جواز الاقتداء بمن هو مقتد بغيره لا كما يقول ائمتنا
من منع ذلك واجيب عنه من جانب ائمتنا بان معنى كونه صلى الله عليه وسلم مقتديا بجبريل عليه
السلام انه متابع له في الافعال من غير نية اقتداء ولا ينافي لفعله صلى الله عليه وسلم على فعل
جبريل عليه السلام فلا يشكل على ائمتنا نعم هذا حينئذ يشكل على ائمتنا القائلين بانه لا بد
من علم كيفية الصلاة قبل الدخول فيها ولا يكفي علمها بالمشاهدة وقد يجاب بانه يجوز ان يكون
جبريل عليه السلام علمه صلى الله عليه وسلم كيفيتها بالقول ثم اتبع ذلك القول بالفعل وهو صلى الله
عليه وسلم علم اصحابه كذلك وبما تقرر يسقط الاستدلال بذلك على جواز الفرض خلف المتنفل
لان تلك الصلاة لم تكن واجبة على جبريل عليه السلام لانه مامور بتعليمها له صلى الله عليه وسلم
قولا وفعلا وكان ذلك عند البيت اي الكعبة مستقبلا بيت المقدس اي صخرته واستقباله صلى الله
عليه وسلم لبيت المقدس كان باجتهاد منه صلى الله عليه وسلم وقيل كان بامر من الله تعالى ثم قيل بقران
وقيل بغيره وعلى انه بقران يكون مما نسخت تلاوته وقد قال ائمتنا رحمهم الله ونسخ قيام
الليل بالصلوات الخمس الى بيت المقدس كما تقدم وكان صلى الله عليه وسلم اذا استقبل بيت المقدس

يجعل

يجعل الكعبة بينه وبينه فيصلي صلى الله عليه وسلم بين الركن اليماني وركن الحجر الاسود اي كما صلى به
جبريل عليه السلام الركعتين اول البعث كما تقدم وحينئذ لا يخالف هذا قول بعضهم لم يزل صلى الله
عليه وسلم يستقبل الكعبة حتى خرج منها اي من مكة لم يستدبرها فلما قدم صلى الله عليه وسلم المدينة استقبل
بيت المقدس اي تمحض استقباله له واستدبر الكعبة وظاهر اطلاقهم ان هذا اي استقباله بيت المقدس
وجعل الكعبة بينه وبينه كان شانه صلى الله عليه وسلم غالبا وان صلى خارج المسجد بمكة ونواحيها
والظاهر انه صلى الله عليه وسلم كان يفعل ذلك ادبا لا وجوبا ولا تقدح ان صلاة جبريل عليه السلام
به صلى الله عليه وسلم كانت عند باب الكعبة كما رواه امامنا الشافعي رضي الله عنه في الام وروى
الطحاوي عند باب البيت مرتين اي وذلك في المحل المنخفض الذي تسميه العامة المعجنة
كما تقدم وصلاته صلى الله عليه وسلم عند باب الكعبة في المحل المذكور لبيت المقدس لا يكون مستقبلا
للكعبة بل تكون على يساره صلى الله عليه وسلم لانه لا يتصور ان يستقبل صلى الله عليه وسلم بيت
المقدس ويكون مستقبلا للكعبة ايضا الا اذا صلى بين اليمانيين كما تقدم وايضا ذكر بعضهم
انه صلى الله عليه وسلم كان يسجد نحو بيت المقدس ويجعل الكعبة وراء ظهره الشريف وهو بمكة اي
في بعض الاوقات حتى لا يخالف ما سبق انه صلى الله عليه وسلم كان يستقبلها مع استقباله لبيت المقدس
ولا ينافي ذلك ما في زبدة الاعمال اقام صلى الله عليه وسلم بعد نزول جبريل عليه السلام ثلاث عشر
سنة وكان يصلي الى بيت المقدس مدة اقامته بمكة يجعلها بين يديه ولا يستدبرها لان محل مرة
اقامته صلى الله عليه وسلم على غالبها ومما يدل على انه صلى الله عليه وسلم مع الصحابة رضي الله عنهم كانوا
يصلون الى بيت المقدس وهم بمكة ما ياتي عن البرا ابن عازب معرور رضي الله عنه انه لما عدل
عن استقبال بيت المقدس الى استقبال الكعبة قبل ان يهاجر صلى الله عليه وسلم وساله عن ذلك قال
له صلى الله عليه وسلم قد كنت على قبلة لو صبرت عليها وام به صلى الله عليه وسلم جبريل عليه السلام
مرتين مرة اول الوقت ومرة اخر الوقت لكن الوقت الاختياري بالنسبة للعصر والعشا
والصبح لا الاخر الحقيقي ليعلمه الوقت اي ولما جاء صلى الله عليه وسلم جبريل عليه السلام امر صلى الله عليه
وسلم فصيح باصحابه الصلاة جامعة كما تقدم اي لان الاقامة المعروفة للصلوات الخمس لم تشرع الا بالمدينة
على ما تقدم وسياتي قال فقد جاء ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال هذا جبريل عليه السلام
جاء يعلمكم دينكم وصلى به في اول يوم الظهر حين زالت الشمس كما تقدم اي عقب زوالها
وصلى به العصر حين صار ظل كل شي مثله اي زيادة على ظل الاستوا وعلى الظل الحاصل عقب
الزوال وصلى به المغرب حين افطر الصائم اي دخل وقت فطره وهو غروب الشمس وصلى به العشا
حين غاب الشفق وصلى به اي في غد ذلك اليوم وهو اليوم الثاني الفجر حين حرم الطعام
والشراب على الصائم اي حين دخل وقت حرمة ذلك وهو الفجر اي فان قيل صلاة جبريل
عليه السلام به صلى الله عليه وسلم حينئذ لم يكن الصوم الذي هو رمضان فرضا اجيب بانه
على تسليم انه لم يفرض عليه صوم قبل رمضان وهو صوم عاشورا او ثلاثة ايام من كل شهر

علي ما سيأتي جاز ان يكون اخباره صلى الله عليه وسلم لهذه العبارة كان بعد فرض رمضان وصلى به المغرب
حين افطر الصايم وصلى به العشا ثلث الليل الاول وصلى به الفجر اي في اليوم الثالث فاسفر ثم التفت
جبريل وقال يا محمد هذا وقتك ووقت الانبيا من قبلك والوقت ما بين هذين الوقتين انتهى اي
واما رواية صلى بي الظهر الى ان قال وصلى بي الفجر فلما كان الغد صلى بي الظهر والمقتضى ذلك لان
يكون الفجر ليس من اليوم الثاني بل من تتمة ما قبله وفيه دليل على ان اليوم من طلوع الشمس كما يقول
الفلكيون اي ولا يخفى ان قوله والوقت ما بين هذين الوقتين محمول عند امامنا الشافعي على الوقت
الاختياري بالنسبة للعصر والعشا والفجر والا فوقت العصر لا يخرج الا بغروب الشمس ووقت
العشا لا يخرج الا بطلوع الفجر ووقت الصبح لا يخرج الا بطلوع الشمس خلافا للاصطخري رحمه الله
تعالى من ايمتنا حيث ذهب الى خروج وقت العصر بمصير ظل الشي مثليه والعشا بثلث الليل والصبح
بالاسفار تمسكا بظاهر الحديث المذكور والبداة بالظهر هو ما عليه اكثر الروايات وروي ان البداة
كانت بالصبح عند طلوع الفجر وعلى الاول انما لم يقع البداة بالصبح مع انها اول صلاة تحضر بعد ليلة
الاسرا لان الاتيان بها يتوقف على بيان الاتيان بالكيفية اي على بيان علم كيفيتها المعلق عليه
الوجوب كانه قيل اوجبت حيث ما تبين كيفيته في وقته والصبح لم تتبين كيفيتها في وقتها فلم
تجب فلا يقال هذا من تاخير البيان عن وقت الحاجة واجاب الامام النووي رحمه الله
بانه حصل التصريح بان اول وجوب الخمس من الظهر كانه قيل اوجبت ما عدا صلاة صبح يوم
هذه الليلة فعدم وجوبها ليس لعدم علم كيفيتها فهي غير واجبة وان فرض وفيه انه يلزم حينيذ
ان الخمس صلوات في اليوم والليلة لم توجد الا فيما عدا ذلك اليوم والليلة قال الامام ابو بكر
ابن العربي رحمه الله ظاهر قوله عليه السلام هذا وقتك ووقت الانبيا من قبلك ان هذه الصلوات
في هذه الاوقات كانت مشروعة لكل واحد من الانبيا عليهم الصلاة والسلام قبله وليس كذلك
وانما معناه ان وقتك هذا المحدود الطرفين مثل وقت الانبيا قبلك فانه كان محدود الطرفين
والا فلم تكن هذه الصلوات الخمس على هذه المواقيت الا لهذه الامة خاصة وان كان غيرهم قد
شاركهم في بعضها اي فقد جا عن عايشة رضي الله عنها ان ادم عليه الصلاة والسلام لما تيب عليه كان
ذلك عند الفجر فصلى ركعتين فصارت الصبح وفدي اسحق عليه السلام عند الظهر اي على
القول بانه الذبيح فصلى اربع ركعات فصارت الظهر وبعث عزير عليه الصلوة والسلام فقيل له كم
لبثت قال لبثت يوما فلما راى قرينة من الغروب قال او بعض يوم فصلى اربع ركعات
فصارت العصر وغفر لداود عليه الصلاة والسلام عند المغرب اي الغروب فقام يصلي
اربع ركعات فجهد اي تعب فجلس في الثالثة اي سلم منها فصارت المغرب ثلاثا واول من
صلى العشا الاخرة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم فصلاتها من خصايصه صلى الله عليه وسلم وفي شرح مسند
امامنا الشافعي رضي الله عنه للامام الرافعي رحمه الله كانت الصبح صلاة ادم عليه السلام والظهر صلاة
داود اي فقد اشترك داود عليه السلام واسحق عليه الصلاة والسلام في صلاة الظهر و
العصر صلاة سليمان عليه الصلاة والسلام اي فقد اشترك سليمان وعزير عليهما الصلاة والسلام

في صلاة العصر والمغرب صلاة يعقوب اي فقد اشترك يعقوب وداود عليهما الصلاة والسلام
في صلاة المغرب والعشا صلاة يونس عليه الصلاة والسلام واورد في ذلك خبرا وعليه فليست صلاة
العشا من خصايص نبينا صلى الله عليه وسلم والاصل ان ما ثبت في حق نبي ثبت في حق امته الا ان يرد
الدليل على الخصوصية فليست من خصايص هذه الامة وذكر بعضهم ان المغرب كانت صلاة عيسى عليه
الصلاة والسلام اي وكانت اربعا ركعتين عن نفسه وركعتين عن امه اي فقد اشترك عيسى ويعقوب
وداود في صلاة المغرب وفي كلام بعضهم اول من صلى الفجر ادم عليه الصلاة والسلام والظهر ابراهيم
عليه الصلاة والسلام فقد اشترك ابراهيم واسحق وداود عليهم الصلاة والسلام في صلاة الظهر
واول من صلى العصر يونس عليه الصلاة والسلام اي وعليه فقد اشترك سليمان وعزير ويونس
عليهم الصلاة والسلام في صلاة العصر واول من صلى المغرب عيسى عليه الصلاة والسلام واول
من صلى العتمة التي هي العشا موسى عليه الصلاة والسلام اي وعليه فقد اشترك موسى ويونس
ونبينا عليهم الصلاة والسلام في صلاة العشا وفي الخصايص الكبرى خص صلى الله عليه وسلم بانه
اول من صلى العشا ولم يصلها نبي قبله ولا من لا يرد انه لم يصلها احد من الامم وقد جا التصريح
به في بعض الروايات انكم فضلتم بها اي العشا على ساير الامم وعليه فهي من خصايصنا ومن خصايص
نبينا صلى الله عليه وسلم وقد تقدم عند بنا الكعبة ان جبريل عليه السلام صلى بابراهيم صلى الله عليه
وسلم الصلوات الخمس فليتامل قال قيل فرضت الصلاة الخمس في المعراج ركعتين ركعتين اي
حتى المغرب ثم زيدت في صلاة الحضر فاكملها اربعا في الظهر اي في غير يوم الجمعة واربعا في
العصر وثلاثا في المغرب واقرت صلاة السفر على ركعتين اي حتى في المغرب فعن عايشة
رضي الله عنها فرضت صلاة الحضر والسفر ركعتان اي في الصبح والظهر والعصر والمغرب والعشا
فلما اقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة اي بعد شهر وشيء وعشرة ايام من الهجرة زيد في صلاة
الحضر ركعتان ركعتان وتركت صلاة الفجر اي لم يزد عليها شي لطول القراة اي فانها يطلب فيها
زيادة القراة على الظهر والعصر المطلوب فيها قراة طوال المفصل وصلاة المغرب اي تركت
صلاة المغرب فلم يزد فيها ركعتان بل ركعة فصارت ثلاثا لانها وتر النهار اي كما في الحديث
فتعود عليه بركة الوترية ان الله وتر يحب الوتر والمراد انها وتر عقب صلاة النهار وتركت صلاة
السفر فلم يزد فيها شي اي في غير المغرب هذا هو المفهوم من كلام عايشة رضي الله عنها وهو يفيد ان
صلاة السفر استمرت على ركعتين اي في غير المغرب اي وحينيذ يلزم ان يكون القصر في الظهر
والعصر والعشا عزيمة لا رخصة ولا يحسن ذلك مع قوله تعالى فليس عليكم جناح ان تقصروا من الصلاة
وفي كلام الحافظ ابن حجر رحمه الله المراد بقول عايشة رضي الله عنها فاقرت صلاة السفر باعتبار ما
ال اليه الامر من التخفيف اي لانه استقر امرها بعد قدومه صلى الله عليه وسلم المدينة بشهر او باربعين
يوما ثم نزلت اية القصر في ربيع الاول من السنة الثانية لا انها استمرت منذ فرضت فلا يلزم من ذلك
ان القصر عزيمة وقيل فرضت اي الصلوات الخمس في المعراج اربعا الا المغرب ففرضت ثلاثا
والا الصبح ففرضت ركعتين اي والا صلاة الجمعة ففرضت ركعتين ثم قصرت الا ربع في السفر اي

وهو المناسب لقوله تعالى ليس عليكم جناح ان تقصروا من الصلاة ومن ثم قال بعضهم ان هذا هو الذي يقتضيه
ظاهر القرآن وكلام جمهور العلماء ويمكن ان يكون المراد من كلام عايشة رضي الله عنها انها فرضت ركعتان ركعتان بتشهد
ثم ركعتان بتشهد وسلام وفيه ان هذا لا ياتي في الصبح والمغرب وقال بعضهم ويبعد هذا الحمل ما روي
عنها كان النبي صلى الله عليه وسلم يصلي اي الصلوات الخمس التي فرضت بالمعراج بمكة ركعتين فلما قدم صلى الله
عليه وسلم المدينة اي واقام شهرا او وعشرة ايام فرضت الصلاة اربعا وثلاثا وتركت الركعتان
تماما اي تامة للمسافر وعن يعلى بن امية رضي الله عنه قال قلت لعمر بن الخطاب رضي الله عنه
ليس عليكم جناح ان تقصروا من الصلاة ان خفتم فقد امن الناس قال عمر رضي الله عنه عجبت
مما عجبت منه فسالت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك فقال صدقة تصدق الله بها عليكم فاقبلوا
صدقته اي فصار سبب القصر مجرد السفر لا الخوف وهذا قد يخالف ما في الاتقان سال قوم من بني
النجار رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا رسول الله انا نضرب في الارض فكيف نصلي فانزل الله
تعالى واذا ضربتم في الارض فليس عليكم جناح ان تقصروا من الصلاة ثم انقطع الوحي عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم فلما كان بعد ذلك غزا النبي صلى الله عليه وسلم فصلى الظهر فقال المشركون
لقد امكنكم محمد واصحابه من ظهورهم هلا شددتم عليهم فقال قائل منهم ان لهم اخرى مثلها في اثرها
فانزل الله تعالى بين الصلاتين ان خفتم ان يفتنكم الذين كفروا الى قوله عذابا مهينا فنزلت صلاة
الخوف فتبين بهذا الحديث ان قوله ان خفتم شرط فيما بعده صلاة الخوف لا في صلاة القصر قال
ابن جرير رحمه الله هذا تاويل في الاية حسن لو لم يكن في الاية اذا ابن العربي يصح مع اذا جعل الواو
زائدة قلت ويكون من اعتراض الشرط على الشرط واحسن منه ان تجعل اذا زائدة بناء على قول
من يجيز زيادتها هذا كلامه فليتامل وقيل فرضت اي الرباعية اربعا في الحضر وركعتين في السفر
فعن عمر رضي الله عنه صلاة السفر ركعتان وصلاة الجمعة ركعتان غير قصر اي تامة على لسان رسول
الله صلى الله عليه وسلم اي وفيه بالنسبة لصلاة السفر ما تقدم وعن ابن عباس رضي الله عنهما فرضت
في الحضر اربعا وفي السفر ركعتين وفي الخوف ركعة وفيه اي في صلاة السفر ما تقدم وقوله في الخوف
ركعة اي يصليها مع الامام وينفرد بالاخرى وذلك في صلاة عسفان حيث يحرم بالجميع ويسجد معه
صف اول ويحرس الصف الثاني فاذا قاموا سجد من حرس ولحقه وسجد معه في الركعة الثانية
وحرس الاخرون فقد صلى كل صف مع الامام ركعة فلا يقال ان في كلام ابن عباس رضي الله عنهما
ما يفيد ان صلاة الفجر تقصر وفرض التشهد والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم متاخر عن
فرض الصلاة فعن ابن مسعود رضي الله عنه كنا نقول قبل ان يفرض علينا التشهد اللهم السلام
على الله قبل عباده والسلام على جبريل السلام على ميكائيل السلام على فلان اي من الملائكة
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بعض الصحابة كيف نصلي عليك اذا نحن صلينا عليك في
صلاتنا فقال قولوا اللهم صل على محمد الى اخره ولم اقف على الوقت الذي فرض التشهد والصلاة
على النبي صلى الله عليه وسلم فيه ولا على ان قولهم السلام على الله هل كان واجبا او مندوبا قال بعضهم
والحكمة في جعل الصلوات في اليوم والليلة خمسا ان الحواس لما كانت خمسة والمعاصي تقع بواسطتها
كانت كذلك لتكون ماحية لما يقع في اليوم والليلة من المعاصي اي بسبب تلك الحواس وقد اشار

الي

الي ذلك النبي صلى الله عليه وسلم بقوله ارايتم لو كان بباب احدكم نهر تغتسل منه في اليوم والليلة خمس مرات
اكان ذلك يبقي من درنه شيئا قالوا لا يا رسول الله قال فذلك مثل الصلوات الخمس يمحو الله بهن
الخطايا قيل وجعلت مثنى وثلاث ورباع ليوافق اجنحة الملائكة كانها جعلت اجنحة للشخص
يطير بها الى الله تعالى وسيل ابن عباس رضي الله عنهما هل تجد الصلوات الخمس في كتاب الله تعالى
فقال نعم وتلا قوله فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون وله الحمد في السموات والارض وعشيا وحين
تظهرون اراد بحين تمسون المغرب والعشا وبحين تصبحون الفجر وبعشيا العصر وبحين تظهرون
الظهر اطلاق التسبيح بمعنى الصلاة جا في قوله تعالى فلولا انه كان من المسبحين قال القرطبي اي من
المصلين وفي الكشاف عن ابن عباس كل تسبيح في القران فهو صلاة باب عرض رسول الله صلى
الله عليه وسلم نفسه على القبايل من العرب ان يحموه ويناصروه على ما جا به من الحق اي لانه
صلى الله عليه وسلم اخفى رسالته ثلاث ثم اعلن بها في الرابعة على ما تقدم ودعا الى الاسلام عشر
سنين يوافي الموسم كل عام يتتبع الحاج في منازلهم اي بمنى والموقف يسال عن القبايل قبيلة ويسال قبيلة صح
عن منازلهم ويأتي اليهم في اسواق الموسم وهي عكاظ ومجنة وذي المجاز فقد تقدم ان العرب كانت
اذا حجت تقيم بعكاظ شهر شوال ثم تجي الى سوق مجنة تقيم فيه عشرين يوما ثم تجي الى سوق ذي
المجاز فتقيم به الى ايام الحج يدعوهم الى ان يمنعوه حتى يبلغ رسالات ربه فعن جابر ابن عبد
الله رضي الله عنهما قال كان النبي صلى الله عليه وسلم يعرض نفسه على الناس في الموقف فيقول
الا رجل يعرض على قومه فان قريشا قد منعوني ان ابلغ كلام ربي وعن بعضهم رايت رسول
الله صلى الله عليه وسلم قبل ان يهاجر الى المدينة يطوف على الناس في منازلهم اي بمنى فيقول
يا ايها الناس ان الله يامركم ان تعبدوه ولا تشركوا به شيا ووراه رجل يقول يا ايها الناس ان
هذا يامركم ان تتركوا دين ابايكم فسالت من هذا الرجل فقيل ابو لهب يعني عمه صلى الله عليه
وسلم وفي رواية عن ابي طارق رضي الله عنه قال رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم
بسوق ذي المجاز يعرض نفسه على قبايل العرب يقول يا ايها الناس قولوا لا اله الا الله تفلحوا الناس صح
وخلفه رجل له غديرتان اي ذوابتان يرجمه بالحجارة حتى ادمى كعبه يقول يا ايها الناس
لا تسمعوا منه فانه كذاب فسالت عنه فقيل انه غلام عبد المطلب فقلت ومن هذا الرجل
الذي يرجمه فقيل هو عمه عبد العزى يعني ابا لهب لعنه الله اي وفي السيرة الهشامية
عن بعضهم قال اني لغلام شاب مع ابي بمنى ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقف على منازل
القبايل من العرب فيقول يا بني فلان اني رسول الله اليكم يامركم ان تعبدوا الله ولا تشركوا
به شيا وان تخلعوا ما تعبدون من دونه من هذه الانداد وان تومنوا بالله وتصدقوني وتمنعوني
حتى ابين عن الله عز وجل ما بعثني به قال وخلفه رجل احول وضي له غديرتان عليه حلة عدنية
فاذا فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من قوله قال ذلك الرجل يا بني فلان ان هذا الرجل
انما يدعوكم الى ان تسلخوا اللات والعزى من اعناقكم الى ما جا به من البدعة والضلالة فلا
تطيعوه ولا تسمعوا منه فقلت لابي من هذا الرجل الذي يتبعه يرد عليه صلى الله عليه وسلم

مايقول قال هذا عمه عبد العزى بن عبد المطلب وذكر ابن اسحاق رحمه الله انه صلى الله عليه وسلم
عرض نفسه على كندة وكلب اي على بطن منهم يقال بنو عبد الله فقال لهم ان الله تعالى قد احسن
اسم ابيكم عبد الله اي فقد قال صلى الله عليه وسلم احب الاسما الى الله عز وجل عبد الله وعبد الرحمن
ثم عرض عليهم فلم يقبلوا منه ما عرض عليهم وعرض على بني حنيفة وعلى بني عامر ابن صعصعة
فقال له رجل منهم ارايت ان نحن بايعناك على امرك ثم اظفرك الله على من خالفك ايكون
لنا الامر من بعدك فقال الامر الى الله يضعه حيث يشا قال فقال له أفنقاتل العرب دونك
وفي رواية اتهدف نحورنا للعرب دونك اي نجعل نحورنا هدفا للنبل فاذا اظهرك الله كان الامر
لغيرنا لا حاجة لنا بامرك وابوا عليه فلما رجعت بنو عامر الى منازلهم وكان فيهم شيخ كبير ادركه
السن حتى لا يقدر ان يوافي معهم الموسم فلما قدموا عليه سالهم عما كان في موسمهم فقالوا جانا فتى من
قريش احد بني عبد المطلب يزعم انه نبي يدعونا الى ان نمنعه ونقوم معه ونخرج به الى بلادنا
فوضع يده على راسه ثم قال يا بني عامر هل لها من تلاف اي تدارك هل لها من مطلب والذي
نفس فلان بيده ما تقولها اي ما ادعى النبوة كاذبا احد من بني اسماعيل قط وانها الحق وان
رايكم غاب عنكم وذكر الواقدي رحمه الله انه صلى الله عليه وسلم اتى بني عبس اي وبني سليم
وغسان وبني محارب اي وفزارة ومرة وبني نضر وعذرة والحضارمة فيردون عليه صلى الله
عليه وسلم اقبح الرد ويقولون اسرتك وعشيرتك اعلم بك حيث لم يتبعوك ولم يكن احد من
العرب اقبح ردا عليه من بني حنيفة اي وهم اهل اليمامة قوم مسيلمة الكذاب وقيل لهم بنو
حنيفة لان امهم حنيفة قيل لها ذلك لحنف كان في رجليها وثقيف اي ومن ثم جاسرها من العرب
بنو حنيفة وثقيف اي ودفعهم صلى الله عليه وسلم وابو بكر رضي الله عنه الى مجلس من مجالس
العرب فتقدم ابو بكر فسلم وقال من القوم قالوا من ربيعة قال واي ربيعة من هامها او
من لهازمها قالوا بل الهامة العظمى قال من ايها قالوا من ذهل الاكبر قال منكم حامي الذمار
ومانع الجار قالوا لا قال منكم قاتل الملوك وسالبها فلان قالوا لا قال منكم صاحب العمامة الفردة فلان
قالوا لا قال فلستم من ذهل الاكبر انتم ذهل الاصغر فقام اليه شاب حين بقل وجهه اي طلع شعر
وجهه فقال له ان على سائلنا ان نسأله يا هذا انك قد سألتنا فاخبرناك فمن الرجل انت فقال
ابو بكر رضي الله عنه انا من قريش فقال الفتى بخ بخ اهل الشرف والرياسة قال فمن اي قريش انت
قال من ولد تيم بن مرة فقال الفتى امكنت امنكم قصي الذي كان يدعى مجمعا قال لا قال فمنكم
هاشم الذي هشم الثريد لقومه قال لا قال فمنكم شيبة الحمد عبد المطلب مطعم طير السما الذي كان
وجهه القمر يضي في الليلة الظلما قال لا واجتذب ابو بكر رضي الله عنه زمام ناقته ورجع
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم واخبره بذلك فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال له علي كرم الله
وجهه لقد وقعت من الاعرابي على باقعة اي داهية ذو دها وهو اسم في الاصل لطاير
حذر يطير يمنة ويسرة قال اجل يا ابا الحسن ما من طامة الا وفوقها طامة والبلا موكل بالمنطق
اي واستفهام الفتى لابي بكر رضي الله عنه توبيخي لا حقيقي لان من المعلوم ان من ذكر ليسوا من

بني

بني تيم لان ابا بكر رضي الله عنه كما تقدم انما يجتمع مع النبي صلى الله عليه وسلم في مرة ومرة جد بعيد فكانه
يقول ان قبيلتكم لم تشتمل على هذه الاشراف اي كما ان قبيلتنا لم تشتمل على او لم يكن الاشراف وعن
عبد الله بن عباس رضي الله عنهما انه صلى الله عليه وسلم لقي جماعة من شيبان ابن ثعلبة وكان معه
ابو بكر رضي الله عنه وعلي كرم الله وجهه وان ابا بكر سالهم وقال لهم ممن القوم فقالوا من شيبان بن
ثعلبة فالتفت ابو بكر رضي الله عنه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال بابي انت وامي هولاء غرر
سادات في قومهم وفيهم مفروق بن عمرو وهاني بالهمز ابن قبيصة بفتح القاف ومثنى بن حارثة
والنعمان بن شريك كان مفروق بن عمرو قد غلبهم جمالا ولسانا له غديرتان اي ذوابتان من شعر
وكان ادنى القوم اي اقرب مجلسا من ابي بكر رضي الله عنه فقال له ابو بكر رضي الله عنه كيف العدد
فيكم قال مفروق انا لنزيد على الالف ولن تغلب الالف من قلة والذي قاله صلى الله عليه وسلم لن تغلب
اثنى عشر الفا من قلة قاله صلى الله عليه وسلم لما اراد ان يغزو هوازن وكان جيشه صلى الله عليه وسلم
العدد المذكور كما سياتي فقال ابو بكر رضي الله عنه كيف المنعة فيكم قال مفروق علينا الجهد اي
بفتح الجيم وضمها الطاقة ولكل قوم جد بفتح الجيم اي حظ وسعادة اي علينا الجهد وليس علينا
ان يكون الظفر لنا لانه من عند الله يوتيه من يشا فقال ابو بكر رضي الله عنه فكيف الحرب بينكم
وبين عدوكم فقال مفروق انا لاشد ما نكون غضبا حين نلقى وانا لاشد ما نكون لقاحين
نغضب وانا لنوثر الجياد من الخيل على الاولاد والسلاح على اللقاح اي ذوات اللبن من الابل وربما
قيل البقر والغنم ايضا والنصر من عند الله يديلنا بضم اوله وكسر الدال المهملة اي ينصرنا مرة ويديل
علينا مرة اي ينصر علينا اخرى لعلك اخو قريش فقال ابو بكر رضي الله عنه اوقد بلغكم
انه رسول الله صلى الله عليه وسلم فها هو ذا فقال مفروق بلغنا انه يذكر ذلك فالى ما تدعوا يا اخا
قريش فتقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ادعو الى شهادة ان لا اله الا الله وحده لا شريك
له واني رسول الله والى ان تاووني وتنصروني فان قريشا قد تظاهرت اي تعاونت على
امر الله وكذبت رسوله واستغنت بالباطل عن الحق والله هو الغني الحميد قال مفروق والى
ما تدعوا ايضا يا اخا قريش فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قل تعالوا اتل ما حرم ربكم عليكم
ان لا تشركوا به شيا وبالوالدين احسانا ولا تقتلوا اولادكم من املاق نحن نرزقكم واياهم
ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق ذلكم
وصاكم به لعلكم تعقلون قال مفروق ما هذا من كلام اهل الارض ولو كان من كلامهم عرفناه ثم
قال والى ما تدعو ايضا يا اخا قريش فتلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله يامر بالعدل
والاحسان وايتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكرون وهذه
الاية ذكر العز بن عبد السلام رحمه الله انها اشتملت على جميع الاحكام الشرعية وبين ذلك
في سائر الابواب الفقهية وصنف ذلك كتابا سماه الشجرة فقال مفروق دعوت والله الى مكارم
الاخلاق ومحاسن الاعمال ولقد افك قوم اي صرفوا عن الحق كذبوك وظاهروا اي عاونوا عليك
وكان مفروق اراد ان يشركه اي يشاركه في الكلام هاني ابن قبيصة فقال هذا هاني ابن قبيصة

شيخنا وصاحب نبيا فقال هانئ قد سمعنا مقالتك يا اخا قريش واني ارى ان تركنا ديننا واتباعنا
اياك على دينك بمجلس جلسته الينا ليس له اول ولا اخر لزلة في الراي وقلة نظر في العاقبة وانما
تكون الزلة مع العجلة ومن ورائنا قوم نكره ان نعقد عليهم عقدا ولكن نرجع وترجع وننظر وتنظر وكانه
احب ان يشركه في الكلام المثنى بن حارثة فقال وهذا المثنى شيخنا وصاحب حربنا فقال المثنى قد سمعنا مقالتك
يا اخا قريش والجواب هو جواب هانئ بن قبيصة في تركنا ديننا واتباعنا دينك بمجلس جلسته
الينا ليس له اول ولا اخر وان احببت ان ناويك وننصرك مما يلي مياه العرب دون ما يلي انهار
كسرى فعلنا انما نزلنا على عهد اخذه علينا كسرى ان لا نحدث حدثا وان لا ناوي محدثا واني
ارى ان هذا الامر الذي تدعونا اليه انت هو مما تكرهه الملوك فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم ما اسأتم اذ افصحتم بالصدق وان دين الله عز وجل لن ينصره الا من احاطه من جميع
جوانبه ارايتم ان لم تلبثوا الا قليلا حتى يورثكم الله ارضهم واموالهم ويفرشكم نساءهم اتسبحون
الله وتقدسونه فقال النعمان بن شريك اللهم لك ذا فتلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يا ايها النبي
انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا وبشر المؤمنين بان لهم من الله فضلا كبيرا
ثم نهض رسول الله صلى الله عليه وسلم اي وهؤلاء لم اقف على اسلام احد منهم الا ان في الصحابة
شخصا يقال له المثنى بن حارثة الشيباني وكان فارس قومه وسيدهم والمطاع فيهم ولعله هو هذا
لقول هانئ بن قبيصة فيه انه صاحب حربنا ورايت بعضهم ذكر ان النعمان بن شريك له
وفادة فيكون من الصحابة اي وفي اسد الغابة ان مفروق بن عمرو من الصحابة ونقل عن ابي
نعيم انه قال لا اعرف لمفروق اسلاما ولما قدمت بنو بكر بن وائل مكة للحج قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم لابي بكر رضي الله عنه ائتهم فاعرضني عليهم فاتاهم فعرض عليهم فقال لهم كيف العدد
فيكم قالوا كثير مثل الثرى قال فكيف المنعة فيكم قالوا لا منعة جاورنا فارس فنحن لا نمتنع
منهم ولا نجير عليهم قال فتجعلون لله عليكم ان هو ابقاكم حتى تنزلوا منازلهم وتستنكحوا
نساءهم وتستعبدوا ابناءهم ان تسبحوا الله ثلاثا وثلاثين وتحمدوه ثلاثا وثلاثين وتكبروه
ثلاثا وثلاثين قالوا ومن انت قال رسول الله ثم مر بهم ابو لهب لعنه الله فقالوا هل
تعرف هذا الرجل قال نعم فاخبروه بما دعاهم اليه وانه زعم انه رسول الله فقال لهم لا ترفعوا
بقوله راسا فانه مجنون يهذي من ام راسه فقالوا لقد راينا ذلك حيث ذكر من امر فارس
ما ذكر وفي رواية انه لما سالهم قالوا حتى يجيء شيخنا حارثة فلما جاء قال ان بيننا وبين الفرس
حربا فاذا فرغنا مما بيننا وبينهم عدنا فنظرنا فيما تقول فلما التقوا مع الفرس قال لهم شيخهم
ما اسم الرجل الذي دعاكم الى ما دعاكم اليه قالوا محمد قال فهو شعاركم فنصروا على الفرس فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم بي نصروا اي نصروا بذكر اسمي ولا زال صلى الله عليه وسلم يعرض نفسه على القبائل
في كل موسم ويقول لا اكره احدا على شيء من رضي الذي ادعوه اليه فذاك ومن كره لم اكرهه
انما اريد منعي من القتل حتى ابلغ رسالات ربي فلم يقبله احد من تلك القبائل ويقولون
قوم الرجل اعلم به اترون ان رجلا يصلحنا وقد افسد قومه وعن ابي اسحق رحمه الله تعالى لما اراد

الله

الله تعالى اظهار دينه واعزاز نبيه وانجاز موعده له خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في الموسم
وفي سيرة مغلطاي ومستدرك الحاكم ان ذلك كان في شهر رجب يعرض نفسه على قبائل العرب
كما كان يصنع في كل موسم فبينا هو عند العقبة التي تضاف اليها الجمرة فيقال لها جمرة العقبة اي وهي
عن يسار الطريق القاصد منى من مكة وبها الان مسجد يقال له مسجد البيعة اذ لقي بها رهطا من
الخزرج اي لان الاوس والخزرج كانوا يحجون فيمن يحج من العرب اي والاوس في الاصل اي اللغة
العطية ويقال للذيب ويقال للرجل اللهو واللعب والخزرج في الاصل الريح الباردة وقيل هي الجنوب
خاصة وكانوا ستة نفر وقيل ثمانية اراد الله تعالى بهم خيرا فذكر الستة في الاصل وبين الناس
اختلاف في ذكرهم فقال لهم صلى الله عليه وسلم من انتم قالوا نفر من الخزرج فقال امن موالي يهود اي
من حلفائهم يهود المدينة قريظة والنضير لانهم تحالفوا معهم على التناصر والتعاضد على سواهم ولا يأتي
بعضهم من بعض وهذا كان في اول امرهم قبل ان تقوى شوكتهم على يهود قالوا نعم قال افلا تجلسون
اكلمكم قالوا بلى فجلسوا معه وفي لفظ وجدهم يحلقون رؤسهم فجلس اليهم فدعاهم الى الله عز وجل
وعرض عليهم الاسلام اي وراوا امارات الصدق عليه لائحة فقال بعضهم لبعض تعلمون والله
انه النبي الذي توعدكم به يهود فلا تسبقنكم اليه لان يهود كانوا اذا وقع بينهم وبينهم شيء من الشر قالوا
سيبعث نبي قد اظل اي قرب زمانه نتبعه نقتلكم معه قتل عاد وارم اي كما تقدم في اخبار
الاحبار والمراد نستاصلكم بالقتل فلما دعاهم صلى الله عليه وسلم الى الاسلام اجابوه وصدقوه واسلموا
وقالوا له انا تركنا قومنا يعنون الاوس والخزرج بينهم من العداوة والشر وتطاولت بينهم الحروب
فمكثوا على المحاربة والمقاتلة اكثر من مائة سنة اي مائة وعشرين كما في الكشاف فان جمعهم الله عليك
فلا رجل اعز منك اقول وفي رواية قالوا يا رسول الله انما كانت بعاث اي بضم الموحدة ثم عين مهملة
مخففة وفي اخره ثاء مثلثة وقيل بفتح الموحدة وبدل المهملة معجمة قيل وذكر المعجمة تصحيف فعن
ابن دريد صحف الخليل بن احمد يوم بعاث بالغين المعجمة وانما هو بالمهملة وفي القاموس بالمهملة
والمعجمة عام اول يوم من ايامنا اقتتلنا به ولعمري كذلك لا يكون لنا عليك اجتماع فدعنا حتى نرجع
الى عشائرنا لعل الله ان يصلح ذات بيننا وندعوهم الى ما دعوتنا فعسى الله ان يجمعهم عليك فان
اجتمعت كلمتهم عليك واتبعوك فلا احد اعز منك وبعاث مكان قريب من المدينة على ليلتين
منها عند بني قريظة ويقال انه حصن للاوس كان فيه القتال قبل قدومه صلى الله عليه وسلم المدينة
بخمس سنين بين الاوس والخزرج وسيد الاوس ورئيسهم حينئذ حضير والد اسيد وبه قتل من
قتل من قومه وكان النصر فيهم اولا للخزرج ثم صار للاوس وسبب القتال انه كان من قاعدتهم
ان الاصيل لا يقتل بالحليف فقتل رجل من الاوس اي وهو سويد بن الصامت رجلا حليفا للخزرج
اي وهو زياد والد المجذر بن زياد بالذال المعجمة مكسورة ومفتوحة وتخفيف المثناة
تحت والمجذر بالذال المعجمة مشددة مفتوحة فارادوا ان يقتلوا سويدا فيه فابى عليهم الاوس
ذلك لان سويدا هو الذي كان يسميه قومه الكامل لشرفه ونسبه وشعره وجلده كان ابن خالة عبد

المطلب لان امه اخت سلمى ام عبد المطلب وكان قدم مكة حاجا او معتمرا فتصدى له رسول الله صلى الله
عليه وسلم حين سمع به لانه كان لا يسمع بقادم قدم مكة من العرب له اسم وشرف الا تصدى له ودعاه الى
الله تعالى فدعا سويدا الى الله والى الاسلام فقال له سويد لعل الذي معك مثل الذي معي فقال له
رسول الله صلى الله عليه وسلم وما الذي معك قال له حكمة لقمان فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ان
هذا الكلام حسن والذي معي افضل من هذا قرآن انزله الله علي هو هدى ونور فتلى عليه رسول الله صلى
الله عليه وسلم القرآن ودعاه الى الاسلام فلم يبعد عنه وقال ان هذا القول حسن ثم انصرف
وقدم المدينة فلم يلبث ان قتله الخزرج وفي كلام بعضهم ثم امن بالله ورسوله وسافر حتى دخل المدينة
الى قومه فشهدوا بايمانه فقتلته الخزرج بغتة وقيل القاتل له المجذر ولد زياد الذي قتل سويد
لان سويدا كان قد شرب الخمر وجلس يبول وهو ملآن سكرا فضربه انسان من الخزرج فخرج حتى
الى المجذر بن ذياد فقال هل لك من الغنيمة الباردة قال ما هي قال سويد اعزل لا سلاح معه
فخرج المجذر بالسيف مصلتا فلما ابصر سويدا قال له قد امكنني الله منك قال ما تريد مني قال قتلك
فقتله فكان ذلك سبب الحرب بين الاوس والخزرج بعد بعاث فلما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم
المدينة اسلم الحارث بن سويد والمجذر بن ذياد وشهدا بدرا فجعل الحارث ابن سويد يطلب
مجذرا ليقتله بابيه فلم يقدر عليه حتى كان وقعة احد قدر عليه فقتله غيلة كما سياتي وممن
قتل في هذه الحرب التي يقال لها بعاث شخص يقال له اياس بن معاذ قدم مكة هو وشخص
يقال له ابو الحيسر انس بن رافع مع جماعة من قومه يلتمسون الحلف من قريش على قومهم الخزرج فاتاهم
رسول الله صلى الله عليه وسلم فجلس اليهم وقال لهم هل لكم في خير مما جئتم له قالوا وما ذاك قال انا
رسول الله بعثني الى العباد ادعوهم ان يعبدوه ولا يشركوا به شيئا وانزل علي الكتاب ثم ذكر لهم الاسلام
وتلى عليهم القرآن فقال اياس بن معاذ وكان صغيرا اي قوم والله خير مما جئتم له فاخذ ابو
الحيسر حفنة من تراب فضرب بها وجه اياس وانتهره وقال دعنا منك لقد جئنا لغير هذا فسكت
اياس وقام رسول الله صلى الله عليه وسلم عنهم فلما دنا موت اياس صار يحمد الله ويسبحه ويهلله
ويكبره حتى مات والله اعلم ثم انصرف اولئك الرهط من الخزرج راجعين الى بلادهم قال وفي
رواية انهم لما امنوا به صلى الله عليه وسلم وصدقوه قالوا انا نشير عليك ان تمكث على رسلك اي
على حالك باسم الله حتى نرجع الى قومنا فنذكر لهم شانك وندعوهم الى الله ورسوله لعل الله يصلح
ذات بينهم ونواعدك الموسم من العام المقبل فرضي بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم انتهى اي
فلم يقع لهولاء الستة او الثمانية مبايعة ويسمى هذا ابتداء اسلام الانصار وربما سماه بعضهم
العقبة الاولى فلما كان العام المقبل قدم من الاوس والخزرج اثنا عشر رجلا اي عشرة من الخزرج
واثنان من الاوس وقيل كانوا احد عشر منهم خمسة من الستة او الثمانية الذين اجتمعوا به صلى الله عليه
وسلم عند العقبة اولا فاجتمعوا به صلى الله عليه وسلم اي وسميت المعاهدة مبايعة لتشبيهها بالمعاوضة
المالية وتلا عليهم اية النساء اي الاية التي انزلت بعد ذلك في شان النساء يوم الفتح لما فرغ من مبايعة
الرجال واراد مبايعة النساء فعن عبادة بن الصامت رضي الله عنه بايعنا رسول الله صلى الله

عليه

عليه وسلم بيعة النساء اي كبيعة النساء اي كمبايعته صلى الله عليه وسلم للنساء التي كانت يوم فتح مكة وهي
على ان لا نشرك بالله شيئا ولا نسرق ولا نزني ولا نقتل اولادنا اي لان قتل الاولاد كان شائعا
فيهم وهو واد البنات قيل والبنين خوف الاملاق وفي الزكاة جمهور العرب لا يسودون بناتهم
وكان بعض ربيعة ومضر يئدون وهو دفنهن احياء فبعضهم يئد خوف العيلة والافتقار وبعضهم
خوف السبي قال ولا ناتي ببهتان اي الكذب الذي يبهت سامعه نفتريه بين ايدينا وارجلنا
اي في الحال والاستقبال وقيل غير ذلك ولا نعصيه في معروف اي ما عرف من الشارع حسنه
نهيا وامرا قال الحافظ ابن حجر المبايعة المذكورة في حديث عبادة على الصفة المذكورة لم تقع ليلة
العقبة وانما نص بيعة العقبة ما ذكر ابن اسحق وغيره من اهل المغازي ان النبي صلى الله عليه وسلم
قال لمن حضر من الانصار ابايعكم على ان تمنعوني مما تمنعون منه نساءكم وابناءكم فبايعوه على
ذلك وعلى ان يرحل اليهم هو واصحابه ثم ذكر جملة من الاحاديث وقال فهذه ادلة مرجحة في ان
هذه بيعة نزول الاية بعد فتح مكة اقول ليس في كلام عبادة رضي الله عنه ان هذه البيعة
بيعة العقبة اذ لم يقل بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بيعة العقبة وان كان السياق يقتضيه
وحينئذ فلا يحسن ان يكون كلام عبادة شاهدا لمن قال وتلى عليهم اية النساء فلا يحسن التوزيع
المتقدم بل هو دليل على ان هذه المبايعة متاخرة عن يوم الفتح كما قال الحافظ والله اعلم زاد بعضهم
والسمع والطاعة في العسر واليسر والمنشط والمكره وان لا ننازع الامر اهله وان نقول الحق حيث
كنا لا نخاف في الله لومة لائم ثم قال صلى الله عليه وسلم ومن وفى بالتخفيف والتشديد اي ثبت
على العهد فاجره على الله ومن اصاب من ذلك شيئا فعوقب به في الدنيا فهو اي العقاب طهرة
له او قال كفارة له واستشكل بان ابا هريرة رضي الله عنه روى انه صلى الله عليه وسلم قال
لا ادري الحدود كفارة لاهلها ام لا واسلام ابي هريرة تاخر عن بيعة العقبة بست سنين كما
سياتي فانه كان عام خيبر في سنة سبع كما سياتي واجاب بان هذه البيعة التي ذكرها عبادة
رضي الله عنه ليست بيعة العقبة بل بيعة غيرها وقعت بعد فتح مكة كما علمت وحينئذ
يكون ما رواه ابو هريرة رضي الله عنه كان قبل ان يعلم صلى الله عليه وسلم ذلك ثم علم اي ان الحدود
كفارة قال صلى الله عليه وسلم ومن اصاب من ذلك شيئا فستره الله عليه فامره الى الله ان شاء
عفى له وان شاء عذبه اي وكون الحدود كفارة او طهرة مخصوص بغير الشرك فقتل المرتد
لا يكون كفارة وطهرة له لان الله لا يغفر ان يشرك به وفي رواية فان رضيتم فلكم الجنة
وان غشيتم من ذلك شيئا فاصبتم بحده في الدنيا فهو كفارة لكم وان سترتم عليه فامركم الى
الله ان شاء عذب وان شاء غفر اي وفي هذا رد على من قال بوجوب التعذيب لمن مات بلا توبة
وعلى من قال يكفر مرتكب الكبيرة فلما انصرفوا راجعين الى بلادهم بعث رسول الله صلى الله
عليه وسلم معهم ابن ام مكتوم رضي الله عنها واسمها عاتكة واسمه عمرو وقيل عبد الله وهو ابن خال
خديجة بنت خويلد ام المومنين رضي الله عنها قال الشعبي رحمه الله غزا رسول الله صلى الله عليه وسلم
ثلاث عشرة غزوة ما فيها غزوة الا واستخلف ابن ام مكتوم رضي الله عنه على المدينة فكان يصلي بهم

وليس له رواية ومصعب ابن عمير رضي الله تعالى عنهما يعلمان من اسلم منهم القران ويعلمانهم اي من اراد ان يسلم الاسلام
ويفقهانهم في الدين ويدعوان من لم يسلم منهم الى الاسلام وهذا ما في اكثر الروايات وهو يفيد انه صلى الله
عليه وسلم بعث بهما معًا ويدل له ما روي عن البراء بن عازب رضي الله عنه اول من قدم علينا من اصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم مصعب بن عمير وابن ام مكتوم رضي الله عنهما فجعلا يقرئان الناس القران
اي وفي رواية ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث اليهم مصعبا حين كتبوا اليه ان يبعثه اليهم وفي رواية
ثم بعثوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم معاذ بن عفرا ورافع بن مالك رضي الله عنهما ان ابعث الينا
رجلا من قبلك يفقهنا ويدعوا الناس بكتاب الله وفي رواية كتبوا اليه صلى الله عليه وسلم بذلك فبعث
اليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم مصعب بن عمير رضي الله عنه وكان يقال له المقرئ وهو اول من تسمى
بهذا الاسم وهذا يدل على ان مصعبا رضي الله عنه لم يكن معهم اقول وقد يقال لا منافاة لانه يجوز
ان يكون كتبوا وارسلوا اليه بذلك عند خروجهم من مكة وقبل ان ينصرفوا منها راجعين الى المدينة
والاقتصار على مصعب لا ينافي ما تقدم من ذكر ابن ام مكتوم معه ثم رايت ما يبعد الجمع الاول
وهو عن ابن اسحق رحمه الله ان رسول الله صلى الله عليه وسلم انما بعثه يعني مصعب بن عمير بعدهم
وانما كتبوا اليه ان الاسلام قد فشا فينا فابعث الينا رجلا من اصحابك يقرئنا القران ويفقهنا في
الاسلام ويعلمنا سنته وشرائعه ويقيمنا بسنته وشرائعه ويؤمنا في صلاتنا فبعث لهم مصعب بن عمير
رضي الله عنه وما يبعد الجمع الثاني وهو ما نقل عن الواقدي رحمه الله ان ابن ام مكتوم قدم المدينة بعد
بدر بيسير وفي كلام ابن قتيبة وقدم ابن ام مكتوم المدينة مهاجرا بعد بدر بسنتين وقد يقال لا منافاة لانه
يجوز ان يكون كل من مصعب بن عمير وابن ام مكتوم رجعا الى مكة بعد مجيئهما مع القوم وان يكاتبهم
بان الاسلام فشا فينا الى اخره كانت وهم بالمدينة فجاء اليهم مصعب رضي الله عنه وتخلف ابن ام مكتوم
رضي الله عنه فليتامل ذلك والله اعلم وهذه المبايعة يقال لها العقبة الاولى لوجود تلك المبايعة عندها
ولما قدم مصعب رضي الله عنه المدينة نزل على ابي امامة اسعد بن زرارة اي دون بقية رفقته
وكان سالم مولى ابي حذيفة يؤم المهاجرين بقبا قبل ان يقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان مصعب
رضي الله عنه يؤم القوم اي الاوس والخزرج لان الاوس والخزرج كره بعضهم ان يؤم بعض وجمع بهم
اول جمعة جمعت في الاسلام قبل قدومه صلى الله عليه وسلم المدينة وقبل نزول سورة الجمعة الامرة بها
فانها مدنية وقال الشيخ ابو حامد فرضت الجمعة بمكة ولم يتمكن من فعلها قال الحافظ ابن حجر وهو
غريب اي وعلى تقدير صحته فهو مما تقدم حكمه على تلاوته وعند ابن اسحق ان اول من جمع بهم ابو امامة اسعد
ابن زرارة رضي الله عنه وكانوا اربعين رجلا اي فعن كعب بن مالك رضي الله عنه قال اول من جمع بنا في
المدينة اسعد بن زرارة قبل مقدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة في نقيع الخضمات والنقيع بالنون
قبل والبا الموحدة لكن قال الخطابي انه خطأ والخضمات جمع خضمة وهي الماشية التي تخضم اي
تاكل بضمها كل ما في ذلك المحل من الكلا وهو اسم لقرية من قرى المدينة قال وكنا اربعين رجلا
اي ولا مخالفة لان مصعب بن عمير رضي الله عنه كان عند ابي امامة اسعد ابن زرارة رضي الله عنه
كما علمت فكان هو اول المعاون على الجمع وكان الخطيب والمصلي مصعب بن عمير رضي الله عنه فنسب

الجميع

التجميع لكل منهما اي ويكون ما في الرواية الاتية من ان اسعد بن زرارة هو الذي صلى بهم على النقيع اي
جمعهم على الصلاة ويؤيده ما تقدم من ان الاوس والخزرج كره بعضهم ان يؤمه بعض وايضا المامور
بالتجميع مصعب بن عمير كما سياتي قال السهيلي رحمه الله وتسميتهم اي الانصار اياها بهذا الاسم
اي تسميتهم اليوم بيوم الجمعة لاجتماعهم فيه هداية من الله تعالى لهم والا فكانت تسمى في الجاهلية العروبة
اي يسمى ذلك اليوم بيوم العروبة اي الرحمة وقال عليه الصلاة والسلام في حق ذلك اليوم
انه اليوم الذي فرض عليهم اي على اليهود والنصارى اي طلب منهم تعظيمه والتفرغ للعبادة فيه
كما فرض علينا اضلته اليهود والنصارى وهدانا الله تعالى له اي ان كلا من اليهود والنصارى
امر بذلك اليوم يعظمون فيه الحق سبحانه وتعالى ويتفرغون فيه لعبادته واختار اليهود من عند
انفسهم بدله السبت لانهم يزعمون انه اليوم السابع الذي استراح فيه الحق تعالى من خلق السموات
والارض وما فيهما من المخلوقات اي بناء على ان اول الاسبوع الاحد وانه مبدا الخلق قال
بعضهم وهو الراجح وفي كلام بعضهم اول الاسبوع الاحد لغة واوله السبت عرفا اي في عرف الفقها
في الايمان ونحوها ويؤيد الاول ان السبت ماخوذ من السبات وهي الراحة قال تعالى وجعلنا
نومكم سباتا اي راحة ظنا منهم انه اولى بالتعظيم لهذه الفضيلة واختارت النصارى من قبل انفسهم
بدل يوم الجمعة يوم الاحد اي بناء على انه اول يوم ابتدئ فيه بايجاد المخلوقات ظنا منهم انه اولى بالتعظيم
لهذه الفضيلة وحينئذ يكون معنى قوله اضلوه تركوه بعد علمهم به ويؤيد ذلك ما جاء ان الله تعالى
فرض على اليهود الجمعة فابوا وقالوا يا موسى اجعل لنا يوم السبت فجعل عليهم وهدى الله تعالى
المسلمين ليوم الجمعة اي وهداية المسلمين له تدل على انهم لم يعلموا عينه وانما اجتهدوا فيه فصادفوه
وفي سفر السعادة كان من عوائده الكريمة صلى الله عليه وسلم ان يعظم يوم الجمعة غاية التعظيم
ويخصه بانواع التشريف والتكريم وجاء ان اهل الجنة يتباشرون في الجنة بيوم الجمعة كما يتباشر
اهل الدنيا به في الدنيا واسمه عندهم يوم المزيد كما تقدم لان الله تعالى يتجلى عليهم في ذلك
اليوم ويعطيهم كلما يتمنونه ويقال لهم لكم ما تمنيتم ولدي مزيد فهم يحبون يوم الجمعة لما يعطيهم فيه
ربهم من الخير وقد جاء في المرفوع يوم الجمعة سيد الايام واعظمها عند الله تعالى فهو في الايام كشهر
رمضان في الشهور وساعة الاجابة فيه كليلة القدر في رمضان والذي في البخاري ثم هذا
اي يوم الجمعة يومهم الذي فرض عليهم اي على اليهود والنصارى فاختلفوا فيه فهدانا الله تعالى
له فالناس لنا فيه تبع اليهود غدا والنصارى بعد غد وقوله فاختلفوا فيه يدل على انهم لم يعلموا
عينه ويوافقه ما نقل عن بعض اهل العلم ان اليهود امروا بيوم من الاسبوع يعظمون الله تعالى
فيه ويتفرغون لعبادته فاختاروا من قبل انفسهم السبت فاكرهوه في شرعهم وكذلك النصارى
امروا على لسان عيسى عليه السلام بيوم من الاسبوع فاختاروا من قبل انفسهم الاحد فالتزم
شرعا لهم وهو يخالف ما سبق فليتامل قال بعضهم والراجح ان اول الاسبوع السبت لانه اول
يوم ابتدا فيه بايجاد المخلوقات فقد جا في الصحيح ان الله خلق التربة يوم الاربعا كذا في مسلم
وعليه يشكل تسمية اليوم الذي يليه الاحد واجيب بانه من تسمية اليهود وتبعهم غيرهم وقد ذكر

السهيلي رحمه الله ان تسمية هذه الايام طارية ولو كان سبحانه سماها في القران بهذه الاسماء المشتقة
من العدد لقلنا هي تسمية صادقة لكنه لم يذكر منها الا يوم الجمعة والسبت وانهما مشتقتين من العدد
هذا كلامه ورد بانه جا ان الله تعالى خلق يوما فسماه الاحد ثم خلق ثانيا فسماه الاثنين ثم خلق ثالثا
فسماه الثلاثا ثم خلق رابعا فسماه الاربعا ثم خلق خامسا فسماه الخميس واجاب ابو محمد البيهقي رحمه الله
بان هذه اي التسمية المذكورة لم تثبت وان العرب تسمي خامس الورد اربعا هذا كلامه فيكون اول
الاسبوع السبت ثم رايت السهيلي رحمه الله قال لم يسمها رسول الله صلى الله عليه وسلم بالاحد
والاثنين الى سايرها الا حاكيا للغة قومه لا مبتديا تسميتها ولعل قومه ان يكونوا اخذوا معاني هذه
الاسما من اهل الكتاب المجاورين لهم فالقوا عليهم هذه الاسما اتباعا لهم هذا كلامه فليتامل وفي البيان
للهمداني اكرم الله موسى بالسبت وعيسى بالاحد وداود بالاثنين وسليمان بالثلاثا ويعقوب
بالاربعا وادم عليه السلام بالخميس ومحمدا صلى الله عليه وسلم بالجمعة وهذا يدل على ان اليهود لم يختاروا
يوم السبت والنصارى يوم الاحد من عند انفسهم فليتامل وقد سيل صلى الله عليه وسلم عن يوم السبت
فقال يوم مكر وخديعة اي وقع فيه المكر والخديعة لانه اليوم الذي اجتمعت فيه قريش في دار
الندوة للاستشارة في امره صلى الله عليه وسلم كما سياتي وسيل عن يوم الاحد قال يوم غرس وعمارة
لان الله تعالى ابتدا فيه خلق الدنيا وعمارتها وفي رواية لان الجنة بنيت فيه وغرست وسيل عن يوم
الاثنين فقال يوم سفر وتجارة لان فيه سافر شعيب عليه السلام فربح في تجارته وسيل عن يوم الثلاثا
فقال يوم دم لان فيه حاضت حوى وقتل ابن ادم اخاه وذكر الهمداني في السبعيات ايضا انه قتل
فيه سبعة جرجيس عليه السلام وزكريا ويحيى ولده وسحرة فرعون واسية بنت مزاحم امراة فرعون
وبقرة بني اسرايل وهابيل ابن ادم وفي قصة كل واحد اي ومن ثم نهى صلى الله عليه وسلم عن الحجامة يوم
الثلاثا اشد النهي وقال فيه ساعة لا يرقا فيها الدم وفيه نزل ابليس الى الارض وفيه خلقت جهنم
وفيه سلط الله ملك الموت على ارواح بني ادم وفيه ابتلي ايوب عليه السلام وفي بعض الروايات
ان اليوم الذي ابتلي فيه ايوب يوم الاربعا وسيل عن يوم الاربعا قال يوم نحس لان فيه اغرق فرعون
وقومه واهلك فيه عاد وثمود وقوم صالح اي ومن ثم كان يسمى في الجاهلية دبار والدبار الهلاك لكن
في الحديث الموقوف على ابن عباس الذي لا يقال من قبل الراي اخر اربعا في الشهر يوم نحس مستمر
وجا يوم الاربعا لا اخذ ولا عطا وذكر الزمخشري ان بعضهم قال لاخيه اخرج معي في حاجة
فقال هذا يوم الاربعا قال فيه ولد يونس قال لا جرم قد بانت له بركته اي حيث التقمه الحوت
قال وفيه ولد يوسف قال فما احسن ما فعل به اخوته حتى طال حبسه وغربته قال وفيه نصر
المصطفى يوم الاحزاب قال اجل ولكن بعد ان زاغت الابصار وبلغت القلوب الحناجر وورد
في بعض الاثار النهي عن قص الاظفار يوم الاربعا وانه يورث البرص وعن ابن الحاج صاحب
المدخل انه هم بقص اظفاره يوم الاربعا فتذكر ذلك فترك ثم راى ان قص الاظفار سنة
حاضرة ولم يصح عنده النهي فقصها فلحقه البرص فراى النبي صلى الله عليه وسلم في النوم فقال له الم تسمع نهيي
عن ذلك فقال يا رسول الله لم يصح ذلك عندي فقال يكفيك ان تسمع ثم مسح صلى الله عليه وسلم بيده

علي

علي بدنه فزال البرص جميعا قال ابن الحاج فجددت مع الله توبة اني لا اخالف ما سمعت عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم ابدا وجا في حديث خرجه ابن ماجة عن ابن عمر مرفوعا وخرجه الحاكم من طريقين احدهما لا يبدو جذام ولا برص
الا يوم الاربعا وكره بعضهم عيادة المريض يوم الاربعا وفي منهاج الحليمي وشعب الايمان للبيهقي ان الدعا مستجاب
يوم الاربعا بعد الزوال قبل وقت العصر لانه صلى الله عليه وسلم استجيب له الدعا على الاحزاب في ذلك اليوم
في ذلك الوقت وكان جابر يتحرى ذلك بالدعا في مهماته وذكر ان ما بدي بشي يوم الاربعا
الا وتم فينبغي البداة بنحو التدريس فيه وسيل عن يوم الخميس فقال يوم قضا الحوايج لان فيه دخل ابراهيم
الخليل على ملك مصر فقضى حاجته واعطاه هاجر ومن ثم زاد في رواية والدخول على السلطان وسيل
عن يوم الجمعة فقال يوم نكاح نكح فيه ادم حوا ويوسف زليخا وموسى بنت شعيب وسليمان عليهما السلام
بلقيس اي ونكح فيه محمد صلى الله عليه وسلم خديجة وعايشة وعن ابن عباس رضي الله عنهما اذن النبي
صلى الله عليه وسلم لهم قبل الهجرة اي قبل ان يهاجر صلى الله عليه وسلم في اقامة الجمعة اي فلم يفعلوها
باجتهاد بل باذنه صلى الله عليه وسلم كتب الى مصعب بن عمير اما بعد فانظر الى اليوم الذي تجهر فيه
اليهود بالزبور لسبتهم اي اليوم الذي يليه يوم السبت فاجمعوا نساكم وابناكم فاذا مال النهار عن شطره
فتقربوا الى الله بركعتين فجمع مصعب بن عمير عند الزوال اي صلى الجمعة حتى قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم
اي استمر على ذلك حتى قدم النبي صلى الله عليه وسلم وهذا يدل على انه صلى الله عليه وسلم عين لهم ذلك
اليوم وهو خلاف قوله السابق فهداهم الله له الظاهر في ان هدايتهم له باجتهاد منهم ويدل له ما روي
عن ابن عباس باسناد صحيح ان الانصار قالوا ان اليهود يوما يجتمعون فيه كل سبعة ايام وللنصارى
مثل ذلك فهلم فلنجعل يوما نجتمع فيه فنذكر الله ونصلي ونشكره فجعلوه يوم العروبة اي لانه اليوم
الذي وقع فيه خلق ادم الذي هو مبتدا هذا الجنس وجعل فيه ابتدا فنا الخلق وانقضاوهم اذ فيه
تقوم الساعة ففيه المبدا والمعاد اذ هذا المروي عن ابن عباس يقتضي ان الانصار اختاروه باجتهادهم
الا ان يقال لا مخالفة لانه يجوز ان يكون هذا العزم على ذلك حصل منهم اولا ثم ارسلوا له صلى الله عليه
وسلم يستاذنونه في ذلك فاذن لهم فيه فقد جا الوحي موافقة لما اختاروه وفيه انه لو كان كذلك لقال
صلى الله عليه وسلم لمصعب بن عمير افعلوا ذلك ولم يقل له انظروا الى اليوم الى اخره الا ان يقال يجوز انهم
لما استاذنوه صلى الله عليه وسلم في الاجتماع لم يعينوا له اليوم فعينه صلى الله عليه وسلم لهم وتقدم عن الشيخ ابي
حامد ان الجمعة امر بها صلى الله عليه وسلم وهو بمكة وتركها لعدم التمكن من فعلها وتقدم عن الحافظ
ابن حجر انه غريب ويويده انه لو كان امره بها صلى الله عليه وسلم وهو بمكة وتركها لعدم التمكن من فعلها
لامر بها مصعب بن عمير عند ارساله للمدينة ولم يامره بها الا بعد ذلك الا ان يقال انه لم يامره
بها حينيذ لانه يجوز ان يكون صلى الله عليه وسلم انما امر بها بعد ذهاب مصعب الى المدينة او انه انما
لم يامره بذلك حينيذ لان لاقامتها شروطا منها العدد وهو عند امامنا الشافعي رضي الله عنه اربعون بشروط
ولم يكن ذلك موجودا عند ارساله ومن ثم لما علم صلى الله عليه وسلم وجود العدد المذكور ارسل له بامره
بذلك في قوله اما بعد فانظر اليوم الى اخره ثم لا يخفى ان ظاهر سياق الروايات يدل على ان الذي
هداهم الله اليه انما هو ايقاع العبادة في هذا اليوم لا تسميته بيوم الجمعة كما تقدم عن السهيلي على ان

تسميتهم له بذلك لم اقف عليها في رواية على ان السهيلي ذكر عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ان النبي
صلى الله عليه وسلم سماها يوم الجمعة لما ارسل لمصعب بن عمير ان يفعلها كما تقدم في الاسرا وذكر ايضا ان
كعب بن لوي اول من سمى يوم العروبة الجمعة وقد يقال لا مخالفة لانه يحتمل ان يكون الانصار ومن معهم
من المهاجرين لم يبلغهم ما ذكر عن كعب بن لوي أن شيث انهم سموها بهذا الاسم اجتهادا منهم وعن
ابي هريرة رضي الله عنه انه سال رسول الله صلى الله عليه وسلم عن سبب تسمية هذا اليوم بيوم الجمعة فقال
لان فيها جمعت طينة ابيك ادم وقدمنا انه لا مخالفة بين ما هنا وما تقدم في الاسرا والله اعلم واسلم سعد
بن معاذ وابن عمه اسيد بن حضير على يد مصعب بن عمير وكان اسلام اسيد قبل سعد في يوم فعن ابن اسحق
ان اسعد بن زراره خرج بمصعب بن عمير الى حايط اي بستان من حوايط بني ظفر فجلسا فيه واجتمع
اليهما رجال ممن اسلم وسعد بن معاذ واسيد بن حضير يومئذ سيدا قومهما اي بني عبد الاشهل وكلاهما
مشرك على دين قومه فقال سعد بن معاذ لاسيد بن حضير لا ابا لك انطلق بنا الى هذين الرجلين يعني
اسعد ابن زراره ومصعب بن عمير اللذين اتيا دارنا تثنية دار وهي المحلة المعروفة والمراد قبيلتنا
وعشيرتنا ليسفها ضعفانا فازجرهما وانههما اي وفي لفظ قال له اسعد بن زرارة فازجره عنا
فليكف عنا ما نكره فانه بلغني انه قد جاء بهذا الرجل الغريب يسفه سفهاءنا وضعفانا فانه لولا اسعد
بن زراره مني حيث علمت لكفيتك ذلك هو ابن خالتي ولا اجد عليه مقدما فاخذ اسيد بن حضير
حربته ثم اقبل اليهما فلما راه اسعد بن زراره قال لمصعب هذا سيد قومه قد جاءك فاصدق الله فيه
ثم قال مصعب ان يجلس هذه كلمة قال فوقف عليهما متشتما فقال ما جاء بكما الينا تسفهان ضعفانا
اعتزلا عنا ان كانت لكما بانفسكما حاجة وفي لفظ قال يا اسعد ما لنا ولك تاتينا بهذا الرجل
الغريب تسفه به سفهاءنا وضعفانا وفي رواية على ما تاتينا في دورنا بهذا الرجل الغريب الطريد
يسفه ضعفانا بالباطل ويدعوهم اليه فقال له مصعب او تجلس بفتح الواو استفهاما فتسمع بالنصب
في جواب الاستفهام فان رضيت امرا قبلته وان كرهته كف عنك ما تكره اي منعنا عنك ما تكره فقال
انصفت ثم ركز حربته وجلس اليهما فكلمه مصعب بالاسلام وقرا عليه القران فقال ما احسن هذا
واجمله بالنصب على التعجب كيف تصنعون اذا اردتم ان تدخلوا في هذا الدين قالا له تغتسل وتتطهر وتغسل
ثوبيك ثم تشهد شهادة الحق ثم تصلي فقام واغتسل وطهر ثوبيه وشهد شهادة الحق ثم قام فركع
ركعتين اي وهما صلاة التوبة فقد روى اصحاب السنن وقال الترمذي حديث حسن انه صلى الله
عليه وسلم قال ما من عبد يذنب ذنبا فيحسن الطهور ثم يقوم يصلي ركعتين ثم يستغفر الله عز وجل الا
غفر له ثم قال لهما ان وراي رجلا ان اتبعكما لم يتخلف عنه احد من قومه وسارسله اليكما الان
وهو سعد بن معاذ ثم اخذ حربته فانصرف الى سعد وقومه وهم جلوس في ناديهم فلما نظر اليه
سعد مقبلا قال احلف بالله لقد جاكم اسيد بغير الوجه الذي ذهب به من عندكم فلما
وقف على النادي قال له سعد ما فعلت قال كلمت الرجلين فوالله ما رايت بهما باسا وقد نهيتهما
فقالا نفعل ما احببت وقد حدثت ان بني حارثة خرجوا الى اسعد بن زراره ليقتلوه وذلك انهم
عرفوا انه ابن خالتك ليخفروك اي ينقضوا عهدك فقام سعد مغضبا مبادرا فاخذ الحربة من

يده وقال والله ما اراك اغنيت شيا ثم خرج اليهما ولما اقبل سعد قال اسعد لمصعب لقد جاكم
والله سيد من وراه من قومه ان يتبعك لا يتخلف عنك منهم اثنان فلما راهما سعد مطمينين عرف
سعد ان اسيدا انما اراد منه ان يسمع منهما فوقف عليهما متشتما ثم قال لاسعد بن زراره يا ابا امامة
والله لولا ما بيني وبينك من القرابة ما رمت مني هذا اتغشانا في دارنا بما نكره فقال له مصعب او
تقعد فتسمع فان رضيت امرا قبلته وان كرهته عزلنا عنك ما تكره فقال سعد انصفت ثم ركز الحربة
وجلس فعرض عليه الاسلام وعرض عليه القران فقال لهما كيف تصنعون اذا انتم اسلمتم ودخلتم
في هذا الدين قالا تغتسل فتطهر وتطهر ثوبيك ثم تشهد شهادة الحق ثم تركع ركعتين فقام فاغتسل
وطهر ثوبيه ثم شهد شهادة الحق ثم ركع ركعتين ثم اخذ حربته فاقبل عامدا الى نادي قومه ومعه اي
مع ذلك النادي اسيد بن حضير فلما راه قومه مقبلا قالوا نحلف بالله لقد رجع اليكم سعد بغير الوجه
الذي ذهب به من عندكم فلما وقف عليهم قال يا بني عبد الاشهل كيف تعلمون امري فيكم قالوا سيدنا
وافضلنا رايا واميننا اي ابركنا نقيبة اي نفسا وامرا قال فان كلام رجالكم ونسايكم علي حرام
حتى تومنوا بالله ورسوله قال فوالله ما امسى في داري قبيلة بني الاشهل رجل ولا امراة الا مسلما
ومسلمة فاسلموا في يوم واحد كلهم وكان ذلك بعد العقبة الاولى وقبل العقبة الثانية الا ما كان
من الاصيرم وهو عمرو بن ثابت من بني الاشهل فانه تاخر اسلامه الى يوم احد فاسلم واستشهد ولم
يسجد لله سجدة واخبر صلى الله عليه وسلم انه من اهل الجنة اي وفي كلام ابن الجوزي اول دار اي قبيلة اسلمت
من دور الانصار دار بني الاشهل ثم رجع عبد مصعب الى دار سعد بن زراره فاقام عنده يدعو الناس
الى الاسلام حتى لم يبق دار من دور الانصار الا وفيها رجال ونسا مسلمون الا ما كان من سكان
عوالي المدينة اي قراها من جهة نجد قال وفي كلام بعضهم الا جماعة من الاوس من بني حارثة
وذلك انه كان فيهم ابو قيس وهو صيفي بن الاسلت وكان شاعرا لهم يسمعون منه ويطيعونه
لانه كان قواله بالحق معظما قد ترهب في الجاهلية ولبس المسوح واغتسل من الجنابة ودخل بيتا
له فاتخذه مسجدا وقال اعبد رب ابراهيم لا يدخل فيه حايض ولا جنب فوقف فيهم عن الاسلام فلم يزل
على ذلك حتى هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة ومضى بدر واحد والخندق فاسلم وحسن
اسلامه وهو شيخ كبير انتهى اي وسبب تاخر اسلامه ما ذكره بعضهم انه لما اراد الاسلام عند قدومه
صلى الله عليه وسلم المدينة لقيه ابي ابن سلول وكلمه بما اغضبه ونفره عن الاسلام وقال ابو قيس لا اتبعه
الا اخر الناس فلما احتضر ارسل اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ان قل لا اله الا الله اشفع لك بها
فقالها وهم ابنه ان ينكح امراة ابيه اي على ما هو عادة الجاهلية اي كان ذلك في المدينة حتى في اول
الاسلام ان اكبر اولاد الرجل يخلفه على زوجته بعد موته فنزل التحريم اي قوله ولا تنكحوا ما نكح
اباوكم من النسا وتقدم الكلام على سبب نزول هذه الاية مستوفيا ثم ان مصعب بن عمير رجع
الى مكة مع من خرج من المسلمين من الانصار الى الموسم مع حجاج قومهم من اهل الشرك حتى قدموا مكة اي
واخبر النبي صلى الله عليه وسلم عمن اسلم فسر بذلك وعن كعب بن مالك قال خرجنا مع حجاج قومنا
من المشركين ومعنا البراء بن معرور سيدنا وكبيرنا فلما برزنا بالمدلفة اخر ليلة من الشهر سمي بذلك لانه

ولد فيها ومعرور معناه لغة مقصود فلما خرجنا من المدينة قال البراء لنا اني قد رايت رايا ما ادري اتوافقوني
عليه ام لا قال قلنا وما ذاك قال رايت ان لا ادع هذه البنية اي بفتح الموحدة وكسر النون وتشديد التحتية
تحت المفتوحة ثم تا التانيث على وزن فعيلة يعني الكعبة مني بظهر وان اصلي اليها قال فقلنا والله ما بلغنا
ان نبينا صلى الله عليه وسلم الا الى الشام يعني بيت المقدس اي صخرته وما نريد ان نخالفه قال اني اصلي
اليها قال فقلنا له لكنا لا نفعل قال فكنا اذا حضرت الصلاة صلينا الى الشام يعني بيت المقدس
اي واستدبرنا الكعبة وصلى هو الى الكعبة اي مستدبر الشام حتى قدمنا مكة وقد كنا عبنا عليه ذلك
وابى الا الاقامة على ذلك فلما قدمنا مكة كنا عبنا عليه قال لي يا ابن اخي انطلق بنا الى رسول الله صلى
الله عليه وسلم حتى اساله عما صنعت في سفري هذا فانه والله لقد وقع في نفسي منه شي لما رايت من خلافكم
اياي فيه قال فخرجنا نسال عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وكنا لا نعرفه لانا لم نره قبل ذلك فلقينا
رجلا من اهل مكة فسالناه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال هل تعرفانه قلنا لا قال فهل تعرفان العباس
بن عبد المطلب عمه قلنا نعم وكنا نعرف العباس كان لا يزال يقدم علينا تاجرا قال فاذا دخلتما
المسجد فاذا هو الرجل الجالس مع العباس كان لا يزال يقدم علينا تاجرا قال فاذا دخلتما المسجد
فاذا هو الرجل الجالس مع العباس فدخلنا المسجد فاذا العباس جالس ورسول الله صلى الله عليه وسلم
للعباس هل تعرف هذين الرجلين يا ابا الفضل قال نعم هذا البراء بن معرور سيد قومه وهذا
كعب بن مالك قال كعب فوالله ما انسى قول رسول الله صلى الله عليه وسلم الشاعر قال نعم فقال
له البراء بن معرور يا نبي الله اني خرجت في سفري هذا وقد هداني الله بالاسلام فرايت ان لا
اجعل هذه البنية مني بظهر يعني الكعبة فصليت اليها وخالفني اصحابي في ذلك حتى وقع في
نفسي من ذلك شي فماذا ترى يا رسول الله قال كنت على قبلة لو صبرت عليها فرجع البراء الى قبلة
رسول الله صلى الله عليه وسلم وهي بيت المقدس اي ولم يامره باعادة الصلاة مع انه كان متاولا فليتامل
وفي هذا تصريح بانه صلى الله عليه وسلم واصحابه كانوا بمكة قبل الهجرة وبعدها يصلون الى بيت المقدس
قبل ان تحول القبلة وقد تقدم الوعد بذلك قال كعب ثم خرجنا الى الحج وواعدنا رسول الله صلى
الله عليه وسلم العقبة اي الى ان يوافوه في الشعب الايمن اذا انحدروا من منى اسفل العقبة حيث
المسجد اليوم اي الذي يقال له مسجد البيعة كما تقدم وامرهم ان لا ينبهوا نائما ولا ينتظروا غائبا وذلك في
ليلة اليوم الذي هو النفر الاول قال فلما فرغنا من الحج وكانت الليلة التي واعدنا رسول الله صلى
الله عليه وسلم لها كنا نكتم من معنا من قومنا من المشركين امرنا وكان من جملة المشركين ابو جابر
عبد الله بن عمرو بن حرام بفتح الحاء والرا المهملتين سيد من ساداتنا فكلمناه وقلنا له يا ابا جابر انك
سيد من ساداتنا وشريف من اشرافنا وانا نرغب بك عما انت فيه ان تكون حطبا للنار غدا ثم
دعوناه الى الاسلام فاسلم واخبرناه بميعاد رسول الله صلى الله عليه وسلم فشهد معنا العقبة فكنا تلك
الليلة مع قومنا في رحالنا حتى اذا مضى ثلث الليل خرجنا من رحالنا لميعاد رسول الله صلى الله عليه وسلم
اي بعد الليل خرجنا هرابا نتسلل الرجل والرجلان تسلل القطا مستخفين حتى اذا اجتمعنا في
الشعب عند العقبة ونحن ثلاث وسبعون رجلا وامراتان نسيبة بالتصغير وهي ام عمارة من بني

النجار

النجار اي وكانت تشهد الحرب مع رسول الله صلى الله عليه وسلم هي وزوجها وابناها حبيب وعبد الله وحبيب
هذا اخذه مسيلمة الكذاب وصار يقول له اتشهد ان محمدا رسول الله فيقول نعم ثم يقول اتشهد
اني رسول الله فيقول لا فيقطع عضوا من اعضائه وهكذا حتى فنيت اعضاؤه ومات وسياتي
ما وقع لها في حرب مسيلمة وام منيع اي وهذه الرواية لا تخالف رواية الحاكم خمسة وسبعون نفسا
نعم تخالف قول ابن مسعود وهم سبعون رجلا يزيدون رجلا او رجلين وامراتان اي منهم احد عشر
من الاوس قال فلا زلنا ننتظر رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى جاءنا اي وفي رواية ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم سبقهم وانتظرهم اقول وقد يقال لا مخالفة لانه يجوز ان يكون سبقهم وانتظرهم
فلما لم يجيئوا ذهب ثم جاءهم بعد مجيئهم والله اعلم جاءهم ومعه عمه العباس بن عبد المطلب اي ليس
معه غيره وهو يومئذ على دين قومه الا انه احب ان يحضر امر ابن اخيه ويتوثق له اقول
وهذا يخالف ما جاء انه كان معه ايضا ابو بكر وعلي لان العباس اوقف عليا على فم الشعب
عينا له واوقف عليا على فم الطريق الاخر عينا فلم يكن معه عندهم الا العباس والله اعلم فلما
جلس كان العباس اول من تكلم فقال يا معشر الخزرج اي قال ذلك لان العرب كانت تطلق
الخزرج على ما يشمل الاوس وكانت تغلب الخزرج على الاوس فيقولون الخزرجيين ان محمدا منا
حيث قد علمتم وقد منعناه من قومنا ممن هو على مثل راينا فهو في عز من قومه ومنعة في بلده
وقد ابى الا الانحياز اليكم واللحوق بكم فان كنتم ترون انكم وافون له بما دعوتموه اليه ومانعوه ممن خالفه
فانتم وما تحملتم من ذلك وان كنتم ترون انكم مسلموه وخاذلوه بعد الخروج به اليكم فمن الان فدعوه فانه
في عز ومنعة من قومه وبلده فقال البراء بن معرور انا والله لو كان في انفسنا غير ما ننطق به لقلناه
ولكنا نريد الوفا والصدق وبذل مهج انفسنا دون رسول الله صلى الله عليه وسلم اي والبراء بن معرور
هو اول من اوصى بثلث ماله وفي رواية ان العباس قال قد ابى محمد الناس كلهم غيركم فان كنتم
اهل قوة وجلد وبصر بالحرب واستقلال بعداوة العرب قاطبة سترميكم عن قوس واحدة فارتاوا
رايكم وائتمروا بينكم ولا تفترقوا الا عن ملا منكم واجتماع فان احسن الحديث اصدقه اقول قول
العباس قد ابى محمد الناس كلهم غيركم ربما يفيد ان الناس غير الانصار دعوا في مناصرته
فاباهم ولا يساعد عليه ما تقدم ولولا التاكيد بلفظ كلهم لامكن ان يراد بالناس قبيلة شيبان
بن ثعلبة فانهم كما تقدم قالوا له ننصرك فيما يلي مياه العرب دون ما يلي مياه كسرى فابى ذلك ويحتمل
ان المراد بالناس الذين اباهم اهله وعشيرته والله اعلم وعندما تكلم العباس بما ذكر قالوا له قد
سمعنا مقالتك فتكلم يا رسول الله فخذ لنفسك ولربك ما احببت وفي رواية خذ لنفسك
ما شئت واشترط لربك ما شئت فقال النبي صلى الله عليه وسلم اشترط لربي عز وجل ان تعبدوه
ولا تشركوا به شيا ولنفسي ان تمنعوني مما تمنعون منه انفسكم وابناءكم ونساءكم فقال ابن رواحة
فاذا فعلنا ذلك فما لنا فقال صلى الله عليه وسلم لكم الجنة قالوا ربح البيع لا نقيل ولا نستقيل وفي رواية
فتكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم فتلا القران ودعا الى الله عز وجل ورغب في الاسلام
ثم قال ابايعكم على ان تمنعوني فاتمنعون منه نساءكم وابناءكم اي وفي رواية انهم قالوا له يا رسول الله

نبايعك قال تبايعوني على السمع والطاعة في النشاط والكسل والنفقة في العسر واليسر وعلى
الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وان تقولوا في الله لا تخافوا في الله لومة لائم وعلى ان تنصروني
فتمنعوني اذا قدمت عليكم مما تمنعون منه انفسكم وازواجكم وابناءكم ولكم الجنة فاخذ البراء بن
معرور بيده صلى الله عليه وسلم ثم قال نعم والذي بعثك بالحق لنمنعنك مما نمنع به ازرنا اي نساءنا
وانفسنا لان العرب تكني بالازار عن المراة وعن النفس فنحن والله اهل الحرب واهل الحلقة اي
السلاح ورثناها كابرا عن كابر وبينا البراء يكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ابو الهيثم
بن التيهان بتشديد المثناة تحت وتخفيفها فقيل على صيغة الحال وقيل للاشراف فقال
العباس اخفوا جرسكم اي صوتكم فان علينا عيونا ثم قال ابو الهيثم يا رسول الله ان بيننا
وبين الرجال يعني اليهود حبالا اي عهودا وانا قاطعوها فهل عسيت ان نحن فعلنا ذلك
ثم اظهرك الله ان ترجع الى قومك وتدعنا فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال الدم الدم
والهدم الهدم بفتح الدال وسكونها اهدار دم القتيل اي ودمكم اي تطلبون بدمي واطلب
بدمكم ودمي ودمكم واحد وفي لفظ بل اللدم اللدم وهو بالتحريك الحرم من القرابات اي حرمي حرمكم
تقول العرب اللدم اللدم اذا ارادت تاكيد المحالفة وهدمي وهدمكم واحد اي واذا اهدرتم الدم
اهدرته وذمتي ذمتكم ورحلي مع رحلكم انا منكم وانتم مني احارب من حاربتم واسالم من
سالمتم اي وعند قال لهم العباس عليكم بما ذكرتم ذمة الله مع ذمتكم وعهد الله مع عهدكم في هذا
الشهر الحرام والبلد الحرام يد الله فوق ايديكم لتجدن في نصرته ولتشدن من ازره قالوا جميعا
نعم قال العباس اللهم انك سامع وشاهد وان ابن اخي قد استرعاهم ذمته واستحفظهم نفسه
اللهم كن لابن اخي عليهم شهيدا ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اخرجوا الي منكم اثني عشر نقيبا
يكونون على قومهم بما فيهم فاخرجوا تسعة من الخزرج وثلاثة من الاوس اي وفي رواية انه صلى
الله عليه وسلم قال لهم ان موسى اخذ من بني اسرائيل اثني عشر نقيبا فلا يجدن احد في نفسه
ان يوخذ غيره فانما يختار لي جبريل اي لانه حضر البيعة فلما تخيرهم اي وهم سعد بن عبادة
واسعد بن زراره وسعد بن الربيع وسعد بن خيثمة والمنذر بن عمرو وعبد الله بن رواحة
والبراء بن معرور وابو الهيثم بن التيهان واسيد بن حضير وعبد الله بن عمرو بن حرام وعبادة
بن الصامت ورافع بن مالك كل واحد على قبيلة وقال للنقباء انتم كفلاء على غيركم
ككفالة الحواريين لعيسى بن مريم وانا كفيل على قومي يعني المهاجرين وقيل ان الذي تولى
الكلام من الانصار وشد العقد لرسول الله صلى الله عليه وسلم اسعد بن زراره اي وهو من اصغرهم
فانه اخذ بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال رويدا يا اهل يثرب انا لم نضرب اليه اكباد
الابل الا ونحن نعلم انه رسول الله صلى الله عليه وسلم وان اخراجه اليوم مفارقة جميع العرب
وقتل خياركم وان تعضكم السيوف فاما انتم قوم تصبرون عليها اذا مستكم وبقتل خياركم ومفارقة
العرب كافة اي جميعا فخذوه واجركم على الله تعالى واما انتم تخافون من انفسكم خيفة
فذروه فهو عذر لكم عند الله تعالى فقالوا يا اسعد امط عنا يدك فوالله لا نذر هذه

البيعة

البيعة ولا نستقيلها اي لا نطلب الاقالة منها وقيل ان الذي تكلم من الانصار وشد العقد العباس بن
عبادة بن نضلة قال يا معشر الخزرج هل تدرون علام تبايعون هذا الرجل انكم تبايعونه على حرب الاحمر
والاسود من الناس اي على من حاربه منهم والا فهو صلى الله عليه وسلم لم يوذن له في البداءة بالمحاربة الا بعد
ان هاجر الى المدينة بمدة كما سياتي وكان قبل ذلك مامورا بالدعاء الى الله تعالى والصبر على الاذى والصفح
عن الجاهل ثم ذكر ما تقدم عن اسعد بن زراره اي ثم تواثقوا على ذلك وقالوا يا رسول الله ما لنا بذلك
ان نحن قضينا قال رضوان الله والجنة قالوا رضينا ابسط يدك فبسط يده صلى الله عليه وسلم فبايعوه
اي واول من بايعه البراء بن معرور وقيل اسعد بن زراره وقيل ابو الهيثم بن التيهان ثم بايعه
السبعون كلهم اي وبايعه المرأتان المذكورتان من غير مصافحة لانه صلى الله عليه وسلم كان لا يصافح
النساء انما كان ياخذ عليهن فاذا احرزن قال اذهبن فقد بايعتكن كما سياتي فكانت هذه البيعة
على حرب الاسود والاحمر اي العرب والعجم فهؤلاء الثلاثة لم يتقدم عليهم احد غيرهم وحينئذ تكون الاولية
فيهم حقيقية واضافية اي ويقال ان ابا الهيثم قال ابايعك يا رسول الله على ما بايع عليه الاثنا عشر
نقيبا من بني اسرائيل موسى بن عمران عليه السلام وان عبد الله بن رواحة قال ابايعك يا رسول الله على
ما بايع عليه الاثنا عشر من الحواريين عيسى بن مريم عليه السلام وقال اسعد بن زراره ابايع الله
عز وجل يا رسول الله فابايعك على ان اتم عهدي بوفائي واصدق قولي بفعلي في نصرك وقال
النعمان بن حارثة ابايع الله يا رسول الله وابايعك على الاقدام في امر الله عز وجل لا ارأف فيه
القريب ولا البعيد اي لا اعامل بالرافة والرحمة وقال عبادة بن الصامت ابايعك يا رسول
الله على ان لا تاخذني في الله لومة لائم وقال سعد بن الربيع ابايع الله وابايعك يا رسول الله على
ان لا اعصي لكما امرا ولا اكذبكما حديثا فلما انتهت البيعة وهذه البيعة يقال لها العقبة الثانية
اي لما وقعت صرخ الشيطان من راس العقبة بانفذ صوت وابعده يا اهل الجباجب اي جمع الاولى
مفتوحة والثانية مكسورة وبعد كل جيم باء موحدة وهي منازل منى وفي المصري يا اهل الاخاشب
هل لكم في مذمم والصباة معه يعني بمذمم النبي صلى الله عليه وسلم لان قريشا كانت تقول بدل محمد
صلى الله عليه وسلم مذمم ويعني بالصباة اصحابه الذين بايعوه لانهم كانوا يقولون لمن اسلم صابي
لان الصابي من خرج من دين الى دين وقد جاء الا تعجبون كيف يصرف الله عني شتم قريش ولعنهم
يسبون مذمما ويلعنون مذمما وانا محمد فانهم قد اجمعوا اي عزموا على حربكم فقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم هذا ازب العقبة اسمع اي عدو الله اما والله لافرغن لك وازب بكسر الهمزة واسكان
الزاي ثم بالموحدة الخفيفة وقيل بفتح الهمزة وفتح الزاي وتشديد الموحدة اي شيطان يسمى
بهذا الاسم المركب من المضاف والمضاف اليه عامرها وازب في الاصل القصير ومن ثم رأى
عبد الله بن الزبير رجلا طوله شبران على برذعة رحله فقال له ما انت قال ازب قال
وما ازب قال رجل من الجن فضربه على راسه بعود سوط فهرب وعند ذلك قال لهم
رسول الله صلى الله عليه وسلم ارفضوا وفي لفظ انفضوا الى رحالكم اقول وفي رواية لما
بايع الانصار بالعقبة صاح الشيطان من راس الجبل يا معشر قريش هذه بنو الاوس والخزرج

يخالف على قتالكم نفتزعوا اي الانصار عند ذلك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يروعكم هذا الصوت
فانما هو عدو الله ابليس وليس يسمعه احد ممن تخافون ولا مانع من اجتماع صراخ ازب العقبة وصراخ
ابليس الذي هو ابو الجن ويجوز ان يكون المراد بعدو الله ابليس ازب العقبة لانه من الاباليسة
وانه اتي باللفظين معا وقد حضر البيعة جبريل كما تقدم فعن حارثة بن النعمان لما فرغوا من المبايعة
قلت يا نبي الله لقد رايت رجلا عليه ثياب بيض انكرته قائما على يمينك قال وقد رايته قلت
نعم قال ذاك جبريل والله اعلم ثم ان الحديث نما وسمع المشركون من قريش بذلك اي وفي كتاب
الشريعة ان الشيطان لما نادي بما ذكر شبه صوته بصوت منبه بن الحجاج فقال عمرو بن العاص قال
ابو جهل من الفزع قال عمرو ذهبت انا وهو الى عتبة بن ربيعة فاخبره بصوت منبه بن الحجاج
فلم يرعه ما راعنا وقال هل اتاكم فاخبركم هذا منبه قلنا لا فقال لعله ابليس الكذاب الحديث
وفيه طول وامور مستغربة ولاينافي سماع عمرو وابي جهل صوت ابليس قوله صلى الله عليه وسلم ليس
يسمعه احد ممن تخافون لان سماعهما لم يحصل منه خوف لهم وعند فشو الخبر جاء جلتهم واشرافهم حتى
دخلوا شعب الانصار فقالوا يا معشر الاوس والخزرج وفي رواية يا معشر الخزرج اي بالتغليب
بلغنا انكم جئتم الى صاحبنا هذا تستخرجوه من بين اظهرنا وتبايعوه على حربنا والله ما من حي ابغض
الينا ان تنشب الحرب بيننا وبينه منكم فصار مشركوا الاوس والخزرج يحلفون لهم ما كان من
هذا شيء وما علمناه اي حتى ان عبد الله بن ابي بن سلول جعل يقول هذا باطل وما كان هذا وما كان قومي ليفتاتوا
علي بمثل هذا لو كنت بيثرب ما صنع هذا قومي حتى يوامروني وصدقوا لانهم لم يعلموه كما علم مما تقدم
اي ونفر الناس من منى وتحسست قريش عن خبر الانصار فوجدوه حقا فلما تحقق الخبر اقتفوا
آثارهم فلم يدركوا الا سعد بن عبادة والمنذر بن عمرو فاما سعد فمسك وعذب في الله واما المنذر
فافلت ثم انقذ الله سعدا من ايدي المشركين قال نقل عنه انه قال لما ظفروا بي ربطوا
يدي في عنقي فلا يزالوا يلطموني على وجهي ويجذبوني بجمتي اي وكان ذا شعر كثير حتى ادخلوني
مكة فاوى الي رجل اي وهو ابو البختري بن هشام مات كافرا وقال ويحك ما بينك وبين
احد من قريش جوار ولا عهد قلت بلي قد كنت اجير لجبير بن مطعم في تجارة وامنعهم ممن
اراد ظلمهم ببلادي وللحارث بن حرب بن امية اي وهو اخو ابو سفيان والاول اسلم بعد الحديبية
والثاني لا يعلم له اسلام فقال ويحك فاهتف باسم الرجلين ففعلت فخرج ذلك الرجل
اليهما فوجدهما في المسجد فقال لهما ان رجلا من الخزرج يضرب بالابطح يهتف باسمكما فقالا من
هو قال يقول انه سعد بن عبادة فجاءا فخلصاني من ايديهم انتهى اي وعن سعد بينا انا
مع القوم اضرب اذ طلع علي رجل ابيض وضيء شعشاع اي طويل زايد الحسن حلو من الرجال
فقلت في نفسي ان يكن عند احد من القوم خير فعند هذا فلما دنا مني رفع يده ولكمني لكمة
شديدة فقلت في نفسي والله ما عندهم بعد هذا خير اي وهذا الرجل سهيل بن عمرو رضي الله تعالى
عنه فانه اسلم بعد ذلك فلما قدم الانصار المدينة اظهروا الاسلام اي اظهارا كليا وتجاهروا
به والا فقد تقدم ان الاسلام فشا فيهم قبل قدومهم لهذه البيعة وكان عمرو بن الجموح اي وهو

من سادات بني سلمة بكسر اللام واشرافهم لم يكن اسلم وكان ممن اسلم ولده معاذ بن عمرو وكان عمرو في داره
صنم اي من خشب يقال له مناة لان الدماء كانت تمنى اي تصب عنده تقربا اليه كان يعظمه فكان فتيان قومه
ممن اسلم كمعاذ بن جبل وولده معاذ بن عمرو ومعاذ بن زيد رضي الله عنهم يدلجون بالليل على ذلك الصنم فيطرحونه
اي ولعله بعد اخراجه من داره في بعض الحفر التي فيها خرء الناس منكسا فاذا اصبح عمرو قال ويلكم من
عدا على الهتنا هذه الليلة ثم يعود يلتمسه حتى اذا وجده غسله فاذا امسى عدوا عليه وفعلوا به مثل
ذلك الي ان غسله وطيبه وجاء بسيف علقه في عنقه ثم قال له ما اعلم من يصنع بك فان كان فيك خير
فامتنع فهذا السيف معك فلما امسى عدوا عليه واخذوا السيف من عنقه ثم اخذوا كلبا ميتا فقرنوه به بحبل
ثم القوه في بير من ابار بني سلمة فيها خرء الناس فلما اصبح عمرو غدا اليه فلم يجده ثم تطلبه الى ان
وجده في تلك البير فلما راه كذلك رجع اليه عقله وكلمه من اسلم من قومه فاسلم وحسن اسلامه
وانشد ابياتا منها والله لو كنت الها لم تكن انت وكلب وسط بير في قرن اي حبل
وامر صلى الله عليه وسلم من كان معه من المسلمين بالهجرة الى المدينة اي لان قريشا لما علمت انه صلى
الله عليه وسلم اوى اي استند الى قوم اهل حرب ونجدة ضيقوا على اصحابه ونالوا منهم ما لم يكونوا
ينالونه من الشتم والاذي وجعل البلاء يشتد عليهم وصاروا ما بين مفتون في دينه وبين معذب
في ايديهم وبين هارب في البلاد فشكوا اليه صلى الله عليه وسلم واستاذنوه في الهجرة اي فمكث
صلى الله عليه وسلم اياما لا ياذن لهم ثم قال لهم رايت دار هجرتكم اريت سبخة ذات نخل بين لابتين
وهما الحرتان ولو كانت السراة ارض نخل وسباخ لقلت هي هي والسراة بفتح السين اعظم جبال
بلاد العرب ثم خرج اليهم مسرورا فقال قد اخبرت بدار هجرتكم وهي يثرب فاذن لهم وقال من اراد
ان يخرج فليخرج اليها ارسالا اي متتابعين يخفون ذلك اي وفي رواية رايت في المنام اني هاجرت
من مكة الى ارض بها نخل فذهب وهلي اي وهمي الى انها اليمامة او هجر فاذا هي المدينة يثرب وفي
الترمذي عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله اوحى الي
اي هؤلاء الثلاثة نزلت هي دار هجرتك المدينة او البحرين او قنسرين قال الترمذي هذا حديث غريب
وزاد الحاكم فاختار المدينة اقول فيه ان هذا السياق المتقدم يدل على ان استئذانهم في الهجرة عبارة
عن خروجهم من مكة لا لخصوص المدينة وان عدم اذنه صلى الله عليه وسلم لهم في الهجرة لعدم تعيين المحل
الذي يهاجرون اليه لا صلى الله عليه وسلم وكل ذلك لا يناسب ما تقدم في حديث المعراج من قول جبريل
له صليت بطيبة واليها المهاجرة وقد يجاب بانه يجوز ان يكون صلى الله عليه وسلم انسي قول
جبريل المذكور حينئذ ثم تذكره بعد ذلك في قوله قد اخبرت بدار هجرتكم الى اخره وفيه ان هذا
لا يحسن بعد مبايعته صلى الله عليه وسلم للاوس والخزرج على مناصرته ومحاربة عدوه مع علمه بان
وطنهم المدينة وكونهم يبايعونه على مناصرته مع كونه ساكنا في البحرين او قنسرين في غاية البعد
على انه سيأتي في غزاة بدر انه صلى الله عليه وسلم خشي ان الانصار لا ترى مناصرته الا في
المدينة اي فان في بعض الروايات وعلى ان تنصروني اذا قدمت عليكم يثرب والله اعلم
وقيل للهجرة اخا صلى الله عليه وسلم بين المسلمين اي من المهاجرين على الحق والمواساة فاخا

بين ابي بكر وعمر رضي الله تعالى عنهما واخا بين حمزة وزيد بن حارثة وبين عثمان وعبد الرحمن بن عوف وبين الزبير وابن مسعود وبين عبادة بن الحارث وبلال وبين مصعب بن عمير وسعد بن ابي وقاص وبين ابي عبيدة وسالم مولي ابي حذيفة وبين سعيد بن زيد وطلحة بن عبيد الله وبين علي ونفسه صلى الله عليه وسلم وقال اما ترضى ان اكون اخاك قال بلى يا رسول الله قال فانت اخي في الدنيا والاخرة قال وانكر ابو العباس ابن تيمية المواخاة بين المهاجرين سيما مواخاة النبي صلى الله عليه وسلم لعلي رضي الله تعالى عنه قال لان المواخاة بين المهاجرين والانصار انما شرعت لارفاق بعضهم ببعض ولتالف قلوب بعضهم على بعض فلا معنى لمواخاة مهاجر لمهاجري قال الحافظ بن حجر وهذا رد للنص بالقياس وبعض المهاجرين كان اقوى من بعض بالمال والعشيرة فاخا بين الاعلى والادنى ليرتفق الادنى بالاعلى ويستعين الاعلى بالادنى ولهذا نظهر مواخاته صلى الله عليه وسلم لعلي رضي الله تعالى عنه لانه صلى الله عليه وسلم كان هو الذي يقوم بامره قبل البعثة وفي الصحيح في عمرة القضا ان زيد بن حارثة قال ان بنت حمزة بنت اخي اي بسبب المواخاة انتهى وكان اول من هاجر منهم اليها اي لاصحابه ابو سلمة عبد الله بن عبد الاسد المخزومي وهو اخوه صلى الله عليه وسلم من الرضاع وابن عمته وهو اول من يدعى للحساب اليسير كما تقدم اي فانه لما قدم من الحبشة لمكة اذاه اهلها واراد الرجوع الى الحبشة فلما بلغه اسلام من اسلم من الانصار اي الاثني عشر الذين بايعوه البيعة الاولى خرج اليهم وقدم المدينة بكرة النهار ولما عزم على الرحيل رحل بعيره وحمل عليه ام سلمة وابنها سلمة في حجرها وخرج يقود البعير رآه رجال من قوم ام سلمة فقاموا اليه وقالوا له يا ابا سلمة قد غلبتنا على نفسك فصاحبتنا هذه علام نتركك تسير بها في البلاد ثم نزعوا خطام البعير منه فجاء رجال من قوم ابي سلمة وقالوا ان ابننا معها اذا انزعتموها من صاحبنا نتنازع ولدنا منها ثم تجاذبوه حتى خلعوا يده واخذه قوم ابيه ففرق بينها وبين زوجها وولدها فكانت تخرج كل غداة بالابطح فتبكي حتى امسى مدة سنة فرآها رجل من بني عمها فرأى ما بها فرحمها وقال لقومها اما ترحمون هذه المسكينة فرقتم بينها وبين ولدها وزوجها فقالوا لها الحقي بزوجك فلما بلغ ذلك قوم ابي سلمة ردوا عليها ولدها فارتحلت بعيرا وجعلت ولدها في حجرها وخرجت تريد المدينة وما معها احد من خلق الله تعالى حتى اذا كانت بالتنعيم لقيت عثمان بن طلحة اي الحجبي صاحب مفتاح الكعبة وكان عثمان ابن طلحة يومئذ مشركا ثم اسلم رضي الله تعالى عنه في هدنة الحديبية وهاجر مع خالد بن الوليد وعمرو بن العاص كما سياتي فشيعها الى المدينة حتى اذا وافا على قبا قال لها هذا زوجك هنا ثم انصرف وهي اول ظعينة دخلت من اهلها حرات المدينة رضي تعالى عنها وكانت ام سلمة تقول ما رايت صاحبا اكرم من عثمان بن طلحة قال وقال ابن اسحق وابن سعد ثم كان اول من قدمها بعد ابي سلمة عامر بن ربيعة ومعه امراته ليلى بنت ابي حثمة بالحاء المهملة المفتوحة وسكون الثاء المثلثة وهي اول ظعينة قدمت المدينة انتهى اقول فام سلمة اول ظعينة قدمت المدينة لامع زوجها وليلى اول ظعينة قدمت المدينة لامع زوجها وليلى اول ظعينة قدمت المدينة مع زوجها فلا منافاة وفي كلام ابن الجوزي اول من هاجر الى المدينة من النساء ام كلثوم بنت عقبة بن ابي معيط والله اعلم قال وسيأتي

اي ام سلمة ما تقدم عنها في حق عثمان بن طلحة يقتضي لها فانه لما راي قال الي اين قلت الي زوجي قال او ما معك احد قلت لا ما معي الا الله وابني هذا فقال والله لا اتركك ثم اخذ بخطام البعير وسار معي فكان اذا وصلنا المنزل اناخ بي ثم استاخر عني حتى اذا نزلت جاء واخذ بعيري فحط عنه ثم قيده في الشجر ثم اتى الى شجرة فاضطجع تحتها فاذا دنا الرواح قام الى بعيري فرحله وقدمه ثم استاخر عني وقال اركبي فاذا ركبت اخذ بخطامه فقاد بي اي وقد قال فقهاؤنا من الصفات مسافرة المراة بغير زوج ولا محرم ولا امراة ثقة في غير الهجرة وفرض الحج والعمرة اما في ذلك فيجوز حيث امنت الطريق وقولنا معهم لا ينافي ان اول من قدم المدينة من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم مصعب ابن عمير لان قدومه كان معهم على ما تقدم او يقال ابو سلمة اول من قدم المدينة ليتوطنها واما مصعب فكان بارسال منه صلى الله عليه وسلم ثم رايت في السيرة الهشامية اول من هاجر الى المدينة من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من بني مخزوم ابو سلمة وعليه فلا اشكال ثم هاجر عامر وبلال وسعد وفي رواية ثم قدم اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ارسالا اي بعد العقبة الثانية فنزلوا على الانصار في دورهم فاووهم وواسوهم ثم قدم المدينة عمر بن الخطاب وعياش ابن ابي ربيعة رضي الله عنهما في عشرين راكبا وكان هشام بن العاص واعد عمر بن الخطاب ان يهاجر معه وقال تجدني او اجدك عند محل كذا ففطن لهشام قومه فحبسوه عن الهجرة وعن علي رضي الله تعالى عنه قال ما علمت ان احدا من المهاجرين هاجر الا مستخفيا الا عمر بن الخطاب فانه لما هم بالهجرة تقلد سيفه وتنكب قوسه وانتضى في يده اسهما واختصر عنزته اي وهي الحربة الصغيرة علقها عند خاصرته ومضى قبل الكعبة والملأ من قريش بفنائها فطاف بالبيت سبعا ثم اتى المقام فصلى ركعتين ثم وقف على الحلق واحدة واحدة وقال شاهت الوجوه لا يرغم الله الا هذه المعاطس يعني الانوف من اراد ان تثكله امه اي تفقده او يوتم ولده او ترمل زوجته فليلقني وراء هذا الوادي قال علي رضي الله عنه فما تبعه احد ثم مضى لوجهه ثم ان ابا جهل واخاه شقيقه الحارث بن هشام رضي الله تعالى عنه فانه اسلم بعد ذلك يوم الفتح قدما المدينة والنبي صلى الله عليه وسلم بمكة لم يهاجر فكلما عياش ابن ابي ربيعة وكان اخاهما لامهما وابن عمهما كان اصغر ولد امه واخبراه ان امه قد نذرت ان لا تغسل راسها وفي لفظ ولا يمس راسها مشط ولا تستظل من شمس حتى تراه اي وفي لفظ ان لا تاكل ولا تشرب ولا تدخل كنا حتى يرجع اليها وقالا له انت احب ولد امك اليها وانت في دين من بر الوالدين فارجع الى مكة فاعبد ربك كما تعبده بالمدينة فرقت نفسه وصدقهما واخذ عليهما المواثيق ان لا يمساه بسوء وقال له عمر انهما يريدان الا فتنتك عن دينك فاحذرهما والله لو اذى امك القمل لامتشطت ولو اشتد عليها حر مكة لاستظلت فقال عياش ابر امي ولي مال هناك اخذه فقال له عمر خذ نصف مالي ولا تذهب معهما فابى الا ذلك فقال له عمر حيث صممت فخذ ناقتي هذه فانها نجيبة ذلول فالزم ظهرها فان رابك منهما ريب فانج عليها فابى ذلك وخرج راجعا معهما الى مكة فلما خرجا من المدينة كتفاه بتخفيف التاء اي شدا يديه الى خلفه بالكتاف في الطريق اي وفي السيرة الهشامية انه اخذ الناقة وخرج عليها معهما حتى اذا كانوا ببعض

الطريق قال له ابو جهل يا اخي والله لقد استغلظت بعيري هذا فلا تعقبني على ناقتك هذه قال بلى قال
فاناخ واناخا ليتحول عليها فلما استويا بالارض عدوا عليه واوثقاه رباطا ودخلا به مكة نهارا موثقا وقالا
يا اهل مكة هكذا فافعلوا بسفهائكم كما فعلنا بسفيهنا هذا وفي لفظ بسفيهنا فحبس بمكة مع هشام بن
العاص فانه كما تقدم منع وحبس عن الهجرة وجعل كل في قيد وفي لفظ انهما لما ذكرا له ان امه حلفت ان لا
يستظل ببيت حتى تراه واعطياه موثقا ان لا يمنعاه وان يخليا سبيله بعد ان تراه امه فانطلق معهما
حتى اذا خرجا من المدينة عمدا اليه فشداه وثاقا وجلداه نحو مائة جلدة وكان اعانهما عليه رجل من بني كنانة
اي يقال له الحارث بن يزيد القرشي وفي كلام ابي عبد البر انه كان ممن يعذبه بمكة مع ابي جهل لعنه الله
وفي الينبوع جلده كل واحد منهما مائة جلدة وانه لما جيء به الى مكة القي في الشمس وحلفت امه
انه لا يحل عنه حتى يرجع عن دينه ففتن قيل وكان سبب نزول قوله تعالى ووصينا الانسان
بوالديه الآية وفيما تقدم انها نزلت في سعد بن ابي وقاص الا ان يقال يجوز ان يكون مما تكرر
نزوله فتكون نزلت فيهما وحلف عياش ليقتلن ذلك الرجل ان قدر عليه قيل ولم يزل عياش
محبوسا حتى فتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة فخرج عياش فلقي ذلك الرجل الكناني وكان قد
اسلم وعياش لا يعلم باسلامه فقتله واعلم النبي صلى الله عليه وسلم بذلك فانزل الله تعالى وما كان
لمؤمن ان يقتل مؤمنا الا خطأ فقرأها النبي صلى الله عليه وسلم وقال لعياش قم فحرر اي اعتق رقبة وفي
ذكر ان عياشا استمر محبوسا الى الفتح مخالفة قول بعضهم مكث صلى الله عليه وسلم وهو بالمدينة كما سياتي
اربعين صباحا يقنت في صلاة الصبح بعد الركوع اي من الركعة الاخيرة وكان يقول في قنوته اللهم
انج الوليد بن الوليد وعياش بن ربيعة وهشام بن العاص والمستضعفين من المؤمنين بمكة الذين
لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا فان هذا يدل على ان هشام بن العاص وعياش بن ابي
ربيعة لم يفتتنا ولم يرجعا عن الاسلام وفي السيرة الهشامية ما يفيد انهما فتنا الاول صريحا
والثاني ظاهرا وفي السيرة الشامية التصريح بافتتانهما وفيه نظر لما ذكر ولانهما لو كانا فتنا لما
طلبا من الحبس والقيد وآمنا من ذلك الا ان يقال فعل بهما ذلك ان صح انهما كان ظاهرا فقط دعاه
صلى الله عليه وسلم اي وسياتي ان الوليد كان سببا لتخليص عياش بن ابي ربيعة وهشام بن ابي العاص
بعد ان تخلص من الحبس وهاجر الى المدينة فان الوليد كان اسر ببدر ثم افتداه اخواه خالد وهشام
ابنا الوليد بن المغيرة وذهبا به الى مكة فاسلم واراد الهجرة فحبسوه بمكة وقيل له هلا اسلمت قبل
ان تفدى قال كرهت ان يظن بي اني جزعت من الاسار ثم نجا وتوصل الى المدينة ورجع الى مكة
مستخفيا وخلص عياشا وهشاما وجاء بهما الى المدينة فسر النبي صلى الله عليه وسلم بذلك وشكر صنيعه
وبه يعلم ضعف ما تقدم من ان عياشا لم يزل محبوسا الى يوم الفتح اي وممن هاجر قبل النبي صلى
الله عليه وسلم سالم مولى ابي حذيفة بن عتبة بن ربيعة اي لانه لما اعتقته زوجة ابي حذيفة وكانت
انصارية تبناه ابو حذيفة وكان يؤم المهاجرين بالمدينة فيهم عمر بن الخطاب لانه كان اكثرهم
اخذا للقرآن وكان عمر بن الخطاب يثني عليه كثيرا حتى قال لما اوصى عند قتله لو كان سالم مولى ابي
حذيفة حيا ما جعلتها شورى قال ابو عبد البر معناه انه كان ياخذ برايه فيمن يولي الخلافة

اي فانه قتل في يوم اليمامة وارسل عمر بميراثه لمعتقته فابت ان تقبله فجعله في بيت المال ولما
اراد صهيب الهجرة الى المدينة اي بعد ان هاجر اليها صلى الله عليه وسلم خلافا لما يوهمه كلام الاصل والشامي
قال له كفار قريش اتيتنا صعلوكا حقيرا فكثر مالك عندنا ثم تريد ان تخرج بمالك لا والله لا يكون
ذلك فقال لهم صهيب ارايتم ان جعلت لكم مالي تخلون سبيلي قالوا نعم قال فاني جعلته لكم فبلغ
ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ربح صهيب اقول وذكر ان صهيبا تواعد معه صلى الله
عليه وسلم ان يكون معه في الهجرة فلما اراد صلى الله عليه وسلم الخروج للغار ارسل اليه ابا بكر مرتين او
ثلاثا فوجده يصلي فكره ان يقطع عليه كما سياتي وحينئذ يكون قول صهيب المذكور بعد هجرته
صلى الله عليه وسلم الى المدينة كما تقدم وهو في الخصائص الكبرى عن صهيب لما خرج رسول الله صلى
الله عليه وسلم الى المدينة وخرج معه ابو بكر وقد كنت هممت بالخروج معه فصدني فتيان من
قريش اي ان اردت الخروج معه وقالوا له جئتنا فقيرا حقيرا صعلوكا فكثر مالك عندنا وتريد
ان تخرج بمالك ونفسك لا يكون ذلك ابدا قال فقلت لهم هل لكم ان اعطيكم اواقي من الذهب
وفي لفظ ثلث مالي وفي لفظ مالي وتخلوا سبيلي ففعلوا فقلت احفروا تحت اسكفة الباب
فان تحتها الاواقي وخرجت حتى قدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل ان يتحول
منها فلما راني قال يا ابا يحيى ربح البيع ثلاثا فقلت يا رسول الله ما سبقني اليك احد وما اخبرك
الا جبريل عليه السلام اي واخرج ابو نعيم في الحلية عن سعيد بن المسيب قال اقبل صهيب مهاجرا
نحو النبي صلى الله عليه وسلم اي وقد اخذ سيفه وكنانته وقوسه فاتبعه نفر من قريش فنزل
عن راحلته وانتثل ما في كنانته ثم قال يا معشر قريش قد علمتم اني من ارماكم رجلا وايم
الله لا تصلون الي حتى ارمي بكل سهم في كنانتي ثم اضرب بسيفي ما بقي في يدي منه شيء ثم افعلوا
ما شئتم وان شئتم دللتكم على مالي بمكة وخليتم سبيلي فقالوا نعم فقال لهم ما تقدم وفي رواية
انهم قالوا له دلنا على مالك ونخلي عنك وعاهدوه على ذلك ففعل وذكر بعض المفسرين
ان المشركين اخذوه وعذبوه فقال لهم اني شيخ كبير لا يضركم امنكم كنت ام من غيركم فهل
لكم ان تاخذوا مالي وتذروني وديني وتتركوا لي راحلتي ونفقة ففعلوا ونزل قوله تعالى
ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضات الله قال فلما قدمت المدينة وجدت النبي
صلى الله عليه وسلم وابا بكر جالسين فلما راني ابو بكر قام الي فبشرني بالاية التي نزلت في
وفي رواية فتلقاني ابو بكر وعمر ورجال فقال لي ابو بكر ربح بيعك يا ابا يحيى فقلت
وبيعك هلا تخبرني ما ذاك فقال انزل الله فيك كذا وقرأ علي الاية وفي تفسير سهيل
بن عبد الله التستري ان صهيبا كان من المشتاقين لم يكن له قرار كان لا ينام لا بالليل
ولا بالنهار وقد حكي ان امرأة اشترته فرأته كذلك فقالت لا ارضى لك حتى تنام بالليل
لانك تضعف فلا تستطيع الاشتغال باعمالي فبكى وقال ان صهيبا اذا ذكر النار طار نومه
واذا ذكر الجنة زاد شوقه واذا ذكر الله طال شوقه اي ولينظر هذا مع ما في تاريخ ابن كثير
ان الروم اغارت على بلاد صهيب وكانت على دجلة وقيل على الفرات فاسرته وهو صغير

ثم اشتراه منهم بنو كلب فحملوه الي مكة فابتاعه عبد الله بن جدعان فاعتقه واقام بمكة حينا
فلما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم اسلم وكان اسلامه واسلام عمار في يوم واحد وقد يقال يحتمل
ان يكون تلك المراة التي اشترته مني بني كلب وعن صهيب صحبت النبي صلى الله عليه وسلم قبل ان يوحى
اليه وان قال له عمر رضي الله عنه يا صهيب اكتنيت وليس لك ولد فقال كناني رسول الله صلى الله عليه وسلم
بابي يحيى اي فهو من جملة من كناه رسول الله صلى الله عليه وسلم وله ولد وكان في لسانه عجمة شديدة
وكان فيه دعابة راه صلى الله عليه وسلم ياكل قثا ورطبا وهو ارمد احدى عينيه فقال له اتاكل رطبا
وانت ارمد فقال انما اكل من ناحية عيني الصحيحة فضحك صلى الله عليه وسلم وفي المعجم الكبير للطبراني
عن صهيب قال قدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين يديه تمر وخبز فقال ادن فكل
فاخذت اكل من التمر فقال لي اتاكل التمر وبك رمد فقلت يا رسول الله امضغ من الناحية الاخرى
فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم اي وله مانع من التعدد ولما اذن صلى الله عليه وسلم لاصحابه في الهجرة
فهاجروا امكث صلى الله عليه وسلم بعد اصحابه ينتظر ان يوذن له في الهجرة ولم يتخلف معه الا علي
ابن ابي طالب رضي الله عنه وابو بكر وصهيب كما علمت ومن كان محبوسا او مريضا او عاجزا
عن الخروج وكان ابو بكر كثيرا ما يستاذن رسول الله صلى الله عليه وسلم في الهجرة فيقول له لا تعجل
لعل الله ان يجعل لك صاحبا فيطمع ابو بكر ان يكون هو وفي رواية تجهز ابو بكر فقال له
رسول الله صلى الله عليه وسلم على رسلك فاني ارجو ان يوذن لي فقال له ابو بكر هل ترجو
ذلك بابي انت وامي قال نعم فحبس ابو بكر نفسه على رسول الله صلى الله عليه وسلم ليصحبه
وعلف راحلتين عنده الخبط اي وفي لفظ ورق السمر بفتح المهملة وضم الميم قال الزهري
وهي الخبط قال ابن فارس والخبط ما خبط بالعصا فسقط من ورق الشجر وكان مدة
علفها اربعة اشهر وكان اشتراها بثمانمائة درهم اقول ظاهر هذا السياق ان علفه للراحلتين
كان بعد قول المصطفى صلى الله عليه وسلم له ما ذكر ومعلوم ان ذلك كان بعد مبايعة الانصار
له والمدة بين مبايعة الانصار له صلى الله عليه وسلم والهجرة كانت ثلاثة اشهر او قريبا منها
لانها كانت في ذي الحجة ومهاجرته صلى الله عليه وسلم كانت في ربيع الاول وفي السيرة الهشامية
ما يصرح بان علفه للراحلتين كان بعد قول المصطفى صلى الله عليه وسلم له ما ذكر ففيها انه صلى الله عليه
وسلم لما قال لابي بكر وقد استاذنه في الهجرة لا تعجل لعل الله يجعل لك صاحبا طمع ان يكون
رسول الله صلى الله عليه وسلم انما يعني نفسه فابتاع راحلتين فحبسهما في داره يعلفهما اعدادا لذلك وفي
عن الحافظ ابن حجر ان بين ابتداء هجرة الصحابة وبين هجرته صلى الله عليه وسلم شهرين ونصف
شهر على التحرير والله اعلم فلما رات قريش ان رسول الله صلى الله عليه وسلم صار له شيعة اي انصار
واصحاب من غيرهم وراوا خروج اصحابه اليهم وانهم اصابوا منعة لان الانصار قوم اهل حلقة
اي سلاح وباس حذروا اي خافوا ان يخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وان يجمع على حربهم
فاجتمعوا في دار الندوة يتشاورون فيما يصنعون في امر رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانت
محل مشورتهم لا يقضون امرا الا فيها اي وهي اول دار بنيت بمكة كانت منزل قصي بن كلاب

كما

كما تقدم ثم صارت لولده عبد الدار ثم ابتاعها معاوية للحج وهو خليفة من اولاد عبد الدار وتقدم
ان معاوية انما اشتراها من حكيم بن حزام ويدل لذلك ما جاء عن مصعب بن عبد الله قال
جاء الاسلام ودار الندوة بيد حكيم بن حزام فباعها من معاوية بن ابي سفيان بمائة الف درهم
فقال له عبد الله بن الزبير بعت مكرمة قريش فقال حكيم ذهبت المكارم الا التقوى يا ابن اخي
الى اخر ما تقدم وكانت دار الندوة جهة الحجر عند المقام الحنفي الان وكان لها باب للمسجد
وكان لا يدخلها عند المشورة من غير ولد قصي الا ابن اربعين سنة وفي كلام بعضهم سادن ابي
جهل وما طر شاربه ودخل دار الندوة وما استدارت لحيته وقد ادخلت في المسجد وقيل
لها دار الندوة لاجتماع الندوة وهو الجماعة وكان ذلك اليوم يسمى يوم الزحمة لاجتماع فيه
اشراف بني شمس وبني نوفل وبني عبد الدار وبني اسد وبني مخزوم وبني سهم وبني جمح وغيرهم
ممن لا يعد من قريش اي ولم يتخلف من اهل الراي والحجا احد ثم ان ابليس جاءهم في صورة
شيخ نجدي عليه طيلسان من خز وقيل من صوف اي وانما فعل ذلك ليتمثل منه ما يشير به
لان اهل الطيالسة في العادة اهل الوقار والمعرفة ووقف ذلك الشيخ على الباب فقالوا
له من الشيخ قال شيخ من اهل نجد سمع بالذي اجتمعتم له فحضر معكم ليسمع ما تقولون وعسى ان
لا يعدمكم منه رايا ونصحا قالوا اجل اي نعم فادخل فدخل معهم اي وانما قال لهم من اهل نجد
لان قريشا قالوا لا يدخل معكم في المشاورة احد من اهل تهامة لان هواهم كان مع محمد صلى الله
عليه وسلم وقيل لما سمعهم يقولون لا يدخل معكم اليوم الا من هو منكم قال لهم لما سالوه وقالوا
له من انت قال شيخ من نجد وانا ابن اختكم فقالوا ابن اخت القوم منهم وقيل ان ابليس
لما دخل عليهم انكروه وقالوا له من انت وما ادخلك علينا في خلوتنا هذه بغير اذننا فقال انا
رجل من اهل نجد رايتكم حسنة وجوههم طيبة ريحكم فاحببت ان اجلس اليكم واسمع كلامكم
فان كرهتم ذلك خرجت عنكم فقال بعضهم لبعض هذا نجدي لا عين عليكم منه وفي لفظ هذا
من اهل نجد لا من مكة فلا يضركم حضوره معكم وعند المشورة قال بعضهم لبعض ان هذا
الرجل يعني النبي صلى الله عليه وسلم قد كان من امره ما قد رايتم وانا والله لا نامنه على الوثوب علينا
بمن قد اتبعه من غيرنا فاجمعوا فيه رايا فتشاوروا فقال قائل منهم اي وهو ابو البختري
ابن هشام احبسوه في الحديد واغلقوا عليه بابا ثم تربصوا به ما اصاب اشباهه من
الشعراء حتى يصيبه ما اصابهم من هذا الموت فقال الشيخ النجدي لا والله ما هذا لكم براي
والله لو حبستموه كما تقولون ليخرجن امره من وراء الباب الذي اغلقتم دونه الى اصحابه فلا
تشكوا ان يثبوا عليكم فينزعوه من ايديكم ثم يكاثروكم حتى يغلبوكم على امركم ما هذا براي فانظروا
رايا غيره فتشاوروا فقال قائل منهم اي وهو الاسود ابو ربيعة بن عمير نخرجه من بين اظهرنا
فننفيه من بلادنا فاذا خرج عنا فوالله ما نبالي اين يذهب فقال الشيخ النجدي والله ما هذا لكم
براي الم تروا حسن حديثه وحلاوة منطقه وغلبته على قلوب الرجال بما ياتي به والله لو فعلتم
ذلك ما امنتم ان يحل بفتح اوله وضم الحاء المهملة اي ينزل ويجوز ان يكسرها اي يسقط على

حي من احيا العرب فيغلب بذلك عليهم من قوله وحديثه حتى يبايعوه ثم يسير به اليكم حتى يطاكم بهم فياخذ امركم من ايديكم ثم يفعل بكم ما اراد دبروا فيه رايا غير هذا فقال ابو جهل ابن هشام والله ان لي فيه لرايا ما اراكم وقعتم عليه بعد قالوا وما هو يا ابا الحكم قال الراي ان تاخذوا من كل قبيلة شابا جلدا اي قويا حسيبا في قومه نسيبا وسيطا ثم يعطى كل فتى منهم سيفا صارما ثم يعمدون عليه فيضربونه ضربة رجل واحد فيقتلونه فنستريح منه فانهم اذا فعلوا ذلك تفرق دمه في القبائل جميعا فلم تقدر بنو عبد مناف على حرب قومهم جميعا فرضوا منا بالعقل اي الدية فعقلناه لهم فقال النجدي القول ما قال هذا الرجل هذا هو الراي ولا راي غيره فتفرق القوم على ذلك فاتى جبريل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له لا تبت هذه الليلة في فراشك الذي كنت تبيت عليه اي واخبره بمكرهم وانزل الله واذ يمكر بك الذين كفروا الاية فلما كانت عتمة من الليل اي الثلث الاول من الليل اجتمعوا على باب رسول الله صلى الله عليه وسلم يرصدونه حتى ينام فيثبون عليه اي وكانوا مائة اقول في الدر المنثور اخرج ابن جرير وابن المنذر وابن ابي حاتم عن عبيد بن عمير لما ائتمروا بالنبي صلى الله عليه وسلم ليثبتوه او يقتلوه او يخرجوه قال له ابو طالب هل تدري ما ائتمروا بك قال يريدون ان يحبسوني او يقتلوني او يخرجوني قال من حدثك بهذا قال ربي قال نعم الرب ربك فاستوص به خيرا قال انا استوصي به بل هو يستوصي بي هذا كلامه ولم يتعقبه بان هذا كان بعد موت ابي طالب وكان ايتمارهم في السبت فقد سئل صلى الله عليه وسلم عن يوم السبت فقال يوم مكر وخديعة قالوا ولم يا رسول الله قال ان قريشا ارادوا ان يمكروا فيه اي ارادوا المكر برسول الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله تعالى واذ يمكر بك الذين كفروا الاية وفي سيرة الحافظ الدمياطي فاجتمع اولئك القوم من قريش يتطلعون من صير الباب اي شقه ويرصدونه يريدون بياته اي يوقعون به الامر ليلا ويأتمرون ايهم يحمل على المضطجع وفيه ان ايتمارهم في ذلك لا يناسب لما اجتمع رايهم عليه من انهم يجتمعون على قتله ليتفرق دمه في القبائل ثم رايت بعضهم قال واجتمعوا ببابه وعليهم السلاح يرصدون طلوع الفجر ليقتلوه ظاهرا فيذهب دمه لمشاهدة بني هاشم قاتليه من جميع القبائل فلا يتم لهم اخذ ثاره وهو المناسب لما ذكر والله اعلم فلما راى رسول الله صلى الله عليه وسلم مكانهم اي علم ما يكون منهم قال لعلي ابن ابي طالب نم على فراشي واتشح ببردي هذا الحضرمي وقد كان يشهد فيه العيدين وكان طوله اربعة اذرع وعرضه ذراعان وشبر وهل كان اخضر او احمر يدل للثاني قول جابر كان يلبس رداء احمر في العيدين والجمعة ثم رايت في بعض الروايات انه كان اخضر فلينظر الجمع وفي سيرة الدمياطي وارتدي ببردي هذا الاحمر الحضرمي منسوب الى حضرموت التي هي البلدة او القبيلة التي كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتسجى بذلك البرد عند نومه فانه لن يخلص اليك شيء تكرهه منهم اقول واما ما روي ان الله تعالى اوحى الى جبريل وميكائيل اني قد آخيت بينكما وجعلت عمر احدكما اطول من الاخر فايكما يؤثر صاحبه بالحياة فاختار كلاهما الحياة فاوحى الله تعالى اليهما الا كنتما مثل علي ابن ابي طالب آخيت بينه

وبين

وبين محمد صلى الله عليه وسلم فبات على فراشه ليفديه بنفسه ويؤثره بالحياة اهبطا الى الارض فاحفظاه من عدوه فنزلا فكان جبريل عند راسه وميكائيل عند رجليه فقال جبريل بخ بخ من مثلك يا ابن ابي طالب باهى الله تعالى بك الملائكة وانزل الله عز وجل ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضات الله قال فيه الامام ابن تيمية انه كذب باتفاق اهل العلم بالحديث والسير وايضا فقد حصلت له الطمانينة بقول الصادق له لن يخلص اليك شيء تكرهه منهم فلم يكن فيه فداء بالنفس ولا ايثار بالحياة والاية المذكورة في سورة البقرة وهي مدنية باتفاق وقد قيل انها نزلت في صهيب رضي الله عنه لما هاجر اي كما تقدم لكن في الامتاع لم يذكر انه صلى الله عليه وسلم قال لعلي ما ذكر وعليه فيكون فداؤه للنبي صلى الله عليه وسلم بنفسه واضحا ولا مانع من تكرر نزول الاية في حق علي وفي حق صهيب وحينئذ يكون شرى في حق علي بمعنى باع اي باع نفسه بحياة المصطفى صلى الله عليه وسلم وفي صهيب بمعنى اشترى اي اشترى نفسه بماله ونزول هذه الاية بمكة لا يخرج سورة البقرة عن كونها مدنية لان الحكم يكون للغالب وفي الينبوعات انه صلى الله عليه وسلم نظر الى اصحابه وقال ايكم يبيت على فراشي وانا اضمن له الجنة فقال علي انا ابيت واجعل نفسي فداك هذا كلامه ولعله لا يصح ثم رايت في الامتاع ما يدل لعدم الصحة وهو قال ابن اسحق ولم يعلم فيما بلغني بخروجه صلى الله عليه وسلم حين خرج الا علي وابو بكر الصديق رضي الله عنهما والله تعالى اعلم وكان في القوم الحكم بن ابي العاص وعقبة بن ابي معيط والنضر ابن الحارث وامية بن خلف وزمعة ابن الاسود وابو لهب وابو جهل فقال وهم على باب رسول الله صلى الله عليه وسلم ان محمدا يزعم انكم ان تابعتموه على امره كنتم ملوك العرب والعجم ثم بعثتم بعد موتكم فجعلت لكم جنان كجنان الاردن اي بضم الهمزة وتشديد النون وهو محل بارض الشام يقرب بيت المقدس وان لم تفعلوا كان فيكم ذبح ثم بعثتم من بعد موتكم فجعلت لكم نار تحرقون فيها وسمعه رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج عليهم وهو يقول نعم انا اقول ذلك واخذ حفنة من تراب وتلا قوله تعالى يس والقران الحكيم الى قوله فاغشيناهم فهم لا يبصرون فاخذ الله تعالى ابصارهم عنه صلى الله عليه وسلم فلم يروه وفي مسند الحارث بن ابي اسامة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه ذكر في فضل يس انها اذا قراها خائف امن او جائع شبع او عار كسي او عاطش سقي او سقيم شفي وعند خروجه صلى الله عليه وسلم نثر التراب على رؤوسهم فلم يبق رجل الا وضع على راسه ترابا ثم انصرف الى حيث اراد فاتاهم آت فقال ما تنتظرون هاهنا قالوا محمدا قال قد خيبكم الله والله خرج عليكم محمد ثم ما ترك منكم رجلا الا وضع على راسه ترابا وانطلق لحاجته اما ترون ما بكم قال فوضع كل رجل منهم يده على راسه فاذا عليه تراب قال في النور وهذا يعارضه حديث مارية خادم النبي صلى الله عليه وسلم تكنى ام الرباب انها طاطات لرسول الله صلى الله عليه وسلم حتى صعد الحائط ليلة فر من المشركين وينبغي ان يوفق بينهما ان صح والله اعلم فالعبرة بالصحيح منهما هذا كلامه اقول التوفيق حاصل وهو انه يجوز ان يكون النبي صلى الله عليه وسلم لم يحب ان يخرج عليهم من الباب فتسور الحائط التي نزل منها عليهم والله اعلم اي وكان ذهابه صلى الله عليه وسلم

في تلك الليلة الى بيت ابي بكر رضي الله تعالى عنه فكان فيه الى الليل اي الى الليلة المقبلة ثم خرج هو
وابو بكر ثم مضيا الى جبل ثور كذا في سيرة الدمياطي ثم اي بعد اخبارهم بخروجه صلى الله عليه وسلم
ووضع التراب على رؤسهم جعلوا يطلعون فيرون عليا نائما على الفراش مسجيا ببرد رسول الله
صلى الله عليه وسلم فيقولون والله ان هذا لمحمد نائم عليه برده فلم يزالوا كذلك اي يرونه وقفا ان يوقعوا
به الفعل والله مانع لهم من ذلك حتى اصبحوا وانتصف النهار فقام علي عن الفراش فقالوا والله لقد صدقنا
الذي كان حدثنا اي ولما قام علي رضي الله عنه سالوه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لهم لا علم
لي به وفي رواية فلما اصبحوا ثاروا اليه يحسبونه النبي صلى الله عليه وسلم فلما راوا عليا رد الله تعالى
مكرهم فقالوا اين صاحبك قال لا ادري فانزل الله تعالى ام يقولون شاعر نتربص به ريب المنون
وانزل الله تعالى قوله واذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك او يقتلوك او يخرجوك ويمكرون ويمكر الله
والله خير الماكرين كذا في الاصل تبعا لابن اسحق ولا يخفى ان الاية الثانية موافقة لما ذكروه من
المشاورة قال والمانع من اقتحام الجدار عليه في الدار مع قصر الجدار وقد جاءوا لقتله انهم هموا بذلك
فصاحت امراة من الدار فقال بعضهم لبعض انها السبة في العرب ان يتحدث عنا انا تسورنا
الحيطان على بنات العم وهتكنا ستر حرمنا انتهى اقول لا يخفى ان هذا لا يناسب ما قدمناه عن
بعضهم انهم انما ارادوا قتله صلى الله عليه وسلم عند طلوع الفجر لينظر لبني هاشم قاتلوه فلا يتبين
عليهم ليلا يتسورون الجدار الا ان يقال ارادة ذلك منهم كانت عند طلوع ووجود الاسباب المانعة
لهم من الوثوب عليه لا ينافي ان المانع لهم عن الوثوب عليه الذي جاءوا بصدده وهم سادة رجال
من صناديد قريش انما هي حماية من الله تعالى الموجبة لخذلانهم واظهار عجزهم وفي ذلك تصديق
لرسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال لعلي لا يخلص اليك شيء تكرهه منهم على ما تقدم والمراد
بقول بعضهم كما مر المشركون يرمون عليا يظنون انه النبي صلى الله عليه وسلم ويرمونه بابصارهم لا يرمونه
له بنحو حجارة او نبل كما لا يخفى فان قيل هلا نام صلى الله عليه وسلم على فراشه قلت لو فعل
ذلك لفات ادلالهم بوضع التراب على رؤسهم واظهار حماية الله تعالى له بخروجه عليهم ولم
يبصره احد منهم وفي رواية انهم تسوروا عليه ودخلوا شاهرين سيوفهم فثار علي في وجوههم
فعرفوه فقالوا هو انت اين صاحبك فقال لا ادري وهذا يخالف لما تقدم فلينظر الجمع بناء على
صحة هذا وفي لفظ امروه بالخروج فضربوه وادخلوه المسجد وحبسوه ساعة ثم خلوا عنه والله
اعلم ثم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذن له في الهجرة الى المدينة اي ونزل الله تعالى عليه وقل
رب ادخلني مدخل صدق واخرجني مخرج صدق واجعل لي من لدنك سلطانا نصيرا قال زيد
ابن اسلم جعل الله مدخل صدق المدينة ومخرج صدق مكة وسلطانا نصيرا الانصار ويعارضه
ما جاء ان عند رجوعه صلى الله عليه وسلم من تبوك الى المدينة فقال له جبريل سل ربك فان لكل نبي
مسئلة فقال ما تامرني ان اسأل قال قل رب ادخلني مدخل صدق واخرجني مخرج صدق واجعل
لي من لدنك سلطانا نصيرا فانزل الله عليه ذلك في رجعته من تبوك بعد ما ختمت النبوة
اي الا ان يدعى تكرر النزول وعند الاذن له صلى الله عليه وسلم في الهجرة قال لجبريل من يهاجر معي

قال جبريل ابو بكر الصديق اي ومن الغريب قول بعضهم ومن ذلك اليوم سماه الله تعالى صديقا فقد تقدم
ان تسميته بذلك كانت عند تصديقه له صلى الله عليه وسلم عند اخباره بالاسرا وعن صفة بيت المقدس
ومن الغريب ايضا ما جاء في السبعيات ان النبي صلى الله عليه وسلم تشاور مع اصحابه فقال ايكم يوافق
معي ويرافقني فقد امرني الله تعالى بالخروج من مكة الى المدينة فقال ابو بكر انا يا رسول الله ويرده
ما في السيرة انه صلى الله عليه وسلم اتى ابا بكر ذات يوم ظهرا فناداه فقال اخرج من عندك فقال
يا رسول الله انما هي ابنتاي اي يعني عائشة واسماء قال شعرت اي علمت انه قد اذن لي في الهجرة
فقال يا رسول الله الصحبة اي اسالك الصحبة فقال اي يا رسول الله صلى الله عليه وسلم الصحبة
اي لك الصحبة عندي فانطلقا اي ليلا كما تقدم عن سيرة الدمياطي لكن تقدم عنها انه دخل
بيت ابي بكر في ليلة خروجه من على فراشه وانه مكث في بيت ابي بكر الى الليلة القابلة
التي كان فيها خروجه صلى الله عليه وسلم الى جبل ثور فيحتاج الى الجمع وقد يقال ان مجيئه صلى الله
عليه وسلم ظهرا كان قبل تلك الليلة ومع خروجهما خرجا مستخفيين حتى اتيا الغار وهو
بجبل ثور فتواريا وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما انه صلى الله عليه وسلم قال عند خروجه
من مكة اي متوجها الى المدينة والله اني لاخرج منك واني لاعلم انك احب بلاد الله الى الله
واكرمها على الله ولولا ان اهلك اخرجوني منك ما خرجت اي وفي رواية انه صلى الله عليه وسلم
وقف اي على راحلته بالحزورة ونظر الى البيت وقال والله انك لاحب ارض الله الى
وانك لاحب ارض الله الى الله ولولا ان اهلك اخرجوني منك قهرا ما خرجت وفي لفظ
انه وقف في وسط المسجد والتفت الى البيت فقال اني لاعلم ما وضع الله بيتا احب الى
الله منك وما في الارض بلد احب اليه منك وما خرجت عنك رغبة ولكن الذين كفروا
اخرجوني اي وهذا السياق يدل على ان وقوفه صلى الله عليه وسلم على الحزورة او في وسط
المسجد انما جاء بعد خروجه من الغار الى ما ذكر ثم ذهب الى المدينة وفي رواية وقف
صلى الله عليه وسلم على الحجون وقال والله انك لخير ارض الله واحب ارض الله الى الله ولو لم اخرج منك
ما خرجت وفي لفظ لو تركت فيك ما خرجت منك ولا مانع من تكرر ذلك ثم رايت في كلام
بعضهم ان وقوفه صلى الله عليه وسلم على الحجون كان في عام الفتح وفي لفظ اخر قال لمكة
ما اطيبك من بلد واحبك الي ولولا ان قومي اخرجوني منك ما سكنت غيرك اي وفي جمال
القرا للسخاوي ان النبي صلى الله عليه وسلم لما توجه مهاجرا الى المدينة وقف ونظر الى مكة
فانزل الله عليه وكاين من قرية هي اشد قوة من قريتك الاية اي واما ما رواه الحاكم عن ابي هريرة
مرفوعا اللهم انك اخرجتني من احب البقاع الي فاسكني في احب البقاع اليك فقال الذهبي
انه موضوع وقال ابن عبد البر لا يختلف اهل العلم انه منكر موضوع اقول والذي رايته في
المستدرك للحاكم اللهم انك تعلم انهم اخرجوني من احب البلاد الي فاسكني احب البلاد اليك
والمعنى واحد واليه والى ما روي عن الزهري اللهم انك اخرجتني من احب البلاد الي فاسكني
احب البلاد اليك استند من قال بتفضيل المدينة على مكة قال لان الله تعالى اجاب دعاه

فاسكنه المدينة قيل وعليه جمهور العلماء ومنهم الامام مالك رضي الله عنه والي الاحاديث الاول
استند من قال بتفضيل مكة علي المدينة وهم الجمهور ومنهم امامنا الشافعي رضي الله تعالى عنه
واستدلوا بذلك الي انه صلى الله عليه وسلم قال في حجة الوداع اي بلد تعلمونه اعظم حرمة قالوا
لا نعلم الا بلدنا هذه يعنون مكة وهذا اجماع من الصحابة اقرهم عليه صلى الله عليه وسلم انها مكة افضل
من ساير البلاد لان ما كان اعظم حرمة فهو افضل وقد قال صلى الله عليه وسلم المقام بمكة سعادة
والخروج منها شقاوة وقال صلى الله عليه وسلم من صبر على حر مكة ساعة من نهار تباعدت عنه
جهنم مسيرة مائة عام قال ابن عبد البر واني لاعجب ممن يترك قول رسول الله صلى الله عليه وسلم
وهو قوله والله اني لاعلم انك خير ارض الله واحبها الي الله ولولا ان اهلك اخرجوني منك
ما خرجت وهذا حديث صحيح وقيل الي تاويل لا يجامع ما تاوله عليه اي ولان الحسنة فيها
بمائة الف حسنة فعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من حج
ماشيا كتب له بكل خطوة سبع مائة حسنة من حسنات الحرم قيل وما حسنات الحرم قال الحسنة
فيه بمائة الف حسنة والكلام في غير ما ضم اعضاءه الشريفة من ارض المدينة والا فذلك افضل
بقاع الارض بالاجماع بل حتي من العرش والكرسي على ان صاحب عوارف المعارف ذكر ان الطوفان
موج تلك التربة المكرمة عن محل الكعبة حتي ارساها بالمدينة فهي من جملة ارض مكة وحينئذ لا
يحسن الاستناد في تفضيل المدينة على مكة بقول ابي بكر رضي الله تعالى عنه انهم لما اختلفوا في اي
محل يدفن فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يقبض الله الانبياء الا في احب البقاع اليه لعدم تماسك
والله اعلم وعن عايشة رضي الله تعالى عنها انها قالت بينا نحن جلوس يوما في بيت ابي
بكر الصديق في نحر الظهيرة اي وسطها وهو وقت الزوال قال قايل لابي بكر اي وهذا القايل
هي اسما بنت ابي بكر وفي كلام بعض الحفاظ يحتمل ان يفسر بعامر ابن فهيرة اي مولى ابي
بكر قالت اسما قلت يا ابت هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم متقنعا اي متطيلسا في
ساعة لم يكن ياتينا فيها اي فعن عايشة رضي الله تعالى عنها لم يمر علينا يوم اي قبل الهجرة
الا ياتينا فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم طرفي النهار بكرة وعشية وفي لفظ كان لا يخطي
ان ياتي رسول الله صلى الله عليه وسلم بيت ابي بكر احد طرفي النهار اما بكرة واما عشية اي
ويحتاج الي الجمع بين هاتين الروايتين على تقدير صحة الثانية والا فالاولى في البخاري
وتفسير التقنع بالتطيلس ذكره الحافظ ابن حجر حيث قال قوله متقنعا اي متطيلسا
وهو اصل في لبس الطيلسان هذا كلامه واعترضه ابن القيم حيث قال لم ينقل عنه صلى الله
عليه وسلم انه لبس الطيلسان ولا احد من اصحابه بدوح [illegible] لا يكون القناع هنا هو الطيلسان بل التقنع
تغطية الراس واكثر الوجه بالردا من غير ان يجعل منه تحت رقبته الذي يقال له التحنيك وحمل قول
ابن القيم المذكور على الطيلسان المقور الذي تلبسه اليهود قال بعضهم وهذا الطيلسان المقور
هو المعروف بالطرحة وقد اتخذه خلفاء بني العباس الطرحة السودا على العمامة عند الخطبة
واستمر ذلك شعارا للخلفاء فالحاصل ان ما يغطى به الراس مع اكثر الوجه ان كان معه تحنيك

قيل

قيل له قناع وربما قيل له مجازا طيلسان وهو ما كان شعارا في القديم لقاضي القضاة الشافعي قال
بعضهم بل صار شعار العلماء ومن ثم صار لبسه يتوقف على الاجازة من المشايخ كالافتاء والتدريس فكان
الشخص يكتب في اجازته وقد اذنت له في لبس الطيلسان لانه شهادة بالاهلية وما يجعل على الاكتاف
دون الراس يقال له ردا فقط وربما قيل له طيلسان ايضا مجازا وصح عن ابن مسعود وله حكم المرفوع
التقنع من اخلاق الانبياء وقد ذكر بعضهم ان الطيلسان الخلوة الصغري وفي حديث لا يتقنع الا من استكمل
الحكمة في قوله وفعله وكان من عادة فرسان العرب في المواسم والجموع كالاسواق واول من لبس
الطيلسان بالمدينة جبير بن مطعم وفي الكفاية لابن الرفعة ان ترك الطيلسان للفقيه مخل بالمروة
اي وهو بحسب ما كان في زمنه وفي الترمذي لم يكن عادته صلى الله عليه وسلم التقنع انما كان يفعله
لحر او برد وتعقب بانه مما حديث انس كان النبي صلى الله عليه وسلم كان يكثر التقنع وفي طبقات ابن سعد
مرسلا انه ذكر لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال هذا ثوب لا يودي شكره اي لانه يغض البصر
ومن ثم قيل انه الخلوة الصغري كما تقدم ولما قيل لابي بكر رضي الله عنه ذلك اي هذا رسول الله صلى
الله عليه وسلم متقنعا قال ابو بكر فدا له ابي وامي والله ما جا به في هذه الساعة الا امر قالت فجا
رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستاذن فاذن له فدخل اي وتنحى ابو بكر عن سريره وجلس عليه
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال النبي صلى الله عليه وسلم لابي بكر رضي الله تعالى عنه اخرج من عندك
فقال ابو بكر انما هم اهلك اي لانه صلى الله عليه وسلم كان عقد على عايشة رضي الله تعالى عنها
كما تقدم فانها من جملة اهله واختها كذلك وقيل هو على حد قول الشخص الاخر اهلي اهلك وفي
رواية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اخرج من عندك فقال ابو بكر رضي الله تعالى عنه لا عين عليك
انما هي ابنتاي اي وسكت عن امهما سترا لها قال فانه قد اذن لي في الخروج فقال ابو بكر الصحبة
يا رسول الله بابي وامي انت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم اي فبكى ابو بكر سرورا قالت عايشة
رضي الله عنها فرايت ابا بكر يبكي وما كنت احسب ان احدا يبكي من الفرح حتى رايت ابا بكر
ولله در القايل ورد الكتاب من الحبيب بانه سيزورني فاستعبرت اجفاني غلب السرور علي حتى
انه من فرط ما قد سرني ابكاني يا عين صار الدمع عندك عادة تبكين من فرح ومن احزان
اي ومما اقر الله عينه لمن يدعى له وهو قرة عين لمن يفرح به واسخن الله عينه لمن يدعى عليه وهو
سخنة عين لمن يحزن به لان دمعة السرور باردة ودمعة الحزن حارة وقد روي ان نبيا
من الانبيا اجتاز بحجر يخرج منه الما فسال ربه عن ذلك فانطق الله ذلك الحجر فقال منذ سمعت
ان لله تعالى نارا وقودها الناس والحجارة وانا ابكي هذا البكا خوفا من تلك النار فاستشفع لي
عند ربك فشفع له فشفعه فيه وبشره بذلك ثم مر بعد مدة فاذا الما يخرج منه فقال الم ابشرك ان
الله انجاك من النار فما هذا فقال يا نبي الله ذاك بكا الخوف والخشية وهذا بكا الفرح والمسرة
ومن ثم لما قال صلى الله عليه وسلم لابي بن كعب ان الله امرني ان اقرا عليك سورة لم يكن الذين
كفروا من اهل الكتاب بكى من الفرح وقال او ذكرت هناك اي يذكرني الله وفي لفظ سماني قال
نعم وفي سفر السعادة قال العلماء البكا على عشرة انواع بكا فرح وبكا حزن لما فات وبكا رحمة

وبكا خوف لما يحصل وبكا الكذاب كبكا النايحة فانها تبكي لشجو غيرها وبكا موافقة بان يرى جماعة
يبكون فيبكي مع عدم علمه بالسبب وبكا المحبة والشوق وبكا الجزع من حصول الم لا يحتمله وبكا
الخور والضعف وبكا النفاق وهو ان تدمع العين والقلب قاسي والبكا بالقصر مع الدمعة
من غير صوت والممدود ما كان معه صوت واما التباكي فهو تكلف البكا وهو نوعان محمود ومذموم
فالاول ما يكون لاستجلاب رقة القلب وهو المراد بقول سيدنا عمر لما راى المصطفى وابا بكر
يبكيان في شان اسارى بدر اخبرني ما يبكيك يا رسول الله فان وجدت بكا بكيت والا تباكيت
ومن ثم لم ينكر عليه صلى الله عليه وسلم ذلك والثاني ما يكون لاجل الريا والسمعة قال ابو بكر الاخذ بابي
انت يا رسول الله احدى راحلتي هاتين فاني اعددتهما للخروج قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بل
بالثمن لتكون هجرته صلى الله عليه وسلم الى الله تعالى بنفسه وماله واله فقد انفق ابو بكر رضي الله عنه
اكثر ماله صلى الله عليه وسلم بنفسه وماله واله فقد انفق ابو بكر رضي الله تعالى عنه اكثر ماله صلى الله
عليه وسلم فعن عايشة رضي الله تعالى عنها انفق ابو بكر رضي الله عنه على النبي صلى الله عليه وسلم اربعين الف
درهم وفي لفظ دينار ومن ثم قال صلى الله عليه وسلم ليس من احد امن علي في اهل ومال من ابي بكر
رضي الله عنه وفي رواية ما احد امن علي في صحبة وذات يده من ابي بكر وما نفعني مال ما نفعني
مال ابي بكر فبكى ابو بكر رضي الله عنه وقال هل انا ومالي الا لك يا رسول الله وفي رواية ما لاحد
عندنا يد الا وقد كافيناه خلا ابي بكر فان له عندنا يدا يكافيه الله بها يوم القيامة اقول ولعلها في
كونه صلى الله عليه وسلم اخذ احدى راحلتي ابي بكر بالثمن ما رواه ابان ابن ابي عياش احد الضعفا
عن انس رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لابي بكر رضي الله عنه ما اطيب مالك منه
بلال مؤذني وناقتي التي هاجرت عليها وزوجتني ابنتك وواسيتني بمالك كاني انظر اليك
على باب الجنة تشفع لامتي لان ابان ابن ابي عياش معدود من الضعفا وقد قال شعبة رحمه الله
لان اشرب من بول حمار حتى اروى احب الي من ان اقول حدثنا ابان ابن ابي عياش وقال شعبة
مرة اخرى لان يزني الرجل خير من ان يروي عن ابان وقد طلب من شعبة ان يكف عن ابان
هذا فقال لا ارعوي وهذا يكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد يجاب عن ابان بانه
كان يروي عن انس رضي الله عنه وكان يجالس الحسن البصري فكان يسمع كلامه فاذا حدث
ربما جعل كلام الحسن عن انس مرفوعا وهو لا يعلم وعلى تقدير صحة ما قاله ولا منافاة ايضا
لانها كانت من مال ابي بكر قبل ان ياخذها صلى الله عليه وسلم بثمنها على ان في الترمذي ما
يوافق ما رواه ابان فعن علي كرم الله وجهه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رحم الله
ابا بكر زوجني ابنته وحملني الى دار الهجرة وصحبني في الغار واعتق بلالا من ماله قال وهذا
حديث غريب والله اعلم وكان الثمن عن تلك الناقة التي هي القصوا وقد عاشت بعده صلى
الله عليه وسلم وماتت في خلافة ابي بكر رضي الله عنه او الجدعا اربعماية درهم اي لما علمت ان
الناقتين اشتراهما ابو بكر بثمانماية درهم واما ناقته صلى الله عليه وسلم العضبا فقد جاءت ابنته
فاطمة رضي الله عنها تحشر عليها قالت عايشة رضي الله عنها فجهزناهما احب الجهاز اي اسرعه

و

والجهاز بكسر الجيم افصح من فتحها ما يحتاج اليه في السفر ووضعنا لهما سفرة من جراب اي زاد
في جراب لان السفرة شاة مطبوخة فقطعت اسما بنت ابي بكر رضي الله عنها قطعة من نطاقها
وهو يوافق ما في صحيح مسلم عن اسما رضي الله عنها انها قالت للحجاج بلغني انك تقول اي لولدها
عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما تعيره يا ابن ذات النطاقين اجل والله انا ذات النطاقين اما
احدهما فكنت ارفع به طعام رسول الله صلى الله عليه وسلم وطعام ابي بكر رضي الله عنه واما الاخر
فنطاق المراة اي الذي لا تستغني عنه اي عند اشتغالها لان النطاق ما تشد به المراة وسطها
ليلا تعثر في ذيلها اي على ثوب يلقى اعلاه على اسفله ويشد النطاق ازار فيه تكة ومن ثم جا
في بعض الروايات ذات النطاق وكلاهما صحيح لكن في لفظ قطعت نطاقها قطعتين اي فاوكات
بقطعة منه فم الجراب وشدت فم القربة بالباقي اي فلم يبق لها شي منه ويوافقه ما في البخاري
عن اسما رضي الله عنها انها لم تجد لسفرة رسول الله صلى الله عليه وسلم اي لمحلها الذي هو الجراب ولا لسقايه
اي الذي هو القربة ما تربطهما به فقلت لابي بكر لا والله ما اجد شيا اربطه الا نطاقي
قال رضي الله عنه فشقيه اثنين واربطي بواحد السقا الذي هو القربة وبواحد السفرة ففعلت
فلذلك سميت ذات النطاقين اي سماها بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال لها ابدلك
الله بنطاقك هذا نطاقين في الجنة وفيه ان الرواية الاولى التي عن عايشة والرواية الثانية
التي عن اسما التي رواها مسلم لم تذكر السقا وفي رواية البخاري ذكر السقا واسقاط الجراب لكن
ذكر بدل الجراب السفرة وقد يقال المراد بربط السفرة ربط الذي هو الجراب كما اشير اليه
قال بعضهم وما تقدم عن مسلم ينبغي ان يكون اقرب الى الضبط لان اسما قالته في اخر عمرها
محتجة عن نفسها اي فلم يربط الا الجراب ما احرى شقي النطاق وابقت لها الاخر وقد الحصر ليس في
محله لنا فانه لرواية البخاري وحينيذ يجمع بانه يجوز انها لما شقت النطاق نصفين قطعت احدهما
قطعتين فشدت باحدهما الجراب وبالاخرى السقا فهي ذات النطاقين الذي ابقته والذي
فعلت به ما ذكر وفي السيرة الهشامية ان اسما بنت ابي بكر رضي الله عنهما جاءت لهما لما ارتحلا
من الغار بسفرتهما ونسيت ان تجعل لها عصاما فذهبت تعلق القربة فاذا ليس عصام فشقت
نطاقها فجعلته عصاما فعلقتها وانتطقت بالاخرى اي وهذا يدل على ان المراة تقول عايشة رضي
الله عنها فجهزناهما احب الجهاز اي عند خروجهما من الغار لا عند ذهابهما الى الغار كما قد يتبادر
الى الساقة ثم على المتبادر جرى ابن الجوزي حيث قال اسما بنت ابي بكر رضي الله عنهما اسلمت
بمكة قديما وبايعت وشقت نطاقها ليلة خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الغار فجعلت
واحدا لسفرة رسول الله صلى الله عليه وسلم والاخر عصاما لقربته فسميت ذات النطاقين هذا
كلامه وقد يقال لا مانع من تعدد ذلك وكون النطاق ما تشد به المراة وسطها ليلا تعثر
في ذيلها يخالفه قول بعضهم النطاق هو ثوب تلبسه المراة ثم تشد وسطها بحبل ثم ترسل
الاعلى على الاسفل وهذا يوافق القيل المتقدم لعل اطلاقه يوافق الثاني ما قيل اول
من فعل ذلك هاجر ام اسماعيل عليه السلام اتخذته لتخفي اثر مشيها على سارة ولعله عند خروجها

لما امره الله باخراجها مع ابراهيم عليه السلام ليذهب بها الى مكة قبل ان تركب مع ابراهيم على البراق ثم
استاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم وابو بكر رضي الله عنه رجلا من بني الديل اي وهو عبد الله بن الاريقط
اي ويقال ابن الارقط وارقد اسم امه فان ليقط مصغر هاديا لهما على الطريق للمدينة وكان على دين قريش
اي ثم اسلم بعد ذلك وقيل لم يعرف له اسلام وفي الروض ما وجدنا من طريق صحيح انه رضي الله عنه اسلم بعد
ذلك فدفعا اليه راحلتيهما وواعداه على جبل ثور بعد ثلاث ليالي وقيل للجبل ثور لانه على صورة
الثور الذي يحرث عليه وسياق الشامي يدل على ان استيجار عبد الله المذكور كان قبل التجهيز قالت عائشة
رضي الله عنها ثم لحق رسول الله صلى الله عليه وسلم وابو بكر بغار في جبل ثور اي ليلا كما تقدم وعن ابن
سعد لما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من بيته الى بيت ابي بكر رضي الله عنه فكان فيه الى الليل
ثم خرج هو صلى الله عليه وسلم وابو بكر رضي الله عنه فمضيا الى غار ثور فدخلاه اي وكان خروجهما من
خوخة في ظهر بيت ابي بكر رضي الله عنه فعن عائشة بنت قدامة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لقد
خرجت من الخوخة متنكرا فكان اول من لقيني ابو جهل لعنه الله فاعمى الله عز وجل بصره عني
وعن ابي بكر رضي الله عنه حتى مضينا وفي كلام سبط ابن الجوزي رحمه الله وعن وهب بن منبه ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم انما خرج الى الغار من بيت ابي بكر رضي الله عنه لخوخة من خوخة
في ظهر الدار والاصح ان خروجه صلى الله عليه وسلم انما كان من بيت نفسه وجعل ابو بكر رضي
الله عنه يمشي مرة امام النبي صلى الله عليه وسلم ومرة خلفه ومرة عن يمينه ومرة عن شماله فساله
رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك فقال يا رسول الله اذكر الرصد فاكون امامك واذكر الطلب
فاكون خلفك ومرة عن يمينك ومرة عن يسارك لا امن عليك اقول في الدر المنثور فمشى صلى الله
عليه وسلم ليلته على اطراف اصابعه اي لئلا يظهر اثر رجليه على الارض حتى حفيت رجلاه
فلما راها ابو بكر رضي الله عنه قد حفيتا حمله على كاهله وجعل يشتد به حتى اتى فم الغار فانزله
وفي لفظ لم ينعل رسول الله صلى الله عليه وسلم الغار حتى فطرت قدماه دما وفي كلام السهيلي
عن ابي بكر رضي الله عنه انه قال نظرت الى قدمي رسول الله صلى الله عليه وسلم في الغار وقد تقطرتا
دما قال بعضهم ويشبه ان يكون ذلك من خشونة الجبل والا فبعد المكان لا يحتمل ذلك او لعلهم
ضلوا طريق الغار حتى بعدت المسافة ويدل عليه قوله فمشى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلته وفي
لفظ فانتهينا الى الغار مع الصبح ولا يحتمل ذلك مشي ليلة الا بتعدد ذلك او انه صلى الله عليه وسلم
كما قيل ذهب الى جبل حنين فناداه اهبط عني فاني اخاف ان تقتل على ظهري فاعذب
فناداه جبل ثور الي يا رسول الله وساق في الاصل رواية تقتضي انه ذهب الى غار ثور راكبا ناقته
الجدعاء ثم رايته في النور اشار الى ان ركوبه الجدعاء انما كان بعد خروجه من الغار لا انه ركبها من منزل
ابي بكر رضي الله عنه الى الغار كما هو ظاهر الرواية وفي الخصائص الكبرى عن ابن عباس رضي الله عنهما
لما تشاور المشركون في امر رسول الله صلى الله عليه وسلم واطلع الله نبيه صلى الله عليه وسلم على ذلك
خرج تلك الليلة حتى لحق الغار فلما اصبحوا اقتفوا اثره صلى الله عليه وسلم فلما بلغوا الجبل اختلط عليهم
اي وهو مخالف لما تقدم من ان خروجه صلى الله عليه وسلم الى الغار كان في الليلة الثانية لا في

ليلة

ليلة خروجه على قريش وقد يقال لا منافاة لان قوله حتى لحق بالغار غاية لمطلق الخروج من بيته
لا في خصوص تلك الليلة اي خرج صلى الله عليه وسلم من بيته واستمر على خروجه حتى لحق بالغار وذلك
في الليلة الثانية لكن تقدم انه صلى الله عليه وسلم جاء الى بيت الصديق ابي بكر رضي الله عنه متقنعا في وقت
الظهيرة فليتامل واعلم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم علما كرم الله وجهه بخروجه الى الهجرة وامره
ان يتخلف بعده حتى يؤدي عنه الودائع التي كانت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم للناس لانه لم يكن
بمكة احد عنده شيء يخشى عليه الا وضعه عنده صلى الله عليه وسلم لما يعلمون من امانته اي وكمل
اعلام علي كرم الله وجهه بذلك كان عند توجهه صلى الله عليه وسلم الى بيت ابي بكر رضي الله عنه لانه لم
يثبت انه صلى الله عليه وسلم اجتمع بعلي كرم الله وجهه بعد ذلك الا في المدينة لكن سياتي عن الورد
ما يقتضي انه اجتمع به عند خروجه من الغار وفي الفصول المهمة انه صلى الله عليه وسلم وصى عليا كرم الله
وجهه بحفظ ذمته واداء امانته ظاهرا على اعين الناس وامره ان يبتاع رواحل للفواطم
فاطمة بنت محمد صلى الله عليه وسلم وفاطمة بنت اسد ام علي كرم الله وجهه وفاطمة بنت الزبير بن
عبد المطلب ولمن هاجر معه من بني هاشم ومن ضعفاء المؤمنين وشرا علي كرم الله وجهه
الرواحل يخالف لما ياتي في الاصل انه صلى الله عليه وسلم ارسل الى علي كرم الله وجهه جملة وارسل
يقول تسبقها تحمل ابنتي الفواطم وهي فاطمة ابنة حمزة رضي الله عنهما وفاطمة بنت عتبة وفاطمة
ام علي كرم الله وجهه وفاطمة بنت محمد صلى الله عليه وسلم وارساله لتلك الجملة كان بعد وصوله
صلى الله عليه وسلم الى المدينة فليتامل قال في الفصول المهمة وقال صلى الله عليه وسلم لعلي
كرم الله وجهه اذا ابرمت ما امرتك به كن على اهبة الهجرة الى الله ورسوله وسر لقدوم كتابي
عليك واذا جاء ابو بكر فوجهه خلفي نحو بئر ام ميمون وكان ذلك في فحمة العشاء والرصد من
قريش قد احاطوا بالدار ينتظرون ان تنتصف الليلة وينام ودخل ابو بكر رضي الله عنه على علي
كرم الله وجهه وهو يظنه اي وابو بكر يظن عليا رضي الله عنهما رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال
له علي كرم الله وجهه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج نحو بئر ام ميمون وهو يقول لك ادركني
فلحقه ابو بكر رضي الله عنه ومضيا جميعا يتسايران حتى اتيا جبل ثور فدخلا الغار فليتامل الجمع بينه
وبين ما تقدم ولما انتهيا الى فم الغار قال ابو بكر رضي الله عنه للنبي صلى الله عليه وسلم والذي بعثك
بالحق نبيا لا تدخل حتى ادخله قبلك وان كان فيه شيء نزل بي قبلك فدخل رضي الله عنه فجعل
يلتمس بيده كلما راى جحرا قال بثوبه فشقه ثم القمه الجحر حتى فعل ذلك بجميع ثوبه فبقي جحر وكان
فيه حية فوضع رضي الله عنه عقبه عليه ثم دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم ان الحية التي في الجحر
لما احست بعقب سيدنا ابي بكر رضي الله عنه جعلت تلسعه وصارت دموعه تتحدر قال ابن
كثير رحمه الله وفي هذا السياق غرابة ونكارة اي وقد كان صلى الله عليه وسلم وضع راسه في حجر ابي
بكر رضي الله عنه ونام فسقطت دموع ابي بكر على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستيقظ فقال
صلى الله عليه وسلم ما لك يا ابا بكر قال لدغت بالدال المهملة والغين المعجمة فداك ابي وامي
فتفل رسول الله صلى الله عليه وسلم على محل اللدغة فذهب ما يجده قال بعضهم وقاه بعقبه

فيوشك ان يغشيه قال بعضهم والسر في اتخاذ رافضة العجم اللباد المقصص على رؤوسهم تشبيها بالحية التي
لدغت ابا بكر رضي الله عنه في الغار اي لانهم يزعمون ان ذلك على صورة تلك الحية ومما اتفق ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال لابي بكر رضي الله عنه اين ثوبك فاخبره الخبر زاد في رواية وانه صلى الله عليه وسلم راى على
ابي بكر رضي الله عنه اثر الورم فسأله عنه فقال من لدغة الحية فقال صلى الله عليه وسلم هلا اخبرتني
قال كرهت ان اوقظك فمسحه النبي صلى الله عليه وسلم فذهب ما به من الورم والالم اي ويحتاج الى الجمع
بين هاتين الروايتين على تقدير صحتهما وحين اخبره صلى الله عليه وسلم ابو بكر بذلك مسح رسول الله صلى
الله عليه وسلم بيده وقال اللهم اجعل ابا بكر معي في درجتي في الجنة فاوحى الله اليه قد استجاب الله
لك وروي انه صلى الله عليه وسلم رضي الله عنه لما صار يلمس كل جحر وجحر اصاب يده ما ادماها فصار يمسح
الدم عن اصبعه وهو يقول هل انت الا اصبع دميت وفي سبيل الله ما لقيت اي وسياتي ان هذا البيت
من كلام عبد الله بن رواحة رضي الله عنه وقيل من كلامه صلى الله عليه وسلم وانه يجوز ان يكون ابن
رواحة ضمن كلامه ذلك البيت لا بانه له ومما قد يؤيد ذلك من كلامه صلى الله عليه وسلم ما ذكره سبط ابن الجوزي
ان ابا بكر رضي الله عنه لما لحقه صلى الله عليه وسلم في اثناء الطريق ظنه رسول الله صلى الله عليه وسلم من الكفار
فاسرع صلى الله عليه وسلم فانقطع قبال نعله ففلق ابهامه حجر فسال الدم فرفع ابو بكر رضي الله عنه
صوته ليعرفه صلى الله عليه وسلم فعرفه وربما يصرح بذلك ما يأتي عن جندب البجلي رضي الله عنه قال
كنت مع النبي صلى الله عليه وسلم في غار كذا فدميت اصبعه فذكر البيت المذكور واراد بالغار
غارا من الغيران لا هذا كما توهم ومما في الصحيحين عن جندب بن عبد الله رضي الله عنه بينما نحن مع رسول
الله صلى الله عليه وسلم اذ اصابه حجر فدميت اصبعه فقال هل انت الا اصبع دميت البيت اي ولما
دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم وابو بكر رضي الله عنه الغار امر الله شجرة اي وهي التي يقال لها
العشار اي وقيل ام غيلان فنبتت في وجه الغار فسترته بفرعها اي ويقال انه صلى الله عليه وسلم
دعا تلك الشجرة وكانت امام الغار فاقبلت حتى وقفت على باب الغار وانها كانت مثل
قامة الانسان وبعث الله العنكبوت فنسجت ما بين فروعها اي نسجا متراكما بعضه على بعض
اي كنسج اربع سنين كما قال بعضهم وقد نسج العنكبوت ايضا على عبد الله بن انيس رضي الله عنهما لما
قتل سفيان بن خالد وقطع راسه واخذها ودخل في غار الجبل وكمن فيه حتى انقطع عنه الطلب
كما سياتي ونسج ايضا على نبي الله داود عليه السلام لما طلبه طالوت ونسج ايضا على عورة
سيدنا زيد بن سيدنا علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب وهو اخو الامام الباقر وعم الامام
جعفر الصادق وهو الذي تنسب اليه الزيدية كان اماما مجتهدا وكان ممن اخذ عن واصل
ابن عطا الآخذ عن الحسن البصري ولما اثبت عطا المنزلة بين المنزلتين امره الحسن البصري
رحمه الله تعالى باعتزال مجلسه فاعتزل فقيل له معتزلي وصار يقال لاصحابه معتزلة ولا يلزم
من كون شيخ سيدنا زيد معتزليا ان يسلك سيدنا زيد مسلكه وصلب سيدنا زيد رضي الله عنه
عريانا واقام مصلوبا اربع سنين وقيل خمس سنين فلم تر عورته وقيل ان بطنه الشريف ارتخى
على عورته فغطاها ولا مانع من وجود الامرين وكانوا عند صلبه وجهوه الى غير القبلة

فدارت

فدارت خشبته التي صلب عليها الى ان صار وجهه الى القبلة وقد وقع لخبيب رضي الله عنه
نحو ذلك كما سياتي ثم احرقوا خشبة زيد وجسده وادروا رماده في الرياح على شاطئ الفرات
فانه رضي الله عنه خرج على هشام بن عبد الملك وقد سمت نفسه للخلافة فحاربه يوسف
بن عمر الثقفي امير العراقين من قبل هشام بن عبد الملك فانهزم اصحاب زيد رضي الله عنه بعد
ان خذلوه وانفرق عنه اكثرهم فقد بايعه رضي الله عنه ناس من اهل الكوفة وطلبوا منه ان يتبرأ
من الشيخين ابي بكر وعمر رضي الله عنهما لينصروه فقال كلا بل اتولاهما فقالوا اذا نرفضك فقال
اذهبوا فانتم الرافضة فسموا بذلك من حينئذ رافضة وجاءت اليه طائفة وقالوا نحن نتولاهما
ونبرأ ممن يبرأ منهما فقبلهم وقاتلوا معه فسموا الزيدية اقول والعجب ممن يتمذهب بمذهب
زيد ويبرأ من الشيخين ويكرههما ويكره من يذكرهما بخير بل ربما يسبهما وعند مقاتلته رضي
الله عنه اصابته جراحات واصابه سهم في جبهته وحاول انسان نزع النشابة فطلبوا حجاما
من بعض القرى لينزع له النصل فاستخرجه فمات من ساعته ودفنوه من ساعته واخفوا
قبره واجروا عليه الماء واستكتموا الحجام ذلك فلما اصبح الحجام سعى الى يوسف بن عمر فاخبره
ودله على موضع قبره فاستخرجه وبعث براسه الى هشام فبعث اليه هشام ان اصلبه
عريانا فصلبه كذلك ويقال ان هشام ابن عبد الملك قال يوما لزيد رضي الله عنه بلغني انك
تريد الخلافة ولا تصلح لها لانك ابن امة فقال رضي الله عنه قد كان اسماعيل عليه السلام
ابن امة واسحق عليه السلام ابن حرة فاخرج الله من صلب اسماعيل عليه السلام خير ولد آدم
فقال له هشام قم فقال رضي الله عنه اذن لا تراني الا حيث تكره ومن شعره رضي الله عنه
لا تطمعوا ان تهينونا ونكرمكم وان نكف الاذى عنكم وتؤذونا قيل وراس زيد هذا دفنت
بمصر القديمة بمسجد يقال له مشهد زين العابدين بن علي بن الحسين وكذلك وقع في طبقات
العارف بالله الشيخ عبد الوهاب الشعراوي نفعنا الله به وليس كذلك بل هو محل راس
زيد لا زين العابدين كما ذكره المقريزي في الخطط ويقال له زيد الابزار وذكر في حياة الحيوان
ان ما نسجه العنكبوت يخرج من خارج جلدها لا من جوفها وعن علي كرم الله وجهه طهروا
بيوتكم من نسج العنكبوت فان تركه في البيوت يورث الفقر فالى الله حمامتين وحشيتين
فوقفتا بفم الغار اي ويروى انهما باضتا اي وفرختا كما قال بعضهم واستأجر المشركون رجلا
يقال له علقمة بن كرز رضي الله عنه فانه اسلم بعد ذلك عام الفتح ليقتص لهم اثر النبي صلى الله
عليه وسلم فقفا لهم الاثر حتى انتهى الى الغار اي فقعد وبال في اصل الشجرة
ثم قال ههنا انقطع الاثر ولا ادري اخذ يمينا ام شمالا ام صعد الجبل وفي رواية
قال لهم القائف هذا القدم قدم ابن ابي قحافة وهذا القدم الاخر لا اعرفه الا انه يشبه
القدم الذي في المقام يعني مقام ابراهيم فقالت قريش ما وراء هذا شيء فلما وصل الى
الغار قال الى ههنا انتهى الاثر وتقدم انه صلى الله عليه وسلم قال لابي بكر رضي الله عنه
ضع قدمك موضع قدمي فان الرمل لا ينم وتقدم ما في ذلك اي لان المشركين لما فقدوا

رسول الله صلى الله عليه وسلم شق عليهم ذلك وخافوا ذلك وطلبوه بمكة اعلاها واسفلها
وبعثوا القافة اي الذين يقصون الاثر في كل وجه يقفون اثره فوجد الذي ذهب
الى جبل ثور اثره اي وقال ما تقدم واقبل فتيان قريش من كل بطن بعصيهم وسيوفهم
اي ولما اقبلوا شق صلى الله عليه وسلم على صهيب رضي الله عنه وخاف عليه قال واصهيباه
ولا صهيب لي اي لانه تواعد معهما ان يكون ثالثهما فلما اراد رسول الله صلى الله عليه وسلم الخروج
للغار ارسل له ابا بكر مرتين او ثلاثا فوجده يصلي فقال يا رسول الله وجدت صهيبا
يصلي فكرهت ان اقطع عليه صلاته فقال صلى الله عليه وسلم اصبت وتقدمت الحكاية على
هذا قيل كان فتيان قريش على اربعين ذراعا من الغار تعجل بعضهم ينظر في الغار فلم ير الا
حمامتين وحشيتين اي مع العنكبوت فقال ليس فيه احد فسمع النبي صلى الله عليه وسلم ما قال فعرف
ان الله عز وجل قد درأ عنه اي دفع عنه وفي رواية فلما انتهوا الى فم الغار قال قائل منهم
ادخلوا الغار فقال امية ابن خلف وما اربكم اي حاجتكم الى الغار ان عليه لعنكبوتا كان
قبل ميلاد محمد اي ولو دخل الغار لانفسخ ذلك العنكبوت وتكسر البيض وهذا يدل ان
البيض لم يكن فرخ اي ويحتمل ان بعض البيض فرخ وبعضه لم يفرخ ثم جاء قبالة فم الغار
فبال فقال ابو بكر رضي الله عنه يا رسول الله اراه يرانا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا ابا بكر
لو كان يرانا ما فعل هذا وفي بعض الروايات لو رآنا ما كشف عن فرجه اي ما
استقبلنا بفرجه وبوله قال ابو جهل لعنه الله اما والله اني لاحسبه قريبا يرانا ولكن
بعض سحره اخذ على ابصارنا فانصرفوا وذكر ابن كثير ان بعض اهل السير ذكر ان ابا بكر
رضي الله عنه لما قال للنبي صلى الله عليه وسلم لو ان احدهم نظر الى قدميه لابصرنا تحت
قدميه قال له النبي صلى الله عليه وسلم لو جاءونا من هاهنا لذهبنا من هاهنا فنظر
الصديق رضي الله عنه الى الغار قد انفرج من الجانب الآخر واذا البحر قد اتصل به
وسفينة مشدودة الى جانبه قال ابن كثير رحمه الله وهذا ليس بمنكر من حيث القدرة
العظيمة ولكن لم يرد ذلك باسناد قوي ولا ضعيف ولسنا نثبت شيئا من تلقاء انفسنا
ونهى النبي صلى الله عليه وسلم يومئذ عن قتل العنكبوت وقال انها جند من جند الله
تعالى انتهى وعن ابي بكر الصديق رضي الله عنه انه قال لا ازال احب العنكبوت
منذ رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم احبها وقال جزى الله العنكبوت عنا خيرا فانها
نسجت علي وعليك يا ابا بكر الا ان البيوت تطهر من نسجها اي ينبغي ذلك لما تقدم
ان وجود نسجها في البيوت يورث الفقر وفي الجامع الصغير العنكبوت شيطان
فاقتلوه وفي لفظ العنكبوت شيطان مسخه الله فاقتلوه فان صح وثبت تأخره
فهو ناسخ له وان كان متقدما على ما هنا وقد صح ما هنا فهو منسوخ به والله اعلم وبارك
صلى الله عليه وسلم على الحمامتين اي وفرض جزاءهما وانحدرتا في الحرم فافرختا فكل شيء
في الحرم من الحمام منهما اي ولذلك ذهب البعض من ائمتنا الى صحة الوقف على حمام مكة دون

غيره من الطيور وهو الراجح نظرا الى الاتباع في كون حمام الحرم من نسل ذلك الزوج فانه
روي في قصة نوح عليه السلام انه بعث الحمامة من السفينة لتاتيه بخبر الارض فوقعت
بوادي الحرم فاذا الماء قد نضب من موضع الكعبة وكانت طينتها حمراء فاختضبت رجلاها
ثم جاءته فمسح عنقها وطوقها طوقا ووهب لها الحمرة في رجليها واسكنها الحرم ودعا لها
بالبركة وفي شعر الحارث بن مضاض الذي اوله

كأن لم يكن بين الحجون الى الصفا ** انيس ولم يسمر بمكة سامر
وتبكي لبيت ليس يؤذى حمامه ** تظل به امنا وفيه العصافر

ففي هذا ان الحمام قد كانت في الحرم من عهد جرهم اي ونوح وذكر بعضهم ان حمام
مكة اظلته صلى الله عليه وسلم يوم فتحها فدعا لها بالبركة ويروى ان ابا بكر رضي الله
عنه لما رأى قريشا اقبلت نحو الغار خصوصا ومعهم القافة بكى اي ويقال لما
سمع القائف لقريش والله ما جاوز مطلوبكم من هذا الغار حزن وبكى وقال والله
ما على نفسي ابكي ولكن مخافة ان ارى فيك ما اكره فقال له رسول الله صلى الله عليه
وسلم لا تحزن ان الله معنا فانزل الله سكينته على ابي بكر رضي الله عنه اي وانزل
عليه الامنة التي تسكن عندها القلوب وفي مصحف حفصة فانزل الله سكينته عليهما
قال له لا تحزن ولم يقل له لا تخف لان حزنه على رسول الله صلى الله عليه وسلم شغله عن
خوفه على نفسه وهذا النهي تانيس وتبشير له كما في قوله تعالى له صلى الله عليه وسلم ولا
يحزنك قولهم وبه يرد ما زعمته الرافضة ان ذلك غض من ابي بكر وذلك لان حزنه
ان كان طاعة فالنبي صلى الله عليه وسلم لا ينهى عن الطاعة فلم يبق الا انه معصية وفي
رواية عن ابي بكر رضي الله عنه قلت للنبي صلى الله عليه وسلم ونحن في الغار ولو ان احدهم
نظر الى قدميه لابصرنا تحت قدميه اي لانهم علوا على رؤوسهما فعن ابي بكر رضي الله عنه
قال نظرت الى اقدام المشركين ونحن في الغار وهم على رؤوسنا فقلت يا رسول الله
لو ان احدهم نظر الى قدميه ابصرنا تحت قدميه فقال يا ابا بكر ما ظنك باثنين
الله ثالثهما قال بعضهم كان معهما وثالثهما باللفظ والمعنى اما باللفظ فكان يقال يا رسول
الله ويقال لابي بكر يا خليفة رسول الله واما بالمعنى فكان مصاحبا لهما بالنصر والحماية
والارشاد والضمير في ايده بجنود لم تروها راجع الى النبي صلى الله عليه وسلم وتلك الجنود
ملائكة انزلهم الله عليه في الغار يبشرونه بالنصر على اعدائه ويروى ان ابا بكر رضي الله
عنه عطش في الغار فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم اذهب الى صدر الغار فاشرب
فانطلق ابو بكر رضي الله عنه الى صدر الغار فوجد ماء احلى من العسل وابيض
من اللبن وازكى رائحة من المسك فشرب منه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان الله امر الملك الموكل بانهار الجنة ان يخرق نهرا من جنة الفردوس الى صدر
الغار لتشرب يا ابا بكر قال ابو بكر رضي الله عنه يا رسول الله ولي عند الله هذه المنزلة

فقال النبي صلى الله عليه وسلم نعم والمفضل والذي بعثني بالحق نبيا لا يدخل
الجنة مبغضك ولو كان عمله عمل سبعين نبيا وذكر بعضهم قال كنت جالسا
عند الحبشي ابي بكر رضي الله عنه فقال من كان له عند رسول الله صلى الله عليه
وسلم عدة فليقم فقام رجل فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم عدة
فليقم فقام رجل فقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم وعدني بثلاث
حثيات من تمر فقال ارسلوا الى علي كرم الله وجهه فجا فقال يا ابا الحسن
ان هذا يزعم كذا وكذا فاحث له فحثاها له فقال ابو بكر رضي الله عنه عدوها
فعدوها فوجدوها كل حثية ستين تمرة لا تزيد ولا تنقص فقال ابو بكر
رضي الله عنه صدق الله ورسوله قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة الهجرة في الغار
كفي وكف علي في العدد سوا وذكر الذهبي انه خبر موضوع وتعقل قول الصديق
رضي الله عنه صدق الله ورسوله علة لاختيارة عليا كرم الله وجهه على نفسه في
ان يحثو لان ذلك علة لكون كل حثية جات ستين حثية اي ولما ايست قريش
منهما ارسلوا لاهل السواحل ان من اسر او قتل احدهما كان له مائة ناقة اي
ويقال ان ابا جهل لعنه الله امر مناديا ينادي في اعلى مكة واسفلها من جا
بمحمد او دل عليه فله مائة بعير الى قصة الغار اشار صاحب الهمزية بقوله

اخرجوه منها واواه غار ٭ وحمته حمامة ورقاء ٭
وكفته بنسجها عنكبوت ٭ ما كفته الحمامة الحصداء ٭
واختفى منهم على قرب مراه ٭ ومن شدة الظهور الخفاء ٭

اي كانوا سببا لاخراجه صلى الله عليه وسلم من تلك الارض التي هي مولده ومرباه ووطنه
ووطن ابائه بسبب مبالغتهم في ايذائه صلى الله عليه وسلم وايذا اصحابه رضي الله
عنهم خصوصا ضعفاوهم واواه غار وحمته منهم حمامة في لونها بياض
وسواد وكفته اعداه عنكبوت بنسجها الذي كفته اياهم الحمامة الكثيرة الريش
فتلك الحمامة كانت ورقا حصداوا استتر منهم مع قرب محل رويته لمحل حكمة
خفايه واستتاره منهم مع ظهوره لهم لو نظر احدهم الى ما تحت قدميه شدة
ظهوره صلى الله عليه وسلم عليهم بالغلبة والمعونة الالهية ومكثا في الغار ثلاث
ليال يبيت عندهما عبد الله بن ابي بكر رضي الله عنهما وهو غلام يعرف ما يقال
ياتيهما حين يختلط الظلام ويدلج من عندهما بسحر فيصبح مع قريش بمكة كبايت
في بيته فلا يسمع امرا يكادان به الا وعاه ويخبرهما به وكان عامر بن فهيرة مولى
ابي بكر كان مملوكا للطفيل فاسلم وهو مملوك وكان ممن يعذب في الله فاشتراه
ابو بكر رضي الله عنه من الطفيل واعتقه كما تقدم فكان يرعى عليهما منحة غنم اي

قطعة

قطعة من غنم ابي بكر رضي الله عنه فكان يرعاها حيث تذهب ساعة من العشاء فيغدو بها
عليهما ثم يغلس اي اذا خرج من عندهما عبد الله تبع عامر بن فهيرة اثره بالغنم حتى يعفي
اثر قدميه يفعل ذلك في كل ليلة من تلك الليالي الثلاث اي وذلك بارشاد
من ابي بكر رضي الله عنه ففي السيرة الهشامية وامر ابو بكر ابنه عبد الله رضي الله عنهما يستمع لهما ما يقول
الناس فيهما نهاره ثم ياتيهما اذا امسى بما يكون في ذلك اليوم من الخبر وامر عامر ابن فهيرة رضي الله
عنه ان يرعى غنمه نهاره ثم يريحها عليهما اذا امسى في الغار وكانت اسماء بنت ابي بكر
رضي الله عنهما تاتيهما اذا امست بما يصلحهما من الطعام اقول وفي الدر عن عائشة رضي
الله عنها ما علم ان احد يعلم مكان ذلك الغار الا عبد الله ابن ابي بكر واسماء بنت ابي بكر رضي
الله عنهم فانهما كانا يختلفان اليهما وعامر بن فهيرة رضي الله عنه فانه كان اذا سرح غنمه مر
بهما فحلب لهما وفي الفصول المهمة واقام رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة ايام بلياليها
في الغار وقريش لا يدرون اين هو واسماء بنت ابي بكر رضي الله عنهما كانت تاتيهما ليلا
بطعامهما وشرابهما فلما كانت بعد الثلاث امرها صلى الله عليه وسلم ان تاتي عليا
كرم الله وجهه وتخبره بموضعهما وتقول له يستاجر لهما دليلا ويأتي معه بثلاث
من الابل بعد مضي ساعة من الليلة الاتية اي وهي الليلة الرابعة فجاءت اسماء رضي
الله عنها الى علي كرم الله وجهه فاخبرته بذلك فاستاجر لهما رجلا يقال له الاريقط
بن عبد الله الليثي وارسل معه بثلاث من الابل فجا بهن الى اسفل الجبل ليلا فلما سمع
النبي صلى الله عليه وسلم رغا الابل نزل من الغار هو وابو بكر رضي الله عنه فعرفاه
اي والذي في البخاري فاتاهما براحلتيهما صبح ليال ثلاث فارتحلا اي وتقدم ان
المستاجر للدليل النبي صلى الله عليه وسلم وابو بكر وقد يجمع بان المراد باستيجار علي كرم الله وجهه
للدليل اعطاوه الاجرة وكونه استاجر لهما ثلاث رواحل واتى بهما معه فيه نظر وركب النبي
صلى الله عليه وسلم وركب ابو بكر وركب الدليل وفي الدر المنثور فمكث هو اي النبي
صلى الله عليه وسلم وابو بكر رضي الله عنه في الغار ثلاثة ايام يختلف اليهما بالطعام
عامر بن فهيرة رضي الله عنه وعلي كرم الله وجهه يجهزهما فاشترى ثلاثة اباعر واستاجر
لهم دليلا فلما كان في بعض الليل من الليلة الثالثة اتاهم علي كرم الله وجهه بالابل والدليل
فما قيل ذلك مع ما قبله وفي حديث مرسل مكثت مع صاحبي في الغار بضعة عشر
يوما ما لنا طعام الا ثمر البرير اي الاراك وتقدم في باب رعية الغنم ان ثمر الاراك
النضيج يقال له الكباث بكاف فبا موحدة مفتوحتين فثا مثلثة قال ابن عبد البر
رحمه الله تعالى وهذا اي القول بانهما مكثا في الغار بضعة عشر يوما غير صحيح عند
اهل العلم بالحديث قال الحافظ ابن حجر والمراد كما قال الحاكم انهما مكثا في الغار مختفين
من المشركين في الغار وفي الطريق بضعة عشر يوما وذكر الغار اي الاقتصار عليه
من بعض الرواة والله اعلم قال وعن اسماء بنت ابي بكر رضي الله عنهما ان ابا بكر رضي الله عنه

ارسل ابنه عبد الله رضي الله عنه وحمل ماله وكان خمسة آلاف درهم واربعة آلاف وكان حين اسلم رضي الله
عنه اربعين الف درهم وفي لفظ اربعون الف دينار اي ويؤيد ذلك ما جاء عن انس رضي الله
عنه انفق ابو بكر رضي الله عنه على النبي صلى الله عليه وسلم اربعين الف دينار فحمل اليه ذلك الى الغار
قالت اسماء رضي الله عنها فدخل علينا جدي ابو قحافة رضي الله عنه فانه اسلم بعد وكان قد
ذهب بصره فقال والله اني لاراه يعني ابا بكر قد فجعكم بماله مع نفسه فقالت كلا يا ابت انه
ترك لنا خيرا كثيرا قالت رضي الله عنها فاخذت احجارا فوضعتها في كوة اي طاقة في البيت
كان ابي يضع ماله فيها ووضعت عليها ثوبا ثم اخذت بيده فقلت ضع يدك على هذا المال قالت
فوضع يده عليه فقال لا بأس ان كان ترك لكم هذا ففي هذا بلاغ لكم ولا والله ما ترك لنا شيئا ولكن
اردت ان اسكن قلب الشيخ انتهى اي ولما سمع ضمرة بن جندب بخروجه صلى الله عليه وسلم
وكان مريضا فقال لا عذر لي في مقامي بمكة فامر اهله فخرجوا به فلما وصل رضي الله تعالى عنه
الى التنعيم مات به فانزل الله تعالى ومن يخرج من بيته مهاجرا الى الله ورسوله ثم يدركه
الموت فقد وقع اجره على الله وكان الله غفورا رحيما وقيل نزلت في خالد بن حزام
بن خويلد بن اسد اسلم رضي الله عنه قديما وهاجر الى الحبشة في المرة الثانية فنهشته
حية قبل ان يصل وجاء انه صلى الله عليه وسلم قال لحسان رضي الله عنه هل قلت
في ابي بكر شيئا قال نعم قال قل وانا اسمع فقال رضي الله عنه

وثاني اثنين في الغار المنيف وقد ... طاف العدو به اذ صاعد الجبلا
وكان حب رسول الله قد علموا ... من البرية لم يعدل به رجلا

فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه اي وفي لفظ تبسم ثم قال صدقت
يا حسان هو كما قلت انه احب البرية اليه اي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يعدل
به غيره اقول في ينبوع الحياة والذي اعرف في هذين البيتين انهما من ابيات رثى بها
حسان ابا بكر رضي الله عنه هذا كلامه وقد يقال لا مانع ان يكون حسان ادخلهما في مرثيته
لابي بكر رضي الله عنه بعد ذلك والله اعلم وعن ابي بكر رضي الله عنه انه قال للجماعة ايكم
يقرأ سورة التوبة قال رجل انا قال اقرأ فلما بلغ اذ يقول لصاحبه لا تحزن بكى رضي
الله عنه وقال انا والله صاحبه وعن ابي الدرداء رضي الله عنه قال رآني رسول الله
صلى الله عليه وسلم امشي امام ابي بكر رضي الله عنه فقال يا ابا الدرداء اتمشي
امام من هو افضل منك في الدنيا والآخرة والذي نفس محمد بيده ما طلعت
الشمس ولا غربت على احد بعد النبيين والمرسلين افضل من
ابي بكر رضي الله عنه وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما
قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اتاني جبريل فقال ان
الله عز وجل يامرك ان تستشير ابا بكر رضي الله عنه وعن انس رضي
الله عنه حب ابي بكر رضي الله عنه واجب على امتي

اذا تذكرت شجوا من اخي ثقة ... فاذكر اخاك ابا بكر بما فعلا
الثاني التالي المحمود مشهده ... واول الناس منهم صدق الرسلا
ه ه ه

باب

باب الهجرة الى المدينة

لا يخفى انه لما كانت الليلة الثالثة من دخولهما الغار على ما تقدم جاءهما الدليل
الذي هو الرجل الديلي براحلتيهما فركبا وانطلقا واصطحبتهما وانطلق معهما عامر
بن فهيرة اي رديفا لابي بكر رضي الله تعالى عنهما يخدمهما وفي البخاري ان ابا بكر
رضي الله تعالى عنه كان رديفا له صلى الله عليه وسلم ولا مخالفة لما سيأتي وبرق
انه صلى الله عليه وسلم لما خرج من الغار وركب اخذ ابو بكر رضي الله تعالى عنه
بغرزه اي ركابه والغرز بغين معجمة مفتوحة وراء ساكنة وزاي ركاب الابل
خاصة فقال صلى الله عليه وسلم الا ابشرك قال بلى فداك ابي وامي قال ان الله
عز وجل يتجلى للخلائق يوم القيامة ويتجلى لك خاصة قال الخطيب هذا الحديث
لا اصل له قال السيوطي رحمه الله لا بل له متابعا ودعا صلى الله عليه وسلم بدعاء منه
اللهم اصحبني في سفري واخلفني في اهلي واخذ بهم الدليل على طريق السواحل
وصار ابو بكر اذا سأله سائل عن النبي صلى الله عليه وسلم من هذا الذي معك وفي
رواية من هذا المتقدم بين يديك وفي رواية من هذا الغلام بين يديك اي بناء
على انه كان رديفا له صلى الله عليه وسلم يقول هذا الرجل يهديني الطريق يعني
طريق الخير اي لانه صلى الله عليه وسلم قال له الهِ عني الناس اي اشغل الناس
عني اي تكفل عني بالجواب لمن سأل عني فانه لا ينبغي لنبي ان يكذب ولو صورة كالتورية
فكان ابو بكر رضي الله تعالى عنه يقول لمن سأله عن النبي صلى الله عليه وسلم ما ذكر
وانما لم يسأل ابو بكر عن نفسه لان ابا بكر رضي الله تعالى عنه كان معروفا لهم لانه
كان يكثر المرور عليهم في التجارة للشام اي معروفا لغالبهم فلا ينافي ما في بعض
الروايات انه كان اذا سئل من انت يقول باغي اي طالب حاجة وعلم ان الانبياء
عليهم الصلاة والسلام لا ينبغي لهم الكذب ولو صورة ومن ذلك التورية لكن سيأتي
في غزوة بدر وقوع منه صلى الله عليه وسلم وفي رواية ركب صلى الله عليه وسلم
وراء ابي بكر ناقته وفي التمهيد لابن عبد البر انه لما اتي براحلة ابي بكر سأل ابو بكر
رضي الله تعالى عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يركب ويردفه فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم بل انت اركب وأردفك فان الرجل احق بصدر دابته وكان
اذا قيل له من هذا وراءك قال هذا يهديني السبيل اقول لا مخالفة بين هذا
وبين ما تقدم لانه يجوز ان يكون ركب صلى الله عليه وسلم تارة خلف ابي بكر
على ناقة ابي بكر وتارة ركب صلى الله عليه وسلم على ناقته نفسه امامه وان عدم
ركوبه لها كان في اثنا الطريق ويكون صلى الله عليه وسلم اما اركب راحلته عامر
ابن فهيرة رضي الله تعالى عنه او ترك ركوبها لاجل راحتها والهداية كما تكون
من المتقدم تكون من المتأخر وان كان الاول هو الغالب والله اعلم والى توجهه

صلى الله عليه وسلم الى المدينة الشريفة اشار صاحب الهمزية رحمه الله تعالى بقوله
ونحى المصطفى المدينة واشتاقت اليه من مكة الانحاء
اي وقصد صلى الله عليه وسلم المدينة واشتاقت اليه الجهات من مكة والنواحي وقد
جاء انه صلى الله عليه وسلم لما خرج من مكة الى المدينة مهاجرا وبلغ الجحفة اشتاق
الى مكة فانزل الله تعالى عليه ان الذي فرض عليك القران لرادك الى معاد اي الى
مكة واهل الرجعة يتأولونه الى الدنيا اي من يقول بان النبي صلى الله عليه وسلم
يرجع الى الدنيا كما يرجع عيسى وقد اظهرها عبد الله ابن سبا وكان يهوديا وامه
يهودية سوداء ومن ثم كان يقال له ابن السوداء اظهر الاسلام في خلافة عمر رضي
الله تعالى عنه وقيل في خلافة عثمان رضي الله تعالى عنه وكان قصده باظهاره
الاسلام بوار الاسلام فكان يقول العجب ممن يزعم ان عيسى يرجع الى الدنيا ويكذب
برجعة محمد صلى الله عليه وسلم وقد قال تعالى ان الذي فرض عليك القران لرادك
الى معاد فمحمد احق بالرجعة من عيسى عليهما الصلاة والسلام وتقدم ذلك في اثناء
الكلام على بدء الوحي وكانت قريش كما تقدم ارسلت لاهل السواحل ان من قتل او
اسر ابا بكر رضي الله تعالى عنه او محمدا صلى الله عليه وسلم كان له ماية ناقة اي فمن
قتلهما او اسرهما كان له مايتان فمن سراقة ابن جعشم المدلجي رضي الله تعالى عنه
لانه اسلم بعد ذلك جانا رسل كفار قريش يجعلون فيهما ان قتلا او اسرا ديتين
فبينا انا جالس في مجلس من مجالس قومي بني مدلج اي بقديد وهو محل قريب من رابغ
اقبل رجل منهم حتى قام علينا ونحن جلوس فقال يا سراقة اني رايت اسودة اي
اشخاصا بالسواحل اراه محمدا واصحابه قال سراقة رضي الله عنه فعرفت انهم هم
فقلت انهم ليسوا هم ولكنك رايت فلانا وفلانا انطلقوا باعيننا اي بمرئ منا يطلبون
ضالة لهم اي وفي لفظ قال رايت ركبة اي بالتحريك جمع راكب ثلاثة مروا علي انفا
اي قريبا اني لاراهم محمدا واصحابه قال سراقة رضي الله تعالى عنه فاومات اليه ان
اسكت ثم قلت انما هم بنو فلان يبتغون ضالة لهم ثم لبثت في المجلس ساعة ثم قمت
الى منزلي فامرت جاريتي ان تخرج فرسي خفية الى بطن الوادي وتحبسها علي
واخذت رمحي وخرجت به من ظهر البيت فخططت بزجه في الارض والزج الحديدة
التي تكون في اسفل الرمح وخفضت عاليه اي امسكت باعلاه وجعلت اسفله في الارض
لئلا يراه احد وانما فعل ذلك كله ليفوز بالجعل المتقدم ذكره ولا يشركه فيه احد من
قومه بخروجه معه لقتلهما او اسرهما زاد في رواية ثم انطلقت فلبست لامتي وجعلت
اجر الرمح مخافة ان يشركني اهل الماء يعني قومه قال حتى رايت فرسي
اي وكان يقال لها العود والفرس لغة يقع على الذكر والانثى قال في النور
والمراد هنا الانثى لقوله فركبتها ولقوله فرفعتها اي بالغت في اجرائها حتى

دنوت منهم وفي لفظ فرفعتها وهي تقرب بي اي يكون المراد اسرعت بالسير بها لان
التقريب دون العدو وفوق العادة فعثرت بي فرسي اي فوقعت لمنخريها كما
في حديث اسماء بنت ابي بكر رضي الله تعالى عنهما زاد في رواية ثم قامت تحمحم فخررت
عنها فقمت فاهويت بيدي الى كنانتي فاستخرجت الازلام اي وهي عيدان السهام
التي لا ريش لها ولم تركب فيها النصال واستقسمت بها اضرهم ام لا فخرج الذي
اكره وهو عدم اضرارهم اي لانه مكتوب عليها افعل او لا تفعل ويقال للاول
الامر ويقال للثاني الناهي فركبت فرسي وعصيت الازلام تقرب بي حتى اذا سمعت
قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو لا يلتفت وابو بكر رضي الله تعالى عنه يكثر
الالتفات ساخت اي غابت يدا فرسي في الارض حتى بلغتا الركبتين اي وكانت الارض
جلدة ٥ فخررت عنها ثم زجرتها فنهضت فلم تكد تخرج يديها فلما استوت قايمة اذ
لاثر يديها عثان اي غبار ساطع في السماء مثل الدخان اي مع كون الارض جلدة ٥
فاستقسمت بالازلام فخرج الذي اكره فناديتهم بالامان اي وقلت انظروني لا اوذيكم
ولا ياتيكم مني شيء تكرهونه اي وفي رواية ناديت وقلت انا سراقة بن مالك انظروني
اكلمكم انا لكم نافع غير ضار واني لا ادري لعل الحي فزعوا لركوبي اي ان بلغهم ذلك وانا
راجع رادهم عنكم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لابي بكر قل له ماذا يبتغي فوقفوا فاخبر تهم
بما يريد الناس منهم وفي رواية قال يا محمد ادع الله ان يطلق لي فرسي وارجع عنك
وارد من وراي وفي رواية قال يا هذا ادع الى الله ربكما ولكما ان لا اعود ٥
ففعل اي دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم فانطلق الفرس وقد يقال زجره لها نهو ضها
بعد الدعا فلا يخالف ما سبق قال فركبت فرسي اي بعد نهوضها حتى جيتهم ٥
فقلت ان قومك قد جعلوا فيك الدية اي ماية من الابل لمن قتلك او اسرك وهذا
هو المراد بقوله في الرواية السابقة فاخبرتهم بما يريد الناس منهم وكانه راي
ان ذلك كاف في تحذيرهم عن ذكر ابي بكر رضي الله تعالى عنه قال سراقة وعرضت
عليهما الزاد والمتاع فلم يقبلا وقالا اخف عنا اي وفي رواية عرضت عليهما الزاد
والحملان اي ولعل الحملان هو المراد بالمتاع اي لانه جاء انه قال لهما خذا هذا السهم
من كنانتي فخذيني وابلي بمحل كذا وكذا فخذا منها ما شيتما فقالا له اكفنا نفسك فقال
كفيتماها اقول وفي رواية قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم يا سراقة اذا لم
ترغب في دين الاسلام فاني لا ارغب في ابلك ومواشيك وفي رواية عن ابي بكر رضي
الله تعالى عنه لما ادركنا سراقة قلت يا رسول الله هذا الطلب قد لحقنا قال لا تحزن
ان الله معنا اي وقد تقدم انه قال له ذلك في الغار فلما كان بيننا وبينه قيد اي مقدار
رمح او ثلاثة قلت يا رسول الله هذا الطلب قد لحقنا وبكيت قال لم تبكي قلت
اما والله ما على نفسي ابكي ولكن ابكي عليك فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال

اللهم اكفناه بما شئت فساخت به فرسه في الارض الي بطنها وكانت الارض صلبة اي ولا
يخالف ما سبق انها بلغت الركبتين لجواز ان يكون ذلك في اول امرها ثم صارت الي
بطنها فقال ادع لي يا محمد وذلك كله في المرة الاولي فلا يخالف ما في الامتاع لما قرب
سراقة من رسول الله صلي الله عليه وسلم ساخت يدا فرسه في الارض الي بطنها فقال
ادع لي يا محمد ان يخلصني الله تعالي ولك علي ان ارد عنك الطلب فدعا فخلص فعاد
فتبعهم فساخت قوايم فرسه في الارض اشد من الاولي فقال يا محمد قد علمت ان هذا من
دعائك علي الحديث اذ هو يدل علي انها في المرة الاولي وصلت الي بطنها وفي الثانية وصلت
الي ما هو زايد علي ذلك وقد يدل له ما ياتي عن الهمزية ولعل المراد انه دخل جزء من
بطنها في الارض في المرة الثانية وفي لفظ فقال يا محمد قد علمت ان عملك فادع الله ينجيني
مما انا فيه فوالله لاعمين علي من وراي من الطلب فدعا له فانطلق راجعا وفي السبعيات
للهمذاني ان سراقة رضي الله تعالي عنه لما دنا منه صلي الله عليه وسلم صاح وقال
يا محمد من يمنعك مني اليوم فقال صلي الله عليه وسلم يمنعني الجبار الواحد القهار ونزل
جبريل عليه السلام وقال يا محمد ان الله عز وجل يقول جعلت الارض مطيعة لك
فامرها بما شئت فقال رسول الله صلي الله عليه وسلم يا ارض خذيه فاخذت الارض
ارجل جواده الي الركب فساق فرسه سراقة فلم يتحرك فقال يا محمد الامان وعزة
المزي لو انجيتني لاكونن لك لا عليك فقال صلي الله عليه وسلم يا ارض اطلقيه فاطلقت
جواده وفي بعض التفاسير ان سراقة عاهد سبع مرات ثم نكث العهد وكلما نكث
تغوص قوايم فرسه في الارض وهذا الاقتصار علي غوص قوايم فرسه في الارض لا ينافي
الزيادة فلا يخالف ما سبق وفي السابعة تاب توبة صدق وفي الفصول المهمة لما
اتصل خبر مسيره صلي الله عليه وسلم الي المدينة وذلك في اليوم الثاني من خروجه من
الغار جمع الناس ابو جهل لعنه الله وقال بلغني ان محمدا قد مضي نحو يثرب علي طريق
الساحل ومعه رجلان اخران فايكم ياتيني بخبره فوثب سراقة رضي الله عنه وقال
انا لمحمد يا ابا الحكم ثم انه ركب راحلته واستجنب فرسه واخذ معه عبدا له اسود وكان
ذلك العبد من الشجعان المشهورين فسارا في اثر النبي صلي الله عليه وسلم سيرا عنيفا حتي
لحقا به فقال ابو بكر يا رسول الله قد دهينا هذا سراقة قد اقبل في طلبنا ومعه غلامه
الاسود المشهور فلما ابصرهم سراقة رضي الله تعالي عنه نزل عن راحلته وركب فرسه
وتناول رمحه واقبل نحوهم فلما قرب منه قال النبي صلي الله عليه وسلم اللهم اكفنا امر
سراقة بما شئت وكيف شئت واني شئت فغابت قوايم فرسه في الارض حتي لم يستطع الفرس
ان يتحرك فلما نظر سراقة رضي الله عنه الي ذلك هاله ورمي بنفسه عن الفرس الي الارض
ورمي رمحه وقال يا محمد انت امنت واصحابك اي انت امن واصحابك فادع
ربك يطلق لي جوادي ولك عهد وميثاق ان ارجع عنك فرفع النبي صلي الله عليه وسلم

زدي صح

يديه الي السما وقال اللهم ان كان صادقا فيما يقول فاطلق له جواده قال فاطلق
الله له قوايم فرسه حتي وثب علي الارض سليما اي ولعل هذا في المرة الثانية والمرة
الاخيرة من السبع علي ما تقدم وتقدم ان الاقتصار علي القوايم لا ينافي الزيادة
عليها فلا يخالف ما سبق في هذه الرواية ورجع سراقة رضي الله تعالي عنه الي مكة
فاجتمع الناس عليه فانكر انه راي محمدا صلي الله عليه وسلم فلا زال به ابو جهل لعنه الله
حتي اعترف واخبرهم بالقصة وفي ذلك يقول سراقة رضي الله تعالي عنه مخاطبا
لابي جهل لعنه الله

ابا حكم واللات لو كنت شاهدا … لامر جوادي اذ تسوخ قوايمه
علمت ولم تشكك بان محمدا … رسول ببرهان فمن ذا يقاومه
عليك بكف القوم عنه فانني … اري امره يوما ستبدو معالمه
بامر يود الناس فيه باسرهم … بان جميع الناس طرا يسالمه

البيت الاخير ليس من اصل النسخة

وسياق هذه الرواية يدل علي انه خرج خلف النبي صلي الله عليه وسلم من مكة ويدل
لذلك ما ذكر انه كان احد القاصين لاثره صلي الله عليه وسلم في الجبل لكنه مخالف لما
تقدم انه خرج خلفه صلي الله عليه وسلم من قديد من مجلس قومه واخفي خروج
فرسه وخروجه عن قومه وقد يقال لا مخالفة لانه يجوز ان يكون لما خرج من مكة
سلك طريقا غير الطريق التي سلكها النبي صلي الله عليه وسلم فلم يجده وسبقه علي قديد
فجلس في مجلس قومه فلما اخبر عمرو بن ... فعل ما تقدم وجد عبده الاسود في
مروره وكان معه راحلته فركبها واستجنب فرسه وصحب عبده ولا مانع ان يخرج من
مكة بعد خروجهم من الغار ويسبقهم علي قديد ولا ينافي ذلك قولهم تانا رسل كفار
قريش لانه يجوز ان يكون ذلك هو الحامل لسراقة علي الذهاب الي مكة لعله يجده بطريقه
ولا ينافي ذلك كونه احد القاصين لاثره صلي الله عليه وسلم لانه يجوز ان يكون عاد الي
قديد قبل ان يحمل الجعل وفي كلام بعضهم انه ارسل بعد رجوعه للمكيين بهذه الابيات
الي ابي جهل لعنه الله ولا منافاة لجواز ان يكون ارسل بها اليه قبل ان يشافههم
بها وفي رواية انه لما لحق بهم قال صلي الله عليه وسلم اللهم اصرعه فصرع عن فرسه
فقال يا نبي الله مرني بما شئت قال تقف مكانك ولا تتركن احدا يلحق بنا اي لا يجي
ان صرعه عن فرسه يحتمل ان يكون لما ساخت ويحتمل انه صرع عنها قبل ذلك وهو ظاهر
سياق الرواية الاولي وهي فعثرت بي فرسي فخررت عنها وح يكون عثورها بدعايه
صلي الله عليه وسلم والله تعالي اعلم قال سراقة رضي الله عنه فسالته صلي الله عليه وسلم
ان يكتب لي كتاب امن لانه وقع في نفسي حين لقيت ما لقيت من الحبس عنهم انه سيظهر
امر رسول الله صلي الله عليه وسلم وفي السبعيات قال سراقة يا محمد اني لاعلم انه
سيظهر امرك في العالم وتملك رقاب الناس فعاهدني اني اذا اتيتك يوم ملكك فاكرمني
فامر صلي الله عليه وسلم عامر ابن فهيرة اي وقيل ابا بكر رضي الله تعالي عنهما فكتب لي

رقعة من ادم اي وقيل في قطعة من عظم وقيل في خرقة اقول وقد يمكن
ان يكون كتب عامر بن فهيرة اولا فطلب سراقة ان يكون ابو بكر رضي الله تعالى عنه
هو الذي يكتب فامر رسول الله صلى الله عليه وسلم بكتابة ذلك فاحدهما كتب في
الرقعة من الادم والاخر كتب في العظم او الخرقة والمراد بالخرقة الرقعة من الادم
فلا مخالفة والله اعلم ولما اراد الانصراف قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم
كيف بك يا سراقة اذا تسورت بسواري كسرى قال كسرى بن هرمز قال نعم وسياتي
ان سراقة رضي الله تعالى عنه اسلم بالجعرانة ولما قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم
بها قال له صلى الله عليه وسلم مرحبا بك وعن سراقة رضي الله تعالى عنه لما فرغ رسول
الله صلى الله عليه وسلم من حنين والطايف خرجت ومعي الكتاب لالقاه فلقيته صلى الله
عليه وسلم بالجعرانة فدخلت في كتايب من خيل الانصار فجعلوا يقرعونني بالرماح
ويقولون اليك ماذا تريد قال فدنوت من رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على
ناقته فرفعت يدي بالكتاب ثم قلت يا رسول الله هذا كتابي وانا سراقة فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم يوم وفا وبر ادنه فدنوت منه واسلمت ولما جيء لعمر رضي
الله تعالى عنه في زمن خلافته بسواري كسرى وتاجه ومنطقته اي وبساطه
وكان ستون ذراعا في ستين ذراعا منظوما باللولو والجواهر الملونة على الوان
زهر الربيع كان يبسط له في ايوانه اذا عدمت الزهور وجي له رضي الله تعالى عنه
بمال كثير من مال كسرى وبنات كسرى وكن ثلاثة وعليهن الحلي والحلل والجواهر
ما يقصر اللسان عن وصفه وعند ذلك دعا عمر رضي الله تعالى عنه سراقة وقال
ارفع يديك والبسه السوارين وقال له قل الحمد لله الذي سلبهما كسرى بن هرمز
الذي كان يقول انا رب الناس والبسهما سراقة بن مالك اي ورفع بها عمر رضي الله
تعالى عنه صوته وصب المال الذي جيء به من اموال كسرى في صحن المسجد وفرقه على
المسلمين ثم قطع البساط وفرقه بين المسلمين فاصاب عليا كرم الله تعالى وجهه قطعة
منه باعها بخمسين الف دينار ثم جيء ببنات الملك الثلاث فوقفن بين يديه فامر المنادي
ان ينادي عليهن وان يزيل نقابهن عن وجوههن ليزيد المسلمون في ثمنهن فامتنعن
من كشف نقابهن ووكزن المنادي في صدره فغضب عمر رضي الله تعالى عنه واراد
ان يعلوهن بالدرة وهن يبكين فقال له علي كرم الله تعالى وجهه مهلا يا امير المومنين
فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ارحموا عزيز قوم ذل وغني قوم
افتقر فسكن غضبه رضي الله تعالى عنه فقال له علي كرم الله وجهه ان بنات الملوك
لا يعاملن معاملة غيرهن من بنات السوقة فقال له عمر رضي الله تعالى عنه كيف الطريق
الى العمل معهن فقال له يقومن ومهما بلغ ثمنهن يقوم به من يختارهن
فقومن واخذهن علي كرم الله تعالى وجهه فدفع واحدة لعبد الله بن عمر رضي الله

تعالى عنهما

الله عنهما فجاء منها بولده سالم واخرى لمحمد بن ابي بكر رضي الله تعالى عنهما فجاء منها
بولده القاسم والثالثة لولده الحسين رضي الله تعالى عنهما فجاء منها بولده علي الملقب
بزين العابدين رضي الله تعالى عنهم وهولاء الثلاثة رضي الله تعالى عنهم فاقوا اهل
المدينة علما وورعا وكان اهل المدينة قبل ذلك يرغبون عن التسري فلما نشا هولاء
الثلاثة فيهم رغبوا فيه ومن غريب الاتفاق ما حكاه بعضهم قال كنت اجالس سعيد
بن المسيب فاعجبني يوما فقال لي من اخوالك فقلت امي فتاة فكاني نقصت من عينه
فانا عنده اذ دخل عليه سالم بن عبد الله بن عمر رضي الله تعالى عنهم فلما خرج من عنده
قلت له يا عم من هذا قال سبحان الله اتجهل مثل هذا من قومك هذا سالم بن عبد الله
بن عمر رضي الله تعالى عنهم قلت فمن امه قال فتاة ثم دخل القاسم بن محمد فجلس
عنده ثم نهض فلما خرج قلت يا عم من هذا قال ما اعجب امرك اتجهل مثل هذا هذا القاسم
بن محمد بن ابي بكر قلت فمن امه قال فتاة ثم دخل عليه علي بن الحسين رضي الله تعالى
عنهما فجلس ثم نهض فلما خرج قلت من هذا قال عجيب منك ان تجهل مثل هذا هذا علي
زين العابدين بن الحسين رضي الله تعالى عنهما قلت فمن امه قال فتاة قلت يا عم رايتني
نقصت من عينك لما علمت ان امي فتاة فما لي في هولاء اسوة فقال اجل وعظمت في عينه
جدا ولما رجع سراقة رضي الله تعالى عنه صار يرد عنهم الطلب لا يلقى احدا الا رده
يقول سبرت اي اختبرت الطريق فلم ار احدا وفي لفظ قال لقريش اي لجماعة منهم
قصدوه صلى الله عليه وسلم كانهم اخص واعسيه ذلك قد عرفتم بصري بالطريق وقد
سبرت فلم ار شيئا فرجعوا اي فان كفار قريش لما سمعوا من الهاتف اي ومن غيره
بانه صلى الله عليه وسلم نزل خيمة ام معبد كما سياتي ارسلوا سرية في طلبه صلى الله
عليه وسلم يقول قايلهم الطلب قبل ان يستعين عليكم بكلاب العرب فيحتمل ان هولاء
هم الذين ردهم سراقة رضي الله تعالى عنه فكان سراقة رضي الله تعالى عنه اول النهار
جاهدا على رسول الله صلى الله عليه وسلم واخر النهار مسلحة اي سلاحا له صلى الله عليه
وسلم وفي رواية قال سراقة رضي الله تعالى عنه خرجت وانا احب الناس تحصيلهما
ورجعت وانا احب الناس في ان لا يعلم بهما احد ويحتمل ان يكون ردهم سراقة ذهبوا الى
ام معبد ففي تتمة الخبر ان تلك السرية جاءت الى ام معبد فسالوها عن رسول الله صلى
الله عليه وسلم فاشفقت اي خافت عليه منهم فتعاجمت عليهم اي اظهرت لهم عدم
علمها بذلك فقالت انكم تسالون عن امر ما سمعت به قبل عامي هذا ثم قالت لئن لم
تنصرفوا عني لاصرخن في قومي عليكم وكانت في عز من قومها فانصرفوا ولم يعلموا اين
توجه اي من طريق توجه اي ولعلها قالت لهم ذلك لما رات منهم التثقيل عليها وهذا
السياق يدل على ان قصة سراقة رضي الله تعالى عنه قبل قصة ام معبد والى قصة
سراقة رضي الله تعالى عنه اشار صاحب الاصل رحمه الله تعالى بقوله

غرت سراقة الطامع فساخ به ... جواده فانثنى للصلح مطلبا ... واليها ايضا اشار صاحب
الهمزية رحمه الله تعالى بقوله

واقتفى اثره سراقة فاستهوته ... في الارض صافن جرداء
ثم ناداه بعد ما سيمت الخسف ... وقد ينجد الغريق النداء

اي وتبع اثره سراقة فهوت اي سقطت به صافن وهي الفرس التي تقوم على ثلاثة قوايم وتقيم الرابعة على طرف الحافر وهو وصف محمود في الخيل جرداء قصيرة الشعر وذلك وصف محمود في الخيل ايضا بعد ان قاربت ان يخسف بها كلها وقد يخلص الدعاء الغريق كما وقع لسيدنا يونس صلوات الله وسلامه على نبينا وعليه قال وعن ابي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه انه قال سرنا ليلتنا كلها حتى قام قايم الظهيرة وخلا الطريق فلا يرى فيه احد رفعت لنا صخرة طويلة لها ظل فنزلنا عندها فاتيت الصخرة فسويت بيدي مكانا ينام فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم في ظلها ثم بسطت له فروة كانت معي ثم قلت يا رسول الله نم وانا احسس واتعرف من تخاف فنام رسول الله صلى الله عليه وسلم واذا براع مقبل بغنمه الى الصخرة يريد منها الذي اردنا اي وهو الظل فلقيته فقلت له لمن انت يا غلام فقال لرجل من اهل مكة فسماه فعرفته اي وقال الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى لم اقف على اسم هذا الراعي ولا على اسم صاحب الغنم قال ابو بكر رضي الله تعالى عنه فقلت له هل في غنمك من لبن قال نعم قلت افتحلب لي قال نعم فاخذ شاة فحلب لي في قعب معه وفي رواية في اداوة معي على فمها خرقة فاتيت النبي صلى الله عليه وسلم وكرهت ان اوقظه من نومه فوقفت حتى استيقظ فصببت على اللبن من الماء حتى برد اسفله فقلت يا رسول الله اشرب من هذا اللبن فشرب لانه جرت العادة باباحة مثل ذلك لابن السبيل اذا احتاج الى ذلك فكان كل راع ماذون له في ذلك اي كما تقدم فلا ينافي ما جا لا يحلبن احدكم ماشية احد الا باذنه وان هذا الحديث محمول على فعل ذلك اختلاسا من غير معرفة الراعي واما قول بعضهم انما استحل شربه لانه مال حربي ففيه نظر لان الغنائم اي اموال الحربيين لم تكن ابيحت له صلى الله عليه وسلم ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الم يان للرحيل قلت بلى فارتحلنا بعد ما زالت الشمس انتهى اي وفي رواية ان ابا بكر رضي الله تعالى عنه قال قد ان الرحيل يا رسول الله اي دخل وقته قال الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى يجمع بينهما بان يكون النبي صلى الله عليه وسلم بدا فسال فقال له ابو بكر رضي الله تعالى عنه بلى ثم اعاده عليه بقوله قد ان الرحيل يا رسول الله واجتازوا في طريقهم بام معبد رضي الله تعالى عنها اي واسمها عاتكة وكان منزلها بقديد اي وهو محل سراقة كما تقدم ولعلها كانت بطرفه الاخير الذي يلي المدينة ومنزل سراقة بطرفه الذي يلي مكة وكا مسافته متسعة فليتامل وكانت اي ام معبد رضي الله تعالى عنها امراة برزة جلدة

تحتبي بفناء قبتها او خيمتها ثم تسقي وتطعم وهم لا يعرفونها اي وسالوها لحما وتمرا اي وفي رواية او لبنا يشترونه فقالت والله لو كان عندنا شي ما اعوزناكم القرى وفي رواية ما اعوزناكم القرى لانهم كانوا مسنتين اي مجدبين فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم يا ام معبد هل عندك من لبن قالت لا والله فراى صلى الله عليه وسلم شاة خلفها الجهد عن الغنم اي الهزال تطيق اللحاق بها لما بها من الهزال فقال صلى الله عليه وسلم هل بها من لبن قالت هي اجهد من ذلك فقال صلى الله عليه وسلم اتاذنين في حلابها قالت وابي ما ضربها من فحل قط فشانك بها اي اصلح شانك بها ان رايت منها حلبا فاحلبها فدعا بها فمسح ظهرها بيده اي وفي رواية فمسح النبي صلى الله عليه وسلم ضرعها وكان صغيرا فقال ادع هذه الشاة ثم قال يا غلام هات قرنا فمسح ظهرها وفي رواية فمسح بيده ضرعها وظهرها وسمى الله تعالى اي وقال اللهم بارك لنا في شاتها فحفلت واجترت وتفاجت اي فتحت ما بين رجليها للحلب ثم دعا صلى الله عليه وسلم باناء يربض الرهط اي يرويهم بحيث يثقل عليهم الري فيربضون وينامون والرهط من الثلاثة للعشرة وقيل من السبعة الى الاربعين فحلب فيها ثجا اي بقوة لكثرة اللبن ومن ثم قال حتى علاه البهاء وفي رواية حتى علته الثمالة بضم المثلثة اي الرغوة وفسقاها حتى رويت وسقى اصحابه حتى رووا على ام معبد نهلا اي مرة ثانية بعد الاولى ثم شرب صلى الله عليه وسلم وكان اخرهم شربا ثم قال ساقي القوم اخرهم شربا ثم حلب فيه وغادره اي تركه عندها وارتحل والى ذلك اشار الشيخ الامام تقي الدين السبكي رحمه الله تعالى بقوله في تائيته

مسحت على الشاة التي ام معبد ... كناء فالفاها ادر حلوبة

والى ذلك ايضا اشار العلامة الشرف البوصيري رحمه الله تعالى في الهمزية بقوله في وصف راحته الشريفة صلى الله عليه وسلم وشرف وكرم

ودرت الشاة حين مرت عليها ... فلها ثروة بها ونماء

اي ارسلت الشاة لبنها حين مرت راحته الشريفة على تلك الشاة فلتلك الشاة بسبب تلك الراحة كثرة ولبن وزيادة وعن ام معبد رضي الله تعالى عنها ان هذه الشاة بقيت الى خلافة سيدنا عمر ابن الخطاب رضي الله تعالى عنه الى سنة ثماني عشرة وقيل سبع عشرة من الهجرة وتعالت تلك السنة عام الرمادة اي وكانت تلك السنة اجدبت الارض اجدابا شديدا حتى جعلت الوحوش تاوي الى الانس ويذبح الرجل الشاة فيعافها اي لخبث لحمها وكانت الريح اذا هبت القت ترابا كالرماد فسمي ذلك العام عام الرمادة وعند ذلك آلى عمر رضي الله تعالى عنه ان لا يذوق لبنا ولا سمنا ولا لحما حتى يحيى الناس اي يجيء اليهم الحيا وهو المطر وقال كيف لا يعنيني شان الرعية اذا لم يمسني ما يمسهم وهذا السياق يدل على ان الذي حلبه صلى الله عليه وسلم عند ام معبد شاة واحدة وفي تاريخ العيني شارح البخاري قال يونس عن ابن اسحاق انه دعي

بنجض غنمها فمسح ضرعها بيده ودعا الله وحلبها في الصحفة ارى وقال اشربي يا ام معبد
فقالت اشرب فانت احق به فرده عليها فشربت ثم دعا بحايل اخرى ففعل
بها مثل ذلك فشربه ثم دعا بحايل اخرى ففعل بها مثل ذلك فسقي ابا بكر رضي الله تعالى
عنه ثم دعا بحايل اخرى ففعل بها مثل ذلك فسقي عامر بن فهيرة رضي الله تعالى عنه
وطلبت قريش رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بلغوا ام معبد فسالوها عنه فوصفوه
لها فقالت ما ادري ما تقولون قد ضافني حالب الحايل فقالوا ذاك الذي نريد **وعند**
قول عمر رضي الله تعالى عنه ذلك قال له كعب رضي الله تعالى عنه لعمر يا امير المؤمنين
ان بني اسرائيل كانوا اذا اصابهم مثل هذا استسقوا بعصبة الانبيا عليهم الصلاة
والسلام فقال عمر رضي الله تعالى عنه هذا عم النبي صلى الله عليه وسلم وصنو ابيه وسيد
بني هاشم يعني العباس رضي الله تعالى عنه فمشى اليه عمر رضي الله تعالى عنه وشكى
اليه ما فيه الناس وصعد عمر المنبر وصعد العباس رضي الله تعالى عنهما وقال اللهم
انا قد توجهنا اليك بعم نبينا صلى الله عليه وسلم وصنو ابيه فاسقنا الغيث ولا تجعلنا
من القانطين **ثم قال عمر** رضي الله تعالى عنه للعباس رضي الله تعالى عنه قم يا ابا
الفضل وادع فقام وحمد الله واثنى عليه وقال اللهم شفعنا في انفسنا
واهلينا اللهم انا نشكوا اليك جوع كل جايع اللهم انا لا نرجو الا اياك ولا ندعو غيرك
ولا نرغب الا اليك فسقوا قبل ان يصلوا الى منازلهم وخاضوا في الماء واخصبت الارض
وعاش الناس فقال عمر رضي الله تعالى عنه هذا والله الوسيلة الى الله تعالى وصار الناس
يتمسحون بالعباس رضي الله تعالى عنه ويقولون هنيئا لك يا ساقي الحرمين **وذكر السهيلي**
رحمه الله تعالى ان جماعة كانت مقبلة الى المدينة في ذلك اليوم فسمعوا صايحا يصيح
في السحاب اتاكم الغوث ابا حفص **وذكر العلامة ابن حجر الهيتمي** في الصواعق عن تاريخ
دمشق ان الناس كرروا الاستسقا عام الرمادة سنة سبع عشرة من الهجرة فلم يسقوا
فقال عمر رضي الله تعالى عنه لاستسقين غدا بمن يسقيني الله به فلما اصبح غدا للعباس
رضي الله تعالى عنه فدق عليه الباب فقال من قال عمر قال ما حاجتك قال اخرج حتى
نستسقي الله بك قال اقعد فارسل الى بني هاشم ان تطهروا والبسوا من صالح ثيابكم فاتوه
فاخرج طيبا وطيبهم ثم خرج رضي الله تعالى عنه وعلي كرم الله تعالى عنه امامه بين
يديه والحسن رضي الله تعالى عنه عن يمينه والحسين رضي الله تعالى عنه عن يساره وبنو
هاشم خلف ظهره وقال يا عمر لا تخلط بنا غيرنا ثم اتى المصلى فوقف فحمد الله واثنى عليه
وقال اللهم انك خلقتنا ولم تؤامرنا وعلمت ما نحن عاملون قبل ان تخلقنا فلم يمنعك
علمك فينا عن رزقنا اللهم فكما تفضلت علينا في اوله فتفضل علينا في اخره
قال جابر رضي الله تعالى عنه فما برحنا حتى سحت السما علينا سحا فما وصلنا الى منازلنا
الا خوضا فقال العباس رضي الله تعالى عنه انا ابن المسيح ابن المسيح ابن المسيح ابن المسيح

ابن المسيح خمس مرات اسارا الى ان اباه عبد المطلب استسقي خمس مرات فسقي هذا الكلام
فلينظر الجمع **قال** ابن شهاب يعني الزهري رحمه الله تعالى عنه كان اصحاب رسول الله صلى
الله عليه وسلم يعرفون للعباس فضله ويقدمونه ويشاورونه وياخذون برايه وكان
لا يمر عمر وعثمان رضي الله تعالى عنهما وهما راكبان الا نزلا حتى يجوز العباس رضي الله
تعالى عنه وربما مشيا معه الى بيته اجلالا له اي لانه صلى الله عليه وسلم قال احفظوني
في العباس فانه عمي وصنو ابي ومن اذاه فانه يعني فقد اذاني **قالت ام معبد** رضي
الله تعالى عنها في وصف تلك الشاة وكنا نحلبها صبوحا وغبوقا اي بكرة وعشية وما
في الارض قليل ولا كثير اي مما يتعاطى الدواب اكله **ولما جا زوجها** ابو معبد قال
السهيلي لا يعرف اسمه وقيل اسمه اكثم بالثا المثلثة كما تقدم وقيل خنيس وقيل عبد
جاء عند المسا يسوق اعنزا عجافا وراى اللبن الذي حلبه رسول الله صلى الله عليه وسلم
عجب وقال لها من اين هذا اللبن ولا حلوب في البيت اي والشاة عازب اي لم يطرقها
فحل قالت لا والله الا انه مر بنا رجل مبارك فذكرت العازب بالبعيدة المرعى التي لا تاوي الى المنزل في الليل
وفي الصحاح العازب الكلا البعيد الذي لم يوكل ولم يوطا **قالت** مر بنا رجل مبارك
قال صفيه لي قالت رايت رجلا ظاهر الوضاة متبلج الوجه اي مشرقه في اشفاره
اي اشفار عينيه اي شعرها النابت بها وطف اي طول وفي عينيه دعج اي شدة
سواد في شدة بياض اي وهذا الحور ومن ثم فسر بعضهم الدعج بشدة السواد وفيه
انه صلى الله عليه وسلم لم يكن بياض عينيه شديد البياض بل كان اشكل العينين
والشكلة حمرة في بياض العين وهو دليل الشهامة وهو من علامات نبوته صلى الله عليه
وسلم في الكتب القديمة كما تقدم وفي صوته صحل اي بحة بضم الموحدة اي ليس حاده
الصوت غصن بين الغصنين لا تشناه من طول اي لا تبغضه من فرط طوله ولا تقتحمه
من قصر اي تحتقره من قصره لم تعبه ثجلة اي عظم البطن وكبرها ولم تزر به صعلة
اي صغر الراس كان عنقه ابريق فضة اي والابريق السيف الشديد البريق اذا نطق
فعليه البها واذا صمت فعليه الوقار له كلام كخرزات النظم ازين اصحابه منظرا واحسنهم
وجها اصحابه يحفون به اذا امر ابتدروا امره واذا نهى انتهوا عند نهيه **قال** وفي لفظ
انها قالت رايت رجلا ظاهر الوضاة ابلج الوجه اي مشرقه حسن الخلق لم تعبه ثجلة
ولم تزر به صعلة وسيما قسيما اي حسنا في عينيه دعج وفي اشفاره وطف وفي صوته
صحل او قال صهل احور اكحل اي في اجفان عينيه سواد خلقة وفي عنقه سطع اي
نور وفي لحيته كثاثة اي لا طويلة ولا دقيقة ازج اي رقيق طرف الحاجب اقرن
اي مقرون الحاجبين شديد سواد الشعر ان صمت فعليه الوقار وان تكلم سما به
اي ارتفع على جلسائه وعلاه البها اجمل الناس وابهاهم من بعيد واحسنهم من قريب
حلو المنطق فصل لا نزر ولا هذر كان منطقه خرزات نظم يتحدرن ربعة لا تشناه الله

اي لا تبغضه من طول اي من فرط طوله ولا تقتحمه عين من نظر اليه اي لا تتجاوزه
الى غيره اختيارا له غصنا بين غصنين فهو انظر الثلاثة منظرا واحسنهم قدرا له
رفقا يحفون به ان قال ينصتوا لقوله وان امر ابتدروا الى امره محفود محشود
محشود له حشد وجماعة لا عابس ولا مفند اي يكثر اللوم انتهى قال هند وابنه صاحب
صاحب قريش ولو رايته لاتبعته ولاجتهدن ان افعل اي وفي الامتاع ويقال انما اي
ام معبد ذبحت لهم شاة وطبخته فاكلوا منها ووضعت لهم في سفرتهم منها ما وسعته
تلك السفرة وبقي عندها كثير لحمها في الخصائص الكبرى انه صلى الله عليه وسلم بايعها اى
اسلمت قبل ان يرتحلوا وفي كلام ابن الجوزي ان ام معبد هاجرت واسلمت وكذا زوجها
هاجر واسلم اقول في شرح السنة للبغوي رحمه الله تعالى هاجرت هي وزوجها واسلم
اخوها حبيش بن الاشعر واستشهد يوم الفتح وكان اهلها يؤرخون بيوم نزول
الرجل المبارك ويقال ان زوجها خرج في اثرهم فادركهم فبايعهم ورجع وبايع النبي صلى
الله عليه وسلم ورجع وفي الاجوبة المسكتة لابن عون رحمه الله تعالى قيل لام معبد
رضي الله تعالى ما بال صفتك لرسول الله صلى الله عليه وسلم اشبه به من سائر صفات من
وصفه اي من الرجال فقالت اما علمتم ان نظر المرأة الى الرجل اشفى من نظر الرجل الى
الرجل وفي ربيع الابرار للزمخشري عن هند بنت الجون انه صلى الله عليه وسلم لما كان
بخيمة ام معبد خالتها قام من رقدته فدعا بماء فغسل يديه ثم تمضمض ومج ذلك الماء
في عوسجة الى جانب الخيمة فاصبحت وهي اعظم دوحة اي شجرة ذات فروع كثيرة وجاءت
بثمر كاعظم ما يكون في لون الورس ورائحة العنبر وطعم الشهد ما اكل منها جائع الا
شبع ولا ظمآن الا روي ولا سقيم الا برئ ولا اكل من ورقها بعير ولا شاة الا در
فكنا نسميها المباركة فاصبحنا في يوم من الايام وقد سقط ثمرها واصفر ورقها ففزعنا
لذلك فما راعنا الا نعي رسول الله صلى الله عليه وسلم قال والعجب كيف لم تشتهر هذه
الشجرة كما اشتهرت الشاة وعن ام معبد رضي الله تعالى عنها انما قالت لنا تمر على
خيمتي غلام سهيل بن عمرو ومعه قربتان فقلت ما هذا قال ان النبي صلى الله عليه وسلم
كتب الى مولاي يستهديه ماء زمزم فانا اعجل السير كي لا تنشف القرب اي فانه صلى الله
عليه وسلم كتب الى سهيل بن عمرو ان جاءك كتابي ليلا فلا تصبحن او نهارا فلا تمسين
حتى تبعث الي من ماء زمزم فحاء بقربتين من ماء زمزم وبعث بهما على بعير مولاه ازهر ولا
زال كفار قريش بمكة لا يعلمون اين توجه رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى سمعوا هاتفا يذكرها
ويذكر ام معبد رضي الله تعالى عنها في ابيات منها

جزى الله رب الناس خير جزائه ،، رفيقين قالا خيمتي ام معبد ،،
هما نزلا بالبر ثم ترحلا ،، فافلح من امسى رفيق محمد ،،
ليهن بني كعب مكان فتاتهم ،، ومقعدها للمؤمنين بمرصد ،،

فعلموا ان توجهه صلى الله عليه وسلم ليثرب اي وفي طريق اليمن محل يقال له الدهيم
ويوم ام معبد قال بعضهم وليست بام معبد التي نزل بها رسول الله صلى الله عليه وسلم
لما هاجر الى المدينة ويجوز ان يكون الخبر الذي وصل اليهم في اليوم الثاني من خروجه
من الغار وهو قول هذا الهاتف او عقبه من شخص رآهم والى قول الهاتف اشار صاحب
الهمزية بقوله ،، وتغنت بمدحه الجن حتى ،، اطرب الانس منه ذاك الغناء ،، ،،
اي واظهرت الجن اوصافه صلى الله عليه وسلم الحميدة في صورة الغنا التي تتولع به
النفس حتى اطرب ذلك الغنا الانس حيث سمعوه واما قول بعضهم انهم علموا ذلك من
هاتف يقول ،، ان يسلم السعدان يصبح محمد ،، من الامر لا يخشى خلاف المخالف ،، ،،
فقالوا السعود سعد بن بكر وسعد بن زيد مناة وسعد هذيم فلما كانت الليلة
القابلة سمعوا ذلك الهاتف يقول ،، ،، ،، ،،
فيا سعد سعد الاوس كن انت مانعا ،، ويا سعد سعد الخزرجين الغطارف ،، زاد بعضهم
اجيبا الى داعي الهدى وتمنيا ،، على الله في الفردوس منية عارف ،، فقالوا سعد الاوس
ففيه نظر لان السعدين المذكورين كانا قد اسلما قبل ذلك فلا يحسن قوله ان يسلم السعدان
اقول يجوز ان تكون ان هنا بمعنى اذا اي صيرورته صلى الله عليه وسلم امنا لا يخشى
خلاف المخالف لاجل اسلام السعدين والمراد دوامهما على الاسلام على انه ذكر في الاصل
ان انشاد هذين البيتين في سماع اهل مكة له كان قبل اسلام سعد بن معاذ وذكر
بعضهم ان السعود من الانصار سبعة اربعة من الاوس وهم سعد بن معاذ وسعد
بن خيثمة وسعد بن عبيد وسعد بن زيد وثلاثة من الخزرج وهم سعد بن عبادة
وسعد بن الربيع وسعد بن عثمان بن عبادة والله اعلم قال وتقدم قصة سراقة
على قصة ام معبد هو ما في الاصل وقد التزم فيه ترتيب الوقايع وقضية الترتيب
ذكر قصة ام معبد قبل قصة سراقة لانه الصحيح الذي صرح به جماعة انتهى اقول
ومما يدل لذلك ما تقدم من ان كفار قريش لم يعلموا اين توجه رسول الله صلى الله عليه
وسلم حتى سمعوا الهاتف يذكر ام معبد وعن اسماء بنت ابي بكر رضي الله تعالى عنهما
قالت لما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم اتانا نفر من قريش فيهم ابو جهل لعنه الله
وقفوا على الباب فخرجت اليهم فقالوا اين ابوك فقلت والله لا ادري فرفع ابو جهل
يده فلطم خدي لطمة خرم منها قرطي اي وفي لفظ خرج منها قرطي والقرط ما يعلق
في شحمة الاذن قالت ثم انصرفوا فمضى ثلاث ليال ولم ندر اين توجه رسول الله صلى الله
عليه وسلم اذ اقبل رجل من الجن من اسفل مكة يغني بابيات وان الناس ليتبعونه
يسمعون صوته حتى خرج باعلى مكة وهو يقول جزى الله رب الناس الابيات كذا في
الاصل وفيه ان قولها لما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ظاهر في خروجه من الغار
وقولها فمضى ثلاث ليال ما ندري يقتضي ان المراد خروجه من الغار وتقدم انهم علموا

سعد الاوس سعد بن معاذ وسعد الخزرج سعد بن عباده

بخروجه الى المدينة في اليوم الثاني من خروجه من الغار وتقدم انهم لم يعلموا بذلك
الا من الهاتف فليتامل وقد تبع الاصل في ذلك شيخه الدمياطي حيث قدم خبر سراقة
على قصة ام معبد الا ان يقال الدمياطي لم يلتزم الترتيب فلا يحسن تبعيته وهنا قصة
اخرى فيها زيادة ونقص قيل هي قصة ام معبد وقيل بقيتها وهي ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم اجتاز بغنم فقال لراعيها لمن هذه فقال لرجل من اسلم فالتفت صلى الله عليه
وسلم لابي بكر رضي الله تعالى عنه وقال سلمت ان شاء الله تعالى ثم قال للراعي ما اسمك
قال مسعود فالتفت صلى الله عليه وسلم لابي بكر رضي الله تعالى عنه وقال سعدت ان شاء
الله تعالى وفي الامتاع ولقي بريدة بن الحصيب الاسلمي رضي الله تعالى عنه في ركب من
قومه فدعاهم الى الاسلام فاسلموا اي والحصيب بضم الحاء المهملة وفتح الصاد وفي الشرف
ان بريدة رضي الله تعالى عنه لما بلغه ما جعلته قريش لمن ياخذ النبي صلى الله عليه وسلم
طمع في ذلك فخرج هو في سبعين من اهل بيته وفي لفظ وكانوا نحو ثمانين بيتا وخرج براد
بيته قومه فلما راه صلى الله عليه وسلم قال له من انت قال بريدة بن الحصيب فالتفت النبي
صلى الله عليه وسلم وقال يا ابا بكر برد امرنا وصلح قال ممن انت قال من اسلم من بني سهم
فقال النبي صلى الله عليه وسلم سلمنا وخرج سهمك يا ابا بكر اي لانه صلى الله عليه وسلم
كان يتفاءل ولا يتطير كما تقدم ثم قال بريدة للنبي صلى الله عليه وسلم من انت قال محمد بن
عبد الله بن عبد المطلب رسول الله فقال بريدة اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا عبده
ورسوله فاسلم بريدة وكل من كان معه اي وصلوا خلفه صلى الله عليه وسلم العشاء الاخرة
ثم قال بريدة يا رسول الله لا تدخل المدينة الا ومعك لواء فحل بريدة عمامته ثم شدها في رمح
ثم مشى بين يديه وقال له كما في الوفا تنزل علي يا نبي الله فقال النبي صلى الله عليه وسلم
ان ناقتي هذه مامورة فقال بريدة الحمد لله الذي اسلمت بنو سهم يعني قومي طائعين غير
مكرهين ولما سمع المسلمون بالمدينة بخروج النبي صلى الله عليه وسلم من مكة كانوا يغدون
كل غداة الى الحرة ينتظرونه حتى يردهم حر الظهيرة اقول ولعل خروجهم كان في ثلاثة
ايام وهي المدة الزائدة على المسافة المعتادة بين مكة والمدينة التي كان بها في الغار والله
تعالى اعلم فانقلبوا يوما بعد ان طال انتظارهم واحرقتهم واذا رجل من اليهود على
اطم اي محل مرتفع من اطامهم اي من محالهم المرتفعة لامر ينظر اليه فبصر برسول الله
صلى الله عليه وسلم واصحابه مبيضين اي لانهم لقوا الزبير رضي الله تعالى عنه في ركب
من المسلمين كانوا تجارا قافلين من الشام فكسا الزبير رضي الله تعالى عنه رسول الله
صلى الله عليه وسلم وابا بكر ثيابا بيضا كما في البخاري وقيل الذي كساهما طلحة بن
عبيد الله رضي الله تعالى عنه قاله في النور ولعلهما التقياه معا او متعاقبين فكسواه
وابا بكر ما ذكر وهذا الجمع اولى من ترجيح الحافظ الدمياطي لهذا القيل ومن ثم ذكر الحافظ
ابن حجر رحمه الله تعالى ان هذا القيل هو الذي في السير ومال الدمياطي الى ترجيحه

رسول الله ح

على عادته في توجيه ما في السير على ما في الصحيح لكنه ذكر ان ذلك كان شانه في ابتداء امره
فلما تضلع من الاحاديث الصحيحة كان يرى الرجوع عن كثير مما وافق عليه اهل السير
وخالف الاحاديث الصحيحة فلما راهم ذلك اليهودي يزول بهم السراب اي يرفعهم ويظهرهم
اي والسراب ما يرى كالماء في وسط النهار في زمن الحر فلم يملك اليهودي ان قال باعلا
صوته يا معشر العرب هذا جدكم اي حظكم الذي تنتظرون اي وفي رواية فلما دنوا من المدينة
بعثا رجلا من اهل البادية الى ابي امامة واصحابه من الانصار اي ولا مانع من وجود
الامرين فثار المسلمون الى السلاح فلقوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بظهر الحرة اي
وفي لفظ فوافوه وهو مع ابي بكر رضي الله تعالى عنه في ظل نخلة ولعل تلك النخلة كانت
بظهر الحرة فلا مخالفة ثم قالوا لهما ادخلوا امنين مطاعين وفي لفظ فاستقبل صلى الله
عليه وسلم زهاء خمسمائة اي ما يزيد على خمسمائة من الانصار فقالوا اركبا امنين مطاعين
فعدل بهم ذات اليمين حتى نزلا بقباء في دار بني عمرو بن عوف وذلك في يوم الاثنين لاثني
عشر ليلة خلت من شهر ربيع الاول على كلثوم بن هدم اي لانه كان شيخ بني عمرو بن
عوف اي وهم بطن من الاوس وقيل كان يومئذ مشركا ثم اسلم وتوفي قبل بدر بيسير
وقيل اسلم قبل وصوله صلى الله عليه وسلم المدينة اي وعند وصوله صلى الله عليه وسلم
نادى كلثوم بغلام له يا نجيح فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انجحت يا ابا بكر وكان
صلى الله عليه وسلم يجلس للناس ويتحدث مع اصحابه في بيت سعد بن خيثمة اي لانه رضي
الله تعالى عنه كان عزبا لا اهل له هناك اي وكان منزله يسمى منزل العزاب والعزب من
الرجال من لا زوجة له ولا يقال اعزب وهي لغة رديئة اقول وبذلك يجمع بين
قول من قال نزل على كلثوم وقول من قال نزل على سعد بن خيثمة ثم رايت الحافظ
الدمياطي اشار الى ذلك والله اعلم ونزل علي كرم الله تعالى وجهه لما قدم المدينة
على كلثوم ايضا لانه تخلف بعده صلى الله عليه وسلم ثلاث ليال يؤدي
الودائع التي كانت عنده للنبي صلى الله عليه وسلم لا مر له صلى الله عليه وسلم له بذلك
كما تقدم فلما توجه صلى الله عليه وسلم الى المدينة قام علي كرم الله وجهه بالابطح ينادي
من كان له عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وديعة فليات تؤدى اليه امانته فلما
نفد ذلك ورد عليه كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بالشخوص اليه فابتاع
ركائب وقدم ومعه الفواطم ومعه ام ايمن وولدها ايمن وجماعة من ضعفاء
المؤمنين اقول سياتي ما يخالف ذلك وهو انه صلى الله عليه وسلم لما نزل في دار
ابي ايوب بعث زيد بن حارثة وابا رافع الى مكة واعطاهما خمسمائة درهم وبعيرين
يقدمان عليه بفاطمة رضي الله تعالى عنها وام كلثوم ابنته رضي الله تعالى عنها وسودة
زوجته وام ايمن وولدها اسامة رضي الله تعالى عنهم الا ان يقال يجوز ان يكون
الكتاب الذي فيه استدعا سيدنا علي كرم الله تعالى وجهه للهجرة كان مع زيد وابي رافع

وانهما صحباه ولا ينافي ذلك ما تقدم من انه تاخر بمكة بعده صلى الله عليه وسلم ثلاث
ليال يودي الودايع لان تلك الليالي الثلاث كانت مدة تادية الودايع للناس ومكث
بعدها الى ان جاءه كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وح يكون قدم على النبي صلى الله
عليه وسلم بالمدينة بعد نزوله بقبا على كلثوم فلا مخالفة لكن في السيرة الهشامية
فنزل اي علي كرم الله وجهه معه اي مع النبي صلى الله عليه وسلم على كلثوم وهو لا ينافي
الاعلى المتوقف بانه صلى الله عليه وسلم مكث في قبا بضع عشرة ليلة كما سياتي وح يخالف
ما سبق من مجيئه مع زيد وابي رافع لما علمت انه صلى الله عليه وسلم انما ارسلهما بعد
ان تحول من قبا الى المدينة وفي الامتاع لما قدم علي كرم الله تعالى وجهه من مكة
كان يسير الليل ويكمن النهار حتى تفطرت قدماه فاعتنقه النبي صلى الله عليه وسلم
وبكى رحمة لما بقدميه من الورم وتفل في يديه وامرهما على قدميه فلم يشتكهما بعد
ذلك ولا مانع من وقوع ذلك من علي كرم الله تعالى وجهه مع وجود ما يركبه لانه
يجوز هاجر ماشيا رغبة في عظم الاجر وفي السيرة الهشامية ان اقامته علي كرم
الله تعالى وجهه بقبا كانت ليلة او ليلتين وانه راى امراة مسلمة لا زوج لها ياتيها
انسان من جوف الليل يضرب عليها بابها فتخرج اليه فيعطيها شيئا معه فتاخذه قال
علي كرم الله تعالى وجهه فسالتها عن ذلك فقالت هذا سهل بن حنيف قد عرف اني امراة
لا احد لي فاذا امسى عدا على اوثان قومه فكسرها ثم جاءني بها فقال احتطبي بهذا اي
اجعليه للنار فكان علي كرم الله تعالى وجهه يعرف ذلك لسهل بن حنيف حتى توفي
عنده بالعراق والله تعالى اعلم قال ونزل ابو بكر رضي الله تعالى عنه على خبيب بن
اساف وقيل على خارجة بن زيد رضي الله تعالى عنهما بالسنح بضم السين المهملة فنون
ساكنة فحاء مهملة وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال ولد نبيكم صلى الله عليه وسلم
يوم الاثنين اي وحملت به امه يوم الاثنين وخرج من مكة اي من الغار يوم الاثنين
ودخل المدينة يوم الاثنين قال الحاكم رحمه الله تعالى تواترت الاخبار ان خروجه
صلى الله عليه وسلم كان يوم الاثنين ودخوله المدينة كان يوم الاثنين زاد بعضهم وفتح
مكة كان يوم الاثنين ووضع الركن يوم الاثنين ومن الغريب ما حكاه بعضهم عن
ابن الربيع المالكي وكان بمصر كان يوم الاثنين خاصة اذا نام تنام عينه ولا ينام
قلبه وقيل خرج من مكة اي الى الغار يوم الخميس وعليه يكون ه صلى الله عليه وسلم مكث
في الغار تلك الليلة التي هي ليلة الجمعة وليلة السبت وليلة الاحد وعليه يكون خروجه
من الغار صبيحة يوم الاحد ففي البخاري اتاهما اي الدليل براحلتيهما صبح ثلاث وتقدم
ان خروجهما للغار كان ليلا من بيت ابي بكر رضي الله تعالى عنه وقول ابي بكر رضي الله
تعالى سرنا ليلتنا كلها حتى قام قائم الظهيرة يقتضي انهما خرجا من الغار ليلا بل اول
الليل لان مع التاكيد يبعد ان يكون المراد بقية ليلتنا وتقدم عن البخاري اتاهما

رضي الله عنهم

براحلتيهما

براحلتيهما صبح ثلاث وحمل ذلك على ما قارب الصبح من الليل بعيد فليتامل هذا المحل
وقيل دخلاها اي المدينة ليلا كما في رواية لمسلم اي وقال الحافظ ابن حجر ويجمع بان
القدوم كان اخر الليل فدخلها نهارا اقول لعل مراد الحافظ ابن حجر ان
الوصول كان ليلا الى قرب المدينة فاقاموا بذلك المحل الى ان اسفر النهار وساروا
فما وصلوا الا وقت الظهيرة فلا يخالف ما تقدم وقيل دخلها يوم الجمعة وذكر الحافظ
ابن حجر انه شاذ والله اعلم وسرى السرور الى القلوب بحلوله في المدينة فعن البراء
رضي الله تعالى عنه قال ما رايت اهل المدينة فرحوا بشيء فرحهم برسول الله صلى الله
عليه وسلم وعن انس بن مالك رضي الله تعالى عنه قال لما كان اليوم الذي دخل فيه رسول
الله صلى الله عليه وسلم المدينة اضاء منها كل شيء فصعدت ذوات الخدور على الاجاجير اي
الاسطحة عند قدومه يقلن بقولهن طلع البدر علينا الخ وعن عائشة رضي الله تعالى
عنها لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة جعل النسا والصبيان والولايد يقلن
جهرا ،، طلع البدر علينا ،، من ثنيات الوداع ،، وجب الشكر علينا ،، ما دعا لله داع ،،
،، ايها المبعوث فينا ،، جيت بالامر المطاع ،، قال واستشكل بان ثنيات الوداع ح
ليست من جهة القادم من مكة بل من جهة الشام فقد قال ابن القيم في الهدي في غزوة
تبوك ثنيات الوداع من جهة الشام لا يطاوها القادم من مكة ونقل الحافظ ابن حجر
عنه عكس ذلك وليس في محله واجيب بانه صلى الله عليه وسلم جا من جهتها في دخوله للمدينة
عند خروجه من قبا انتهى اي وفي كلام بعضهم ما كان احد يدخل المدينة الا منها فان
لم يعشر منها مات قبل ان يخرج لوبائها كما زعمت اليهود فاذا وقف عليها قيل قد ودع
فسميت به وقيل قيل لها ثنية الوداع لان المودع يمشي مع المسافر من المدينة اليها وهو
اسم قديم جاهلي وقيل اسلامي سمي ذلك المحل كذلك وقيل لان الصحابة ودعوا فيها
النسا اللاتي استمتعوا بهن في خيبر عند رجوعهن من خيبر او وقع توديع من خرج
الى غزاة تبوك فيها وكونه صلى الله عليه وسلم ودع بعض المسافرين عندها وهذا
يدل على ان هذا الشعر قيل له صلى الله عليه وسلم عند دخوله المدينة لا عند دخوله
قبا وسياق بعضهم يقتضيه وسياق بعض اخر يقتضي انه كان عند دخوله صلى الله
عليه وسلم قبا ومن هذا تعلم ان المدينة تطلق ويراد بها ما يشمل قبا ومنه قولنا
وسرى السرور الى القلوب بحلوله صلى الله عليه وسلم في المدينة فعن البرا الى اخره فهي
المرادة بدخوله المدينة يوم الاثنين على ما تقدم وتطلق ويراد بها ما قابل قبا وح
تكون هي المرادة بقول انس رضي الله تعالى عنه لما كان اليوم الذي دخل فيه رسول الله
صلى الله عليه وسلم المدينة الى اخره ولعل منه ما في بعض الروايات المتقدمة انه صلى
الله عليه وسلم دخل المدينة يوم الجمعة الذي حكم الحافظ ابن حجر بشذوذه كما تقدم
ولما جلس صلى الله عليه وسلم قام ابو بكر رضي الله تعالى عنه للناس اي وابو بكر شيخ

رسول الله صلى

اي شيبة ظاهر والنبي صلى الله عليه وسلم شاب اي شعر لحيته اسود مع كونه صلى الله عليه وسلم
اسن من ابي بكر رضي الله تعالى عنه كما تقدم وقد قال انس رضي الله تعالى عنه
لم يكن في الذين هاجروا اشمط غير ابي بكر رضي الله تعالى عنه **فطفق** من جاء من الانصار
ممن لم ير رسول الله صلى الله عليه وسلم يحيي ابا بكر رضي الله تعالى عنه فيعرفه بالنبي
صلى الله عليه وسلم حتى اصابت الشمس رسول الله صلى الله عليه وسلم فاقبل ابو بكر
رضي الله تعالى عنه حتى ظلل على رسول الله صلى الله عليه وسلم بردائه فعرفه الناس
اي عرفه من جاء منهم بعد ذلك لان عدم تاثير الشمس فيه صلى الله عليه وسلم لتظليل
الغمامة كان قبل البعثة ارهاصا كما تقدم **اي ومما يدل** على ان دخوله صلى الله عليه
وسلم وخروجه من قبا كان يوم الجمعة قول بعضهم ولبث رسول الله صلى الله عليه
وسلم في بني عمرو بن عوف اي في قبا بقية يوم الاثنين ويوم الثلاثا ويوم الاربعا
ويوم الخميس وخرج يوم الجمعة وقيل لبث بضعة عشر ليلة وهو المنقول عن البخاري
رحمه الله تعالى وعن ابن عقبة رحمه الله تعالى اقام صلى الله عليه وسلم بها ثنتين
وعشرين ليلة وفي الهدي اقام صلى الله عليه وسلم اربعة عشر يوما وهو ما في
صحيح مسلم فليتامل **واسس صلى الله عليه وسلم المسجد** الذي اسس على التقوى بقباء
اي الذي انزلت فيه الاية وصلى فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في الهدي
ولا ينافي هذا قوله صلى الله عليه وسلم وقد سئل عن المسجد الذي اسس على التقوى
قال مسجدكم هذا واشار لمسجد المدينة اي وفي رواية اخذ حصا فضرب بها الارض
وقال مسجدكم هذا يعني مسجد المدينة لان كلا منهما مؤسس على التقوى هذا كلامه
ويوافقه ما نقل عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما انه كان يرى كل مسجد بني
بالمدينة الشامل لقبا اسس على التقوى اي لكن الذي نزلت فيه الاية هو مسجد قبا
وكان خروجه صلى الله عليه وسلم من قبا يوم الجمعة حين ارتفع النهار **قال**
وقيل وكان محل مسجد قبا مربدا اي محلا يجفف فيه التمر لكلثوم بن الهدم رضي الله
تعالى عنه وهو اول مسجد بني في الاسلام لعموم المسلمين فلا ينافي انه بني قبله
غيره من المساجد لكن لخصوص الذي بناه كالمسجد الذي بناه الصديق رضي الله تعالى عنه
بفناء داره بمكة كما تقدم انتهى **وفي كلام ابن الجوزي** رحمه الله تعالى اول من بنى
مسجدا في الاسلام عمار بن ياسر رضي الله تعالى عنه **وفي السيرة الهشامية** عن الحكم
بن عتيبة لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزل قبا قال عمار بن ياسر رضي
الله تعالى عنه ما لرسول الله صلى الله عليه وسلم بد من ان يجعل له مكانا يستظل به
اذا استيقظ ويصلي فيه فجمع حجارة فبنى مسجد قبا فانه لما جمع الحجارة اسسه صلى
الله عليه وسلم واستتم بنيانه عمار رضي الله تعالى عنه فعمار اول من بنى مسجدا
لعموم المسلمين **قال** وعن جابر رضي الله تعالى عنه لبثنا بالمدينة قبل ان يقدم

علينا

سنتين

علينا النبي صلى الله عليه وسلم نعمر المساجد ونقيم الصلاة انتهي ونعمر يحتمل ان يكون
بالتخفيف فيكون عطف نقيم الصلاة من عطف التفسير ويحتمل ان يكون بالتشديد
فيكون بناء المساجد تعدد في المدينة قبل قدومه صلى الله عليه وسلم وفيه ان الحافظ
ابن حجر قال كان بين ابتدا هجرة الصحابة رضي الله تعالى عنهم وبين هجرة رسول الله صلى
الله عليه وسلم شهر ونصف على التحرير كما تقدم اي ورواية جابر رضي الله تعالى عنه
لبثنا بالمدينة قبل ان يقدم تدل على انه كان بين اجتماع الاثني عشر من الانصار
ومجيئهم الى المدينة وبين قدومه صلى الله عليه وسلم سنتين وقد يقال ليس مراد جابر
رضي الله تعالى عنه الى ابتدا المدة من قدوم الاثني عشر عليه بل مراده ان ابتدا
من قدوم الستة عليه الذين منهم جابر والمدة تزيد على السنتين فليتامل وهو
اي مسجد قبا اول مسجد صلى فيه صلى الله عليه وسلم باصحابه جماعة ظاهرين
اي امنين وقيل ان هذا المسجد بناه المهاجرون والانصار يصلون فيه فلما هاجر
رسول الله صلى الله عليه وسلم وورد قبا صلى فيه ولم يحدث فيه شيئا **ويخالفه**
ما تقدم عن السيرة الهشامية وما في الطبراني بسند رجاله ثقات عن الشموس
بفتح الشين المعجمة بنت النعمان رضي الله تعالى عنها قالت نظرت الى رسول الله صلى
الله عليه وسلم حين قدم ونزل واسس المسجد مسجد قبا فرايته ياخذ الحجر او الصخرة
حتى يصهره الحجر اي يتعبه فياتي الرجل من اصحابه رضي الله تعالى عنهم فيقول يا رسول
الله بابي انت وامي تعطيني اكفك فيقول لا خذ مثله حتى اسسه **اي وجاء** انه صلى
الله عليه وسلم لما اراد بناءه قال يا اهل قبا ايتوني باحجار من الحرة فجمعت عنده احجار
كثيرة فخط القبلة واخذ حجرا فوضعه ثم قال صلى الله عليه وسلم يا ابا بكر خذ حجرا
فضعه الى جنب حجري ثم قال يا عمر خذ حجرا فضعه الى جنب حجر ابي بكر ثم قال يا عثمان
خذ حجرا فضعه الى جنب حجر عمر **قال بعضهم** كانه صلى الله عليه وسلم اشار الى
ترتيب الخلافة وسيجي في بنا مسجد المدينة نحوه ويحتاج للجمع بين هذه الروايات
وبعد تحوله صلى الله عليه وسلم الى المدينة كان ياتيه يوم السبت راكبا وماشيا
وقال صلى الله عليه وسلم من توضا واسبغ الوضوء ثم جا مسجد قبا فصلى فيه كان له اجر
عمرة اي وروى الترمذي والحاكم وصححاه عن اسيد بن ظهير عن النبي صلى الله عليه وسلم
انه قال الصلاة في مسجد قبا كعمرة وفي رواية من صلى في مسجد قبا يوم الاثنين والخميس
انقلب باجر عمرة وقال لو كان بطرف من الاطراف وفي رواية في افق من الافاق
لضربنا اليه اكباد الابل اي وصح الحاكم عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما قال كان رسول
الله صلى الله عليه وسلم يكثر الاختلاف الى قبا ماشيا وراكبا **وعن** ابي سعيد الخدري
عن ابيه رضي الله تعالى عنهما قال خرجت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم
الاثنين الى قبا **وعن** ابن عمر رضي الله تعالى عنهما انه صلى الله عليه وسلم كان ياتي

وكان عمر رضي الله تعالى عنه ياتيه يوم الاثنين ويوم الخميس

مسجد قبا فيصلي فيه ركعتين وعنه قال خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى
قبا فقام يصلي فجاته الانصار رضي الله تعالى عنهم تسلم عليه فقلت لبلال كيف رايت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يرد عليهم قال مشير اليهم بيده وهو يصلي اي يجعل
باطنها الى اسفل وظهرها الى فوق وقد وقعت له صلى الله عليه وسلم الاشارة
في الصلاة برد السلام لما قدمت عليه ابنته رقيه رضي الله تعالى عنها واوضاها من
الحبشة وهو يصلي فسلمت عليه فاوما اليها براسه الشريف **وفي الهدي** واما حديث
من اشار في الصلاة اشارة تفهم عنه فليعد صلاته فحديث باطل وفي كلام بعضهم قد
ثبت في الاحاديث الصحيحة انه صلى الله عليه وسلم كان اذا سلم عليه احد وهو في الصلا
اشار باصبعه المباركة جواب السلام وليس لهذه الاحاديث معارض الا حديث مجهول
وهو من اشار في صلاته اشارة مفهمة فليعد صلاته وهذا الحديث لا يصلح للمعارضة
ولما نزل قوله تعالى فيه رجال يحبون ان يتطهروا ارسل رسول الله صلى الله عليه
وسلم يسالهم عن ذلك فقال ما هذا الطهور الذي اثنى الله عليكم فقالوا يا رسول الله
ما خرج منا رجل ولا امراة من الغايط الا غسل فرجه فقال هو هذا وفي لفظ اتاهم
رسول الله صلى الله عليه وسلم في مسجد قبا **اي وفي الكشاف** ومعه المهاجرون حتى وقف
على باب مسجد قبا فاذا الانصار جلوس فقال امومنون انتم فسكت القوم ثم اعادها
فقال عمر يا رسول الله انهم لمؤمنون وانا معهم فقال عليه الصلاة والسلام اتومنون
بالقضا قالوا نعم قال اتصبرون على البلا قالوا نعم قال مومنون ورب الكعبة فجلس عليه الصلاة والسلام
وقال يا معشر الانصار ان الله عز وجل قد اثنى عليكم فما الذي تصنعون عند الوضوء
وعند الغايط اي المعبر عنه بالطهور فقالوا يا رسول الله نتبع الغايط الاحجار
الثلاثة ثم نتبع الاحجار الما فتلا النبي صلى الله عليه وسلم رجال يحبون ان يتطهروا وهذا
كلامه **وفي رواية** فقال ان الله قد احسن الثنا عليكم في الطهور فما هذا الطهور الذي
تتطهرون به قالوا يا رسول الله ما نعلم شيئا الا انه كان لنا جيران من اليهود فكانوا
يغسلون ادبارهم من الغايط فغسلنا كما غسلوا **وفي لفظ** كنا نستنجي بالما في الجاهلية
فلما جا الاسلام لم ندعه قال فلا تدعوه وفي لفظ قالوا نتوضا للصلاة ونغتسل
من الجنابة فقال عليه الصلاة والسلام هل مع ذلك غيره قالوا لا غير ان احدنا اذا
خرج من الغايط احب ان يستنجي بالما وفي رواية نستنجي بالما من البول والغايط زاد
في رواية ولا ننام الليل كله على الجنابة قال هو ذلك فعليكموه اي الزموه **وفي مسند**
البزار عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما انه صلى الله عليه وسلم لما سالهم قالوا انا
نتبع الحجارة الما قال بعضهم في اسناده ضعف وبهذا وما تقدم من ذكر الحجارة يرد
على الامام النووي حيث قال هكذا اي ذكر الحجارة مع الما في خبر الانصار يقوله
الفقها في كتبهم وليس له اصل في كتب الحديث بل المذكور فيها انهم قالوا كنا نستنجي

بالما وليس فيها مع الحجر

بالما وليس فيها مع الحجر اي ويكون السكوت عن ذكر الحجر لكونه كان معلوما فعله وفي
الخصايص الصغرى ان مما اختص به في شرعه وامته الاستنجا بالجامد وبالجمع فيه
بين الما والحجر ومن اهل قبا عويم بن ساعدة قال في حقه صلى الله عليه وسلم نعم
العبد من عباد الله والرجل من اهل الجنة عويم بن ساعدة رضي الله عنه اي لانه
كان اول من استنجا بالما كما قيل اي ومن ثم جا تخصيصه رضي الله عنه بالسوال فقد
روى البيهقي عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم
الى عويم بن ساعدة رضي الله تعالى عنه فقال ما هذا الطهور الذي اثنى الله تعالى
عليكم به فقال يا نبي الله ما خرج منا رجل ولا امراة من الغايط الحديث وهذا السياق
ربما يقتضي ان الاستنجا بالما لم يكن معروفا في غير اهل قبا قبل نزول هذه الاية **وفي
كلام بعضهم** اول من استنجى بالما ابراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام وكره بعض
الصحابة الاستنجا بالما وهو حذيفة بن اليمان رضي الله تعالى عنه ولعله لكونه في الاستنجا
بالما عدول عن الرخصة ونقل عن ابن عمر رضي الله تعالى عنه انه كان لا يستنجي بالما
ولعله لما ذكرنا وكذا ما نقل عن ابن الزبير رضي الله تعالى عنهما ما كنا نفعله ونقل عن
الامام احمد انه لم يصح حديث في الاستنجا بالما وبالغ مغلطاي في رده ومن سيدنا مالك
رضي الله تعالى عنه انكار ان النبي صلى الله عليه وسلم استنجى بالما ولعل المراد انكار
صحة ذلك عنه صلى الله عليه وسلم فليتامل وذكر الاحجار في الخبر يويد ظاهر ما ذكره
امامنا رضي الله تعالى عنه في الام ان سنة الجمع بين الحجر والما تتوقف على كون الاستنجا
بالحجر كاف لو اقتصر عليه ونصه والاستنجا اي بالحجر كاف ولو اتى به اي الاستنجا الكافي
رجل ثم غسل بالما كان احب الي وانما قلنا ظاهر لامكان رجوع الضمير للاستنجا لا بقيد
كونه كافيا والذي عليه متاخروا اصحابنا ان سنة الجمع تتاتى فيها بازالة العين ولو
بحجر واحد وقد يقال هذا محبوب وما ذكره الامام رضي الله تعالى عنه احب **ولا يخفى**
ان حديث الانصار يقتضي اختصاص سن الجمع بين الحجر والما بالغايط وبه قال الامام
القفال في كتابه محاسن الشريعة والمفهوم من نص الامام رضي الله تعالى عنه ان
مثل الغايط البول **ثم بعد اقامته صلى الله عليه وسلم بقبا** ركب راحلته الجدعا وقيل
العضبا وقيل القصوى اي قاصد المدينة والجدعا بالدال المهملة مقطوعة الانف
ومقطوعة الاذان كلها والقصوى المقطوع طرف اذنها والعضبا المشقوقة الاذن
قال بعضهم وهذه القاب ولم يكن بها اي بتلك النوق شيء من ذلك وسياتي عن الاصل
ان هذه القاب لناقة واحدة **ولما ركب** صلى الله عليه وسلم وخرج من قبا وسار
سار الناس معه ما بين ماش وراكب اي ولا زال احدهم ينازع صاحبه زمام الناقة شحا
اي حرصا على كرامة رسول الله صلى الله عليه وسلم وتعظيما له حتى دخل المدينة الشريفة
وصار الخدم والصبيان يقولون الله اكبر جا رسول الله صلى الله عليه وسلم جا **قال**

محمد صلى الله عليه وسلم ولعبت الحبشة بحرابها فرحًا برسول الله صلى الله عليه وسلم وقد قالت بنو عمرو بن عوف له صلى الله عليه وسلم يا رسول الله اخرجت ملالا لنا او تريد دارا خيرا من دارنا قال صلى الله عليه وسلم اني امرت بقرية تاكل القرى اي تغلبها وتقهرها والمراد اهلها اي ان اهلها يفتحون القرى فيا كلون اموالهم اهل تلك القرى ويسبون ذراريهم فخلوا سبيلها يعني ناقته صلى الله عليه وسلم اي ومن اسما تلك القرية المدينة روى الشيخان امرت بقرية تاكل القرى يثرب وهي المدينة فالمدينة علم بالغلبة على تلك القرية كالنجم للثريا اذا اطلق فهي المرادة وان اريد غيرها قيد والنسبة اليها مدني ولغيرها من المدن مديني للفرق بينهما ويثرب اسم محل فيها سميت كلها به ولعل ذلك المحل سمي بذلك لانه نزل به يثرب من نسل نوح عليه الصلاة والسلام وفي الحديث المدينة تنفي الناس اي اشرارهم كما ينفي الكير خبث الحديد وفي بعض الروايات لا تقوم الساعة حتى تنفي المدينة اشرارها قيل وذلك يكون في حياته صلى الله عليه وسلم وقيل يكون ذلك في زمن الدجال فقد جاء ان الدجال يرجف باهلها فلا يبقى منافق ولا كافر الا خرج اليه وفي رواية ينزل الدجال السبخة فترجف المدينة ثلاث رجفات يخرج الله منها كل منافق وكافر وبهذا استدل من قال كون المدينة تنفي الخبث ليس عاما في الازمنة ولا في الاشخاص لان المنافقين كانوا بها وخرج منها جماعة من خيار الصحابة منهم علي وطلحة والزبير وابو عبيدة بن الجراح ومعاذ بن جبل وعبد الله بن مسعود رضي الله تعالى عنهم وفي كلام بن الجوزي ان عبد الله بن مسعود رضي الله تعالى عنه مات بالمدينة وقد قال صلى الله عليه وسلم اي ارض مات بها رجل من اصحابي كان قايدهم يوم القيامة وفي رواية فهو شفيع لاهل تلك الارض واما قوله صلى الله عليه وسلم المدينة والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون اي خير لهم من بلاد الرخا بدليل صدر الحديث ياتي على الناس زمان يدعو الرجل بن عمه وقريبه هلم الى الرخا هلم الى الرخا والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون والذي نفسي بيده لا يخرج احد منها رغبة عنها الا عيرها من بلاد الرخا اخلف الله خيرا من هو خير منه اي من خرج منها رغبة عنها الى غيرها من بلاد الرخا والسعة فلا دليل في ذلك على انها افضل من مكة ومن اسمايها اكالة البلدان ومن اسمايها البارة بتشديد الرا وتسمى الفاضحة لان من اضمر فيها شيا اظهر الله ما اضمره وافتضح به اي فالمراد اضمر شيئا من السو وقد قال صلى الله عليه وسلم من سمى المدينة يثرب فليستغفر الله تعالى وهي طابة وشامة هي طابة قال ذلك ثلاثا وفي رواية فليستغفر الله فليستغفر الله فليستغفر الله هي طيبة كهيبة هي طيبة هي طايب ككاتب قيل وانما سميت طيبة لطيب رايحة من مكث بها وتزايد روايح الطيب بها ولا يدخلها طاعون ولا دجال ولا يكون بها مجذوم اي لان ترابها يشفي من الجذام وتسميتها يثرب في القران انما هو حكاية لقول

ويوزهم

المنافقين

المنافقين اي بعد نهيهم عن ذلك وقوله صلى الله عليه وسلم لا ادراها الا يثرب اي نحو ذلك من كل ما وقع في كلامه صلى الله عليه وسلم من تسميتها بذلك كان قبل النهي عن ذلك انتهي اي وجاء ان الايمان ليارز الى المدينة كما تارز الحية الى جحرها ويارز بكسر الرا اي ينضم ويجتمع بعضه الى بعض وفي رواية ان الاسلام بدا غريبا وسيعود غريبا كما بدا يارز كما تارز الحية الى جحرها وانما كرهت تسميتها بيثرب لان يثرب ماخوذ من التثريب وهو المواخذة بالذنب ومنه قوله تعالى لا تثريب عليكم اليوم ومن الثرب بالتحريك وهو الفساد وعن القاسم بن محمد رضي الله تعالى عنهما قال بلغني ان للمدينة في التوراة اربعين اسما وقيل احد عشر اسما من جملتها سكينة اي ومن جملتها الجابرة والعذرا والمرحومة وفي كلام بعضهم لها نحو ماية اسم منها دار الاخيار ودار الابرار ودار الايمان ودار السنة ودار السلامة ودار الفتح قال الامام النووي رحمه الله تعالى لا يعرف في البلاد اكثر اسما منها ومن مكة ومما يدل على ان خروجه صلى الله عليه وسلم من قبا متوجها الى المدينة كان يوم الجمعة قول بعضهم وعند مسيره صلى الله عليه وسلم الى المدينة ادركته صلاة الجمعة في بني سالم بن عوف فصلاها في المسجد الذي في بطن الوادي بمن معه من المسلمين وهم ماية اي وصلاها بعد ذلك في المدينة وكانوا به صلى الله عليه وسلم اربعين فعن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه انه صلى الله عليه وسلم جمع بالمدينة وكانوا اربعين رجلا اي ولم يحفظ انه صلى الله عليه وسلم صلاها مع النقص عن هذا العدد ومن حين اذ صلى الجمعة في ذلك المسجد سمي هذا المسجد بمسجد الجمعة وهو على يمين السالك نحو قبا فكانت اول جمعة صلاها رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة وخطب لها وهي اول خطبة خطبها صلى الله عليه وسلم في الاسلام اي ومن خطبته صلى الله عليه وسلم تلك فمن استطاع ان يقي وجهه من النار ولو بشق تمرة فليفعل ومن لم يجد فبكلمة طيبة فانها تجزي الحسنة بعشر امثالها الى سبعماية والسلام على رسول الله ورحمة الله وبركاته وفي رواية والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ونقل القرطبي رحمه الله تعالى هذه الخطبة في تفسيره واوردها جميعها في المواهب وليس فيها هذا اللفظ اقول وهذا واضح ان كان صلى الله عليه وسلم اقام في قبا الاثنين والثلاثا والاربعا والخميس كما تقدم واما على انه اقام بضعة عشر ليلة او اكثر من ذلك كما تقدم فيبعد انه صلى الله عليه وسلم لم يصل الجمعة في قبا في تلك المدة ثم رايت في كلام بعضهم انه صلى الله عليه وسلم كان يصلي الجمعة في مسجد قبا في اقامته هناك اي ويبعد انه صلاها من غير خطبة وفي زوايد الجامع الصغير ان الله كتب عليكم الجمعة في مقامي هذا في ساعتي هذه في شهري هذا في عامي هذا الى يوم القيامة من تركها من غير عذر مع امام عادل او امام جاير فلا جمع الله شمله ولا بورك له

في امر الا ولا صلاة له ولا حج له الا ولا بركة له ولا صدقة له فان كان قال ذلك في حق
الخطبة التي خطبها في مسجد الجمعة كما هو المتبادر اقتضى ذلك انها لم تكن واجبة قبل ذلك
وهو يخالف قول فقهائنا انها وجبت بمكة ولم تقم بها لعدم قدرته على اظهارها بمكة لان
اظهارها اقوى من اظهار جماعة الصلوات الخمس انتهى وفي الاتقان مما تاخر حكمه عن
نزوله اية الجمعة فانها مدنية والجمعة فرضت بمكة وقول ابن الفرس ان اقامة الجمعة
لم تكن بمكة قط يرده ما اخرجه ابن ماجة عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك قال كنت قائد
ابي حين ذهب بصره فكنت اذا خرجت به الى الجمعة فسمع النداء يستغفر لابي امامة اسعد
بن زرارة فقلت يا ابتاه رايت صلاتك على اسعد بن زرارة كلما سمعت النداء بالجمعة لم هذا
قال اي بني كان اول من صلى بنا الجمعة قبل ان يقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم من
مكة هذا كلامه ولينامل ما وجه الرد من هذا وحاصله صلاة الجمعة بالمدينة كالصلاة فيما
سواها وصيام شهر رمضان كصيام الف شهر فيما سواها كذا في الوفا عن نافع عن ابن
عمر رضي الله تعالى عنهما واول قرية صليت فيها الجمعة بعد المدينة قرية عبد القيس بالبحرين
وهل كانت الخطبة قبل الصلاة او بعدها في الدر انه صلى الله عليه وسلم كان يخطب
الجمعة وهو بالمدينة بعد ان يصلي مثل العيدين فبينا هو يخطب يوم جمعة قائما اذ قدمت
عير دحية الكلبي وكان اذا قدم يخرج اهله للقائه بالطبل واللهو ويخرج الناس للشراء
طعام تلك العير والتفرج عليها وقيل للتفرج على دحية رضي الله تعالى عنه فقد قيل
كان اذا قدم دحية المدينة لم تبق معصر الا خرجت لتنظر اليه لفرط جماله ولا مانع ان
يكون ذلك لاجتماع الامرين فانفض الناس ولم يبق معه صلى الله عليه وسلم الا نحو اثني عشر
رجلا والجلال المحلي في قطعة التفسير اسقط لفظ نحو اي وانفضاض ما عدا هو لا يحتمل
ان يكون في حال الخطبة بعد تمام الاركان ويحتمل ان يكون بعد ذلك وعلى الاول يجوز ان
يكون رجع ممن انفض ما يكمل به العدد اربعون قبل طول الفصل وقد اعاد صلى الله عليه
وسلم ما لم يسمعوه من اركان الخطبة عند انفضاضهم فلا يخالف ما ذهب اليه امامنا الشافعي
رضي الله تعالى عنه من وجوب سماع اربعين لاركان الخطبة قال مقاتل رحمه الله بلغني
انهم فعلوا ذلك اي الانفضاض عند الخطبة ثلاث مرات فانزل الله تعالى واذا راوا تجارة او
انفضوا اليها الاية ثم صار صلى الله عليه وسلم يخطب قبل ان يصلي ليحافظ الناس على عدم
الانفضاض لاجل الصلاة وعليه انعقد الاجماع فلا نظر لمخالفة الحسن البصري وحينئذ يكون
قول بعض فقهائنا استدلالا على وجوب تاخير صلاة الجمعة عن الخطبتين بثبوت صلاته صلى
الله عليه وسلم بعد خطبتين اي استقر ثبوت ذلك وعن الزهري رحمه الله تعالى بلغني عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم انه كان يقول اذا خطب في غير الخطبة المتقدمة كل ما هو ات قريب لا بعد
لما هو ات لا يعجل الله لعجلة احد ولا يخف لامر الناس يريد الناس امرا ويريد الله امرا وما
شا الله كان لا ما شا الناس وما شا الله كان ولو كره الناس لا مبعد لما قرب الله ولا مقرب

لما بعد الله ولا يكون شي الا باذن الله والله اعلم ثم ركب صلى الله عليه وسلم راحلته
بعد الجمعة متوجها للمدينة اي وقد ارخى زمامها ولم يحركها وهي تنظر يمينا وشمالا هم
فساله بنو سالم منهم عتبان بكسر العين المهملة بن مالك ونوفل بن عبد الله بن مالك
وعبادة بن الصامت رضي الله تعالى عنهم فقالوا يا رسول الله اقم عندنا في العدد و
العدة والمنعة وفي لفظ والثروة وفي لفظ انزل فينا فان فينا العدد والعدة والمنعة
والحلقة اي السلاح ونحن اصحاب الحدائق والدرك يا رسول الله كان الرجل من العرب
يدخل هذه البحيرة خائفا فيلجا الينا فقال لهم خيرا وقال لهم خلوا سبيلها يعني ناقته
دعوها فانها مامورة اي وفي رواية انها مامورة خلوا سبيلها وهو يتبسم ويقول بارك
الله فيكم فانطلقت حتى وردت دار بني بياضة اي محلتهم اي والمراد القبيلة فساله بنو
بياضة اي ومنهم زياد بن لبيد وفروة بن عمرو بمثل ما تقدم واجابهم بانها مامورة خلوا
سبيلها فانطلقت حتى وردت دار بني ساعدة اي ومنهم سعد بن عبادة والمنذر بن عمرو
وابو دجانة سماك بن خرشة فساله بنو ساعدة بمثل ذلك واجابهم بخلو سبيلها فانها مامورة
فانطلقت حتى مرت بدار بني عدي بن النجار وهم اخواله صلى الله عليه وسلم اي اخوال جده
عبد المطلب كما تقدم اي باوائل دورهم فساله بنو عدي بن النجار اي اولئك الطائفة منهم
بمثل ما تقدم اي وفي رواية انهم قالوا له صلى الله عليه وسلم نحن اخوالك هلم الى العدد
والمنعة والعزة مع القرابة لا تجاوزنا الى غيرنا يا رسول الله اي زاد في رواية لا تجاوزنا هو
ليس احد من قومنا اولى بك منا لقرابتنا واجابهم بانها مامورة فانطلقت حتى بركت
في محل من محلات بني النجار وذلك في محل المسجد اي محل بابه او في محل المنبر الان وذلك
عند دار بني مالك بن النجار وعند باب ابي ايوب الانصاري اي واسمه خالد بن زيد هو
النجاري الانصاري الخزرجي شهد العقبة وساير المشاهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
وكان مع علي بن ابي طالب كرم الله تعالى وجهه من خاصته وشهد معه الجمل وصفين
والنهروان وغزا ايام معاوية ارض الشام مع يزيد بن معاوية سنة خمسين وقيل سنة
احد وخمسين فتوفي عند مدينة قسطنطينية فدفن هناك وامر يزيد بالخيل فجعلت تقبل هو
وتدبر على قبره حتى عفا اثر القبر اي خوفا ان ينبشه الكفار فكان المشركون اذا امحلوا كشفوا
عن قبره فيمطروا فلم ينزل عنها صلى الله عليه وسلم ثم وثبت وسارت غير بعيد ورسول
الله صلى الله عليه وسلم واضع لها زمامها ثم التفتت خلفها ورجعت الى مبركها فبركت فيه
وتحلحلت اي بالجيم تضعضعت ووضعت جرانها اي باطن عنقها من المذبح الى المنحر وارزمت
اي صوتت من غير ان تفتح فاها فنزل عنها صلى الله عليه وسلم وقال رب انزلني منزلا
مباركا وانت خير المنزلين اي قال ذلك اربع مرات واخذه الذي كان ياخذه عند الوحي اي
وسري عنه وقال هذا ان شا الله يكون المنزل اي وامر ان يحط رحله وفي لفظ ان ابا ايوب
رضي الله تعالى عنه قال يا نبي الله صلى الله عليه وسلم ايذن لي ان انقل رحلك فاذن له واحتمل

ابو ايوب رضي الله عنه رحله فوضعه في بيته اي وجا اسعد بن زرارة رضي الله تعالى
عنه واخذ بزمام راحلته فكانت عنده اي وذكر بعضهم ان ابا ايوب رضي الله تعالى
عنه لما نقل رحله اناخ الناقة في منزله وقد يقال لا مخالفة لجواز ان يكون اسعد اخذ
بزمامها بعد ذلك فكانت عنده اي وعن ابي ايوب رضي الله تعالى عنه لما قدم النبي صلى
الله عليه وسلم اقترعت الانصار ايهم ياويه فقرعتهم الحديث وقد يقال مراده بالا د
اهل تلك المحلة التي بركت فيها الناقة وذكر السهيلي رحمه الله تعالى انها لما القت
جرانها في دار بني النجار اي في محل من محلاتها جعل رجل من بني سلمة وهو جبار بن
صخر اي وكان من صالحي المسلمين ينخسها رجا ان تقوم فتنزل في دار بني سلمة فلم تفعل
وجاء انه صلى الله عليه وسلم قال خير دور الانصار بنو النجار ثم بنو عبد الاشهل ثم بنو
الحارث ثم بنو ساعدة وفي كل دور الانصار خير ولما بلغ ذلك سعد بن عبادة رضي الله
تعالى عنه وجد في نفسه وقال خلفنا وكنا اخر الاربع اسرجوا لي حماري اتي رسول الله
صلى الله عليه وسلم فكلمه بن اخته سهل فقال اتذهب لترد على رسول الله صلى الله عليه
وسلم ورسول الله صلى الله عليه وسلم اعلم اوليس حسبك ان تكون رابع اربع فرجع وقال
الله ورسوله اعلم وامر بحماره فحل عنه وفي رواية قال له اجلس الا ترضى ان سمى رسول
الله صلى الله عليه وسلم في الاربع الدور التي سمى فمن ترك فلم يسم اكثر ممن سمى فانتهى
سعد عن كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم وخرجت جويريات من بني النجار ه
بالدفوف يقلن " نحن جوار من بني النجار " يا حبذا محمد من جار " فخرج اليهن رسول
الله صلى الله عليه وسلم وقال اتحببنني وفي رواية اتحبوني قلن نعم يا رسول الله ه
فقال الله يعلم ان قلبي يحبكن وفي رواية والله احبكم وفي رواية وانا والله احبكم
وانا والله احبكم وانا والله احبكم قال ذلك ثلاثا وهذا دليل لسماع الغنا على الدف
من المراة لغير العرس ويدل لذلك ايضا ما جا عن ابن عباس مرفوعا ان اصحاب النبي
صلى الله عليه وسلم جلسوا سماطين وجات جارية يقال لها سيرين معها مزهر تختلف
فيه بين القوم وهي تغنيهم وتقول " هل علي ويحكم " ان لهوت من حرج " فتبسم
النبي صلى الله عليه وسلم وقال لا حرج ان شا الله وما روي عن عايشة رضي الله تعالى
عنها دخل علي رسول الله صلى الله عليه وسلم وعندي جاريتان من جوار الانصار
يغنيان وفي رواية يضربان بدفين فاضطجع صلى الله عليه وسلم على الفراش وحول وجهه
ودخل ابو بكر رضي الله تعالى عنه فانتهرني فاقبل عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال دعها وفي رواية قال ابو بكر رضي الله تعالى عنه بمزمور وفي لفظ بمزمارة ه
الشيطان في بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ذلك مرتين وانتهرني وكان صلى
الله عليه وسلم متغشيا بثوبه فكشف النبي صلى الله عليه وسلم عن وجهه الشريف وقال
دعها يا ابا بكر فانها ايام عيد اي لان تلك كانت ايام منى وقيل كان يوم عيد الفطر

وفي لفظ بمزمار صح

وقيل

وقيل الاضحى ولا مانع من تعدد الواقعة اقول وفي البخاري عن الربيع بنت معوذ
انه صلى الله عليه وسلم دخل عليها غداة بني عليها وعندها جويريات يضربن بالدف
يندبن من قتل من ابايها يوم بدر حتى قالت جارية وفينا نبي يعلم ما في غد فقال
النبي صلى الله عليه وسلم لا تقولي هكذا وقولي ما كنت تقولين وفي حديث ابي هريرة
رضي الله تعالى عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم خرج في بعض مغازيه فلما انصرف
جات جارية سودا فقالت يا رسول الله اني كنت نذرت ان ردك الله سالما اضرب بين
يديك بالدف فقال لها ان كنت نذرت فاضربي فجعلت تضرب فدخل ابو بكر رضي الله تعالى
عنه وهي تضرب ثم دخل عمر رضي الله تعالى عنه فالقت الدف تحتها وقعدت عليه فقال
النبي صلى الله عليه وسلم ان الشيطان ليفرق منك يا عمر اني كنت جالسا وهي تضرب ودخل
ابو بكر وهي تضرب فلما دخلت انت القت الدف اي واذا كان الشيطان يخاف منه فما بالك
بامراة ضعيفة العقل ولا ينافي هذا اي سماع الغنا من المراة مع الضرب على الدف ما
تقدم في باب ما حفظ به صلى الله عليه وسلم في صغره من امر الجاهلية لان الدف ثم كان
معه مزمار بخلافه هنا وتسمية ابي بكر رضي الله تعالى عنه الدف مزمارا لانه كان
يعتقد حرمته ذلك فشبهه بالمزمار المحرم سماعه قال بعضهم واعلم بان السماع في
طريق القوم معروف وفي الجواذب الي المحبة معروف موصوف وقال بعض اخوانه
من اكبر مصايد النفوس اي والرجوع بها الي الله تعالى وقد شوهد تاثير السماع في ه
الحيوانات غير الناطقة بل في الاشجار ومن لم يحركه السماع فهو فاسد المزاج غليظ
الطبع وعن ابي مبشر رضي الله تعالى عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم وابا بكر رضي الله
تعالى عنه مرا بالحبشة وهم يلعبون ويرقصون ويقولون " " "
" يا ايها الضيف المعرج طارقا " لولا مررت بال عبد الدار " "
" لولا مررت بهم تريد قراهم " منعوك من جهد ومن اقتار " "
اي ولم ينكر عليهم صلى الله عليه وسلم وبه استدل ايمتنا على جواز الرقص حيث خلا عن
التكسر فقد صحت الاخبار وتواترت الاثار بانشاد الاشعار بين يديه صلى الله عليه وسلم
بالاصوات الطيبة مع الدف وبغيره وبذلك استدل ايمتنا على الضرب بالدف ولو فيه جلاجل
لما هو سبب لاظهار السرور وعلى جواز انشاد الشعر واستماعه حيث خلا عن هجو لفاسق
متجاهر بفسقه وخلا عن تشبيب بمعين من امراة او غلام والخلاف انما هو في سماع الملاهي
كالاوتار والمزامير وخوف الفتنة من سماع صوت المراة والامرد الجميل ونقل عن
الجنيد رحمه الله انه قال الناس في السماع اي سماع الالات على ثلاثة اضرب العوام
وهو حرام عليهم لبقا نفوسهم والزهاد وهو مباح لهم لحصول مجاهداتهم والعارفون
وهو مستحب لهم لحياة قلوبهم وذكر نحوه ابو طالب المكي رحمه الله تعالى وصححه السهروردي
في عوارف المعارف وفي كلام بعضهم جبلت النفوس حتى غير العاقلة على الاصغا الي

ما يحسن من سماع الصوت الحسن فقد كانت الطيور تقف على راس داود عليه الصلاة
والسلام لسماع صوته لكن مشكل على ما اخرجه ابن شيبة عن صفوان بن امية
رضي الله تعالى عنه وهو من المولفة قلوبهم قال كنا عند النبي صلى الله عليه وسلم
اذ جاء عمرو بن قرة فقال يا رسول الله ان الله كتب علي الشقوة فلا اراني ارزق الا من
دفي بكفي فاذن لي في الغناء من غير فاحشة فقال صلى الله عليه وسلم لا اذن لك ولا
كرامة ولا نعمة كذبت اي عدو الله لقد رزقك الله رزقا طيبا فاخترت
ما حرم الله عليك من رزقه مكان ما احل الله لك من حلاله اما انك لو قلت بعد
هذه المقالة لضربتك ضربا وجيعا الا ان يقال هذا النهي ان صح محمول على من
يتخذ ضرب الدف حرفة وهو مكروه تنزيها وقوله صلى الله عليه وسلم اخترت ما حرم
الله عليك الخ للمبالغة في التنفير عن ذلك ونزل صلى الله عليه وسلم على ابي ايوب
رضي الله تعالى عنه وقال المرء مع رحله اي بعد ان قال صلى الله عليه وسلم اي بيوت
اهلنا يعني اهل تلك المحلة من بني النجار اقرب فقال ابو ايوب داري هذا وقد حططنا
رحلك فيها فذهبت تلك الكلمة اي التي هي المرء مع رحله مثلا وقال لهم صلى الله عليه وسلم
اذهب فهيء لنا مقيلا فذهب فهيأ ذلك ثم جا فقال يا نبي الله قد هيأت لك مقيلا فقم
على بركة الله تعالى ونزل معه زيد بن حارثة رضي الله تعالى عنه اقول
وفي رواية فتنازع القوم ايهم ينزل عليه اي كل يحرص على ان يكون داره منزلا له
صلى الله عليه وسلم اي مقاما فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انزل الليلة على
بني النجار اخوال عبد المطلب لاكرمهم بذلك فلما اصبح غدا حيث امر وح يكون قوله
صلى الله عليه وسلم انزل الليلة اي عند تلك الليلة ولا يخالف هذا ما قبله من قول
بني النجار هلم الينا وقوله صلى الله عليه وسلم انها مامورة لجواز ان يكون صلى الله عليه
امر بالنزول عليهم واعلم ان خصوص البقعة والمحلة من محلات بني النجار التي ينزل
بها من دارهم ما تبرك فيه الناقة وفيه انه يبعد مع ذلك اي مع قوله المذكور
اي انه نزل على بني النجار سوال غير بني النجار في النزول عنده الا ان يقال لعل
السايلين له صلى الله عليه وسلم في ذلك لم يبلغهم قوله المذكور وجوزوا ان يكون رسول
الله صلى الله عليه وسلم بدا له في ذلك راي وقد اشار الى نزوله صلى الله عليه وسلم على
بني النجار الامام السبكي في تائيته بقوله رحمه الله تعالى

نزلنا على قوم بايمن طاير ، لانك ميمون السنا والنقيبة

فيا لبني النجار من شرف به ، يجرون اذيال المعاني الشريفة

وهذا السياق يدل على ان تنازع القوم وقوله لهم المذكور كان في اخر ليلة وهو في
قبا وهو يرد قول بعضهم يشبه ان يكون ذلك في اول قدومه باطن المدينة فالمراد
باهل المدينة اهل قبا ويرد قول سبط بن الجوزي رحمه الله تعالى لعله نزل على بني النجار

اي في

اي في باطن المدينة ليلة اي في تلك الليلة ثم ارتحل الى بني عمرو بن عوف اي في قبا
هذا وفي رواية عن انس بن مالك رضي الله تعالى عنه لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم
المدينة نزل في علو المدينة في حي يقال لهم بنو عمرو بن عوف فاقام فيهم اربع عشرة
ليلة ثم ارسل الى ملاء من بني النجار فجاوا متقلدين سيوفهم قال انس فكاني انظر الى
رسول الله صلى الله عليه وسلم على راحلته وابو بكر رضي الله تعالى عنه ردفه وملا
من بني النجار حوله حتى اناخ بفناء دار ابي ايوب وهذه الرواية وقع فيها اختصار
كبير ويقال انه صلى الله عليه وسلم عرج على عبد الله بن ابي بن سلول وكان جالسا
محتبيا واراد النزول عليه فقال له اذهب الى الذين دعوك وانزل عليهم فقال له سعد بن
عبادة يا رسول الله لا تجد في نفسك من قوله فقد قدمت علينا والخزرج ان تملكه
وقد وقع له في بعض الايام انه صلى الله عليه وسلم قيل له يا رسول الله لو اتيت عبد الله
بن ابي بن سلول اي متالفا له ليكون ذلك سببا لاسلام من تخلف من قومه ولينزل
ما عنده من النفاق فانطلق النبي صلى الله عليه وسلم وركب حمارا وانطلق المسلمون
يمشون معه فلما اتاه النبي صلى الله عليه وسلم قال له اليك عني والله لقد اذاني نتن
حمارك فقال رجل من الانصار والله لحمار رسول الله صلى الله عليه وسلم اطيب ريحا منك
فغضب لعبد الله رجل من قومه فشتمه فغضب لكل منهما اصحابه فكان بينهما ضرب بالجريد والايدي
والنعال فنزل وان طايفتان من المومنين اقتتلوا فاصلحوا بينهما كذا في البخاري وفيه
ايضا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم مر على ابن ابي بن سلول في جماعة فقال ابن ابي
لقد غثا ابن ابي كبشة في هذه البلاد فسمعها ابنه عبد الله رضي الله تعالى عنه وكان من
خيار المسلمين فاستاذن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ياتيه براسه فقال له صلى
الله عليه وسلم لا ولكن بر اباك وكان ابن ابي جميل الصورة ممتلئ الجسم فصيح اللسان
وهو المعني بقوله تعالى واذا رايتهم تعجبك اجسامهم الاية ولكونه متبوعا جي فيه
بصيغة الجمع وعن الزهري اخبرني عروة بن اسامة بن زيد رضي الله تعالى عنهم
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ركب حمارا على اكاف واردف اسامة رضي الله تعالى
عنه وراءه يعود سعد بن عبادة في بني الحارث بن الخزرج قبل وقعة بدر حتى مر بمجلس
فيه عبد الله بن ابي بن سلول وذلك قبل ان يسلم عبد الله بن ابي فاذا في المجلس اخلاط
من المسلمين والمشركين عبدة الاوثان واليهود وفي المسلمين عبد الله بن رواحة رضي
الله تعالى عنه فثار غبار من مشي الحمار فخمر ابن ابي انفه بردايه ثم قال لا تغبروا
علينا فسلم رسول الله صلى الله عليه وسلم عليهم ثم نزل ودعاهم الى الله تعالى وقرا
عليهم القران فقال ابن ابي ايها المرء انه لا احسن مما تقول ان كان حقا فلا توذينا
به في مجالسنا ارجع الى رحلك فمن جاك فاقصص عليه فقال عبد الله بن رواحة رضي
الله تعالى عنه بلى يا رسول الله فاغشنا فانا نحب ذلك واستب المسلمون والمشركون واليهود

حتى كادوا يتبادرون فلم يزل رسول الله صلى الله عليه وسلم يخفضهم حتى سكتوا
ثم ركب رسول الله صلى الله عليه وسلم دابته حتى دخل على سعد بن عبادة رضي الله
تعالى عنه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا سعد الم تسمع ما قال ابو حباب يعني
ابن ابي قال كذا وكذا فقال سعد بن عبادة رضي الله تعالى عنه يا رسول الله اعف
عنه واصفح فوالذي انزل عليك الكتاب لقد جاء الله بالحق الذي انزل عليك ولقد
اصطلح اهل هذه البحيرة على ان يتوجوه فيعصبوه بالعصابة فلما رد بالحق الذي
اعطاك الله شرق فذلك الذي فعل به ما رايت فعفى رسول الله صلى الله عليه وسلم
والله اعلم ومكث صلى الله عليه وسلم ببيت ابي ايوب الى ان تم بناء المسجد وبعض
مساكنه وقد مكث في بناء ذلك من شهر ربيع الاول الى شهر صفر من السنة القابلة
اي وذلك اثني عشر شهرا وقيل مكث ببيت ابي ايوب سبعة اشهر قال ولما
تحول رسول الله صلى الله عليه وسلم من بني عمرو بن عوف الى المدينة تحول المهاجرون
اي غالبهم اخذا مما ياتي فتنافس فيهم الانصار ان ينزلوا عليهم حتى اقترعوا
عليهم بالسهمان فما نزل احد من المهاجرين على احد من الانصار الا بقرعة بينهم
فكان المهاجرون في دور الانصار واموالهم انتهى وكان من جملة محل مسجده
صلى الله عليه وسلم مسجد لابي امامة اسعد بن زرارة رضي الله تعالى عنه وكان ابو
امامة يجمع فيه بمن يليه بناه في بعض مربد للتمر لسهل وسهيل رضي الله تعالى عنهما
اي يجفف فيه التمر ويرادف المربد الجرين والمسطح والبيدر وهو ما يبسط فيه الزرع
او التمر للتجفيف وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي في ذلك المسجد قال
فعن ام زيد بن ثابت انها قالت رايت اسعد بن زرارة قبل ان يقدم النبي صلى الله
عليه وسلم المدينة يصلي بالناس الصلوات الخمس ويجمع بهم في مسجد بناه في مربد سهل
وسهيل رضي الله تعالى عنهما قالت فكاني انظر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
لما قدم صلى بهم في ذلك المسجد وبناه اي مع ادخال بقية ذلك المربد فهو مسجده و
لا يخالف ذلك قول الحافظ الدمياطي عن الزهري قال بركت ناقة رسول الله صلى الله
عليه وسلم عند موضع مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يومئذ يصلي فيه رجال
من المسلمين قبل قدومه صلى الله عليه وسلم وكان مربدا لسهيل وسهل وكان جدارا
مجدرا ليس عليه سقف وقبلته الى بيت المقدس وكان اسعد بن زرارة رضي الله تعالى
عنه بناه وكان يصلي باصحابه ويجمع بهم فيه الجمعة قبل قدوم رسول الله صلى الله عليه
وسلم اي ولما قدم المدينة صار صلى الله عليه وسلم يصلي فيه وفي الامتاع وكان
اسعد بن زرارة رضي الله تعالى عنه بنى فيه جدارا تجاه بيت المقدس كان يصلي فيه
بمن اسلم قبل قدوم مصعب بن عمير رضي الله تعالى عنه ثم صلى بهم فيه مصعب هذا
كلامه وتعلم ما فيه لما قدمناه في قدوم مصعب المدينة لكن في البخاري انه صلى الله عليه

وسلم

وسلم كان يصلي في مرابض الغنم قبل ان يبني المسجد اي ولعله اتفق له صلى الله
عليه وسلم ذلك في بعض الاوقات لانه صلى الله عليه وسلم كان يصلي حيث ادركته
الصلاة ثم انه صلى الله عليه وسلم بعد ذلك سال اسعد بن زرارة ان يبيعه تلك
البقعة التي كان من جملتها ذلك المسجد ليجعلها مسجدا فانها كانت في يد ليتيمين
في حجره وهما سهل وسهيل وقيل كانا في حجر معاذ بن عفرا رضي الله تعالى عنه قال
في الاصل وهو الاشهر وفي المواهب ان الاول هو المرجح واليتيمان المذكوران
هما من بني مالك بن النجار وقيل كانا في حجر ابي ايوب الانصاري قال بعضهم
والظاهر ان الكل اي من اسعد ومعاذ وابي ايوب كانوا يتكلمون لليتيمين لانهم
بنو عم فنسب الى حجر كل وقد عرض ابو ايوب على رسول الله صلى الله عليه وسلم ان
ياخذ تلك الارض ويغرم لليتيمين قيمتها فابى رسول الله صلى الله عليه وسلم وابتاعها
بعشرة دنانير اداها من مال ابي بكر رضي الله تعالى عنه اي وفي رواية فدعا الغلامين
فساومهما بالمربد فقالا لا بل نهبه لك يا رسول الله فابى صلى الله عليه وسلم ان يقبله
منهما هبة حتى ابتاعه منهما بعشرة دنانير وامر صلى الله عليه وسلم ابا بكر رضي الله
تعالى عنه ان يعطيهما ذلك وفي رواية ارسل الى ملأ من بني النجار ولعلهم من تقدم
وهم اسعد ومعاذ وابو ايوب ومنهم سهل وسهيل اي ومن وصفهما باليتم باعتبار
ما كان فجاؤه فقال ثامنوني بحائطكم هذا اي خذوا مني ثمنه قالوا لا والله لا
نطلب ثمنه الا الى الله فابى ان ياخذه الا بالثمن قال وجاء ان اسعد بن زرارة
عوض اليتيمين من تلك الارض نخلا اي له في بني بياضة وقيل ارضاهما ابو ايوب وقيل
معاذ بن عفرا وطريق الجمع بين ذلك انه يحتمل ان كلا من اسعد وابي ايوب ومعاذ
بن عفرا دفع للغلامين شيئا اي زيادة على العشرة دنانير فنسب ذلك لكل منهم وجاء
انه كان في تلك الارض قبور جاهلية فامر بها صلى الله عليه وسلم وامر بالعظام فالقيت فنبشت ٢
اي وفي رواية وامر بالعظام ان تغيب وفي رواية كان في موضع المسجد نخل وخرب اي
حفر ومقابر المشركين فامر صلى الله عليه وسلم بالقبور فنبشت وبالخرب فسويت وبالنخل
فقطعت اي وفي سيرة الحافظ الدمياطي فامر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالنخل التي
في الحديقة وهي تلك الارض التي كانت مربدا اي وسميت حديقة لوجود النخل به وامر
بالغرقد الذي كان فيه ان يقطع اي والغرقد شجر معروف وبقيع الغرقد مقبرة
اهل المدينة وشجر الغرقد يقال له شجر اليهود فانه لا يدل على اليهودي اذا توارى
به عند نزول عيسى عليه السلام وقتله للدجال ولجنده من اليهود فاذا توارى
اليهودي بشجرة تناديه يا روح الله هاهنا يهودي فياتي حتى يقف عليه فاما ان يسلم
واما ان يقتله الا شجر الغرقد فانه لا يدل على اليهودي اذا توارى به فقيل له شجر
اليهود لذلك قال وكان في المربد ماء مستنجل فسيروه حتى ذهب والمستنجل الذي

نشع ويظهر من الارض ثم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم امر باتخاذ اللبن
فاتخذ وبني به المسجد وجا انه صلى الله عليه وسلم عند الشروع في البنا وضع لبنة ثم
دعا ابا بكر رضي الله تعالى عنه فوضع لبنة اي بجانب لبنته صلى الله عليه وسلم ثم دعا
عمر رضي الله تعالى عنه فوضع لبنة بجانب لبنة ابي بكر ثم جا عثمان رضي الله تعالى عنه
فوضع لبنة بجانب لبنة عمر رضي الله تعالى عنهم اي وقد اخرج ابن حبان رحمه الله تعالى
لما بنى رسول الله صلى الله عليه وسلم المسجد وضع في البنا حجرا وقال لابي بكر ضع حجرك الى
الى جنب حجري ثم قال لعمر ضع حجرك الى جنب حجر ابي بكر ثم قال لعثمان ضع حجرك الى
جنب حجر عمر ثم قال هولا الخلفا من بعدي قال ابو زرعة اسناده لا باس به فقد اخرجه
الحاكم في المستدرك وصححه وفي رواية هولا ولاة الامر بعدي قال ابن كثير وهذا الحديث
بهذا الاسناد غريب جدا قال بعضهم وقوله لعثمان رضي الله تعالى عنه ما ذكر اي
ضع حجرك الى جنب حجر عمر رضي الله تعالى عنه يرد على من زعم ان هذا منه صلى الله عليه
وسلم اشارة الى قبورهم اذ لو كان اشارة الى ذلك لدفن عثمان بجانب عمر كما دفن
عمر بجانب ابي بكر رضي الله تعالى عنهم بل هو اشارة الى ترتيب الخلافة اي لانه لا يستما
من قوله صلى الله عليه وسلم هولا الخلفا بعدي الا ذلك ومن ثم جا في رواية فسيل
رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك فقال امر الخلافة من بعدي وبتصحيح الحاكم لما
ذكر يظهر التوقف في قول بعضهم ان هذا لم يجي في الصحيح الا ان يريد صحيح الشيخين
واما قوله قال البخاري في تاريخه ان ابن حبان لم يتابع على الحديث المذكور لان عمر
وعثمان وعليا رضي الله تعالى عنهم قالوا لم يستخلف النبي صلى الله عليه وسلم فقد
يقال عليه معناه لم ينص عليه الصلاة والسلام على استخلاف احد بعينه عند موته وذلك
لا ينافي الاشارة الى وقوع الخلافة لهولا بعده ولا ينافيه قوله الخلفا بعدي لجواز ان
يراد الخلافة في العلم ثم رايت العلامة ابن حجر الهيتمي رحمه الله تعالى اشار الى ذلك حيث
قال قلت هذا اي وضع تلك الاحجار وقوله صلى الله عليه وسلم هولا الخلفا بعدي مع احتماله
للخلافة في العلم والارشاد متقدم على وقت الاستخلاف عادة وهو قرب الموت فلم يكن نصا
سالما من المعارض هذا كلامه ثم قال صلى الله عليه وسلم للناس ضعوا اي الحجارة فوضعوا
ورفع بالحجارة اي قرب من ثلاثة اذرع وبني باللبن وجعل عضادتيه اي جانبيه
بالحجارة وسقفه بالجريد وجعلت عمده وفي رواية سواريه من جذوع النخل طول جداره
قامة اي كان ارتفاعه قدر قامة قال وعن شهر بن حوشب قال لما اراد رسول
الله صلى الله عليه وسلم ان يبني المسجد قال ابنوا لي عريشا كعريش موسى عليه السلام
ثمام خشبات وظلة كظلة موسى والامر اعجل من ذلك قيل وما ظلة موسى قال كان اذا
قام اصاب راسه السقف انتهى اي فلما واجعلوا سقفه يكون بحيث اذا قمت اصاب
راسي السقف او رفعت يدي اصابت السقف والجمع بين هذين الروايتين يدل على ان

المراد

المراد ما هو قريب من ذلك بحيث يكون لشي الارتفاع فلا ينافي ما ياتي من امره صلى الله
عليه وسلم بجعل ارتفاعه سبعة اذرع فليتامل وفي سيرة الحافظ الدمياطي رحمه
الله تعالى فقيل له صلى الله عليه وسلم الا تسقفه قال عريش كعريش موسى خشبات وثمام
اي وقيل للحسن ما عريش موسى قال اذا رفع يده بلغ العريش يعني السقف وفي رواية
لما اراد رسول الله صلى الله عليه وسلم بناء المسجد قال ابنوا لي اي قال له جبريل عليه
السلام عريشا كعريش اخيك موسى عليه السلام سبعة اذرع طولا في السما اي وكانت
سبعة اذرع بحيث يصيب راسه ولا تزخرفه ثم الامر اعجل من ذلك اي وفيه ان هذا
يقتضي ان موسى عليه الصلاة والسلام كان طوله سبعة اذرع وهو مخالف لما اشتهر
ان قامة موسى عليه الصلاة والسلام كان اربعين ذراعا وعصاه كذلك ووثبته
كذلك وقد جاء ما امرت بتشييد المساجد اي ولعل قوله صلى الله عليه وسلم ذلك كان
لما جمع الانصار رضي الله تعالى عنهم مالا وجاوا به الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقالوا يا رسول الله ابن هذا المسجد وزينه الى متى نصلي تحت هذا الجريد وجاء لا
تقوم الساعة حتى يتباهى الناس في المساجد وجا ان من اشراط الساعة ان يتباهى
الناس في المساجد اي بزخرفتها كما تزخرف اليهود والنصارى كنايسهم وبيعهم ولم
يكن على السقف كثير طين اذ كان المطر يكف اي ينزل منه المطر المخالط للطين عليهم
بحيث يمتلي اي المسجد طينا فقالوا يا رسول الله لو امرت فطين اي جعل عليه طين كثير
بحيث لا ينزل منه المطر فقال صلى الله عليه وسلم لا عريش كعريش موسى عليه السلام
فلم يزل كذلك حتى قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم وعند بنائه عمل فيه المسلمون
المهاجرون والانصار وعمل فيه صلى الله عليه وسلم بنفسه ليرغب المسلمين في العمل قال
وقد جا انه صلى الله عليه وسلم صار ينقل اللبن اي في ثيابه وفي رواية في ردائه حتى
اغبر صدره الشريف وصار يقول هذا الحمال لا حمال خيبر هذا ابر ربنا واطهر اي ان
هذا المحمول من اللبن ابر واطهر يا ربنا مما يحمل من خيبر من نحو التمر والزبيب فالحمال
بالحا المهملة بمعنى المحمول ووقع في رواية بالجيم جمع جمل قال بعضهم وله وجه والاول
اظهر ولا يحسن هذا الوجه الا اذا كانت جمال خيبر اجل من جمال غيرها وصار يقول
اللهم ان الاجر اجر الاخره فارحم الانصار والمهاجره قال البلاذري وهذا القول
لامراة من الانصار وتمامه وعافهم من حر نار ساعره فانها لكافر وكافره
والذي في البخاري فاغفر للانصار والمهاجره ولعله صلى الله عليه وسلم هو الذي اخرجه
من الوزن كما هو عادته في انشاد الشعر كما سياتي وفي لفظ فاصلح وفي لفظ فاكرم
وفي لفظ رواية اللهم لا خير الا خير الاخره فارحم المهاجرين والانصاره وفي رواية
فانصر الانصار والمهاجره وعن الزهري انه صلى الله عليه وسلم كان يقول اللهم لا
خير الا خير الاخره فارحم المهاجرين والانصار لانه صلى الله عليه وسلم كان لا يقيم الشعر

اي لا ياتي به موزونا ولو متمثلا وفيه انه مع قوله اللهم ان الاجر الخ لا يكون شعرا
موزونا الا ان حذف ال من اللهم وقال لاهم وكسر همزة فارحم وح تكون المراة من
الانصار انما انطقت بذلك اي قالت لاهم الخ وهو صلى الله عليه وسلم هو الذي غيره
ونقل عن الزهري رحمه الله تعالى انه صلى الله عليه وسلم لم يقل بيتا موزونا متمثلا
به الا قوله هذا الحمال البيت المتقدم ولم اقف على قايله وسياتي عن الزهري انه من انشايه
صلى الله عليه وسلم وسياتي ما فيه وفي كلام بعضهم قال ابن شهاب يعني الزهري رحمه الله
لم يبلغنا في الاحاديث انه صلى الله عليه وسلم تمثل ببيت شعر تام اي موزون الا هذه
الابيات قال ابن عايذ اي التي كان يرتجز بهن وهو ينقل اللبن لبناء المسجد اي وفيه
انه مخالف لما تقدم عن الزهري انه صلى الله عليه وسلم لم يقل بيتا موزونا متمثلا به
الا قوله هذا الحمال الخ فلا يحسن ان يفسر كلامه بذلك على انه صلى الله عليه وسلم تمثل
ببيت شعر تام موزون غير ذلك فقد تقدم انه صلى الله عليه وسلم جعل يدور بين قتلى
بدر ويقول نفلق هاما من رجال اعزة علينا وهم كانوا اعق واظلما لامر وفي
المواهب وقد قيل ان الممتنع عليه صلى الله عليه وسلم انشا الشعر لا انشاده اي ولذلك
جاء ما ابالي ما اوتيت ان انا قلت الشعر من قبل نفسي وفي الكشاف وقد صح ان الانبيا عليهم
الصلاة والسلام معصومون من الشعر ولا دليل على منع انشاده اي الشعر موزونا متمثلا
اقول نقل عن الحافظ الدمياطي عن الزهري رحمهما الله تعالى انه كان يقول انه صلى
الله عليه وسلم لم يقل شيئا من الشعر الا ما قد قيل قبله الا قوله هذا الحمال لا حمال خيبر
هذا ابر ربنا واطهر اي فانه من قوله صلى الله عليه وسلم وهو يخالف ما تقدم
عنه ولعله سقط من عبارة الزهري اي المذكورة شي والاصل انه لم يقل شيا من
الشعر الا ما قد قيل قبله ولم يقل ما قبله تاما اي موزونا الا قوله هذا الحمال الخ
فلا يخالف ما تقدم عنه وكونه صلى الله عليه وسلم كان لا يقيم الشعر اي لا ياتي به موزونا
ولو متمثلا هو المنقول عن عايشة رضي الله تعالى عنها فقد قيل لها هل كان رسول الله
صلى الله عليه وسلم ياتي بشي من الشعر فقالت كان ابغض الحديث اليه الشعر غير انه كان
يتمثل به ويجعل اوله آخره وآخره اوله اي غالبا كان صلى الله عليه وسلم يقول ويأتيك
من لم تزود بالاخبار ويقول كفى بالشيب والاسلام للمرء ناهيا اي وذلك من قول سحيم
بمهملة مصغرا عبد بني الحسحاس شاعر مشهور مخضرم كفى الشيب والاسلام للمرء ناهيا
ولما غير صلى الله عليه وسلم ذلك قال له الصديق رضي الله تعالى عنه انما قال الشاعر
كذا فاعاده صلى الله عليه وسلم كالاول فقال الصديق رضي الله تعالى عنه اشهد انك
رسول الله وما علمناه الشعر ولما سمع صلى الله عليه وسلم قول سحيم وهو هذا
الحمد لله حمدا لا انقطاع له فليس احسانه عنا بمقطوع قال احسن وصدق وقول
الصديق رضي الله تعالى عنه اشهد انك رسول الله وما علمناه الشعر يدل على انه صلى الله

المخضرم من ادرك الاسلام وادرك النبي صلى الله عليه وسلم ولم ياته فيسلم بل اسلم بعد وفاته ذكره ابن قتيبة

عليه وسلم

عليه وسلم لا يجري الشعر على لسانه موزونا وقد قيل له صلى الله عليه وسلم من اشعر
الناس قال الذي يقول الم ترياني كلما جيت طارقا وجدت بها وان لم تطيب طيبا
الاصل وجدت بها طيبا وان لم تطيب وكان ابو بكر رضي الله تعالى عنه يقول بابي
انت وامي يا رسول الله ما انت بشاعر ولا راويه والمراد يكون الشعر ابغض اليه
اليه الاتيان به والا فقد كان صلى الله عليه وسلم يسمع الشعر كما تقدم ويستنشد
فقد ذكر بعضهم انه صلى الله عليه وسلم كان يستنشد الخنسا اخت صخر لامه ويعجبه
شعرها فكانت تنشده وهو يقول هيه يا خناس ويومي بيده وقد قال بعضهم اجمع
اهل العلم بانه لم يكن امراة قبلها ولا بعدها اشعر منها ومن شعرها في اخيها
المذكور اعيني جودا ولا تجمدا الا تبكيان بصخر الندا طويل النجاد عظيم الرماد
ساد عشيرته امردا وللجلال السيوطي كتاب سماه نزهة الجلسا في اشعار النسا وقولنا
في قول عايشة رضي الله تعالى عنها انه كان يتمثل اي بالشعر ويجعل اوله آخره اي
غالبا حتى لا ينافي ما جا عنها رضي الله تعالى عنها كان صلى الله عليه وسلم يتمثل بشعر
ابن رواحة ويأتيك بالاخبار من لم تزود وقولها رضي الله تعالى عنها ما سمعت رسول
الله صلى الله عليه وسلم ينشد شعرا الا بيتا واحدا تفاءل بما تهوى تكن فلقلما
يقال لشي كان الا تحققا وفي الخصايص الكبرى قال المزني رحمه الله ولم يبلغني انه صلى
الله عليه وسلم انشد بيتا تاما على روية بل اما الصدر كقول لبيد رضي الله تعالى عنه
الا كل شي ما خلا الله باطل او العجز كقول طرفة ويأتيك بالاخبار من لم تزود
اي وفيه ما تقدم عن عايشة وكقوله صلى الله عليه وسلم وقد انشده عشي بني مازن
ابياتا في ذم النسا آخر تلك الابيات وهن شر غالب لمن غلب فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول وهن شر غالب لمن غلب فان انشد صلى الله عليه وسلم بيتا كاملا غيره اي غالبا
لما تقدم كبيت العباس بن مرداس اي فانه صلى الله عليه وسلم قال يوما للعباس
بن مرداس ارايت قولك وفي لفظ انت القايل اصبح نهبي ونهب العبيد بين الاقرع وعيينة
فقيل له انما هو عيينة والاقرع فقال انما هو الاقرع وعيينة فقال ابو بكر رضي الله تعالى
عنه بابي انت وامي يا رسول الله وفي لفظ اشهد انك رسول الله ما انت بشاعر ولا راوية
ولا ينبغي لك انما قال بين عيينة والاقرع كما انه لا ينبغي لك ان تكون شاعرا كما قال الله
تعالى لا ينبغي لك ان تكون راوية للشعر اي بان تاتي به على وجهه اي شانك ذلك لا
يكون منك مناشدة للشعر وكون شانه صلى الله عليه وسلم ذلك لا ينافي وجوده منه على
وجهه في بعض الاوقات فليتامل وعن بعضهم ما جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم
بيت شعر قط اي موزونا وقد يقال لا يخالف هذا ما تقدم عن المواهب لا يجوز ان
يكون هذا المنقول عن عايشة وعن المزني وعن بعضهم كان اغلب احواله كما قدمناه
في المنقول عن عايشة ثم رايت في الامتاع اشار الى ذلك بقوله وربما انشد صلى الله عليه وسلم

البيت المستقيم في النافر وقول المواهب لا دليل على منع انشاده صلى الله عليه وسلم متمثلا
اي دايما وابتدا ويدل لذلك قول الزهري انه صلى الله عليه وسلم لم يتمثل بيتا موزونا
متمثلا به الا قوله هذا الحمال الخ وفيه ما علمت ولا يخفى ان الشعر عرف بانه كلام عربي
موزون عن قصد قال البدر الدماميني وقولنا عن قصد يخرج ما كان وزنه اتفاقيا
كايات شريفة اتفق جريان الوزن فيها اي من بحور الشعر الستة عشر وقد ذكرها الجلال
السيوطي في نظمه للتلخيص وذلك كما في قوله تعالى لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون
وكقوله تعالى وجفان كالجوابي وقدور راسيات وقوله تعالى نصر من الله وفتح قريب
وككلمات شريفة نبوية جا الوزن فيها اتفاقيا غير مقصود كما في قول النبي صلى الله
عليه وسلم هل انت الا اصبع دميت وفي سبيل الله ما لقيت اي بناء على تسليم انه من قوله
صلى الله عليه وسلم والا فقد قيل انه من قول عبد الله بن رواحة رضي الله تعالى عنه اي فان
ذلك مذكور في ابيات قالها في غزوة موتة وقد صدمت اصبعه فدميت وذكر بدل في سبيل
الله في كتاب الله ولا مانع ان يكون ابن رواحة رضي الله تعالى عنه ادخل ذلك البيت في
تلك الابيات التي صنعها كما تقدم **وفي كلام ابن دحية** رحمه الله ولا يمر على لسان رسول الله
صلى الله عليه وسلم من ضروب الرجز الا ضربان منهوك ومشطور فالمنهوك انا النبي لا كذب
والمشطور هل انت الا اصبع دميت وقيل البيت الواحد لا يكون شعرا على انه قيل ان الرجز
ليس من الشعر عند الاخفش خلافا للخليل رحمه الله تعالى اي فان الاخفش رحمه الله تعالى
احتج على ان الرجز ليس بشعر ردا على الخليل ومن تبعه القايلين بانه من الشعر حيث قال
لاحتججن عليهم بحجة ان لم يقروا بها كفروا لو كان شعرا ما جرى على لسان رسول الله صلى
الله عليه وسلم لان الله تعالى يقول وما علمناه الشعر وما ينبغي له هذا كلامه **قال
في النور** والصحيح انه شعر اي موافقة للخليل رحمه الله تعالى وقد علمت ان ما جرى على
لسانه صلى الله عليه وسلم ليس شعرا لعدم قصده فليتامل **وقد نقل** الماوردي من ايمتنا
انه كان يحرم عليه صلى الله عليه وسلم قول الشعر اي انشاؤه يحرم عليه روايته اي دون
انشاده متمثلا وفرق بعضهم بين الانشاد والرواية بان الرواية يقول قال فلان كذا
واما انشاده متمثلا فلا يقول ذلك هذا كلامه وفيه انه تقدم انه صلى الله عليه وسلم
لما قيل له من اشعر الناس قال الذي يقول الخ وقال للعباس بن مرداس أنت القايل الخ
قال ذلك البعض وكان الفرق بين الرواية والانشاد ان قوله قال فلان فيه رفعة للقايل
بسبب قوله وهذا متضمن لرفع شان الشعر والمطلوب منه الاعراض عن الشعر من حيث
كونه شعرا وفيه ان الصديق رضي الله تعالى عنه قال له عند كل من الرواية والانشاد لست
براويه كما تقدم **وعن** الخليل رحمه الله تعالى كان الشعر احب اليه صلى الله عليه وسلم من كثير
من الكلام اي وقد يقال لا يخالف هذا ما تقدم عن عايشة رضي الله تعالى عنها كان ابغض
الحديث اليه صلى الله عليه وسلم الشعر لان المراد بالشعر الذي يحبه صلى الله عليه وسلم ما كان

مشتملا على حكمة او وصف جميل من مكارم الاخلاق والذي يبغضه صلى الله عليه وسلم ما كان
مشتملا على ما فيه هجنة او هجو ونحو ذلك ومن ثم قيل الشعر كلام حسنه حسن وقبيحه قبيح
وفي الجامع الصغير الشعر بمنزلة الكلام فحسنه كحسن الكلام وقبيحه كقبيح الكلام الشعر
الحسن احد الجمالين يكسوه الله المرء المسلم **وقد قال** ابن عباس رضي الله تعالى عنهما اذا
خفي عليكم شيء من القران فالتمسوه في الشعر فان الشعر ديوان العرب **وفي كلام** سيدنا عمر
رضي الله تعالى عنه نعم الابيات من الشعر يقدمها الرجل في صدر حاجته يستعطف بها
قلب الكريم ويستميل بها لؤم اللئيم **والحاصل** ان الحق الحقيق بالاعتماد وبه تجتمع الاقوال
ان المحرم عليه صلى الله عليه وسلم انما هو انشا الشعر اي الاتيان بالكلام الموزون عن
قصد وزنه وهذا هو المعنى بقوله تعالى وما علمناه الشعر فان فرض وقوع كلام موزون
منه صلى الله عليه وسلم لا يكون ذلك شعرا اصطلاحا لعدم قصد وزنه فليس من الممنوع منه
والغالب عليه صلى الله عليه وسلم انه اذا انشد بيتا من الشعر متمثلا به او مسندا لقايله
لا ياتي به موزونا وربما اتى به موزونا لكن عن غير قصد وزنه **وادعى** بعض الادبا انه
صلى الله عليه وسلم كان يحسن الشعر اي ياتي به موزونا قصدا ولكنه كان لا يتعاطاه اي
لا يقصد الاتيان به موزونا قال وهذا اتم واكمل مما لو قلنا انه صلى الله عليه وسلم كان
لا يحسنه وفيه ان في ذلك تكذيبا للقران **وفي التهذيب** للامام البغوي من ايمتنا رحمه الله تعالى
قيل كان صلى الله عليه وسلم يحسن الشعر ولا يقوله والاصح انه كان لا يحسنه ولكن كان
صلى الله عليه وسلم يميز بين جيد الشعر ورديه ولعل المراد بين الموزون منه وغير
الموزون **ثم رايت** في ينبوع الحياة قال كان بعض الزنادقة المتظاهرين بالاسلام حفظا
لنفسه وماله يعرض في كلامه بان النبي صلى الله عليه وسلم كان يحسن الشعر يقصد
بذلك تكذيب القران كتاب الله تعالى في قوله تعالى وما علمناه الشعر وما ينبغي له **قال**
بعضهم والحكمة في تنزيه القران عن الشعر الموزون مع ان الموزون من الكلام رتبته فوق
رتبة غيره ان القران منبع الحق ومجمع الصدق وقصارى امر الشاعر التخييل بتصور الباطل
في صورة الحق والافراط في الاطرا والمبالغة في الذم والايذا دون اظهار الحق واثبات
الصدق ولهذا نزه الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم عنه ولاجل شهرة الشعر بالكذب
سمى اصحاب البرهان القياسات المودية في اكثر الامر الى البطلان والكذب شعرية **وقد
جاء** النهي عن انشاد الشعر في المسجد قال صلى الله عليه وسلم من رايتموه ينشد شعرا
في المسجد فقولوا له فض الله فاك ثلاث مرات والاخذ بعمومه فيه من العسر ما لا يخفى
وفي العرايس عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال من قال ان ادم قال الشعر فقد
كذب على الله تعالى ورسوله ورمى ادم عليه السلام بالماثم وان محمدا صلى الله عليه وسلم
والانبيا عليهم الصلاة والسلام كلهم في النهي عن الشعر سوا **وفي كلام** الشيخ محي الدين
بن العربي رحمه تعالى في قوله تعالى وما علمناه الشعر وما ينبغي له اعلم ان الشعر محل

الاجمال واللغز والتورية اي وما رمزنا لمحمد صلى الله عليه وسلم ولا لغزنا ولا خاطبنا
بشي ونحن نريد شيا اخر ولا اجملنا له الخطاب بحيث لم يفهمه واطال في ذلك وهل
يشكل على ذلك الحروف المقطعة في اوايل السور ولعله رضي الله تعالى عنه لا يرى ان
ذلك من المتشابه وان المتشابه ليس مما استاثر الله بعلمه والله اعلم ولما راته صلى
الله عليه وسلم الصحابة رضي الله تعالى عنهم ينقل اللبن بنفسه دابوا في ذلك اي في
نقل اللبن اي وهو المراد بالصخر في قول بعضهم وجعل اصحابه ينقلون الصخر والمراد
الصخر الذي يبنى به الجدار وجانبا الباب كما تقدم حتى قال قايلهم، لين قعدنا والنبي يعمل
لذاك منا العمل المضلل، وجعل يحمل كل رجل لبنة لبنة وعمار بن ياسر رضي الله تعالى عنه
يحمل لبنتين لبنتين فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ينفض التراب عن راس عمار بن
ياسر رضي الله تعالى عنه ويقول يا عمار الا تحمل كما يحمل اصحابك قال اني اريد الاجر من الله
تعالى وفي رواية كان يحمل لبنة عن نفسه ولبنة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فمسح
رسول الله صلى الله عليه وسلم ظهره وقال يا ابن سمية للناس اجر ولك اجران واخر
زادك من الدنيا شربة من لبن وجاء في حق عمار رضي الله تعالى عنه ابن سمية ما عرض
عليه امران قط الا اختار الارشد منهما اذا اختلف الناس كان ابن سمية مع الحق وتقتلك
الفئة الباغية تدعوهم الى الجنة ويدعوك الى النار وعمار يقول اعوذ بالله من الفتن
وفي رواية بالرحمن من الفتن اي وهذا السياق يدل على انه صلى الله عليه وسلم لم يستمر ينقل
اللبن بل نقل ذلك في بعض الاوقات وفي مسلم عن ابي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه
قال اخبرني من هو خير مني ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعمار حين شغل بحفر
الخندق جعل يمسح راس عمار ويقول ابن سمية تقتلك فئة باغية وفي رواية تعيين
من ابهمه ابو سعيد وهو ابو قتادة وزاد في رواية ان النبي صلى الله عليه وسلم لما حفر
الخندق وكان الناس يحملون لبنة لبنة اي من الحجارة التي تقطع وعمار ناقه من وجع كان
به فجعل يحمل لبنتين قال لعمار بوساك تقتلك الفئة الباغية ثم رايت بعضهم قال
يشبه ان يكون ذكر الخندق وهما وقالها صلى الله عليه وسلم عند بناء المسجد وقالها يوم
الخندق هذا كلامه اي ويكون عمار بن ياسر في الخندق صار يحمل الحجرين وكان في بنا المسجد
يحمل اللبنتين وكان عثمان بن مظعون رضي الله تعالى عنه رجلا متنظفا اي مترفها
وكان اذا حمل اللبنة تجافا بها عن ثوبه لئلا يصيبه التراب فان اصابه شي من التراب
نفضه فنظر اليه علي بن ابي طالب كرم الله تعالى وجهه وانشد يقول مباسطا مع عثمان
بن مظعون رضي الله تعالى عنه لاطعنا فيه، لا يستوي من يعمر المساجدا، يداب فيها قايما
وقاعدا، ومن يرى عن التراب حايدا، وكان عثمان رضي الله تعالى عنه هذا ممن حرم
الخمر على نفسه في الجاهلية وقال لا اشرب شرابا يذهب عقلي ويضحك بي من هو ادنى
مني وذكر ابن اسحاق قال سالت غير واحد من اهل العلم بالشعر عن هذا الرجز هل

تمثل به علي كرم الله تعالى وجهه او انشاؤه فكل يقول لا ادري فسمع ذلك الرجز
عمار بن ياسر رضي الله تعالى عنه فصار يرتجز بذلك وهو لا يدري من يعني بذلك فمر
يرتجز بذلك على عثمان يعني ابن مظعون فظن عثمان رضي الله تعالى عنه ان عمارا
يقصد التعريض به فقال له عثمان يا ابن سمية ما اعرفني بمن تعرض به لتكفن او
لاعترضن بهذه الحديدة لحديدة كانت معه وجهك وفي لفظ والله اني ارى ان ساعرض
هذه العصاة لانفك لعصاة كانت في يده فسمعه رسول الله صلى الله عليه وسلم فغضب وقال
ان عمار بن ياسر جلدة ما بين عيني ووضع يده الشريفة بين عينيه الشريفتين فقال
الناس لعمار قد غضب رسول الله صلى الله عليه وسلم اي ونخاف ان ينزل فينا قرآن
فقال انا ارضيه فقال يا رسول الله ما لي ولاصحابك قال ما لك وما لهم قال يريدون
قتلي يحملون لبنة لبنة ويحملون علي لبنتين اي وفي لفظ يحملون على اللبنتين والثلاث
اي ولعله حمل الثلاث لبنات في بعض الاوقات فاخذ صلى الله عليه وسلم بيده وطاف
به المسجد وجعل يمسح ذفرته من التراب والذفرة بالذال المعجمة الشعر الذي جهة القفا
ويقول يا ابن سمية ليسوا بالذين يقتلونك تقتلك الفئة الباغية ويقول ويح عمار
تقتله الفئة الباغية يدعوهم الى الجنة اي الى سببها وهو اتباع الامام الحق لانه رضي
الله تعالى عنه كان يدعو الى اتباع علي كرم الله تعالى وجهه وطاعته وهو الامام
الواجب الطاعة اذ ذاك ويدعونه الى النار اي الى سببها وهو عدم اتباع علي كرم
الله تعالى وجهه واتباع معاوية رضي الله تعالى عنه وطاعته وفيه ان تلك الفئة
الباغية التي كانت فيها قاتله كان فيها جمع من الصحابة وهم معذورون بالتاويل الذي
ظهر لهم الا ان يقال يدعونه الى النار باعتبار اعتقاده رضي الله تعالى عنه واطلاق
البغي عليهم باعتبار ذلك قال بعضهم وفئة معاوية رضي الله تعالى عنه وان كانت
باغية لكنه بغي لا فسق به لانه انما صدر عن تاويل يعذر به اصحابه انتهى اي وما
زاده بعضهم في الحديث لا انالهم الله شفاعتي يوم القيامة قال ابن كثير من روى هذا
فقد افترى في هذه الزيادة على رسول الله صلى الله عليه وسلم فانه لم يقلها اذ لم تنقل عن
من يقبل وقال الامام ابو العباس بن تيمية وهذا كذب مزيد في الحديث لم يروه احد
من اهل العلم باسناد معروف ولذا قوله صلى الله عليه وسلم عمار جلدة ما بين عيني لا يعرف
له والذي في الصحيح تقتله الفئة الباغية وعن ابي الغادية سمعت رسول الله صلى الله
عليه وسلم يقول قاتل عمار في النار ومن العجب ان ابا الغادية سمع هذا وهو القاتل
لعمار يوم صفين فكان ابو الغادية مع معاوية وكان عمار مع علي كرم الله تعالى وجهه اي ويقال
ان عمارا لما برز للقتال قال اللهم لو اعلم رضاك عني ان اوقد نارا فارمي نفسي
فيها لفعلت او اغرق نفسي في ماء لفعلت واني لا اريد قتال هولا الا لوجهك الكريم
وانا ارجو ان لا تخيبني وجعلت يده ترتعش على الحربة اي لان عمره يومئذ كان ثلاثا

وسبعين سنة اي وقد كان رضي الله تعالى عنه جيء له بلبن فضحك فقيل له ما يضحكك قال
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اخر شراب تشربه الاكي حين تموت لبن وفي
رواية اخر زادك من الدنيا ضيح من اللبن ثم نادى رضي الله تعالى عنه اليوم زخرفت
الجنان وزينت الحور الحسان اليوم نلقى الاحبة محمدا وحزبه ولما قتل عمار رضي الله تعالى
عنه دخل عمرو بن العاص على معاوية رضي الله تعالى عنهما فزعا وقال قتل عمار فقال معاوية
قتل عمار فماذا قال عمرو سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول تقتله الفئة الباغية
فقال له معاوية دحضت في بولك اي زلقت انحن قتلناه انما قتله من اخرجه وفي رواية
قال له اسكت فوالله ما تزال تدحض اي تزلق في بولك انما قتله علي واصحابه جاوا به
حتى القوه بيننا ويذكر ان عليا كرم الله تعالى وجهه لما احتج على معاوية رضي الله تعالى
عنه بهذا الحديث ولم يسع معاوية انكاره قال انما قتله من اخرجه من داره يعني
بذلك عليا فقال علي كرم الله تعالى وجهه فرسول الله صلى الله عليه وسلم اذا قتل حمزة
رضي الله تعالى عنه حين اخرجه ولما قتل عمار رضي الله تعالى عنه جرد خزيمة بن
ثابت رضي الله تعالى عنه سيفه وقاتل مع علي كرم الله تعالى وجهه وكان قبل ذلك
اعتزل عن الفريقين وقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول تقتل عمارا الفئة
الباغية فقاتل معاوية حتى قتل وكان ذو الكلاع رضي الله تعالى عنه مع معاوية وقال
له يوما ولعمرو بن العاص كيف نقاتل عليا كرم الله تعالى وجهه وعمار بن ياسر رضي
الله تعالى عنه معه فقالا له ان عمارا يعود الينا ويقتل معنا فقتل ذو الكلاع قبل قتل
عمار ولما قتل عمار قال معاوية لو كان ذو الكلاع حيا لمال بنصف الناس الى علي اي لان
ذو الكلاع كان ذووه اربعة الاف اهل بيت وقيل عشرة الاف وكان عبد الله بن بديل
بن ورقاء رضي الله تعالى عنه مع علي كرم الله وجهه فلما قتل عمار رضي الله تعالى عنه اخذ
سيفين ولبس درعين ولم يزل يضرب بسيفه حتى انتهى الى معاوية رضي الله تعالى عنه فازاله
عن موقفه وازال اصحابه الذين كانوا معه عن موقفهم ثم لما رجع قام خطيبا فحمد الله
واثنى عليه وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم ثم قال الا ان معاوية ادعى ما ليس له ونازع
الامر اهله ومن ليس مثله وجادل بالباطل ليدحض به الحق وصال عليكم بالاعراب والاحزاب
وزين لهم الضلالة وزرع في قلوبهم حب الفتنة ولبس عليهم الامر وانتم والله على الحق على
نور من ربكم وبرهان مبين فقاتلوا الطغاة الجفاة قاتلوهم يعذبهم الله بايديكم ويخزهم
وينصركم عليهم ويشف صدور قوم مومنين قاتلوا الفئة الباغية الذين نازعوا الامر اهله
قوموا رحمكم الله ولما قتل عمار رضي الله تعالى عنه ندم ابن عمر رضي الله تعالى عنهما على
عدم نصرة علي كرم الله تعالى وجهه والمقاتلة معه وقال عند موته ما اسفي على شيء ما اسفي
على ترك قتال الفئة الباغية قال بعضهم شهدنا صفين مع علي ابن ابي طالب كرم
الله تعالى وجهه في ثمان مائة من اهل بيعة الرضوان وقتل منهم ثلاثة وستون منهم

عمار بن ياسر رضي
الله تعالى عنهم

عمار بن ياسر رضي الله تعالى عنهم وكان خزيمة بن ثابت رضي الله عنه الذي جعل
رسول الله صلى الله عليه وسلم شهادته بشهادة رجلين كان مع علي كرم الله تعالى وجهه
يوم صفين كافا سلاحه حتى قتل عمار جرد سيفه وقاتل حتى قتل رضي الله تعالى عنه
لانه كان يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول عمار تقتله الفئة الباغية
وفي الحديث من عادى عمارا عاداه الله ومن ابغض عمارا ابغضه الله عمار يزول مع الحق
حيث يزول عمار اختلط الاسلام والايمان بلحمه ودمه عمار ما عرض عليه امران الا اختار الارشد
منهما وجاء ان عمارا دخل على النبي صلى الله عليه وسلم فقال مرحبا بالطيب المطيب ان عمار
بن ياسر حشي ما بين اخمص قدميه الى شحمة اذنه ايمانا وفي رواية ان عمارا ملي ايمانا
من قرنه الى قدمه واختلط الايمان بلحمه ودمه وتخاصم عمار رضي الله تعالى عنه مع
خالد بن الوليد في سرية كان فيها خالد اميرا فلما جاءا اليه صلى الله عليه وسلم استبا عنده
فقال خالد يا رسول الله ايسرك ان هذا العبد الاجدع يشتمني فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم يا خالد لا تسب عمارا فان من سب عمارا فقد سب الله ومن ابغض عمارا ابغضه
الله ومن لعن عمارا لعنه الله ثم ان عمارا رضي الله تعالى عنه قام مغضبا فقام خالد فتبعه
حتى اخذ بثوبه واعتذر اليه فرضي عنه وعن سعد بن ابي وقاص رضي الله تعالى عنه ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الحق مع عمار ما لم تغلب عليه ذهلة الكبر وهذا
الحديث من اعلام النبوة فان عمارا وقع بينه وبين عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنهما
بعض الشحناء واشيع عنه انه يريد ان يخلع عثمان فاستدعاه سعد بن ابي وقاص
رضي الله عنه وكان مريضا فقال له ويحك يا ابا اليقظان كنت فينا من اهل الخير فما الذي
بلغني عنك من السعي بالفساد بين المسلمين والتالب على امير المومنين امعك عقلك
ام لا فغضب عمار ونزع عمامته وقال خلعت عثمان كما خلعت عمامتي هذه فقال سعد
انا لله وانا اليه راجعون ويحك حين كبر سنك ورق عظمك ونفذ عمرك خلعت ربقة
الاسلام من عنقك وخرجت من الدين عريانا كما ولدتك امك فقام عمار مغضبا
موليا وهو يقول اعوذ بربي من فتنة سعد وعند ذلك روى سعد هذا الحديث وقال
قد دله وخرف عمار واظهر عمار القوم على ذلك قال وجعلت قبلة المسجد
الى بيت المقدس وجعل له ثلاثة ابواب باب في موخره والباب الذي كان يقال له باب
عاتكة وكان يقال له باب الرحمة والباب الذي يقال له باب جبريل انتهى اي وهو
الباب الذي كان يدخل منه صلى الله عليه وسلم ويقال له باب عثمان لانه كان يلي
دار عثمان وهو الذي يخرج منه الان الى البقيع اقول وجعلت قبلته الى بيت
المقدس قبل ان تحول القبلة ولما حولت جعلت قبلته الى الكعبة وهو محمل قوله صلى
الله عليه وسلم ما وضعت قبلة مسجدي هذا حتى رفعت لي الكعبة فوضعتها اتمها
او ومها اي اقصدها وفي رواية ما وضعت قبلة مسجدي هذا حتى فرج لي ما بيني وبين الكعبة

والله تعالى اعلم اي وفي كلام بعضهم ومن الفوائد المستحسنة ما ذكره مغلطاي ان موضع المسجد كان ابتاعه تبع لرسول الله صلى الله عليه وسلم قبل مبعثه صلى الله عليه وسلم بالف سنة وان لم يزل على ملكه صلى الله عليه وسلم اي متعلقا به من ذلك العهد على ما دل عليه كتاب تبع اقول سياتي ان تبعا بنى للنبي صلى الله عليه وسلم دارا بالمدينة اذا قدمها ينزل بها في تلك الدار وانه يقال انها دار ابي ايوب الانصاري رضي الله عنه وقد يجمع بانه يجوز ان يكون ذلك المربد ودار ابي ايوب مجموعهما تلك الدار وان تلك الدار قسمت فكان دار ابي ايوب بعضها وذلك المربد بعضها الاخر وان الايدي تداولت على تلك الدار الى ان صارت سكنى لابي ايوب رضي الله تعالى عنه وهذا هو المراد بقول المواهب تداولت الدار الملاك الى ان صارت لابي ايوب لكن قد يقال لو كانت الدار مذكورة في الكتاب لذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فان الكتاب كما سياتي وصل اليه صلى الله عليه وسلم في مكة في اول البعثة ونزوله دار ابي ايوب واخذه المربد على الكيفية المذكورة يبعد ذلك اي انه ذكر له صلى الله عليه وسلم امر تلك الدار قال ومكث صلى الله عليه وسلم يصلي في المسجد بعد تمامه الى بيت المقدس خمسة اشهر ولما حولت القبلة سد صلى الله عليه وسلم الباب الذي كان في مؤخر المسجد وفي كلام بعضهم لما حولت القبلة لم يبق من الابواب التي كان يدخل منها صلى الله عليه وسلم الا الباب الذي يقال له باب جبريل عليه السلام اي فانه بقي في محله واما باب الرحمة الذي كان يقال له ايضا باب عاتكة فاخر ايضا عن محله وسبب وضع الحصا في المسجد ان المطر جاء ذات ليلة فاصبحت الارض مبتلة فجعل الرجل ياتي بالحصا في ثوبه فيبسطه تحته ليصلي عليه فلما قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم الصلاة قال ما احسن هذا وفي رواية ما احسن هذا البساط وقد يعارض هذا ما قيل ان رسول الله صلى الله عليه وسلم امر ان يحصب المسجد فمات صلى الله عليه وسلم قبل ذلك فحصبه عمر رضي الله عنه اقول وقد يقال لا معارضة لانه يجوز ان يكون صلى الله عليه وسلم لما اعجبه ذلك من فعل بعض الصحابة امر ان يحصب جميع المسجد لان الواقع تحصيب بعضه لكن يشكل على ذلك قول بعضهم من البدع فرش المساجد الا ان يراد بالحصر ونحوها لانه لم يكن في زمنه صلى الله عليه وسلم ولا امر به ثم رايت بعضهم ذكر ذلك حيث قال اول من فرش الحصر في المساجد عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه وكانت قبل ذلك مفروشة بالحصباء اي في زمنه صلى الله عليه وسلم كما تقدم وفي الاحيا اكثر معروفات هذه الاعصار منكرات في عصر الصحابة رضي الله تعالى عنهم اذ من غرر المعروف في زماننا فرش المساجد بالبسط الرفيعة وقد كان يعد فرش البواري في المسجد كانوا لا يرون ان يكون بينهم وبين الارض حائل هذا كلام الاحيا اي والحصبا لا تعد حائلا اي وسياتي ان المسجد بني بعد فتح خيبر وهي التي عناها خارجة رضي الله تعالى عنه بقوله لما كثر الناس قالوا يا رسول الله لو زيد فيه ففعل ولعلها هي التي ادخل فيها الارض التي اشتراها عثمان رضي الله تعالى عنه من

بعض الانصار بعشرة الاف درهم ثم جاء عثمان رضي الله تعالى عنه الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله اشتر مني البقعة التي اشتراها من الانصاري التي كانت مجاورة للمسجد فاشتراها منه صلى الله عليه وسلم ببيت في الجنة اي وفي رواية ان عثمان رضي الله تعالى عنه لما حصر اي الحصرة الثانية واشرف على الناس من فوق سطح داره وقد اشتد به العطش فقال اهاهنا علي كرم الله وجهه قالوا لا فقال اهاهنا طلحة قالوا لا فقال انشدكم بالله الذي لا اله الا هو اتعلمون ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال هل تعلمونه قال من يبتاع مربد بني فلان اي المربد كان مجاورا للمسجد غفر الله له فابتعته بعشرين الفا او بخمسة وعشرين الفا شك عثمان رضي الله تعالى عنه وتقدم انه اشتراها بعشرة الاف درهم فليتامل فاتيت النبي صلى الله عليه وسلم فقلت قد ابتعته قال اجعله مسجدنا واجره لك قالوا اللهم نعم وقد كان ذلك وفي لفظ انشدكم بالله وبالاسلام هل تعلمون ان المسجد ضاق باهله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من يشتري بقعة ال فلان لبقعة كانت الى جنب المسجد فقال صلى الله عليه وسلم من يشتريها يجعلها في المسجد له مثلها وفي لفظ بخير له منها في الجنة فاشتريتها ووسعتها في المسجد فانتم الان تمنعوني ان اصلي فيها ركعتين اي وزاد عثمان بعد ذلك زيادة كبيرة وبنى جداره بالحجارة المنقوشة وجعل عمده من حجارة منقوشة وسقفه بالساج كما في البخاري وعد عثمان رضي الله تعالى عنه اشيا منها انه قال انشدكم بالله وبالاسلام هل تعلمون ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قدم المدينة وليس بها ما يستعذب غير بئر رومة ولم يكن يشرب منها احد الا بالثمن فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من يشتري بئر رومة ويجعل دلوه فيها مع دلاء المسلمين وفي لفظ تكون دلوه فيها كدلاء المسلمين بخير له منها في الجنة وفي لفظ له بها مشرب في الجنة فاشتريتها من اصل مالي فجعلتها للغني والفقير وابن السبيل قالوا اللهم نعم قال فانتم اليوم تمنعوني ان اشرب منها بل وتمنعوني الماء الا احد يسقينا فاني افطر على الماء المالح وفي رواية هل فيكم من يبلغ عليا كرم الله تعالى وجهه عطشنا فابلغوه فلما بلغ ذلك عليا كرم الله تعالى وجهه ارسل اليه بثلاث قرب مملوءة ماء فما كادت تصل اليه وجرح بسببها عدة من موالي بني هاشم وبني امية اي وكانت هذه البئر ركية ليهودي يقال له رومة يقال انه اسلم وكان يبيع المسلمين ماءها وكانت بالعقيق وتفل فيها صلى الله عليه وسلم فعذب ماؤها ولما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من يشتري بئر رومة فيجعلها للمسلمين يضرب بدلوه في دلائهم وله بها مشرب في الجنة ساومه فيها عثمان رضي الله تعالى عنه فابى ان يبيعها كلها فاشترى نصفها باثني عشر الف درهم وجعل ذلك للمسلمين وجعل له يوما ولليهودي يوما فاذا كان يوم عثمان استقى المسلمون ما يكفيهم يومين فلما

رأى اليهودي ذلك قال لعثمان اسندت على ركيتي فاشترى النصف الاخر بثمانية الاف
وقيل جملة ما اشتراها به خمسة وثلاثون الف درهم وقول عثمان رضي الله تعالى عنه
ومحلتها للغني والفقير وابن السبيل دليل فيه على جواز ان للواقف ان يشترط لنفسه
الانتفاع بما وقفه كما زعمه بعضهم وكان حصار عثمان رضي الله تعالى عنه شهرين
وعشرين يومًا وفي كلام سبط بن الجوزي كان الحصار الاول عشرين يوما والثاني اربعين
يومًا وفي يوم من تلك الايام قال وددت لو ان رجلا صادقا اخبرني عن امري هذا اي
من اتيت فقام شاب من الانصار فقال انا اخبرك يا امير المؤمنين انك تطأطأت لهم
فركبوك وما جرأهم على ظلمك الا افراط حلمك فقال له عثمان رضي الله تعالى عنه صدقت
اجلس واول من دخل عليه الدار محمد بن ابي بكر رضي الله تعالى عنهما تسور عليه هو
وجماعة من الحائط من دار عمرو بن حزم رضي الله تعالى عنه فاخذ بلحيته وهزها وقال
له ما اغنى عنك معاوية وما اغنى عنك ابن ابي سرح فقال له يا ابن اخي ارسل لحيتي
فوالله انك لتجر لحية كانت تعز على ابيك وما كان ابوك يرضى مجلسك هذا مني فتركه
وخرج ويقال انه قال له ما اريد بك اشد من قبض على لحيتك فقال عثمان
استنصر بالله عليك واستعين به ثم طعن جبينه بمشقص في يده ثم ضربه بعض هؤلاء
بالسيف فاتته نائلة زوج عثمان فقطع اصابع يدها الخمس وعن ابن الماجشون عن مالك
رضي الله تعالى عنه ان عثمان رضي الله تعالى عنه بعد قتله القي على المزبلة ثلاثة ايام
وقيل اغلق عليه بابه بعد قتله ثلاثة ايام لا يستطيع احد ان يدفنه فلما كان في الليل
اتاه اثني عشر رجلا منهم حويطب بن عبد العزى وحكيم بن حزام وعبد الله بن الزبير وقيل
صلى عليه اربعة وان ابن الزبير لم يشهد قتل عثمان فاحتملوه فلما صاروا به للمقبرة
منعوهم وقالوا والله لا يدفن في مقابر المسلمين فدفنوه بمحل كان الناس يتوقون ان يدفنوا
موتاهم به وكان رضي الله تعالى عنه في حياته يمر به ويقول سيدفن هنا رجل صالح فيتاسى
به الناس في دفن موتاهم به وكان ذلك المحل بستانا فاشتراه عثمان رضي الله تعالى عنه
وزاده في البقيع فكان هو اول من قبر فيه وحملوه على باب وان راسه ليقرع الباب
لاسراعهم به من شدة الخوف ولما دفن رضي الله تعالى عنه عمي قبره خوفا عليه ان ينبش
واما غلاماه اللذان قتلا معه فجروا برجليهما والقوهما على التلال فاكلتهما الكلاب
وسبب هذه الفتنة انهم انقموا عليه رضي الله تعالى عنه امورا منها عزله لاكابر الصحابة
من ولاة رسول الله صلى الله عليه وسلم ومنهم من اوصى عمر رضي الله تعالى عنه بان
يبقى على ولايته وهو ابو موسى الاشعري عن البصرة فان عمر رضي الله تعالى عنه اوصى
بان يبقى على ولايته فعزله عثمان رضي الله تعالى عنه وولى ابن خاله عبد الله بن عامر
محله وعزل عمرو بن العاص عن مصر وولاها ابن ابي سرح وعزل المغيرة بن شعبة
عن الكوفة وعزل بن مسعود عنها ايضا واشخصه الى المدينة وعزل سعد بن ابي وقاص

رضي

رضي الله تعالى عنه عن الكوفة وولى اخاه لامه الوليد بن عقبة بن ابي معيط الذي
سماه الله تعالى فاسقا بقوله افمن كان مؤمنا كمن كان فاسقا لا يستوون وصار الناس
يقولون بئس ما فعل عثمان عزل الهين اللين الورع المستجاب الدعوة وولى اخاه الخائن
الفاسق المدمن الخمر ولعل مستندهم ما رواه الحاكم المدمن الخمر في صحيحه من ولى رجلا
على عصابة وهو يجد في تلك العصابة من هو ارضى لله منه فقد خان الله ورسوله والمؤمنين
ومنها انه رضي الله تعالى عنه ادخل عمه الحكم بن ابي العاص والد مروان المدينة وكان
يقال له طريد رسول الله صلى الله عليه وسلم ولعينه وقد كان صلى الله عليه وسلم طرده
الى الطايف ومكث به مدة رسول الله صلى الله عليه وسلم ومدة ابي بكر رضي الله تعالى عنه
بعد ان ساله عثمان رضي الله تعالى عنه في ادخاله المدينة فابى فقال له عثمان رضي الله تعالى
عنه عمي فقال عمك الى النار هيهات هيهات ان اغير شيئا فعله رسول الله صلى الله عليه
وسلم والله لا رددته ابدا فلما توفي ابو بكر رضي الله تعالى عنه وولى عمر الخلافة رضي الله
تعالى عنه كلمه عثمان رضي الله تعالى عنه في ذلك فقال له ويحك يا عثمان تتكلم في
لعين رسول الله صلى الله عليه وسلم وطريده وعدو الله وعدو رسوله فلما ولي عثمان
رضي الله تعالى عنه رده الى المدينة فاشتد ذلك على المسلمين المهاجرين والانصار
وانكر ذلك عليه اعيان الصحابة رضي الله تعالى عنهم فكان ذلك من اكبر الاسباب
الحاملة على القيام عليه واعتذر عثمان رضي الله تعالى عنه عن ذلك بان النبي صلى
الله عليه وسلم كان وعده برده وهو في مرض موته قال فشهدت عند ابي بكر رضي الله
تعالى عنه قال انك شاهد واحد ولا تقبل شهادة الواحد ثم قال لي عمر رضي الله تعالى
عنه مثل ذلك فلما صار الامر الي قضيت بعلمي اي واما عزله لابي موسى رضي الله تعالى
عنه فان جند عمله شكوا شحه فعزله خوف الفتنة ومنها انه جاء الى عثمان رضي الله
تعالى عنه اهل مصر يشكون من ولاه عليهم وهو ابن ابي سرح قالوا كيف توليه على
المسلمين وقد اباح رسول الله صلى الله عليه وسلم دمه يوم الفتح وتعزل عمرو بن العاص
عنا ورد هذا بان عزله لعمرو بن العاص انما كان لكثرة شكايتهم فيه وابن ابي سرح
اسلم بعد الفتح وحسن اسلامه ووجده لسياسة الامر اقوى من عمرو وعزله للمغيرة
فانه انهي اليه فيه انه ارتشى فراى المصلحة في عزله فلما عاد ابن ابي سرح الى مصر
قتل رجلا منهم فعادوا الى عثمان رضي الله تعالى عنه وكلموا اكابر الصحابة رضي الله تعالى
عنهم كعلي وطلحة بن عبيد الله فقالوا اعزله عنهم فانهم سالوك رجلا مكانه فقال
لهم عثمان تختارون رجلا اوليه عليهم فاختاروا محمد بن ابي بكر رضي الله تعالى عنهما
فكتب اليه عهده وولاه فخرج وخرج معه جماعة من المهاجرين والانصار وجماعة من
التابعين لينظروا بين اهل مصر وابن ابي سرح فلما كان محمد بن ابي بكر رضي الله تعالى
عنهما ومن معه على مسيرة ثلاث مراحل عن المدينة فاذا هو بغلام اسود على بعير

فقالوا له ماقضيتك فقال انا غلام امير المؤمنين ارسلني الي عامل مصر فقال له احد
منهم هذا عامل مصر يعني محمد بن ابي بكر رضي الله تعالي عنهما فقال ما هذا اريد فلما
اخبر ذلك الرجل محمد بن ابي بكر استدعاه فقال له بحضور من معه من المهاجرين والانصار
انت غلام من فصار تارة يقول غلام امير المومنين وتارة يقول غلام مروان فعرفه رجل
من القوم وقال هذا غلام عثمان فقال له محمد رضي الله تعالي عنه الي من ارسلت قال
الي عامل مصر برسالة قال معك كتاب قال لا ففتشوه فاذا معه كتاب من عثمان الي ابن
ابي سرح في قصبة من رصاص في جوف الاداوة في الما ففتح الكتاب بحضره جميع من معه
فاذا فيه اذا اتاك محمد وفلان وفلان فاحتل في قتلهم وفي رواية انظر فلانا وفلانا
اذا قدموا عليك فاضرب اعناقهم وعاقب فلانا وفلانا بكذا منهم نفر من الصحابة والتابعين
وفي رواية اذبح محمد بن ابي بكر واحش جلده تبنا وكن علي عملك حتي ياتيك كتابي فلما قري
الكتاب فزعوا ورجعوا الي المدينة وقري الكتاب علي جميع من الاصحاب والتابعين
فما منهم احد الا واغتم لذلك فدخل علي كرم الله تعالي وجهه مع جماعة من اهل بدر
ومعه الكتاب والغلام فقالوا له هذا الغلام غلامك قال نعم قال والبعير بعيرك قال
نعم قالوا فانت كتبت هذا الكتاب فقال لا وحلف بالله ما كتبت هذا الكتاب ولا امرت به
ولا علم لي به فقال له علي كرم الله وجهه والخاتم خاتمك قال نعم قال فكيف غلامك
بعيرك وكتابك عليه ختمك وانت لا تعلم به فحلف بالله ما امرت بهذا الكتاب ولا وجهت
هذا الغلام الي مصر فعرفوا انه خط مروان لا عثمان لان عثمان رضي الله تعالي عنه لا
يحلف باطلا وفي رواية الخط خط كاتبي والخاتم خاتمي وفي رواية انطلق الغلام بغير امري
واخذ الجمل بغير علمي قالوا فما نقش خاتمك قال نقش عليه فسالوه ان يدفع لهم مروان
وكان مروان عنده في الدار فابي فخرجوا من عنده غضابا وقالوا لا يبرا عثمان الا ان يدفع
الينا مروان حتي نبحث ونعرف حال الكتاب فان كان عثمان امر به عزلناه وان كان مروان
كتبه علي لسان عثمان نظرنا ما يكون في امر مروان فابي عثمان ان يخرج اليهم مروان خوفا
عليه من القتل فحوصر عثمان بسبب ذلك ومنعوه الما ووقع ما تقدم وذكر ابن الجوزي
رحمه الله انه لما دخل المصريون علي عثمان رضي الله تعالي عنه والمصحف في حجره يقراء فيه
فمدوا اليه ايديهم فمد يده فضربت فسال الدم وقيل وقفت قطرة علي قوله فسيكفيكهم
الله قال الذهبي انه وهو السميع العليم فقال اما انها اول يد خطت المفصل هذا كلامه
اي وهذا من اعلام النبوة فقد اخرج الحاكم عن ابن عباس رضي الله تعالي عنهما ان
رسول الله صلي الله عليه وسلم قال يا عثمان تقتل وانت تقرا سورة البقرة فتقع قطرة
من دمك علي فسيكفيكهم الله قال الذهبي انه حديث موضوع الي قوله فيه وانت تقرا
الي اخره وروي انه لما حوصر قال والله ما زنيت في جاهلية ولا اسلام ولا تمنيت
ان لي بديني بدلا منذ هداني الله ولا قتلت نفسا بم تقتلوني وقال يا قوم لا يجرمنكم

شقاقي ان يصيبكم مثل ما اصاب قوم نوح او قوم هود او قوم صالح وما قوم لوط
منكم ببعيد يا قوم لا تقتلوني انكم ان قتلتموني كنتم هكذا وشبك بين اصابعه وقال
معدودا النعم الله ما وضعت يدي علي فرجي منذ بايعت رسول الله صلي الله عليه وسلم وما مرت
بي جمعة منذ اسلمت الا وانا اعتق فيها رقبة الا ان لا يكون عندي شي فاعتقها بعد
ذلك قال بعضهم وجملة من اعتقه عثمان رضي الله تعالي عنه الفان واربع مائة
رقبة تقريبا وذكر انه راي في الليلة التي قتل صبح يومها المصطفي صلي الله عليه وسلم
وابا بكر في المنام وقالوا له اصبر فانك تفطر عندنا الليلة القابلة فلما اصبح دعا بالمصحف
فنشره بين يديه ولبس السراويل ولم يكن لبسها قبل ذلك في الجاهلية ولا في الاسلام
خوفا ان يطلع احد علي عورته عند قتله وكان من جملة ما انقم علي عثمان رضي الله
تعالي عنه انه اعطي ابن عمه مروان بن الحكم مائة الف وخمسين اوقية واعطي الحارث
عشر ما يباع في السوق سوق المدينة وانه جا اليه ابو موسي رضي الله تعالي عنه بكيلة
ذهب وفضة فقسمها بين نسائه وبناته وانه انفق اكثر ما في بيت المال في عمارة ضياعه
ودوره وانه حمي لنفسه دون ابل الصدقة وانه حبس عطا ابن مسعود رضي الله تعالي
عنه وهجره وحبس عطا ابي بن كعب رضي الله تعالي عنه ونفي ابا ذر رضي الله تعالي عنه
الي الربذة واشخص عبادة بن الصامت رضي الله تعالي عنه من الشام لما شكاه معاوية رضي
الله تعالي عنه وضرب عمار بن ياسر رضي الله تعالي عنه وكعب بن عبدة ضربه عشرين سوطا
ونفاه الي بعض الجبال وقال لعبد الرحمن بن عوف انك منافق وانه اقطع اكثر اراضي بيت
المال وان لا يشتري احد قبل وكيله وان لا تسير سفينة في البحر الا في تجارته وانه احرق
الصحف التي فيها القران وانه اتم الصلاة بمني ولم يقصرها للحاج بالناس وانه ترك قتل
عبيد الله وقد قتل الهرمزان وقد اجاب عن ذلك في الصواعق فراجعه **وما رواه**
الزبير بن بكار عن انس رضي الله تعالي عنه من انه صلي الله عليه وسلم لم يحمل اللبن ولم
يبن به المسجد الا بعد اربع سنين من الهجرة **ورايت** ما يرده في تاريخ المدينة ونصه ما روي
عن انس واه او متاول والمعروف خلافه والله اعلم اي وعن ابي هريرة رضي الله تعالي
عنه ان رسول الله صلي الله عليه وسلم قال لو بني مسجدي هذا الي صنعا كان مسجدي
قال بعضهم ان صح هذا كان من اعلام نبوته صلي الله عليه وسلم اي لانه وسع بعد ذلك
اي وسعه المهدي وذلك في سنة ستين ومائة ثم زاد فيه المامون سنة اثنتين ومائتين
وبه يرد القول بان المضاعفة خاصة بالموجود حين الاشارة اي لكن المحافظ علي
الصلاة فيما كان في عهده صلي الله عليه وسلم اولي **قال** وبني صلي الله عليه وسلم
حجرتين لعائشة وسودة اي بناهما مجاورتين للمسجد وملاصقتين له علي طرز بناء المسجد
من لبن وجعل سقفهما من جذوع النخل والجريد اي وقدم رجل من اهل اليمامة عند
الشروع في بنا المسجد يقال له طلق من بني حنيفة عنه رضي الله تعالي عنه قال قدمت

على النبي صلى الله عليه وسلم وهو يبني مسجده والمسلمون يعملون معه وكنت صاحب
علاج الطين فاخذت المسحاة وخلطت بها الطين فقال لي يعني النبي صلى الله عليه وسلم
رحم الله امرأ احسن صنعته وقال لي الزم انت هذا الشغل فاني اراك تحسنه وفي لفظ
ان هذا الحنفي لصاحب طين وفي لفظ قربوا اليماني من الطين فانه احسنكم له مسكا واشدكم
منكبا وفي لفظ دعوا الحنفي والطين فانه من اصنعكم للطين وارسل صلى الله عليه وسلم
وهو في بيت ابي ايوب رضي الله تعالى عنه زيد بن حارثة وابا رافع رضي الله تعالى عنهما
مكة واعطاهما خمسماية درهم وبعيرين ليأتيا باهله اي والخمسماية اخذها صلى الله عليه
وسلم من مال ابي بكر رضي الله تعالى عنه ليشتريا به جميع ما يحتاجان اليه فاشترى بها
زيد رضي الله تعالى عنه ثلاثة ابعرة وارسل معهما ابو بكر رضي الله تعالى عنه عبد الله بن
الاريقط دليلا اي ببعيرين او ثلاثة فقدما بفاطمة وام كلثوم بنتيه صلى الله عليه وسلم
وسودة زوجته وام ايمن حاضنته زوج زيد بن حارثة وابنها اسامة بن زيد فاسامة
اخو ايمن لامه وكان اسامة رضي الله تعالى عنه حب رسول الله صلى الله عليه وسلم
وابن حبه وابن حاضنته وعن عائشة رضي الله تعالى عنها ان اسامة حب رسول الله صلى
الله عليه وسلم عثر يوما في اسكفة الباب فشج وجهه فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم
اميطي عنه قالت عائشة رضي الله تعالى عنها فكاني تقذرته اي لانه كان اسود افطس
فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يمصه يعني الدم ثم يمجه واما بنته صلى الله عليه وسلم
التي هي اكبر بناته فكانت مع زوجها ابن خالتها ابي العاص بن الربيع فمنعها من الهجرة هـ
وسياتي انها هاجرت بعد ذلك قبله وتركته على شركه وبعد ان اسر في بدر واطلقه
صلى الله عليه وسلم بان يخلي سبيلها ففعل ثم لما اسلم رضي الله تعالى عنه ردها اليه واما
بنته صلى الله عليه وسلم رقية فتقدم انها هاجرت مع زوجها عثمان بن عفان رضي الله
تعالى عنه وخرج مع فاطمة ومن ذكر معها عبد الله بن ابي بكر رضي الله تعالى عنه ومعه
عيال ابي بكر فيهم زوجته ام رومان وعائشة واختها اسما زوج الزبير رضي الله تعالى
عنه اي وهي حامل بابنها عبد الله بن الزبير رضي الله تعالى عنهم وعن عائشة رضي
الله تعالى عنها انها كانت هي وامها على بعير في محفة فنفر البعير قالت فصارت امي تقول
واعروساه فمسك البعير وسلم الله وفي رواية عن عائشة رضي الله تعالى عنها لما صارت
امي تقول واعروساه وابنتاه سمعت قائلا يقول ارسلي خطامه فارسلت خطامه
فوقف باذن الله وسلمنا الله وام رومان رضي الله تعالى عنها ولدت لابي بكر عائشة
وعبد الرحمن وكانت قبل ابي بكر عند عبد الرحمن عبد الله بن الحارث فولدت له الطفيل قال في
حقها صلى الله عليه وسلم في حقها من يسره ان ينظر الى امراة من الحور العين فلينظر الى
ام رومان وتوفيت في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم ماتت سنة ست من الهجرة ونزل
رسول الله صلى الله عليه وسلم في قبرها وقال انه لا يخفى عليك ما لاقت ام رومان فيك

وفي رسوكه

وفي رسوكه صلى الله عليه وسلم وعورض القول بموتها في حياة رسول الله صلى الله عليه
وسلم بما في البخاري عن مسروق قال سالت ام رومان وهي ام عائشة رضي الله تعالى
عنهما ومسروق ولد بعد موت النبي صلى الله عليه وسلم بلا خلاف وما في البخاري
حديث صحيح مقدم على ما ذكره اهل السير من موتها في حياته صلى الله عليه وسلم
وفي البخاري من اسما رضي الله تعالى عنها فنزلت بقبا فولدته بها يعني ولدها عبد الله
بن الزبير رضي الله تعالى عنهما ثم اتيت النبي صلى الله عليه وسلم فوضعته في حجره ثم
دعا بتمرة فمضغها ثم تفل في فيه فكان اول شيء دخل جوفه ريق النبي صلى الله عليه
وسلم ثم حنكه بتمرة اي بتلك التمرة وفي المواهب وحنكه صلى الله عليه وسلم بها ثم دعا
له وبرك عليه وهو اول مولود ولد في الاسلام اي للمهاجرين وفيه ان اسما رضي الله
تعالى عنها انما قدمت المدينة الى قبا بعد تحوله صلى الله عليه وسلم من قبا ويدل له
قول بعضهم قدم ال ابي بكر من مكة وهو صلى الله عليه وسلم يبني مسجده وانزلهم
ابو بكر رضي الله تعالى عنه في السنح الا ان يقال يجوز انه صلى الله عليه وسلم جا الى
قبا بعد ذلك فقد قال بعضهم وهذا السياق يدل على ان عبد الله بن الزبير رضي الله
تعالى عنهما ولد في السنة الاولى لا في الثانية كما قاله الواقدي وتبعه غيره فقال
ولد بعد عشرين شهرا من الهجرة ففرح به المسلمون فرحا شديدا الا ان اليهود كانوا
يقولون قد سحرناهم فلا يولد لهم مولود وهذا ربما يؤيد القول الثاني الا ان يقال
يجوز ان يكون عبد الله رضي الله تعالى عنه مكث في بطن امه سنتين فقد ذكر ان مالكا
رضي الله تعالى عنه مكث في بطن امه سنتين وكذا الضحاك بن مزاحم مكث في بطن امه سنتين
وفي المحاضرات للجلال السيوطي رحمه الله تعالى ان مالكا رضي الله تعالى عنه مكث في
بطن امه ثلاث سنين واخبر سيدنا مالك ان جارة له ولدت ثلاثة اولاد في اثنتي عشرة
سنة تحمل اربع سنين وفي ح يجوز ان سيدتنا اسما رضي الله تعالى عنها جاءت الى قبا فولدت
سيدنا عبد الله وصادف مجيئه صلى الله عليه وسلم الى قبا في ذلك اليوم وقد سماه صلى
الله عليه وسلم الى قبا في ذلك اليوم عبد الله وكناه ابا بكر بكنية جده الصديق رضي الله
تعالى عنه وروي انه جا الى النبي صلى الله عليه وسلم وهو ابن سبع او ثمان سنين
ليبايع رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد امره والده الزبير بذلك فتبسم رسول الله صلى
الله عليه وسلم وبايعه وكون ال ابي بكر رضي الله تعالى عنهم نزلوا عند مجيئهم المدينة
في السنح لا ينافي ان اسما رضي الله تعالى عنها نزلت بقبا وولدت بها لانه يجوز ان يكون
نزول اسما في السنح بعد نزولها في قبا قصدا لراحتها لكونها كانت حاملا حتى وضعت
والسياق المتقدم يدل على ذلك وكما ان عبد الله بن الزبير رضي الله تعالى عنهما اول
مولود ولد في الاسلام للمهاجرين بالمدينة كذلك عبد الله بن جعفر بن ابي طالب رضي
الله تعالى عنهما اول مولود ولد للمهاجرين بالحبشة ويقال له عبد الله الجواد واتفق

ان النجاشي ولد له مولود يوم ولد لعبد الله هذا فارسل الى جعفر يقول له كيف سميت
ابنك فقال سميته عبد الله فسمى النجاشي ابنه عبد الله وارضعته اسما بنت عميس مع
ابنها عبد الله المذكور فكانا يتراسلان بتلك الاخوة من الرضاع واول مولود ولد للانصار
بعد الهجرة سلمة بن مخلد وقيل النعمان بن بشير رضي الله تعالى عنهما وذكر ان ام اسما رضي
الله تعالى عنها قدمت المدينة وهي مشركة على اسما رضي الله تعالى عنها بهدية فجبتها اسما
وردت عليها هديتها فسالت عايشة رضي الله تعالى عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم
عن ذلك فامر رسول الله صلى الله عليه وسلم اسما ان تاوي امها وتقبل هديتها قيل
وفي ذلك في ارسال عبد الرحمن ابن ابي بكر وهو بمكة على دينه قبل ان يسلم الى ابيه
يساله النفقة فابى ابوه ان ينفق عليه فانزل الله تعالى الاذن في الانفاق على الكفار
وقال ابو ايوب الانصاري رضي الله تعالى عنه لما نزل رسول الله صلى الله عليه
وسلم في بيتي نزل في اسفل البيت وانا وام ايوب في العلو فقلت يا رسول الله بابي انت
وامي اني اكره واعظم ان اكون في العلو وتكون تحتي فاظهر انت فكن في العلو وننزل
نحن فنكون في السفل فقال صلى الله عليه وسلم يا ابا ايوب ارفق بنا اي السفل ارفق
بنا وبمن يغشانا اي وفي لفظ انه ارفق بنا وبمن يغشانا ان نكون في سفل البيت وقال
رضي الله تعالى عنه فانكسر حب لنا فيه ما والحب بضم الحا المهملة الجرة الكبيرة فقمت
انا وام ايوب بقطيفة لنا ما لنا لحاف غيرها ننشف بها الما تخوفا على ان يقطر على رسول
الله صلى الله عليه وسلم منه شي فيوذيه ولم ازل اتضرع للنبي صلى الله عليه وسلم
حتى تحول في العلو وفي رواية رضي الله تعالى عنه قال نزل رسول الله صلى الله عليه
وسلم حين قدم المدينة فكنت في العلو فلما خلوت الى ام ايوب قلت لها رسول الله صلى
الله عليه وسلم احق بالعلو منا ينتثر التراب عليه من وطي اقدامنا وينزل عليه الوحي
وفي رواية ينزل عليه القران وياتيه جبريل عليه السلام وتنزل عليه الملايكة فما
بت تلك الليلة انا ولا ام ايوب فلما اصبحت قلت يا رسول الله ما بت الليلة انا ولا
ام ايوب قال لم يا ابا ايوب قلت كنت احق بالعلو تنزل عليك الملايكة وينزل عليك الوحي
والذي بعثك بالحق لا اعلو سقيفة انت تحتها ابدا اي وعن افلح مولى ابي ايوب ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم لما نزل اسفل وابو ايوب في العلو انتبه ابو ايوب
ذات ليلة فقال نمشي فوق رسول الله صلى الله عليه وسلم فباتا في جانب فلما اصبح الحديث وعند نزوله
صلى الله عليه وسلم في بيت ابي ايوب رضي الله تعالى عنه صارت تاتي اليه جفنة سعد
بن عبادة وجفنة اسعد بن زرارة كل ليلة وكانت جفنة سعد بن عبادة بعد ذلك
تدور معه صلى الله عليه وسلم في بيوت ازواجه رضي الله تعالى عنهن فقد جا كانت لرسول
الله صلى الله عليه وسلم من سعد بن عبادة جفنة من ثريد اي عليه لحم او خبز في لبن
او في سمن او بخل وزيت في كل يوم تدور معه صلى الله عليه وسلم اينما دار مع نسايه

وصار صلى الله عليه وسلم وهو في بيت ابي ايوب ياتي اليه الطعام من غيرهما اي
فقد جا وما كان من ليلة الا وعلى باب رسول الله صلى الله عليه وسلم الثلاثة والاربعة
يحملون الطعام يتناوبون حتى تحول رسول الله صلى الله عليه وسلم من منزل ابي ايوب
اي وفي لفظ وجعل بنو النجار يتناوبون في حمل الطعام اليه صلى الله عليه وسلم
مقامه في منزل ابي ايوب رضي الله تعالى عنه وهو سبعة اشهر واول طعام جي
به اليه صلى الله عليه وسلم في دار ابي ايوب قصعة ام زيد بن ثابت رضي الله تعالى عنهما
فعن زيد بن ثابت رضي الله تعالى عنه اول هدية دخلت على رسول الله صلى الله عليه
وسلم في بيت ابي ايوب قصعة ارسلتني بها امي اليه صلى الله عليه وسلم فيها ثريد خبز
بر وسمن ولبن فوضعتها بين يديه صلى الله عليه وسلم وقلت يا رسول الله ارسلت
بهذه القصعة امي فقال بارك الله فيها وفي رواية بارك الله فيك ودعا اصحابه فاكلوا
قال زيد رضي الله تعالى عنه فلم ارم الباب اي اردده حتى جات قصعة سعد بن عبادة
ثريد وعراق لحم اي بفتح العين عظم عليه لحم فان اخذ عنه اللحم قيل له عراق بضم
العين وقد جا كان احب الطعام الى رسول الله صلى الله عليه وسلم الثريد ويقال
له الثفل بالمثلثة والفا ولما بنى صلى الله عليه وسلم المسجد جعل في المسجد محلا مظللا
ياوي اليه المساكين سمي الصفة وكان اهله يسمون اهل الصفة وكان صلى الله عليه
وسلم يفرقهم وقت العشا على اصحابه ويتعشى معه صلى الله عليه وسلم منهم طايفة
وظاهر السياق ان ذلك اي المحل المذكور فعل في زمن بنا المسجد اوى اليه المساكين مع
لكن روى البيهقي عن عثمان بن اليمان قال لما كثر المهاجرون بالمدينة لم يكن لهم دار
ولا ماوى انزلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم المسجد وسماهم اصحاب الصفة وكان
يجالسهم ويانس بهم اي وكان صلى الله عليه وسلم اذا صلى اتاهم فوقف عليهم فقال لو
تعلمون ما لكم عند الله لاحببتم ان تزدادوا فقرا وحاجة اقول ذكر ان المسجد كان
اذا جات العتمة يوقد فيه سعف النخل فلما قدم تميم الداري المدينة صحب معه قناديل
وحبالا وزيتا وعلق تلك القناديل بسواري المسجد واوقدت فقال له رسول الله
صلى الله عليه وسلم نورت مسجدنا نور الله عليك اما والله لو كان لي ابنة
لانكحتكها هذا وفي كلام بعضهم اول من جعل في المسجد المصابيح عمر بن الخطاب رضي
الله تعالى عنه ويوافقه قول بعضهم والمستحب من بدع الاضوال تعليق القناديل
فيها يعني المساجد واول من فعل ذلك عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه فانه لما
جمع الناس على ابي بن كعب رضي الله تعالى عنه في صلاة التراويح علق القناديل فلما
راها علي كرم الله تعالى وجهه تزهر قال نورت مسجدنا نور الله قبرك يا ابن
الخطاب ولعل المراد تعليق ذلك بكثرة فلا يخالف ما تقدم عن تميم الداري رضي الله
تعالى عنه ثم رايت في اسد الغابة عن سراج غلام تميم الداري رضي الله تعالى عنه قال

قدمنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن خمسة غلمان لتميم الداري فامرني ببعض
سيده فاسرجت المسجد بقنديل فيه زيت وكانوا لا يسرجون به الا سعف النخل فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم فقال من اسرج مسجدنا فقال تميم غلامي هذا فقال ما اسمه قال
فتح فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بل اسمه سراج فسماني رسول الله صلى الله عليه
وسلم سراجا وعن بعضهم قال امرني المامون ان اكتب بالاستكثار من المصابيح في المساجد
فلم ادر ما اكتب لانه شيء لم اسبق اليه فاريت في المنام اكتب فان فيها انسا للمتهجدين
ونفيا لبيوت الله تعالى عن وحشة الظلم فانتبهت وكتبت بذلك قال بعضهم لكن زيادة
الوقود كالواقع ليلة النصف من شعبان ويقال لها ليلة الوقود وينبغي ان يكون ذلك
كتزويق المساجد ونقشها وقد كرهه بعضهم والله اعلم قال وذكر ابن اسحاق في كتاب
المبدا وقصص الانبيا عليهم الصلاة والسلام ان تبع بن حسان الحميري وهو تبع الاول الذي
الذي ملك الارض كلها شرقها وغربها وتبع بلغة اليمن الملك المتبوع ويقال له الرايش
لانه راش الناس بما اوسعهم من العطا وقسم فيهم الغنايم وكان اول من غنم ولما عمد
الى البيت يريد تخريبه رمي بداء تمخض منه راسه قيحا وصديدا وانتن حتى لا يستطيع
احد ان يدنو منه قيد رمح كما تقدم وتقدم انه بعد ذلك كسا الكعبة وبعد ذلك اجتاز
بيثرب وكان في ركابه ماية الف وثلاثون الفا من الفرسان وماية الف وثلاثة عشر
الفا من الرجالة فاخبر ان اربعماية رجل من اتباعه من الحكما والعلما تبايعوا ان لا يخرجوا
منها فسالهم عن الحكمة في ذلك فقالوا ان شرف البيت انما هو برجل يخرج يقال له محمد هذه
دار اقامته ولا يخرج منها فبنى فيها لكل واحد منهم دارا واشترى له جارية واعتقها
وزوجها منه واعطاهم عطا جزيلا وكتب كتابا وختمه ودفعه الى عالم منهم وامره ان
يدفع ذلك الكتاب لمحمد صلى الله عليه وسلم ان ادركه وفي ذلك الكتاب انه امن به وعلى دينه
وبنى دارا له صلى الله عليه وسلم ينزلها اذا قدم تلك البلد ويقال انها دار ابي ايوب اي
كما تقدم وانه من ولد ذلك العالم الذي وقع اليه الكتاب اي فهو صلى الله عليه وسلم لم
ينزل الا في داره اي على ما تقدم ولما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم اي دعا الى
الاسلام ارسلوا اليه ذلك الكتاب مع شخص يسمى ابا ليلي فلما راه رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال له انت ابو ليلي الذي معك كتاب تبع الاول فقال له ابو ليلي من انت قال انا
محمد هات الكتاب فلما فتحه قراه اي قرى عليه وذكر بعضهم ان مضمون الكتاب اما
بعد يا محمد فاني امنت بك وبربك ورب كل شيء وبكل ما جا من ربك من شرايع الاسلام
والايمان واني قلت ذلك فان ادركتك فبها ونعمت وان لم ادركك فاشفع لي يوم القيامة
ولا تنسني فاني من اصل الاولين وبايعتك قبل مجيئك وقبل ان يرسلك الله وانا على ملتك
وملة ابراهيم عليه السلام وختم الكتاب وتلي اي قرا عليه لله الامر من قبل ومن بعد
ويوميذ يفرح المومنون بنصر الله فقد قري هذا قبل نزوله وكتب عنوان الكتاب الى محمد

بن

بن عبد الله خاتم النبيين والمرسلين ورسول رب العالمين من تبع الاول حمير امانة الله
في يد من وقع هذا الكتاب في يده الى ان يدفعه الى صاحبه ودفعه الى راس العلما المذكور
ثم وصل الكتاب المذكور الى النبي صلى الله عليه وسلم على يد بعض ولد العالم المذكور حين
هاجر وهو بين مكة والمدينة وسياق الرواية الاولى تدل على ان ذلك كان في اول البعثة
وبعد قراة الكتاب عليه صلى الله عليه وسلم قال مرحبا بتبع الاخ الصالح ثلاث مرات
وكان بين تبع هذا اي بين قوله انه امن به وعلى دينه وبين مولد النبي صلى الله عليه
وسلم الف سنة سوا اي وتقدم انه ابتاع المحل الذي بناه دارا له صلى الله عليه وسلم
قبل مبعثه بالف سنة فليتامل ويقال ان الاوس والخزرج من اولاد اوليك العلما
والحكما انتهى اقول وقد علمت ان نزوله صلى الله عليه وسلم دار ابي ايوب على الوجه
المتقدم واخذه المربد على الكيفية المتقدمة مع وصول الكتاب اليه صلى الله عليه وسلم
اول البعثة او بين مكة والمدينة وهو مهاجر الى المدينة يبعد هذا وفيه ايضا ان الذي
في التنوير لابن دحية ان هذا تبع الاوسط وانه الذي كسا البيت بعد ما اراد غزوه
وبعد ما غزا المدينة واراد خرابها ثم انصرف عنها لما اخبر انها مهاجر نبي اسمه محمد اي
فقد ذكر بعضهم ان تبعا اراد تخريب المدينة واستيصال اليهود فقال له رجل منهم
بلغ من العمر مايتين وخمسين سنة الملك اجل من ان يستخفه غضب وامره اعظم من ان
يضيق عنا حلمه او نحرم صفحه مع ان هذه البلدة مهاجر نبي يبعث بدين ابراهيم عليه السلام
فكتب كتابا وذكر فيه شعرا فكانوا يتوارثون ذلك الكتاب الى ان هاجر النبي صلى الله عليه
وسلم فادوه اليه ويقال ان الكتاب كان عند ابي ايوب الانصاري وكان ذلك قبل مبعثه
بسبعماية عام وفي التنوير ايضا ابن ابي الدنيا رحمه الله ذكر انه حفر قبر بصنعا في
بصنعا في الاسلام فوجد فيه امراتان لم يبليا وعند روسهما لوح من فضة مكتوب فيه
بالذهب هذا قبر فلانة وفلانة ابنتي تبع ماتتا وهما تشهدان ان لا اله الا الله ولا يشركان
به شيا وعلى ذلك مات الصالحون قبلهما وجا لا تسبوا تبعا فانه كان مومنا وفي رواية
لا تسبوا تبعا الحميري فانه اول من كسى الكعبة قال السهيلي وكذا تبع الاول كان مومنا
بالنبي صلى الله عليه وسلم وقال فيه شعرا ينبي فيه ببعثته صلى الله عليه وسلم والله اعلم
وكانت المدينة في الجاهلية معروفة بالوبا اي الحمى وكان اذا اشرف على واديها احدهم
ونهق نهيق الحمار لا يضره الوبا وفي لفظ كان اذا دخلها غريب في الجاهلية يقال له ان
اردت السلامة من الوبا فانهق نهيق الحمار فاذا فعل ذلك سلم وفي حيوة الحيوان
كانوا في الجاهلية اذا خافوا وباء بلد عشروا كتعشير الحمار نهقوا عشرة اصوات في طلق
واحد قبل ان يدخلوها وكانوا يزعمون ان ذلك ينفعهم من الوبا ولما قدم صلى الله عليه
وسلم المدينة وجد اهلها من اخبث الناس كيلا فانزل الله تعالى ويل للمطففين الاية
فاحسنوا الكيل بعد ذلك ولما قدم صلى الله عليه وسلم المدينة هو واصحابه اصابت اصحابه الحمى

وفي لفظ استوخم المهاجرون هوا المدينة ولم يوافق امزجتهم فمرض كثير منهم وضعفوا
حتى كانوا يصلون من قعود فراهم صلى الله عليه وسلم فقال اعلموا ان صلاة القاعد
على النصف من صلاة القايم فتجشموا المشقة وصلوا قياما قالت عايشة رضي الله تعالى
عنها قدمنا المدينة وهي اوبا ارض الله اي ولما حصلت لها الحمى قال لها صلى الله عليه وسلم
مالي اراك هكذا قالت بابي انت وامي هذه الحمى وسبتها فقال لا تسبيها فانها مامورة ولكن
ان شيت علمتك كلمات اذا قلتيهن اذهبها الله تعالى عنك قالت فعلمني قال قولي اللهم
ارحم جلدي الرقيق وعظمي الدقيق من شدة الحريق يا ام ملدم ان كنت امنت بالله العظيم
فلا تصدعي الراس ولا تنتني الفم ولا تاكلي اللحم ولا تشربي الدم وتحولي عني الي من اتخذ
مع الله الها اخر فقالتها فذهبت عنها وعن علي كرم الله تعالى وجهه لما قدمنا المدينة
اصبنا من ثمارها فاصابنا فيها وعك اي حمى اي ومن جملة من اصابته الحمى سيدنا ابو بكر
رضي الله تعالى عنه ومولياه عامر بن فهيرة اي وبلال وكان ابو بكر رضي الله تعالى عنه
اذا اخذته الحمى انشد "كل امري مصبح في اهله" "والموت ادني من شراك نعله"
اي وهذا من شعر حنظلة بن سيار بناء على الصحيح ان الرجز يقال له شعر كما تقدم وليس
من شعر ابي بكر رضي الله تعالى عنه فعن عايشة رضي الله تعالى عنها ان ابا بكر رضي الله
تعالى عنه لم يقل شعرا في الاسلام اي ولا في الجاهلية كما في رواية عنها والله ما قال
ابو بكر بيت شعر في الجاهلية ولا في الاسلام اي لم ينشيه حتى مات اي وهذا ربما ينافي ما
في الينبوع ليس عمل الشعر رذيلة قد كان الصديق وعمر وعلي رضوان الله عليهم يقولون
الشعر وعلي كرم الله وجهه اشعر من ابي بكر وعمر رضي الله تعالى عنهما وما تقدم عن
عايشة معارض بظاهر ما روي عن انس بن مالك رضي الله تعالى عنه قال كان ابو بكر الصديق
رضي الله تعالى عنه اذا راى النبي صلى الله عليه وسلم يقول "
"امين مصطفى بالخير يدعو" "كضوء البدر زايله الظلام"
الا ان يحمل قولها رضي الله تعالى عنها على انها لم تسمع منه ذلك بناء على ان ذلك من انشا
الصديق وكان بلال رضي الله تعالى عنه اذا اقلعت عنه الحمى يرفع عقيرته اي صوته
بقوله متشوقا الي مكة الشريفة
"الا ليت شعري هل ابيتن ليلة" "بواد وحولي اذخر وجليل"
"وهل اردن يوما مياه مجنة" "وهل يبدون لي شامة وطفيل"
اللهم العن شيبة بن ربيعة وعتبة بن ربيعة وامية بن خلف كما اخرجونا الي ارض الوبا
اراد بلال بالوادي وادي مكة والاذخر نبت معروف وجليل بالجيم نبت ضعيف وشامة
وطفيل جبلان بقرب مكة اي وفي رواية وهل يبدون لي عامر وطفيل وعامر ايضا جبل
من جبال مكة وفي شرح البخاري للخطابي رحمه الله كنت احسب شامة وطفيل جبلين
حتى مررت بهما فاذا هما عينان من ماء هذا كلامه وقد يقال يجوز ان يكون العينان

بقرب الجبلين المذكورين فاطلق اسم كل منهما على الاخر ولعل هذا اللعن من بلال كان
قبل النهي عن لعن المعين لانه لا يجوز لعن الشخص المعين على الراجح الا ان
علم موته على الكفر كابي جهل وابي لهب دون الكافر الحي لانه يحتمل ان يختم له بالحسنى
فيموت على الاسلام لان اللعن هو الطرد عن رحمة الله تعالى المستلزم لليأس منها واما
اللعن على الوصف كاكل الربا فجايز وان ذلك محمول على الاهانة والطرد عن مواطن
الكرامة لا على الطرد من رحمة الله الذي هو حقيقة اللعن وكان كل من ابي بكر
وعامر بن فهيرة وبلال رضي الله تعالى عنهم في بيت واحد قالت رضي الله تعالى عنها
فاستاذنت رسول الله صلى الله عليه وسلم في عيادتهم فدخلت عليهم وذلك قبل ان
يضرب علينا الحجاب فاذا بهم ما لا يعلمه الا الله تعالى من شدة الوعك فسلمت عليهم
اي وقالت لابيها يا ابت كيف اصبحت فانشدها الشعر المتقدم قالت فقلت انا لله
ان ابي ليهذي وقالت فقلت لعامر بن فهيرة كيف تجدك فقال "
"اني وجدت الموت قبل ذوقه" "ان الجبان حتفه من فوقه"
"كل امري مجاهد بطوقه" "كالثور يحمي انفه بروقه"
قالت فقلت هذا والله لا يدري ما يقول قالت فقلت لبلال كيف اصبحت فاذا هو لا
يعقل وفي رواية فانشدها البيتين قالت وذكرت حالهم للنبي صلى الله عليه وسلم
وقلت انهم يهذون وما كانوا يعقلون من شدة الحمى اي وهذا السياق يخالف ما في السيرة
الهشامية ان الصديق رضي الله تعالى عنه لما قدم المدينة اخذته الحمى هو وعامر بن
فهيرة وبلال الا ان يقال لا مخالفة لانه يجوز انها اخذتهم اولا واقلعت عنهم ثم عادت
عليهم بعد دخوله صلى الله عليه وسلم او ان عايشة استاذنته صلى الله عليه وسلم في ذلك
وذكرت له حالهم قبل دخوله بها لانها كانت معقودا عليها ولعل الصديق رضي الله
تعالى عنه كان في غير بيت ام عايشة رضي الله تعالى عنهم والذي في تاريخ الازرقي
عن عايشة رضي الله تعالى عنها قالت لما قدم المهاجرون المدينة شكوا ذلك بها فعاد
النبي صلى الله عليه وسلم ابا بكر رضي الله تعالى عنه فقال له كيف تجدك فانشده ما تقدم
ثم دخل صلى الله عليه وسلم على عامر بن فهيرة فقال كيف تجدك يا عامر فانشده ما تقدم
ولا مانع من التعدد وحين ذكرت عايشة رضي الله تعالى عنها ذلك لرسول الله صلى
الله عليه وسلم نظر الي السما اي لانها قبلة الدعا وقال اللهم حبب الينا المدينة
كما حببت الينا مكة او اشد وفي رواية واشد وبارك لنا في مدها وصاعها وصححها لنا
وانقل وباها الي مهيعة اي الجحفة كما في رواية وهي قرية قريبة من رابغ محل احرام من
يجي من مصر وكان سكانها اذ ذاك يهود ودعاؤه صلى الله عليه وسلم ان يحبب اليهم المدينة
انما هو لما جبلت عليه النفوس من حب الوطن والحنين اليه ومن ثم جا في حديث ان
عايشة رضي الله تعالى عنها سالت رجلا بحضور النبي صلى الله عليه وسلم لما قدم المدينة

من مكة فقالت له كيف تركت مكة فذكر لها من اوصافها الحسنة ما غرغرت منه عينا
رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال لا تشوقنا يا فلان وفي رواية دع القلوب تقر
اقول ودعاؤه صلى الله عليه وسلم بنقل الحمى كان في اواخر الامر واما عند قدومه
صلى الله عليه وسلم المدينة فخير بين الطاعون والحمى اي بقاها فامسك الحمى وارسل الطاعون
الى الشام وقولنا كما جاء في بعض الاحاديث اتاني جبريل بالحمى والطاعون فامسكت الحمى
بالمدينة وارسلت الطاعون الى الشام وقولنا اي بقاها رد لما قد يتوهم من الحديث
ان الحمى لم تكن بالمدينة قبل قدومه صلى الله عليه وسلم اليها وانما اختار الحمى على الطاعون
لانه صلى الله عليه وسلم كان نح في قلة من اصحابه فاختار بقا الحمى لقلة الموت بها غالبا
بخلاف الطاعون ثم لما احتاج صلى الله عليه وسلم للجهاد واذن له في القتال ووجد
الحمى تضعف اجساد الذين يقاتلون دعى بنقل الحمى من المدينة الى الجحفة ففارقت المدينة
اصح بلاد الله تعالى بعد ان كانت بخلاف ذلك كذا قيل فليتامل فانه يقتضي ان الحمى لما انتقلت
الى الجحفة لم يبق منها بقية بالمدينة وهو الموافق لما ياتي عن الخصايص وحيث نقلت الحمى الى
الجحفة صارت الجحفة لا يدخلها احد الا حم بل قيل اذا مر بها الطاير حم واستشكل
جعلها ميقاتا للاحرام وقد علم من قواعد الشرع انه صلى الله عليه وسلم لا يامر بما
فيه ضرر واجيب بان الحمى انتقلت اليها مدة مقام اليهود بها ثم زالت بزوالهم من
الحجاز او قبله حين التوقيت بها كذا قيل فليتامل وعنه صلى الله عليه وسلم انه قال
رايت اي في النوم امراة سودا ثايرة الراس خرجت من المدينة حتى نزلت مهيعة فاولتها
ان وبا المدينة انتقل الى مهيعة وفي الخصايص الصغرى للسيوطي وصرف عنها الحمى يعني
المدينة اول ما قدمها ونقلها الى الجحفة ثم لما اتاه جبريل عليه السلام بالحمى والطاعون
امسك الحمى بالمدينة وارسل الطاعون الى الشام ولما عادت الحمى الى المدينة باختياره صلى
الله عليه وسلم اياها لم تستطع ان تاتي احدا من اهلها حتى جاءت ووقفت ببابه واستاذنته
فيما يبعثها اليه فارسلها الى الانصار فقد جاء ان الحمى جاءت الى رسول الله صلى الله عليه
وسلم وقالت انا ام ملدم وفي رواية انا الحمى ابري اللحم واشرب الدم فقال لا مرحبا بك
ولا اهلا وفيه انه تقدم انه صلى الله عليه وسلم نهى عايشة رضي الله تعالى عنها عن سبها
فقالت له امض الى احب قومك واحب اصحابك اليك فقال اذهبي للانصار فذهبت اليهم
فصرعتهم فقالوا ادع لنا بالشفا فقال صلى الله عليه وسلم ان شيتم دعوت الله عز وجل
يكشفها عنكم وان شيتم تركتموها فاسقطت ذنوبكم وفي رواية كانت لكم طهورا فقالوا بلى
دعها يا رسول الله ولعل هذا كان لطايفة من الانصار فلا ينافي ما جاء ان الانصار
لما شكوا اليه صلى الله عليه وسلم الحمى وقد مكثت عليهم ستة ايام بلياليها دعا لهم صلى الله
عليه وسلم بالشفا وصار صلى الله عليه وسلم يدخل عليهم دارا دارا وبيتا بيتا يدعو لهم
بالعافية ومنها الذي في الخصايص يدل على ان الحمى لما ذهبت الى الجحفة لم يبق منها بقية

بالمدينة وانها بعد ذلك عادت الى المدينة باختيار منه صلى الله عليه وسلم والذي نقله
هو عن الحافظ بن حجر رحمه الله ان الحمى كانت تصيب من اقام بالمدينة من اهلها وغيرهم
فارتفعت بالدعا عن اهلها الا النادر ومن لا يالف هواها وقد جاء ان حمى ليلة كفارة
سنة ومن حم يوما كان له براة من النار وخرج من ذنوبه كيوم ولدته امه والذي
رواه الامام احمد بن حنبل وابن حبان في صحيحه عن جابر رضي الله تعالى عنه استاذنت
الحمى على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال من هذه قالت ام ملدم فامر بها صلى الله
عليه وسلم الى اهل قبا فلقوا منها ما لا يعلمه الا الله فشكوا اليه صلى الله عليه وسلم
فقال ان شيتم دعوت الله ليكشفها وان شيتم تكون لكم طهورا قالوا ويفعل ذلك قال
نعم قالوا فدعها والله اعلم ثم دعا صلى الله عليه وسلم بقوله اللهم اجعل ما في المدينة
ضعفي ما جعلت بمكة من البركة وفي رواية فاجعل مع البركة بركتين وجاء انهم شكوا
اليه صلى الله عليه وسلم سرعة فنا طعامهم فقال لهم قوتوا طعامكم يبارك لكم فيه قيل
معناه تصغير الارغفة ودعا صلى الله عليه وسلم لغنم كانت ترعى بالمدينة فقال اللهم
اجعل نصف اكراشها مثل ملئها في غيرها من البلاد اي ولعل الدعا بذلك ليس خاصا بتلك
الاغنام الموجودة في زمنه صلى الله عليه وسلم ويدل لذلك ما ذكره السيوطي في الخصايص
الصغرى مما اختصت به المدينة الشريفة ان غبارها يطفي الجذام ونصف اكراش الغنم فيها
مثل ملئها في غيرها من البلاد والكرش كالمعدة للانسان وكما صينت المدينة من الطاعون
الطاعون بارساله الى الشام صينت عن الدجال روى الشيخان عن ابي هريرة رضي الله تعالى
عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم على انقاب المدينة اي على ابوابها ملايكة
لا يدخلها الطاعون ولا الدجال وفي رواية لها اي المدينة سبعة ابواب على كل باب ملك
فان قيل كيف مدحت المدينة بعدم دخول الطاعون وكيف رسول الله صلى الله عليه ارسله
وسلم الى الشام مع انه شهادة واجيب بانه صلى الله عليه وسلم بانه انما ارسله الى الشام
لما تقدم وصينت عنه بعد انتفا ما تقدم لان سببه طعن كفار الجن وشياطينهم فمنع
من المدينة احتراما لها ولم يتفق دخول الطاعون بها في زمن من الازمنة بخلاف مكة
فانه وجد بها في بعض السنين وهي سنة تسع واربعين وسبعمائة ويقال انه وقع ايضا في
سنة تسع وثلاثين بعد الالف لما هدم السيل الكعبة اي الجانب الذي جهة الحجر قال
بعضهم فمن حين الهدم وجد الطاعون بمكة واستمر الى ان اقاموا الاخشاب موضع
المنهدم وجعلوا عليها الستر فعند ذلك ارتفع الطاعون كما اخبر به بعض الثقات من
اهل مكة وكونه لم يتفق دخول الطاعون المدينة في زمن من الازمنة يخالفه قول
بعضهم وفي السنة السادسة من الهجرة وقع طاعون في المدينة افنى الخلق وهو اول طاعون
وقع في الاسلام فقال صلى الله عليه وسلم اذا وقع بارض فلا تخرجوا منها وان سمعتم
به في ارض فلا تقربوها ويروى انه صلى الله عليه وسلم لما قدم المدينة رفع يديه وهو

على المنبر وقال اللهم انقل عنها الوبا ثلاثا اي وفيه ان هذا قد يخالف ما سبق من
ان هذا كان في اخر الامر لا عند قدومه صلى الله عليه وسلم المدينة الا ان يحمل على
ان قدومه صلى الله عليه وسلم كان من سفر لا للهجرة وفي الحديث سياتي على الناس
زمان يلتمسون فيه الرخا فيحملون باهليهم الى الرخا والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون
لا يلبث فيها احد فيصبر للأواها وشدتها حتى يموت الا كنت له يوم القيامة شهيدا او
شفيعا وفي مسلم لا يصبر على لأواء المدينة وشدتها احد من امتي الا كنت له شفيعا
يوم القيامة او شهيدا اي شفيعا للعاصي وشهيدا للطايع واللأوا بالمد الجوع وعن
ابن عمر رضي الله تعالى عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من استطاع منكم
ان يموت بالمدينة فليمت فاني اشفع لمن يموت بها لا يريد احد اهل المدينة بسوء الا اذابه
الله ذوب الملح في الما وفي لفظ اذابه الله في النار ذوب الرصاص وذوب الملح في الما لا
تقوم الساعة حتى تنفي المدينة شرارها كما ينفي الكير خبث الحديد وفي رواية مسلم تنفي
الخبث كما تنفي النار خبث الفضة اي وتقدم ان هذا ليس عاما في الازمنة ولا في الاشخاص
وفي رواية مكة والمدينة ينفيان الذنوب كما ينفي الكير خبث الحديد من اخاف اهل المدينة
ظلما اخافه الله عز وجل وعليه لعنة الله والملايكة والناس اجمعين لا يقبل الله منه يوم القيامة
صرفا ولا عدلا اي وبهذا الحديث تمسك من جوز اللعن على يزيد لما تقدم عنه من اباحة المدينة
في ايام وقعة الحرة ورد بانه لا دلالة فيه على جواز لعن يزيد باسمه والكلام انما هو فيه وانما
يدل على جواز لعنه بالوصف وهو من اخاف اهل المدينة وليس الكلام فيه والفرق بين
المقامين واضح كما علمت وجا اهل المدينة جيراني وحقيق على امتي حفظ جيراني ما اجتنبوا
الكباير من حفظهم كنت له شهيدا وشفيعا يوم القيامة ولم يحفظهم سقي من طينة الخبال اي
وهي عصارة اهل النار وفي لفظ من اخاف هذا الحي من الانصار فقد اخاف ما بين هذين
وضع يديه على جنبيه وقيل لها طيبة لطيب العيش بها ولان للعطر اي الطيب بها رايحة
لا توجد فيه في غيرها ومن خصايصها ان ترابها شفا من الجذام كما تقدم وزاد بعضهم و
البرص بل من كل داء وعجوتها شفا من السم اي وفي الحديث تخرب المدينة قبل يوم القيامة
باربعين سنة اي وان خرابها يكون من الجوع وان خراب اليمن يكون من الجراد اي وقد دعى
صلى الله عليه وسلم على الجراد فقال اللهم اهلك الجراد واقتل كباره واهلك صغاره
واقطع دابرها وخذ بافواهها عن مواشينا وارزاقنا انك سميع الدعا وفي مسلم عن
ابي هريرة رضي الله تعالى عنه كان صلى الله عليه وسلم يوتى باول التمر فيقول اللهم
بارك لنا في مدينتنا وفي ثمارها وفي مدنا وفي صاعنا بركة مع بركة ثم يعطيه اصغر من
يحضره من الصبيان الولدان اللهم ان ابراهيم عبدك وخليلك ونبيك دعاك لمكة واني عبدك
ونبيك ادعوك للمدينة بمثل ما دعاك لمكة ومثله معه ثم بني صلى الله عليه وسلم بقية
الحجر التسعة عند الحاجة اليها اي وهذا هو الموافق لما سبق ان بعضها بني مع المسجد

وهي حجرة سودة وحجرة عايشة رضي الله تعالى عنهما كما تقدم وفي كلام ابن عثمان ان بيوته صلى
الله عليه وسلم كانت مختلفة واكثرها كان بعيدا عن المسجد وكلام الاصل يقتضي انها
بنيت كلها في السنة الاولى من الهجرة حيث قال وفيها اي السنة الاولى بنى صلى الله عليه وسلم
مسجده ومساكنه اي وخط صلى الله عليه وسلم للمهاجرين في كل ارض ليست لاحد وفيما وهبته
له الانصار من خططها واقام قوم منهم ممن لم يمكنه البنا بقبا عند من نزلوا عليه بها
قال عبد الله الهذلي رايت بيوت ازواج النبي صلى الله عليه وسلم حين هدمها
عمر بن عبد العزيز رضي الله تعالى عنه بامر الوليد بن عبد الملك اي بعد موت ازواجه صلى
الله عليه وسلم قال بعضهم حضرت كتاب الوليد بن عبد الملك يقرا بادخالها في المسجد
فما رايت اكثر باكيا من ذلك اليوم اي وكانت تسعة اربعة مبنية باللبن اي وسقفها من
جريد النخل مطينة بالطين ولها حجر من الجريد اي غير بيت ام سلمة فانها جعلت حجرتها بنا
وكان صلى الله عليه وسلم في غزاة دومة الجندل فلما قدم عليها اول نسائه فقال لها دخلها
ما هذا البنيان قالت اردت ان اكف ابصار الناس فقال ان شر ما ذهب فيه مال المرء
المسلم البنيان وعن علي كرم الله تعالى وجهه انه يقال ان شي المستهات فاذا اكتسب
الرجل المال من حرام سلط الله عليه الما والطين ثم لا يمتعه به اي وكانت تلك الحجر التي من
الجريد مغشاة من خارج بمسوح الشعر وخمسة ابيات من جريد مطينة لا حجر لها على ابوابها
ستور من مسوح الشعر اي وهي التي يقال لها البلاس ذرع الستر فوجد ثلاثة اذرع في ذراع
هذا وفي كلام السهيلي كانت مساكنه صلى الله عليه وسلم مبنية من جريد عليه طين وبعضها
من حجارة مرضوضة وسقفها كلها من جريد وكانت حجرته عليه الصلاة والسلام اكسية
من شعر مربوطة بخشب من عرعر هذا قال بعضهم وليتها تركت ولم تهدم حتى يقصر كلام ص
الناس عن البناء ويرون ما رضي الله لنبيه صلى الله عليه وسلم ومفاتيح خزاين الارض
بيده صلى الله عليه وسلم اي فان ذلك مما يزهد الناس في التكاثر والتفاخر في البنيان
وجاء انه صلى الله عليه وسلم خرج الى بعض طرق المدينة فراى قبة مشرفة قال ما هذه
قالوا هذه لرجل من الانصار فجا ذلك الرجل فسلم على النبي صلى الله عليه وسلم فاعرض عنه
فعل ذلك مرارا فعلم بالقصة فهدمها الرجل وعن الحسن البصري رحمه الله تعالى قال كنت
وانا مراهق ادخل بيوت النبي صلى الله عليه وسلم في خلافة عثمان رضي الله تعالى عنه
فاتناول سقفه بيدي اي لان الحسن البصري ولد لسنتين بقيتا من خلافة عمر بن الخطاب
رضي الله تعالى عنه يقينا وكان ابنا لمولاة لام سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم اسمها
خيرة وكانت تخرجه الصحابة يباركون عليه واخرجته الى عمر رضي الله تعالى عنه فدعى له
بقوله اللهم فقهه في الدين وحببه الى الناس وكان والده من جملة السبي الذي سباه خالد
رضي الله تعالى عنه من السبي لفرس في خلافة الصديق رضي الله تعالى عنه وروي عن علي ابن ابي طالب
كرم الله تعالى عنه لان عمر كان قبل ان يخرج علي كرم الله تعالى وجهه من المدينة الى

الكوفة وذلك بعد قتل عثمان الربعة عشر سنة فقيل له يا ابا سعيد انك تقول قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم وانك لم تدركه فقال لذلك السايل كل شي سمعتني اقول فيه قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو عن علي ابن ابي طالب كرم الله تعالى وجهه غير اني في
زمان لا استطيع ان اذكر عليا كرم الله تعالى وجهه اي خوفا من الحجاج وقد اخرج له عن
علي كرم الله تعالى وجهه جماعة من الحفاظ كالترمذي والنسائي والحاكم والدارقطني
وابي نعيم وابين حسن وصحيح وبه يرد على ما انكر انه لم يسمع من علي بعد خروج علي
من المدينة قال بعضهم وتلك الفصاحة التي كانت عند الحسن من قطرات لبن شربها
من ثدي ام المومنين ام سلمة رضي الله تعالى عنها فان امه ربما غابت فيبكي فتعطيه ام سلمة
رضي الله تعالى عنها ثديها تعلله به الى ان تجي امه فربما در عليه ثديها فيشربه قال
بعضهم كان الحسن البصري رحمه الله اجل اهل البصرة وفي كلام ابن كثير كان الحسن البصري
شكلا صبيحا طوالا هذا كلامه وكان اذا اقبل كانه اقبل من دفن حبيبه واذا جلس
فكانه اسير امر بضرب عنقه واذا ذكرت النار فكانها لم تخلق الا له وعن الواقدي كان
لحارثة بن النعمان منازل قرب المسجد وحوله فكلما اخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم اهلا
تحول له حارثة عن منزل حتى صارت منازله كلها لرسول الله صلى الله عليه وسلم اي وهذا
يخالف ما تقدم عن الاصل من ان مساكنه صلى الله عليه وسلم بنيت في السنة الاولى ومات
سيدنا عثمان بن مظعون رضي الله تعالى عنه وهو اخوه صلى الله عليه وسلم من الرضاعة وامر
صلى الله عليه وسلم ان يرش قبره بالما ووضع حجرا عند راس القبر اي بعد ان امر صلى الله
عليه وسلم رجلا ان ياتيه بحجر فاخذ الرجل حجرا ضعف عن حمله فقام اليه رسول الله
صلى الله عليه وسلم فحسر عن ذراعيه ثم حمله ووضعه في المحل المذكور وقال اتعلم به قبر
اخي وادفن اليه من مات من اهلي اي ومن ثم دفن صلى الله عليه وسلم ولده ابراهيم عند رجليه
وعن عايشة رضي الله تعالى عنها انه صلى الله عليه وسلم قبل عثمان بن مظعون وهو ميت
قالت ورايت دموع رسول الله صلى الله عليه وسلم على خدي عثمان اي وفي الاستيعاب انه
مات بعد شهوده بدرا فلما غسل وكفن قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم بين عينيه ولا
معارضة بينه وبين خبر عايشة رضي الله تعالى عنها السابق كما لا يخفى وجعل النساء يبكين
فجعل عمر رضي الله تعالى عنه يسكتهن فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم مهلا يا عمر ثم قال
اياكن ونعيق الشيطان ومهما كان من العين فمن الله ومن الرحمة وما كان من اليد واللسان
فمن الشيطان وقالت امراته وهي خولة بنت حكيم رضي الله تعالى عنها وقيل ام العلاء هي
الانصارية وكان نزل عليها وقيل ام خارجة بن زيد طبت هنيئا لك الجنة ابا السايب فنظر
اليها رسول الله صلى الله عليه وسلم نظرة غضب وقال وما يدريك فقالت يا رسول الله
فارسك وصاحبك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وما ادري ما يفعل بي فاشفق
الناس على عثمان وعن عايشة رضي الله تعالى عنها ان خولة بنت حكيم دخلت عليها وهي

لقد ما رسك

متشوشة

متشوشة الخاطر فقالت لها عايشة ما بالك قالت زوجي عثمان بن مظعون يقوم الليل
ويصوم النهار فدخل النبي صلى الله عليه وسلم على عايشة فذكرت له ذلك فلقي عثمان
فقال له يا عثمان ان الرهبانية لم تكتب علينا اما لك في اسوة ان اخشاكم لله وحدوده
لانا اي وسماه صلى الله عليه وسلم السلف الصالح فقال عند دفن ولده ابراهيم الحق
بسلفنا الصالح وقال صلى الله عليه وسلم عند دفن زينب بنته الحقي بسلفنا الخير عثمان
بن مظعون ومات اسعد بن زرارة رضي الله تعالى عنه ووجد اي حزن رسول الله صلى
الله عليه وسلم وجدا شديدا عليه وكان رضي الله تعالى عنه نقيبا لبني النجار فلم يجعل رسول
الله صلى الله عليه وسلم نقيبا بعده اي بعد ان قالوا له صلى الله عليه وسلم اجعل لنا رجلا
مكانه يقيم من امرنا ما كان يقيم وقال لهم صلى الله عليه وسلم انتم اخوالي وانا نقيبكم وكره
ان يخص بذلك بعضهم دون بعض فكانت من مفاخرهم اي ووهم ابن منده وابو نعيم
في قولهما ان ابا امامة كان نقيبا لبني ساعدة لانه صلى الله عليه وسلم كان يجعل نقيب
كل قبيلة منهم ومن ثم كان نقيب بني ساعدة سعد بن عبادة رضي الله تعالى عنه اي
وقد قيل ان قبل قدومه صلى الله عليه وسلم المدينة مات البرا بن معرور فلما قدم رسول
الله صلى الله عليه وسلم المدينة ذهب هو واصحابه فصلى على قبره وقال اللهم اغفر له
وارحمه وارض عنه وهي اول صلاة صليت على الميت في الاسلام بناء على ان المراد
بالصلاة حقيقتها والا جاز ان يراد بالصلاة الدعا ويوافق ذلك قول الامتاع لم اجد
في شي من كتب السير متى فرضت صلاة الجنازة ولم ينقل انه صلى الله عليه وسلم صلى
على عثمان بن مظعون رضي الله تعالى عنه وقد مات في السنة الثانية وكذلك اسعد بن
زرارة رضي الله تعالى عنه مات في السنة الاولى ولم ينقل انه صلى الله عليه وسلم صلى
عليه الصلاة الحقيقية وقد تقدم ذلك وتقدم ما فيه وكتب رسول الله صلى الله عليه
وسلم كتابا بين المهاجرين والانصار وادع يهود اي بني قينقاع وبني قريظة وبني
النضير اي صالحهم على ترك الحرب والاذى اي ان لا يحاربهم ولا يوذيهم وان لا
يعينوا عليه احدا وانه ان دهمه بها عدو ينصروه وعاهدهم واقرهم على دينهم واموالهم
وقد ذكر في الاصل صورة الكتاب واخا صلى الله عليه وسلم بين المهاجرين والانصار
في دار انس بن مالك وهي دار ابي طلحة زوج ام انس رضي الله تعالى عنهم واسم ابي طلحة
زيد بن سهل وقد ركب البحر غازيا فمات فلم يجدوا جزيرة يدفنوه فيها الا بعد سبعة
ايام فدفنوه بها ولم يتغير وعن انس رضي الله تعالى عنه ان ابا طلحة لم يكن يكثر الصوم
في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم بسبب الغزو فلما مات صلى الله عليه وسلم سرد الصوم
وكانت المواخاة بعد بناء المسجد وقيل والمسجد يبنى على المواساة والحق وان يتوارثوا
بعد الموت دون ذوي الارحام وفي لفظ دون القرابة فقال تاخوا في الله اخوين
اخوين اقول ذكر ابن الجوزي رحمه الله تعالى عن زيد بن ابي اوفى قال دخلت على

رسول الله صلى الله عليه وسلم في مسجد المدينة فجعل يقول اين فلان اين فلان فلم
يزل صلى الله عليه وسلم يتفقدهم ويبعث اليهم حتى اجتمعوا عنده فقال اني محدثكم
بحديث فاحفظوه وعوه وحدثوا به من بعدكم ان الله اصطفى من خلقه خلقا ثم تلى
هذه الاية الله يصطفي من الملائكة رسلا ومن الناس واني اصطفي منكم ما احب ان
اصطفيه واواخي بينكم كما اخى الله تعالى بين ملائكته قم يا ابا بكر فقام رضي الله تعالى
عنه فجثى بين يديه صلى الله عليه وسلم فقال له ان لك عندي يدا الله يجزيك بها ولو
كنت متخذا خليلا لاتخذتك خليلا فانت مني بمنزلة قميصي من جسدي وحرك قميصه بيده
ثم قال صلى الله عليه وسلم ادن يا عمر فدنى رضي الله تعالى عنه فقال صلى الله عليه وسلم
قد كنت شديد الباس علينا يا ابا حفص فدعوت الله تعالى ان يعز بك الاسلام او بابي جهل ففعل الله ذلك بك وكنت احبهما الى الله تعالى فانت معي في الجنة ثالث
ثلاثة من هذه الامة واخى صلى الله عليه وسلم بينه وبين ابي بكر رضي الله تعالى عنهما
هذا كلام ابن الجوزي وهو يقتضي انه صلى الله عليه وسلم بعد الهجرة اخا بين
المهاجرين ايضا اي كما اخا بينهم قبل الهجرة وهذا لا يتم الا لو اخا صلى الله عليه وسلم بين غير
ابي بكر وعمر من المهاجرين ويكون ابن ابي اوفى اقتصر والمعروف المشهور ان المواخاة
انما وقعت مرتين مرة بين المهاجرين قبل الهجرة ومرة بين المهاجرين والانصار بعد الهجرة
والله اعلم ويدل لذلك قول بعضهم كانوا اذ ذاك خمسين من المهاجرين وخمسين من الانصار
اي وقيل كانوا تسعين فاخذ بيد علي بن ابي طالب وقال هذا اخي وكان رسول الله
صلى الله عليه وسلم وعلي اخوين واخا صلى الله عليه وسلم بين ابي بكر وخارجة بن زيد
وكان صهرا لابي بكر رضي الله تعالى عنهما كانت ابنته تحت ابي بكر وبين عمر
وعتبان بن مالك رضي الله تعالى عنهما وبين ابي رويم الخثعمي وبين بلال رضي الله تعالى
عنهما وبين اسيد بن حضير وبين زيد بن حارثة رضي الله تعالى عنهما وكان اسيد ممن
كناه النبي صلى الله عليه وسلم كناه ابا عيسى وكان من احسن الناس صوتا بالقران وكان
احد العقلاء اهل الراي وكان الصديق رضي الله تعالى عنه يكرمه ولا يقدم عليه احدا
واخا صلى الله عليه وسلم بين ابي عبيدة وبين سعد بن معاذ رضي الله تعالى عنهما واخا
صلى الله عليه وسلم بين عبد الرحمن وبين سعد بن الربيع رضي الله تعالى عنهما وعند ذلك
قال سعد بن الربيع لعبد الرحمن رضي الله تعالى عنهما يا عبد الرحمن اني من اكثر الانصار
مالا فانا مقاسمك وعندي امراتان فانا مطلق احداهما فاذا انقضت عدتها فتزوجها
فقال له بارك الله لك في اهلك ومالك وفي الاصل عن ابن اسحاق رحمه الله اخا رسول
الله صلى الله عليه وسلم بين اصحابه من المهاجرين والانصار فقال تاخوا في الله اخوين
اخوين وفي كلام بعضهم انه صلى الله عليه وسلم اخا بين حمزة وبين زيد بن حارثة واليه
اوصى حمزة يوم احد فليتامل فانهما مهاجران ثم اخا صلى الله عليه وسلم بين جعفر

ابن ابي طالب وهو غايب بالحبشة وبين معاذ بن جبل رضي الله تعالى عنهما اي ارصده اي
لاخوة جعفر اذا قدم من الحبشة وبه يرد ما قيل جعفر بن ابي طالب انما قدم في فتح خيبر
سنة سبع فكيف يواخي بينه وبين معاذ بن جبل اول مقدمه عليه الصلاة والسلام
واخا صلى الله عليه وسلم بين ابا ذر الغفاري والمنذر بن عمرو وبين حذيفة بن اليمان
وعمار بن ياسر وبين مصعب بن عمير وابي ايوب الانصاري وفي الاستيعاب انه صلى الله
عليه وسلم اخا بين سلمان وابي الدردا وجا سلمان رضي الله تعالى عنه لابي الدردا
زايرا فراي ام الدردا متبذلة قال ما شانك قالت رضي الله تعالى عنها ان اخاك ليس
له حاجة في شي من الدنيا فقال له سلمان رضي الله تعالى عنه ان لربك عليك حقا ولاهلك
عليك حقا ولجسدك عليك حقا واعط كل ذي حق حقه فاتى ابو الدردا رضي الله تعالى عنه
النبي صلى الله عليه وسلم عما قال سلمان رضي الله تعالى عنه فقال له مثل قال سلمان ولعل
هذه المواخاة بين سلمان وابي الدردا كانت قبل عتق سلمان لانه تاخر عتقه عن
احد لان اول مشاهده الخندق كما تقدم وروى الامام احمد بن حنبل عن انس رضي الله
تعالى عنه انه صلى الله عليه وسلم اخا بين ابي عبيدة وبين ابي طلحة رواه مسلم ايضا
وقد تقدم انه صلى الله عليه وسلم اخا بينه وبين سعد بن معاذ رضي الله تعالى عنه
وقال المهاجرون يا رسول الله ما راينا مثل قوم قدمنا عليهم احسن مواساة في
قليل ولا احسن بذلا في كثير كفونا المؤنة واشركونا في المهنة اي الخدمة حتى لقد خشينا
ان يذهبوا بالاجر كله قال لا ما اثنيتم عليهم ودعوتم لهم اي فان ثنايكم عليهم
ودعايكم لهم حصل منكم لهم نوع مكافاة قال بعضهم والمواخاة من خصايصه صلى
الله عليه وسلم ولم يكن ذلك لنبي قبله ثم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من لي بعياش
بن ابي ربيعة وهشام بن العاص اي المحبوسين عند قريش لا نعيين لهما من الهجرة فقال
الوليد بن الوليد بن المغيرة اي بعد ان خرج من حبس اهله له بمكة كما تقدم انا لك يا رسول
الله بهما فخرج الى مكة فقدمها مستخفيا فلقي امراة تحمل طعاما فقال لها اين تريدين
يا امة الله قالت اريد هذين المحبوسين تعنيهما فتبعها حتى عرف موضعهما وكان بيتا لا سقف
له فلما امسى تسور عليهما ثم اخذ مروة اي حجرا فوضعها تحت قيدهما ثم ضربهما بسيفه
فقطعهما فكان يقال لسيفه ذي المروة ثم حملهما على بعيره وساق بهما فعثر فدميت
اصبعه فانشد اي متمثلا • هل انت الا اصبع دميت • وفي سبيل الله ما لقيت • ثم
قدم بهما على رسول الله صلى الله عليه وسلم وتقدم ان ذلك يرد القول بان عياشا
رضي الله تعالى عنه استمر محبوسا حتى فتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة وقد دعى
له صلى الله عليه وسلم في قنوت الصبح بقوله اللهم انج الوليد بن الوليد اي وذلك قبل
ان يتخلص من حبسه بمكة اي فان الوليد اسر يوم بدر اسره عبد الله بن جحش رضي الله
عنه فقدم في فداه اخواه خالد وهشام وكان اخاه لابيه وكان اخاه لامه وابيه

هكذا

ومن ثم لما ابى عبد الله ان ياخذ في فداء الوليد الا اربعة الاف درهم وصار خالد يابى ذلك فقال له هشام انه ليس بابن امك والله لو ابى فيه الا كذا وكذا لفعلت ويقال انه صلى
الله عليه وسلم قال لعبد الله بن جحش رضي الله تعالى عنه لا تقبل في فدائه الا شكة ابيه وهي درع فضفاضة مقومة بمائة دينار وطاعتها وسلمها الى عبد الله فلما افتدى وقدم
مكة اسلم فقيل له هلا اسلمت قبل ان تفتدي فقال كرهت ان يظنوا بي اني جزعت من الاسر فلما اسلم حبسه اهله بمكة ثم افلت ولحق برسول الله صلى الله عليه وسلم وشهد
عمرة القضا وكتب الى اخيه خالد فوقع الاسلام في قلب خالد وكان رضي الله تعالى عنه من جملة من خرج من مكة فارا لئلا يرى رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه كراهة
للاسلام واهله فسال رسول الله صلى الله عليه وسلم الوليد عنه وقال لو اتانا خالد لاكرمناه وما مثله يجهل الاسلام فكتب له اخوه الوليد رضي الله تعالى عنه بذلك **وفي مدة** حبس
الوليد رضي الله تعالى عنه كان صلى الله عليه وسلم في كل ليلة اذا صلى العشاء الاخرة قنت في الركعة الاخيرة ويقول اللهم انج الوليد بن الوليد اللهم انج سلمة بن هشام اللهم انج
عياش بن ابي ربيعة اللهم انج هشام بن العاص اللهم انج المستضعفين من المؤمنين اللهم اشدد وطاتك على مضر اللهم اجعلها عليهم سنين مثل سني يوسف فاكلوا العلهز **ثم لم يزل**
صلى الله عليه وسلم يدعو للمستضعفين حتى نجاهم الله اي بعد ان نجا عياشا وهشاما والوليد **اقول** هذه الرواية تدل على انه كان يدعو بما ذكر في الركعة الاخيرة من العشا
الاخرة وفي البخاري ان ذلك كان في الركعة الاخرة من الصبح وقد يقال لا مخالفة لانه كان تارة يدعو في الركعة الاخيرة من صلاة العشا الاخيرة وتارة في الركعة الاخيرة من
الصبح او كان يدعو بذلك فيهما وكل روى بحسب ما راى والله اعلم **ثم لا زال** المهاجرون والانصار يتوارثون بذلك الاخاء دون القرابات اي الى ان نزل قوله تعالى في وقعة بدر
واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض اي في الارث في كتاب الله اي اللوح المحفوظ فنسخت ذلك اي لانه كان الغرض من المواخاة ذهاب وحشة الغربة ومفارقة الاهل والعشيرة وشد
ازر بعضهم ببعض **فلما** عز الاسلام واجتمع الشمل وذهبت الوحشة بطل التوارث ورجع كل انسان الى نسبه وذوي رحمه اي ومن ثم قيل لزيد بن حارثة زيد بن حارثة بعد ان كان
يقال له زيد بن محمد وكان المواخاة بعد الهجرة بخمسة اشهر وقيل غير ذلك **اقول**
تقدم ان سبب امتناع ان يقال زيد بن محمد نزول قوله تعالى ادعوهم لآبائهم اي ومن ثم قيل للمقداد المقداد بن عمرو وكان يقال له المقداد بن الاسود لان الاسود بن عبد يغوث
في الجاهلية ومن لا يعرف ابوه رده الى مواليه ومن ثم قيل لسالم مولى ابي حذيفة بن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس بعد ان كان يقال له سالم بن ابي حذيفة فكان ابو حذيفة يرى
انه ابنه ومن ثم انكحه ابنة اخيه فاطمة بنت الوليد بن عتبة **وجاءت** سهلة بنت سهيل بن عمرو امراة ابي حذيفة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله انا كنا نرى

سالما ولدا وكان يدخل علي وقد بلغ ما يبلغ الرجال وانه يدخل علي واظن في نفس ابي حذيفة من ذلك شيئا فما ذا ترى فيه فقال ارضعيه تحرمي **وعن** ام سلمة زوج النبي صلى الله
عليه وسلم انها قالت لعائشة ما نرى هذه الا رخصة رخصها رسول الله صلى الله عليه وسلم لسالم **وكان** سالم رضي الله تعالى عنه يؤم المهاجرين الاولين في مسجد قبا فيهم
ابو بكر وعمر رضي الله تعالى عنهما **وفي ينبوع الحياة** كانت المواخاة بين المهاجرين والانصار توجب التوارث بينهم ثم نسخ في ذلك قبل العمل به واما قول ابن عباس رضي الله تعالى
عنهما كانوا يتوارثون بذلك حتى نزلت واولوا الارحام فمعناه انهم التزموا هذا الحكم ودانوا به ومن المشكل ما نقل ان الحتات بضم الحاء وفتح المثناة فوق مخففة كان
صلى الله عليه وسلم آخى بينه وبين معاوية ولما مات الحتات عند معاوية في خلافته ورثه بالاخوة مع وجود اولاده ثم رايت الحافظ بن حجر في الاصابة ذكر ذلك ونظر فيه

باب بدء الاذان ومشروعيته اي والاقامة ومشروعيتها

وكل منهما من خصائص هذه الامة كما ان من خصائصها الركوع والجماعة وافتتاح الصلاة بالتكبير فان صلاة الامم السابقة كانت لا ركوع فيها ولا جماعة وكانت الانبيا عليهم
الصلاة والسلام كاممهم يستفتحون الصلاة بالتوحيد والتسبيح والتهليل اي وكان دابه صلى الله عليه وسلم في احرامه لفظة الله اكبر ولم ينقل عنه سواها اي كالنية ولا
يشكل على الركوع قوله تعالى لمريم واسجدي مع الراكعين لان المراد به في ذلك الخضوع والصلاة لا الركوع المعهود كما قيل به لكن في البغوي قيل انما قدم السجود على الركوع
لانه كان كذلك في شريعتهم وقيل بل كان الركوع قبل السجود في الشرائع كلها وليست الواو للترتيب بل للجمع هذا كلامه فليتامل وكان وجود ذلك اي الاذان والاقامة
في السنة الاولى وقيل في الثانية **وذكر** ان الناس انما كانوا يجتمعون للصلاة لتحين مواقيتها اي لدخول اوقاتها من غير دعوة اي وقد قال ابن المنذر هو صلى الله
عليه وسلم كان يصلي بغير اذان منذ فرضت الصلاة بمكة الى ان هاجر الى المدينة الى ان وقعت الشاورة **قال** وردت احاديث تدل على ان الاذان شرع بمكة قبل
الهجرة من تلك الاحاديث ما في الطبراني عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما مرفوعا قال لما اسري برسول الله صلى الله عليه وسلم اوحى الله تعالى اليه بالاذان فنزل به وعلمه بلالا
قال الحافظ بن رجب هو حديث موضوع **ومنها** ما رواه ابن مردويه عن عائشة مرفوعا لما اسري بي اذن جبريل فظنت الملائكة انه اي جبريل عليه السلام يصلي بهم فقدمني
فصليت بهم قال الذهبي فيه انه حديث منكر بل موضوع هذا كلامه على انه يدل على ان المراد بالاذان الاقامة كما تقدم انها المرادة بالاذان انتهى **اقول** ومن
اغرب ما وقع في بدء الاذان ما رواه ابو نعيم في الحلية بسند فيه مجاهيل ان جبريل عليه السلام نادى بالاذان لآدم عليه السلام حين اهبط من الجنة وقد سئل الحافظ

السيوطي رحمه الله تعالى هل ورد ان بلالا رضي الله عنه او غيره اذن بمكة قبل الهجرة
فاجاب رحمه الله تعالى بقوله ورد ذلك باسانيد ضعيفة لا يعتمد عليها والمشهور الذي
صححه اكثر العلماء ودلت عليه الاحاديث الصحيحة ان الاذان انما شرع بعد الهجرة
وانه لم يؤذن قبلها لا بلال ولا غيره وذكر في الدر في قوله تعالى ومن احسن قولا ممن
دعا الى الله وعمل صالحا انها نزلت بمكة في شان المؤذنين والاذان انما شرع في المدينة
فهي مما تاخر حكمه عن نزوله هذا كلامه وفي كلام الحافظ بن حجر ما يوافقه حيث ذكر ان
الحق انه لا يصح شيء من الاحاديث الدالة على ان الاذان شرع بمكة قبل الهجرة وذكر ما تقدم
عن ابن المنذر من انه صلى الله عليه وسلم كان يصلي بغير اذان منذ فرضت الصلاة بمكة الى
ان هاجر الى المدينة والى ان وقع التشاور في ذلك اي فقد اهتم رسول الله صلى الله
عليه وسلم هو واصحابه كيف يجمع الناس للصلاة فقيل له انصب راية عند حضور الصلاة
فاذا راها الناس اذن اي اعلم بعضهم بعضا فلا يعجبه ذلك فذكر له بوق يهود اي
ويقال له الشبور بفتح المعجمة ثم موحدة مشددة مضمومة ثم واو ساكنة ثم راء ويقال
له القبع بضم القاف واسكان الموحدة وقيل بفتحها وقيل باسكان النون وبالعين المهملة
قال السهيلي وهو اولى بالصواب وقيل بالمثناة فوق وقيل بالمثلثة وهو القرن الذي
يدعون به لصلاتهم اي يجتمعون لها عند سماع صوته فكرهه رسول الله صلى الله عليه
وسلم وقال هو من امر اليهود فذكر له الناقوس الذي يدعون به النصارى لصلاتهم
فقال هو من امر النصارى اي فقالوا لو رفعنا نارا اي فاذا راها الناس اقبلوا الى الصلاة
فقال ذلك للمجوس وقيل كما في حديث الشيخين عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما ان عمر قال
اولا تبعثون رجلا ينادي بالصلاة اي بحضورها اي ففعلوا ذلك فكان المنادي هو بلال
رضي الله تعالى عنه قال الحافظ بن حجر رحمه الله تعالى فكان اللفظ الذي ينادي به
بلال رضي الله تعالى عنه اي قبل رؤيا عبد الله رضي الله تعالى عنه الصلاة جامعة كما رواه
ابن سعد وسعيد بن منصور عن سعيد بن المسيب مرسلا وقد جاء انه صلى الله عليه وسلم
قال لقد هممت ان ابث رجالا ينادون الناس بحين الصلاة اي في حينها اي وقتها وحتى هممت
ان امر رجالا تقوم على الاطام ينادون المسلمين بحين الصلاة اي ولعل هذا كان منه صلى
الله عليه وسلم قبل وقوع ما تقدم عن بلال ثم امر بلالا بما تقدم وقيل اهتم رسول الله
صلى الله عليه وسلم هو واصحابه بالناقوس اي اتفقوا عليه فنحت ليضرب به المسلمون وهو
خشبة طويلة يضرب عليها بخشبة صغيرة فنام عبد الله بن زيد الانصاري رضي الله تعالى
عنه فاري الاذان اي والاقامة في منامه فعنه رضي الله تعالى عنه قال لما امر رسول الله
صلى الله عليه وسلم بالناقوس فطاف بي وانا نائم رجل وفي لفظ اني لبين نائم ويقظان
طاف بي رجل والمراد انه نام نوما خفيفا قريبا من اليقظة فروحه كالمتوسط بين النوم
واليقظة قال الحافظ الجلال السيوطي رحمه الله تعالى الاظهر من هذا ان يحمل على الحالة

التي تعتري ارباب الاحوال ويشاهدون فيها ما يشاهدون ويسمعون ما يسمعون
والصحابة هم رؤس ارباب الاحوال اي وهذه الحالة هي التي عناها الشيخ عبد الله
الدلاصي رحمه الله تعالى بقوله كنت بالمسجد الحرام في صلاة الصبح فلما احرم الامام
واحرمت اخذتني اخذة فرايت رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي اماما والعشرة رضي
الله تعالى عنهم فصليت معهم فقرا رسول الله صلى الله عليه وسلم في الركعة الاولى سورة
المدثر وفي الثانية عم يتساءلون ثم سلم الامام صلى فعقلت تسليمة فسلمت اي ويدل
لذلك قول عبد الله بن زيد كما جاء في رواية ولولا ان يقول الناس اي يستبعد الناس
ذلك لقلت اني كنت يقظانا غير نائم وذلك الرجل عليه ثوبان اخضران يحمل ناقوسا
في يده فقلت يا عبد الله اتبيع الناقوس فقال وما تصنع به فقلت ندعو به الى الصلاة قال
افلا ادلك على ما هو خير لك من ذلك فقلت بلى اي وفي رواية فقلت اتبيع الناقوس
قال وما ذا تريد به فقلت اريد ان ابتاعه لكي اضرب به للصلاة لجماعة الناس قال فانا
احدثكم بخير لكم من ذلك فقلت بلى قال تقول الله اكبر الله اكبر الله اكبر الله اكبر
اشهد ان لا اله الا الله اشهد ان لا اله الا الله اشهد ان محمدا رسول الله اشهد
ان محمدا رسول الله حي على الصلاة حي على الصلاة حي على الفلاح حي على الفلاح
الله اكبر الله اكبر لا اله الا الله قال عبد الله رضي الله تعالى عنه ثم استاخر عني
اي ذلك الرجل غير بعيد ثم قال وتقول اذا قمت الى الصلاة الله اكبر الله اكبر اشهد
ان لا اله الا الله اشهد ان محمدا رسول الله حي على الصلاة حي على الفلاح قد قامت
الصلاة قد قامت الصلاة الله اكبر الله اكبر لا اله الا الله اي ففي هذه الرواية افراد
الفاظ الاقامة لا لفظها ولفظ التكبير اولا واخرا وفي رواية راى رجلا عليه ثياب
خضر وهو قائم على سقف المسجد وفي رواية على جذم حائط بكسر الجيم وسكون المعجمة اي
اي اصل الحائط ولا مخالفة لما ستعلم فاذن ثم قعد قعدة ثم قام فقال مثلها اي مثل
الكلمات اي كلمات الاذان الا انه يقول قد قامت الصلاة قد قامت الصلاة اي زيادة
على تلك الكلمات التي هي الاذان ففي هذه الرواية تثنية الفاظ الاقامة والاتيان
بالتكبير في اولها اربعا كالاذان اي وهذا اي كونه على سقف المسجد وكونه على جذم
حائط لا مخالفة بينهما لانه يجوز ان يكون لما قال له تقول الله اكبر الى اخر الاذان
والاقامة كان قائما على سقف المسجد قريبا من جذم الحائط فنسب قيامه الى كل منهما
ويكون قوله ثم استاخر عني غير بعيد اي سكت غير طويل قال عبد الله رضي الله تعالى
عنه فلما اصبحت اتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبرته بما رايت اي وفي رواية
انه صلى الله عليه وسلم اتاه ليلا واخبره وهي المذكورة في سيرة الحافظ الدمياطي ولا
منافاة لانه يجوز ان يكون قول عبد الله فلما اصبحت اي قاربت الصباح فقال له
صلى الله عليه وسلم انها لرؤيا حق ان شاء الله فقم مع بلال فالق عليه ما رايت فليؤذن

به فانه اندى وفي رواية امد صوتا منك اي اعلا وارفع وقيل احسن واعذب ولا
مانع من ارادة ذلك كله هنا فقمت مع بلال وفي رواية فقال لبلال قم فانظر ما امرك
به عبد الله بن زيد فافعله فجعلت القيه عليه ويوذن به اي فبلال اول موذنيه
صلى الله عليه وسلم عبد الله بن زيد ذكره الامام والغزالي وانكره ابن الصلاح اي حيث
قال لم اجد هذا بعد البحث عنه هذا كلامه وقد يقال لا منافاة لان عبد الله اول
من نطق بالاذان وبلال اول من اعلن به وحيث يكون اول مشروعيته كان في اذان
الصبح فلما سمع بذلك اي بالاذان بلال رضي الله تعالى عنه عمر بن الخطاب رضي الله
تعالى عنه وهو في بيته خرج يجر رداه وفي رواية ازاره اي مجلا اي وقد اعلم
بالقصة لقوله والذي بعثك بالحق يا رسول الله لقد رايت مثل ما راى يعني عبد الله
بن زيد رضي الله تعالى عنه وفي رواية مثل ما يقول اي بلال رضي الله تعالى عنه فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم فلله الحمد قال الترمذي عبد الله بن زيد هو ابن عبد ربه
لا نعرف له عن النبي صلى الله عليه وسلم شيئا يصح الا هذا الحديث الواحد في الاذان
وقيل راى مثل ما راى عبد الله ابو بكر رضي الله تعالى عنهما وقيل سبعة من الانصار
وقيل اربعة عشر قال ابن الصلاح لم اجد هذا بعد امعان البحث وتبعه النووي
رحمه الله تعالى فقال ليس هذا بثابت ولا معروف وانما الثابت خروج عمر رضي الله تعالى
عنه يجر رداه وقيل راه صلى الله عليه وسلم ليلة الاسرا سمع ملكا يوذن فقد جاء
في حديث بعض رواته متروك بل قيل انه من وضعه انه لما اراد الله عز وجل ان يعلم
رسوله الاذان جا جبريل عليه السلام بدابة يقال لها البراق فركبها حتى اتى بها
الحجاب الذي يلي الرحمن فبينما هو كذلك خرج من الحجاب ملك فقال الله اكبر فقيل من
وراء الحجاب صدق عبدي انا اكبر انا اكبر وذكر بقية الاذان فرويا عبد الله رضي الله
تعالى عنه دلت على ان هذا الذي راه في السما يكون سنة في الارض عند الصلوات الخمس
التي فرضت عليه تلك الليلة اي فلذلك قال صلى الله عليه وسلم انها لرويا حق ان شا الله
وفيه ان الذي تقدم عن الخصايص ان المراد بهذا الاذان الذي اتى به الملك
الاقامة لا حقيقة الاذان اي ويدل لذلك ان الملك قال فيه قد قامت الصلاة قد
قامت الصلاة فقال الله صدق عبدي انا اقمت فريضتها ثم قيل لرسول الله صلى الله عليه
وسلم تقدم فام اهل السما فيهم ادم ونوح عليهما الصلاة والسلام قال بعضهم
والاذان ثبت بحديث عبد الله بن زيد باجماع الامة لا يعرف بينهم خلاف في ذلك الا
ما روي عن محمد بن الحنفية فعن ابي العلا قال قلت لمحمد بن الحنفية انا لنتحدث ان بدو
هذا الاذان كان من رويا راها رجل من الانصار في منامه قال ففزع لذلك
محمد بن الحنفية فزعا شديدا وقال عمدتم الى ما هو الاصل في شرايع الاسلام ومعالم
دينكم فزعمتم انه انما كان من رويا راها رجل من الانصار في منامه يحتمل الصدق

والكذب

والكذب وقد يكون اضغاث احلام قال فقلت له هذا الحديث قد استفاض في الناس
قال هذا والله هو الباطل ثم قال وانما اخبرني ابي رضي الله تعالى عنه ان جبريل
عليه الصلاة والسلام اذن في بيت المقدس ليلة الاسرا واقام ثم اعاد جبريل عليه
السلام الاذان لما عرج بالنبي صلى الله عليه وسلم الى السماء فسمعه عبد الله بن زيد
وعمر بن الخطاب وفي رواية عنه صلى الله عليه وسلم انه لما انتهى الى مكان من السما
وقف به وبعث الله ملكا فقيل له علمه الاذان فقال الملك الله اكبر فقال الله صدق
عبدي انا الله الاكبر الى ان قال قد قامت الصلاة قد قامت الصلاة وفيه ما علمت ان
هذا اقامة لا اذان وقد رد عليه بانه لو ثبت بقول جبريل لما احتاج صلى الله عليه وسلم
الى المشورة والمعراج كان بمكة قبل الهجرة والاولى ان يستدل ابن الحنفية بما ياتي في بعض
الروايات من قوله صلى الله عليه وسلم لعبد الله قد سبقك بذلك الوحي وكونه اتي بالبراق
الى الحجاب وهو بناء على ان العروج كان على البراق وتقدم ما فيه ويحتمل ان يكون
هذا عروجا اخر غير ذلك وحينئذ لا يخالف ما تقدم انما لما اسري به صلى الله عليه وسلم
اذن جبريل عليه السلام وتقدم ما فيه ولا ما جا عن علي كرم الله تعالى وجهه موذن
اهل السما جبريل عليه السلام لجواز حمل ذلك على الغالب وحينئذ لا يخالف ايضا ما جا
اسرافيل موذن اهل السما وامامهم ميكايل عند البيت المعمور وفي لفظ يوم بالملايكة
عند البيت المعمور ولعل كون ميكايل امام اهل السما لا يخالف ما جا عن عايشة رضي
الله تعالى عنها امام اهل السما جبريل عليه السلام لما علم وجا ان موذن اهل السما
يوذن لاثني عشر ساعة من النهار ولاثني عشر ساعة من الليل اقول وفي النور
لو راه اي الاذان ليلة الاسرا لم يحتج الى ما يجمع به المسلمين الى الصلاة ويرد بانه صلى
الله عليه وسلم لم يكن يعلم قبل هذه الرويا ان ما راه في السما يكون سنة للصلوات
الخمس التي فرضت عليه تلك الليلة فبتلك الرويا علم ان ذلك سنة في الارض كما تقدم
وعبارة بعضهم ولا يشكل على اذان جبريل عليه السلام ببيت المقدس ان الاذان انما
كان بعد الهجرة لانه لا مانع من وقوعه ليلة الاسرا قبل مشروعية الصلوات الخمس
وهذا كله على تسليم ان المري له الاذان حقيقة لا الاقامة وقد علمت ما فيه ثم رايت
بعضهم قال واما قول القرطبي رحمه الله لا يلزم من كونه صلى الله عليه وسلم سمعه ليلة
الاسرا ان يكون مشروعا في حقه صلى الله عليه وسلم ففيه نظر لقوله في اوله لما اراد الله
تعالى ان يعلم رسوله الاذان اي لان المتبادر تعليمه الاذان الذي ياتي به في الارض
للصلوات وقد يقال على تسليم ذلك فقد علمت ان المراد بالاذان الذي سمعه ليلة الاسرا
الاقامة وقد قال الحافظ بن حجر رحمه الله تعالى الحق انه لم يصح شي من هذه الاحاديث
الواردة بانه صلى الله عليه وسلم سمعه ليلة الاسرا ومن ثم قال ابن كثير رحمه الله تعالى
في بعض الاحاديث الواردة بانه سمع هذا الاذان في السما ليلة المعراج ليس هذا

الحديث كما زعم البيهقي انه صحيح بل هو منكر تفرد به زياد بن المنذر ابو الجارود
الذي ينسب اليه الفرقة الجارودية وهو من المتوهمين وبهذا يعلم ما في الخصايص الصغرى
من صلى الله عليه وسلم بذكر اسمه في الاذان في عهد ادم وفي الملكوت الاعلى والله
اعلم اي وروي بسند واه ان اول من اذن بالصلاة جبريل في سماء الدنيا فسمعه عمر
وبلال فسبق عمر بلالا فاخبر النبي صلى الله عليه وسلم ثم جا بلال فقال له صلى الله عليه
وسلم سبقك بها عمر وهذا لا دلالة فيه لانه يجوز ان يكون بعد رؤيا عبد الله وذكر
ان عمر رضي الله تعالى عنه راه من عشرين يوما وكتمه ولما اخبره صلى الله عليه وسلم
بذلك قال له ما منعك ان تخبرني قال سبقني عبد الله بن زيد فاستحييت منه اقول
في هذا الكلام ما لا يخفى والله اعلم وقيل انما قال له انهار ؤيا حق لانه يجوز ان
يكون جاءه صلى الله عليه وسلم الوحي بذلك قبل ان يجي اليه عبد الله بن زيد له ومن ثم
قيل له حين اخبره بذلك على ما في بعض الروايات قد سبقك بذلك الوحي فالاذان انما
ثبت بالوحي لا بمجرد رؤيا عبد الله بن زيد قال بعضهم في قوله تعالى واذا ناديتم الى
الصلاة اتخذوها هزوا الاية كان اليهود اذا نودي للصلاة وقال المسلمون اليها
يقولون قاموا لا قاموا صلوا لا صلوا على طريق الاستهزا والسخرية وفيها دليل على مشروعية
الاذان بنص الكتاب لا بالمنام وحده هذا كلامه ورده ابو حيان بان هذه جملة شرطية
دلت على سبق المشروعية لا على انشايها هذا كلامه اي وذلك على تسليم ان يكون المدعو به
للصلاة خصوص اللفظ الذي وجد في المنام اي وصار بلال رضي الله تعالى عنه يوذن
بذلك للصلوات الخمس وينادي للناس لغير الصلوات لامر يحدث يطلب له حضور
الناس كالكسوف والخسوف والاستسقاء الصلاة جامعة قيل وكان بلال رضي الله تعالى
عنه يقول اذا اذن اشهد ان لا اله الا الله حي على الصلاة فقال له عمر على اثرها اشهد
ان محمدا رسول الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لبلال قل كما قال عمر وهذا
روي عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما في حديث فيه راو ضعيف ولولا التعبير بكان
امكن حمل ذكر على ان بلالا اتى بذلك ناسيا في ذلك الوقت لما القنه عبد الله بن زيد
ثم رايت ابن حجر الهيتمي رحمه الله قال والحديث الصحيح الثابت في اول مشروعية الاذان
يرد هذا هذا كلامه رحمه الله تعالى وقيل وزاد بلال في اذان الصبح بعد الحيعلات
الصلاة خير من النوم مرتين فاقرها صلى الله عليه وسلم اي لان بلالا كان يدعو النبي
صلى الله عليه وسلم فيقول له الصلاة ورعاه ذات غداة الى الفجر فقيل له ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم فصرخ باعلا صوته الصلاة خير من النوم مرتين اي اليقظة
الحاصلة للصلاة خير من الراحة الحاصلة بالنوم اقول وهذا يقال له التثويب وذلك
فيها وانه صلى الله عليه وسلم لقن ذلك لابي محذورة اي قال له فان كانت صلاة
الصبح قلت الصلاة خير من النوم ولا منافاة لان تعليم ابي محذورة للاذان كان عند

منصرفه

منصرفه صلى الله عليه وسلم من حنين على ما سياتي وكذا ما ورد من انه صلى الله عليه وسلم
قال ان ذلك من السنة لانه يجوز ان يكون ذلك صدر منه بعد ان اقر بلالا رضي الله تعالى عنه
عليه نعم ذكر انه لم ينقل ان ابن ام مكتوم كان يقوله اي لقول بلال رضي الله تعالى عنه في
الاذان وهو يبطل لمن قال انه اذا قيل في الاذان الاول لا يقال في الثاني لان اذانه للصبح
كان متاخرا عن اذان بلال في اكثر الاحوال وهو محمل ما جا في كثير من الاحاديث ان بلالا
يوذن بليل فكلوا واشربوا حتى يوذن ابن مكتوم ومن غير الاكثر محمل ما جا ان ابن ام مكتوم
ينادي بليل فكلوا واشربوا حتى يوذن بلال ان ابن ام مكتوم اعمى فاذا اذن ابن ام مكتوم
فكلوا واذا اذن بلال فامسكوا ولا تاكلوا والراجح ان يقول فيها لكن ربما يخالفه ذلك
ما في الموطا ان المؤذن جاء عمر رضي الله تعالى عنه يوذنه بصلاة الصبح فوجده نايما
فقال الصلاة خير من النوم فامره عمر رضي الله تعالى عنه ان يجعلها في نداء الصبح
وفي الترمذي ان بلالا قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تثويب في شي من الصلاة
اي من اذان الصلاة الا في صلاة الفجر اي يقول الصلاة خير من النوم وعن ابن عمر
رضي الله تعالى عنهما انه سمع الاذان في مسجد فاراد الصلاة فيه فسمع المؤذن يثوب
في غير الصبح فقال لرفيق له اخرج بنا من عند هذا المبتدع فان هذا بدعة اي سمع المؤذن
يقول بين الاذان والاقامة على باب المسجد الصلاة الصلاة وهذا هو المراد بالتثويب
الذي سمعه ابن عمر كما قاله بعضهم وفي كلام بعضهم من المحدثات ان المؤذن يجي بين
الاذان والاقامة الى باب المسجد فيقول حي على الصلاة قيل واول من احدثه مؤذن
معاوية رضي الله تعالى عنه فكان ياتيه بعد الاذان وقبل الاقامة يقول حي على الصلاة
حي على الصلاة حي على الفلاح يرحمك الله اما قول المؤذن بين الاذان
والاقامة الصلاة الصلاة فليس بدعة لان بلالا رضي الله تعالى عنه كان يقول ذلك
للنبي صلى الله عليه وسلم واما قوله حي على الصلاة فهذا لم يعهد في عصره صلى الله عليه
وسلم ثم رايت في درر المباحث في احكام البدع والحوادث اختلف العلما الفقهاء في
جواز دعا الامير الى الصلاة بعد الاذان وقبل الاقامة بان ياتي المؤذن باب الامير
فيقول حي على الصلاة حي على الفلاح ايها الامير وفسر به التثويب فاحتج
من قال بجوازه اي بسنيته ان بلالا رضي الله تعالى عنه كان اذا اذن ياتي النبي صلى الله
عليه وسلم ثم يقول حي على الصلاة حي على الفلاح يرحمك الله اي كما كان يفعل مؤذن
معاوية رضي الله تعالى عنه فليس من المحدثات وفي الحديث المشهور انه في مرضه صلى الله
عليه وسلم اتاه بلال رضي الله تعالى عنه فقال السلام عليك يا رسول الله ورحمة الله
وبركاته الصلاة يرحمك الله فقال صلى الله عليه وسلم [illegible] بالناس
واحتج من قال بالمنع بان عمر رضي الله تعالى عنه لما قدم مكة اتاه ابو محذورة فقال
الصلاة يا امير المؤمنين حي على الصلاة حي على الفلاح فقال ويحك امجنون انت اما

كان في دعائك ما يكفيك حتى تأتينا ولو كان هذا سنة لم ينكر عليه أي وكون عمر رضي الله
تعالى عنه لم يبلغه فعل بلال رضي الله تعالى عنه من أبعد البعيد وعن أبي يوسف
رحمه الله تعالى لا أرى بأسًا أن يقول المؤذن السلام عليك أيها الأمير ورحمة الله
وبركاته حي على الصلاة حي على الفلاح الصلاة يرحمك الله لاشتغال الأمراء بمصالح المسلمين
أي ولهذا كان عمر بن عبد العزيز يفعله وذكر بعضهم أن في دولة بني بويه كانت الرافضة
تقول بعد الحيعلتين حي على خير العمل فلما كانت دولة السلجوقية منعوا المؤذنين من ذلك
وأمروا أن يقولوا في أذان الصبح بدل ذلك الصلاة خير من النوم وذلك في سنة ثمان
وأربعين وأربعمائة ونقل عن ابن عمر وعن علي بن الحسين رضي الله تعالى عنهم أنهما
كانا يقولان في أذانهما بعد حي على الصلاة حي على خير العمل وورد الترجيع في خبر أذان
أبي محذورة أيضا وهو أن يخفض صوته بالشهادتين قبل رفعه بهما ففي مسلم عن أبي محذورة
أنه قال قلت يا رسول الله علمني سنة الأذان قال فمسح مقدم رأسي وقال تقول الله أكبر
الله أكبر الله أكبر الله أكبر أشهد أن لا إله إلا الله أشهد أن لا إله إلا الله أشهد أن محمدا رسول الله أشهد أن محمدا
رسول الله تخفض بها صوتك ثم ترفع صوتك بالشهادة أشهد أن لا إله إلا الله أشهد أن
لا إله إلا الله أشهد أن محمدا رسول الله أشهد أن محمدا رسول الله وكان أبو محذورة
رضي الله تعالى عنه يشفع الإقامة كالأذان أي يكرر ألفاظها فيقول الله أكبر الله أكبر
الله أكبر الله أكبر أشهد أن لا إله إلا الله أشهد أن لا إله إلا الله أشهد أن محمدا رسول
الله أشهد أن محمدا رسول الله حي على الصلاة حي على الصلاة حي على الفلاح حي على الفلاح
قد قامت الصلاة قد قامت الصلاة الله أكبر الله أكبر لا إله إلا الله لقنه صلى الله عليه وسلم
ذلك وهي الرواية الثانية التي تقدمت عن عبد الله بن زيد وذكر الإمام أبو العباس بن
تيمية أن النقل ثبت أن النبي صلى الله عليه وسلم علم أبا محذورة الأذان فيه الترجيع
والإقامة مثناة كالأذان وأن بلالا رضي الله تعالى عنه كان يشفع الأذان والإقامة أي يؤثر
ولا يرجع الأذان ففي الصحيحين أمر بلال رضي الله تعالى عنه أن يشفع الأذان أي في
شفع الأذان التكبير أوله أربعًا ولم يصح عنه صلى الله عليه وسلم الاقتصار فيه على مرتين
وإن كان هو عمل أهل المدينة كما سيأتي نعم يرد على شفع الأذان التهليل آخره فإنه مفرد
فالأولى أن يقال يشفع معظم الأذان ويوتر الإقامة أي الإقامة أي لفظها وهي قد
قامت الصلاة فإنه يكررها مرتين يقول قد قامت الصلاة ولم يصح عنه صلى الله عليه وسلم
إفرادها البتة أي وإن كان هو عمل أهل المدينة كما سيأتي وصح عنه تكرير لفظ التكبير
مرتين أولا وآخرا وقد يكون المراد بإفراد الإقامة إفراد معظمها فكان يقول في الإقامة
الله أكبر الله أكبر أشهد أن لا إله إلا الله أشهد أن محمدا رسول الله حي على الصلاة حي
على الفلاح قد قامت الصلاة قد قامت الصلاة الله أكبر الله أكبر لا إله إلا الله ولم يكن
في أذانه أي وهو الإتيان بالشهادتين مرتين سرًا ثم يأتي بهما جهرا أي كما تقدم قال

فنقل إفراد الإقامة صحيح بلا ريب وتثنيتها صحيح بلا ريب أي وكل روي عن عبد الله
بن زيد كما علمت قال أي ابن تيمية فأحمد وغيره أخذوا بأذان بلال وإقامته أي
فلم يستحبوا الترجيع في الأذان واستحبوا إفراد الإقامة لا لفظها والشافعي رضي الله
عنه أخذ بأذان أبي محذورة وإقامة بلال فاستحب الترجيع في الأذان والإفراد في
الإقامة لا لفظها وأبو حنيفة أخذ بأذان بلال وإقامة أبي محذورة أي فلم يستحب
الترجيع واستحب تثنية ألفاظ الإقامة قال في الهدي وأخذ مالك بما عليه عمل أهل المدينة
من الاقتصار في التكبير على مرتين في الأذان وعلى كلمة الإقامة مرة واحدة أي ولعل هذا
بحسب ما كان في المدينة وإلا ففي أبي داود لم يزل ولد أبي محذورة وهم الذين يلون
الأذان بمكة يفردون الإقامة أي معظم ألفاظها ويحكونه عن جدهم غير أن التثنية
عنه أكثر فيحتمل إتيان أبي محذورة رضي الله تعالى عنه بالإقامة فرادى واستمراره ولده
بعده على ذلك كان بأمر منه صلى الله عليه وسلم له بذلك بعد أمره أولا له بتثنيتها أي فيكون
آخر أمره الإفراد وقد قيل لأحمد رضي الله تعالى عنه وكان يأخذ بأذان بلال رضي
الله تعالى عنه أي كما تقدم أليس أذان أبي محذورة بعد أذان بلال أي لأن النبي
صلى الله عليه وسلم علمه له منصرفه من حنين على ما سيأتي وهو الذي رواه إمامنا
الشافعي رضي الله تعالى عنه عن أبي محذورة رضي الله تعالى عنه أنه قال خرجت في نفر وكنا
ببعض طريق حنين فقفل رسول الله صلى الله عليه وسلم من حنين فلقيت رسول الله صلى الله عليه
وسلم في بعض الطريق فأذن مؤذن رسول الله صلى الله عليه وسلم بالصلاة فسمعنا صوت
المؤذن ونحن متنكبون أي عن الطريق فصرنا نحكيه ونستهزئ به فسمع النبي صلى الله عليه
وسلم فأرسل إلينا إلى أن أوقفنا بين يديه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أيكم الذي
سمعت صوته قد ارتفع فأشار القوم كلهم إلي وصدقوا فأرسلهم كلهم وحبسني أي أبقاني عنده وقال
قم فأذن فقمت ولا شيء أكره إلي من النبي صلى الله عليه وسلم ولا مما يأمرني به فقمت بين يدي
رسول الله صلى الله عليه وسلم فألقى إلي التأذين هو بنفسه الحديث ثم دعاني حين قضيت
التأذين فأعطاني صرة فيها شيء من فضة ثم وضع يده صلى الله عليه وسلم على ناصيتي ومرها
على وجهي ثم بين ثديي ثم على كبدي حتى بلغت يده سرتي ثم قال بارك الله فيك وبارك عليك
فقلت يا رسول الله مرني بالتأذين بمكة فقال قد أمرتك به وذهب كل شيء كان لرسول الله
صلى الله عليه وسلم من كراهة وعاد ذلك محبة لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقدمت على
عتاب بن أسيد عامل رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل علمه ذلك يوم فتح مكة لما أذن
بلال للظهر على ظهر الكعبة وصار فتية من قريش يستهزئون ببلال رضي الله تعالى عنه
ويحكون صوته وكان من جملتهم أبو محذورة فأعجبه صلى الله عليه وسلم صوته فدعاه وعلمه
الأذان وأمره أن يؤذن لأهل مكة فليتأمل الجمع وإنما يؤخذ بالأحدث فالأحدث من أمر
رسول الله صلى الله عليه وسلم أي بالمتأخر عنه لأن المتأخر ينسخ المتقدم قال أليس

لما عاد صلى الله عليه وسلم الى المدينة اقر بلالا رضي الله عنه على اذانه قال ابو داود
وتثنية الاذان وافراد الاقامة مذهب اكثر علماء الامصار وجرى به العمل في الحرمين
والحجاز وبلاد الشام واليمن وديار مصر ونواحي المغرب الى اقصى المساجد التي
تقام صلاة الله دوام بها فانها تثنى كالاذان فيها وقد ذكر ان ابا يوسف رحمه الله تعالى
ناظر امامنا الشافعي رضي الله تعالى عنه في المدينة بين يدي الامام مالك بن انس رضي
الله تعالى عنه نحو والرشيد فامر الشافعي باحضار اولاد بلال واولاد سائر مؤذني رسول
الله صلى الله عليه وسلم وقال لهم كيف تلقيتم الاذان والاقامة من ابائكم فقالوا الاذان
مثنى مثنى والاقامة فرادى هكذا تلقيناه من ابائنا واباؤنا عن اسلافنا الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم وجاء انه صلى الله عليه وسلم سمع بلالا رضي الله تعالى عنه يقيم الصلاة
فلما قال قد قامت الصلاة قال صلى الله عليه وسلم اقامها الله وادامها وفي البخاري من قال
حين يسمع النداء اي الاذان اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة آت محمدا
الوسيلة والفضيلة وابعثه مقاما محمودا الذي وعدته وجبت له شفاعتي يوم القيامة
قال بعضهم كان المؤذنون في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم مؤذنان بلال وابن
ام مكتوم رضي الله تعالى عنهما فلما كان زمن عثمان رضي الله تعالى عنه جعلهم اربعا وزاد
الناس بعده فلما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم ترك بلال رضي الله تعالى عنه الاذان ولحق
بالشام فمكث زمانا فرأى النبي صلى الله عليه وسلم في المنام فقال له يا بلال جفوتنا وخرجت
من جوارنا فاقصد الى زيارتنا وفي لفظ انه قال ما هذه الجفوة يا بلال ما آن لك ان تزورنا
فانتبه بلال رضي الله تعالى عنه فقصد المدينة فلما اتى المدينة تلقاه الناس واتى قبر
النبي صلى الله عليه وسلم وجعل يبكي عنده ويتمرغ عليه واقبل على الحسن والحسين رضي الله
تعالى عنهما يقبلهما ويضمهما والحوا عليه ان يؤذن فلما صعد رضي الله تعالى عنه ليؤذن
اجتمع اهل المدينة رجالهم ونساؤهم وخرجت العذارى من خدورهن ليسمعوا اذانه فلما
قال الله اكبر ارتجت المدينة وصاحوا وبكوا فلما قال اشهد ان لا اله الا الله ضجوا جميعا
فلما قال اشهد ان محمدا رسول الله لم يبق ذو روح الا بكى وكان ذلك اليوم كيوم مات
رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم انصرف الى الشام وكان يرجع الى المدينة في كل سنة مرة
فينادي بالاذان الى ان مات رضي الله تعالى عنه اقول في كلام بعضهم كان سعد
القرظ مؤذنه صلى الله عليه وسلم بقبا فلما لحق بلال بالشام امر عمر رضي الله تعالى عنه
سعد القرظ ان يؤذن في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم اي فان بلالا لما توفي
رسول الله صلى الله عليه وسلم جاء الى ابي بكر رضي الله تعالى عنه فقال يا خليفة رسول الله
صلى الله عليه وسلم اني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول افضل اعمال المؤمن
الجهاد في سبيل الله وقد اردت ان اربط في سبيل الله حتى اموت فقال له ابو بكر رضي
الله تعالى عنه انشدك الله يا بلال وحرمتي وحقي عليك ان لا تفارقني فاقام بلال رضي الله

تعالى عنه

تعالى عنه بالمدينة حتى توفي ابو بكر رضي الله تعالى عنه وهو يؤذن فجاء الى عمر رضي الله
تعالى عنه فقال له كما قال لابي بكر رضي الله تعالى عنه ورد عليه كما رد عليه ابو بكر رضي الله
تعالى عنه فابى وخرج الى الشام مجاهدا وفي انس الجليل لما فتح امير المؤمنين عمر رضي الله
تعالى عنه بيت المقدس حضرت الصلاة فقال عمر رضي الله تعالى عنه يا بلال اذن لنا
رحمك الله قال بلال يا امير المؤمنين والله ما اردت ان اؤذن بعد رسول الله صلى الله
عليه وسلم الى احد ولكن اطيعك اذا امرتني في هذه الصلاة وحدها فلما اذن بلال رضي
الله تعالى عنه وسمعت الصحابة رضي الله تعالى عنهم صوته ذكروا النبي صلى الله عليه وسلم
فبكوا بكاء شديدا ولم يكن في الصحابة يومئذ اطول بكا من ابي عبيدة ومعاذ بن جبل
رضي الله تعالى عنهما حتى قال لهما عمر رضي الله تعالى عنه حسبكما رحمكما الله فلم يؤذن بلال
بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم الا مرة واحدة لما امره عمر رضي الله تعالى عنه بالاذان
هذا ما في انس الجليل فالمراد بالمرة هذه التي كانت ببيت المقدس وفيه ان هذا يخالف ما
تقدم مما ظاهره انه رضي الله تعالى عنه استمر يؤذن مدة خلافة ابي بكر رضي الله تعالى
عنه وما تقدم من الحاح الحسنين رضي الله تعالى عنهما عليه في ان يؤذن عند مجيئه للمدينة
الا ان يقال المراد يؤذن خارج المدينة فلا يخالف ما سبق من اذانه بعد الحاح الحسن
والحسين رضي الله تعالى عنهما ولعل ما سبق كان بعد فتح بيت المقدس بل وبعد موت
الخلفاء الاربعة ثم رأيت الزين العراقي رحمه الله قال لم يؤذن بلال رضي الله تعالى عنه
بعد النبي صلى الله عليه وسلم لاحد من الخلفاء الا ان عمر رضي الله تعالى عنه لما قدم
الشام حين فتحها اذن بلال رضي الله تعالى عنه هذا كلامه فليتامل مع ما سبق وفي
الكتاب المذكور روي عن جابر رضي الله تعالى عنه ان رجلا قال يا رسول الله اي الناس
اول دخولا الجنة قال الانبياء عليهم الصلاة والسلام قال ثم من قال الشهداء قال ثم من
قال مؤذنو بيت المقدس قال ثم من قال مؤذنو البيت الحرام قال ثم من قال مؤذنو
مسجدي قال ثم من قال سائر المؤذنين ثم رأيت في نسخة من شرح المنهاج للدميري عن
جابر رضي الله تعالى عنه تقديم مؤذني المسجد الحرام على مؤذني بيت المقدس ورأيت في
بعض الروايات ما يوافقه وهي اول من يدخل الجنة بعدي ابو بكر ثم الفقراء ثم مؤذنو
المسجد الحرام ثم مؤذنو بيت المقدس ثم مؤذنو مسجدي ثم سائرهم على قدر اعمالهم
وفي البدور السافرة عن جابر رضي الله تعالى عنه ان رجلا قال يا رسول الله اي الخلق
اول دخولا الجنة يوم القيامة قال الانبياء قال ثم من قال الشهداء قال ثم من قال
مؤذنو الكعبة قال ثم من قال مؤذنو بيت المقدس قال ثم من قال مؤذنو مسجدي
هذا قال ثم من قال سائر المؤذنين على قدر اعمالهم وفيها عن جابر ايضا قال اول
من يكسى من حلل الجنة ابراهيم عليه الصلاة والسلام ثم محمد صلى الله عليه وسلم
ثم النبيون والرسل وجاء ان الصحابة رضي الله تعالى عنهم قالوا يا رسول الله لقد تركنا

الحسن صح

تنافس في الاذان بعدكم فقال اما انه سيكون قوم بعدكم سفلتهم موذنوهم قيل وهذه
الزيادة منكرة وقال القرطبي ليست بمحفوظة وجا اذا اخذ المؤذن في اذانه وضع الرب سبحانه
وتعالى يده فوق راسه ولا يزال كذلك حتى يفرغ من اذانه وانه ليغفر له مد صوته فاذا
فرغ قال الرب صدق عبدي وشهدت شهادة الحق فابشر والله اعلم قال وعن
ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال كان رجل من اليهود اي من التجار وعن السدي من
النصارى بالمدينة سمع المؤذن يقول اشهد ان محمدا رسول الله قال حرق الله الكاذب وفي
رواية احرق الله الكاذب فدخلت خادمه بنار وهو نايم واهله نيام فسقطت شرارة فاحرقت
البيت واحترق هو واهله انتهى اي وفي بعض الاسفار حضر وقت الصلاة اي صلاة الصبح
فطلبوا بلالا رضي الله تعالى عنه ليؤذن اي لتاخره في السير عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
فاذن زياد بن الحارث الصدائي اي بامره صلى الله عليه وسلم فقال له اذن يا اخا صداء
وصداء حي من اليمن وعنه رضي الله تعالى عنه سالت رسول الله صلى الله عليه وسلم يومر لي على
قومي فقال لا خير في الامرة لرجل مومن فقلت حسبي ثم سار النبي صلى الله عليه وسلم سيرا
فسرت معه فانقطع عنه اصحابه واضا الفجر فقال لي اذن يا اخا صداء فاذنت ثم لما حضرت
الصلاة اراد بلال رضي الله تعالى عنه ان يقيم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا انما
يقيم من اذن واختلف هل اذن صلى الله عليه وسلم بنفسه فقيل نعم اذن مرة واستدل
على ذلك بانه جا في بعض الاحاديث اي وقد صح انه صلى الله عليه وسلم اذن في السفر وصلى
وهم على رواحلهم فتقدم على راحلته فصلى بهم يومي ايما يجعل السجود اخفض من الركوع
وقيل ما اذن وانما امر بلالا بالاذان كما في بعض طرق الحديث في الهدى وصلى بهم صلى الله
عليه وسلم الفرض على الدواب لاجل المطر والطين وقد روى احمد والترمذي انه صلى
الله عليه وسلم انتهى الى مضيق هو واصحابه والسما من فوقهم والبلة من اسفل منهم فحضرت
الصلاة فامر المؤذن فاذن واقام ثم تقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم فصلى بهم الحديث
والمفصل يقضي على المجمل وفي رواية اذن اختصارا اي امر بالاذان اي وهذا المجمل الذي
يشير اليه هو فاذن صلى الله عليه وسلم على راحلته واقام اي ويروى ان بلالا رضي الله
تعالى عنه كان يبدل الشين في اشهد سينا فقال صلى الله عليه وسلم سين بلال عند الله شين
قال ابن كثير رحمه الله لا اصل لرواية سين بلال شين في الجنة ولا يلزم من كون هذه
الرواية لا اصل لها ان تكون الرواية كذلك وكان بلال وابن ام مكتوم يتناوبان في
اذان الصبح فكان احدهما يوذن بعد مضي نصف الليل الاول والليل باق والثاني يوذن
بعد طلوع الفجر وروى الشيخان ان بلالا يوذن بليل فكلوا واشربوا حتى يوذن ابن ام
مكتوم اي وفي مسلم عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم لا يمنعن احدا منكم اذان بلال او قال نداء بلال من سحوره فانه يوذن او قال ينادي
ليرجع قايمكم ويوقظ نايمكم انما يوذن بليل بعد نصفه الاول فيرجع القايم المتهجد الي

لعله فلم يجدوه

راحته

راحته لينام غفوة ليصبح نشيطا او يستيقظ النايم فيتاهب للصبح قال في الهدي وانقلب على
بعض الرواة فقال ان ابن ام مكتوم ينادي بليل فكلوا واشربوا حتى ينادي بلال الحديث
وقد علمت انه لا قلب وانما كانا يتناوبان فكان بلال رضي الله تعالى عنه تارة يوذن
بليل وابن ام مكتوم عند الفجر الثاني وتارة يكون ابن ام مكتوم بالعكس فوقع كل من
الاحاديث باعتبار ما هو موجود عند النطق ولم يكن بين اذانيهما الا ان ينزل هذا ويرقى
هذا اي ينزل المؤذن الاول من اذانه ويرقى المؤذن الثاني ما ذكر ممن كان يوذن اولا
يتربص بعد اذانه للدعا ثم يرقب الفجر فاذا قارب طلوعه نزل فاخبر صاحبه فيرقى
ويؤذن مع الفجر او عقبه من غير فاصل وهذا هو المراد مما قيل ان ابن ام مكتوم كان
لا يوذن حتى يقال له اصبحت اصبحت وعن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما كان ابن ام مكتوم
رضي الله عنه يتوخى الفجر فلا يخطيه وفي ابي داود عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما ان
بلالا اذن قبل طلوع الفجر فامره صلى الله عليه وسلم ان يرجع فينادي الا ان العبد
نام فرجع فنادى الا ان العبد نام الا ان العبد نام اي غفل عن الوقت او رجع
لينام لبقاء الليل ولعل هذا كان قبل ان يتخذ ابن ام مكتوم موذنا ثانيا وكان اذان بلال
في هذه المدة بعد اذان ابن ام مكتوم على ما تقدم فلا مخالفة والثابت في الجمعة اذان
واحد كان يفعل بين يديه صلى الله عليه وسلم اذا صعد المنبر وجلس عليه كذا قال فقهاؤنا
مستدلين على ذلك بحديث البخاري عن السايب بن يزيد قال كان التاذين يوم الجمعة حين
يجلس الامام على المنبر في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وابي بكر وعمر رضي الله تعالى
عنهما وليس فيه ان ذلك الاذان كان بين يديه صلى الله عليه وسلم ولما كثر المسلمون امر
عثمان رضي الله تعالى عنه اي وقيل عمر رضي الله تعالى عنه وقيل معاوية رضي الله تعالى
عنه بان يوذن قبله على المنارة وعبارة بعضهم وفي السنة التاسعة والعشرين زاد عثمان
رضي الله تعالى عنه النداء على الزوراء يوم الجمعة ليسمع الناس فياتوا الى المسجد واول من
احدثه بمكة الحجاج والتذكير قبل الاذان الاول الذي هو التسبيح احدث بعد السبعمائة
في زمن الناصر محمد بن قلاوون واول ما احدثت الصلاة والسلام على النبي صلى الله عليه وسلم
اي على الكيفية المعهودة الان بعد تمام الاذان على المنارة اي في غير المغرب في زمن السلطان
المنصور حاجي بن الاشرف شعبان بن حسن بن محمد بن قلاوون بامر المحتسب نجم الدين
الطنبدي في اواخر القرن الثامن واستمر ذلك الى الان لكن في غير اذان الصبح الثاني
وغير اذان الجمعة اول الوقت اما اذان الصبح الثاني واذان الجمعة المذكور فتقدم
الصلاة والسلام عليه صلى الله عليه وسلم على الاذان فيهما وكان احدث ذلك في زمن صلاح
الدين يوسف بن ايوب ولعل الحكمة في ذلك اما في الاول فلاستيقاظ النايم واما في الثاني
فلاجل حصول التبليغ المطلوب في الجمعة ولا يخفى ان من السنة مطلق الصلاة والسلام
عليه صلى الله عليه وسلم بعد فراغ الاذان ففي مسلم اذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول ثم صلوا علي

وقس بذلك الاقامة فالاذان والاقامة من المواطن التي تستحب فيها الصلاة والسلام
على النبي صلى الله عليه وسلم لقوله تعالى ورفعنا لك ذكرك فقد قيل في معناه لا اذكر
الا وتذكر معي لكن بعد فراغهما لا عند الابتداء بهما كما يقع لبعض الاروام ان يقيم المقيم
للصلاة عند ابتداء الاقامة اللهم صل على سيدنا محمد الله اكبر الله اكبر ومن البدع التطريب
في الاذان والتلحين وفي كلام امامنا الشافعي رضي الله تعالى عنه ويكون الاذان مرسلا
بغير تمطيط ولا تغني قيل التمطيط وهو التفريط في المد والتغني ان يرفع صوته حتى يجاوز
المقدار المشروع ومن البدع رفع المؤذنين اصواتهم بتبليغ التكبير لمن بعد عن الامام من
المقتدين قال بعضهم ولا باس به لما فيه من النفع اي حيث لم يبلغهم صوت الامام بخلاف
ما اذا بلغهم وفي كلام بعضهم التبليغ بدعة منكرة باتفاق الائمة الاربعة حيث بلغ المأمومين
صوت الامام ومعنى منكرة انها مكروهة واول ما احدث التسبيح بالاسحار في زمن
موسى عليه الصلاة والسلام حين كان بالتيه واستمر ذلك الى ان بنى داود عليه السلام
بيت المقدس فرتب فيه جماعة يقومون به على الالات في ثلث الليل الاخير يقومون به على
الالات عند الفجر واول حدوثه في ملتنا كان بمصر امر به اميرها من قبل معاوية رضي الله
تعالى عنه مسلمة بن مخلد الصحابي رضي الله تعالى عنه فانه لما اعتكف بجامع عمرو وسمع اصوات
النواقيس عالية فشكى ذلك الى شرحبيل بن عامر عريف المؤذنين بجامع عمرو ففعل ذلك من نصف
الليل الى قرب الفجر ومسلمة هذا تولى مصر من معاوية بعد عتبة بن ابي سفيان اخو معاوية
وعتبة تولاها حين مات اميرها عمرو بن العاص رضي الله تعالى عنه وهذا مما يدل على ان
عمرو بن العاص مدفون بمصر وكان عتبة رضي الله تعالى عنه خطيبا فصيحا قال الاصمعي
الخطباء من بني امية عتبة بن ابي سفيان وعبد الملك بن مروان خطب عتبة يوما اهل مصر فقال
يا اهل مصر خف على السنتكم مدح الحق ولا تاتونه وذم الباطل وانتم تفعلونه كالحمار يحمل
اسفارا يثقله حملها ولا ينفعه علمها واني لا اداوي داءكم الا بالسيف ولا ابلغ السيف ما كفاني
الصوت ولا ابلغ الصوت ما صلحتم على الدرة فالزموا ما الزمكم الله لنا تستوجبوا ما فرض الله
لكم علينا وهذا يوم ليس فيه عقاب ولا بعده عتاب ومما يؤثر عنه رضي الله تعالى عنه ازدحام
الكلام في السمع مضلة للفهم وقال لبنيه يوما تلقوا النعم بحسب مجاورتها والتمسوا المزيد
منها بالشكر عليها ومسلمة اول من جعل بنيان المنابر التي هي محل التاذين في المساجد فلما
تولى احمد بن طولون رتب جماعة يكبرون ويسبحون فلما ولي صلاح الدين يوسف بن ايوب
رحمه الله تعالى وحمل الناس على اعتقاد مذهب الامام ابي الحسن الاشعري والخروج عما كان
يعتقده الفواطم امر المؤذنين ان يعلنوا وقت التسبيح بذكر العقيدة المرشدة وقد وقفت
عليها فاذا هي ثلاث ورقات ولم اقف على اسم مؤلفها فواظبوا على ذكرها كل ليلة
قيل في سبب نزول قوله تعالى قل كل من عند الله ان اليهود قالوا في حق رسول الله
صلى الله عليه وسلم منذ دخل المدينة نقصت ثمارها وغلت اسعارها فرد الله عليهم بقوله

قل كل من عند الله

قل كل من عند الله بسط الارزاق وقبضها وعند ظهور الاسلام وقوته في المدينة
قامت نفوس احبار يهود ونصبوا العداوة لرسول الله صلى الله عليه وسلم فنزل قوله
تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم قد بدت البغضاء من افواههم وما تخفي صدورهم اكبر
الى قوله ان تمسسكم حسنة تسؤهم وعن صفية ام المؤمنين رضي الله تعالى عنها بنت
حيي بن اخطب قالت كنت احب ولد ابي اليه والى عمي ابي ياسر اي وكانا من اكابر احبار
اليهود واعظمهم فلما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة غدوا اليه ثم جاآ من
العشي فسمعت عمي يقول لابي اهو هو قال نعم والله قال اتعرفه قال نعم والله قال
فما في نفسك منه قال عداوته والله ما بقيت قالت وفي رواية انها قالت ان عمي ابا
ياسر حين قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ذهب اليه وسمع منه وحادثه ثم رجع
الى قومه فقال يا قوم فان الله قد جاءكم بالذي كنتم تنتظرونه فاتبعوه ولا تخالفوه ثم
انطلق ابي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وسمع منه ثم رجع الى قومه فقال لهم اتيت
من عند رجل والله لا ازال له عدوا فقال له اخوه ابو ياسر يا ابن ام اطعني في هذا
الامر واعصني فيما شئت بعد لا تهلك فقال والله لا نطيعك انتهى اي ثم وافق اخاه حيي
فكانا اشد الناس عداوة لرسول الله صلى الله عليه وسلم جاهدين في رد الناس عن الاسلام
بما استطاعا فانزل الله فيهما وفيمن كان وافقهما وكان موافقا لهما ود كثير من اهل
الكتاب لو يردونكم من بعد ايمانكم كفارا حسدا من عند انفسهم من بعد ما تبين لهم الحق
اي وحيي بن اخطب هذا قيل هو الذي قال لما نزل قوله تعالى من ذا الذي يقرض الله قرضا
حسنا يستقرضنا ربنا وانما يستقرض الفقير الغني فانزل الله تعالى لقد سمع الله قول
الذين قالوا ان الله فقير ونحن اغنياء وقيل في سبب نزولها ان ابا بكر رضي الله تعالى
عنه دخل بيت المدراس فقال لفنحاص اتق الله واسلم فوالله انك لتعلم ان محمدا رسول
الله فقال والله يا ابا بكر ما لنا الى الله من فقر وانه الينا لفقير فغضب ابو بكر رضي الله تعالى
عنه وضرب وجه فنحاص ضربا شديدا وقال لولا العهد الذي بيننا وبينك لضربت عنقك فشكاه
فنحاص الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر له ابو بكر ما كان منه فانكر قوله ذلك فنزلت
الاية اي وقيل في سبب نزولها ايضا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ارسل ابا بكر الى فنحاص
بن عازوراء بكتاب وكان انفرد بالعلم والسيادة على يهود بني قينقاع بعد اسلام عبد الله بن
سلام يامرهم في ذلك الكتاب بالاسلام واقام الصلاة وايتاء الزكاة وان يقرضوا الله قرضا حسنا
فلما قرا فنحاص الكتاب قال قد احتاج ربكم نمده وفي رواية قال يا ابا بكر تزعم ان ربنا يستقرضنا
اموالنا وما يستقرض الا الفقير من الغني فان كان حقا ما تقول فان الله اذا الفقير ونحن اغنياء
فضرب ابو بكر رضي الله تعالى عنه وجه فنحاص ضربا شديدا وقال لقد هممت ان اضربه بالسيف
وما منعني ان اضربه بالسيف الا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما دفع الي الكتاب قال لي
لا تفتت علي بشيء حتى ترجع الي فجاء فنحاص الى النبي صلى الله عليه وسلم وشكا ابا بكر رضي الله عنه

الصلاة مع

فقال صلى الله عليه وسلم ما حملك على ما صنعت قال يا رسول الله ما حملك انه قال قولا عظيما
زعم ان الله فقير وانهم اغنيا فغضبت لله تعالى فقال فنحاص والله ما قلت هذا فنزلت
الاية تصديقا لابي بكر رضي الله تعالى عنه وقد قال بعض اليهود لبعض العلما انما قلنا ان
الله فقير ونحن اغنيا لانه استقرض اموالنا فقال له ان كان استقرضها لنفسه فهو
فقير وان كان استقرضها لفقرايكم فهو الغني الحميد ومن شدة عداوتهم اي اليهود ان
لبيد بن الاعصم اليهودي سحر النبي صلى الله عليه وسلم في مشط اي له صلى الله عليه وسلم
وقيل في اسنانه من مشط صلى الله عليه وسلم ومشاطة وهي ما يخرج من الشعر اذا مشط اي
من شعر راسه صلى الله عليه وسلم اعطاها لهم غلام يهودي كان يخدمه صلى الله عليه وسلم
وجعل مثالا من شمع وقيل من عجين كمثال رسول الله صلى الله عليه وسلم وغرز فيه الابر وجعل معهم
وترا عقد فيه احدى عشر عقدة وفي لفظ ان الابر كانت في العقد ودفن ذلك تحت راعوفة
في بير ذي اروان وقد مسخ الله تعالى ماها حتى صار كنقاعة الحنا فكان يخيل اليه صلى
الله عليه وسلم ان يفعل الفعل وهو لا يفعله اي ومكث صلى الله عليه وسلم في ذلك سنة
وقيل ستة اشهر وقيل اربعين يوما قال بعضهم ويمكن ان تكون السنة والستة
اشهر من ابتدا تغير مزاجه الشريف وان مدة اشتداده كانت في الاربعين وقيل اشتد عليه
ثلاثة ايام وقد يقال هي اشد الاربعين فلا منافاة وعند ذلك نزل جبريل عليه السلام وقال
له ان رجلا من اليهود وقال له ان رجلا من اليهود سحرك وعقد لك عقد ودفنها بمحل كذا فارسل
صلى الله عليه وسلم عليا فاستخرجها فجا بها فجعل كلما حل عقدة وجد صلى الله عليه وسلم بتركه
خفة حتى قام كانما نشط من عقال وفي رواية ان اليهودي دفن ذلك بقربه فانزل الله تبارك
وتعالى قل اعوذ برب الفلق وسورة الناس وهما احدى عشرة اية سورة الفلق خمس ايات وسورة
الناس ست ايات كلما قرا اية انحلت عقدة حتى انحلت العقد كلها وفي لفظ فاذا وتر فيه احدى عشرة
عقدة مغروزة بالابر فلم يقدروا على حل تلك العقد فنزلت المعوذتان فكلما قرا جبريل عليه السلام
اية انحلت عقدة ووجد صلى الله عليه وسلم بعض الخفة حتى قام انحلال العقدة الاخيرة كانما
نشط من عقال وجعل جبريل عليه السلام يقول بسم الله ارقيك والله يشفيك من كل دا يؤذيك
اي ولعله كان يقول ذلك عند حل كل عقدة بعد قراة الاية اي وكان ذلك بين الحديبية وخيبر
وذكر بعضهم انه بعد فتح خيبر جات رؤسا يهود الذين بقوا في المدينة ممن يظهر الاسلام الى
لبيد بن الاعصم وكان اعلمهم بالسحر فقالوا له يا ابا الاعصم قد سحرنا محمدا فسحر منا الرجال
فلم يصنع شيا اي لم يؤثر سحرهم وانت ترى اثره فينا وخلافه في ديننا ومن قتل واجلى ونجعل
لك على سحره ثلاث دنانير ففعل ذلك ثم انه صلى الله عليه وسلم قال جاني رجلان اي وهما جبريل
وميكايل عليهما السلام كما في بعض طرق الحديث فقعد احدهما عند راسي والاخر عند رجلي
فقال احدهما ما وجع الرجل فقال الاخر مطبوب اي مسحور فقال من طبه قال لبيد بن الاعصم
قال فيم قال في مشط ومشاطة وفي لفظ ومشاقة اي وهي المشاطة وقيل هي مشاقة الكتان

وجف بالجيم والكاف وقيل بالباء الموحدة طلعة ذكر اي غشا طلعة الذكر الذي يقال له
كوز الطلع قال فاين هو قال في بير ذروان على وزن مروان وفي لفظ في بير ذي اروان
وفي لفظ بير ذي روان وعليه اقتصر في الامتاع تحت صخرة في الما قال فما دوا ذلك
قال تنزح البير ثم تقلب الصخرة فتوجد الكدية فيها تمثال احدى عشرة عقدة فتحرق
فانه يبرا باذن الله تعالى ثم انه صلى الله عليه وسلم احضر لبيدا فاعترف فعفى عنه
لما اعتذر له بان الحامل له على ذلك حب الدنانير وقيل له يا رسول الله لو قتلته فقال
فقال صلى الله عليه وسلم قد عافاني الله وما وراءه من عذاب الله اشد ويحتاج الى
الجمع بين كون جبريل عليه السلام قال له سحرك الخ وكونه جاه رجلان فقعد احدهما
عند راسه والاخر عند رجليه فقال احدهما للاخر ما وجع الرجل الخ قيل وهذا اي
قتل الساحر ربما يعارض القول بان الساحر يتحتم قتله وفيه انه عندنا لا يتحتم قتله
ولا يقتل الا اذا قتل بسحره واعترف بان سحره يقتل غالبا ولبيد هذا قيل انه اول من
قال بنفي صفات الباري جل وعلا وقال بها الجهم بن صفوان واظهرها فقيل لاتباعه
في ذلك الجهمية فعند ذلك بعث صلى الله عليه وسلم عليا كرم الله تعالى وجهه وعمار
بن ياسر رضي الله تعالى عنهما الى تلك البير فاستخرجا ذلك وقيل الذي استخرج السحر
بامر رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي الصحيح عن عايشة رضي الله تعالى عنها انه
صلى الله عليه وسلم توجه الى البير مع جماعة من اصحابه فاذا ماوها كانه خضب الحنا
فاستخرجوا اي النبي صلى الله عليه وسلم وجماعته منها ذلك ويحتاج الى الجمع بين
كونه صلى الله عليه وسلم ارسل لاستخراج السحر عليا كرم الله تعالى وجهه وكونه
بعث لاستخراج السحر عليا وعمار بن ياسر وكونه امر قيس بن محصن باستخراجه وكونه
صلى الله عليه وسلم ذهب هو وجماعته لاستخراجه فاذا وتر فيه احدى عشرة عقدة اي
واذا فيها ابرة مغروزة ونزلت المعوذتان فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم كلما قرا
اية انحلت عقدة حتى انحلت العقد فذهب عنه صلى الله عليه وسلم ما كان يجد اي
ولا ينافي ما تقدم ان القاري لذلك جبريل عليه السلام لجواز ان يكون كلاهما في
صار يقرا الاية وانه صلى الله عليه وسلم صار يقرا بعد قراة جبريل عليه السلام وفي
الامتاع عن عايشة رضي الله تعالى عنها انها قالت له صلى الله عليه وسلم افلا استخرجته
قال لا اما انا فقد عافاني الله وكرهت ان اثير على الناس شرا ومراد عايشة رضي
الله تعالى عنها بقولها افلا استخرجته اي السحر اي هلا استخرجت السحر من
الجف والمشاط حتى تنظر اليه فقال صلى الله عليه وسلم اكره ان اثير على الناس شرا
قال ابن بطال اي يخرجه فيتعلم منه بعض الناس فذلك هو الذي كرهه صلى الله
عليه وسلم وذكر السهيلي رحمه الله تعالى انه يجوز ان يكون الشر غير هذا وهو
انه لو ظهر للناس لربما قتلته طايفة من المسلمين ويغضب اخرون من عشيرته فيثور شر

ومن عائشة رضي الله تعالى عنها انه قالت له صلى الله عليه وسلم هل تنشرت اي استعملت
النشرة قال بعضهم وفيه دليل على عدم كراهة استعمال النشرة حيث لم ينكر صلى الله عليه
وسلم ذلك عليها وكرهها جمع واستدلوا بحديث في ابي داود مرفوعا النشرة من عمل
الشيطان وحمل ذلك على النشرة التي تصحبها العزايم المشتملة على الاسماء التي لا تفهم فأمر
صلى الله عليه وسلم بها فدفنت اي تلك البير وحفروا بيرا اخرى فاعانهم رسول الله
صلى الله عليه وسلم في حفرها حيث طوا الاخرى التي سحر فيها هذا كلامه فليتأمل مع
ما قبله وقيل انما سحره صلى الله عليه وسلم بنات اعصم اخوات لبيد ودخلت
احداهن على عائشة فسمعت عائشة تذكر ما انكر رسول الله صلى الله عليه وسلم من بصره
ثم خرجت الى اخواتها فاخبرتهن بذلك فقالت احداهن ان يكن نبيا فسيخبره وان
يكن غير ذلك فسيدهله هذا السحر حتى يذهب عقله فدله الله تعالى عليه وقد جمع
بين كون الساحر له لبيد وكون الساحر له اخوات لبيد ان الساحر له اخوات لبيد
ونسب السحر الى لبيد لانه هو انه الذي ذهب به فادخله تحت راعوفة البير
اي القعر كما تقدم ولا منافاة لجواز ان يكون وضعه في القبر مدة ثم اخرجه منه
ووضعه تحت تلك الراعوفة اي وهي حجر يوضع على راس البير يقوم عليه المستقي
وقد يكون في اسفل البير يجلس عليه منظف البير اي والثاني هو المراد بدليل ما
سبق وفي النهر لابي حيان رحمه الله تعالى ونص القران والحديث ان السحر له
تخييل اي لا يقلب الاعيان ولا شك في وجوده في زمن الرسول صلى الله عليه
وسلم واما في زماننا الان فكلما وقفنا عليه من كتبه فهو كذب وافترا لا يترتب عليه
شيء ولا يصح منه شيء البتة وطعنت المعتزلة وطوايف من اهل البدع في كونه صلى
الله عليه وسلم سحر وقالوا لا يجوز على الانبيا ان يسحروا ولو جاز ان يسحروا
لجاز ان يجنوا وقد عصموا من الناس ورد بان الحديث الدال على ذلك صحيح والعصمة
انما وجبت لهم في عقولهم واديانهم واما ابدانهم فيبتلون فيها والسحر انما اثر في
بعض جوارحه صلى الله عليه وسلم فقد تقدم عن عائشة رضي الله تعالى عنها من
ذكرها ما انكر صلى الله عليه وسلم من بصره لكن تقدم انه صلى الله عليه وسلم صار
يخيل له انه يفعل الشيء ولا يفعله وهذا متعلق بالعقل ثم رأيت ابا بكر بن العربي
رحمه الله تعالى قال لم ينقل كل الرواة انه اختلط عليه امر وانما هذا اللفظ زيد
في الحديث لا اصل له قال ومثل هذه الاخبار من وضع الملحدين تلعبا واستجرارا
الى القول بابطال معجزات الانبيا عليهم الصلاة والسلام والقدح فيها وانه لا فرق
بين معجزات الانبيا وبين فعل السحر وان جميعه من نوع واحد هذا كلامه فليتأمل
وممن كان حريصا على رد الناس عن الاسلام شاس بن قيس كان شديد الطعن على
المسلمين شديد الحسد لهم مر يوما على الانصار الاوس والخزرج وهم مجتمعون

يتحدثون

يتحدثون فغاظه ما راى من الفتهم بعد ما كان بينهم من العداوة فقال قد اجتمع
بنو قيلة والله ما لنا معهم اذا اجتمعوا من قرار فامر فتى شابا من يهود فقال
اعمد اليهم فاجلس معهم ثم اذكر يوم بعاث اي يوم الحرب الذي كان بينهم وما
كان فيه وانشدهم ما كانوا يتقاولون به من الاشعار ففعل فتكلم القوم عند ذلك
اي قال احد الحيين قد قال شاعرنا كذا وقال الاخر وقد قال شاعرنا كذا وتنازعوا
وتواعدوا على المقاتلة اي قالوا ان شئتم رددنا الحرب جذعا كما كانت فنادى هولا
يا ال الاوس ونادى هولا يا ال الخزرج ثم خرجوا اليها وقد اخذوا السلاح واصطفوا
للقتال فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج اليهم فيمن كان معه من
المهاجرين حتى جاهم فقال يا معشر المسلمين الله الله اي اتقوا الله ابدعوى الجاهلية
اي وهي يا للخزرج يا للاوس وانا بين اظهركم بعد ان هداكم الله الى الاسلام واكرمكم به
وقطع به عنكم امر الجاهلية واستنقذكم به من الكفر والف به بينكم فعرف القوم
انها نزغة من الشيطان وكيد من عدوهم فبكوا وعانق الرجال من الاوس الرجال من
الخزرج ثم انصرفوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله تعالى في شاس بن
قيس يا اهل الكتاب لم تصدون عن سبيل الله من امن تبغونها عوجا الاية وقد جا
في ذم هذه الكلمة التي هي دعوى الجاهلية وهي يا ال فلان قوله صلى الله عليه وسلم
اذا رايتم الرجل يتعزى بعزا الجاهلية فاعضوه بهن ابيه ولا تكنوا اي قولوا له
اعضض على ذكر ابيك ولا تكنوا عنه بالهن فلا تقولوا له على هن ابيك بل قولوا على ذكر
ابيك تنكيلا وزجرا عما اتى به اي وقد كان انزل الله فيهم يا ايها الذين امنوا ان
تطيعوا فريقا من الذين اوتوا الكتاب الاية وقد قراها رسول الله صلى الله عليه وسلم
عليهم وهو بين الصفين رافعا بها صوته فالقوا السلاح وفعلوا ما تقدم وعن
ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ان يهود كان يستفتحون اي يستنصرون على الاوس
والخزرج برسول الله صلى الله عليه وسلم اي يقولون سيبعث نبي صفته كذا وكذا
نقتلكم معه قتل عاد وارم كما تقدم عند مبايعة العقبة فقال لهم معاذ بن جبل
رضي الله تعالى عنه وبشر بن البرا رضي الله تعالى عنهما يا معشر يهود اتقوا الله واسلموا
فقد كنتم تستفتحون علينا بمحمد ونحن اهل شرك وكفر وتخبرونا انه مبعوث وتصفوه
لنا بصفته فقال سلام اي بالتشديد بن مشكم من عظما يهود بني النضير ما جانا
بشي نعرفه ما هو الذي كنا نذكره لكم فانزل الله تعالى في ذلك قوله تعالى ولما جاهم
كتاب من عند الله مصدق لما معهم وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا
فلما جاهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين وقيل في سبب نزول قوله
تعالى ما انزل على بشر من شي انه صلى الله عليه وسلم قال لمالك بن الصيف وكان
رئيسا على اليهود انشدك بالذي انزل التوراة على موسى عليه السلام هل تجد فيها

ان الله يبغض الحبر السمين فانت الحبر السمين قد سمنت من مالك الذي تطعمك اليهود فضحك القوم فغضب والتفت الى عمر فقال ما انزل الله على بشر من شيء فقال له قومه اليهود وما هذا الذي بلغنا عنك فقال انه اغضبني فنزعوه من الرياسة وجعلوا مكانه كعب بن الاشرف اي لان في قوله المذكور طعنا في التوراة **وقيل** ان يهود المدينة من بني قريظة وبني النضير وغيرهم كانوا اذا قاتلوا من يليهم من مشركي العرب من اسد وغطفان وجهينة وعذرة قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم يقولون اللهم انا نستنصرك بحق النبي الامي الذي وعدت انك باعثه في اخر الزمان الا نصرتنا عليهم **وفي لفظ** قالوا اللهم انصرنا بالنبي المبعوث في اخر الزمان الذي نجد نعته وصفته في التوراة فينصرون **وفي لفظ** ان يهود خيبر يقولون اللهم ابعث النبي الامي الذي نجده في التوراة يعذبهم ويقتلهم **وفي لفظ** ان يهود خيبر كانت تقاتل غطفان فكلما التقوا هزمت اليهود فدعت يوما اللهم انا نسالك بحق محمد النبي الامي الذي وعدتنا ان تخرجه لنا في اخر الزمان الا نصرتنا عليهم فكانوا اذا التقوا دعوا بهذا الدعا فيهزمون غطفان **وصار** اليهود يسالونه صلى الله عليه وسلم عن اشيا ليلبسوا الحق بالباطل اي ومن جملة ما سالوه صلى الله عليه وسلم عن الروح **فعن** ابن مسعود رضي الله تعالى عنه قال كنت امشي مع النبي صلى الله عليه وسلم في حرث المدينة يتوكا على عسيب اي جريدة من جريد النخل اذ مر بنفر من اليهود فقال بعضهم لبعض لا تسالوه لئلا يسمعكم ما تكرهون وفي رواية لئلا يستقبلكم بشيء تكرهونه اي يجيبكم بما هو دليل عندكم على انه النبي الامي اي وانتم تنكرون نبوته صلى الله عليه وسلم فقاموا اليه فقالوا يا محمد وفي رواية يا ابا القاسم ما الروح وفي رواية اخبرنا عن الروح فسكت قال ابن مسعود فظننت انه يوحى اليه فقال ويسالونك عن الروح اي التي بها يكون الحيوان حيا قل الروح من امر فقالوا هكذا نجد في كتابنا اي التوراة وقد تقدم الكلام على ذلك عند الكلام على فترة الوحي وتقدم عن صاحب الافصاح انه انما سال اليهود عن الروح تعجيزا وتغليطا لان الروح تطلق بالاشتراك على الروح للانسان وعلى القران وعلى عيسى عليه الصلاة والسلام وعلى جبريل عليه السلام وعلى ملك اخر وعلى صنف من الملائكة فقصد اليهود انه اي شيء اجابهم به قالوا ليس هو فجاءهم الجواب مجملا فكان هذا الجواب لرد كيدهم لان كل واحد مما ذكر امر من مامورات الحق تعالى **ولما انزل** الله تعالى في حق اليهود وما اوتيتم من العلم الا قليلا قالوا اوتينا علما كثيرا اوتينا التوراة ومن اوتي التوراة فقد اوتي خيرا كثيرا فانزل الله تعالى قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي لنفد البحر قبل ان تنفد كلمات ربي ولو جئنا بمثله مددا **وفي الكشاف** انهم قالوا نحن مخصوصون بهذا الخطاب ام انتم معنا فيه فقال صلى الله عليه وسلم نحن وانتم لم نوت من العلم الا قليلا فقالوا ما اعجب شانك ساعة تقول ومن يوت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا وساعة

تقول

تقول هذا فنزلت هذه الاية فنزلت ولو ان ما في الارض من شجرة اقلام والبحر يمده من بعده سبعة ابحر ما نفدت كلمات الله هذا كلامه **وسالوه** صلى الله عليه وسلم متى الساعة ان كنت نبيا فانزل الله تعالى يسالونك عن الساعة ايان مرساها قل انما علمها عند ربي اي وجا يهوديان الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسالاه عن قول الله تعالى ولقد اتينا موسى تسع ايات بينات فقال لهما لا تشركوا بالله شيئا ولا تزنوا ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق ولا تسرقوا ولا تسحروا ولا تمشوا ببريء الى سلطان ولا تاكلوا الربا ولا تقذفوا محصنة وعليكم يا يهود خاصة ان لا تعتدوا في السبت فقبلا يديه ورجليه صلى الله عليه وسلم وقالا نشهد انك نبي قال ما يمنعكما ان تسلما فقالا نخاف ان اسلمنا تقتلنا يهود **اي وسالوه** صلى الله عليه وسلم عن خلق السموات والارض اي في اي زمن وما بينهما اي مدة ما بينهما فقال صلى الله عليه وسلم خلق الله الارض يوم الاحد والاثنين وخلق الجبال وما فيها يوم الثلاثا اي ولذلك يقول الناس انه يوم ثقيل وخلق الشجر والماء والمداين والعمران والخراب يوم الاربعا وخلق السموات يوم الخميس وخلق الشمس والقمر والنجوم والملائكة يوم الجمعة قالوا ثم ماذا يا محمد قال ثم استوى على العرش قالوا قد اصبت لو قلت ثم استراح اي لو قلت هذا اللفظ اي لانهم يقولون انه استراح يوم السبت ومن ثم يسمونه يوم الراحة فانزل الله قوله ولقد خلقنا السموات والارض وما بينهما في ستة ايام وما مسنا من لغوب اي تعب فاصبر على ما يقولون **وفي رواية** خلق الله الارض يوم الاحد والاثنين وخلق الجبال يوم الثلاثا وخلق الانهار والاشجار يوم الاربعا وخلق الطير والوحش والسباع والهوام والافة يوم الخميس وخلق الانسان يوم الجمعة وفرغ من الخلق يوم السبت **وهذا** يشكل على ما تقدم ان مبدا الخلق يوم السبت حتى يكون اخر الاسبوع الجمعة وهو الراجح على ما تقدم **وقد قيل** في سبب نزول قوله تعالى شهد الله انه لا اله الا هو والملائكة واولوا العلم قائما بالقسط لا اله الا هو العزيز الحكيم ان الدين عند الله الاسلام ان حبرين من احبار الشام لم يعلما ببعثته صلى الله عليه وسلم فقدما المدينة فقال احدهما للاخر ما اشبه هذه بمدينة النبي الخارج في اخر الزمان فاخبرا بمهاجرة النبي صلى الله عليه وسلم ووجوده في تلك المدينة فلما راياه صلى الله عليه وسلم قالا له انت محمد قال نعم قالا نسالك مسيلة ان اخبرتنا بها امنا فقال سلاني فقالا اخبرنا عن اعظم الشهادة في كتاب الله تعالى فنزلت هذه الاية فتلاها صلى الله عليه وسلم عليهما فامنا **قال** وعن قتادة رضي الله تعالى عنه ان رهطا من اليهود جاوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا محمد هذا الذي خلق الجن والانس فمن خلقه وفي لفظ خلق الله الملائكة من نور الحجاب وادم من حما مسنون وابليس من لهب النار والسما من دخان والارض من زبد الما فاخبرنا عن ربك اي من اي شيء خلق فغضب صلى الله عليه وسلم حتى انتقع لونه فجاء جبريل

عليه السلام وقال له صلى الله عليه وسلم خفض عليك وانزل الله عليه قل هو الله احد
الله الصمد لم يلد ولم يولد السورة اي متوحد في صفات الجلال والكمال منزه عن الجسمية
واجب الوجود لذاته اي اقتضت ذاته وجوده مستغن عن غيره وكل ما عداه محتاج اليه
انتهى اقول ونزول جبريل عليه السلام بذلك ربما يدل على انه صلى الله عليه وسلم
توقف ولم يدر ما يقول كما وقع له صلى الله عليه وسلم لما ساله عبد الله بن سلام رضي
الله تعالى عنه وقال له صف ربك كما سياتي ثم رايت عن الشيخين وغيرهما ان ابن مسعود
رضي الله تعالى ذكر في سبب نزول هذه السورة غير ما ذكر ولعله ما سياتي في قصة اسلام
بن سلام ولا مانع من تكرر النزول لاسباب مختلفة ثم رايته في الاتقان ذكر ان سورة
الاخلاص تكرر نزولها فنزلت جوابا للمشركين بمكة وجوابا لاهل الكتاب بالمدينة وقال
قبل ذلك انها انما نزلت بالمدينة وعلى دعوى تكرر نزولها حيث سئل اولا نزلت جوابا
كيف يتوقف صلى الله عليه وسلم ثانيا عند السؤال الثاني حتى يحتاج الى نزولها مع بعد
نسيان ذلك له صلى الله عليه وسلم ثم رايت عن البرهان انه قال قد ينزل الشيء مرتين
تعظيما لشانه وتذكيرا عند حدوث سببه خوف نسيانه وهو كما ترى لا يدفع التوقف
وكان من اعلم احبار يهود عبد الله بن سلام بالتخفيف وكان قبل ان يسلم اسمه الحصين
فلما اسلم سماه رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله وكان من ولد يوسف عليه السلام
اي وقد اثنى الله تعالى عليه في قوله تعالى وشهد شاهد من بني اسرائيل على مثله فامن
واستكبرتم وكان من يهود بني قينقاع كما تقدم جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم وسمع
كلامه اي في اول يوم دخل فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم دار ابي ايوب اي ولعل
ذلك الذي سمعه من النبي صلى الله عليه وسلم هو قوله ايها الناس افشوا السلام وصلوا
الارحام واطعموا الطعام وصلوا بالليل والناس نيام تدخلوا الجنة بسلام فعنه رضي
الله تعالى عنه قال لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة انجفل اليه الناس اي
بالجيم اسرعوا فكنت من اتى اليه اي وهذا يدل على انه رضي الله تعالى عنه جاءه في قباء
وسياتي قال فلما رايت وجهه صلى الله عليه وسلم عرفت انه غير وجه كذاب اي لان
صورته وهيئته وسمته صلى الله عليه وسلم تدل العقلاء على صدقه صلى الله عليه وسلم
وانه لا يقول الكذب قال عبد الله رضي الله تعالى عنه فسمعته صلى الله عليه وسلم يقول
ايها الناس الخ اي ولا مانع ان يكون ذلك تكرر منه صلى الله عليه وسلم وعند ذلك
قال اشهد انك رسول الله حقا وانك جئت ثم رجعت الى اهل بيتي فامرتهم فاسلموا
وكتمت اسلامي من اليهود ثم جئته صلى الله عليه وسلم اي في بيت ابي ايوب وقلت له
لقد علمت اليهود اني سيدهم وابن سيدهم واعلمهم وابن اعلمهم فاخبئني يا رسول الله
قبل ان يدخلوا عليك فادعهم فاسالهم عني قبل ان يعلموا اني اسلمت فانهم قوم بهت
اي بضم الباء والهاء اي اجهون الانسان بالباطل واعظم قوم عضيهة اي كذبا والهم

ان يعلموا باسلامي قالوا في ما ليس في وخذ عليهم ميثاقا اني ان اتبعتك وامنت بكتابك ان
يؤمنوا بك وبكتابك الذي انزل عليك فارسل رسول الله صلى الله عليه وسلم اليهم فدخلوا
عليه فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم يا معشر يهود ويلكم اتقوا الله فوالله الذي
لا اله الا هو انكم لتعلمون اني رسول الله حقا واني جئتكم بحق اسلموا قالوا ما نعلم
فاعاد ذلك عليهم ثلاثا وهم يجيبونه كذلك قال فاي رجل فيكم ابن سلام قالوا ذلك سيدنا
وابن سيدنا واعلمنا وابن اعلمنا وفي رواية خيرنا وابن خيرنا بالخاء المعجمة والياء المثناة
تحت افعل تفضيل وقيل بالمهملة والباء الموحدة اي اعلمنا بكتاب الله سيدنا وعالمنا وافضلنا
قال ان شهد اني رسول الله وامن بالكتاب الذي انزل علي تؤمنوا قالوا نعم فدعاه
فقال يا ابن سلام اخرج عليهم فخرج عليهم فقال يا عبد الله بن سلام الم تعلم اني رسول
الله تجدني عندكم مكتوبا في التوراة والانجيل اخذ الله عليكم ميثاقكم ان تؤمنوا بي
وتتبعوني من ادركني منكم فقال ابن سلام بلى يا معشر يهود ويلكم اتقوا الله والله الذي
لا اله الا هو انكم لتعلمون انه رسول الله حقا وانه جاء بالحق قال زاد في رواية انكم
لتعلمون انه رسول الله تجدونه مكتوبا عندكم في التوراة اسمه وصفته فقالوا كذبت
انت اشرنا وابن اشرنا وهذه لغة رديئة والفصحى شرنا وابن شرنا بغير همز وهي رواية
البخاري قال ابن سلام هذا الذي كنت اخاف يا رسول الله الم اخبرك انهم قوم بهت
وفجور اهل غدر وكذب وفجور انتهى فاخرجهم رسول الله صلى الله عليه وسلم واظهرت
اسلامي وانزل الله تعالى قل ارايتم ان كان من عند الله يعني الكتاب والرسول وكفرتم
به وشهد شاهد من بني اسرائيل عليه يعني عبد الله بن سلام على مثله يعني اليهود فامن
واستكبرتم ان الله لا يهدي القوم الظالمين اقول هذا السياق لا يناسب ما حكاه
في الخصائص الكبرى من تاريخ الشام لابن عساكر ان ابن سلام رضي الله تعالى عنه اجتمع
بالنبي صلى الله عليه وسلم بمكة قبل ان يهاجر فقال له النبي صلى الله عليه وسلم بمكة
قبل ان يهاجر فقال له النبي صلى الله عليه وسلم انت ابن سلام عالم اهل يثرب قال
نعم قال ناشدتك بالذي انزل التوراة على موسى عليه السلام هل تجد صفتي في كتاب
الله يعني التوراة قال انسب ربك يا محمد فارتج النبي صلى الله عليه وسلم اي توقف ولم
يدر ما يقول فقال له جبريل عليه السلام قل هو الله احد الله الصمد لم يلد ولم يولد
ولم يكن له كفوا احد فقال ابن سلام رضي الله تعالى عنه اشهد انك رسول الله وان
الله مظهرك ومظهر دينك على الاديان واني لاجد صفتك في كتاب الله تعالى يا ايها النبي
انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا انت عبدي ورسولي الى اخر ما تقدم عن التوراة فانه
يدل على ان ابن سلام اسلم بمكة وكتم اسلامه ولو كان كذلك لما قال فلما رايت وجهه صلى
الله عليه وسلم عرفت انه غير وجه كذاب ولما قال وكنت عرفت صفته وسمته ولما ساله
عن الامور الاتية ولما احتاج الى الاسلام ثانيا الا ان يقال على تسليم صحة ما قاله

ابن عساكر جاز ان يكون قال ذلك وفصل ما ذكر اقامة الحجة على اليهود وقد وقع لابن
سلام هذا انه لقي عليا كرم الله وجهه بالربذة وقد خرج بعد قتل عثمان وبعد ان
بويع بالخلافة متوجها الى البصرة لما بلغه ان عائشة وطلحة والزبير ومن معهم رضي
الله تعالى عنهم خرجوا الى البصرة في طلب دم عثمان رضي الله تعالى عنه وكان ذلك سببا
لوقعة الجمل فاخذ رضي الله تعالى عنه بعنان فرس علي كرم الله تعالى وجهه وقال
يا امير المؤمنين لا تخرج منها يعني المدينة فوالله لئن خرجت منها لا يعود اليها سلطان
ابدا فسبه بعض الناس وقال له مالك ولهذا يا ابن اليهودية فقال علي كرم الله تعالى
وجهه دعوه فنعم الرجل من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وعن ابي هريرة رضي الله
تعالى عنه قال لقيت عبد الله بن سلام فقلت له اخبرني عن ساعة الاجابة يوم الجمعة
فقال في آخر ساعة في يوم الجمعة قلت وكيف وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لا يصادفها عبد مسلم وهو يصلي وتلك الساعة لا صلاة فيها فقال ابن سلام رضي الله تعالى
عنه الم يقل رسول الله صلى الله عليه وسلم من جلس مجلسا ينتظر الصلاة فهو في صلاة حتى
يصلي وفيه ان في الصحيحين ان في يوم الجمعة ساعة لا يوافقها عبد مسلم وهو قائم
يصلي فيسال الله عز وجل شيئا الا اعطاه الله ثم رايت عن سنن ابن ماجة ان جواب
ابن سلام تلقاه عن النبي صلى الله عليه وسلم ونص السنن المذكور عن عبد الله بن
سلام قال قلت ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس انا لنجد في كتابنا يعني
التوراة في الجمعة ساعة لا يوافقها عبد مؤمن يسال الله عز وجل فيها شيئا الا قضى حاجته
قال عبد الله بن سلام فاشار الي رسول الله صلى الله عليه وسلم او بعض ساعة فقلت
صدقت يا رسول الله او بعض ساعة قلت اي ساعة هي قال آخر ساعة من ساعات
النهار قلت انها ليست ساعة صلاة قال بلى ان العبد المؤمن اذا صلى ثم جلس لا يحبسه الا الصلاة
فهو في الصلاة اي ولعل لفظ قائم في رواية الصحيحين يراد به مريد القيام للصلاة
اي صلاة العصر وقد قيل ان تلك الساعة رفعت بعد موته صلى الله عليه وسلم وقيل
هي باقية وهو الصحيح وعليه فقيل لا زمن لها معين وقيل هي في زمن معين وعليه ففي
تعيينها احد عشر قولا وقيل اربعين قولا وقد وقع لميمون بن يامين وكان راس اليهود
ومثل ما وقع لابن سلام مع اليهود فانه جاء به الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال يا رسول الله ابعث الى اليهود واجعلني حكما فانهم يرجعون الي فادخله داخلا
وارسل اليهم فجاؤه فقال لهم صلى الله عليه وسلم اختاروا رجلا يكون حكما بيني وبينكم
قالوا قد رضينا ميمون بن يامين فقال اخرج اليهم فقال اشهد انه لرسول الله
فابوا ان يصدقوه والله اعلم وقد اشار الى انكارهم نبوته صلى الله عليه وسلم مع معرفتهم
لها صاحب الهمزية رحمه الله تعالى بقوله

عرفوه وانكروه وظلما … كتمته الشهادة الشهداء

او نور الاله تطفيه الافواه … وهو الذي به يستضاء

كيف يهدي الاله منهم قلوبا … حشوها من حبيبه البغضاء

اي عرفوا انه النبي المنتظر وانكروه بظواهرهم ولاجل ظلمهم كتمته الشهادة به العارفون
به او نور الاله الذي هو النبوة تذهبه الالسن لا يكون ذلك وكيف يكون ذلك وهو
الذي يستضاء به في الظاهر والباطن كيف يوصل الاله قلوبا للحق وملؤها البغضاء
لحبيبه اقول وقيل في سبب نزول سورة قل هو الله احد ان وفد نجران لما نطقوا
بالتثليث قال لهم المسلمون من خلقكم قالوا الله قالوا لهم فلم عبدتم غيره وجعلتم معه
الهين فقالوا بل هو اله واحد لكنه حل في جسد المسيح اذ كان في بطن امه فقالوا لهم
هل كان المسيح ياكل الطعام قالوا كان ياكل الطعام فانزل الله تعالى قل هو الله احد
الله الصمد تكذيبا لهم في انه ثالث ثلاثة والصمد هو الذي لا جوف له فهو غير محتاج الى
الطعام وقيل سبب نزولها ان قريشا هم الذين قالوا له انسب الملك لنا ربك يا محمد
وتقدم ما فيه وقد جاء عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما في تفسير قوله تعالى
يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم واوفوا بعهدي اوف بعهدكم قال الله تعالى
للاحبار من اليهود اوفوا بعهدي الذي اخذته في اعناقكم للنبي صلى الله عليه وسلم
اذا جاءكم بتصديقه واتباعه اوف بعهدكم انجز لكم ما وعدتكم عليه بوضع ما كان عليكم
من الاصر والاغلال ولا تكونوا اول كافر به وعندكم فيه من العلم ما ليس عند غيركم
وتكتموا الحق وانتم تعلمون اي لا تكتموا ما عندكم من المعرفة برسولي وبما جاء به وانتم
تجدونه عندكم فيما تعلمون من الكتب التي بايديكم قال بعضهم ولم يسلم من رؤساء علماء
اليهود الا عالما عبد الله بن سلام وضم اليه السهيلي عبد الله بن صوريا قال الحافظ
ابن حجر رحمه الله تعالى لم اقف لعبد الله بن صوريا من طريق صحيح وانما نسب لتفسير النقاش
اي ويضم لعبد الله بن سلام ميمون المتقدم ذكره وروي في سبب اسلام ابن سلام ان في
اظهاره اسلامه على ما تقدم انه لما بلغه مقدم النبي صلى الله عليه وسلم اتاه في قباء
فعنه رضي الله تعالى عنه جاء رجل حتى اخبر بقدومه صلى الله عليه وسلم وانا في راس نخلة
اعمل فيها وعمتي تحتي جالسة فلما سمعت بقدوم رسول الله صلى الله عليه وسلم كبرت
فقالت لي عمتي لو كنت سمعت بموسى بن عمران عليه السلام ما زدت فقلت لها اي عمة
هو والله اخو موسى بن عمران عليه السلام وعلى دينه بعث بما بعث به قالت يا ابن اخي
اهو النبي الذي كنا نخبر انه يبعث مع بعث الساعة وفي لفظ في نفس الساعة فقلت
لها نعم اي وقد جاء عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما انه صلى الله عليه وسلم قال
بعثت بين يدي الساعة بالسيف حتى يعبد الله وحده لا شريك له وجعل رزقي تحت ظل
رمحي وجعل الذل والصغار على من خالف امري وجاء انه صلى الله عليه وسلم قال بعثت
انا والساعة كهاتين وقال باصبعيه هكذا يعني السبابة والوسطى اي جمع بينهما وفي

رواية بعثت في نفس الساعة سبقتها كما سبقت هذه هذه وفي رواية سبقتها بما سبقت
به هذه هذه وأشار باصبعيه الوسطى والسبابة قال الطيبي الوسطى تزيد على
السبابة بنصف سبع اصبع كما ان نصف يوم من سبعة ايام نصف سبع اي وقد تقدم
ان عباس رضي الله تعالى عنهما قال الدنيا سبعة ايام كل يوم الف سنة بعث صلى الله
عليه وسلم في اخر يوم منها وتقدم في حديث اخرجه ابو داود لن يعجز الله ان يؤخر
هذه الامة نصف يوم يعني خمسمائة سنة قال بعضهم فان قيل ما وجه الجمع بين هذا
وبين قوله صلى الله عليه وسلم لما سئل عن الساعة ما المسؤول عنها باعلم من السائل مع
دلالة الرواية الاولى على علمه بها واجيب بان القران نطق بان علمها عند الله لا
يعلمها الا هو ومعنى قوله صلى الله عليه وسلم بعثت انا والساعة كهاتين انه ليس بيني
وبينها نبي اخر ياتي بشريعة ولا يتراخى الى ان تندرس شريعتي فهو صلى الله عليه وسلم
اول اشراطها لانه نبي اخر الزمان وهذا لا يقتضي ان يكون صلى الله عليه وسلم عالما
بحضور وقتها قال ابن سلام رضي الله تعالى عنه وكنت عرفت صفته واسمه اي
في التوراة زاد في رواية فكنت منتظرا لذلك ساكتا عليه حتى قدم صلى الله عليه وسلم فجئته
فقلت يا محمد اني سائلك عن ثلاثة لا يعلمهن الا نبي ما اول اشراط الساعة وما اول
طعام ياكله اهل الجنة وما بال الولد ينزع الى ابيه وامه فقال صلى الله عليه وسلم
اخبرني بهن جبريل انفا فقال جبريل ابن سلام رضي الله تعالى عنه ذاك يعني جبريل
عليه السلام عدو اليهود من الملائكة وقيل قائل ذلك عبد الله بن صوريا ولا مانع
من ان يكون قال ذلك كل منهما اي وعن ابن صوريا انه قال للنبي صلى الله عليه وسلم من
ينزل عليك بالوحي قال جبريل عليه السلام قال ذلك عدونا ولو كان غيره وفي لفظ لو
كان ميكائيل لامنا بك لان جبريل عليه السلام ينزل بالخسف والحرب والهلاك وميكائيل
ينزل بالخصب والسلم وسبب العداوة لهم زعموا انه امر ان يجعل فيهم النبوة اي يجعل
النبي المنتظر في بني اسرائيل الذين هم اولاد اسحاق فجعلها في غيرهم اي في ولد اسماعيل
وقيل سبب عداوتهم لجبريل عليه السلام انه انزل على نبيهم ان بيت المقدس سيخربه
بخت نصر فبعثوا من يقتله من اعظم بني اسرائيل قوة فاراد قتله فمنعه عنه جبريل عليه
السلام وقال ان كان ربكم امره باهلاككم فانه لا يسلطكم عليه فصدقه ورجع عنه اي
فان بني اسرائيل لما عتدوا وقتلوا شعيا جاء بخت نصر ملك فارس وحاصر بيت المقدس
وفتحها عنوة واحرق التوراة وخرب بيت المقدس وقيل في سبب العداوة كونه يطلع
النبي صلى الله عليه وسلم على سرهم ولا مانع من ان يكون ذلك سببا للعداوة ثم قال
صلى الله عليه وسلم اما اشراط الساعة فنار تحشرهم من المشرق الى المغرب واما اول
طعام ياكله اهل الجنة فزيادة كبد الحوت اي وهي القطعة المنفردة المعلقة بالكبد
قال بعضهم وهي في الطعم في غاية اللذة ويقال انها اهنا طعام وامراه وروي

ان

ان الثور ينطح الحوت بقرنه فيموت فياكل منه اهل الجنة ثم يحيا فينحر الثور فياكله
اهل الجنة ثم يحيا قال واما الولد فاذا سبق ماء الرجل ماء المراة نزع الولد اليه
وان سبق ماء المراة ماء الرجل نزع الولد اليها اي لكن في فتح الباري عن عائشة رضي
الله تعالى عنها اذا علا ماء الرجل ماء المراة اشبه اعمامه واذا علا ماء المراة ماء الرجل
اشبه اخواله والمراد بالعلو السبق وعن ثوبان اذا علا مني الرجل مني المراة جاء
الولد ذكرا وان علا مني المراة مني الرجل جاء انثى والعلو فيه على بابه هذا كلامه
اي واذا استوى الماءان جاء خنثى وفي رواية قالوا له صلى الله عليه وسلم اين يكون
الناس يوم تبدل الارض غير الارض والسموات ومن اول الناس اجازة وما
تحفتهم اي الناس حين يدخلون الجنة وما غداؤهم على اثره وما شرابهم عليه فا
جابهم
صلى الله عليه وسلم بانهم يكونون في ظلمة دون الجسر ولعل المراد بالجسر الصراط
لكن في رواية مسلم اين الناس يومئذ قال على الصراط ثم رايت عن البيهقي ان قوله
على الصراط مجاز لكونهم بمجاورته ونقل القرطبي عن صاحب الافصاح ان السماء
والارض يبدلان مرتين المرة الاولى تبدل صفتهما فقط وذلك قبل نفخة الصعق
فتتناثر كواكبها وتخسف الشمس والقمر فتتناثر السماء كالمهل وتكشط الارض وتسير
الجبال والمرة الثانية تبدل ذاتهما وذلك اذا وقفوا في المحشر فتبدل الارض بارض من
فضة لم يقع عليها معصية وهي الساهرة اي والسماء تكون من ذهب كما جاء عن علي كرم
الله تعالى وجهه وفي الصحيحين عن ابي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه تكون
الارض يوم القيامة خبزة واحدة يكفؤها الجبار كما يكفأ احدكم خبزته في السفر نزلا
لاهل الجنة فياكل المؤمن من تحت رجليه ويشرب من الحوض قال الحافظ بن حجر رحمه الله
ويستفاد منه ان المؤمنين لا يعذبون بالجوع في طول زمان الموقف بل يقلب الله بقدرته
طبع الارض حتى ياكلوا منها تحت اقدامهم ما شاء الله من غير علاج ولا كلفة قال ويؤيد
ان هذا مراد الحديث ما جاء تبدل الارض بيضا مثل الخبزة ياكل منها اهل الاسلام
حتى يفرغوا من الحساب هذا كلامه فليتامل مع ما قبله من ان الارض تبدل بارض من فضة
وان هذا يدل على ان تلك الارض التي تكون خبزة تكون في موقف الحساب وما جاء
عن علي كرم الله تعالى وجهه يدل على انها تكون بعد مجاوزتهم الصراط واول دخول
الناس اجازة فقراء المهاجرين وتحفة اهل الجنة حين يدخلونها زيادة كبد النون اي
الحوت وغداؤهم ينحر لهم ثور الجنة الذي ياكل من اطرافها وشرابهم من عين تسمى
سلسبيلا وسالوه فقالوا اخبرنا عن علامة النبي فقال تنام عينه ولا ينام قلبه
وسالوه اي طعام حرم اسرائيل على نفسه قبل ان تنزل التوراة قال انشدكم بالله الذي
انزل التوراة على موسى هل تعلمون ان اسرائيل يعقوب مرض مرضا شديدا وطال
سقمه فنذر لله لئن شفاه الله تعالى من سقمه ليحرمن احب الشراب اليه واحب الطعام اليه

وكان الطعام اليه لحمان الابل واحب الشراب اليه البانها قالوا اللهم نعم اي حرمها
ردعا لنفسه ومنعا لها عن شهواتها وقيل لانه كان به عرق النسا وكان اذا طعم ذلك
هاج به وذكر ان سبب نزول قوله تعالى كل الطعام كان حلا لبني اسرائيل الا ما حرم
اسرائيل على نفسه قول اليهود له صلى الله عليه وسلم كيف تقول انك على ملة ابراهيم
وانت تاكل لحوم الابل وتشرب البانها وكان ذلك محرما على نوح وابراهيم حتى انتهى
الينا اي علمه في التوراة فنحن احق الناس بابراهيم منك ومن غيرك فانزل الله تعالى
الاية تكذيبا لهم اي بان هذا انما حرمه يعقوب على نفسه ومن ثم جا فيها فاتوا بالتوراة
فاتلوها ان كنتم صادقين وكانت اليهود اذا حاضت المراة منهم اخرجوها من البيت
ولم يواكلوها ولم يشاربوها اي وفي كلام الواحدي قال المفسرون كانت العرب في
الجاهلية اذا حاضت المراة لم يواكلوها ولم يشاربوها ولم يساكنوها في بيت كفعل المجوس
هذا كلامه فسئل صلى الله عليه وسلم عن ذلك اي قال له بعض الاعراب يا رسول
الله البرد شديد والثياب قليلة فان اثرناهن بالثياب هلك سائر اهل البيت وان
استاثرنا بها هلكت الحيض فانزل الله تعالى ويسالونك عن المحيض قل هو اذى الاية
فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم اصنعوا كل شيء الا النكاح اي الوطي وما في
معناه وهو مباشرة ما بين السرة والركبة اي فان الاية لم تنص الا على عدم قربانهن بالوطي
في الحيض ومن ثم جاء في رواية انما امرتم ان تعتزلوا مجامعتهن اذا حضن ولم يامركم
باخراجهن فبلغ ذلك اليهود فقالوا ما يريد هذا الرجل ان يدع من امرنا شيئا الا خالفنا
فيه فجا اسيد بن حضير وعباد بن بشر رضي الله تعالى عنهما الى رسول الله صلى الله عليه
وسلم وقالا ان اليهود قالت كذا فلا نجامعهن اي توافقهن فتغير وجه رسول الله
صلى الله عليه وسلم اي وعند ذلك قال بعض الصحابة انه صلى الله عليه وسلم قد وجد اي
غضب عليهما فلما خرجا استقبلتهما هدية من لبن الى النبي صلى الله عليه وسلم فارسل في
اثارهما فسقاهما فعرفنا انه لم يجد عليهما وذكر المفسرون ان في منع الوطي للحائض
اقتصادا بين افراط اليهود وتفريط النصارى فانهم لا يمتنعون من وطي الحائض اي وذكر
ان ابن سلام وغيره ممن اسلم من يهود استمروا على تعظيم السبت وكراهة اكل لحم الابل
وشرب البانها فانكر ذلك عليهم المسلمون فقالوا ان التوراة كتاب الله فنعمل به ايضا
فانزل الله تعالى يا ايها الذين امنوا ادخلوا في السلم كافة قال وفي رواية قالوا
له صلى الله عليه وسلم ما هذا السواد الذي في القمر فاجابهم عن ذلك بانهما كانا شمسين
اي شمس في الليل وشمس في النهار فقال تعالى فمحونا اية الليل وجعلنا اية النهار
مبصرة فالسواد الذي يرى هو المحو اي اثر قال بعضهم في قوله واية لهم الليل
نسلخ منه النهار ان الليل ذكر والنهار انثى فالليل كادم والنهار كحوى وقد ذكر
ان الليل من الجنة والنهار من النار ومن ثم كان الانس بالليل اكثر وجاء انه صلى الله

عليه وسلم

عليه وسلم قال لرجل من علماء اليهود اتشهد اني رسول الله قال لا قال اتقرا التوراة
قال نعم قال والانجيل قال نعم فناشده صلى الله عليه وسلم هل تجدني في التوراة
قال نجد مثلك ومثل مخرجك ومثل هيئتك فلما خرجت خفنا ان تكون انت فنظرنا فاذا
انت لست هو قال ولم ذاك قال معه من امته سبعون الفا ليس عليهم حساب ولا عذاب
وانما معك نفر يسير قال صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده لانا هو وانهم لاكثر من
سبعين الفا وسبعين الفا وقد سالته صلى الله عليه وسلم اليهود عن الرعد اي وعن
البرق فقال هو صوت ملك موكل بالسحاب يسوقه اي بمخراق من نار في يده يزجر به
السحاب الى حيث امر الله تعالى وعن علي بن ابي طالب كرم الله تعالى وجهه قال
البرق مخاريق من نار بايدي ملائكة يزجرون به السحاب والمخراق المنديل يلف ليضرب
به اي وح فالمراد بالملك الجنس وفي رواية ان الله ينشئ السحاب فينطق احسن النطق
ويضحك احسن الضحك ومنطقها الرعد وضحكها البرق وفي بعض الاثار ان لله ملائكة
يقال لهم الحيات فاذا حركوا اجنحتهم فهو البرق اي وتحريكهم لاجنحتهم يكون غالبا
عند الرعد لان الغالب وجود البرق عند الرعد وعن بعضهم قال بلغني ان البرق له
اربع وجوه وجه انسان ووجه ثور ووجه نسر ووجه اسد فاذا مصع بذنبه اي حركه
فذلك البرق اي وتحريكه غالبا يكون عند وجود الرعد وعن ابن عباس رضي الله تعالى
عنهما البرق ملك يترايا اي يظهر ويغيب وفي رواية الرعد ملك يزجر السحاب والبرق
طرف ملك اي ينظر به عند وجود الرعد غالبا وفي رواية ان ملكا موكل بالسحاب في يده
مخراق فاذا رفع برقت واذا زجر رعدت واذا ضرب صعقت وعن مجاهد الرعد ملك
والبرق اجنحته يسوق بها السحاب فيكون المسموع صوته او صوت سوقه فليتامل الجمع
بين هذه الروايات وذهبت الفلاسفة الى ان الرعد صوت اصطكاك اجرام السحاب
والبرق ينقدح من اصطكاكها فقد زعموا ان عند اصطكاك اجرام السحاب بعضها ببعض
تخرج نار لطيفة حديدة لا تمر بشيء الا اتت عليه الا انها مع حدتها سريعة الخمود
وقيل سبب نزول قوله تعالى ما ننسخ من اية او ننسها نات بخير منها او مثلها ان
اليهود انكروا النسخ فقالوا الا ترون الى محمد صلى الله عليه وسلم يامر اصحابه بامر
ثم ينهاهم عنه ويامرهم بخلافه ويقول اليوم قولا ويرجع عنه غدا فنزلت وسالوه
صلى الله عليه وسلم مم يخلق الولد فقال يخلق من نطفة الرجل ومن نطفة المراة اما
نطفة الرجل فنطفة غليظة اي بيضا منها العظم والعصب واما نطفة المراة فنطفة
رقيقة اي صفرا منها اللحم فقالوا هكذا كان يقول من قبلك اي من الانبيا عليهم
الصلاة والسلام وتقدم في ترجمة سطيح ايراد عيسى عليه السلام على ذلك اي وقالوا
اغاظة له صلى الله عليه وسلم ما نرى لهذا الرجل همة الا النسا والنكاح ولو كان
نبيا كما زعم لشغله امر النبوة عن النسا فانزل الله تعالى ولقد ارسلنا رسلا من

قبلك وجعلنا لهم ازواجا وذرية فقد انه كان لسليمان عليه الصلاة والسلام مائة
امراة وتسعمائة سرية وسالوه صلى الله عليه وسلم عن رجل زنى بامراة بعد احصان اي
كان شريفا من خيبر زنا بشريفة وهما محصنان فكرهوا رجمهما لشرفهما فبعثوا رهطا منهم الى
بني قريظة يسالوا رسول الله صلى الله عليه وسلم اي قالوا لهم ان هذا الرجل الذي
بيثرب ليس في كتابه الرجم ولكنه التعزير فسالوه صلى الله عليه وسلم فاجاب بالرجم فلم
يفعلوا ذلك فقال صلى الله عليه وسلم لجمع من علمائهم انشدكم بالله الذي انزل التوراة
على موسى عليه السلام هل تجدون في التوراة على من زنا بعد احصان الرجم فانكروا ذلك
فقال لهم عبد الله بن سلام رضي الله تعالى عنه كذبتم فان فيها اية الرجم فاتوا
بالتوراة فوضع واحد منهم يده على تلك فقال له ابن سلام رضي الله تعالى عنه ارفع
يدك عنها فرفعها فاذا فيها اية الرجم اقول هذا كان في السنة الرابعة وهو
يخالف ما في بعض الروايات ان احبار يهود اي وهم كعب بن الاشرف وسعد بن عمرو
ومالك بن ابي الصيف وكنانة بن ابي الحقيق اجتمعوا في بيت المدراس حين قدم رسول
الله صلى الله عليه وسلم المدينة وقد زنا رجل من يهود بعد احصانه بامراة محصنة
من يهود وقالوا ان افتانا بالجلد اخذنا به واحتججنا بفتواه عند الله وقلنا فتيا
نبي من انبيائك وان افتانا بالرجم خالفناه لانا خالفنا التوراة فلا علينا من مخالفته
وفي رواية الصحيحين عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما ان اليهود جاءوا الى رسول
الله صلى الله عليه وسلم فذكروا له ان امراة منهم ورجلا زنيا اي بعد احصان فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ما تجدون في التوراة في شان الرجم قالوا نفضحهما
بان نسود وجوههما ثم يحملان على حمارين وجوههما من قبل ادبار الحمار وفي لفظ
يحملان على الحمار وتقابل اقفيتهما ويطاف بهما ويجلدان اي بحبل من ليف مطلي بقار
فقال عبد الله بن سلام كذبتم ان فيها اية الرجم فاتوا بالتوراة فنشروها فوضع
احدهم يده على اية الرجم فقرا ما قبلها وما بعدها فقال له عبد الله بن سلام ارفع
يدك فرفع يده فاذا فيها اية الرجم فقالوا صدقت يا محمد فيها اية الرجم وقد جاء ان
موسى عليه السلام خطب بني اسرائيل فقال يا بني اسرائيل من سرق قطعنا يده ومن افترى
جلدناه ثمانين جلدة ومن زنا وليست له امراة جلدناه مائة جلدة ومن زنا وله امراة
رجمناه حتى يموت والله اعلم قال ولما جاءوا الى النبي صلى الله عليه وسلم قالوا
يا ابا القاسم ما ترى في رجل وامراة زنيا اي بعد احصان فقال لهم صلى الله عليه وسلم
ما تجدون في كتابكم التوراة قالوا دعنا من التوراة فقل ما عندك فافتاهم صلى الله عليه
بالرجم فانكروه فلم يكلمهم رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى اتى بيت مدراسهم
فقام على الباب فقال يا معشر يهود اخرجوا الي اعلمكم فاخرجوا اليه عبد الله بن
صوريا وابا ياسر بن اخطب ووهب بن يهود فقالوا اعلمنا فقال لهم صلى الله عليه وسلم
هؤلاء

انشدكم

انشدكم بالله الذي انزل التوراة على موسى عليه السلام ما تجدون في التوراة على
من زنا بعد احصان قالوا يحمم اي يعير ويجنب فقال عبد الله بن سلام كذبتم فان
فيها اية الرجم اي وفي رواية لما سالهم واجابوه الا شاب منهم فانه سكت فالح عليه
صلى الله عليه وسلم في النشدة فقال اللهم اذ نشدتنا فانا نجد في التوراة الرجم ولكن
رايناه ان زنا الشريف جلدناه والوضيع رجمناه كان من الحيف فاتفقنا على ما نقيمه
على الشريف والوضيع وهو ما علمت فمنذ ذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا
احكم بما في التوراة ولعل هذا الشاب ابن صوريا في الكشاف انه لما امرهم بالرجم فابوا
ان ياخذوا به فقال له جبريل عليه السلام اجعل بينك وبينهم ابن صوريا حكما اي
ووصفه له جبريل عليه السلام فقال صلى الله عليه وسلم هل تعرفون شابا امرد ابيض
اعور يسكن فدك يقال له ابن صوريا قالوا نعم وهو اعلم يهودي بما على وجه الارض
بما انزل الله على موسى في التوراة ورضوا به حكما فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم
انشدك الله لا اله الا هو الذي انزل التوراة على موسى وفلق البحر ورفع فوقكم
الطور وانجاكم واغرق فرعون وظلل عليكم الغمام وانزل عليكم المن والسلوى والذي
انزل عليكم كتابه وحلاله وحرامه هل تجدون فيه الرجم على من احصن قال نعم فوثب
عليه سفلة اليهود فقال خفت ان كذبته ان ينزل علينا العذاب وفي رواية قال نعم
والذي ذكرتني به لولا خشية ان تحرقني التوراة ان كذبتك ما اعترفت لك ولكن كيف هي
كتابك يا محمد قال اذا شهد اربعة رهط عدول انه قد ادخله فيها كما يدخل الميل في
المكحلة وجب عليه الرجم فقال ابن صوريا والذي انزل التوراة على موسى هكذا
انزل الله في التوراة على موسى عليه السلام فليتامل الجمع بين هذه الروايات على تقدير
صحتها ثم ساله عن اشياء يعرفها من اعلامه فقال اشهد ان لا اله الا الله وانك رسول
رسول الله صلى الله عليه وسلم
الله النبي الامي وهذا مما يدل على اسلامه وتقدم انكار صحته عن الحافظ ابن حجر فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم بالشهود فجاؤوا باربعة فشهدوا انهم راوا ذكره في فرجها
مثل الميل في المكحلة فامر بهما فرجما عند باب مسجده صلى الله عليه وسلم قال ابن عمر فرايت
الرجل يحني على المراة يقيها الحجارة فكان ذلك سببا لنزول قوله تعالى انا انزلنا التوراة
فيها هدى ونور ولنزول قوله تعالى ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الظالمون
وفي اية اخرى فاولئك هم الفاسقون وفي اخرى فاولئك هم الكافرون وعن عمرو بن
ميمون قال الرجم في الجاهلية في غير بني ادم كنت في اليمن في غنم لاهلي فجاء قرد ومعه قردة رايت
فتوسد يدها ونام فجاء قرد اصغر منه فغمزها فسلت يدها من تحت القرد برفق وذهبت
معه ثم جاءت فاستيقظ القرد فزعا فشمها فصاح فاجتمعت القردة فجعل يصيح ويومي بيده
فذهبت القردة يمنة ويسرة فجاؤوا بذلك القرد فحفروا لهما حفيرة فرجموهما وفي لفظ رايت
في الجاهلية قردة زنت فرجموها يعني القردة ورجمتها معهم قال في الاستيعاب وهذا

عند جماعة من اهل العلم لاضافة الزنا الى غير مكلف واقامة الحدود في البهائم ولو
صح هذا لكانوا من الجن لان العبادات في الانس والجن دون غيرهما هذا كلامه فليتامل
والله اعلم **وقد ذكر** غير واحد ان احبار يهود غيروا صفته صلى الله عليه وسلم
التي في التوراة خوفا على انقطاع نفقتهم فانها كانت على عوامهم لقيامهم بالتوراة
فخافوا ان تؤمن عوامهم فتنقطع عنهم النفقة اي وكانوا يقولون لمن اسلم لا تنفقوا
مالكم على هولا يعني المهاجرين فانا نخشى عليكم الفقر فانزل الله تعالى الذين يبخلون
ويامرون الناس بالبخل ويكتمون ما اتاهم الله من فضله اي من صفة النبي صلى الله عليه
وسلم التي يجدونها في كتابهم فقد كان فيه اكحل العين ربعة جعد الشعر حسن الوجه
فمحوه وقالوا نجده طويلا ازرق العين سبط الشعر واخرجوا ذلك الى اتباعهم وقالوا هذا
نعت النبي الذي يخرج اخر الزمان وعند ذلك انزل الله تعالى ان الذين يكتمون ما
انزل الله من الكتاب الاية **وكان** اليهود اذا كلموا النبي صلى الله عليه وسلم قالوا
راعنا سمعك واسمع غير مسمع ويضحكون فيما بينهم اي لان ذلك كما قال ابن عباس رضي
الله تعالى عنهما بلسان اليهود السب القبيح فلما سمع المسلمون منهم ذلك ظنوا ان ذلك
شي كان اهل الكتاب يعظمون به انبياهم فصاروا يقولون ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم
ففطن سعد بن معاذ رضي الله تعالى عنه لليهود يوما وهم يضحكون فقال يا اعدا الله
لين سمعنا هذا منكم بعد هذا المجلس لاضربن عنقه فانزل الله تعالى يا ايها الذين امنوا من رجل صح
لا تقولوا راعنا وقولوا انظرنا واسمعوا **وفي رواية** ان اليهود لما سمعوا الصحابة
رضي الله تعالى عنهم تقول له صلى الله عليه وسلم اذا القى عليهم شيئا يا رسول الله راعنا
اي انتظرنا وتان علينا حتى نفهم وكانت هذه الكلمة عبرانية تسابب بها اليهود فلما سمعوا
المسلمين يقولون له صلى الله عليه وسلم راعنا خاطبوا النبي صلى الله عليه وسلم براعنا يعنون
به تلك السبة ومن ثم لما سمع سعد بن معاذ رضي الله تعالى عنه من اليهود قال لهم يا اعدا
الله عليكم لعنة الله والذي نفسي بيده ان سمعتها من رجل منكم يقولها لرسول الله صلى
الله عليه وسلم لاضربن عنقه بالسيف فقالوا الستم تقولونها فنزلت **وجاءه** صلى الله عليه
وسلم جماعة من اليهود باطفالهم وقالوا يا محمد هل على هولا من ذنب فقال لا
فقالوا والذي نحلف به ما نحن الا كهيئتهم ما من ذنب نعمله بالنهار الا كفر عنا بالليل وما
من ذنب نعمله بالليل الا كفر عنا بالنهار فانزل الله تعالى الم تر الى الذين يزكون انفسهم
الاية **وجاء** ان احبار يهود منهم ابن صوريا اي قبل ان يسلم على ما تقدم وشاس بن
قيس وكعب بن اسد اجتمعوا وقالوا انبعث الى محمد لعلنا نفتنه في دينه فجاوا اليه صلى
الله عليه وسلم فقالوا يا محمد قد عرفت انا احبار يهود واشرافهم وان اتبعناك اتبعك
كل اليهود وبيننا وبين قوم خصومة فنحاكمهم اليك فتقضي لنا عليهم فنومن بك فابى
ذلك عليهم فنزل وان احكم بينهم بما انزل الله ولا تتبع اهواءهم الاية **ومن اليهود**

من

من دخل في الاسلام تقية من القتل لما قهرهم الاسلام بظهوره واجتماع قومهم عليه
فكان هواهم مع اليهود في السر اي وهم المنافقون **وقد ذكر بعضهم** ان المنافقين
الذين كانوا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلثماية منهم الجلاس بجيم مضمومة
فلام مخففة فالف فسين مهملة بن سويد بن الصامت قال يوما ان كان هذا الرجل صادقا
لنحن شر من الحمر فسمعها عمير بن سعد رضي الله تعالى عنه وهو ابن زوجة الجلاس
اي فان الجلاس كان زوجا لام عمير وكان عمير يتيما في حجره لا مال له وكان يكفله ويحسن
اليه فجاء الجلاس ليلة فاستلقى على فراشه فقال ان كان ما يقوله محمد حقا فلنحن شر من
الحمير فقال له عمير رضي الله تعالى عنه يا جلاس انك لاحب الناس الي واحسنهم عندي
يدا ولقد قلت مقالة لئن رفعتها عنك لافضحنك ولئن صمت عليها اي امسكت عنها
ليهلكن ديني علي ولاحدهما ايسر علي من الاخرى فمشى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فذكر له مقالة الجلاس فارسل رسول الله صلى الله عليه وسلم الى جلاس فحلف بالله لقد
كذب علي عمير وما قلت ما قال عمير فقال عمير بلى والله قد قلته فتب الى الله ولولا
ان ينزل القران فيجعلني معك ما قلته وجا انه صلى الله عليه وسلم استحلف الجلاس عند
المنبر فحلف انه ما قال واستحلف الراوي عليه فحلف لقد قال وقال اللهم انزل على
نبيك تكذيب الكاذب وتصديق الصادق فقال النبي صلى الله عليه وسلم امين فنزل
يحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد اسلامهم الى قوله فان يتوبوا
فاعترف الجلاس وتاب وقبل منه صلى الله عليه وسلم توبته وحسنت توبته ولم ينزع
عن خير كان يصنعه الى عمير رضي الله تعالى عنه فكان ذلك مما عرف به حسن توبته
وقال صلى الله عليه وسلم وقت ذلك **ومنهم نبتل** بنون مفتوحة فموحدة ساكنة فمثناة
فوقية مفتوحة فلام ابن الحارث قال النبي صلى الله عليه وسلم من احب ان ينظر الى
الشيطان فلينظر الى نبتل بن الحارث كان يجلس اليه صلى الله عليه وسلم ثم ينقل حديثه
الى المنافقين وهو الذي قال لهم ان محمدا اذن من حدثه بشي صدقه فانزل الله تعالى
ومنهم الذين يوذون النبي ويقولون هو اذن الاية وجا جبريل عليه السلام الى النبي
صلى الله عليه وسلم فقال له يجلس اليك رجل معك صفته نقال اي للحديث الذي تحدث
به كبده اغلظ من كبد الحمار ينقل حديثك للمنافقين فاحذره **ومنهم عبد الله بن ابي
بن سلول** وهو راس المنافقين ولاشتهاره بالنفاق لم يعد في الصحابة وكان من اعظم
اشراف اهل المدينة وكانوا قبل مجيئه صلى الله عليه وسلم للمدينة قد نظموا له الخرز
ليتوجوه ثم يملكوه عليهم اي كما تقدم لان الانصار من ال قحطان ولا يتوج من العرب الا
قحطان ولم يبق من الخرز الا خرزة واحدة كانت عند شمعون اليهودي فلما جاهم الله
برسوله صلى الله عليه وسلم انصرف عنه قومه الى الاسلام فضغن اي اضمر العداوة
لانه راى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد سلبه ملكا عظيما فلما راى قومه قد ابوا

الا الاسلام دخل فيه كارها مصرا على النفاق وكان له اما يكرههن على الزنا لياخذ
اجورهن فانزل الله ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء **وقد قيل** في سبب نزول قوله
تعالى واذا لقوا الذين امنوا قالوا امنا ان عبد الله بن ابي واصحابه خرجوا ذات يوم
فاستقبلهم قوم من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فيهم ابو بكر وعمر وعلي رضي
الله تعالى عنهم فقال عبد الله بن ابي انظروا كيف ارد هولاء السفهاء عنكم فاخذ بيد
ابي بكر رضي الله تعالى عنه فقال مرحبا بالصديق سيد بني تيم وشيخ الاسلام وثاني
رسول الله صلى الله عليه وسلم في الغار الباذل نفسه وماله لرسول الله صلى الله عليه
وسلم ثم اخذ بيد عمر فقال مرحبا بسيد بني عدي الفاروق القوي في دين الله الباذل
نفسه وماله لرسول الله صلى الله عليه وسلم ثم اخذ بيد علي كرم الله وجهه فقال
مرحبا بابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وختنه سيد بني هاشم ما خلا رسول
الله صلى الله عليه وسلم ثم افترقوا فقال علي كرم الله تعالى وجهه اتق الله
يا عبد الله ولا تنافق ان المنافقين شر خليقة الله فقال له عبد الله مهلا يا ابا
الحسن الي تقول هذا والله ان ايماننا كايمانكم وتصديقنا كتصديقكم فقال لاصحابه
كيف رايتموني فعلت فاثنوا عليه خيرا فنزلت **وقد قال** صلى الله عليه وسلم مثل المنافق
مثل الشاة العايرة بين الغنمين اي المترددة اليهما تعير الي هذه مرة والي هذه مرة
وفي السنة الاولى من الهجرة اعرس صلى الله عليه وسلم بعايشة كذا في الاصل
وفي المواهب ان ذلك كان في السنة الثانية من الهجرة في شوال على راس ثمانية عشر شهر
وقيل بعد سبعة اشهر وقيل بعد ثمانية اشهر من مقدمه صلى الله عليه وسلم قالت
عايشة رضي الله تعالى عنها تزوجني رسول الله صلى الله عليه وسلم وبنى بي في
شوال فاي نسا رسول الله صلى الله عليه وسلم كان احظى عنده مني اي فما توهمه
بعض الناس من التشاوم بذلك لكونه بين العيدين فتحصل المفارقة بين الزوجين
لا عبرة به ولا التفات اليه **وعنها** قالت رضي الله تعالى عنها جا رسول الله صلى
الله عليه وسلم فدخل بيتنا واجتمع اليه رجال ونسا من الانصار فجاتني امي واني لفي
ارجوحة بين عرقين اي نخلتين فانزلتني من الارجوحة ولي جميمة لاني وعكت اي ضمرت
لما قدمنا المدينة اي اصابتنا الحمى فعن البرا رضي الله تعالى عنه قال دخلت مع ابي بكر
الصديق رضي الله تعالى عنه على اهله فاذا عايشة ابنته مضطجعة قد اصابتها الحمى
فرايت اباها يقبل خدها ويقول كيف انت يا بنية قالت عايشة فتمزق شعري فمرقتها ومسحت
وجهي بشي من ما ثم اقبلت تقودني حتى وقفت بي عند الباب واني لانهج حتى سكن
نفسي ثم دخلت بي على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو جالس على سرير في بيتنا
وعنده رجال ونسا من الانصار فاجلستني في حجره ثم قالت هولا اهلك فبارك الله لك
فيهم وبارك لهم فيك فوثب الرجال والنسا فخرجوا وبنى بي رسول الله صلى الله عليه

وسلم

وسلم في بيتنا اي فقد بنى نهارا **وفي الصحاح** العامة تقول بنى باهله وهو خطا وانما
يقال بنى على اهله قال الحافظ بن حجر رحمه الله ولا يخفى عن الخطا كثرة استعمال
الفصحا له اي كاستعمال عايشة له هنا **هذا وفي الاستيعاب** وارد عن عايشة رضي
الله تعالى عنها ان ابا بكر رضي الله تعالى عنه قال يا رسول الله ما يمنعك ان تبني
باهلك قال الصداق فاعطاه ابو بكر رضي الله تعالى عنه اثنتي عشرة اوقية ونشا
فبعث به الينا وبنى بي رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيتي هذا الذي انا فيه وهو
الذي اشتكى وتوفي فيه ودفن فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم **وفيه** ان سياق
ما تقدم وما ياتي يدل على انه صلى الله عليه وسلم انما دخل عليها في بيت ابيها بالسنح
ثم رايت بعضهم صرح بذلك فقال كان دخوله صلى الله عليه وسلم بها بالسنح
نهارا وهذا خلاف ما يعتاده الناس اليوم هذا كلامه وفي رواية عنها رضي الله
تعالى عنها اتتني امي واني لفي ارجوحة مع صواحب لي فصرخت بي فاتيتها ما ادري ما
تريد مني فاخذت بيدي حتى وقفت بي على باب الدار وانا انهج حتى سكن بعض نفسي
ثم اخذت شيا من ما فمسحت به وجهي وراسي ثم ادخلتني الدار فاذا نسوة من
الانصار في البيت فقلن على الخير والبركة على خير طاير فاسلمتني اليهن فاصلحن من
شاني فلم يرعني الا ورسول الله صلى الله عليه وسلم ضحى فاسلمتني اليه وانا بنت تسع
سنين **قال بعضهم** ودخل صلى الله عليه وسلم بعايشة ولعبتها معها **اي وعنها** رضي
الله تعالى عنها انها كانت تلعب بالبنات اي اللعب عند رسول الله صلى الله عليه وسلم
وكان ياتيها جويريات يلعبن معها بذلك وربما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسيرهن
اليها اي يطلبهن لها ليلعبن معها **قالت** رضي الله تعالى عنها وقدم رسول الله صلى
الله عليه وسلم من غزوة تبوك او حنين فهبت ريح فكشفت ناحية من ستر على صفة في
البيت عن بنات لي فقال ما هذا يا عايشة قلت بناتي وراى بينهن فرسا لها جناحان
من رقاع فقال وما هذا الذي ارى وسطهن قلت فرس قال وما هذا الذي عليه قلت
جناحان قال جناحان قلت اما سمعت ان لسليمان عليه السلام خيلا لها اجنحة فضحك
صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه **وفيه** هلا امرها صلى الله عليه وسلم بتغيير ذلك
واجيب بان هذا مستثنى من عدم جواز تصوير ذي الروح وقولها رضي الله تعالى
عنها اما سمعت ان لسليمان عليه السلام خيلا لها اجنحة واقراره صلى الله عليه
وسلم على ذلك يدل على صحته ثم رايت بعضهم اورد انه كان لسليمان عليه السلام
خيلا لها اجنحة وقد ذكرت ذلك عند الكلام على اسماعيل صلوات الله وسلامه عليه
في اوايل هذه السيرة **وعنها** رضي الله تعالى عنها قالت وما نحرت علي جزور وما
ذبحت علي شاة اي عند بنايه بها صلى الله عليه وسلم حتى ارسل الينا سعد بن
عبادة رضي الله تعالى عنه بجفنة كان يرسل بها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم

أي وفي كلام بعضهم وروى أنه صلى الله عليه وسلم ما أولم على عائشة رضي الله
تعالى عنها بشيء غير أن قدحًا من لبن أهدي من بيت سعد بن عبادة فشرب النبي صلى
الله عليه وسلم بعضه وشربت عائشة باقيه أقول يجوز أن يكون سعد رضي
الله تعالى عنه أرسل بالقدح من اللبن وبالجفنة وأن بعض الرواة اقتصر على أحدهما
ثم لا يخفى أن يجوز أن تكون هذه الرواية الأولى وأن قصة بعد هذه الرواية الثانية
وأنها ذهبت إلى الأرجوحة ثانيًا بعد أن أصلح النساء من شأنها وفعلت بها أمها ما ذكر
وأنه وقع الاقتصار في الرواية الأولى والله سبحانه وتعالى أعلم وهذا آخر الجزء
الأول من سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم وشرف وكرم المسماة بإنسان
العيون في سيرة الأمين المأمون صلى الله عليه وسلم تصنيف الشيخ الإمام المحقق
المقدام العالم العلامة الحبر الفهامة فريد عصره وعلامة دهره جلة المتأخرين
قدوة المجتهدين زبدة المتورعين مفيد الطالبين والراغبين مربي الفقراء والمريدين
صاحب الزهد واليقين الحجة في الدنيا والدين الشيخ علي نجل برهان الدين برد الله تربته
ومضجعه وجعل الله في الجنان مثواه ومرتعه وأعاد الله علينا وعلى سائر المسلمين
من بركاته ولا أخلانا الله من محاسن نفحاته فلقد أجاد وما قصر وأطال في الأقوال
المفيدة وما اختصر فلله دره من إمام مفيد ولله أبوه من عالم سديد وما ذاك إلا
لأنه مهتد سعيد فرحمة الله عليه أبدًا • ما لاح نجم في السماء وبدا • لأنه كان إمامًا
نافعًا • وللعلوم السارية جامعًا • وقد تم هذا الجزء الأول من هذا وأ الحمد لله ملهم الكتاب صح
والحمد لله ملهم الصواب وذلك على يد العبد الفقير العاجز الحقير ذي الذنب والسيئات
والتقصير أضعف العباد وأحوجهم إلى مالك المبدأ والمعاد الراجي من لا مسؤول
غيره الهداية إلى سبيل الرشاد أحمد بن الشيخ سليمان من ذرية القطب الفرد الغوث
علامة الزمان فريد العصر والأوان سيدي وأستاذي علي بن عطية بن حسن بن محمد
أبي محمد علاء الدين الملقب بعلوان قدس الله سره العزيز العلواني نسبًا وطريقة والحموي
بلدًا وموطنًا والشافعي مذهبًا والأشعري معتقدًا يرجو من الله تعالى أن يختم بالسعادة
والتوفيق أجله ويتم بالهداية قوله وعمله ويجعل في الخير قصده وأمله إنه سميع مجيب
مقرب البعيد ومبعد القريب وكتب هذه النسخة تعليقًا لنفسه دون غيره عسى أن تكون
له ولوالديه عند صاحبها عليه الصلاة والسلام سلفًا وذخرًا وأن يعظم لهم بذلك أجرًا
وقد فرغ من تعليقه نهار الثلاثاء السادس والعشرين من شهر ربيع الأول من شهور
سنة اثنين وتسعين وألف من الهجرة النبوية على مهاجرها أفضل صلاة وأتم سلام اللهم

• اغفر للمؤمنين والمؤمنات الأحياء منهم والأموات إنك •

• سميع قريب مجيب الدعوات وصلى الله على سيدنا محمد •

• وعلى سائر والمرسلين وعلى سائر الصحابة • الأنبياء

• والآل والتابعين •

• آمين •